



# مجلة كلية الآداب



مجلة علمية محكمة نصف سنوية تصدر عن كلية الآداب بجامعة الزاوية

الجزء الثاني

مجلة كلية الآداب  
نصف سنوية علمية محكمة - جامعة الزاوية

الجزء الثاني

العدد الرابع والعشرون - ديسمبر 2017م

العدد الرابع والعشرون - ديسمبر 2017م

التسجيل الدولي: 9235 - 2521 Issn



رؤية للطباعة والدعاية والإعلان  
شارع عبد المنعم رياض - 0925081603

# مجلة كلية الآداب

مجلة علمية دورية فصلية محكمة تصدر عن كلية الآداب بجامعة  
الزاوية العدد الرابع والعشرون الجزء الثاني  
ديسمبر 2017 م

رئيس التحرير د. إبراهيم محمد سليمان  
مدير التحرير د. المختار عثمان العفيف

المشرف الفني  
أ. أشرف الكوني  
الهيئة الاستشارية

د. خالد محمد البلعزي  
د. أكرم أبوبكر الهوش  
د. البشير عبد الحميد مفتاح  
د. مختار عمر برطشة  
د. مولود علي برييش  
د. محمد الغرباوي

الترقيم الدولي ISSN2521-9235

ترسل المراسلات باسم رئيس التحرير - جامعة الزاوية

[www.aladab.zu.edu.ly](http://www.aladab.zu.edu.ly)

دار رؤية للطباعة والدعاية والإعلان  
الزاوية- شارع عبد المنعم رياض- 0925031603

## قواعد النشر

- تنشر مجلة "كلية الآداب" الأبحاث الأصلية والمبتكرة التي تتسم بالجدية والدقة والمنهجية، والتي لم يسبق نشرها في أي مطبوعة أخرى، وليست جزء من رسالة ماجستير أو دكتوراه للباحث.
- تخضع جميع البحوث المقدمة للنشر إلى الفحص العلمي بشكل سري من قبل متخصصين، وتحدد صلاحيتها للنشر بناء على رأي لجنة التحكيم.
- يجب أن يتقيد الباحث بالمنهجية، وأصول البحث العلمي، أن يشير إلى الهوامش والمراجع في المتن بالأرقام، وترد قائمتها في نهاية البحث لا في أسفل الصفحة.
- يجب إن يقدم البحث مطبوعا بالحاسوب من نسختين، مرفقا معهم قرص (CD) يتضمن البحث المطلوب نشره.
- يجب أن يكتب الباحث اسمه وعنوان البحث ومكان العمل ودرجته العلمية في ورقة مستقلة، ويعاد كتابة عنوان البحث فقط على الصفحة الأولى للبحث.
- اللغة العربية هي اللغة الرسمية للمجلة، ونرحب بالبحوث المكتوبة باللغات الأجنبية على أن ترفق بملخص واف باللغة العربية.
- ترحب المجلة بنشر ملخصات الرسائل الجامعية (الماجستير والدكتوراه) التي تمت مناقشتها وإجازتها، كما ترحب بإسهام الباحثين بعرض الكتب والدراسات والتقارير عن المؤتمرات والندوات العلمية.
- تقبل المجلة نشر الإعلانات المتعلقة بالأنشطة العلمية.
- تنشر البحوث وفق أسبقية وصولها للمجلة، على أن تكون مستوفية الشروط سالفة الذكر.
- الآراء الواردة بالمجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها فقط

## المحتويات

الصفحة	أسم الباحث وعنوان البحث	رتب
17 - 1	د: حسين عبد المولى بركات الوسطية وأهميتها في حياة المسلمين	1
31 - 18	د. حسن رمضان الخرزة ظاهرة الإشتغال في النحو العربي من خلال ديوان الأعشى الكبير (دراسة نحوية تطبيقية)	2
46 - 32	د. جواء الشيباني محمد الذيب المحددات الاجتماعية للمرض المهني الصدري وآليات المواجهة دراسة سوسولوجية على الأمراض الصدرية	3
54 - 47	د. ابتسام سالم المزوغي العنف الأسري ضد الأطفال ( مفهومه، دوافعه، أشكاله، الآثار المتربطة عنه )	4
63 - 55	د. عائشة سعيد الحاج حقوق الإنسان في الأديان السماوية	5
76 - 64	د: مولود بشير محمد كشلاف الوطنية من خلال القصيدة الليبية في الغربية (بعض قصائد: سليمان الباروني وأحمد رفيق أنموذجاً)	6
97-77	د. الطاهر امحمد ساسي دور أساليب ووسائل التدريب الحديثة في نجاح البرامج التدريبية دراسة حالة على شركة الزاوية لتكرير النفط	7
115 - 98	د. عز الدين منصور أبو عجيبة التباين المكاني للنمو السكاني في منطقة الجفارة للفترة ما بين 1973- 2006	8
127 - 116	أ. الطاهر الواعر علي الواعر التكامل السياسي والاقتصادي العربي الإفريقي لمواجهة تحديات العولمة	9
139 - 128	د. عبد المنعم احمد سالم ميلاد الهوية في فكر زكي نجيب محمود	10
145 - 140	أ. سعاد بشير الخراز الفن وخطاب التأويل السلبي	11
161 - 146	د. محمود سالم جدور ملامح التحول الديمقراطي في العالم والوطن العربي: قراءة تحليلية في بعض المؤشرات الدولية	12

171-162	د. آمنة حسين عبد المولى بركات	13
	أسلوب المناقشة الجماعية، وأثره في تنمية مهارات الاستجواب لدى طالبات جامعة الزاوية	
188-172	د. نجاة محمد المهدي	14
	المستشفيات العامة في مدينة طرابلس: توزيعها وخدماتها بين الواقع والمستهدف	
210-189	د. عبد الله سالم مليطان	15
	الجفر ... بين الحقيقة والخرافة في تبيان مسألة (الجفر) وتحولته من (مجرد كتاب) إلى (عقيدة إيمانية)	
220-211	د. البشير ميلود امحمد الجهمي	16
	تبادل الصيغ ودلالاتها في القرآن الكريم من خلال السياق.	
234-221	أ. طارق البهلول سالم سلامة	17
	الاشتقاق اللغوي عند القدماء والمحدثين	
252-235	د. بهية القمودي البشتي	18
	النظرية الاجتماعية في دراسة الأسرة (دراسة تحليلية)	
269-253	د. رمضان المختار الجامع	19
	أخبار الدولة المرينية في رحلة ابن بطوطة خلال القرن الثامن الهجري "دراسة تاريخية"	
280-270	د. محمد رجب سويسي	20
	الإمام الكساني ومنزلته بين القراء	
301-281	د. محمد خليل المزوغي	21
	قنوت الصبح بين القابضين عليه والمبدعين له	
318-302	د. الصديق خليفة الكيلاتي	22
	الإصلاح السياسي وتأثيره على التنمية المحلية في دول المغرب العربي	
335-319	أ. يوسف عمر اشتيوي	23
	المقومات السياحية في مدينة الرجبان	
353-336	أ. رجب الطاهر مسعود الختروشي	24
	أهمية الاتصال التنظيمي في رفع كفاءة المؤسسات الليبية	

<b>362 -354</b>	<b>Amer Mohamed Bashir Dihmani</b> <b>Deductive and Inductive English Grammar</b> <b>Lessons for Libyan Secondary School</b>	<b>25</b>
<b>373 -363</b>	<b>Kelani S. Elkelani</b> <b>Some Translation Problems face Students to</b> <b>translate from English into Arabic</b>	<b>26</b>
<b>389 -374</b>	<b>Mohamed Hassan Grenat</b> <b>The Interaction Between Meaning, Form and</b> <b>Function</b>	<b>27</b>
<b>408-390</b>	<b>د. فوزية أحمد المقطوف اوحيدة</b> <b>Memory vocabulary learning strategies and long-</b> <b>term retention October, 2017</b>	<b>28</b>

## الوسطية وأهميتها في حياة المسلمين

د: حسين عبد المولى بركات  
كلية القانون/ جامعة الزاوية

### المقدمة:

الحمد لله العدل المنعم علينا بنعمة الإيمان، الذي جعلنا من أمة الإسلام، والصلاة والسلام على رسولنا الطاهر الزكي الأمين، نبي الرحمة والفضل، خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فيقول الحق سبحانه وتعالى في محكم التنزيل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: الآية 143). إن الشريعة الإسلامية تميّزت بالسماحة واليسر والعدالة في أحكامها الشرعية؛ من أحكام عقدية، وتعبدية، ومعاملات، وأخلاق، وعلاقات اجتماعية.

هذا وقد نظمت الشريعة الإسلامية مناحي حياة المسلمين، ولم تغفل منها شيئاً، ووضح ذلك في بداية الدعوة المحمدية التي بُني أساسها على وحدانية الله جلّ جلاله قال سبحانه وتعالى في محكم كتابه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ \* اللَّهُ الصَّمَدُ \* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ \* وَأَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ \*﴾ (الإخلاص: الآية 1 - 4)، وتلك هي القوة — توحيد الله — التي أمدّ بها الإسلام الأمة، ووضع أساسها في كتاب الله العزيز وسنة رسوله الكريم — صلّى الله عليه وسلّم — وجعل من هذه الأسس الإيمانية دستور إلهي، ينظم حياة المسلمين الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، القائمة على أساس العدل والخير والمساواة بين المحكومين، راسماً بذلك قاسماً مشتركاً ممثلاً في مبدأ الوسطية، مراعية في ذلك كله قدرات الإنسان والظروف المعاشة.

وإذا تمسكت الأمة الإسلامية بذلك أسعدت في الدنيا والآخرة. إلّا أنّ الواقع المعاش اليوم نرى فيه أمة تعاني الكثير من الويلات: عدم استقرار، وخوف، وترويع، وإرهاب، وتطرف، وغلو في الدين، وتشدد، وإفراط وتفریط، واستحلال للأموال بغير وجه حق، وسجون، وقتل، وخطف، وانتهاك للأعراض، وتخريب للبنى التحتية، وتفجيرات، وتعطيل للطاقت الخافقة في المجتمع؛ وسبب ذلك كله هو عدم التمسك بتطبيق الأحكام الشرعية كما يجب، وقد زادت المخاوف بالفراغ السياسي، وتولّى مقاليد الحكم من ليسوا بأهله، وشدوا عليه بالواجب، فأرهبوا وأرعبوا من لا حول لهم ولا قوة، وانتهكت سيادة الأوطان، وكبّلت أيدي المسلمين.

ولقد رأى الباحث أن يتناول هذا الموضوع لما له من أهمية قصوى في حياة المسلمين قاطبة، وحده بما راه مناسباً "الوسطية وأهميتها في حياة المسلمين"، لعل الباحث يوضح فيه أفكاراً تتعلق بموضوع البحث تناولها السادة العلماء، ويتناول أفكاراً أخرى تجيب عن كثير من الأسئلة المتعلقة بالموضوع.

### سبب اختيار الموضوع:

نظراً لما تعانيه الأمة في كثير من البلدان الإسلامية في السنوات الأخيرة من إرهاب، وترويع؛ ناتج عن كثير من السلوكيات الخطيرة منها: الغلو، والتطرف، والتشدد، والإفراط والتفريط، مما جعل أفراد الأمة مروعين على مدار الساعة ليلاً ونهاراً، وغطلت الحياة السياسية والاقتصادية، ومزّق وتشظى النسيج الاجتماعي؛ وكل تلك السلبيات المعاشة جعلت الباحث يهتم بهذا الموضوع، ويبحثه من جوانب متعددة، حتى يصل إلى نتائج وتوصيات يستفاد منها.

### أهداف البحث:

— بيان أهمية موضوع الوسطية.

— التطرق إلى أخطار: الغلو، والتشدد، والإفراط والتفريط، والتطرف.

— بيان كيفية تحصين المجتمع من الانزلاق في هذه الأخطار.  
— بيان الأدلة المُستند إليها من الكتاب الكريم، والسنة النبوية الشريفة.

#### منهج الدراسة:

سيستخدم الباحث المنهج التحليلي الاستنباطي لمناسبته في تحقيق أهداف البحث، والإجابة عن تساؤلاته، ويتتبع الباحث الأدلة الشرعية من قرآن كريم، وسنة نبوية مطهرة، والرجوع إلى آراء العلماء المسلمين ذات الصلة في الموضوع.

#### أداة الدراسة:

يحرص الباحث على جمع المادة العلمية من مصادرها الأصلية من القرآن الكريم وكتب التفسير، والسنة النبوية المطهرة، وشروحها المعتمدة، كما سيعنى الباحث بعزو الآيات الكريمة إلى مظانها، كما سيعنى بتخريج الأحاديث النبوية الشريفة، وترجمة الأعلام من كتب التراجم، والإفادة مما كتبه علماء السلف، والعلماء المحدثون في موضوع الوسطية، وكذلك الكتاب المعاصرون.

#### تساؤلات الدراسة:

رأى الباحث أن الموضوع يقوم على أسئلة رئيسية:

— ما سبب ما تعيشه الأمة من غلو، وتطرف، وتشدد، وإفراط.... وغيرها من تلك السلبيات؟  
— ما الآلية المناسبة التي يجب أن تُراعى للقضاء على هذه السلوكيات المدمرة للمجتمع؟  
— ما الآراء الواردة في الموضوع؟

ويتم تناول هذه الأسئلة والإجابة عليها حتى يصل الباحث بإذن الله — تعالى — إلى التشخيص العلمي الفقهي للسلبيات المذكورة، والوصول إلى الآلية المناسبة للحل. وسيحاول الباحث أن يحلل ويتقصى ويقارن ما ورد من بحوث وأفكار في هذا الموضوع، والوصول إلى توصيات مبنية على نتائج مستخلصة من البحث.

#### تقسيمات الموضوع:

يرى الباحث أن يحصر عرض الموضوع وفق العناوين الآتية:

أولاً: الوسطية.. وتتضمن الآتي:

تعريفات الوسطية اللغوية، والاصطلاحية الواردة في معاجم اللغة، ومعاجم المصطلحات الفقهية، والأدلة من القرآن الكريم، ومن السنة النبوية الشريفة، والآراء المطروحة في كتب تفسير القرآن الكريم، وتفسير الأحاديث النبوية الشريفة، وآراء العلماء.

ثانياً: بيان أهمية الوسطية ومراعاتها في التشريعات والحياة اليومية العملية.

ثالثاً: الغلو، والتطرف، تعريفهما، لغة واصطلاحاً، والأدلة الشرعية الواردة في ذلك، والحديث عما تؤول إليه من مفساد ومضار لأفراد المجتمع، وما تؤول إليه المجتمعات إذا ما تُخرتْ بتلك التصرفات البعيدة عن وسطية وسماحة الدين وبسره.

رابعاً: كيفية التغلب على الغلو، وإنقاذ المجتمع من ويلاته.

خامساً: الخاتمة يختتم الباحث بخاتمة يلخص فيها ما ورد في البحث، من نتائج وتوصيات.

#### أولاً- الوسطية:

**مفهوم الوسطية لغة:** وَسَطُ الشيء: ما بين طرفيه. المعتدل من كل شيء. العدل. الخير<sup>(1)</sup>.

وَسَطٌ: جمع أوساط. وسط الشيء: ما بين طرفيه. شيء وسط: معتدل. وسط: عدل وخير، الوسط في علم الحياة: مجموع المؤثرات الخارجية على كائن حي<sup>(2)</sup>.

قَوْمٌ وَسَطٌ وأوساط: خيار. وهو من واسطة قومه، وهو أوسط قومه حسباً<sup>(3)</sup>.



الوسطية وأهميتها في حياة المسلمين

والوسط من كل شيء: أعدله ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾، أي: عدلاً، وشيءً وَسَطًا، أي بين الجيد والرديء<sup>(4)</sup>، واتفقت معاجم اللغة في معاني الوسطية، وأوردت المعاني الآتية:  
فالوسطية تعني: ما بين الطرفين، والمعتدل، والعدل، والخير، والخيار، وخيار الحسب، والأعدل، وبين الجيد والرديء.

**معنى الوسطية شرعاً:**ورد معنى الوسطية شرعاً في كتب تفسير القرآن الكريم ومنها:  
قال الرازي: " واختلفوا في تفسير الوسط وذكروا أموراً:

أحدها: أن الوسط هو العدل، والدليل عليه الآية، والخبر، والشعر، والنقل، والمعنى:  
— أمّا الآية، فقوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ ( القلم: الآية 28)، أي: أعدلهم.  
— وأمّا الخبر، فما رواه القفال<sup>(5)</sup> عن الثوري<sup>(6)</sup> عن أبي سعيد الخدري<sup>(7)</sup> عن النبي — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — " أُمَّةٌ وَسَطًا" قال: " عدلاً " <sup>(8)</sup> وقال — عليه الصلاة والسلام —: " خير الأمور أوسطها" <sup>(9)</sup> أي أعدلها.

وقيل: كان النبي — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَوْسَطَ قَرِيْشٍ نَسَبًا.  
وقال — عليه الصلاة والسلام —: " عليكم بالثَمَطِ الْأَوْسَطِ" <sup>(10)</sup>.

— وأمّا الشعر، فقول زهير:

هُمُ وَسَطٌ يَرْضَى الْأَتَامُ بِحُكْمِهِمْ  
إِذَا نَزَلَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي الْعِظَانِمُ

— وأمّا النقل، فقال الجوهري في الصحاح: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، أي: عدلاً، وهو الذي قاله الأخفش<sup>(11)</sup>، والخليل<sup>(12)</sup>، وفطرب<sup>(13)</sup>.

— وأمّا المعنى فمن وجوه:

**أحدها:** أن الوسطية حقيقة في البعد عن الطرفين، ولا شك أن طرفي الإفراط والتقريب رديئان، فالمتوسط في الأخلاق يكون بعيداً عن الطرفين فكان معتدلاً فاضلاً.

**وثانيهما:** إنّما سُمِّيَ العدلُ وسطاً لأنّه لا يميلُ إلى أحدِ الطرفين.

**وثالثهما:** لا شك أن المراد بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، طريقة المدح لهم، لأنّه لا يجوز أن يذكر الله — تعالى — وصفاً، ويجعله كالعلة في أن جعلهم شهوداً له، ثمَّ يَعْطِفُ على ذلك شهادة الرسول إلا ذلك مدحٌ، فنبت أن المراد بقوله " وَسَطًا " العدالة.

ورابعها: أن أعدل بفاع الشيء وَسَطُهُ، لأنَّ حُكْمَهُ على سائر أطرافه على سواء وعلى اعتدال، والأطراف يتسارع إليها الخلل والفساد، والأوسط محميةٌ مَحُوْطَةٌ، فلَمَّا صحَّ ذلك في الوسط صار كأنه عبارة عن المعتدل الذي لا يميلُ إلى جهة دون جهة <sup>(14)</sup>.

وقيل: قوماً وسطاً، أي عدلاً. <sup>(15)</sup> وعن سعيد في قوله — عزَّ وجلَّ — ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلْمُ أَقْلُ لَكُمْ﴾، قال أعدلهم <sup>(16)</sup>.

ويقول الطبري — رحمه الله —: وقيل: وأمّا الوسط فإنه في كلام العرب الخيار، يقال منه: " فلان وسط الحسب في قومه" أي: متوسط الحسب، إذا أرادوا بذلك الرفع في حسبه، وهو وسط في قومه وواسط.

وقال أبو جعفر: وأنا أرى أن الوسط في هذا الموضع هو الوسط الذي بمعنى: الجزء الذي هو بين الطرفين، مثل وسط الدار.

ويرى الطبري — أن الله — تعالى ذكره — إنّما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلوٍ فيه، غلو النصارى الذين غلوا بالترهيب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه، تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم وكفروا به؛

الوسطية وأهميتها في حياة المسلمين

ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذا كان أحب الأمور إلى الله أوسطها. وأمّا التأويل فإنه جاء بأنّ "الوسط" العدل. وذلك معنى الخيار؛ لأنّ الخيار من الناس عدولهم<sup>(17)</sup>. وقيل في صفة النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: إنه من أوسط قومه جنساً، أي من خيارهم، والعرب تصف الفاضل النسب بأنه: من أوسط قومه، وهذا يعرف حقيقته أهل اللغة؛ لأنّ العرب تستعمل التمثيل كثيرًا<sup>(18)</sup>.

وعن وهب بن منبه<sup>(19)</sup> قال: "إنّ لكل شيء طرفين ووسطاً، فإذا أمسك بأحد الطرفين مال الآخر، وإذا أمسك بالوسط اعتدل الطرفان، فعليكم بالأوسط من الأشياء"<sup>(20)</sup>. ويقول وهبة الزحيلي: الوسطية هي الاتزان، أي: الوقوف موقف الوسط. والوسط في كل شيء: أعدله وخيره، وهو معنى قوله - تعالى - : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾.

**والوسطية:** هي الوقوف في موقف الوسط والاتزان، فلا جنوح أو شذوذ، ولا ضمور، والإفراط ولا تفریط، وقد وصف الله - تعالى - المتوسط في السلوك والتزام الشرائع الإلهية بالمقتصد في قوله - تعالى - : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمَنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْتِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (فاطر: الآية 32).

والوسطية هي شريعة الله المعتدلة، التي وصفها الحق - سبحانه وتعالى - بأنها الصراط السوي، حيث قال: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ دَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: الآية 153).

والوسطية تعني: الجمع بين الماديات والروحانيات، وهي ميزة الإسلام؛ لأنّ الإنسان جسد وروح، وله حوائج مادية وروحانية، ولأنّ العمل الصحيح يكون للدنيا والآخرة لقوله - تعالى - : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: الآية 77).

ويقول الإمام الشاطبي - رحمه الله - : "الشرعية جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط العدل، الأخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه، الداخل تحت كسب العبد من غير مشقة عليه ولا انحلال، بل هو تكليف جار على موازنة تقتضي في جميع المكلفين غاية الاعتدال"

ويقول: "ما أخذ قوم بالاستقامة إبّان صلح حالهم، وزاد على الخير إقبالهم، واطمأنت نفوسهم، وتحقق أمنهم، وزال الخوف والحزن من قلوبهم، قال ربنا - سبحانه وتعالى - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَابْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ﴾ (فصلت: الآية 30 - 32). وقال - عز وجل - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الأحقاف: الآية 13).

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: خطبنا رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يوماً خطباً، ثم قال: "هذا سبيل الله"، ثم خطب خطوباً عن يمينه، وعن شماله، ثم قال: "هذه سبيل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه"، ثم تلا<sup>(21)</sup>: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (الأنعام: الآية 153)،<sup>(22)</sup>.

فالدين الإسلامي سبيله الطريق المستقيم الواجب إتباعه، والابتعاد عن الطرق المؤدية للمهلك، من غلو وتشدد وإفراط وتفریط لدين الاستقامة والعدل والخيرية، والدين الإسلامي دين المواخاة، أي أنّه الدين المعتدل الذي تتجسد فيه الأخوة في أسمى معانيها، في ذاته وتعاليمه وأحكامه، فهو الدين الأيسر بين الأديان والأبعد عن الشدة والقسوة، كما قال - تعالى - : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة: الآية 185)، وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج: الآية 78). وقال الشيخ المحاربي<sup>(23)</sup> - رحمه الله - : وتعتبر الوسطية من

مزايا الدين الإسلامي، وذكر سابقاً بأنّها — أي الوسطية — تعني العدل في كل شيء، وعليه فإنّ الله جعل من هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، والعدل هو المستحق للشهادة والقبول لها، حيث قال رب العزة: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾، ففيها الدلالة على أن جعل الله هذه الأمة حجة، لوصفها بالعدالة وصبرها من أهل الشهادة، وعليه فإذا اجتمعت الأمة الإسلامية على مسألة وشهدوا بها، لزم اعتبارها وقبولها، والحكم بما شهدت به الأمة. وقال (المحاربي): قال بعض العلماء: أمة محمد — صلى الله عليه وسلم — لم تغل في الدين كما فعلت اليهود، ولا افترت كالنصارى، فهي متوسطة، فهي أعلاها وخيرها من هذه الجهة، وقول النبي — صلى الله عليه وسلم —: "خير الأمور أوسطها"، أي: خيارها، وقد يكون الغلو والخير في الشيء لأته أنفس جنسه، وأمّا أن يكون بين الإفراط والتقصير فهو خيار من هذه الجهة<sup>(24)</sup>، وقيل للوسط خيار، لأنّ الأطراف يتسارع إليها الخلل والأعوار، والأوساط محمية، محوطة، ومنه قول الطائي:

كانت هي الوسط المحمي فاكنتتقأ بها الحوادث حتى أصبحت طرفاً

أو عدولاً؛ لأنّ الوسط عدل بين الأطراف ليس إلى بعضها أقرب من بعض<sup>(25)</sup>. فالوسطية مطلب يشمل جميع الأحكام الشرعية، وعليه فهي مطلب شرعي، وحضاري، قال الثعالبي: قوله سبحانه وتعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة: الآية 185)، الوجه عموم اللفظ في جميع أمور الدين، وقد فسّر ذلك قول النبي — صلى الله عليه وسلم —: "دين الله يسر"، قلت: قال ابن الفاكهاني<sup>(26)</sup> في شرح الأربعين للنووي: فإن قلت قوله — تعالى —: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (الشرح: الآية 5، 4)، يدل على وقوع اليسر قطعاً، وقوله — تعالى —: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾؛ يدل على نفي العسر مطلقاً؛ لأنّ ما لا يريده الله — تعالى — لا يكون بإجماع أهل السنة. قلت: العسر المنفي غير المثبت، فالمنفي: إنّما هو العسر في الأحكام لا غير، فلا تعارض.

وقال الشاطبي: "الشرعية جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعدل، الأخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه، الداخل تحت كسب العبد من غير مشقة عليه ولا انحلال، بل هو تكليف جار على موازنة تقتضي في جميع المكلفين غاية الاعتدال"<sup>(27)</sup>.

وعلى المسلم أن يراعي التيسير وعدم التعسير، والاعتدال في حياته العملية، مراعيًا الأحكام الشرعية، وليحذر في كل تصرفاته الشيطان وفتنته، فإنّه لا همّ له إلّا أن يصدّ العباد عن الطريق المستقيم، فقال — تعالى —: ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِي لَأَفْعُنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۖ ثُمَّ لَتَأْتِيَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف: الآية 17، 16).

ويقول الإمام الغزالي — رحمه الله —: "وكما أنّ حسن الصورة الظاهرة مطلقاً، لا يتم بحسن العينين دون الأنف، والفم، والخذ، بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر، فكذلك في الباطن أربعة أركان، لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق. فإذا استوت الأركان الأربعة، واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق. وهو: قوة العلم، وقوة الغضب، وقوة الشهوة، وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث.

أمّا قوة العلم، فحسنها وصلاحها في أن تصير بحيث يسهل بها ترك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال، وبين الحق والباطل في الاعتقادات، وبين الجميل والقيح في الأفعال فإذا صلحت هذه القوة، حصل منها ثمرة الحكمة. والحكمة رأس الأخلاق الحسنة، وهي التي قال الله — تعالى — فيها: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة: الآية 220). وأمّا قوة الغضب،

الوسطية وأهميتها في حياة المسلمين

فحسنها في أن يصير انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة، وكذلك الشهوة حسننها وصالحها في أن تكون تحت إشارة الحكمة؛ أعني إشارة العقل والشرع. وأما قوة العدل فهو ضبط الشهوة والغضب تحت إشارة العقل والشرع؛ فالعقل مثله مثال الناصح المشير، وقوة العدل هي القدرة، ومثالها مثال المنفذ الممضي لإشارة العقل. والغضب هو الذي تنفذ فيه الإشارة، ومثاله: مثال كلب الصيد، فإنه يحتاج إلى أن يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الإشارة، لا يحسب هيجان شهوة النفس؛ والشهوة مثالها: مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد، فإنه تارة يكون مروصاً مؤدباً، وتارة يكون جموحاً.

فمن استوتت فيه هذه الخصال واعتدلت، فهو حسن الخلق مطلقاً. ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض، فهو حسن الخلق بالإضافة إلى ذلك المعنى خاصة كأذي يحسن بعض أجزاء وجهه دون بعض. فإن مالت قوة الغضب، وحسن القوة الغضبية واعتدلتها يعبر عنه بالشجاعة. وحسن قوة الشهوة واعتدلتها يعبر عنه بالعفة؛ فإن مالت قوة الغضب عن الاعتدال إلى طرف الزيادة تسمى تهوراً، وإن مالت إلى الضعف والنقصان تسمى جبناً وخوراً، وإن مالت قوة الشهوة إلى طرف الزيادة تسمى شراً. وإن مالت إلى النقصان سمي جموداً. **والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة.** والظرفان رذيلتان مذمومتان. والعدل إذا فات فليس له طرفاً زيادة ونقصان بل له ضد واحد ومقابل، وهو الجور. وأما الحكمة، فيسمى إفراطها عند الاستعمال في الأعراض الفاسدة خبثاً وجربزة ويسمى تفریطها بلهاً، والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة، فإذا أمهات الأخلاق وأصولها أربعة: الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدل.

ونعني بالحكمة: حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ في جميع الأفعال الاختيارية. ونعني بالعدل: حالة بالنفس؛ القوة، والشجاعة، والغضب، والشهوة، يحملها على مقتضى الحكمة، وتضبطهما في: الاسترسال، والانقباض على حسب مقتضاها.

ونعني بالشجاعة: كون قوة الغضب منقاداً للعقل في إقدامها، وإحجامها.

ونعني بالعفة: تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع.

فمن اعتدال هذه الأصول الأربعة تصدر الأخلاق الجميلة كلها؛ إذ من اعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير، وجودة الذهن، وثقابة الرأي، وإصابة الظن، والنقطن لدقائق الأعمال، وخفايا آفات النفوس، ومن إفراطها تصدر: الجرزة<sup>(28)</sup>، والمكر، والخداع، والدهاء.

ومن تفریطها يصدر البه، والغمارة، والحمق، والجنون. وأعني بالغمارة: قلة التجربة في الأمور مع سلامة التخيل؛ فقد يكون الإنسان غمراً في شيء دون شيء، والفرق بين الحمق والجنون أن الحمق مقصوده صحيح، ولكن سلوكه الطريق فاسد، فلا تكون له رؤية صحيحة في سلوك الطريق الموصل إلى الغرض، وأما المجنون فإنه يختار ما لا ينبغي أن يختار، فيكون أصل اختياره وإيثاره فاسداً. وأما خلق الشجاعة، فيصدر منه: الكرم، والنجدة، والشهامة، وكسر النفس، والاحتمال، والحلم، والثبات، وكظم الغيظ، والوقار، .. وأمثلها، وهي أخلاق محمودة.

وأما إفراطها وهو: التهور، فيصدر منه الصلف، والبذخ، والاستشاطاة والتكبر، والعجب.

وأما تفریطها: فيصدر منه المهانة، والذلة، والجزع، والخساسة، وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب.

وأما خلق العفة: فيصدر منه: السخاء، والحياء، والصبر، والمسامحة والقناعة، والودع، واللطافة، والمساعدة والظرف، وقلة الطمع.

وأما ميلها إلى الإفراط أو التفریط منه: الحرص، والشده، والوقاحة، والخبث، والتبذير، والتقصير والرياء، والهتك، والعبث، والملق، والحسد، والشماتة، والتذلل للأغنياء، واستحقار الفقراء، وغير ذلك<sup>(29)</sup>.

## الوسطية وأهميتها في حياة المسلمين

ثم يقول الغزالي - رحمه الله - : "ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الأربع إلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه، فكل قريب منه في هذه الأخلاق فهو قريب من الله - تعالى -، بقدر قربته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وكل من جمع كما هذه الأخلاق استحق أن يكون بين الخلق ملكاً مطاعاً، يرجع الخلق كلهم إليه، ويقتدون به في جميع الأفعال. ومن انفك عن هذه الأخلاق كلها، واتصف بأضدادها استحق أن يخرج من بين البلاد والعباد، فإنه قد قرب من الشيطان اللعين المبعد، فينبغي أن يبعد، كما أن الأول قريب من الملك المقرب، فينبغي أن يقتدى به، ويقرب إليه. فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، لم يُبعث إلا ليتم مكارم الأخلاق.

وقد أشار القرآن إلى هذه الأخلاق في أوصاف المؤمنين، فقال - تعالى - ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحجرات: الآية 15)، فالإيمان بالله ورسوله من غير ارتياب، هو قوة اليقين، وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة. والمجاهدة بالمال هو السخاء، الذي يرجع إلى ضبط قوة الشهوة. والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة، التي ترجع إلى استعمال قوة الغضب على شرط العقل، وحد الاعتدال، فقد وصف الله - تعالى - الصحابة فقال: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح: الآية 29)، إشارة إلى أن للشدة موضعاً، وللرحمة موضعاً. فليس الكمال في الشدة بكل حال، ولا في الرحمة بكل حال، فهذا بيان معنى الخلق، وحسنه وقبحه، وبيان أركانه وثمراته وفروعه.

فالمخاطبين بأحكام الشريعة الإسلامية هم اليوم في أمس الحاجة للوسطية التي تعني الاعتدال في الأحكام الشرعية من: عقيدة، وعبادة، ومعاملات، وأخلاق، وسلوك، ومسلكية. والمحافظة على مقاصد الشريعة في ضوء الوسطية والاعتدال؛ من حفظ للدين، وللنفس البشرية، وللعقل، وللنسل، وللمال، فلا مغالاة ولا تطرف ولا شذوذ، ولا تهاون أو تقصير.

والوسطية المبتغاة لا استكبار، ولا خنوع، أو ذل، أو استسلام وخضوع وعبودية لغير الله - تعالى -، ولا تشدد، ولا تساهل أو تقريط، في حق من حقوق الله - تعالى -، ولا حقوق الناس، وهو معنى الصلاح والاستقامة، كما قال الله - تعالى -: عن يحيى - عليه السلام - المبشر به لأبيه زكريا: ﴿وَيَبِّئَا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران: الآية 39)، ولا تعصب ضد الآخرين ولا رفض لهم، ولا إكراه أو إرهاب أو ترويع بغير حق، كما لا إهمال في دعوة الناس إلى دين التوحيد بالحكمة والموعظة الحسنة منعاً من التقريط بواجب تبليغ الدعوة الإلهية أو نشرها، وحباً في إسعاد البشرية قاطبة، وإنقاذهم من الكفر والضلال والانحراف<sup>(30)</sup>.

وخلاصة القول: إن التوسط هو حالة منقولة عليها كما رأينا من جميع العلماء والفقهاء، فهي محمودة تقوم على فطرة الإنسان الطبيعية، وتبعده عن الزلل والميل إلى الغلو والتقريط والإفراط.

## ثانياً: بيان أهمية الوسطية ومراعاتها في التشريعات والحياة اليومية العملية:

الوسطية مرتكز من المرتكزات الأساسية، التي يجب على الدولة أن تؤسس عليها أسسها وفلسفتها التشريعية والتنفيذية والقضائية، فهي تبرز سماحة الدين الإسلامي المتمثلة في تيسير تعاليمه، والوقوف ضد كل تطرف وغلو وإفراط وتقريط، والعمل على تحقيق العدالة والمساواة لجميع المواطنين. ولا بد للدولة أن تحقق مضماني الوسطية والاعتدال، وأن تكون لها إسهامات فعالة على أرض الواقع لتبنيها. وهذا ما يدل عليه قوله - تعالى -: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، ففي الإسلام السمح الوسطي العلاج والإنقاذ، وبه تصلح البشرية، ويعم الرخاء والخير والاستقرار والسلام، ومن خلاله يتحقق التقدم والازدهار، سواء أكان ذلك في الأفق السياسية أم الاقتصادية أم الاجتماعية، والتربوية والتعليمية والثقافية، والعلاقات الإنسانية كافة.

وإذا ما راعينا الوسطية للأحكام الشرعية في حياتنا، نتحقق نتائج مرضي عنها، منها:

الوسطية وأهميتها في حياة المسلمين

— تحقق الأمن والأمان والاستقرار في حياة الأفراد اليومية.  
 — استقرار الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، مما يؤثر في المجتمع مسيئاً في تقدمه وازدهاره.  
 — التفرغ لبناء المجتمع وفق الأحكام الشرعية المعتدلة، المناذية بالعدل والمساواة بين الجميع.  
 — لا تفرط ولا إفراط في أحكام الشريعة.  
 — بناء جيل بعيد عن الانحراف والغلو والتشدد والتطرف.  
 — يتم من خلال مراعاة الوسطية تحصين الشباب من التيارات الهدامة، فعلى علماء الأمة القيام بمهمة البيان والتوضيح والإرشاد للشباب، وأن يحددوا لهم الخطوط ويوضحوا لهم المسائل الشرعية وأحكامها العالقة، حتى لا يتلاعب بذلك كل من له غرض سيء أو يسيء كل من هو جاهل<sup>(31)</sup>، ويتم فتح باب المحاوره معهم ومعرفة آرائهم ومناقشتها وإقناعهم، والعمل على أن يأخذ الشباب دورهم الفعّال داخل المجتمع، وعدم إهمالهم وتركهم لقمة سائغة للمتشددين والمغالين وللمتطرفين، وتعبئة أوقات فراغهم بما يفيدهم ويفيد المجتمع، وإدماجهم بالمشاريع الاقتصادية المختلفة.  
 — مراعاة الأنظمة التعليمية، ومراجعتها بما يتماشى وبرنامج الوسطية والاعتدال.  
 — العمل على أن تكون الأجهزة الإعلامية حرةً مراعية البرنامج العام للوسطية، مُحاربة للظواهر الهدامة من غلو وتطرف ... وغيرها.

ثالثاً: الغلو

تعريفه، لغة واصطلاحاً، والأدلة الشرعية الواردة في ذلك، والحديث عما يؤديه من مفسد ومضار لأفراد المجتمع، وما تؤول إليه المجتمعات إذا ما نُخرتْ بتلك التصرفات البعيدة عن سماحة الدين ويسره.

**الغلو:** عنى فقهاء الأمة بالألفاظ الشرعية والمصطلحات اللغوية الواردة في مصادر الشريعة وكتب الفقه الإسلامي، وحرصوا على تحديدها؛ حيث أن مصدر كل علم شرعي بمعنى قول الشارع يرجع إلى أمور منها:

— اللغة التي تكلم بها. — ومقصود الشارع من الألفاظ الواردة.

— ومعرفة دلالة الألفاظ على المعنى.

**معنى الغلو لغة:** قال الجوهري: غلا في الأمر يَغْلُو غُلُوًّا؛ أي جاوز الحد.<sup>(32)</sup>

وورد في المعجم العربي الأساسي: غَلًا يَغْلُو غُلُوًّا غَالٍ (الغالي) في الأمر: تشدّد فيه. جاوز الحد. غَالِي في الأمر: بالغ فيه<sup>(33)</sup>.

المعجم الوسيط: غلا فلان في الأمر والدين: تشدّد فيه وتجاوز الحد وأفرط<sup>(34)</sup>.

وقال ابن منظور: وغلا في الدين، والأمر يَغْلُو غُلُوًّا: جاوز حدّه<sup>(35)</sup>.

مما سبق يتبين أن الغلو في سائر استعمالاته اللغوية والشرعية يدل على الارتفاع والزيادة، وتجاوز الحد والإفراط، والتشدد. وبالتالي فإن التشدد والتطرف ومجاوزة الحد والإفراط والتفريط لها صلة مباشرة مع مصطلح الغلو.

التشدد:

شدّد في الأمر: بالغ فيه ولم يخفف: "لَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ" حديث<sup>(36)</sup>.

شاده: قاواه. وَمَنْ يُشَادَّ الدِّينَ يَغْلِبُهُ<sup>(37)</sup>

المُشَادَّةُ في الشيء: التشدد فيه، والمُتَشَدِّدُ: البخيل<sup>(38)</sup>.

والمُشَادَّةُ في الشيء: التشدد فيه؛ يقال للرجل إذا كَلَّفَ عملاً: ما أملك شدّاً ولا إرخاء، أي: لا أقدر على شيء<sup>(39)</sup>.

#### التفريط:

فَرَطٌ يُفَرِّطُ تَفْرِيطًا: في الشيء: قَصَرَ فِيهِ، ضَبَّعَهُ، أَغْفَلَهُ.

أَفْرَطُ يُفَرِّطُ إِفْرَاطًا: جَاوَزَ الْحَدَّ فِي قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ.

من غير إِفْرَاطٍ أَوْ تَفْرِيطٍ: بِاعْتِدَالٍ<sup>(40)</sup>.

وإذا ما رجعنا لتعريف الغلو وهذه التعريفات لوجدنا هناك تقارباً واضحاً، فهذه المصطلحات هي بمثابة أوصاف ومظاهر للغلو.

#### مفهوم الغلو في الشرع:

الغلو هو: التشدد في الأمور، سواء في العقيدة أو العبادة أو المعاملة أو السياسة كغلاة الفرق الإسلامية<sup>(41)</sup>.

الغلو في الدين: ذكر بعض أهل العلم أن تعريفه شرعاً هو: تجاوز الحد الشرعي بالزيادة، اعتقاداً أو عملاً، وتجاوز الحد الشرعي بالزيادة على ما جاءت به الشريعة، سواء في الاعتقاد أم في العمل<sup>(42)</sup>.

ويقول الشيخ الشعراوي - رحمه الله -:

والغلو هو: أن يتطرف إنسان في حكم ما إيجاباً أو سلباً؛ وهو إما الإفراط في المنزلة العليا، وإما التفريط في المنزلة الدنيا، ولذلك نجد المتناقضات دائماً في الغلو. ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول لسيدنا علي - كرم الله وجهه - يا علي، يهلك فيك رجلان محب غالٍ، ومبغض غالٍ، ويقول: "يا علي لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق" ويقول: "يا علي، ستقاتلك الفئة الباغية". إن هناك من أحب سيدنا علياً إلى درجة أنهم اعتبروه نبياً، وقالوا: إن الوحي أخطأ علياً وجاء إلى رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم -، أو اعتبروا علياً لها!!! وكل ذلك غلو فقد أحبوه إلى منزلة فيها غلو وإفراط<sup>(43)</sup>.

قال صاحب تفسير المنار: "قال - عز من قائل -: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ الْإِلَهَ إِلَّا الْحَقُّ﴾ (النساء: الآية 171)، فنتجاوزوا الحدود التي حدّها الله لكم، فإن الزيادة في الدين كالنقص منه، كلاهما مُخرَجٌ له عن وضعه، ولا تقولوا على الله إلا الحق، أي الثابت المتحقق في نفسه، إما بنصٍّ متواترٍ، وإما ببرهان عقليٍّ قاطعٍ، فيجب عليهم أن يدعوا الغلو، وهو تجاوز الحد"<sup>(44)</sup>.

ومن مظاهر الغلو التزام التشدد دائماً مع قيام موجبات التيسير وإلزام الآخرين به حيث لم يلزمهم الله به، إذ لا مانع أن يأخذ المرء لنفسه بالأشد في بعض المسائل، وبالأتقل في بعض الأحوال تورعاً واحتياطاً، ولكن ينبغي أن يكون هذا دينه دائماً وفي كل حال بحيث يحتاج إلى التيسير فيأباه وتأتيه الرخص فيرفضها.

والغلو في الدين يكون بالخروج عن الحدود التي رسمها الشرع، والحدود هي النهايات لكل ما يجوز من الأمور المباحة المأمور بها وغير المأمور بها، وتعديها هو تجاوزها وعدم الوقوف عليها. والغلو في الدين مرض خبيث وداء خطير في نفس المغالي والمجتمع بأسره، ولا سيما إذا كان المغالي قدوة يقتدي به الناس.

#### رابعاً: كيفية التغلب على الغلو، وإنقاذ المجتمع من ويلاته.

وللغلو آثار سيئة جداً، فمن ناحية العقيدة قد يُخرَجُ الغلو صاحبه من الدين ويؤدي به إلى الكفر، كما حدث لكثير من أصحاب الديانات السابقة، الذين غالوا في أنبيائهم وجعلوهم آلهة، وكانت نتيجة ذلك الإشراك والكفر بالله - تعالى - وترك الهدف الأساسي من بعثة الأنبياء الذي هو التوحيد<sup>(45)</sup>. وفي الحديث: "إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلُكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوَّ فِي الدِّينِ"<sup>(46)</sup>.

وقال الشاطبي: إن الأدلة على رفع الحرج في هذه الأمة بلغت مبلغ القطع؛ كقوله — تعالى — : **﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾** ( الحج: الآية 78 )، وسائر ما يدل على هذا المعنى كقوله: **﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾** ( البقرة: الآية 185 )، **﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾** ( النساء: الآية 28 )، **﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾** ( الأحزاب: الآية 38 )، **﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** ( الأعراف: الآية 157 )، وقد سُمي هذا الدين الحنيفية السمحة لما فيها من التسهيل والتيسير<sup>(47)</sup>.

**﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾** ( القصص: الآية 77 )، الفساد والفساد، الفساد بالبغي والظلم، والفساد بالمتاع المطلق من مراقبة الله ومراعاة الآخرة. والفساد بملء صدور الناس بالحرج والحسد والبغضاء، والفساد بإنفاق المال في غير وجهه، أو إمساكه عن وجهه وقوله — تعالى — : **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾** ( كما لا يحب الفرحين<sup>(48)</sup> ) فهم يردونه بذلك إلى الله الذي لا يحب الفرحين المأخوذين بالمال، المتباهين المتطاولين بسلطانه على الناس. ومنهج الابتعاد عن الغلو يحقق التعادل والتناسق في حياة الإنسان، ويمكنه من الارتقاء الروحي الدائم من خلال حياته الطبيعية المتعادلة، التي لا حرمان فيها، ولا إهدار لمقومات الحياة الفطرية البسيطة<sup>(49)</sup>.

قال النيسابوري — رحمه الله — : قوله — تعالى — : **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾**. " كذلك " أي: وكما اخترنا إبراهيم وأولاده وأنعمنا عليهم بالحنفية المستقيمة، كذلك " **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾** أي: عدلاً خياراً. قال أهل المعاني: لما صار ما بين الغلو والتقصير خيراً منهما، صار الوسط والأوسط عبارة عن كل ما هو خير<sup>(50)</sup>.

وقال الشيخ المروزي — رحمه الله —: وقد ورد في الخبر عنه — صلى الله عليه وسلم — أنه قال: "خير الدين النمط الأوسط". يَعْنِي: الذي ليس فيه غلو ولا تقصير، وذلك دين الإسلام؛ لأن النصراني غلوا في دينهم، واليهود قصرُوا، وأمَّا المسلمون فأخذوا بالنمط الأوسط<sup>(51)</sup>. وفي الحديث: " **﴿يَأْكُمُ وَالْغُلُوُّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلُكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ﴾**"<sup>(52)</sup>. ولا بد من الابتعاد عن التشدد في الدين، والأخذ باليسر، قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : **﴿هَلِكُ الْمُتَطَعُونَ﴾**<sup>(53)</sup> قالها ثلاثاً، وهو لا يكرر الكلمة إلا لعظم خطر مضمونها.

والمتطعون: هم المتشددون والمتعمقون المبالغون في التزامهم بالدين بما يخرجهم عن الحد الأوسط. كما أن التنطع والانحراف عن الوسطية يقود الأفراد إلى التطرف والجهل والغلو في أحكام الشريعة، كما يقود إلى سلوك وتصرفات غوغائية دون رؤية مستقبلية، ودون معرفة متأنية متبصرة؛ ولذلك تعاني المجتمعات من الغلو والتطرف إلى ما يؤدي إلى ما لا يُحمد عقباه. كما أن المغالين المتبعدين عن منهج الوسطية يسلكون في حياتهم مسالك غير مرضي عنهم دينياً، منهجهم: القهر، واستعمال القوة المفرطة ضد الآخرين، والتخريب، والترهيب، واستباحة الأعراض والأموال، بل والدماء.

### وختام القول في هذا البحث

يؤكد الباحث في هذا المقام: على أن المسلمين ليسوا كما يصفهم الغرب المتجني عليهم بأنهم إرهابيون، فهم ليسوا بإرهابيين بل هم دعاة سلام وعدل ومساواة وحق، يدعون إلى الوسطية ومحبة الغير، وهم أتباع شريعة الله السمحة السليمة من كل ما يشوبها من ألوان التطرف والإرهاب، فهم دعاة رحمة وهداية ونور إيماني إلهي يشمل العالم بأسره.



## الوسطية وأهميتها في حياة المسلمين

وعليه فقد تبين من هذا البحث أن الإسلام بريء كل البرء مما يلصق به في أجهزة الإعلام الغربي من أوصاف كاذبة وافتراءات مغرضة، وُصف بها الإسلام من: تزمت، وتعصب، وتطرف، وإرهاب، ونحو ذلك مما يبتكره الأعداء والحاقدون في الحال أو في المستقبل، لأنَّ شذوذ أو تطرف بعض الأفراد أو الفئات لا يعني أساساً أنَّ تشريع الإسلام هو الذي علمهم أو دفعهم إلى هذه الأفعال المستهجنة والمنكرة، ولأنَّ بعض أجهزة الأمن في دول الغرب هي التي كانت وراء نشوء ظاهرة الإرهاب وإمداد قياداتها بما يلزم من إمكانيات. ونشير في هذا المقام إلى حديث الرسول — صلى الله عليه وسلم —: "لا يشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح، فإنه لا يدرى لعل الشيطان ينزع" (54). في يده، فيقع في حفرة من النار" (55). وقوله: "من أشار إلى أخيه بحديده فإن الملائكة تلغنه حتى ينتهي وإن كان أخاه لأبيه وأمه" (56).

### الخاتمة:

وفي خاتمة البحث يرى الباحث من الواجب التنويه بأهمية موضوع البحث، والأخذ بالوسطية في الأحكام الشرعية، والبعد عن الغلو، هذا وقد توصل الباحث إلى جملة من النتائج والتوصيات، وكان من أهم النتائج:

— توضيح أهمية الدور الديني والتعليمي والثقافي، التي تقوم به المؤسسات التعليمية والثقافية والإعلامية، وبيان أهمية الوسطية في الحياة، ودراستها، وتوضيحها للأمة، وبيان الأخطار المحدقة بالأمة من الغلو، والتشدد، والإفراط والتفريط.

— التأكيد على أنَّ نهضة الأمة وتقدمها لا يمكن أن يكتب لها النجاح إلا في ظل مجتمع واع مدرك لأخطار الغلو الذي قد يُترك الأمة، وكيفية تجنبها. وإنَّ المرتكز الأساسي لنهضة الأمة اعتمادها على الأسس الإسلامية الوسطية الرائدة، المعتمدة على نصوص الشرع من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

— يتطلب منهج الوسطية والاعتدال نظام حكم رشيد، وقيادة تضطلع بمسؤولياتها تجاه الأمة.

— التأكيد على أنَّ الوسطية والاعتدال أطول عمر من الغلو والتطرف في حياة الأمة، ويحقق الاعتدال التوازن بين الدنيا والآخرة، قال — تعالى —: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (القصص: الآية 77).

— الوسطية والاعتدال يحققان التوازن بين واجبات الأفراد وحقوقهم، ويراعيان مبدأ الخلق القويم، ومثاله: العزة وسط بين التكبر والذل، والسخاء وسط بين الشح والتبذير، والشجاعة وسط بين التهور والجبن.

— الوسطية والاعتدال ضمان لاستمرار سعادة الأمة ورفيها، وتمسكها بموروثها الديني والثقافي.

### ومن أهم التوصيات:

— يجب تبليغ رسالة الإسلام الوسطية المعتدلة، والتعريف بها بين الأمم والشعوب، والتركيز على التبادل الثقافي، والحوار البناء بين المسلمين والأمم الأخرى.

— التركيز على إقامة المؤتمرات الدولية، التي تخدم الإسلام والمسلمين في العالم.

— الدعوة إلى التسامح، والحوار، ونبذ العنف والإرهاب.

— التصدي لمشكلات الأمة، وتقديم التصورات والحلول لتجاوزها، من خلال تعزيز قيم الحرية، والعدالة، وحقوق الإنسان كافة والدفاع عنه.

— التأكيد على توضيح شفافية الرؤية للوسطية والعدالة، بوصفها ركيزة من ركائز الإسلام.

— مواجهة الغلو، عن طريق توسيع دائرة التواصل والحوار مع الآخر داخل المجتمع.

— تفعيل دور المؤسسات الأمنية، والشرطية، والقضائية، وتوفير الإمكانيات اللازمة لتنفيذ مهامهم الأمنية.

د. حسين عبد المولى بركات

### الوسطية وأهميتها في حياة المسلمين

---

- مراجعة المناهج التعليمية، بما يحقق الوسطية والعدالة، ومحاربة الغلو والتشدد.
- التأكيد على دور المؤسسات الدينية.
- إصدار القوانين التشريعية، لمحاربة الظواهر الهدامة.

### الفهارس

1. المعجم الوسيط، مكتبة الشروق، ط: 4، 1425م/2004م. مادة: أوسد. ص: 1031.
2. معجم اللغة العربية، تونس، 1408م / 1988م. مادة: أوسع. ص: 1307.
3. الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، لا: ط ( دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1402هـ / 1982م) مادة: وسط. ص: 498.
4. الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، ط: 1 ( دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1376هـ/1956م) مادة: وسط. 3: 1167.
5. القفال هو: أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي المعروف بـ"القفال الكبير"، أحد أعلام مذهب الإمام الشافعي، أعلم أهل ما وراء النهر في زمانه، ومن أشهر أئمة المسلمين عبر التاريخ وُلد الإمام أبو بكر القفال الشاشي في عام 291 للهجرة / 904 للميلاد، وتوفي في شهر ذي الحجة من عام 365هـ / 976م.
- من شيوخه: أبو بكر بن خزيمة، و محمد بن جرير الطبري، وأبو القاسم البغوي، وغيرهم ومن أشهر تلاميذ الإمام "القفال الكبير": أبو عبد الله الحاكم -صاحب المستدرک علی الصحیحين- و أبو عبد الله بن منده -صاحب كتاب التوحيد وكتاب الإيمان-، و أبو عبد الله السلمي وغيرهم كثير - رحمهم الله تعالى.
- له مصنفات كثيرة منها: صنف الجدل الحسن من الفقهاء وله كتاب حسن في أصول الفقه وله شرح الرسالة.
- ينظر — ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، طبعة جديدة ( دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، لا: ت ) 3: 51، 52.
6. الثوري هو: أبو عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، وُلد سنة 97هـ، وتوفي سنة 161هـ، وهو أحد تابعي التابعين له مصنفات منها: الجامع الكبير، والجامع الصغير، وكتاب في الفرائض. روى عن عمرو بن مرة، وسماك بن حرب ... وغيرهما.
- ينظر: ابن العماد، أبو الفضل عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، طبعة جديدة ( دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، لا: ت )، 1: 250، 251.
7. أبو سعيد الخدري هو: سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي، صحابي جليل، شهد مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — اثنتي عشرة غزوة، وروى عنه أحاديث كثيرة، وعن جماعة من الصحابة، وحدث عنه خلق من التابعين، وجماعة من الصحابة، توفي سنة أربع وسبعين للهجرة.
- ينظر: السابق 1: 81.
8. رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)، حديث رقم: ( 6917 ).
- وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي — صلى الله عليه وسلم — في قوله تعالى: ( وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا )، قال: "عدلاً".
- ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، باب: قوله تعالى: "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا". ص: 348.
- وروى الترمذي: عن أبي سعيد الخدري عن النبي — صلى الله عليه وسلم — في قوله تعالى: " وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا " قال: ( عدلاً ) . قال : هذا حديث حسن صحيح.
9. قد روي مرفوعاً وموقوفاً على بعض السلف.

الوسطية وأهميتها في حياة المسلمين

وأماً مرفوعه فقد رواه البيه قي في السنن الكبرى: عن عَمْرُو بُلْغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — قَالَ: "أمرأ بين أمرين، وخير الأمور أوسطها".  
ورواه ابن السمعاني في "ذيل تاريخ بغداد" بسند مجهول عن علي مرفوعاً به. قاله السخاوي كما في "مقاصد الحسنة".

وذكره الديلمي في "الفرديوس" بلا سند عن ابن عباس مرفوعاً: خير الأعمال أوسطها.  
وأماً موقفه علي يزيد بن مرة الجعفي، فقد رواه الطبري في تفسيره بسند فيه حميد بن شيخ الطبري، وهو ضعيف. <http://majles.alukah.net/135215>  
10. ينظر: الغزالي، محمد أبو حامد، إحياء علوم الدين، ط: 3 (دار الخير، بيروت، لبنان، 1414هـ/1994م) كتاب: العلم، الباب: السادس. 1: 106.

قال العراقي: لم أجده مرفوعاً وإنما هو موقف علي بن أبي طالب — رضي الله عنه رواه أبو عبيد في غريب الحديث بلفظ خير هذه الأمة النمط الأوسط، يلحق بهم التالي ويرجع إليه الغالي، ورجال إسناده ثقاة إلا أن فيه انقطاعاً قلت: والمصنف أخذ من القوت ولفظه: وقال علي — كرم الله وجه — فساقه وأورده الجوهر في الصحاح، فقال: وفي الحديث فمساقه كسباق أبي عبيد، وقد جاء في حديث مرفوع: "خير الناس هذا النمط الأوسط" وقد ذكرته في شرح القاموس. وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية إسماعيل بن عبد الكريم، قال: حدثني عبد الصمد سمعت وهباً يقول: إن لكل شيء طرفين ووسطاً فإذا أمسكت بأحد الطرفين مال الآخر وإذا أمسكت بالوسط اعتدل الطرفان، ثم قال: عليكم بالأوسط من الأشياء. والنمط: الطريقة، يقال: ألزم هذا النمط، أي: هذا الطريق. والغالي إن كان بالغين المعجمة فمن الغلو، وهو التجاوز والإفراط، وإن كان بالعين المهملة فمن الغلو، بمعنى: ارتفاع الشأن، والتالي من تلاه وقال أبو عبيد: معنى قول علي: أنه الغلو والتقصير في الدين إذا تبعه.

قال ابن السبكي (6/ 291): رواه أبو عبيد في (الغريب) موقوفاً عن علي.  
11. الأخص هو: أبو الحسن، علي بن سليمان بن الفضل البغدادي. والأخصش: هو الضعيف البصر مع صغر العين لازم ثعلبا والمبرد وبرع في العربية، وما أظنه صنف شيئاً، وهذا هو الأخصش الصغير روى عنه: المعافى الجريري، والمرزباني، وغيرهما. مات فجأة في شعبان لسنة خمس عشرة وثلاثمائة وقيل: سنة ست عشرة. أخذ عنه: سيبويه، وأبو عبيدة، وهو أبو الخطاب، عبد الحميد بن عبد المجيد الهجري اللغوي.

12. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، لا: بط (مؤسسة الرسالة، لا: ب، 1422هـ/2001م) الطبقة الثامنة عشر 14: 480. 12 — الخليل المالكي هو: ضياء الدين أبو المودة خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب، المعروف بالجندي. من شيوخه: أبو عبد الله محمد العبدري (ابن الحاج)، وأبو محمد عبد الله المنوفي، وسمع من عبد الرحمن المقدسي... وغيرهم كثير. وأخذ عنه: ابن الفرات، وأبو الوفاء إبراهيم اليعمري، وشمس الدين محمد الغماري... وغيرهم.

له مؤلفات منها: التوضيح شرح جامع الأمهات لابن الحاجب، المناسك، شرح مختصر ابن الحاجب الأصولي، التبيين شرح التهذيب، شرح على المدونة، وغيرها. قال ابن حجر توفي سنة 767هـ، وقال الشيخ زروق: توفي سنة 769هـ، وقال تلميذه الإسحاق: توفي سنة هـ.

ينظر: مخلوف، محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لا: ط (دار الفكر، بيروت، لبنان، لا: ت) الطبقة السادسة عشرة، ترجمة رقم: (794) ص: 223.

13. قُطْرُبٌ هو: أبو علي محمد بن المستنير بن أحمد البصري، تعلم من سيبويه، واشتهر بمثلثات قطرب،.

- من آثاره: معاني القرآن الكريم، كتاب النوادر، كتاب الأزمنة، كتاب الأضداد، خلق الإنسان، غريب الحديث، كتاب العلل في النحو، كتاب الاشتقاق، كتاب القوافي .... وغيرها. توفي ببغداد سنة 206هـ.
- ينظر: ابن العماد، أبو الفضل عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مرجع سبق ذكره، 2: 15، 16.
14. فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن، مفاتيح الغيب والتفسير الكبير 3، ط: (دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1420هـ) 4: 84 — 86.
15. التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس، تفسير التستري، ط: 1 (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1423هـ) 1: 32.
16. الترمذي، أبو جعفر الترمذي، الجزء في تفسير القرآن ليحيى بن يمان، ونافع بن أبي نعيم وآخرون، تح: حكمت بشير ياسين، لا: ط (مكتبة الدار، المدينة المنورة، 1408هـ/1988م) 1: 36.
17. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، لا: ط (مؤسسة الرسالة، لا: ب، 1420هـم 2000م) 3: 142، 143.
18. الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، معاني القرآن وأعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلبي، ط: 1 (عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1408هـ/1988م) 1: 219، 220.
19. وهب بن منبه هو: وهب بن منبه بن كامل بن سبيح بن ذي كبار، ولد سنة 24هـ / 645م، وتوفي سنة 114هـ وقيل سنة 116هـ / 732م. وهو تابعي جليل، روى له البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه في التفسير.
- من آثاره: تصنيف ذكر الملوك المتوَجَّه من حمير وأخبارهم، قصص الأنبياء، قصص الأخيار، كتاب القدر، كتاب الإسرائيليات. صحب عبد الله بن عباس وولاه عمر بن عبد العزيز قضاء اليمن، وتوفي بها.
- ر: كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، لا: ط (مكتبة المثني، بيروت، لبنان، لا: ت) 13: 174.
20. الزحيلي، وهبة، موسوعة الفقه الإسلامي والقضايا المعاصرة، ط: 3 (دار الفكر، دمشق، لبنان، 1433هـ/2012م) 13: 767.
21. رواه الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، سنن الدارمي، حديث رقم 202، 204. ورواه أحمد بن حنبل في مسنده. ورواه أبو حاتم بن حبان في صحيحه.
22. الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، الموافقات في أصول الشريعة، لا: ط (دار المعرفة، بيروت، لبنان، لا: ت) المسألة الثانية عشر 2: 132 — 134.
23. المحاربي هو: أبو محمد، عبد الرحمن بن محمد بن زياد، الكوفي. حدَّث عن خلق كثير منهم: عبد الملك بن عمير، وليث بن أبي سليم، وإسماعيل بن أبي خالد، والأعمش، وفضيل بن غزوان. وحدث عنه كثير منهم: أحمد بن حنبل، وأبو كريب، وهناد بن السري، والحسن بن عرفة. توفي سنة 195هـ.
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، لا: ت (مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1422هـ/2001م) 9: 136 — 138.
24. المحاربي، أبو محمد عبد الله بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: 1 (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422هـ) 1: 219.

25. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط:3) دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (1407هـ) 1: 198، 199.
26. ابن الفاكهاني هو: تاج الدين عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الاسكندري الفاكهاني، ولد سنة 654/1256م. وتوفي سنة 734 / 1334م.
- من آثاره: الإشارة، المنهج المبين، التحرير والتحرير في شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، رياض الإفهام في شرح عمدة الأحكام وغيرها. [https://ar.wikipedia.org/wiki/تاج\\_الدين\\_الفاكهاني](https://ar.wikipedia.org/wiki/تاج_الدين_الفاكهاني)
27. الشاطبي: الموافقات، مرجع سبق ذكره، 2 : 163.
28. الجرز: القتل، وجرزه بالثتم: رماه به. والتجاوز: يكون بالكلام والفعال.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري، لسان العرب المحيط، لا: ط) دار الجيل ودار لسان العرب، بيروت، لبنان، (1408هـ / 1988م) مادة: جزر المجلد الأول، ص: 440.
29. الغزالي، إحياء علوم الدين، مرجع سبق ذكره 3: 177، 178.
30. الزحيلي، وهبة، موسوعة الفقه الإسلامي والقضايا المعاصرة، مرجع سبق ذكره، 13: 638، 639.
31. السابق 3: 61 — 63.
32. الجوهرى، إسماعيل بن حمّاد، الصّحاح، مرجع سبق ذكره، مادة: غلا. 6: 2448.
33. المعجم العربي الأساسي،، لاروس، مادة: غلي. ص: 901.
34. المعجم الوسيط، مكتبة الشروق، مرجع سبق ذكره. مادة: غلله. ص: 660.
35. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري، لسان العرب المحيط، مرجع سبق ذكره، مادة: غلا المجلد الرابع، ص: 1011.
36. المعجم العربي الأساسي،، لاروس، مادة: شدائد. ص: 675.
37. الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، مرجع سبق ذكره، مادة: شدد، ص: 493.
38. الجوهرى، إسماعيل بن حمّاد، الصّحاح، مرجع سبق ذكره، مادة: شدد. 2: 493.
39. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري، لسان العرب المحيط، مرجع سبق ذكره، مادة: شدد، 3: 282.
40. المعجم العربي الأساسي،، لاروس، مادة: فرط. ص: 928.
41. الزحيلي، وهبة، موسوعة الفقه الإسلامي والقضايا المعاصرة، مرجع سبق ذكره، 13: 699.
42. <https://www.assakina.com/mohadrat/17713.html>
43. الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي — الخواطر، لا: ط ( مطابع أخبار اليوم، القاهرة، مصر، 1997م) 6 : 3317، 3322.
44. رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم ( تفسير المنار)، لا: ط) الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (1990م) 6: 67.
45. البخاري، أبو محمد عبد الله بن إسماعيل، صحيح البخاري بحاشية السندين لا: ط ( دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1978م) 5: 2711.
46. رواه ابن ماجه في سننه، كتاب المناسك، باب: قدر حصى الرمي. حديث رقم: 3029. ورواه النسائي في السنن الكبرى، كتاب: المناسك. باب: التقاط الحصى حديث رقم: 4049.
47. الشاطبي: الموافقات، مرجع سبق ذكره، 1 : 340، 341.

48. قطب، السيد إبراهيم حسين، في ظلال القرآن، ط: 17 ( دار الشروق، بيروت، لبنان، 1412هـ) 5: 2711.
49. السابق 5: 2711، 2712.
50. النيسابوري الشافعي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تح: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض... وآخرون، ط: 1 ( دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1994م) 1: 224.
51. المرزوي، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار، تفسير القرآن، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم ابن عباس، ط: 1 ( دار الوطن، الرياض، السعودية، 1418هـ/ 1997م) 1: 149.
52. سبق تخريجه.
53. التنطع في الكلام: التعمق فيه مأخوذ منه. وفي الحديث: "هلك المتنتعون" المغالون في الكلام الذين يتكلمون بأقصى حلوهم، تكبراً، كما قال — صلى الله عليه وسلم — : " إن أبغضكم إليَّ الثرثارون المتفيهقون"
- ابن منظور: لسان العرب، مرجع سبق ذكره. مادة: نظر. 6: 661.
54. ينزع: إنّه يرمي بفسد، وأصل النزاع الطعن والفساد وقال ابن التين: معنى ينزعه: يقلعه من يده، فيصيب به الآخر، أو يشد يده فيصيبه.
55. رواه البخاري كتاب الفتن، باب: قول النبي — صلى الله عليه وسلم — : " من حمل علينا السلاح ليس منا " حديث رقم: 6661.
56. رواه مسلم عن أبي هريرة، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، حديث رقم: ( 2616 ).

## ظاهرة الاشتغال في النحو العربي من خلال ديوان الأعشى الكبير (دراسة نحوية تطبيقية)

د. حسن رمضان الخرزة  
كلية الآداب / جامعة الزاوية

### المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبيه ومصطفاه، وعلى آل بيته وصحابته ومن اتبع هداه أمّا بعد:

فالشعر وعاء اللغة ومستودعها، ولذا فهو مادة أساسية في تعليم اللغة وتنمية الملكة البلاغية، وتقصيح اللسان. ومن المعلوم أن للشعر مكانة عالية في حياة العرب باعتباره الوسيلة الأدبية الأكثر انتشاراً وتأثيراً في نفس الإنسان العربي المتذوقة لجماليات الكلمة ومعاني الشعر من ناحية، والتأكيد على المفاهيم الدينية والثقافية من ناحية أخرى، "سأل معاوية رضي الله عنه الحارث بن نوفل: ما علمت ابنك؟، قال: القرآن والفرائض، فقال: روه فنّ فصيح الشعر، فإنه يُفتح المنطق، ويطلق اللسان، ويدل على المروءة والشجاعة"<sup>1</sup>.

ولكل عصر من الأعصر خصائص للشعر تميزه عن غيره، وكان الشعر في العصر الجاهلي قد تميّز، وظهر فضله جلياً على غيره من الشعر بجُملة خصائص فنيّة رائعة، منها ما تمثّل في جزالة الألفاظ، وبراعة التصوير، ودقة التعبير، مع نبوّه قَمّة عالية في الفصاحة والبلاغة، جعلت منه رفداً يمدُّ القواعد النحوية بشواهدا التطبيقية، بل مصدراً غنياً لقواعد اللغة بجميع فروعها، الأمر الذي حدا بي أن اختار أحد الأعلام من شعراء الجاهلية وفحولها، فهو محراب من محاربي الأدب، وكوكبٍ دُرِّيٍّ بين شعراء العرب، ليكون بحثي على أساس متين، وقاعدة راسخة، ألا وهو الشاعر الكبير ميمون بن قيس الأعشى الكبير، من كانت العرب تسميه: "صنّاجع العرب"<sup>2</sup>.

وفي هذا البحث نقدم دراسة نحوية تطبيقية لظاهرة الاشتغال في النحو العربي من خلال ديوان الأعشى الكبير، ووقع اختياري على باب الاشتغال لما نعلم أن الاشتغال من الأبواب الدقيقة في النحو، يحتاج الباحث فيه إلى إعمال الفكر والدقة والبراعة، فقد اشتجرت فيه آراء النحاة، واشتدّ الخلاف بينهم، وهو بمثابة التوكيد في الأسلوب العربي، مع بُعده عن التكرار؛ لأنك لو قلت: «قرأت الكتاب» لكانت جملة واحدة، فإذا قدمت المفعول به قلت: «الكتاب قرأته» أصبح عندنا جملتان، وهذا أكد من تكرار الجملة الأولى، فهو من الأبواب النحوية التي امتازت بأساليب لفظية ذات سمات مخصوصة لا تُسلّم بسهولة لقوالب النحو، فزاد ذلك كُله أحكامَ هذا الباب صعوبةً وتعقيداً، ومن أجل ما يبدو للناشئة من صعوبة هذا الباب ووعورة مسلكه، ووصولاً إلى هدف الحفاظ على اللغة العربية وعلى سلامة قواعدها ونشرها بين أبنائها في صورة سهلة ميسرة، ولجنا هذا الباب في محاولة منا لتقريب صورته في الذهن وضرب أمثلة حيّة من شعر عربي فصيح تنجلي من خلالها عمّة مسالكه، وتيسّر للأفهام سبل نيله وتعلمه.

هذا وقد اعتمدت في بحثي على المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على وصف اللغة وما اشتملت عليه من عناصر، ثمّ تحليل هذه العناصر، لأصل إلى نتائج لغوية مرجوة، مستأنسا في ذلك بمنهج الاستقراء الناقص الذي يقوم على دراسة مفردات الظاهرة دراسة شاملة ثم يقوم بتعميم النتائج. كما قمت بتبّع آراء النحاة واللغويين والتعرّف على التيارات النحوية لمختلف العلماء عبر فتراتهم الزمنية، وبياناتهم النحوية.

وقد ظهر ذلك جلياً في خطة البحث التي وزعتها على النحو الآتي:



ظاهرة الاشتغال في النحو العربي من خلال ديوان الأعشى الكبير...

المطلب الأول — التعريف بالشاعر وديوانه.

المطلب الثاني — مفهوم الاشتغال.

المطلب الثالث — أركان جملة الاشتغال.

المطلب الرابع — دراسة لما جاء في ديوان الأعشى من باب الاشتغال.

المطلب الأول — التعريف بالشاعر وديوانه:

هو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، بن بكر بن وائل بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان<sup>(3)</sup>.

والشاعر من قبيلة عريقة، ألا وهي قبيلة قيس بن ثعلبة، المنحدرة من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان؛ ولهذا حُقَّ للأعشى أن يُفَاخِرَ الزَّمنَ بنسبه، وشعره الذي ارتفع به إلى عَنَانِ السَّمَاءِ، وجازَ به هامةَ الجوزاء، وقد لُقِّبَ بالأعشى، والأعشى في اللغة الذي لا يُبْصِرُ ليلاً، وقيل: هو سوء البصر من غير عمى، وفسره بعض اللغويين بالعمى وذهاب البصر، ولكن المعنى الأول هو الأشهر<sup>(4)</sup>.

والملقَّبون بلقب (الأعشى) من الشعراء كثر، أحصى منهم الأُمديّ (ت370هـ) في (المؤتلف والمختلف) سبعة عشر شاعراً بين جاهليّ وإسلاميّ، ويُميّزون بينهم بنسبتهم إلى قبائلهم فيقولون: أعشى بني ربيعة، وأعشى بني عوف بن همّام، وأعشى همدان... وهكذا، وأشهر هؤلاء جميعاً شاعرنا ميمون بن قيس أعشى بني قيس بن ثعلبة<sup>(5)</sup>، الذي اشتهر بهذا اللقب، وعُرفَ به عند الإطلاق، اعترافاً بمكانته، وتسجيلاً لشهرته، وتقديراً لما تجلّى فيه من ألوان أدبيّة، وما سبق إليه، أو تحقّق فيه من فنون القول، ودقّة الصنع، وسحر البيان، وفصاحة اللفظ.

1. مولده ونشأته:

تُجمَعُ الروايات على أنّ الأعشى وُلِدَ في قرية (منفوحة)، إحدى قرى اليمامة حوالي سنة (530) من ميلاد المسيح - عليه السلام -.

وقرية (منفوحة) هي مسقط رأس الأعشى، والبيئة التي وُلِدَ فيها هذا الشاعر بيئة خصبة، تثبت الشعر، وتلد مشاهير الشعراء، إلا أنّ نشأة الشاعر المبكرة ما زالت ترزح تحت أثقال شديدة من الغموض، ولكنّ الشاعر بكلّ تأكيد ارتشف سلاف الشعر من نسمات وجوده، وارتضع موسيقى الألب من أترار جدوده، فقد كانت عمومته نهراً يجري بالمياه الشاعرة، كما كانت بيئته مجردة تلمع فيها نجوم الفنّ، وتسطع كواكبه، فلا بدع أن يُذاع صيته، ويلمع بهياً سناه في جزيرة العرب من أقصاها إلى أقصاها، بل ويتعدّى حدودها، ولا عجب أن يشيع ذكر الأعشى في الأفاق، ويقوم في كلّ مكان شذاه، فيصبح مفخرة للعرب، وعنواناً للأدب على مرّ الدهور وتوالي العصور، على ما سنعرف من خلال هذه الدراسة - إن شاء الله تعالى -.

2. مكانته الشعرية:

يصفه بعض النقاد بأنّه محرابٌ من محاريب الأدب، وكوكبٌ دريٌّ بين شعراء العرب، شعره يميّز بذهب الأساليب، ويموج بنضارة التراكيب، إنّه نجمٌ لامعٌ في سماء العربية، احتلّ أرحب الأفاق، ورددت شعره الركبان في كلّ مكان، لروعته وجودته ولذلك سُمّي: (صنّاجة العرب)<sup>(6)</sup>، ويُعدُّ أحدَ الأعلام من شعراء الجاهليّة وفحولها، فقد سئل يونس بن حبيب (ت183هـ) النَّحوي: من أشعر النَّاسِ؟ فقال: «لا أومئ إلى رجلٍ بعينه، ولكن أقول: امرؤ القيس إذا غضب، والتَّابِعة إذا رهب، والأعشى إذا طرب، وزهير إذا رغب»<sup>(7)</sup>.

ظاهرة الاشتغال في النحو العربي من خلال ديوان الأعشى الكبير...

وقال أبو عبيدة فيه: «يحتج من قدم الأعشى بكثرة طوالة الجياد، وتصرفه في المديح والهجاء وسائر فنون الشعر وليس ذلك لغيره» ويقول: «وهو أول من سأل بشعره وانتجع به أقاصي البلاد، وكان يغني في شعره، فكانت العرب تسميه: (صناجة العرب)» (8).  
وحكي عن الشعبي أنه كان يقول: «الأعشى أغزل الناس في بيت واحد، وأخنت الناس في بيت واحد، وأشجع الناس في بيت واحد» (9). فأما أغزل بيت واحد فقولته:

غراء فرعاء مَقُولُ عَوَارِضِهَا \* \* \* تَمْشِي الْهَوَيْنَى كَمَا يَمْشِي الْوَجِي الْوَحْلُ (10)

وأما أخنت بيت فقولته:

قَالَتْ هُرَيْرَةُ لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا \* \* \* وَيَلِي عَلَيْكَ وَيُولِي مِنْكَ يَارْجُلُ (11)

وأما أشجع بيت فقولته:

قَالُوا الطَّرَاؤُ فَتَلْنَا تِلْكَ عَادَتُنَا \* \* \* أَوْ يَنْزِلُونَ فَإِنَّا مَعْشَرُ نُزُلُ (12)

وسئل حماد الراوية عن أشعر الناس، فقال الذي يقول: (13)

نَازَعْتُهُمْ قُضِبَ الرِّيحَانَ مُتَكِنًا \* \* \* وَقَهْوَةَ مَرَّةً رَاوُوقَهَا خَضِلُ (14)

وهو يقصد بالتأكيد (الأعشى)؛ لأن البيت من قصيدة الأعشى: «ودع هريرة» (15)  
إن شعر الأعشى يُعدُّ بساط الرِّيح الذي طار به، فجال الجزيرة العربية شرقها وغربها، وقطعها شمالاً وجنوباً، وحيثما نزل كان مُعَزَّزاً مُكْرَمًا من الأمراء والملوك والرؤساء؛ لهذا عاش الأعشى رحالة من بلد إلى بلد، وحيي جولة في الدول والأقاليم، ولم تقف أسفاره عند الحدود العربية، بل وجّه رواحله نحو الملوك والأمراء المجاورين في الحبشة، والسّام، وفارس على الرُّغم من جهله لغاتهم، وفي ذلك يقول:

لَقَدْ طَفْتُ مَا بَيْنَ بَاتِقِيَا إِلَى عَدَنَ \* \* \* وَطَالَ فِي الْعُجْمِ تَرْحَالِي وَتَسِيرِي (16)

ويقول:

وَقَدْ طَفْتُ لِلْمَالِ أَفَاقَهُ \* \* \* عُمَانَ فَجَمَّصَ فَأَوْرِيَشَلْمَ  
أَتَيْتُ التَّجَلِيثِي فِي دَارِهِ \* \* \* وَأَرْضَ النَّبِيْطِ وَأَرْضَ الْعَجْمِ (17)

ويصف بعض النقاد المحدثين شعر الأعشى بقوله: «الأعشى مشهور بأنه أقدر شعراء الجاهلية على إحسان السبك، وإجادة الحبكة، وإبداع الوصف، وإتقان الرِّصْف، والتَّجَلِيْة في ميدان الفنّ الأدبي، وصناعة التراكيب» (18)؛ ولهذا كان لا يغلق دونه باب، ويستقبل بكلّ الاحترام والتُّرحاب.

1- أخلاقه وصفاته:

أما أبرز أخلاقه وعنوان خلاقه فهو حبه للمال، وإن تجرّع في ذلك مرارة السؤال والإلحاف في طلب النّوال، فهو الذي يقول:

وَمَا زِلْتُ أَبْغِي الْمَالَ مَدًّا أَنَا يَافِعُ \* \* \* وَكَيْدًا أَوْ كَهْلًا حِينَ شَبِئْتُ وَأَمْرَدًا (19)

فمن أجل المال أراق الأعشى ماء وجهه، وتنازل عن كبريائه الأدبي، وخسر بذلك كثيراً من الأنصار في معركة زعامته الحقّة للشعر الجاهلي، حتّى قيل عنه -كما أورد صاحب الأغاني-: «الأعشى أول من سأل بشعره، ونتج به أقاصي البلاد» (20).

كذلك كان الأعشى مُدْنَفًا بالنِّسَاء، مُولِعًا بالخمر، مُغْرَقًا في القمار، وبلغ من حبه للخمر أنه صنع معصرة لها في بيته الذي جعله منتدى لطلابها من كلّ صقع، حيث يرتون من مناهل الفسق، والفجور، والعصيان، ويكرعون من حياض الرِّجْس والدنّس أكرّ الألوان، أليس هو القائل:

ظاهرة الاشتغال في النحو العربي من خلال ديوان الأعشى الكبير...

وَقَدْ غَدَوْتُ إِلَى الْحَانُوتِ يَتَّبِعُنِي	**	شَاوُ مُشَلِّ شَلُولُ شَلْشَلُ شَوْلُ
فِي فِتْيَةٍ كَسَيُوفِ الْهَيْدِ قَدْ عَلِمُوا	**	أَنْ لَيْسَ يَدْفَعُ عَنْ ذِي الْحَيْلَةِ الْجَبَلُ
تَارَعَتْهُمْ قُضُبَ الرِّيحَانِ مُتَكِنًا	**	وَقَهْوَةَ مِرَّةٍ رَاوُوا فَهِيَ خَضِيلُ
لَا يَسْتَفِيحُونَ مِنْهَا وَهِيَ رَاهِنَةٌ	**	إِلَى بَهَاتٍ وَإِنْ عَلُوا وَإِنْ نَهَلُوا <sup>(21)</sup>

أما حُبُّهُ للنساء فحدث ولا حرج، فقد أعرم بكثير منهنَّ اللواتي استلنَّ لَبَّهُ، وسكنَّ فواده، وإبهنَّ لعديد، ذكرهنَّ في شعره، وهتف بهنَّ في قصائده، منهنَّ هريرة، وأختها خليدة، وسعاد، وسمية، وجبيرة، ولبلى، وفتلة أو فتيلة، وكلهنَّ شَبَّ بهنَّ في قصائده.

وكان لسطوة شعره مهيباً مُبْجَلاً، قيل عنه: لم يكن يمدح قوماً إلا رفعهم، ولم يهيج قوماً إلا وضعهم، فهو من أسير النَّاسِ شعراً، وأعظمهم فيه حظاً.<sup>(22)</sup>

وعلى الرغم من سجايا الأعشى التي ثار حولها النقاش، إلا أنَّ الشَّيءَ المؤكَّد أنَّه بلغ بشعره المكانة التي لم يبلغها في عصره شاعر، فقد كان يرفع بشعره ويضع، ويبنى ويهدم، وكان في قدرته الارتفاع بالأفراد والأمم، والقصة التي يرويها كتاب الأغاني عن بنات المحلق الكلابي، اللواتي هرع الأشراف إليهنَّ، وتزوجهنَّ غبَّ انتشار أبياتهنَّ، التي قال فيها:

تَشَبَّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِيهَا      وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْمُحَلَّقُ<sup>(23)</sup>

حيث كانت دليلاً على مدى القدسية التي عُرفت لشعره، وبرهاناً على التأثير الذي كان لسحر بيانه.

**5- وفاته:**

قيل: إنَّ الأعشى في نهاية حياته استروح نسائم الاستقامة، وترهَّد في حياة الإثم، واتَّسح برود الأخلاق، وقلب ظهر المجن؛ لما كان عليه من مجون، في هذه الأثناء تفتَّح نور النبوة في (المدينة المنورة)، وتوهَّج أثرها في جوانبها المختلفة، وصلَّ أذان الأعشى هذا النور، فجاءت قريحته الساحرة بقصيدة شاعرة مؤثرة في مدح الرسول ﷺ، وتعطرت أبياتاً بشذى ذكره ﷺ، وتلك التي أولها:

أَلَمْ تَعْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا      \*\*      وَبَيْتَ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ مُسَهَّدَا (24)

ويقول فيها أيضاً:

فَأَلْبَيْتُ لَا أَرْتِي لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ      \*\*      وَلَا مِنْ وَجَى حَتَّى تَلْقَى مُحَمَّدَا

مَتَى مَا تَلَاخِي عِنْدَ بَابِ ابْنِ هَاشِمٍ      \*\*      تُرْحَى وَتَلْقَى مِنْ قَوَاضِيهِ يَدَا

نَبِيَّ يَرَى مَا لَا تَرُونَ وَتُكْرَهُ      \*\*      أَعَارَ لَعْمَرِي فِي الْبِلَادِ وَأَنْجَدَا (25)

وعزم الأعشى على السير إلى المدينة، وملاقاة الرسول ﷺ، فبلغ خبره قريشاً، فرصدوه على طريقه، وقالوا: هذا صنّاعة العرب، ما مدح أحداً قط إلا رفع قدره، فقابلوه وقالوا له: أين أردت يا أبا بصير<sup>(26)</sup>؟ فقال: أردت صاحبكم لأسلم، فقالوا له: إنَّه ينهاك عن خلال، ويحرمها عليك، وكلُّها بك. فقال: ما هنَّ؟ فقال أبو سفيان بن حرب: الرِّئَا، قال: لقد تركني الرِّئَا وما تركته، ثم ماذا؟ فقالوا: القمار، قال: لعليَّ إنَّ لقيتَه أصبت عوضاً عن القمار، ثم ماذا؟ قالوا: الرِّبَا، قال: ما دننت ولا أدننت قط، ثم ماذا؟، قالوا: الخمر، قال: أوّه...، فقال له أبو سفيان: هل لك في خير ممَّا هممت به؟، قال:

ظاهرة الاشتغال في النحو العربي من خلال ديوان الأعشى الكبير...

وما هو؟ قال: نحن وهو الآن في هُدنة، فتأخذ من الإبل مائة، وترجع إلى بلدك سنتك هذه، وتنتظر ما يصير إليه أمرنا، فإنْ ظهرنا عليه، كنت قد أخذت خلفاً، وإنْ ظهر علينا أتيتّه، فقال: ما أكره ذلك، فجمعوا له مائة ناقة، وانطلق إلى بلده، فلمّا كان بقاع (منفوحة)، رقى به يعيره فقتله<sup>(27)</sup> وهكذا كانت (منفوحة) مسقط رأس الأعشى ومثوى جدته، وكانت منية الأعشى في أمنيته، وكما يقولون: شدّ مطمعه حبلُ مصرعه، وانتهت أشعبيته الحاملة هذه النهاية المؤلمة، وإنْ كانت الأخلاق لم تشقْ لمصرعه الثياب، فإنْ رياض الأدب قد تقصّفت لفقده، وأطالت حمانها عليه النواح.

**6- التّعريف بديوان الأعشى:**

للأعشى ديوانٌ كبيرٌ، ذو شعرٍ عزيزٍ اهتزت له الدنيا، وترجمت لإيقاعه العواصم، ولفت أنظار الباحثين، فنسابقوا للناية به، وحثوا عليه، وأعملوا فيه جهودهم بكلّ جدٍّ واجتهاد، ثم أخرجوه للناس كنزاً من كنوز الأدب، وذخيرةً من ذخائر العرب. وتوجد من ديوان الأعشى نسخة خطية في دار الكتب المصرية<sup>(28)</sup>، وأخرى بمكتبة (الأسكوريال)، أشار إليها المستشرق (كارل بروكلمان). وللمستشرق (رودلف جابر) ولعٌ خاصٌ بشعر الأعشى؛ ولهذا ترجم قصيدتين للأعشى إلى اللغة الألمانية وهما: (ودع هريرة)، والأخرى: (المعلقة)، وقد شرحنا شرحاً دقيقاً واسعاً، فقد شرحت القصيدة الأولى: (ودع هريرة) إلى ما يقارب (223) صفحة<sup>(29)</sup>، وطبع ديوان الأعشى كلّه برواية ثعلب سنة (1928م) بكلّ دقة وأمانة علمية<sup>(30)</sup>، ثم طبع الديوان في القاهرة طبعة جيدة مع شرح وتعليق للعلامة الكبير الأستاذ الدكتور محمد محمد حسين سنة (1950م)، ثم طبع طبعة ثانية في بيروت سنة (1968م).

**المطلب الثاني — مفهوم الاشتغال:**

يجدر بنا قبل الخوض في ذكر حد مصطلح (الاشتغال) أن نستعرض سريعاً المراحل التي مرّ بها هذا المصطلح حتى استوى على سوقه واستقرّ على ما اشتهر به اليوم، والذي نود قوله: إن مصطلح الاشتغال لم يكن معروفاً لدى الخليل ولا سيبويه بهذا المسمى ولا عيسى بن عمر من قبلهما وهو أول من أشار إليه عند توجيهه لبعض القراءات<sup>(31)</sup>، وإن لم يضع له حداً، وقد اختلفت تعبيرات النحاة عند ذكرهم للاشتغال فكانت على النحو الآتي:

**1 — بناء الفعل على الاسم:**

استعمل سيبويه هذا التعبير وأطلقه على النمط الذي يكون فيه الاسم المشغول عنه مرفوعاً، قال: "إذا بنيت الفعل على الاسم قلت: (زيدٌ ضربته) فلزمته الهاء وإنما تريد بقولك مبنياً عليه الفعل أنه في موضع منطلق إذا قلتَ عبدٌ الله منطلقٌ فهو في موضع هذا الذي بني على الأول وارتفع به فإمّا قلتَ عبدٌ الله فنسبته له ثم بنيت عليه الفعل ورفعته بالابتداء ومثّل ذلك قوله جل ثناؤه<sup>32</sup>: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾"<sup>(33)</sup>.

**2 — المنصوب على إضمار فعل يفسره ما بعده:**

هذا التعبير أطلقه سيبويه كذلك ولكن على الحالة التي يكون فيها الاسم المشغول عنه منصوباً قال: "وإن شئت قلت زيدا ضربته وإمّا نصبه على إضمار فعلٍ هذا يفسره كأنك قلتَ (ضربتُ زيدا ضربته) إلا أنهم لا يُظهرون هذا الفعل هنا للاستغناء بتفسيره فالاسمُ ها هنا مبنياً على هذا المضمّر"<sup>(34)</sup>، وقد استعمل هذا التعبير بعد سيبويه أبو جعفر النحاس<sup>(35)</sup>.

**3 — ما أضمر عامله على شريطة التفسير:**

وهو من مصطلحات الزمخشري حيث قال: "ومن المنصوب باللائم إضماره ما أضمر عامله على شريطة التفسير في قولك زيدا ضربته، كأنك قلتَ ضربت زيدا ضربته. إلا أنك

ظاهرة الاشتغال في النحو العربي من خلال ديوان الأعشى الكبير...

لا تبرزه استغناء عنه بتفسيره<sup>(36)</sup>.

**4 — المفعول الذي شُغل الفعل عنه:**

استعمل هذا التعبير المبرد وكان هذا التعبير بداية التلميح لمصطلح (الاشتغال)، قال المبرد: "وأعلم أن المفعول إذا وقع في هذا الموضع وقد شغل الفعل عنه انتصب يالقول المضمرة لأن الذي بعده تفسير له كما كان في الاستفهام في قولك أزيداً ضربته، «أبشراً منا وأجداً نبيغهُ»<sup>(37)</sup>، وذلك قولك إن زيدا تره تكومه ومن زيدا ياتيه يُعطيه وإن زيدا لقيته أكرمه وكذلك إذا لآنها لا تقع إنا على فعل نقول إذا زيدا لقيته فأكرمه"<sup>(38)</sup>.

**5 — الاشتغال:**

أول من استعمل هذا المصطلح من النحاة الزجاجي في كتابه الجمل حيث قال: "باب اشتغال الفعل عن المفعول بضميره"<sup>(39)</sup>، وهكذا يرجع الفضل في نشر هذا المصطلح إلى الزجاجي، وإن لم يشتهر هذا المصطلح في عصره، فكما رأينا فإن معاصره أبا جعفر النحاس قد استعمل: (المنصوب على إضمار فعل يفسره ما بعده).

مما سبق نرى أن النحاة قد استخدموا مصطلحات عدة للدلالة على هذه الظاهرة، وقد استقر الأمر عند المتأخرين على ما ذكره الزجاجي وبه عرفت هذه الظاهرة النحوية.

فجاء في شرح ابن عقيل: «الاشتغال: أن يتقدم اسم ويتأخر عنه فعل قد عمل في ضمير ذلك الاسم، أو في سببته، وهو المضاف إلى ضمير الاسم السابق»<sup>(40)</sup>، وجاء في شرح قطر الندى: «الاشتغال: أن يتقدم اسم ويتأخر عنه فعل عامل في ضميره ويكون ذلك الفعل بحيث لو فرغ من ذلك المعمول وسلط على الاسم الأول لنصبه»<sup>(41)</sup>، نحو قولك: (المهندس شاورته)، و (المهندس شاورت زميلة)، ف(الهاء) في المثال الأول ضمير حل محل المفعول به السابق: (المهندس)، واكتفى به الفعل، ف(المهندس) في الأصل مفعول به، والدليل لو أننا حذفنا (الهاء) من (شاورته)، وسلطنا (شاورت) على (المهندس) لقلنا: المهندس شاورت، فأصبح الاسم المتقدم مفعول به للفعل المتأخر عنه.

أما في المثال الثاني: فكلمة (رفيقه) هو اللفظ الظاهر الذي حل محل المفعول به السابق (المهندس)، وهذا اللفظ سببي للمفعول به الأصلي<sup>(42)</sup>، ويلاحظ وجود ضمير فيه، وقع مضافاً إليه يربطه بالاسم الذي شُغل الفعل عنه وهو (المهندس)؛ ولو حذفنا اللفظ السببي مع ضميره لعاد الفعل للعمل في الاسم المتقدم.

إذا الاشتغال: «أن يتقدم اسم، ويتأخر عنه عامل يعمل في ضميره مباشرة، أو يعمل في سببي للمتقدم مشتمل على ضمير يعود على المتقدم، بحيث لو خلا الكلام من الضمير الذي يباشره العامل، ومن السببي، وتفرغ العامل للمتقدم لعمل فيه النصب لفظاً، أو حكماً»<sup>(43)</sup>.

**المطلب الثالث — أركان جملة الاشتغال:**

لا بد أن يتوفر في جملة الاشتغال ثلاثة أركان:

- الأول- المشغول عنه: وهو الاسم المتقدم الذي شُغل عنه الفعل بضميره أو بسببته، الذي كان في الأصل متأخراً، مفعولاً به حقيقياً، أو حكماً، ثم تقدم على عامله، وترك مكانه لضميره، أو بسببته.
- الثاني- المشغول: وهو الفعل أو ما يشبهه من المشتقات كاسم الفاعل واسم المفعول، الذي شُغل عن الاسم السابق عليه بضميره، أو باسم آخر له صلة بالاسم السابق، وهو ما أطلق عليه (سببته).
- الثالث- المشغول به: وهو ما شُغل به العامل من ضمير، أو سببي، مما يترتب عليه بدهة ألا يتجه العامل

للإسم السابق عليه<sup>(44)</sup>، ولتوضيح ذلك- علاوة على ما سبق- فلنتأمل هذه الأمثلة:

ظاهرة الاشتغال في النحو العربي من خلال ديوان الأعشى الكبير...

- 1- (محمد رأيتة).
- 2- (طرابلس مررتُ بها).
- 3- (المحتاج أخذت بيديه).
- 4- فالاسم المشغول عنه في الأمثلة السابقة هو على التوالي: (محمد، طرابلس، المحتاج)، والأفعال المشغولة هي: (رأى، مرّ، أخذ) والمشغول به في المثال الأول، والثاني هو ضمير الاسم السابق، وهو: (رأيتة، مررتُ بها)، وفي المثال الثالث سببي الاسم السابق وهو (بيديه). وكذلك نستفيد مما تقدم أن من الدلالات التي يؤديها الاشتغال أن تفرق بين الإخبار عن الفاعل وتعيين المفعول به، وبين الإخبار عن المشغول عنه، قال الزجاجي: "الفرق بين (ضربتُ زيداً)، و(زيدٌ ضربته)، أنك إذا قلت: (ضربتُ زيداً) فإنما أردت أن تُخبر عن نفسك، وتثبت أين وقع فعلك، وإذا قلت: (زيدٌ ضربته) فإنما أردت أن تُخبر عن زيد" (45)، وكذلك الحال في الفرق بين قولنا: (محمد رأيتة)، و(رأيت محمدًا)، (المحتاج أخذت بيديه)، و(أخذت بيدي المحتاج).

**حكم المشغول عنه في باب الاشتغال: المشغول عنه يمكن إعرابه:**

- 1- مبتدأ مرفوعاً، والجُملة الفعلية بعده خبراً عنه.
- 2- مفعولاً به لعامل محذوف وجوباً، يدلّ عليه ويرشد إليه العامل المذكور بعده في الجُملة، ويكون العامل المحذوف وجوباً مشاركاً للمذكور في لفظه ومعناه معاً، أو في معناه فقط (46)، فإن أعربت المشغول عنه مبتدأ؛ فالجُملة بعده خبر، وإن أعربته مفعولاً به لفعل محذوف وجوباً؛ فالجُملة الفعلية بعده مفسّرة لا محلّ لها من الإعراب (47).

وإذا عدنا إلى الأمثلة السابقة لنطبق ما مكناه عليها نقول عن جُملة: (محمد رأيتة): (محمد): يجوز إعرابه مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، و(رأيتة): فعل ماضٍ مبنيّ على السكون لاتصاله بضمير الرفع المتحرك، و(التاء): ضميرٌ متصلٌ مبنيّ على الضمّ في محلّ رفع فاعل، و(الهاء) ضميرٌ متصلٌ مبنيّ على الضمّ في محلّ نصب مفعول به، والجُملة الفعلية في محلّ رفع خبر المبتدأ، وإذا قلنا: (محمدًا رأيتة) بنصب (محمدًا) فتعرب الجملة على النحو التالي: (محمدًا): مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة بفعل محذوف وجوباً، يفسّره الفعل المذكور، والتقدير: (رأيت محمدًا رأيتة)، والجُملة الفعلية بعده (تفسيرية) لا محلّ لها من الإعراب (48).

وأما في جُملة (طرابلس مررتُ بها)، فإن أعربنا المشغول عنه (مبتدأ)؛ فالجُملة بعده خبر له- كما سبق وأعربنا-، وإن أعربناه مفعولاً به؛ نقول: (طرابلس): مفعول لفعل محذوف وجوباً تقديره: (جاوزت)؛ لأنّه لا يصحّ أن تقول: (مررت طرابلس)؛ لأنّ (مررت) قاصر، لا يصل إلى الاسم نفسه وعليه يقدر الفعل المحذوف من لفظ المشغول ومعناه إن كان (المشغول) متعدّياً ناصباً للضمير بنفسه- كالمثال الأوّل-، ويقدر من المعنى فقط إذا كان المشغول لازماً، وبعده الضمير مجرور كالمثال السابق (49).

وفي المثال الثالث: (المحتاج أخذتُ بيده)، فإن أعربنا (المحتاج) مفعولاً به نقول: (المحتاج): مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة بفعل محذوف وجوباً تقديره: (أعنتُ المحتاج أخذتُ بيده)، ولا تُقدّر (أخذتُ)؛ لأنك أخذت بيد المحتاج ولم تأخذ المحتاج.

إذا كان المشغول متعدّياً ناصباً للسببيّ أو لازماً يقدر معنى الفعل، وليس لفظه. وتحرير المشغول عنه إمّا مبتدأ، والجُملة الفعلية بعده خبر عنه، وإمّا مفعولاً به، والجُملة الفعلية بعده خبر عنه، وإمّا مفعولاً به، والجُملة الفعلية بعده مفسّرة، لا محلّ لها من الإعراب، هذا هو الأصل في إعراب المشغول عنه.

ظاهرة الاشتغال في النحو العربي من خلال ديوان الأعشى الكبير...

لكنَّ جُملة الاشتغال يحلّ بها من الصّفات اللّغويّة ما يجعل المشغول عنه (مرفوعاً) فقط أو (منصوباً) فقط، أو (ما يرجّح) أحدهما على الآخر، وذلك على التفصيل الآتي:

**أولاً- وجوب رفع المشغول عنه:**

- إذا سبق المشغول عنه مباشرة أداة خاصّة بالدخول على الجُملة الاسميّة كـ (إذا) الفجائيّة<sup>(50)</sup>، التي لا يجيء بعدها إلا الاسم نحو قولك: (توقعتُ الخير ممّا أحبّه، فإذا الشّرُّ جنيته)، فيجب رفع (الشّرُّ)، ولا يجوز فيه النّصب؛ لأنّ النّصب يقتضي تقدير الفعل، و(إذا) الفجائية لا تدخل إلا على الجُملة الاسميّة، فلا يليها الفعل مُطلقاً لا ظاهراً ولا مقترراً.

- إذا وقع قبل أداة لها الصّدارة في الكلام، نحو: أدوات الشرط، والاستفهام، والعرض، والتخصييض وما النافية، ولا النافية الواقعة في جواب القسم، ولام الابتداء، فهذه الأدوات لا يعمل ما بعدها فيما قبلها نحو قولك: (الكتابُ إن استعرتُّه فحافظ عليه)، و(السلامةُ هل ترجوها مع الإخلاص للحقّ والعمل به)، و(خالِدٌ هلاً ودّعتهُ)، و(الشّرُّ ما فعلتهُ)، و(واللهُ الكذبُ لا أرتكبهُ)، و(المتفوقُ لأنّنا مُقدّرهُ)، فالمشغول عنه في الجُملة السّابقة (مبتدأ) والجُملة بعده خبره، ولم يجزْ نصبه بفعل محذوف يفسره المذكور؛ لأنّ ما بعد هذه الأدوات لا يعمل فيما قبلها<sup>(51)</sup>.

**ثانياً- وجوب النّصب:**

يجب نصب المشغول عنه إذا وقع بعد أداة لا يليها إلا الفعل، كأدوات الشرط، والعرض، والتخصييض و الاستفهام إلا الهمزة؛ لأنّها غير مختصّة بالأفعال، نحو قولك: (إنّ محمّداً قابليتهُ فأكرمهُ)، و(ألا التّدخينُ تتركهُ)، و(هلا عليّاً زرتُهُ)، و(أين القلمُ وضعتُهُ؟)، فلا يجوز رفع الاسم السابق (المشغول عنه) في هذه الأمثلة للسبب المذكور آنفاً<sup>(52)</sup>.

**ثالثاً- ترجيح النّصب:**

يترجّح نصب المشغول عنه في مواضع ثلاثة:

- أن يجيء المشغول عنه بعد أداة يغلب مجيئها قبل الفعل، وأشهر تلك الأدوات: همزة الاستفهام، و(ما) النافية، و(لا) النافية، نحو قوله تعالى: (أبشراً ميّاً واحداً ننبعُهُ)<sup>(53)</sup>، وإنّما ترجّح النّصب؛ لأنّ الغالب أن يلي همزة الاستفهام فعل.

- جاء في شرح قطر النّدى في ترجيح النّصب قول ابن هشام: «أن يكون الفعل المذكور فعل طلب، وهو: الأمر، والنهي والدعاء كقولك: زيداً اضربه، وزيداً لا تُنهه، واللّهم عبّدك ارحمهُ»<sup>(54)</sup>، والأمثلة واضحة.

- أن يكون المشغول عنه مسبوقاً بعاطف، وقبل العاطف جُملة فعليّة، فيحقق النّصب التجانس في عطف جُملة فعليّة على جُملة فعليّة<sup>(55)</sup> نحو قولك: (ضحيتُ بالزميل، والحقّ نصرتهُ)، فإنّ كلمة(الحقّ) الأرجح نصبها بفعل محذوف وجوباً يفسره المذكور، والتقدير: (نصرتُ الحقّ نصرتهُ)، وتكون الجُملة الفعليّة: (نصرتُ الحقّ). معطوفة على الجُملة الفعليّة قبلها، (ضحيتُ بالزميل)؛ فيحقق ترجيح النّصب التجانس في عطف جُملة فعليّة على أخرى فعليّة.

**رابعاً- ترجيح الرفع**

يرجّح رفع المشغول عنه إذا لم يكن ما يوجب نصبه أو يبرجّحه، أو يوجب رفعه، نحو قولك: (بكرٌ قابليتهُ)، فالراجح رفع(بكر)؛ لأنّ عدم الإضمار أرجح من الإضمار، أمّا النّصب فيستدعى تقدير محذوف وإذا دار الأمر بين التّقدير وعدمه، فترك التّقدير أولى<sup>(56)</sup>.

ظاهرة الاشتغال في النحو العربي من خلال ديوان الأعشى الكبير...

**المطلب الرابع - دراسة لما جاء في ديوان الأعشى من باب الاشتغال.**

وممّا جاء من شعر الأعشى في باب الاشتغال قوله من قصيدة، يهجو فيها يزيد بن مسهر الشيباني:  
هريرة ودعها وإن لأم لأئم غداة غد أم أنت للبين واجم<sup>57</sup>

فالاسم السابق: (المشغول عنه) في البيت هو (هريرة)، و(المشغول) هو الفعل (ودع) الذي شغل عن الاسم السابق عليه بضميره، وهو (الهاء) فأصبحت (الهاء) (المشغول به) يتجه العامل للاسم السابق عليه، فما هو إعراب المشغول عنه ؟ .

لو أمعنا النظر في جملة الاشتغال لوجدنا أنّ المشغول عنه: (هريرة) لا يوجد فيه من الصفات ما يوجب نصبه أو يرفعُه، ولا ما يوجب رفعه، ولكننا وجدنا ما يرجح الرفع، فالأرجح رفع (هريرة)؛ لأنّ عدم الإضمار أرجح من الإضمار، بمعنى أن جعل (هريرة) مبتدأ هو الأصل الذي لا يحتاج إلى تقدير، أمّا النصب فيتعدى تقدير محذوف، وإذا دار الأمر بين التقدير وعدمه فترك التقدير أولى<sup>(58)</sup>، قال تعالى: (جئناك عدن يدخلونها)<sup>(59)</sup>، أجمع السبعة على رفع (جئناك)<sup>(60)</sup>. علماً بأنّ قوله: (هريرة) جاءت في الديوان منصوبة، ولكن الأرجح رفعها؛ لما تقدّم. وقال الأعشى من قصيدة، يمدح فيها قيس بن معد يكرب:

رُخام ينئه لهم حميرُ  
إذا جاءه ماءهم كم يرم<sup>(61)</sup>

المشغول عنه هو (رُخام) يرجح رفعه؛ لأنّ جملة الاشتغال خلت من موجبات النصب أو ترجيحه، أو موجبات الرفع وعليه فترجح الرفع أولى؛ لأنّ النصب يستدعي تقدير محذوف، وما لا يحتاج إلى تقدير أولى ممّا يحتاج- كما يقول النحاة-

وقال الأعشى من قصيدة، يمدح فيها سلامة ذا فائش الحميري:

وبيداء تحسب آرامها \*\*\* رجال إباد بأجلدها<sup>(62)</sup>

**فالمشغول عنه:** (بيداء)، والمشغول هو الفعل: (تحسب)، والمشغول به قوله: (آرامها)، فالفعل- كما هو واضح- مشغول الاسم السابق الذي له علاقة به، ومُضاف إلى ضمير يعود على المشغول عنه، وجاءت (بيداء) في الديوان منصوبة، معنى ذلك أنّها مفعول به لفعل محذوف وجوباً، يفسره ويدلّ عليه الفعل الموجود، والجملة الفعلية: (تحسب آرامها) جملة تفسيرية لا محلّ لها من الإعراب، ومن الناحية الدلالية قد يفيد الاشتغال هنا (الاختصاص) قال التفتازاني: "وأما نحو: زيداً عرفته، فتأكيد إن قدر الفعل المحذوف (المفسر) بالفعل المذكور (قبل المنصوب) أي: عرفت زيداً عرفته، وإلا أي: وإن لم يُقدّر المفسر قبل المنصوب بل بعده (فتخصيص)، أي: زيداً عرفت عرفته؛ لأنّ المحذوف المُقدّر كالمذكور، فالتقديم عليه كالتقديم على المذكور في إفادة الاختصاص كما في (بسم الله)، فنحو: زيداً عرفته محتمل للمعنيين: التخصيص والتأكيد، فالرجوع في التعيين إلى القرائن وعند قيام القرينة على أنه للتخصيص يكون أؤكد من قولنا: زيداً عرفت لما فيه من التكرار"<sup>(63)</sup> وقال الأعشى من قصيدة يمدح فيها هودة بن علي الحنفي:

بيداء يلعب فيها السرا \*\*\* ب لا يهتدي القوم فيها مسير<sup>(64)</sup>

**فالمشغول عنه** قوله: (بيداء) والمشغول هو الفعل (يلعب) والمشغول به الضمير المجرور: (فيها)، وهو الضمير العائد على المشغول عنه، والذي وصل إليه الفعل بواسطة حرف الجرّ (في) (بيداء) التي جاءت منصوبة، ولا يصح تقدير: (يلعب) في الديوان على أنّها مفعول به لفعل محذوف



ظاهرة الاشتغال في النحو العربي من خلال ديوان الأعشى الكبير...

وجوبا تقديره- مثلا-: (شاهدتُ)؛ لأنه قاصر، لا يصل إلى الاسم بنفسه، والجُملة الفعلية المضارعية: (يلعب بها) تفسيرية، لا محل لها من الإعراب.

ومن باب الاشتغال أيضا قول الأعشى من قصيدة يهجو فيها عمر بن عبد الله بن المنذر ابن عدان: **حَلَقْتُ بَرَبَ الرَّاقِصَاتِ إِلَى مَنْسَى \*\*\* إِذَا مَخْرَمٌ جَاوَزْتَهُ بَعْدَ مَخْرَمٍ (65)**

فالمشغول عنه قوله (مخرم)، والمشغول هو الفعل (جاوز)، والمشغول به هو ضمير الاسم السابق في قوله (جاوزته)، حيث إنَّ (الهاء) في (جاوزته) عائدة على (مخرم)، وقد شغِلَ الفعل بهذا الضمير؛ وعليه فإنَّ المشغول عنه (مخرم) واجب الرفع؛ لوقوعه بعد أداة الشَّرْطِ (إذا)، ويكون إعرابه مبتدأ مرفوعاً، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة والجُملة الفعلية: (جاوزنه) في محلِّ رفع خبر المبتدأ (66).

وقال الأعشى من قصيدة، فيما كان بينه وبين بني جدر: **وَأَهْلُ جَوْ أَتَتْ عَلَيْهِمْ \*\*\* فَأَقْسَدَتْ عَيْشَهُمْ فَبَارُوا (67)** فالمشغول عنه قوله (أهل جَوْ)، والمشغول هو الفعل (أتت)، والمشغول به هو الضمير في (عليهم) والذي يعود على المشغول عنه (أهل جَوْ)، وقد جاء المشغول عنه في الديوان مرفوعاً، على أنَّه مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، والجُملة الماضوية بعده (أتت عليهم) في محلِّ رفع خبر المبتدأ.

وقال الأعشى من قصيدة، يمدح فيها رجلاً من كندة: **عَرَاءُ تَبْهَجُ زَوْلَاةً \*\*\* وَالْكَفَّ زَيْبُهَا خِضَابُهَا (68)** فالمشغول عنه قوله (الكف) مرفوعة بالابتداء، والمشغول (زيب) فعل ماضٍ مبني على الفتح، والمشغول به (الهاء)، وهي ضمير متصل مبني على السكون في محلِّ نصب مفعول به، و (خضابها) فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، وهو مُضَافٌ و (الهاء) ضمير متصل مبني على الضم في محلِّ جر مضاف إليه، والجُملة الفعلية الماضوية في محلِّ رفع خبر المبتدأ (الكف). وقال الأعشى من قصيدة يخاطب فيها صاحبه (ميثاء): **دِيَارٌ لَمِيثَاءُ حَلَّتْ بِهَا \*\*\* فَقَدْ بَاعَدَتْ مِنْكُمْ دَارَهَا (69)**

فالمشغول عنه قوله (ديار)، والمشغول هو الفعل (حلَّتْ)، والمشغول به هو الضمير في قوله (بها)، ورجح الرَّفْعُ في المشغول عنه لخلوِّ جُملة الاشتغال من موجبات النصب، أو مرجحاته، أو موجبات الرفع.

إذن لا تكون جُملة الاشتغال الفعلية مفسرة إلا حين يكون الاسم السابق (المشغول عنه) منصوباً. وكما ورد في الشرح، إذا وقع المشغول عنه بعد أداة لا يليها إلا الفعل؛ وجب نصب المشغول عنه، و لا يجوز رفعه على الابتداء، وإنما يجوز رفعه على أنه فاعل مرفوع لفعل محذوف، نحو قوله تعالى: **{وَأَنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ} (70)**، فكلمة (أحد) في الآية الكريمة فاعل لفعل محذوف، يفسره الفعل المذكور بعده والتقدير- والله أعلم- (وإن استجارك أحدٌ من المشركين استجارك) (71) وفي هذه الحالة فالمسألة ليست من باب الاشتغال.

الخاتمة

وفي الختام نصل إلى أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

1 باب الاشتغال من الأبواب النحوية التي ظهرت فيها على نحو جليِّ سطوة العامل، ومال فيه النحاة إلى نُصرة الصنعة النحوية على المعنى، فراعوا الرتبة، وراعوا اختصاص الأدوات وأكثروا من التقديرات جبراً لخروق القواعد النحوية.

ظاهرة الاشتغال في النحو العربي من خلال ديوان الأعشى الكبير...

- 2 إنَّ معنى التوكيد من المعاني التي لا تتفك عن كل جملة بها اشتغال لأن الاشتغال يُعدُّ في قوة تكرار الجملة على رأي الجمهور.
- 3 يظهر من خلال هذا البحث أنَّ أكثر القواعد دوراناً في الاستعمال هي رجحان الرفع حيث ترجَّح الرفع في أربعة شواهد من أصل ثمانية، وهذا يؤيده مبدأ عدم الإضمار أولى من الإضمار .
- 4 لا تكون جُملة الاشتغال الفعلية مفسرة إلا حين يكون الاسم السابق (المشغول عنه) منصوباً .
- 5 إذا وقع المشغول عنه بعد أداة لا يليها إلا الفعل؛ وجب نصب المشغول عنه، ولا يجوز رفعه على الابتداء، وإثما يجوز رفعه على أنه فاعل مرفوع لفعل محذوف.
- 6 من الدلالات التي يُؤدِّيها الاشتغال أن تفرق بين الإخبار عن الفاعل وتعيين المفعول به، وبين الإخبار عن المشغول عنه .
- 7 كما أفاد الاشتغال التوكيد فإنه يفيد الاختصاص، وذلك إذا قُدِّرَ المحذوفُ بعد المشغول عنه .

ظاهرة الاشتغال في النحو العربي من خلال ديوان الأعشى الكبير...

الهوامش:

- 1 كتاب المصون، أبو أحمد العسكري، ص 136، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، الكويت، 1984م.
- 2 معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، أبو الفتح العباسي، 196/1، (تحقيق: محمد محبي الدين، عالم الكتب، بيروت).
- 3 ينظر: تجريد الأغاني، لابن واصل الحموي، 1044،، 1045 (القسم الأول، تحقيق د. طه حسين، وإبراهيم الأبياري).
- 4 ينظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة: (عشا)، ( الطبعة الثالثة، سنة 1414هـ، دار صادر، بيروت)
- 5 ينظر: المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم للأمدّي، ص13، (تحقيق الدكتور: ف. بكرنكو، الطبعة الأولى، 1991، دار الجيل، بيروت).
- 6 ينظر: ديوان الأعشى الكبير، ص17، (شرح وتعليق: د. محمد محمد حسين، الطبعة السابعة، 1983، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان)، ومختارات من روائع الأدب في الجاهلية وصدر الإسلام، د. عبد السلام سرحان، ص68.
- 7 تجريد الأغاني، 1044 /1.
- 8 معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، أبو الفتح العباسي، 196/1، (تحقيق: محمد محبي الدين، عالم الكتب، بيروت)
- 9 المصدر السابق، 198/1.
- 10 ديوان الأعشى الكبير: 55، الوجي: من يجد ألما في رجليه إذا مشى. الوحل: الماشي في الوحل، ينظر لسان العرب: مادة(وجي) ومادة:(وحل).
- 11 المصدر السابق: 57.
- 12 المصدر نفسه: 63.
- 13 ينظر: تجريد الأغاني، 1045
- 14 قهوة مزة: الخمر. الراوق: الإناء الذي تروق فيه الخمر، خضل: مخضل بالندى، لسان العرب، مادة (مزز) ومادة(خضل).
- 15 ديوان الأعشى الكبير، 105، والأبيات من البحر البسيط.
- 16 المصدر السابق، 229، بانقيا: من نواحي العراق، والبيت من البحر البسيط.
- 17 المصدر نفسه، 91، أورشلم: بيت المقدس بالعبرية، النبيط: رهط من الأعاجم كانوا يسكنون العراق، والبيت من البحر المتقارب.
- 18 مختارات من روائع الأدب، د. عبد السلام سرحان، 120.
- 19 ديوان الأعشى الكبير، 185، والبيت من البحر الطويل.
- 20 تجريد الأغاني، 105، وديوان الأعشى، 9.
- 21 ديوان الأعشى الكبير، 109، والبيت من البحر البسيط.
- 22 ينظر: تاريخ آداب اللغة العربية، جورج زيدان، 109/1، مراجعة وتعليق: د. شوقي ضيف، دار الهلال، القاهرة.
- 23 ديوان الأعشى الكبير، 275، تشبُّ: توقد، أي: النار، المقرور: من أصابه البرد، ينظر لسان العرب مادة(شيب) ومادة(قرر) والبيت من البحر الطويل.

ظاهرة الاشتغال في النحو العربي من خلال ديوان الأعشى الكبير...

- 24 المصدر السابق، 185 والأبيات من البحر الطويل.
- 25 المصدر نفسه
- 26 كان الأعشى يكنى أبا بصير بباعث التلطف، أو التقاؤل والإعجاب بتوقد بصيرته، ينظر: المصدر السابق، 60.
- 27 ينظر: تجريد الأغاني، 1049، والشعر والشعراء لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة 1/179، 178، تحقيق: أحمد محمد شاكر، 1423هـ، دار الحديث، القاهرة، مصر.
- 28 ينظر: تاريخ آداب اللغة العربية، جورج زيدان، 118/1.
- 29 ينظر: المصدر السابق: 119/1.
- 30 ينظر: ديوان الأعشى الكبير، 3.
- 31 ينظر: عيسى بن عمر النقيي نحوه من خلال قراءته، صباح عباس السالم ص 228 - 229 منشورات الأعلمي دار التربية بغداد .
- 32 الكتاب: 81/1
- 33 فصلت: الآية(17).
- 34 الكتاب: 81/1
- 35 إعراب القرآن الكريم لأبي جعفر النحاس، 490/1، تحقيق زهير غازي، مطبعة العاني، بغداد، 1977م.
- 36 المفصل في علم اللغة للزمخشري ص75، تحقيق علي بوملحم، مكتبة الهلال، ط الأولى، بيروت، 1993م.
- 37 القمر: الآية:(24)
- 38 المقتضب: للمبرد محمد بن يزيد أبو العباس، 74/2، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، القاهرة، 1994م .
- 39 الجمل: لأبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي، 39/1، تحقيق علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، بيروت، 1984م
- 40 شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، 100/2، ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، تأليف محمد محي الدين عبد الحميد، ط14، المكتبة التجارية الكبرى، مصر 1384هـ-1964م .
- 41 قطر الندى وبل الصدى، لابن هشام الأنصاري، ص 192، ومعه كتاب سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر الندى، تأليف محمد محي الدين عبد الحميد، ط11، دار وهران للطباعة والنشر، 1963م، ويُنظر: الكتاب 81/1.
- 42 السببي: كل شيء له صلة وعلاقة بذلك الاسم الذي شُغل الفعل عنه، وقد تكون الصلة صلة قرابة، أو صداقة أو عمل، أو غير ذلك مما يكون فيه جمع وارتباط بين الاسمين، يُنظر: شرح شذور الذهب، 192، والنحو الوافي،، 124/2.
- 43 النحو الوافي، عباس حسن، 127/2. ط12، دار المعارف، مصر، لات.
- 44 يُنظر: محمد عيّد، 693-694. مكتبة الشباب، القاهرة، 1975م.
- 45 الإيضاح في علل النحو لأبي القاسم الزجاجي، ص 136 — 137، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس بيروت الطبعة الثالثة 1399هـ 1979م .
- 46 يُنظر: أوضح المسالك، 135/2، والنحو الوافي،، 129/2.

ظاهرة الاشتغال في النحو العربي من خلال ديوان الأعشى الكبير...

- 47 يُنظر: أوضح المسالك، 135/2، والنحو الوافي، 129/2 وشرح شذور الذهب، 371، وقطر الندى، 192، وسيبويه، 81/1.
- 48 يُنظر: المراجع السابقة. بالهامش 43.
- 49 يُنظر: شرح قطر الندى، 193، والنحو الوافي، 129/2.
- 50 يُنظر: معجم الشوارد النَّحوية والفوائد اللغوية، محمد محمد حسن شرابي، ص 80، ط1، دار المأمون للتراث، بيروت 1413 هـ-1990م.
- 51 يُنظر: قطر الندى، 193، والنحو الوافي، 133/2.
- 52 النحو الوافي، 131/1.
- 53 سورة القمر، الآية: 24.
- 54 قطر الندى، 193.
- 55 يُنظر: النَّحو المصقى، 697.
- 56 يُنظر: المصدر السابق، 697.
- 57 ديوان الأعشى الكبير، 127، والبيت من البحر الطويل.
- 58 يُنظر: أوضح المسالك، 135/2.
- 59 سورة الرعد، من الآية: 23.
- 60 يُنظر: قطر الندى، 196.
- 61 ديوان الأعشى الكبير، 93، والبيت من البحر المتقارب.
- 62 المصدر السابق، 121، الأرام: حجارة تنصب في الصحراء ليهتدي بها المسافرين، لسان العرب مادة(أرم) والبيت من البحر المتقارب.
- 63 مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني، ص 103، دار الفكر الطبعة الأولى 1411 هـ.
- 64 ديوان الأعشى الكبير، 147، والبيت من البحر المتقارب.
- 65 المصدر السابق 173. المخرم: منقطع أنف الجبل، لسان العرب مادة(خرم) والبيت من البحر الطويل.
- 66 يُنظر: النحو الوافي، 139/2.
- 67 ديوان الأعشى الكبير، 331، والبيت من بحر مجزوء البسيط.
- 68 المصدر السابق، 373. الزول: من معانيها الشخص الخفيف الظريف، لسان العرب مادة(زول) والبيت من مجزوء الكامل المرفل.
- 69 المصدر نفسه، 367، والبيت من البحر المتقارب.
- 70 سورة التوبة، من الآية: 6.
- 71 يُنظر: النحو الوافي، 194/2.

## المحددات الاجتماعية للمرض المهني الصدري وآليات المواجهة دراسة سوسولوجية على الأمراض الصدرية

د / حواء الشيباني محمد الذيب  
كلية الآداب / جامعة طرابلس

### مقدمة:

يتعرض أعداد هائلة من العاملين بأحاء الكرة الأرضية إلى الإصابات والأمراض المهنية، والتي قد تؤدي بحياة بعضهم، كما يصاب البعض الآخر بآفات مستديمة تؤدي إلى تقاعدهم عن مزاولة نشاطهم في مجالات الإنتاج، ويترتب على ذلك زيادة الحوادث والإصابات المهنية<sup>(1)</sup> وتعتبر القوة البشرية في أي مجتمع من المجتمعات من أهم محاور تقدمه وتطوره، وتواجه بلادنا تحدياً كبيراً يتمثل في كيفية تحويل العنصر البشري من عنصر يشكل عبئاً على التنمية إلى عنصر يكون هو الدافع لعملية التنمية<sup>(2)</sup>

وعلى هذا تتأكد يوماً بعد يوم العلاقة الوثيقة بين صحة الأفراد أو مرضهم وبين الواقع الاجتماعي الذي يعيشونه؛ إذ توجد علاقة متداخلة بين صحة الإنسان ومرضه وبين الظروف البيئية والاجتماعية التي تمثل محيطه الذي يتواجد فيه؛ حيث باتت الحاجة أكثر إلحاحاً في الأخذ في الحسبان العديد من العوامل الاجتماعية التي تلعب دوراً مباشراً أو غير مباشر في ما يتعرض له الأفراد من أمراض أو ما يتوفر لهم من معطيات اجتماعية تجعلهم أكثر تمتعاً بالصحة بمفهومها الجسمي والمعنوي، وإن تقدم الرعاية الصحية وعلاج المرض يرتبطان دون ريب بتقدم المجتمع وتحوله من التخلف إلى الرقي، وهذا يعني ارتباط فعاليات التعامل مع الصحة والمرض بمستوى معيشة الأفراد ونوعية سكنهم من حيث توفر المرافق كالصرف الصحي والمياه الصالحة للشرب والتهوية وغيرها وقيمة الدخل ومدى الاستجابة لتوفير متطلبات المعيشة المناسبة واللائقة، وبزيادة الوعي الاجتماعي والغذائي والصحي والبيئي<sup>(3)</sup>

وفي هذا السياق تشير العديد من الأدبيات ذات العلاقة إلى أن ظاهرة المرض لا يمكن تفسيرها فقط بعوامل طبية؛ بل لا بد من الأخذ في الاعتبار العوامل الاجتماعية والاقتصادية والنفسية واختلقت الهيئات العلمية والقانونية والدولية في تعريف المرض المهني، ولم يصلوا بعد إلى اتفاق عام؛ فقد نصت التوصية الدولية رقم 67 لسنة 1944 التي أقرتها هيئة العمل الدولية على أن المرض المهني هو كل مرض تكثر الإصابات به بين المشتغلين في مهنة ما دون غيرهم<sup>(4)</sup> وبناءً على ذلك، يقصد بمرض المهنة أي خلل في الوظائف الجسمانية والنفسية الذي يتعرض له الشخص بسبب ممارسته لمهنة ما، وقد يكون هذا المرض مستديماً يستعصي علاجه وقد يكون وقتياً ينتهي بالعلاج أو بتغيير المهنة<sup>(5)</sup>

فقضية الصحة والتنمية تختلف تبعاً لترتيب الدول، إما أن تكون في بلاد العالم الثالث أو تكون في البلاد الغربية المتقدمة؛ حيث أشار (ميردال) على فكرة أساسية، وهي أنه لا ينبغي أن تفهم الصحة بمعزل عن العوامل الأخرى المتصلة بعملية التنمية؛ لأن الصحة تؤثر على العوامل الاجتماعية والاقتصادية المختلفة كما تتأثر هي ذاتها بهذه العوامل. وهذه العوامل هي: الدخل، ومستويات المعيشة، والتغذية. فعلى سبيل المثال: وصلت نسبة التغيب للمصابين بحمى الملاريا في إحدى مناطق الفلبين إلى 35% من إجمالي القوى العاملة، وقد انخفضت هذه النسبة إلى أقل من 4% بعد إدخال برنامج مكافحة الملاريا<sup>(6)</sup>

### المحددات الاجتماعية للمرض المهني الصدري...

فعلى المستوى العالمي، يمثل اليوم العالمي للسلامة والصحة في مكان العمل حملة دولية سنوية لتعزيز بيئة عمل لائقة وصحية وأمنة. وتُدشن الحملة في 28 نيسان / أبريل من كل عام. وهذا اليوم الذي ربطته الحركة النقابية في العالم بذكرى ضحايا الحوادث والأمراض المهنية. وعلى الصعيد العالمي، تنصدر الأمراض المهنية الأسباب المؤدية إلى الوفاة في أماكن العمل.<sup>(7)</sup> وبحسب تقديرات منظمة العمل الدولية، لا يتجاوز عدد الحوادث العرضية 321 ألف حادثة من إجمالي 34،2 مليون حالة وفاة أثناء العمل، في حين أن الـ 02،2 مليون حالة المتبقية تسببها أمراض متصلة بمختلف الأعمال، وهو ما يعني 5500 حالة وفاة يوميًا. وهو ما يعد عجزًا مرفوضًا في توفير العمل اللائق.

أما على المستوى الدولي، فهناك انعكاسات كثيرة للأمراض المهنية على العمل، مثل: التزامات المؤسسة وما يترتب عليها من نقص في الأيدي العاملة؛ نتيجة لتعطل العمال بسبب المرض، وكذلك زيادة التكلفة الطبية للعلاج، ودفع تعويضات عن الإصابات، والإجازات المرضية التي يترتب عليها انخفاض الإنتاج وجودته. إن التطور التقني الذي شهده العالم وما صاحبه من تطور الصناعات نتج عنه كثير من المخاطر التي ينبغي على الإنسان إدراكها وأخذ الحذر والحيطه من الوقوع في مسبباتها، ولا تلقى اللوم كله هنا - على التطور الصناعي؛ فقد تلعب ظروف العامل الصحية والنفسية دورًا في زيادة المخاطر وتدل الإحصاءات السنوية الصادرة عن المنظمات الدولية بأن 110 مليون عامل يتعرضون لإصابات مختلفة، 180 ألف إصابة منها تؤدي للوفاة. وبذلك يكون معدل الإصابات أربع إصابات عمل كل ثانية، وحادثة خطيرة كل ثلاث دقائق.<sup>(8)</sup>

وتأسيساً لما سبق فإن هذه الدراسة تتناول ثلاث مباحث يهتم المبحث بالخلفية التصورية بمشكلة الدراسة وأهميتها وأهدافها ونسأولاتها ومفاهيمها الرئيسية، ويهتم المبحث الثاني بالمشكلة البحثية في أدبيات العلم السوسولوجي، أما المبحث الثالث خصص لنتائج الدراسة وتوصياتها.

#### المبحث الأول: الخلفية التصورية لمشكلة الدراسة وأهميتها

##### أولاً: مشكلة الدراسة :

تعتبر القوة البشرية في أي مجتمع من أهم محاور تقدمه وتطوره ، وتواجه بلادنا تحديًا كبيرًا يتمثل في كيفية تحويل العنصر البشري من عنصر يشكل عبئًا على التنمية إلى عنصر يكون هو الدافع لعملية التنمية، ويشهد المجتمع الليبي تغييرًا كبيرًا في نمط العمل وأسواق العمل علي المستوى الحكومي الرسمي و على مستوى القطاع الخاص الغير الرسمي ، وتأثير ذلك على مستوى معيشة الأفراد العاملين في قطاع الإنتاج ، إضافة لتغيرات في أنماط المعيشة الناتجة عن مؤثرات الدولية (وخاصة بعد ثورات الربيع العربي) .

تتألف قوة العمل في دولة ليبيا من السكان الناشطين من جميع الأفراد الذكور والإناث الذين بلغت أعمارهم 18 سنة فما فوق. كما يعد توفير بيئة عمل آمنة من مخاطر الصناعات المختلفة ورفع مستوى كفاءة وسائل الوقاية سيؤدي بلا شك إلى الحد من الإصابات والأمراض المهنية وحماية العاملين من الحوادث، كما أن المرض المهني ينشأ عن التعرض في العمل لمخاطر، مثل: التسمم أو التعرض لغبار أو أبخرة بعض المواد الضارة، مثل: الاسبتوس، والزئبق، والرصاص أو التعرض للضوضاء التي تصيب العامل بالصمم المهني.

وقد أوضحت العديد من الدراسات أن العمال يتعرضون لمخاطر عديدة تستلزم ارتداء ملابس واقية معينة وتغييرًا أو تصحيحًا لبيئة العمل. وتشمل إصابات العمل المهنية بعض الأمراض التي تصيب الرئتين أو بعض الأجزاء الأخرى من الجسم أو ضعف حاستي السمع والبصر أو فقد أيهما بسبب العوامل البيئية المصاحبة للعمل. ومع أنه لا يوجد إصابة جراحية في مثل تلك الحالات إلا

### المحددات الاجتماعية للمرض المهني الصدري ...

أنها تعتبر إصابة عمل إذا كان لها علاقة بالعمل<sup>(9)</sup> على المستوى المحلي، فإن انتشار مرض السل الرئوي بشكل متزايد في ليبيا قد بلغ في عام 2000 نحو 745 حالة من مرضى السل الرئوي، وتساءلت منظمة الصحة العالمية (WHO) عن أسباب تزايد عدد حالات السل الرئوي في ليبيا على اعتبار أن ليبيا دولة غنية، ومن هنا تستمد الدراسة الحالية أهميتها كونها محاولة لتقديم إسهام نظري يكشف عن أكثر الأمراض الصدرية انتشاراً في العمل بالقطاع غير الرسمي. تعتمد في لبها على عمال القطاع غير الرسمي، والتعرف على الأمراض المهنية التي يصابون بها خاصة الأمراض الصدرية وانعكاساتها على صحة العاملين والتعرف على الأسباب والآثار الاجتماعية والاقتصادية والبيئية الناتجة عن الأمراض المهنية لدى عمال القطاع غير الرسمي. كما تحاول الدراسة الكشف عن المعوقات التي تواجه هؤلاء العمال في الحصول على الرعاية الصحية من التأمين الصحي، مع وضع رؤية مستقبلية لتفعيل التوعية سعياً لتجنب التعرض للإصابة بالأمراض المهنية الصدرية.

#### ثانياً: أهداف الدراسة:

1. التعرف على الآثار الاجتماعية للمرض المهني الصدري.
2. التعرف على الآثار المترتبة على المرض المهني على (الفرد - الأسرة - بيئة العمل).
3. آليات مواجهة العمال للمرض المهني الصدري.

#### ثالثاً: تساؤلات الدراسة:-

- 1-ما انعكاسات الإصابة بالمرض المهني الصدري على الفرد والأسرة وبيئة العمل؟
- 2-ما مدى تأثير التلوث في بيئة العمل على معدلات الإصابة بالأمراض المهنية؟
- 5-ما آليات المواجهة لعمال القطاع غير الرسمي للمرض الصدري المهني؟
- 6-كيف يمكن الحد من انتشار الأمراض الصدرية بين عمال القطاع غير الرسمي؟

#### رابعاً: مفاهيم الدراسة:

تتبلور المفاهيم في الدراسة الحالية حول أربعة مفاهيم رئيسية هي: (المرض، والمرضى المهني، والمهنة، والقطاع غير الرسمي) وفيما يلي عرض لكل مفهوم من هذه المفاهيم.

- **المرض Disease** : حاول " يونج " أن يميز ثلاثة مصطلحات، هي: المرض **Sickness**، والمرضى **disease**، والعلّة **illness**، والمصطلح الأول: مصطلح شامل يشير إلى جميع الأحداث التي تنطوي على اعتلال الصحة، سواء كان هذا الاعتلال مرضاً **disease** أو علّة **illness**، أما المصطلح الثاني **disease** فيشير إلى الحالات المرضية للكائن الحي، بصرف النظر عن الإدراك الثقافي والنفسي لهذه الحالات، ويشير المصطلح الثالث **illness** إلى التعريف الثقافي والاجتماعي أو الإدراك الحسي والخبرات المرتبطة بالمرض، ويتضمن هذا المصطلح بعض الحالات المرضية التي يمكن أن تعد أمراضاً (وفق التعريف الطبي)، وغيرها من الحالات التي ليست مصنفة كأمراض وفقاً للتعريف الطبي (الرسمي) للحالات المرضية<sup>(10)</sup>

وإن المرض هو اضطراب الصحة البدنية أو العقلية. وتلعب العوامل الاجتماعية دوراً مهماً في أحداث كثير من الأمراض، وقد يكون تأثير هذه العوامل مباشراً أو غير مباشر في زيادة أو نقص احتمالات المرض<sup>(11)</sup>.

كذلك تعتبر العوامل الاجتماعية من العوامل الحاسمة في توزيع كثير من الأمراض كما تتغير ظاهرة المرض تبعاً للمناطق الجغرافية، وتنطوي تحت معدلات تغير هذه الظاهرة أحوال اقتصادية وثقافية تؤثر تأثيراً شديداً على البيئة التي تسبب مرض الفرد ومدى تعرضه للمرض واستعداده له.



المحددات الاجتماعية للمرض المهني الصدري...

- **المرض المهني: Occupational diseases** تعرف بأنها تلك الأمراض التي تنشأ عن العمل وسببه، والتي تنشأ بسبب التعرض لعوامل بيئية مصاحبة للعمل ويستلزم للحد منها إجراء فحص أولي للعامل قبل التحاقه بالعمل فضلاً عن ضرورة الفحص الدوري للوقوف على أية تطورات تلحق بالأوضاع الصحية للعامل، مما يعني احتمال إصابته بمرض معين وذلك لسرعة التدخل، والعلاج المبكر. وقد أوضحت العديد من الدراسات أن العمال يتعرضون لمخاطر عديدة تستلزم ارتداء ملابس واقية معينة وتغييراً أو تصحيحاً لبيئة العمل. وهو المرض الذي ينشأ نتيجة اشتغال العامل في مهنة أو صناعة تسبب هذا المرض ولا يرجع إلى عوامل خارجية عن عمله وتتضمن تشريعات العمل عادة أحكاماً تتعلق بالتبليغ عن الأمراض المهنية وعلاجها والتعويض عنها.<sup>(12)</sup>
- **المهنة: Occupation:** المهنة هي نوع العمل الذي يقوم به الفرد، بغض النظر عن الصناعة التي يتم فيها هذا العمل وعن مركز وظيفة الفرد.<sup>(13)</sup> كما تعني المهنة شكلاً تنظيمياً على بعض الأجهزة التنظيمية المركزية؛ لكي تتأكد من مستويات أداء الأعضاء الأفراد، وميثاق العمل، وإدارة دقيقة للمعرفة في علاقتها بالخبرات التي تشكل قاعدة الأنشطة المهنية، وأخيراً السيطرة على إعداد الملتحقين الجدد واختيارهم وتدريبهم بها. أما التوجه نحو العمل من جانب المهني فيفترض أنه ينطوي على اهتمام شامل بالإشاعات الداخلية وأداء المهام، ويقتزن عادة بالخدمات الشخصية التي تنطوي على السرية والدرجة العالية من الثقة، كما هي الحال في الطب والتعليم والدين والقانون. وفي إطار علم اجتماع العمل وعلم اجتماع التنظيم، يقابل بين المهنة والبيروقراطية وما يطلق عليه العقلية البيروقراطية.<sup>(14)</sup>
- **القطاع غير الرسمي: Informal Sector:** ومن فحص التراث العلمي نجد أن مفهوم القطاع غير الرسمي قد احتل مكانة أساسية في فكر "هارت" k.Hart في أوائل السبعينات؛ حيث أوضح هارت أن الاستخدام في القطاع غير الرسمي حر، بينما في القطاع الرسمي مؤجر، كما يوفر القطاع غير الرسمي وسائل العيش للقدامين الجدد إلى سوق العمل الحضري، الذين يشعرون بنقص الفرص والتدريب غير قادرين على إيجاد أماكن للعمل في القطاع الرسمي. ثم بدأ تناول المفهوم في العديد من الدراسات، والتقارير التي أنجز الكثير منها من خلال المنظمة ذاتها. فنجد "ويكس" قد حلل القطاع غير الرسمي في علاقته بالتغير التكنولوجي والدولة، مبيهاً أهميته في توفير السلع والخدمات للجماعات السسيو-اقتصادية ذات الدخل المنخفض واستخدامه للتكنولوجيا المحلية والعمل الكثيف؛ فضلاً عن ارتفاع معدل التراكم فيه بقدر يفوق مثيله في القطاع الرسمي. وهذه هي فكرة تطوير هذا القطاع غير الرسمي بغرض التحول نحو استراتيجية تصنيعية تعتمد على العمل الكثيف.<sup>(15)</sup>
- ويرى "توكمان" Tockman و"سوزا" Souza أن القطاع غير الرسمي يشير لمجموعة من الأشخاص والمستخدمين في المشروعات الصغيرة والعاملين بالأنشطة غير النظامية التي تفقد التحديد الواضح بين العمل ورأس المال؛ بينما تعد الأجور غير مجزية مادياً وتراجع التشريعات الاجتماعية عن رفع معدلات الأجور الدنيا في الوقت الذي تستخدم فيه التكنولوجيا التقليدية التي بطل استعمالها؛ فإن القطاع غير الرسمي يضم الشريحة الدنيا في المجتمع الحضري التي تضم الخدمات الشخصية والأعمال العرضية والعمال الذين يشتغلون بأنفسهم والعمال في المشاريع الصغيرة الذين تقل أجورهم عن أقرانهم في القطاع النظامي.<sup>(16)</sup>

### المحددات الاجتماعية للمرض المهني الصدري ...

أما " مزيمدار "Mazumdar فقد دعم طروحات " ويكس "Weeks؛ حيث اهتم بتطوير مدخل آخر يقوم على ثنائية ترتبط بسوق العمل الحضري؛ حيث أطلق على القطاع الرسمي القطاع المحمي، وعلى القطاع غير الرسمي غير المحمي. ويذكر " هانسن " K.T.Hansen أن هذا القطاع غير الرسمي في الحضر يتضمن كذلك العاطلين ومن هم تحت سن العمل، وفقراء الحضر، وحتالة البروليتاريا، والحشود الهامشية من الفقراء والمهاجرين للمدن. ومما تجدر الإشارة إليه عن هذا القطاع أنه يتضمن الإنتاج السلعي والخدمي المقدم لأصحاب الدخول المنخفضة، فهو يظهر كاستجابة للفقر الريفي والهجرة الريفية الحضرية، كما أنه يتيح الفرصة لعمل النساء كذلك لمساعدة أسرهن الفقيرة، وفي الهند يتشكل هذا القطاع غير الرسمي من الشرائح السكانية المنخفضة الدخل؛ حيث تتنوع الضغوط التي تمنعهم من تحسين مستواهما الاقتصادي.<sup>(17)</sup>

#### المبحث الثاني: المشكلة في أدبيات العلم السوسولوجي.

إن الأمراض المهنية الصخرية كان لها مكانة نظرية بارزة في علم الاجتماع وغيره من العلوم الإنسانية الأخرى؛ حيث ركزت العديد من النظريات والدراسات على الأمراض المهنية الصخرية باعتبارها من أهم الأمراض التي يصاب بها العمال. وإن البحوث والدراسات السابقة هي جهود علمية وراثاً مرجعياً توجه البحث وتساعد في دراسته.

#### أولاً:- بعض النظريات المفسرة للأمراض المهنية

**1- نظرية " كارل ماركس " Karl Marx:-** يتميز المدخل الماركسي بأنه يركز على التناسب بين المداخل المختلفة لموضوع الصحة وحاجات المجتمع واهتمامات الطبقة الحاكمة. ويرى المحللون الماركسيون أن النموذج الطبي الحيوي قد تشكل بتأثير من النظامين الاقتصادي والسياسي الذي وجد في ظلهم، وقد أدرك الماركسيون أهمية العلاقة بين احتياجات النظام الاقتصادي والصحة كقيمة اجتماعية. فالمجتمع الرأسمالي يضع من بين أهدافه الأساسية ضرورة الحفاظ على أفراد القوى العاملة متمتعين بالصحة P لكي يؤدوا الأدوار المنوطة بهم في نطاق العمل. ويرى الماركسيون أن الوظيفيين يعرفون الصحة تعريفاً محدوداً يتركز على قدرة الأفراد على الوفاء بالالتزامات الواقعة على عاتقهم تجاه النسق الاجتماعي لتحقيق عملية التراكم الرأسمالي.

وفي هذا السياق، يرى " كلمان "(kelman) أن السكان يكونون متمتعين بأفضل حالة صحية لهم من الناحية الوظيفية إذا كان مقدار الزيادة في الموارد الاقتصادية التي وجهت إلى مجال الصحة قد أسهم في زيادة نسبة الإنتاج الكلية للمشروع بنسبة أكبر. بعبارة أخرى، تقاس جودة الحالة الصحية للأفراد في المجتمع الرأسمالي بمقدار زيادة العائد الاقتصادي الذي يتحقق نتيجة توجيه كم من الموارد الاقتصادية للإنفاق في المجال الصحي. فالرعاية الصحية تتميز بأنها نفعية وغايتها ازدهار النظام الاقتصادي. وفيما يتعلق بالمعرفة الطبية يشترك المدخل الماركسي مع أصحاب مدخل بناء التصورات الاجتماعية عن المرض والصحة في النظر إلى المعرفة الطبية على أنها نتاج القوى الاجتماعية وليست شكلاً من أشكال المعرفة التقنية التي لا ترتبط بحقبة زمنية معينة.

ويفسر " نافرو " (Navarro) أن تجاهل المدخل الطبي - الحيوي لمتابعة تأثير العوامل الاجتماعية بما يتطلبه من رصد هذه العوامل ودورها في حدوث الأمراض من نفعات ضخمة يترتب عليها ارتفاع تكلفة الإنتاج الصناعي وهو أمر غير مرغوب فيه في المجتمع الرأسمالي.<sup>(18)</sup>

كما أن تتبع العوامل البيئية والملوثات الصناعية وأخطار المهنة في علاقتهم بالمرض أمر يحتاج إلى تخصيص موارد ضخمة لكي يتم بنجاح، ويرى أصحاب رؤوس الأموال أن عمليات الإنتاج

المحددات الاجتماعية للمرض المهني الصدري...

الرأسمالي أحق بهذه الموارد. والواقع أن هذا التوجه لدى الرأسماليين هو ما يفسر ضعف وعدم فاعلية الإجراءات التي تتخذ للقضاء على التلوث الصناعي وللارتفاع بمستويات الصحة العامة والسلامة في المصانع، في الوقت الذي ينصب اهتمام أصحاب رؤوس الأموال على نشر برامج التعليم الصحي؛ لأنها تؤكد على مسؤولية الأفراد عن صحتهم وتشجيعهم على تغيير نمط حياتهم وتكون العادات الصحية السليمة، مثل: تناول الوجبات المتكاملة والمواظبة على التمرينات الرياضية ونيل قسط من الراحة والاسترخاء والابتعاد عن التدخين والإقلاع عن تعاطي المخدرات وشرب الخمر. فالفرد هو الذي يوجه إليه اللوم إذا ساءت حالته الصحية وهذا يعني تغييب العوامل الاجتماعية والبيئية والسياسية للمرض وتجاهل أهميتها. (19)

كما اهتم أصحاب الاتجاه الماركسي - مثل " هانسن " بالجذور التاريخية الاقتصادية للقطاع غير الرسمي، وتحول الصناعات، في محاولة لتحليل أنماط الإنتاج في علاقتها بمراحل مختلفة من مراحل الرأسمالية، وتفاعل أنماط الإنتاج الرأسمالي وما قبل الرأسمالي، وتأثير ذلك على نمو القطاع غير الرسمي، الذي تعد خصائصه انعكاساً لهذا التفاعل؛ حيث يحتفظ ببعض خصائص الإنتاج العائلي والمعاشي، والإنتاج السلعي الصغير جنباً إلى جنب مع تأثره بالفن الإنتاجي للرأسمالية ورسم العلاقات الإنتاجية وتركز الثروة، مما يخلق رديفاً لسوق العمل لا يجد مكانه في القطاع الرسمي، وإن كان هذا الرديف يتأثر ببعض خصائص الرأسمالية، فنجد بعض خصائص العمل المأجور في الرأسمالية داخل القطاع غير الرسمي. وبهذا يمكن القول: إن القطاع غير الرسمي اتسع وتطور كمياً نتيجة لتفاعل خصائص أنماط إنتاج ما قبل الرأسمالية، ونمط الإنتاج الرأسمالي المشوه التابع لرأسمالية المركز. (20)

2- نظرية الضغط والتكيف: Adjustment stress theory: تؤكد هذه النظرية

على أهمية طبيعة بيئة العمل ومناخ العمل working dim ate كعامل محدد وأساسي للحوادث، وتبعاً لهذه النظرية؛ فإن العامل الذي يقع تحت ظروف الضغط والتوتر stress ويكون أكثر عرضة لmare liable للتورط في الحوادث عن العامل المتحرر من الضغط والتوترات<sup>1</sup>. فالضغوط الزائدة التي يتعرض لها العامل في بيئة عمله والتي لا يستطيع أن يتحملها ويتكيف معها، تؤدي دوراً مؤثراً في عدم تركيز العامل في أداء مهام عمله بالشكل المطلوب، فضلاً عن إمكانية تعرض العامل للإصابة الناجمة عن فقدانه هذا التركيز. أيضاً توضح هذه النظرية أن هناك تأثيراً سلبياً غير عادي يقع على العامل ليزيد من احتمال تعرضه للحوادث أو الإصابات أو أيسلوك آخر مساو تماماً لهذا التأثير كماً ونوعاً وشدته، وتعد هذه النظرية منافية؛ لأن البيئة تنقسم إلى بيئة داخلية وبيئة خارجية وهناك ضغوط سلبية متعددة تفرض على الكائن العضوي؛ فالضغوط الواقعية على الكائن من البيئة الداخلية هي مرضى الأعضاء، والكحوليات والمخدرات، والأشياء السامة، والضغوط الواقعة من البيئة الخارجية تتركز في تزايد الحرارة والإضاءة أو انخفاضها أو عدم ملاءمتها للبيئة الصناعية، وزيادة مستوى الضوضاء، وزيادة العمل الجسماني. (21)

ويستمد الواقع لهذه النظرية في أعمال القطاع غير الرسمي وخاصة الشاقة منها والتي تتعرض لمخاطر عديدة منها من البيئة الداخلية التي يتعرض فيها العاملون لجرعات عالية مع قصر مدة تعرضهم، وهذا من خلال طبيعة العمل التي يزاولها هؤلاء العمال وما يترتب عليها من إصابتهم بأمراض خطيرة، قد تؤدي إلى عجزهم تماماً أو الموت، وكما يعد الإدمان أيضاً من القضايا المحورية؛ لأنه منتشر بين الغالبية العظمى لعمال القطاع غير الرسمي. وإن تلوث بيئة العمل الخارجية تنقسم إلى مادية (كالهواء، والماء، والتربة) وغير مادية (كالضوضاء) وهنا يتعرض

### المحددات الاجتماعية للمرض المهني الصدري ...

العامل لجرعات منخفضة مع طول فترة التعرض كالملوثات الكيميائية والفيزيائية والبيولوجية؛ مما يؤدي إلى ارتفاعا حتما لإصابتهم بالأمراض المهنية المختلفة. (22)

#### ثانيا - بعض الدراسات السابقة

سوف تحاول الباحثة التركيز علي أهم الدراسات السابقة التي اهتمت بدراسة الأمراض المهنية، وقد اختلفت تلك الدراسات فيما بينها في أهدافها الفرعية ومجتمعاتها البحثية التي زادت في تنوع ثري لمحتواها ونتائجها وتوصياتها.

#### 4- دراسة هبة الله سعد طلب (2014) الضرر ألتأكسدي والتعرض للزرنخ بين العاملين في مصاهر النحاس في مصر.

تتمحور إشكالية الدراسة في إن التعرض المهني للأبخرة الناتجة من دخان صهر النحاس قد يؤدي إلى العديد من الأمراض، وإن هذه الأبخرة تحتوي على العديد من الجسيمات وأكاسيد الكبريت والزرنيخ، والرصاص، التي تؤدي زيادتها إلى خلل في العديد من أجهزة الجسم، وهدفت الدراسة إلى التعرف على المخاطر الصحية بين العمال المعرضين للنحاس والزرنيخ مع التركيز بوجه خاص على الجهازين التنفسي والعصبي وأجريت هذه الدراسة على ثمانين عاملاً، أربعين معرضين من خلال عملهم في مسبك النحاس والنصف الآخر يبدو ظاهرياً بشكل طبيعي. وضحت نتائج الدراسة الى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعتين المعرضة وغير المعرضة من حيث أعراض الجهاز التنفسي والعصبي ونسبة النحاس في الدم والزرنيخ في الدم والبول. واستخلصت الباحثة من هذه الدراسة أنه يجب وجود الفحص الطبي ما قبل التوظيف والفحص الطبي الدوري للعمال. (23)

#### 2- دراسة ربيع عبد المولى الجالي عبد المولى (2012) بعنوان التدخل المهني للخدمة الاجتماعية وتنمية وعي مرضى الدرن الرئوي للاستفادة من الخدمات المتاحة:-

تمثلت إشكالية الدراسة في مرض الدرن الرئوي باعتباره مشكلة صحية على المستويين العالمي والمحلي؛ حيث يترتب على حدوثه وانتشاره في المجتمع أضرار اجتماعية وصحية واقتصادية، وسعت الدراسة إلى تحقيق هدف رئيسي وهو " العمل على تنمية وعي مرضى الدرن الرئوي للاستفادة من الخدمات المتاحة".

نتائج الدراسة، توجد فروق ذات دلالة معنوية بين متوسط درجات مجتمع الدراسة على مقياس مستوى الوعي لدى مرضى الدرن الرئوي للاستفادة من الخدمات المتاحة لتنمية وعي مرضى الدرن الرئوي. (24)

#### 1- دراسة هالة محمد عبده محمد بعنوان المشكلات البيئية والمرضية وانعكاساتها على جودة أداء العاملين (دراسة ميدانية بمصنع الفوسفات بمحافظة أسوان )

إشكالية الدراسة: تسعى الدراسة إلى التعرف على أهم المشكلات البيئية والمرضية المرتبطة بمصنع الفوسفات وانعكاساتها على جودة العاملين بالمصنع، من خلال انتشار الأمراض التي تؤثر على أداء العمل للعاملين. ومن خلال الدراسة تناولت الباحثة قضية التلوث البيئي والأمراض المهنية التي تعوق جودة أداء العاملين. أهداف الدراسة:

- 1- التعرف على المشكلات البيئية بمصنع الفوسفات والمخاطر البيئية والصحية الناتجة عنهما.
- 2- التعرف على مدى تأثير المشكلات البيئية على العاملين تجاه عملهم بالمصنع.
- 3- التعرف على الأمراض التي تصيب العاملين أثناء العمل بالمصنع.
- 4- أهم الصعوبات التي تحد من أداء العاملين في التصدي للمشكلات البيئية.

المحددات الاجتماعية للمرض المهني الصدري...

أدوات الدراسة:

- تعددت الأدوات التي يمكن استخدامها في هذه الدراسة، ومن هذه الأدوات:
- 1- دليل المقابلة: حيث يقوم الباحث بإجراء مقابلات فردية للعاملين بمصنع الفوسفات ومقابلة بعض المديرين ورؤساء الأقسام.
  - 2- الاستبيان: قامت الباحثة بإجراء استمارة الاستبيان للعاملين بمصنع الفوسفات
  - 3- قامت الباحثة باستخدام الملاحظة والتصوير الفوتوغرافي الدال والمعبر لمصادر التلوث في مجتمع البحث.

نتائج الدراسة:

توصلت إلى إن انتشار التلوث البيئي بمجتمع الدراسة متمثلاً في عمليات الشحن الخاطئة وينتج عنها الغبار والأثرية التي تضر بصحة العامل فضلاً عن عوادم السيارات التي تتواجد أمام المصنع، التي تقوم بنقل الفوسفات وتصديره. وأدى هذا كله وغيره إلى إصابة العاملين بالأمراض المهنية المختلفة نتيجة طبيعة العمل الرملية والترابية التي يعملون فيها، ومن هذه الأمراض: أمراض الصدر، الربو الشعبي، ضيق التنفس، التحجر الرئوي، عدم قدرة العامل على العمل وكثرة الإجازات نتيجة شدة المرض والتعب، كثرة إصابات العمل والحوادث التي تحدث نتيجة غمامات التراب والغبار التي تقوم بحجب الرؤية عن السائقين وتسبب عجز العاملين عن العمل وإزهاق الكثير من أرواح العاملين.<sup>(25)</sup>

ثالثاً - تاريخ المرض المهني:-

رغم اهتمام التشريعات الحديثة وعلى الأخص منذ أن بزغ فجر القرن التاسع عشر حتى يومنا هذا بالأمراض المهنية؛ إلا أن البحث فيها نشأ منذ بدأ قيام الإنسان بالعمل وهذا في عصور ما قبل التاريخ. فلقد ثبت أن قدماء المصريين قد وصفوا شيئاً عن المرض الذي يصيب العمال الذين كانوا يقومون بسن السكاكين، ولقد جاء هذا الوصف في ورقة البردي (بردى أسير وسبير). وقديماً أيضاً ذكرت المراجع أن (أبوقراط) (460-370 ق.م) وصف الأعراض المرضية التي كانت تنتاب عمال استخراج المعادن وعمال الصباغة والذين يعملون باسطبالات الخيول والفلاحين والصيادين، وما لوحظ عندهم من قروح وإكزيما وغيرها.<sup>(26)</sup>

ولقد ذكر أيضاً "جالينوس" ما بين (131-201) ق مبعده أبي قراط أنه قام بزيارة منجم للنحاس بجزيرة قبرص، وكاد يفقد حياته من شدة أبخرة النحاس وأدخنه المتطايرة، كما نوه في تقاريره - أيضاً - بتعرض الطلاب لأخطار أدخنة الشموع الدهنية أثناء استذكارهم على ضوءها ليلاً وبأمراض مهنية أخرى كانت تصيب العدائين والمصارعين والفلاحين والمرضات والمشتغلين في صناعة الجبس. ثم جاء على مر السنين والأحقاب كثيرون ممن زودوا حصيلة المعرفة بأمراض المهنة، ونخص بالذكر أطباء القرون الوسطى أمثال "جورج أمبريكولا"، "وأولرين اللين وجوياراسلوس" الذي نشر له بحث يعتبر بحق بمثابة إشارة هامة في تاريخ الأمراض المهنية. وانطوى بعد ذلك قرن ونصف من الزمان حين دوى صوت الطبيب الإيطالي "رامازيني" (1633-1744) الذي كتب أول مرجع علمي عن الأمراض الخاصة بشئون الصناعة والتجارة. ومنذ أن جاءت الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر ومرآل الاهتمام بأمراض المهنة في تزايد مستمر، واتجهت الدول الصناعية الكبرى نحو العدالة تجاه القوى العاملة ومن ثم نشأت الضرورة الاجتماعية لإدخال عنصر التشريع الوقائي للعلاج من أمراض المهنة والتعويض عنها.<sup>(27)</sup>

### المحددات الاجتماعية للمرض المهني الصدري ...

كما تلعب الظروف البيئية دورها في التأثير على مفهوم المرض حيث تؤثر على مدى إصابة الأفراد بالأمراض المهنية بصفة عامة، وإن معايير المرض تتغير ليس فقط جغرافياً وثقافياً فحسب؛ وإنما تاريخياً -أيضاً - حيث يختلف بمرور الزمن<sup>(28)</sup>

حيث لا يوجد تصنيف محدد لكافة الأمراض؛ وإنما يتغير التصنيف وفقاً لظروف كل مجتمع وفي المجتمع المصري في النصف الأول من القرن العشرين كانت معدلات الأوبئة والأمراض في مصر من أعلى المعدلات على مستوى العالم<sup>(29)</sup>

فكانت مصر حتى ثورة 1919 دولة زراعية، ولم تعرف الصناعة إلا في صورها البدائية التي تتركز في بعض الحرف والصناعات الصغيرة. وكان القائمون بالعمل فيها يخضعون لنظام الطوائف الذي ألغى بالمرسوم الصادر في يناير 1890، ومع هذا الحال من التأخير؛ فقد صدر الأمر العالي المؤرخ في 27 / 6 / 1896 الخاص بحماية الصحة العامة، ثم الأمر العالي المؤرخ في 15 / 11 / 1900 واللائحة التنفيذية لتنظيم استعمال الآلات البخارية، وقد تم صدوره للحماية الأولية للعامل، ثم صدر بعد ذلك القانون رقم 13 لسنة 1904 بشأن الأمور المضرة بالصحة العامة والخطرة، ويعتبر بحق أول خطوة وضعت على الطريق الطويل للأمن الصناعي في مصر<sup>(30)</sup>

### رابعاً:- الاستعراض التاريخي لأمراض الرئة المهنية بالمجتمع العربي

إن أمراض الرئة المهنية هي مجموعة واسعة من التشخيصات الناجمة عن استنشاق الغبار، والمواد الكيميائية؛ فالأمراض المرتبطة باستنشاق الغبار المعدني هي من أصعب الأمراض، وبين الأفراد الذين لا يعملون في هذه الصناعة يمكن أن تتطور الأمراض المهنية لديهم عن طريق التعرض غير المباشر. ورغم أن هذه الأمراض قد وثقت منذ وقت طويل يعود إلى اليونان القديمة وروما؛ حيث إن الإصابة بالمرض المهني زاد زيادة كبيرة مع تطور الصناعات الحديثة. وإن هذه الأمراض من صنع الإنسان، الناجمة عن التعرض للغبار غير العضوي أثناء التعدين، أو التصنيع. في نيويورك ونيوجيرسي في السبعينيات، ويمكن تشخيص مرض تليف الرئتين من المعدلات العالية الانتشار والبعض الآخر انخفض بشكل كبير. فعلى سبيل المثال، انتشر غبار الفحم أو فحمي الفحم لدى العمال انخفض بنسبة 5 في المائة بين عمال المناجم. كما أن مرضى الأسبستوس سيتعرضون كل من زوجاتهم وأطفالهم بالمنزل للإصابة بالأسبستوس العالقة بالملابس؛ حيث يعتبر مرض السليكا الأكثر شيوعاً وهو السحار المزمن، الذي تطور في العقود الأخيرة. ومعظمها في الفصوص العلوية من الرئتين. وإن السحار الحاد هو أقل تواتراً؛ ولكن هو من أسباب حدوث أعلى معدلات للوفيات. كما أن هناك رابطة بين السحار وأمراض المناعة، مثل: التهاب المفاصل والتصلب الجهازى، التي قد تتطور معالتعرض للسليكا وحدها. وفي عام 1996، قامت الوكالة الدولية لبحوث السرطان (IARC) بتصنيف السليكا المسرطنة للبشر. كما أن هناك أدلة على أن مرضى السحار يكونون أكثر عرضة لخطر الإصابة بسرطان الرئة كما أن التعرض للسليكا وحدها يزيد من مخاطر الإصابة بسرطان الرئة. ويرجع ذلك بسبب عدم وجود إحصاءات دقيقة عن الأفراد المعرضين للإصابة بالسحار في الولايات المتحدة الأمريكية. (31)، وبين عامي 1979 و1990، كانت هناك 4313 حالة وفيات بسبب السحار، وإن عدم الإبلاغ عن المرض يجعل من الصعب معرفة مدى انتشاره الصحيح. كما أن التصنيع أدى إلى زيادة عدد الأشخاص المعرضين للإصابة بالأمراض المهنية- أيضاً يتسبب الأسبستوس في أمراض أخرى، مثل: تليف الرئة، وهو المرض الأكثر شيوعاً من الأمراض التي يسببها الأسبستوس. كما يسبب التعرض لغبار الفحم أو فحمي الفحم إلى التليف التدريجي، كما هو المعروف باسم الرئة الأسود، في الأربعينيات من القرن الماضي. إن العمال بما في ذلك عمال المناجم والأنفاق والمطاحن المناجم، والخزافين من بين العديد من المهن الحرفية-

المحددات الاجتماعية للمرض المهني الصدري...

يتعرضون للإصابة بهذا المرض، ومن الصعب تقدير العبء الاقتصادي الحقيقي بسبب عدم وجود إحصاءات دقيقة (32)

**خامسا- العوامل المؤدية للإصابة بالأمراض المهنية:-**

إن الأمراض المهنية كثيرة ويتوقف حدوثها على عوامل كثيرة منها ما يتعلق بالمواد التي يتعرض لها العامل ومنها ما يتعلق بالعامل نفسه (33). فهناك العديد من العوامل لالتي تجعل الفرد العامل يصاب بأمراض مهنية على المدى القريب والبعيد، وذلك من خلال مزاولته لعمله وتعرضه لمواد كيميائية سامة، وتتمثل هذه العوامل في:

**1-العوامل الطبيعية ومنها:**

- أ- الحرارة: وتنتج عنها تقلصات عضلية وحالات إغماء تسببها ضربة الشمس نتيجة فقدان ملح كلورور الصوديوم ( ملح الطعام العادي ) من الجسم وذلك عن طريق العرق. كما ينتج عنها عتامة عدسة العين ( المياه البيضاء أو الكتاراكت ).
- ب- الرطوبة: ويقصد بها زيادة نسبة بخار الماء بالجو وينتج عنها ضيق التنفس وتساعد على زيادة مظاهر التأثير بالحرارة.
- ت- البرودة: وتتواجد في الثلجات وما أشبهه وينتج عنها تيبس وتجمد الأطراف ( نقص الدورة الدموية الطرفية )
- ث- الوهج: ( الضوء الساطع ) وينتج عنه عتامة عدسة العين.
- ج- ضعف الإضاءة: وينشأ عنها رعشة العين تسمى (قرأ العين ) كما هو الحال في المناجم
- ح- الضغط الجوي والمتمثل في :-
- أ- الضغط المرتفع: وينشأ عنه مرض القيسون نسبة إلى الوعاء الذي يعمل به عمال بناء الكبارى.
- ب- انخفاض الضغط: وينشأ عنه فقاعات هواء في الأوعية الدموية كما في الأجواء العليا أو المناطق الجبلية العالية.
- خ- الذبذبة والاهتزازات: وينشأ عنها تقلص في شرايين الأطراف وضمور في عضلات اليدين، وينشأ عنها أيضاً الصمم المهني.
- د- الكهرباء: وينشأ عنها الحروق والصعق الكهربائي.
- ذ- المواد المشعة: ويتأثر بها الجلد والعين والدم ( سرطان الدم )

**2-العوامل الكيميائية:**

- أ- مواد تبتلع وتمتص من الجهاز الهضمي: مثل الزرنيخ والبارتور.
- ب- مواد تمتص من الجلد: مثل المبيدات الحشرية كبوليس النجدة والتوكسافين والنيكوتين أو أصباغ الأنيلين والفنيك وروابع خلات الرصاص وبعض المفرعات (ت. ن. ت)
- ت- مواد تستنشق وتمتص من الجهاز التنفسي: واستنشاق المواد عن طريق الرئة هو أهم وسائل الإصابة بالأمراض المهنية على اختلاف أنواعها أو معظم المواد الضارة تجد طريق التنفس وتنقسم إلى:
- أ- غبار بسبب التلوث الرئوي: مثل السيلكا والأسبستوس.
- ب- غبار المواد النباتية وتسبب التهابات في الرئة أو أمراض الحساسية مثل القطن والكتان والقصب (34)
- ج- غبار المعادن الثقيلة وينقسم مفعوله إلى:

### المحددات الاجتماعية للمرض المهني الصدري ...

- غبار يسبب التهابات رئوية: مثل المنجنيز الكاديوم والبريليوم.
  - غبار بسبب السرطان: مثل النيكل، الكروم والزنونيك والمواد المشعة.
  - غبار وأبخرة المعادن السامة. مثل الرصاص والزنونيك والمنجنيز والبريليوم والكروم.
  - الغازات الضارة.
  - الأبخرة الضارة مثل البنزين ورابع موريد الكربون وثاني موريد الكبريت.
- 3 : العوامل الحيوية:**

وينتج من عدوى ميكروبات أو فيروسات في جو العمل مثل الأنتراكس الجمرة الخبيثة ومرض السقاوة واليرقان الكبرى والسل والحميات. (35)

### **-4 : العوامل النفسية:**

مثل تقلصات العضلات في عمال التلغراف وحالات الأقباض النفسي من رقابة العمل وجنون العزلة في الأماكن النائية والبعيدة عن العمران. وهذه التعرضات كما أسلفنا ينشأ عنها أمراض مهنية. ولما كان هناك احتمالات تخيل بعض العاملين أن أي مرض يصاب به أثناء عمله فهو مرض مهني نجد أنه من الواجب تحديد هذه الأمراض ومدى علاقتها بالصناعات المختلفة وقد حدد ذلك بالمسؤولين عن الأمن الصناعي والصحة المهنية والتأمينات الاجتماعية بوضع جدول لهذه الأمراض والصناعات التي تحدث نتيجة لها. كما يجوز صرف أي مرض منه إذا اندثرت المهنة التي كان ينشأ عنها أو منع استعمال الخامة التي كانت تسببه. (36)

### **خامسا- : الآثار المترتبة على الأمراض المهنية:-**

يتعرض الإنسان بسبب عمله في مهنة ما أو حرفة من الحرف إلى العديد من الآثار الضارة بعضها جسمي يؤثر على الصحة الجسمية لصاحب المهنة أو الحرفة وبعضها معنوي يؤثر على سلوكه ومواقفه واتجاهاته وعلاقاته بالغير. وتزايد تعرض الإنسان للأمراض بسبب مهنته أو حرفته مع تزايد التقدم الصناعي بالإضافة إلى حدوث نوع من العجز في قدراته الجسمية وعطائه المادي في حدوث العديد من الآثار السلبية ذات الأبعاد الاجتماعية والسلوكية، لأمراض المهنة تكاليف باهظة ترهق الإنسان المصاب نفسه وتقتل كاهل أسرته وتكلف المجتمع في شكل منافع نقدية وعينية متعددة وترجع أسباب الأمراض المهنية في الغالب إلى الشخص المهني نفسه، حيث يهمل أو يتجاهل إجراءات الأمن والسلامة المهنية أو لصاحب العمل أو المصلحة أو الآلة أو الطريقة التي يمارس بها الإنسان مهنته. كما أن تداعيات الإصابات بمرض المهنة هي الأخرى كثيرة ومتنوعة تشمل الشعور باليأس وفقدان المكانة الاجتماعية التي تحول الإنسان المصاب بمرض المهنة إلى شخص معاق يعتمد على غيره في إشباع حاجاته بالإضافة إلى تغيرات سلوكية غير سوية. (37)

ومما لا شك فيه أن هناك عداد هائل من العاملين بأحاء الكرة الأرضية يتعرضون إلى الإصابات بالأمراض المهنية، والتي قد تؤدي بحياة بعضهم، كما يصاب البعض الأخر بعاهات مستديمة تؤدي إلى تقاعدهم عن مزاولة نشاطهم في مجالات الإنتاج. ويترتب على زيادة الحوادث والإصابات المهنية نوعان من النتائج هما كالآتي:-

### **1- : نتائج اجتماعية**

تتمثل هذه النتائج من خلال حالات بعض العاملين المصابين وما تسببه هذه الإصابات من الأم، وتعكس آثار هذه الإصابات التي قد تؤدي إلى أمراض أو عاهات مستديمة على حالة العاملين النفسية والاجتماعية والاقتصادية، وما يستوجب على المؤسسات التابعين لها من رعاية وعلاج، وقد يترتب على ذلك عجز أو وفاة والتي تؤدي إلى انخفاض في موارد دخل أسر هؤلاء المصابين.



## المحددات الاجتماعية للمرض المهني الصدري...

وتنعكس آثار الإصابات والأمراض إلى أسرهم وما يترتب على ذلك بعدم استطاعتهم القيام بمسؤولياتهم العائلية كما كانوا يقومون بها من قبل، كما ينعكس ذلك على العملية الإنتاجية، حيث إنها قد تؤدي إلى انخفاض الإنتاج أو توقيفه. ويتحمل المجتمع أيضاً من هذه الآثار المرضية التي تحولهم من عاملين إلى مرضى عاطلين في المجتمع، وهكذا يتضح أن الآثار الخطيرة والجسيمة، لا تقتصر على هؤلاء المصابين العاطلين فقط، بل تؤثر على أسرهم والمجتمع ومن ثم الاقتصاد القومي.

### 2- نتائج اقتصادية:

تتعرض كثرة الحالات المرضية السابق ذكرها على الجانب الاقتصادي للمنشأة، التي تتمثل في انخفاض الإنتاج. فضلاً عما يصاحب الحوادث والإصابات من تلف للآلات والمعدات والمواد، وتوقف العمل عقب الحادث، وأثناء تحقيقه. ويقدر العلماء الخسائر الاقتصادية للحوادث بعشرة أضعاف قيمتها ومن المعروف أنه لا يوجد تأمين يعوض عن ما يخسره الإنتاج من توقف العمل نتيجة الحادث، أو توقف العمل لإصلاح خلل يكون سبباً في الحادث. من هنا كان على الأمن الصناعي أن يعمل بقدر المستطاع على منع الحوادث، من خلال توفير كافة الاحتياطات الكفيلة لمنع وقوعها. (38)

### المبحث الرابع : نتائج الدراسة

من خلال ما تم عرضه في هذه الدراسة فقد توصلت الباحثة إلى عدد من النتائج والتي كان من

أهمها:-

#### 1. الحالة الصحية وتأثيرها على الجانب الاجتماعي والاقتصادي والبيئي:-

إن المجتمع هو الذى يحدد معنى المرض ومدى خطورته من خلال خبرة الناس وطول معاشتهم للمرض وتعالجهم معه من خلال محاولة والخطأ وأوضاعهم الطبقية وظروفهم الأسرية؛ فإن هذه العوامل هي المسؤولة أساساً عن تحديد مفهوم المرض وأسلوب التعامل معه، وفي نفس الوقت تحدد الثقافة شروط التمتع بالصحة ومنها راحة العقل وتجنب المشاجرات والحلم والهدوء والوفاء بالفرائض الدينية.

كما يعد الفقر هو نقص الموارد المالية، والافتقار إلى القوة، السكن غير اللائق، الحرمان من الحقوق المدنية والسياسية، أنماط معينة من أساليب الحياة، والاتجاهات. تبدأ مشكلة محاولة فهم الفقر في تحديد ما إذا كان الشخص أو الأسرة فقيرة، ومحاولة تحديد الحد الأدنى لمستوى المعيشة ويظهر القطاع غير الرسمي هو ملاذ الفقراء.

إن التحديات الأساسية التي تحكم العمل البيئي في العالم العربي، وأوضح أن العالم يواجه قدرًا كبيرًا من التحديات في كل الجوانب الحياة الاجتماعية والثقافية والعلمية والاقتصادية. وإن الزيادة السكانية الضخمة أدت إلى توسع في المناطق الحضرية نتيجة ازدياد النشاط الإنتاجي في المدن الذى أدى إلى هجرة الكثير من سكان القرى والبادية إلى الحضر للحصول على عمل في المدينة بعد أن تقلصت فرص العمل في الريف والبادية نتيجة لجور المباني وانتشار المكننة الزراعية التي لا تحتاج إلى عمالة كثيفة.

#### 2. التدخين وتعاطي المخدرات وتأثيرها على تدهور الوضع الصحي لهم:-

إن نقشي ظاهرة التدخين والمخدرات بين الأوساط العمالية ودخل أماكن العمل في كل مصر والدول العربية، والأكثر من ذلك أن هناك كثير من العمال وبعض المستويات الإشرافية داخل أماكن العمل قد اتجهوا مؤخراً إلى إدمان المخدرات الخطرة كالهروين والماستون فورت، وهذا يعني ببساطة تخريب بيئة العمل وتدمير أهم ثروة على الإطلاق وهي الثورة البشرية في عمالنا كما يعني من ناحية أخرى تدني إنتاجنا القومي كماً وكيفاً.

المحددات الاجتماعية للمرض المهني الصدري ...

**3. انعكاسات المرض المهني الصدري على أسرة العامل:**

- حجم الأسرة: لا شك أن العولمة الديموجرافية مثل حجم السكان وتوزيعهم وخصائصهم عوامل متغيرة تتأثر بعدد كبير من العوامل المتغيرة الأخرى كما يؤثر بعضها في البعض الآخر، وإن زيادة الإنجاب تؤثر على صحة الأسرة في مجموعة من الأوضاع والأحداث والعمليات التي تتدخل وتتفاعل معاً طول دورة حياة الأسرة وأفرادها سواء إيجابيتها وسلبياتها، مثل: المرض، والإعاقة، والوفاة والعنف الأسري وكلها أمور تدخل في نطاق صحة الأسرة<sup>2</sup> حيث يرتفع حجم وكثافة السكان أو تنخفض، وفقاً لارتفاع معدل الوفيات وتظهر اختلافات جوهرية بين دول العالم الثالث في حجم السكان.

**4. التأمين الصحي لعمال القطاع غير الرسمي:**

يعتبر القطاع الصحي الكفاء من أكثر القطاعات تأثيراً على الارتقاء بمستوى التنمية البشرية؛ فالصحة حق أساسي من حقوق الإنسان التي يجب الحصول عليها دون النظر إلى أي اعتبارات اجتماعية واقتصادية وعقائدية، كما يمثل نظام التأمين الصحي أحد الآليات التي يمكن الاعتماد عليها لضمان تقديم خدمة الرعاية الصحية الملزمة لكل المواطنين في ظل مشاركتهم المسبقة في تحمل تكلفة العلاج. ويفترض أن تنتم خدمات التأمين الصحي في الوطن العربي وفي ليبيا على وجه الخصوص بالشمول والجودة، وأن تحظى بمساندة الحكومة لتوفير الأساسيات من مستشفيات وأطباء وأجهزة حديثة تعمل على رفع مستوى التأمين الصحي والخدمات الطبية المقدمة لفئة العمال في القطاعي الخاص والدولة .

**التوصيات:-**

- 1- الاهتمام بإقامة حملات للكشف عن الأمراض التي تصيب العمال في بيئة العمل وتقديم العلاج بالمجان للوقاية من الأمراض ولتخفيف أعباء مصروفات العلاج عليهم .
- 2- يجب توعية العمال في تنظيم عدد أفراد الأسرة مما يوفر لأسرته الرعاية الصحية والتعليمية الجيدة.
- 3- اقتراح فكرة التأمين الصحي باشتراك مناسب حتى يشجع عمال القطاع غير الرسمي على الاشتراك به والاستفادة من الخدمات الصحية له ولأسرته
- 4- توعية العمال بحقوقهم وواجباتهم تجاه صاحب العمل وخاصة بالقطاع الخاص.
- 5- يجب أن تقوم الدولة بالرقابة على الأعمال الخطرة والمدمرة لصحة العمال في القطاع الغير الرسمي.
- 6- توعية العمال بأهمية استخدام وسائل للوقاية والحماية من الإصابة بالأمراض الصدرية المهنية أثناء فترة العمل.
- 7- يجب تناول طعام صحي وامن ونظيف حتي يتجنب الإصابة بأمراض مصاحبة لمرضه الأساسي وهو المرض الصدري المهني .
- 8- قرب المصانع من مساكن السكان قد يتسبب في المرض الصدري فيجب وضع دراسات لكي نتجنب المرض الصدري .
- 9- يجب إعادة إصلاح وتعمير جميع المستشفيات التي تم تدميرها أثناء فترة الثورة في ليبيا
- 10- توفير التطعيم ضد مرض الدرن واتباع عادات صحية أثناء تناول الطعام وعدم تناوله في إناء واحد .

هوامش الدراسة:

1. أحمد زكي حلمي، الأمان الصناعي، دار الفجر للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2007، ص: 25.
2. عصام الدين حواس، استراتيجية بناء الإنسان المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985، ص: 5.
3. عبد السلام بشير الدويبي، علم الاجتماع الطبي، منشورات المعهد العالي الصحي، طرابلس، 2003، ص: 9.
4. المكتبة العمالية، الأمراض المهنية، الكتاب الثاني والعشرون، يصدرها المكتب الفني لاتحاد العمال العرب، دار الكتب، ص: 5-7.
5. عبد السلام بشير الدويبي، مرجع سابق، 2003، ص: 87.
6. أحمد محمد بيومي، وسامية محمد جابر، وسناء الخولي، علي عبد الرازق جليبي ومحمد علي محمد، دراسات في علم الاجتماع الطبي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، بدون سنة، ص: 90.
7. ليلى البهنساوي، أمراض العمل والصحة المهنية، التعليم المفتوح، القاهرة، 2015، ص: 48-12.
8. انظر الرابط التالي: <http://cutt.us/hb4E>
9. مدحت عبد الحميد أبو زيد، علم النفس المهني، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2012، ص: 233.
10. شارلوت سيمور سميث، موسوعة علم الإنسان، ترجمة علياء شكري، إشراف محمد الجوهري، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1998، ص: 147.
11. أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1978، ص: 111.
12. أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص: 292.
13. أحمد زكي حلمي، الأمان الصناعي، دار الفجر للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2007، مرجع سابق، ص: 292.
14. جوردن مارشال، جون سكوت، موسوعة علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، مجلد الثالث، ط2، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011، ص: 248.
15. ليلى البهنساوي، قضايا المرأة المعاصرة بالقطاع غير الرسمي، مكتبة النصر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008، ص: 29.
16. ثروت إسحق، القطاع غير الرسمي، دراسة استطلاعية في محافظة الجيزة، جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم اجتماع، 1994، ص: 4.
17. ليلى البهنساوي، قضايا المرأة المعاصرة بالقطاع غير الرسمي، مرجع سابق، ص: 29.
18. علي عبدالرازق جليبي، حسن محمد حسن، علم الاجتماع الطبي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005، ص: 65-68.
18. علي عبدالرازق جليبي، حسن محمد حسن، علم الاجتماع الطبي، مرجع سابق، ص: 65-68.
19. ليلى البهنساوي، قضايا المرأة المعاصرة بالقطاع غير الرسمي، مرجع سابق، ص: 104.
20. عبد الرحمن العيسوي، علم النفس المهني والصناعي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2004، ص: 133-134.

المحددات الاجتماعية للمرض المهني الصدري ...

21. ليلى البهنساوي، أمراض العمل والصحة المهنية، مرجع سابق .
22. هبة الله سعد طلب، الضرر التأكسدي والتعرض للزرنينغ بين العاملين في مصاهر النحاس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية طب، قسم الطب المهني والبيئي، 2014، ص: 3، 1 .
23. ربيع عبد المولى الجالي عبد المولى، التدخل المهني للخدمة الاجتماعية وتنمية وعي مرضى الدرن الرئوي للاستفادة من الخدمات المتاحة، رسالة دكتوراه، جامعة الفيوم، كلية الخدمة الاجتماعية، قسم مجالات الخدمة الاجتماعية، 2012.
24. هالة محمد عبده محمد، المشكلات البيئية والمرضية وانعكاساتها على جودة أداء العاملين (دراسة ميدانية بمصنع الفوسفات بمحافظة أسوان )، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس، معهد الدراسات والبحوث البيئية، قسم العلوم الإنسانية البيئية، 2013.
25. حسين عبد الواحد الشاعر، الطب الاجتماعي والأمراض المهنية، تقديم مصطفى الخشاب، دار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1964، ص: 55 - 57.
26. حسين عبد الواحد الشاعر، الطب الاجتماعي والأمراض المهنية، مرجع سابق، ص: 55 - 57.
27. محمد الجوهري وعلياء شكري وآخرون، الأنثروبولوجية الاجتماعية: قضايا الموضوع والمنهج، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2006، ص: 425 - 426.
28. نسمة سيف الإسلام سعد، الأوبئة والأمراض في المجتمع المصري في النصف الأول من القرن العشرين 1902-1947، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 2014، ص: 57.
29. محمد محمد المليجي، تكلفة يوم الغياب الضائع: بسبب المرض-المرض المهني - حوادث العمل، دار الكتب والوثائق القومية، 1974، ص: 4-7 .
30. Occupational، King faisal University، KSA Dec 01، 2013، LungDiseasesZahid Khan، PP 131-133. Available at: <http://thoracic.org/education/breathing-in-america/resources/chapter--occupational-lung-diseases.pdf>.
31. Zahid Khan، Ibid.، P: 75
32. محمد جمال الدين القشيري، الثقافة الصحية العمالية، دار الكتب، بدون سنة، ص: 101.
33. عبد الفتاح محمد دويدار، علم النفس الصناعي والتنظيمي وتطبيقاته، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 200، ص: 349 - 350.
34. المرجع السابق، ص: 350 - 351
35. المرجع السابق، ص: 351.
36. عبد السلام بشير الدويبي، علم الاجتماع الطبي، مرجع سابق، ص: 86.<sup>1</sup>
37. أحمد زكي حلمي، الأمان الصناعي، مرجع سابق، ص: 27 .

## العنف الأسري ضد الأطفال ( مفهومه، دوافعه، أشكاله، الآثار المترتبة عنه )

د. ابتسام سالم المزوغي

### مقدمة:

العنف ضد الأطفال جزء لا يتجزأ من ظاهرة العنف بعمامة، وهو دليل على عدم القدرة على التواصل ورفض لغة الحوار والإقناع أو عدم المقدرة على الحوار والإقناع، والملاحظ تزايد هذه الظاهرة بعد الثورات التي مرّ بها العالم العربي بصفة عامة، وليبيا بصفة خاصة حيث لم يعد القانون قادراً على حماية رجاله في ظل الانفلات الأمني، فما بالك بالأطفال. فالعنف ضد الطفل سلوك وجّه إليه، يقوم على الشدة ويتميز بالقهر والعدوانية، ومن مظاهره الشتم، الضرب، الحرمان من الحقوق، ويتدرّج ليصل إلى الخطف والاعتصاب والقتل. فالطفل أصبح ضحية المعتفين من الأسرة إلى المدرسة إلى المجتمع الكبير. ففي الأسرة الطفل معرّض للعقاب الجسدي المتمثل في الضرب المبرح والحرق، كما أنّه معرّض للأذى النفسي كالسخرية والإهانة من قبل والديه، أو من يقوم على رعايته؛ وفي المدرسة معرّض للتعنيف من قبل معلميه سواء كان عنفاً جسدياً كالضرب أو عنفاً نفسياً كالتهديد والشتم والتخويف والسخرية أمام زملائه؛ مما يؤثر تأثيراً بالغاً في شخصية الطفل والتي لازالت في طور التكوين. كما أنّه معرّض للعنف من زملائه بالمدرسة وبخاصة الأكبر منه سناً، وفي المجتمع الكبير هو أيضاً ضحية للعنف خاصة التحرش والاعتصاب والذي يترك جرحاً عميقاً في نفس الطفل البريئة، وقد يتم قتله بعد اغتصابه.

### مشكلة البحث:

يعد العنف ضد الأطفال من الظواهر المتفشية منذ أمد وإن لم تلق اهتمام البحث ولم تطرح للدراسة مثلما تطرح في الوقت الحالي، وذلك لما لها من آثار سلبية على حياة الفرد بشكل خاص والمجتمع بشكل عام، حيث تعد في طور بدايات الاهتمام في عالمنا العربي، ولم تطلق ناقوس الخطر بالرغم من تنامي هذه الظاهرة وضعف التعاطي معها من قبل الجهات المختصة، ومما لا شك فيه أنّ هناك أسباباً لتفشي هذه الظاهرة سواء كانت أسباباً اجتماعية أو ثقافية أو اقتصادية أو سياسية، والتي لها تأثيرها البالغ على سلوك طفل اليوم ورجل المستقبل، وإن لم تظهر أثارها في المدى القريب، ولكن يمكن ملاحظتها على المدى البعيد في تشكيل شخصيته. ففي دراسة أجراها ( Johnson & Brown, 2008 ) هدفت إلى استكشاف تطبيق حقوق الحماية والمشاركة في نطاق الأسرة، وبشكل خاص الحماية من العقاب القاسي وجدا أنّ التأديب القاسي شائع داخل الأسرة، بل يعتقد غالبية الآباء بأنّ من حقهم ممارسة سلطة قوية، ورفعوا من قيمة الطاعة والأدب مع أبنائهم، ودافعوا عن استخدام العقاب البدني، إنّ التغيرات والاضطرابات التي تشهدها المجتمعات العربية وبالأخص بعد ثورات الربيع العربي، وما خلّفته من فوضى داخل مجتمعاتنا كان لها بالغ الأثر في ظهور ظاهرة العنف ضد الأطفال وطفوها عل السطح لتظهر واضحة جلية للمشاهد، فتزايد الضغوط في الحياة اليومية على الوالدين لتوفير الضروريات من احتياجات الأبناء وما يعانوه من أجل ذلك في ظل الأزمة الاقتصادية التي يعانيتها مجتمعنا كان له انعكاسات في تعاملنا مع أبنائنا في الاتجاه السلبي، وممارسة بعض مظاهر العنف ضدهم أقلها الشتم، كما نلاحظ دفع الأبناء إلى العمل أو التسوّل في الشوارع هو نوع من العنف وحرمان هؤلاء الأطفال من طفولتهم، أضف إلى

### العنف الأسري ضد الأطفال ...

ذلك تعرّض الأطفال للاختطاف لايتزاز الأهل وما يعانونه من خوف وألم خلال فترة الاختطاف نتيجة تعرّض بعضهم للضرب والتعذيب والتهديد بالقتل كل ذلك له بالغ الأثر في بناء شخصياتهم. من هنا برزت مشكلة الدراسة جرّاء الإساءات الموجهة للأطفال باختلاف صورها وهذا يتناقى مع القوانين السماوية والقوانين الوضعية التي تمنع تلك الإساءات، ويمكن بلورة مشكلة البحث في التساؤل التالي:

**ما أبرز ملامح العنف الأسري ضد الأطفال؟ ومن التساؤل السابق تنبثق مجموعة من الأسئلة الفرعية وهي:**

1. ما الدوافع المؤدية إلى ظاهرة العنف الأسري ضد الأطفال؟
  2. ما أشكال العنف الأسري ضد الأطفال؟
  3. ما الآثار المترتبة عن ممارسة العنف ضد الأطفال وما سبل علاجها؟
- أهمية البحث:** تبرز في الاعتبارات التالية:

1. تنشئة الأطفال ورعايتهم وإعدادهم للمواطنة الصالحة وإعطائهم حقوقهم وتوفير جميع احتياجاتهم.
2. لمرحلة الطفولة أهمية بالغة في تكوين شخصية الفرد فهي اللبنة الأولى في هذا التكوين؛ فأطفال اليوم هم رجال المستقبل، والذين يعول عليهم في بناء الوطن.
3. الكشف عن الأسباب المؤدية للعنف ضد الأطفال حتى يمكننا تلافيتها أو التخفيف منها للحد من هذه الظاهرة.
4. بيان تداعيات هذه الظاهرة وآثارها المستقبلية على شخصيات المعنفين والتي تنعكس بالتالي على مجتمعهم.

**أهداف البحث:** يهدف البحث إلى التالي:

1. التعرف على مفهوم العنف ضد الأطفال.
2. التعرف على الدوافع المؤدية لظاهرة العنف ضد الأطفال.
3. التعرف على أهم أشكال العنف ضد الأطفال.
4. التعرف على تفسير بعض النظريات للعنف.
5. الآثار المترتبة عن العنف ضد الأطفال وسبل علاجها.

**مصطلحات البحث:**

يعرف العنف بأنه تعبير صارم معبر عن القوة التي تمارس لإجبار فرد أو جماعة على القيام بعمل أو أعمال محدّدة يريدها فرد أو جماعة أخرى، ويعبر عن العنف عن القوة الظاهرة حيث تتخذ أسلوباً سادياً مثل الضرب، أو يأخذ صورة أخرى تمثل الضغط الاجتماعي وتعتمد مشروعية العنف على اعتراف المجتمع به (التير، 1997، 14).

والعنف ضد الأطفال: يقصد به مجمل السلوكات المهددة للتوازن الجسمي والنفسي والاجتماعي للطفل، حيث تتمثل في سلوكات الأذى النفسي واللفظي والبدني والصادرة عن أحد الوالدين أو القائمين على رعاية الطفل (بو طبال و معوشة، 2013).

ويعرف العنف ضد الأطفال إجرائياً بأنه كل سلوك مهدد لأمن الطفل واستقراره النفسي داخل الأسرة من قبل والديه أو المسؤولين عن رعايته ويتمثل هذا السلوك المهدد في الضرب أو السخرية، أو الإهمال أو استغلاله في أعمال تفوق طاقته.

### منهج البحث:

استخدمت الباحثة المنهج الوصفي الذي يقوم على جمع المعلومات وعرضها وتحليلها لاستخلاص بعض النتائج التي يمكن الاستفادة منها.

### أدبيات البحث:

### مفهوم العنف:

يعد العنف من المفاهيم الفضفاضة ذات المعاني المختلفة، ويرجع ذلك لتعدد دلالاته وما يشير إليه من مضامين واختلاف مظاهره وأشكاله وأبعاده مما يجعل دراسته دراسة علمية معرفية دقيقة تحدياً كبيراً.

ففي مجال علم النفس نجد هذا المفهوم مستبعد من القواميس المختصة، والتي تفضل الحديث عن مفهوم العدوانية والاعتداء والعدوانية والصراع بدلاً من مفهوم العنف (أوزي، 2014، 10). ويقصد بالعنف أي قوة تستخدم، أو تنتهك حق الآخر (Robert, 2001, p298) ويعرفه قاموس (لورويبر) تعريفاً عاماً بأنه القوة المفرطة التي تستخدم لإخضاع الغير، ويعرف سيكولوجياً بأنه استعمال مفرط للقوة من خلال نفي القانون ونفي حق الفرد (أوزي، 2014، 12).

ويرى الشامسي (2006) أن العنف كل سلوك فعلي أو قولِي يتضمّن استخدام القوة، أو التهديد لإلحاق الأذى والضرر بالذات أو بالآخرين، وإتلاف الممتلكات لتحقيق أهداف معينة. في حين يرى القنباجي (2001) أن العنف صورة من صور القصور الذهني حيال موقف، أو هو وجه آخر من أوجه النقص التقني في الأسلوب والإبداع في حل ومواجهة المعضلة، وهو انعكاس للقلق وعدم الصب، وقد يل العنف بصاحبه فيضرب نفسه. ويضيف أن العنف استجابة سلوكية تتميز بشدة الانفعال، ويبدو في استخدام القوة الجسدية أو المستمدة من الأدوات والمعدات (العقاد، 2001، 100).

### دوافع ظاهرة العنف الأسري ضد الأطفال:

هناك مجموعة من الدوافع المتداخلة، والتي تدفع الفرد إلى ممارسة العنف الأسري أجملها الكسباب وعشا (2015) في ثلاث أقسام وهي:

**أولاً: دوافع ذاتية:** أي أنها تنبع من ذات الفرد، وتوجهه لممارسة العنف الأسري؛ القسم الأول من هذه الدوافع تكون نتيجة ظروف خارجية بسبب الإهمال وسوء المعاملة التي تعرّض لها الفرد في طفولته، ونتج عنها عقد نفسية تجبره على ممارسة العنف داخل الأسرة، والقسم الآخر دوافع تكوينية ترتبت عن سلوكيات كان الآباء اقترفوها وانعكس أثر تكوينها على الطفل ويدرج العامل الوراثي ضمن هذه الدوافع.

**ثانياً: دوافع اقتصادية:** الدوافع الاقتصادية لا تعني أن ممارسة العنف الأسري ضد الأطفال مردود اقتصادي أو مادي، وإن ممارسة العنف هو تفرغ لشحنة الفقر وقلة ذات اليد، والتي تنعكس أثارها من قبل الوالدين أو أحدهما على الأبناء باستخدام العنف معهم.

**ثالثاً: دوافع اجتماعية:** يتمثل هذا النوع من الدوافع في بعض السلوكيات التي اعتادها المجتمع، كتسيير الأب لأسرته بالقوة والعنف، وهذا يختلف باختلاف الثقافات فنجده يقل في المجتمعات المدنية المتعلمة والمتنقفة، ويزداد في المجتمعات المتخلفة التي في طور النمو.

### أشكال العنف الأسري ضد الأطفال:

يتخذ العنف ضد الأطفال أشكالاً متعددة يمكن إجمالها في النقاط التالية:

- 1. الأذى الجسدي:** وهو أكثر الأشكال استخداماً في تربية الأطفال حيث يرى أحد الوالدين أو كلاهما وكذلك المعلمون أنه الحل الوحيد لتقويم سلوك الأطفال؛ حتى يصبحوا أفضل في نظرهم ونظر الآخرين ( سيفر، 2002، 144-145 ). إن العقوبة الجسمية قد تكون لا إنسانية ومهينة، وقد تفوق السلوك المعاقب عليه وهذا ما نجده في العديد من المجتمعات وبخاصة مجتمعنا العربي سواء كان داخل الأسرة أو في المدرسة، وقد يؤدي هذا النوع من العقوبة أو العنف إلى أضرار جسمية بالغة كالكسور والنزيف الداخلي بالإضافة إلى الآثار النفسية بالغة الأثر في نفسية الطفل.
- 2. الأذى النفسي:** وهو ما يتمثل في إشعار الطفل بالذنب كلما أخطأ، سواء كان ذلك من الوالدين أو المعلمين وذلك لإيلائه نفسياً، وكذلك التقليل من شأن الطفل وتوجيه النقد لسلوكه مما يترتب عنه فقدان الطفل لتقته بنفسه، فيصبح ديدنه التردد والخوف (قتاوي، 1991، 91). إن هذا النوع من الأذى قد لا يكون مقصوداً من الوالدين وإنما الغرض منه تحسين سلوك طفلها في الوقت الذي تكون فيه النتائج عكسية، وبدلاً من لجوء الطفل في مشاكله لوالديه يصبح يبحث عن يستمع له ولا يذله ويحقره وبذلك تصبح الهوة كبيرة بينه وبين والديه.
- 3. التأنيب والإهمال:** يرتكب بعض الأهل خطأً كبيراً بتأنيب أبنائهم عند قيامهم بسلوكات غير مرغوبة، وقد يكون التأنيب مبالغ فيه فيحقرون الطفل ويلقبونه بالغباء مثلاً؛ مما يتسبب في ضعف تقديره لذاته، وبالتالي يختل تكوين شخصيته. بالإضافة إلى التأنيب نجد إهمال الوالدين للطفل كأن لا يكافأ عند حصوله على درجات مرتفعة، بينما يتعرض للتوبيخ والسخرية عند حصوله على درجات منخفضة، وهذا يحرم الطفل من إحساسه بالنجاح وبتكرار ذلك يشعر الطفل بعدوانية نحو أسرته (نادر، 1998، 36).
- 4. الاعتداء الجنسي:** تتمثل هذه الصورة من أعمال العنف في إكراه المعتدي عليه على ممارسة الجنس، أو القيام بأعمال جنسية فاضحة مع المعتدي، وبعد الاعتصاب أخطر صور العنف الجنسي، وغالباً ما يمارس العنف الجنسي تحت تهديد المعتدي عليه بإيذائه إذا لم يرضخ لرغبات المعتدي (بن فليس، 2009، 1063-1078).
- 5. دفع الطفل إلى العمل:** يحتاج الطفل إلى التعلم واللعب لينمو نمواً سليماً، إلا أننا نجده يدفع إلى العمل لمساعدة الأسرة في توفير احتياجاتها وهذا ما نلاحظه على الطرقات ببيع الأطفال لبعض السلع مما يعرضهم للخطر، كما نجد بعض الأسر تدفع أبنائها إلى العمل في ورش الميكانيكا بحجة تخفيف الضغوط على الأم، ورعايتها للأصغر سناً من جهة، ومن جهة أخرى بحجة تعلم صنعة تفيده مستقبلاً دون الأخذ بعين الاعتبار أن هذه الأعمال فيها إرهاب للطفل، فهي تفوق قدرته وطاقته، وهذا بحد ذاته اعتداء على طفولته، وإن لم يتعرض لعنف ظاهر جسدي كان أو نفسي.

### النظريات المفسرة للعنف:

أختلف العلماء في تفسيرهم لظاهرة العنف والسلوك العدواني مما أدى إلى تعدد وتنوع النظريات التي حاولت تفسير أسبابه، وما إذا كان فطرياً يولد مع الإنسان أم أن للعوامل المحيطة دوراً تلعبه في تعلمه. وبين هذا وذاك ظهرت العديد من النظريات التي عملت على تفسير أنماط



## العنف الأسري ضد الأطفال...

العنف والعدوان، سأتطرق لبعض منها فالمقام لا يسمح بعرض جُلها، ومن بين هذه النظريات ما يلي:

**1. نظرية الإحباط - العدوان:** ترجع هذه النظرية إلى دولارد وميلر 1939، والأساس الذي تقوم عليه أنّ العنف ينتج عن الإحباط، فوجود إحباط يقود إلى شكل من أشكال العنف، وكلما زاد الإحباط زاد العنف نحو الآخرين والعكس صحيح، فوجود معيق يمنع الفرد من تحقيق أو إنجاز هدف ما يؤدي ذلك إلى خبرة مؤلمة تسبب إحباطاً، ويظهر الإحباط في عددٍ من الاستجابات بعضها استجابات سوية، أو حيل دفاعية لمواجهة الإحباط وبعضها عدوانية تختلف في مظهرها، والتي قد تكون على شكل عنف داخلي موجّه نحو الذات كالأفكار الانتحارية أو عنف خارجي بين الأفراد كالعنف السري، أو عنف خارجي جماعي يتمثل في العنف السياسي والعسكري (العاني، 2010 م).

**1. نظرية التحليل النفسي:** تتطرق نظرية التحليل النفسي من تقسيم الشخصية الإنسانية إلى ثلاث مكونات وهي: الهو المتمثل في الغرائز المندفعة، والأنا التي تعمل على التخفيف من اندفاع الغرائز، والمكون الثالث الأنا الأعلى الذي يجسد المبادئ الأخلاقية والدينية والقيم الاجتماعية والتي يتمثلها الفرد من خلال عملية التربية. ويرى أصحاب هذه النظرية أنّ ضعف الأنا الأعلى قد يقود الفرد إلى عدم القدرة على السيطرة على دوافعه العدوانية مما يترك الهو يتصرف تصرفاً غريزياً. وتضيف فرويدية الجديدة إلى ما ذهب إليه فرويد، تصورهما للعنف والعدوان باعتبارهما نتاج الصراعات الداخلية والمشكلات الانفعالية التي يعيشها الفرد إلى جانب عدم إحساسه بالأمن والأمان والشعور بالنقص، وعدم التكيف مع محيطه الاجتماعي (أوزي، 2014، 102).

**2. نظرية التعلّم الاجتماعي:** تعد هذه النظرية من أهم النظريات التي تفسّر عملية تعلّم سلوك العنف الأسري من خلال التقليد والمحاكاة، حيث يرى ألبرت باندورا أنّ معظم سلوك الإنسان سلوك متعلم من خلال التقليد أو القدوة، وتقوم هذه النظرية على عدّة فرضيات أساسية حددها باندورا (Bandura, 1972, p22) في النقاط التالية:

- يتم تعلّم العنف الأسري داخل الأسرة والمدرسة ومن وسائل الإعلام.
  - العديد من السلوكيات الأبوية العنيفة تكون في صورة تأديبية تهييبية.
  - سلوك العنف ينتقل عبر الأجيال نتيجة العلاقة المتبادلة بين الآباء والأبناء في مرحلة تشكّل شخصية الفرد، وهي مرحلة الطفولة.
  - إساءة معاملة الطفل تؤدي إلى غرس السلوك العدواني في شخصيته، ويظهر ذلك مع إخوته وزملائه ثم مع والديه ومعلميه.
  - أفراد الأسرة يصبحون أهدافاً للاعتداء، وبخاصة الأقل قوة.
- مما سبق نرى اختلاف النظريات في تفسير وتحديد أسباب السلوك العنيف، وقد يرجع هذا الاختلاف إلى صعوبة إرجاع ظاهرة العنف إلى هذا العمل، أو ذاك فالعنف سلوك في غاية التعقيد، والعوامل التي تؤدي إلى استنثارته عديدة وصعبة التفسير، بالإضافة إلى تعدّد مظاهره وأشكاله.

### الآثار المترتبة عن العنف ضد الأطفال:

للعنف ضد الأطفال مجموعة من الآثار السلبية، والتي لها تأثيرها العميق في شخصية الطفل، والتي قد تظهر في صور مختلفة كالانطواء والقلق والاكتئاب والخجل وانخفاض مستوى تقدير

العنف الأسري ضد الأطفال ...

الذات والعدوان، كما يؤثر على تحصيله الدراسي مما يترتب عنه هروبه من المدرسة، ومن ثم تسريه، كما يؤدي العنف ضد الأطفال – إذا ما تكرر- في بعض الحالات إلى الانتحار. لقد أجريت العديد من الدراسات التي تناولت موضوع العنف سواء كانت دراسات عربية أم أجنبية – من عدة أوجه. فقد أجرى فردريك وفيردجر ((Fredric & Fredjr 2006)) دراسة تهدف إلى تقصي حماية الطفل على طريقة الإرشاد النفسي المناسب التي يجب اتباعها مع الوالدين تمحورت الدراسة حول 20 أسرة ممن يعانون من العنف الأسري قسمت مناصفة بين مجموعة ضابطة، وأخرى تجريبية أوضحت نتائجها وجود علاقة إيجابية في زيادة فاعلية البرنامج في قدرته على التأثير في زيادة التفاعلات الإيجابية بين الآباء والأبناء، كما خفف من الآثار النفسية للمشكلات العاطفية والسلوكية لدى الأطفال.

وفي دراسة لآل سعود (2005، 272) تناولت فيها إيذاء الأطفال، أنواعه وأسبابه وخصائص المتعرضين له حاولت من خلالها معرفة معدل حدوث حالات إيذاء الأطفال وأنواعه في مستشفيات مدينة الرياض وأسباب هذا الإيذاء وخصائص المتعرضين له وخصائص أسرهم تبين من هذه الدراسة أن أكثر الإيذاء الذي تتعامل معه المستشفيات هو الإيذاء البدني، حيث بلغ نحو 91.5%، أما الإيذاء نتيجة الإهمال فقد بلغ 87.3%، ويأتي الإيذاء الجنسي في المرتبة الأخيرة. كما أشارت النتائج إلى أن الأم هي العنصر الأساسي والأول في أسباب الإيذاء بنسبة 74.6%، بينما يقل الأب عنها قليلاً بنسبة 73.2% وتقل حالات الإيذاء كثيراً من الجد والجدة، أما دراسة الغصون (1992) والتي تناولت السلوك العدواني لدى أطفال ما قبل المدرسة وعلاقتها بأساليب التنشئة الوالدية والذكاء بمدينة الرياض، والتي من بين ما هدفت إليه الكشف عن العلاقة بين السلوك العدواني لدى الأطفال وأساليب التنشئة التي تعرض لها الأطفال توصلت الباحثة إلى مجموعة من النتائج أهمها وجود علاقة موجبة دالة إحصائياً بين السلوك العدواني لدى الأطفال والقسوة، كما قام الكساب (2015) بدراسة هدفت إلى معرفة واقع العنف الأسري ضد الأطفال في المجتمع الأردني من وجهة نظر الأطفال أنفسهم، ضمت أداة البحث ثلاث مجالات للعنف هي (النفسي- الجسدي – الاجتماعي) فأظهرت النتائج أن العنف الاجتماعي جاء بالمرتبة الأولى، يليه العنف الجسدي، ثم النفسي، وقد جاءت تقديرات أفراد العينة لدرجة تعرضهم للعنف الأسري بدرجة كبيرة من خلال استعراض أدبيات ظاهرة العنف الأسري ضد الأطفال، وإساءة معاملتهم لا يمكن إرجاعها إلى سبب بعينه، فالعوامل المنتجة لهذه الظاهرة متعددة ومتداخلة من بينها مزاج الطفل وشخصية الوالدين والضغوط التي يتعرض لها، ويمكن بلورة بعض الأسباب في التالي:

1. تكرار الوالدين أو أحدهما لما تعرضا له من سوء معاملة في طفولتهما، وينطلق البعض من مقولة (رب أبنيك مثلما ربك أبوك) وبالتالي يعاد النموذج الأبوي القاسي في التربية باعتقاد أنها طريقة مثلى، واقتناع بعض الأولياء بفاعلية العنف فيصرون على اتباعه في تربية أبنائهم.
2. مشكلة في التواصل: لا يدرك بعض الأولياء سلوكيات الأطفال على نحو جيد، ودون ربط السلوك بالمرحلة العمرية للطفل؛ مما يجعلهم يتدخلون بشكل عنيف لتعديل سلوك أطفالهم.
3. يمكن أن يكون مرجع العنف الأسري إلى الوضع الاقتصادي الذي يواجهه الوالدان والمتطلبات المتزايدة للأطفال، التي يعمل الوالدان على توفيرها وما تزيده من ضغوط على الوالدين، وشعورهم في بعض الأوقات بالإحباط فنجدهم ينفعلون بسرعة ويعتفون أطفالهم، وبخاصة عندما يطلبون تلبية حاجاتهم.

## العنف الأسري ضد الأطفال...

### طرق مقترحة للحد من إشكالية العنف الأسري :

- هناك بعض الاستراتيجيات يمكن من خلالها مواجهة العنف ضد الأطفال لتوفير ضروريات النمو السليم لأطفالنا يمكن إجمالها في التالي:
- 1- تفعيل دور المرشد الأسري للعمل على زيادة وعي الأسرة بمخاطر العنف ضد الأطفال، وتقديم برامج إرشادية للوالدين لتحسين معاملة أبنائهم وتوعيتهم بأساليب الرعاية الودية، والمعاملة الصحيحة التي لها مردود على الأسرة والمجتمع.
  - 2- إقامة برامج إرشادية للأطفال المعنفين أسرياً للتخفيف من الاضطرابات التي يعانون منها.
  - 3- إحجام الوالدين عن السلوك المتسم بالعنف والعدوان يتوقف على مدى توافر الذكاء الوجداني لديهم. وبالتالي العمل على إكسابهم هذا النوع من الذكاء يجعلهم يمتلكون قدرات تساعد على التحكم في انفعالاتهم وحل مشكلاتهم بطرق سلمية بدلاً عن العنف.
  - 4- دعم الأبناء ومنحهم فرص التعبير واستخدام أسلوب الحوار معهم، مما يجعلهم يدركون دواتهم إدراكاً إيجابياً وهذا ينتج عنه سلوكيات إيجابية.
  - 5- تفعيل وتطبيق القوانين التي تتناول حقوق الطفل في التعلم والعلاج والتغذية السليمة للحد من مشكلة العنف ضد الأطفال.
  - 6- تشديد العقوبات الخاصة بالعنف ضد الأطفال وتوفير الحماية لهم .

### التوصيات:

- في نهاية هذا البحث توصي الباحثة بالتالي.
- 1- دراسة بعض المشكلات السلوكية للأطفال وربطها بالعنف الأسري .
  - 2- دراسة الذكاء الوجداني للوالدين وربطه بمدى ممارستهم للعنف ضد أبنائهم .
  - 3- وضع برنامج لمكافحة العنف ضد الأطفال بالتعاون بين الجهات الرسمية والمنظمات العالمية المهتمة بالطفل.

### المراجع:

- 1- النير، مصطفى عمر، العنف العائلي(1997). الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية.
- 2- بو طبال، سعد الدين ومعوشة، عبد الحفيظ ( 2013). العنف الأسري الموجه ضد الطفل، ملنقى أبو ظبي الثالث حول الاتصال وجودة الحياة في الأسرة.
- 3- أوزي، أحمد، سيكولوجية العنف (2014). الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.
- 4- Robert, G. Stevenson (2001). Violence and Grief in Schools, Illness Crisis Loss. Jul (2). 298-311.
- 5- الشامسي، محمد محمد، المداخل التربوية لمواجهة العنف المدرسي دراسة تقويمية (2006). رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية بدمياط، جامعة المنصور، مصر.
- 6- العقاد، عصام عبد اللطيف، سيكولوجية العدوانية وترويضها منحى علاجي معرفي جديد (2001). القاهرة: دار غريب.
- 7- الكساب، على عبد الكريم وعشا، انتصار، واقع العنف الأسري ضد الأطفال في المجتمع الأردني من وجهة نظر الأطفال أنفسهم (2015). مجلة الطفولة العربية، المجلد السادس عشر، العدد الرابع والستون، سبتمبر 2015.
- 8- سيفر، سال، كيف تكون قدوة حسنة لأبنائك (2002). حلب: دار العلم للنشر.

العنف الأسري ضد الأطفال ...

- 9- قناوي، هدى، الطفل تنتشنته وحاجاته (1991). القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- 10- نادر، نجوى، معاملة الوالدين وعلاقتها بالتحصيل الدراسي في مرحلة التعليم الابتدائي (1998). رسالة ماجستير غير منشورة، سوريا جامعة دمشق.
- 11- بن فليس، خديجة، مظاهر وأسباب العنف الأسري ضد المراهقات دراسة ميدانية بولاية باتنة الجزائر (2009). مؤتمر كلية التربية الثامن، جامعة اليرموك، الأردن.
- 12- العاني، ليث محمد عباس، أنماط العنف الموجه نحو المرأة العراقية بعد الاحتلال الأمريكي وفق منظمة الصحة العالمية للعنف (2010). مؤتمر كلية التربية الثامن، جامعة اليرموك، أربد، الأردن.
- 13- Bandura, A.,: Asocial Learning theory, New Jersey, Prentice Hall Inc.; Englewood cliffs, 1972, P22.
- 14- Fredric, L., & Fredjr, A. (2006). Intensive Family based services program. Prenting and improving mechanism in children abused and neglected through PCTT, self-management skills, and intensive child play counseling, EDD, Nova, Southwestern University.
- 15- آل سعود، منيرة، إيذاء الأطفال أسبابه وأنواعه وخصائص المتعرضين له (2005). جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.
- 16- الغصون، منيرة صالح، السلوك العدواني لدى أطفال ما قبل المدرسة وعلاقته بأساليب التنشئة الوالدية والذكاء بمدينة الرياض (1992). رسالة دكتوراه غير منشورة، الرياض: جامعة الملك سعود، كلية التربية.
- Johnson, S. & Brown, J. (2008). Childrearing and Child Participation in Jamaican Families Journal Articles . International Journal of Early Years Education, 16 (1), 31

## حقوق الإنسان في الأديان السماوية

د. عائشة سعيد الحاج  
المعهد العالي للمهن الشاملة يفرن

### تلخيص:

إن أهم المبادئ التي تسير عليها الأمم وتعتبر منار التاريخ وعماد الحضارة هي نتاج لما جاء في ثقافتها وحضاراتها المستمدة من الأديان، ومما لا شك فيه أن هذه الديانات لا تقتصر في مفهومها العام على الديانات السماوية إلا أننا ركزنا على هذه الديانات بكونها تنبثق من مصدر واحد هو المصدر الإلهي وتتشابه في الكثير من القضايا العقديّة .

فقد ركزت على علاقة الإنسان بخالقه وعلاقته بأخيه الإنسان كما حفلت بمجموعة من القواعد والقوانين والتشريعات التي توضح حقوق الإنسان وواجباته تجاه خالقه واتجاه الآخرين، والديانات السماوية ما هي إلا تلك الشرائع الإلهية التي تعتبر مجموعة من الأحكام، والقواعد المنزلة من عند الله، وحيا على رسله في الأرض

ودعوة الناس إلى الله وشريعته، بُغية تنظيم أفعال المكلفين في سلوكهم في مختلف مرافق الهنا؛ وتصرفاتهم في شؤونهم مع الناس ومع خالقهم الذي له العبودية وله الحاكمية في كل شيء (التونجي ص 29)<sup>(1)</sup> وهي أوامر إلهية ترشد إلى الحق والالتزام به في التعامل فهي ترجع إلى مصدر سماوي قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبِيرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾سورة الشورى الآية رقم 13

إن لحقوق الإنسان في الديانات السماوية أهمية كبيرة فقد كان لها دور كبير في نشر وتطور حقوق الإنسان ويجب أن نفرق بين حقيقة هذه الديانات وتطبيقها وما رافقها من تطرف وإجحاف وتحريف في نصوص البعض منها، وفي هذه الدراسة سنحاول أن نبين بعض النصوص التي تناولت بعض حقوق الإنسان بصورة بعيدة عن انتهاج أساليب التنفيذ والتقليل من مفاهيمها ولكن بعرضها كما وردت في مصادر الديانات .

إن هذه الورقة البحثية لا تسمح لنا بتناول كل حقوق الإنسان لأنها كثيرة ولا مجال لذكرها هنا ؛ لذلك كانت الدراسة عامة غير مفصلة للحقوق وتقسيماتها ولم نتناولها بصورة متكاملة

### المقدمة:

كان من الشائع في الكتابات السياسية والقانونية، وفي الدراسات الاجتماعية، إن عهد الإنسان بالتعرف على الإنسان ومعرفتها، والتحدث عنها والتقنين لها، قد بدأ بفكر الثورة الفرنسية الكبرى التي بدأت أحداثها 1789م فإبان هذه الثورة تم صياغة وثيقة حقوق الإنسان، تلك التي أقرتها الجمعية التأسيسية وأصدرته كإعلان تاريخي ووثيقة سياسية واجتماعية في 1789 م وكانت المصادر الأساسية لهذه الوثيقة نظريات الفكر الفرنسي التي نصت على الحقوق الطبيعية، ولا ينكر الفقه أن لهذه الوثيقة الأثر الكبير على الحركات الثورية والإصلاحية سواء في أوروبا أو في خارجها أو في صياغة مبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لسنة 1948، ولكن كل ذلك يعني التاريخ الأوربي لحقوق الإنسان وهو ليس فيه قليل أو كثير عن الفكر أو الشرائع التي عرفها الإنسان قبل ذلك.

### حقوق الإنسان في الأديان السماوية

إن لحقوق الإنسان في الأديان السماوية أهمية كبيرة إذ تعد من أهم المراحل التاريخية التي مرت بها هذه الحقوق وساهمت في تكوينها ونشأتها وتطورها، وقيل دراسة مراحل حقوق الإنسان في اليهودية والمسيحية والإسلام يعترضنا سؤال عن كيفية بيان تلك الحقوق طالما أن اليهودية والمسيحية تستمد تعاليمها من كتابين كانا بالأصل سماويين ثم طرأ عليهما التحوير والتحريف من صنع البشر فهل يندرج ما جاء في التوراة والإنجيل في الإطار الإلهي أم الوضعي؟ وإذا سلمنا بأن الكتابين لم يبقيا كما أنزلا على موسى وعيسى عليهما السلام فكيف يمكن أن نقارن النصوص ببعضها؟

إن الطريق وعر أمام الباحثة لأن اليهودية صُغت باللون الصهيوني فلم تعد يهودية موسى، والمسيحية باللون الغربي الروماني لم تعد مسيحية المسيح عيسى فتغيرت وتبدلت حتى أنها أكلت أتباعها من داخلها بسبب تعدد مذاهبها أو تسلط الأقوى منها فتبرأت الشريعة اليهودية من اليهودية والمسيحية من المسيحية صاروا فكراً وضعياً لا عقيدة دينية . ولكن لا مجال لنا إلا أن نتعامل معها على أنها النصوص التي يعترف بها أصحابها ويقدمونها ويرون أنها لم تحرف .

#### الفرع الأول: الشريعة اليهودية:

تعد الديانة اليهودية من أسبق الديانات السماوية في الظهور، والتوراة من أهم المصادر الأساسية لها، وهي كلمة عبرية معناها الشريعة ويطلق عليها أيضاً اسم أسفار موسى الخمسة لأن هذه من أسفار العهد القديم التي يذكر اليهود أن الله أنزلها على موسى عليه السلام وهي في الوقت نفسه أشهر أسفار العهد القديم وهي التكوين و"تكوين السماء والأرض"، و"الخروج" خروج بني إسرائيل من مصر، ودور "الأخبار" في تشريع العبادة، وإحصاء "عدد" الأسباط، و"تنثية" الاشتراع، وهي تكرر للشريعة (خطابه ص 22 وما بعدها)<sup>(2)</sup> وتحتوي شريعة موسى من جهة أخرى أسفار أخرى لأنبياء بني إسرائيل وأسفاراً تاريخية وأدبية شعرية، إلا أن بعض المحققين يرون أن التوراة الحالية قد كتبها أحبار اليهود خلال فترة السبي البابلي ما بين القرنين الخامس والسادس قبل الميلاد أي بعد حوالي سبعة قرون من عصر موسى عليه السلام وهذه الكتابة تمت اعتماداً على الذاكرة، وعلى الوثائق التي ظلت على قيد الحياة (السعدي ص 103)<sup>(3)</sup> وفي هذا المجال نود الإشارة إلى أن التوراة ليست الكتاب المقدس الوحيد لدى اليهود بل هناك مصادر أخرى للفكر اليهودي مثل التلمود لا تقل أهمية عن التوراة، فإتباع هذه العقيدة يرون أن التوراة لا تصلح بدون التلمود بشقيه (السند والمتن) ويعد أكثر اليهود التلمود كتاباً منزلاً ويضعونه في منزلة التوراة ويرون أن الله أعطى موسى التوراة على طور سيناء مدونة، ولكنه أرسل على يد التلمود شفاهاً، ولا يقنع بعض اليهود بهذه المكانة للتلمود، بل يضعون هذه الروايات الشفوية في منزلة أسمى من التوراة (شليبي-238-239)<sup>(4)</sup> وبما أننا في هذا البحث لا يسعنا الحديث عن تفاصيل ذلك سنكتفي بما ورد فيها من نصوص تبين حقوق الإنسان.

لقد برزت عدة مفاهيم لحقوق الإنسان في الشريعة اليهودية التي كان الإنسان باعتباره عقلاً واعياً ومحمور فيها مثل حق الحياة، وحق العيش بأمان وكرامة إنسانية فقد حفل العهد القديم والوصايا العشر منها بالكثير من النصوص التي تدل على حماية هذا الحق وتحرم القتل بقولها: (لا تقتل) (الكتاب المقدس ص 39)<sup>(5)</sup> كما جاء في سفر التنثية 5-17) ونجد أيضاً نصاً آخر ذا أهمية في موضوع القتل: (24 ملعون من يقتل أحد في الخفاء) التنثية 27 ولاشك أن النهي عن القتل هنا يراد به العدوان على النفس، لا لمن يدافع عن نفسه أو يطبق عليه حكم شرعي في التوراة والتي يكثر فيها إقامة حد القتل لعدد من الذنوب .

### حقوق الإنسان في الأديان السماوية

ويذكر أيضا أن هناك سبعة أشياء تمقتها نفس الرب، منها يدان تسفكا الأنفس، البريء. (أمثال 16:6 ويحث العهد القديم على السعي إلى منع العدوان على الأنفس، والعمل على منع القتل ( 11 أنقذ من يساق إلى الموت ولا توفر من يقودهم إلى القتل. 12 فإن قلت لا علم ل بهذا فالرب الذي يزن ما في القلوب وبتبينه ويراك، (ا يعرف فيجازيك بحسب عملك ) أمثال 24، ولقد فصلت التوراة الحديث عن العقوبات المترتبة على الإيذاء فجاء في القتل من ضرب إنسانا فمات فليقتل قتلاً فإن لم يترصده، بل أوقعه الله في يده فسأحدد لك مكاناً يهرب إليه وإذا جار رجل على قريبه فقتله مكرأ فمن عند مذبحي تأخذه ليقتل .

ومن ضرب أباه أو أمه فليقتل قتلاً (سفر الخروج: الإصحاح 21 - ص 187 )، وإن ضرب رجل عبده أو أمته بقضيب فمات تحت يده ينتقم منه انتقاماً . وأما إن بقي على قيد الحياة يوماً أو يومين، فا ينتقم منه لأنه ماله)، وفي القصاص ( وإن تأتي ضرر تدفع نفساً بنفس، وعيناً بعين وسناً بسن ،يداً بيد ورجلاً برجل وحرماً بجرماً وجرماً بجرماً ورضاً برض ) وجاء في سفر الأحبار الإصحاح 24 - الآية 17 - 21 (ومن قتل إنساناً يُقتل قتلاً ومن قتل بهيمة مثلها، نفساً بدل نفس وأي رجل أحدث عيباً في قريبه فليصنع به كما صنع : الكسر بالكسر والعين بالعين والسن بالسن كالعيب الذي يحدثه في الإنسان يُحدث فيه من قتل بهيمة يعوضها، ومن قتل إنسان يُقتل (398) الكتاب المقدس ) إضافة إلى هذه النصوص يتبين لقارئ نصوص العهد القديم وجود عدد منها الدالة على كرامة الإنسان والعناية به .

فقد نصت في سفر التكوين(26) وقال الله لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا وليتسلط على سمك البحر وطيور السماء والبهائم وجميع الوحوش في الأرض وكل ما يدب على الأرض. 27 فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلق البشر ذكر أو أنثى خلقهم )ويذكر بعض الشراح أن مرض الكبر من أخطر الأمراض التي تدفع إلى احتقار الإنسان لغيره فلا يوجد خطأ يحطم كل الفضائل ويسلبها، ويعري الإنسان من كل بر وقداسة، مثل شر الكبرياء الذي يشبه وباء خطيراً يهاجم الإنسان بكلية مثل شراء الكبرياء ( تفسير الآباء الأولين – الأمثال و يعلن العهد القديم أيضا بالعقاب للمستهزئ بالضعيف بان ذلك لا يمس الضعيف فقط بل أيضاً تلحق خالقه: ( 5 المستهزئ بالفقير يستهين بخالقه، ومن يفرح بالنكبة لا عذر له ) الأمثال.

وإن كان هذا النص لا يدل بالتأكيد على مبدأ المساواة التامة إلا انه يتحدث عن الكرامة الإنسانية، ومما لا شك فيه أ الشريعة اليهودية وعلماؤها ساروا بخطى أخرى في التقريب بين اليهودي وغير اليهودي، حتى وصل الأمر إلى احتقار الجنس غير اليهودي ولا مجال للحديث عن ذلك في هذا البحث .

وأما المرأة في الشريعة اليهودية ما هي إلا مخلوق حقير والزواج بها يعتبر صفقة تعد به المرأة مملوكة لزوجها وهو سيدها المطلق وقد حذر التلمود من المرأة واعتبرها خطراً، حيث نصح اليهود ( خيراً للإنسان أن يعيش وراء أسد من أن يعيش وراء امرأة )، وجاء في سفر الجامعة (درت أنا وقلبي لأعلم ولأبحث ولأطلب حكمة وعلماً ولأعرف الشر أنه جهالة وحماسة أنه جنون، فوجدت أمر من الموت المرأة التي هي شباك وقلبيها إشراك ويداها قيود .. رجلاً واحد بين ألف وجدت أما امرأة فبين كل أولئك لم أجد) سفر التكوين الإصحاح 2-12) وعقد الزواج عند اليهود أقرب للبيع والشراء منه لعقد الأزواج، إذ كان ما يدفعه الزوج يعتبر ثمناً للزوجة وهكذا تصبح الزوجة بمقتضى العقد مملوكة للرجل تُورث لمن له حق الإرث إذا مات المالك، فإن مات الأخ مثلاً دون ابن ذكر يرث زوجته الأخ الآخر الذي يليه في العمر ويدخل بها .

## حقوق الإنسان في الأديان السماوية

والخلاصة هي أن الإنسان في التصنيف البشري كالحوان في الفرق بينه وبين اليهودي لأنهم شعب الله المختار فلهم الامتيازات والرفعة . يقول التلمود : يمكنك أن تغش الغريب وتدينه بالرأيا الفاحش ولكن إذا بعث أو اشترت شيئاً لقرينك " اليهودي " فلا يجوز لك أن تراوغه وتساممه ، ويقول : عندما يقيم يهودي قضية على غير يهودي، عليك أن تعضده وتقول للغريب هذا ما تريده شريعتنا منا -

وإذا كانت شريعة الغريب تشد أزر يهودي فيجب عليك أن تساعد أخاك له الحكم في الدعوى ولا تقول للغريب : هذا ما تريده شريعتك منك وإذا لم يكن الأمر كذلك، أي لم يكن لليهود قضية في البلاد ولم يكن لهم شرائع خاصة بهم فعندئذ يتحتم عليك أن تحك حول الغريب أحابيل الخداع وتوقعه بها حتى يظهر اليهودي عليه " ويقول بوشافاط : " أحد الأحرار اليهوديين " إن الوصية القائلة ( لا تقتل معناها لا يجوز لك قتل إسرائيلي ) (نويهض - ص 182 - 184 )<sup>(6)</sup>

وهذا تطاول على حقوق الإنسانية كاملة وعنصرية لا يقرها الله فالله منزه عن اختيار شعب بعينه حيث قال في محكم التنزيل { وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } سورة المائدة الآية 7 .

حيث لا يميز بين الشعوب والقبائل إلا بالتقوى والعمل الصالح. فذاك اتجاه صهيوني يدعو إلى التعصب العنصري والديني وتقوية الشعور القومي لذا اليهود وإحياء التاريخ اليهودي فأصبحت اليهودية صهيونية تبرأت منها الشريعة الإلهية وظلت خاضعة لأهواء الحاخامات والأحبار والتمتع فيها بالحقوق متوقف على تلك الأهواء.

### الفرع الثاني: الشريعة المسيحية

بانحراف بني إسرائيل عن جادة الصواب دعت الحاجة إلى نبي آخر فكانت رسالة سيدنا عيسى عليه السلام ليهديهم إلى الصراط المستقيم، التي بدأت بمعجزة ولادته لتبين للبشر عامة وبني إسرائيل خاصة الجانب الروحي الذي أغفله حاملاً معه الإنجيل، ولكنهم ناصبوه العدا وكفروا بما أنزل عليه لأنه يدعو إلى الزهد والمساواة بين البشر، واليهود قوم عكفوا على المادة وأنكروا عليه مساواتهم بالشعوب الأخرى لأنهم حسب اعتقادهم أنهم شعب الله المختار، فعدوه كاذباً وشعروا بالخطر الذي يهدد الديانة اليهودية فاستصدروا أمراً من السلطات الرومانية بإعدام المسيح بحجة أنه مشير للفلافل والفتن فأعدم كما يعتقدون قال تعالى :

{ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا } سورة النساء

157

ولا نود الخوض في بيان خلافهم حوله أو اختلافهم في تفسير هذه العقيدة بل نود الإشارة إلى أثر الاضطهاد التي كانت سبباً في فقدان السند المتصل بالمسيحية يقول : رحمة الله الهندي في كتابه إظهار الحق ( طلبنا مراراً من علمائهم الفحول السند المثل فما قدروا عليه، واعتذر بعض القسيسين في محفل المناظرة التي كانت بيني وبينهم فقال: إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة وتحصنا كتب الإسناد لهم، فما رأينا فيها شيئاً غير الظن يقولون بالظن ويتمسكون ببعض القرانين (ابوزهرة - ص 17 - 24 )<sup>(7)</sup> وبرغم ن ذلك إلا أننا لا نود الحكم المسبق على المسيحية ولكن نحاول بيان بعض النصوص التي تناولت حقوق الإنسان وتضمنتها .

ويرى أنصار المسيحية بأنها ديانة تقوم على المحبة والتسامح ويتجلى ذلك فيما ورد في " إنجيل متى " سمعتم انه قيل عين بعين وسن بسن، وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بالشر، بل



### حقوق الإنسان في الأديان السماوية

من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً، ومن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً، ومن سخرك ميلاً واحداً فإذهب معه اثنتين " (الإصحاح الخامس 38 و 41)، وعلى الرغم من ذلك فإننا يمكن أن نجد في " الإنجيل " أو العهد الجديد ما قد يدل على احترام حقوق الإنسان عند المسيحية : فيتضمن (إنجيل متى) النهي عن المساس بالحقوق في الحياة، وضرورة حماية الأعراض بالنهي عن الزنا، ويشدد على استعمال حاسة البصر في الاطلاع على عورات الغير أو في الأعراض الشريرة وهو في ذلك يقول: ( قد سمعتم أنه قيل للقديس لا تقتل ومن قتل يكون مستوجب الحكم .

وأما أنا فأقول لكم أن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجباً للحكم. ومن قال لأخيه رقا يكون مستوجب الجمع. ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم (الإصحاح الخامس 21-22 ) وقال أيضاً وقد سمعتم أنه قيل للقديس لا تزن وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتتها فقد زنى بها قلبه.

فإن كانت عينك اليمنى تعثرتك فاقطعها وألقها عنك لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم) وقال في موضع آخر: (سرج الجسد هو العين فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً. وإن كانت عينك ونغطيه قالك كله يكون مظلماً) (الإصحاح السادس 22 ) وفي موضع ثالث دعا المسيحيين إلى غفران زلات الناس فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم، يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوي (الإصحاح السادس ص 18).

وقد استشهد بذلك الإمام أبي حامد الغزالي في إحياء علوم الدين، فقد كتب " قال عيسى عليه السلام للحواريين : كيف تصنعون إذا رأيتم أحاكم نائماً وقد كشف الريح ثوبه عنه ؟ قالوا: نستتره ونغطيه قال: بل تكشفون عورته ! قالوا : سبحان الله من يفعل ذلك فقال : أحكم يسمع بالكلمة في أخيه فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها ) نادى المسيحية بمبادئ سامية شأنها في ذلك شأن أي ديانة سماوية على لسان سيدنا عيسى عليه السلام فقد جاء في الأناجيل " متى - لوقا - يوحنا - مرقس " قصة الشاب الذي طلب منه المسيح عيسى عليه السلام أن يتعلم شرائعه فقال له عيسى: ( لا تقتل، ولا تزن، ولا تشهد الزور). (السعدي -11 وما بعدها)<sup>(8)</sup> كما نادى بمساواة الجميع أمام الله، الأمر الذي يفسر الإقبال الواسع للعبيد على اعتناق الشريعة المسيحية، لكن صداها كان محدوداً، فالعبودية لم تلغ وظل التقسيم الطبقي قائماً، وظلت المجتمعات تعيش في ظل مبادئ القانون الروماني واليوناني وتعاليم الإمبراطورية الوثنية التي أوكلت المسيحية للباباوات وما ترتب على ذلك من تغيير الحال فوق كبار رجال الدين المسيحي فيما وقع فيه اليهود من ظلم واضطهاد للأخرين، وباركت الكنيسة هذا العمل الاستعماري وربطت ذلك بمدارسها التبشيرية والتنصيرية بأن خلاصهم من العبودية لا يتم إلا من خلال اعتناقهم للديانة المسيحية .

وللافت للنظر أن المسيحية حينما أضحت قوية بعد أن اعتنقها الإمبراطور قسطنطين وجعلها الدين الرسمي لروما عام 313، بدأ رجال الدين يبحثون عن التبرير الديني للحرب، الأمر الذي يفسر العنف الذي استخدم في شمال أوروبا لإرغام سكانها على اعتناق المسيحية، قد عظم شأن الكنيسة نتيجة لذلك، وطغى سلطانها على السلطة الزمنية الحاكمة، وبذلك أصبح الفرد مجرد عبد للكنيسة من ناحية، ولأمراء الإقطاع من ناحية أخرى، وأصبح محروماً من أية حقوق أو حريات فردية مما ساعد على ذلك الوضع المتردي عدم وجود أية دساتير أو تشريعات تنظم تلك الحقوق والحريات ويلتزم الأمراء باحترامها (بدوي - ص 152).<sup>(9)</sup>

وما بعدها نظراً لتلك الأوضاع برزت بعض التيارات الفكرية التي تدعو إلى الإقرار بحق الشعوب في الحرية السياسية وضرورة فرض القيود على السلطان المطلق للحكام، وتقرير بعض

## حقوق الإنسان في الأديان السماوية

الحقوق والحريات للأفراد وقد دفعت تلك التيارات الفكرية الكنيسة بدورها إلى تغيير موقفها المتسلط، واعتناق بعض التيارات المتحررة، وإن كانت الكنيسة تقصد الإيمان بتلك التيارات وبحقوق الأفراد التي تتادي بها، بقدر ما كانت تقصد استخدام الاتجاه الجديد سلاحاً في حربها ضد الإمبراطور ومحاولة نزع سلطاته المطلقة أما الإمبراطور فقد ظل متمسكاً بنظرية الحق الإلهي التي يستمد منها سلطانه المطلق كممثل لسلطان الله على الأرض .

وقد تبنى ذلك الاتجاه الجديد المتحرر للكنيسة القديس أوغسطين، ومن آرائه الفكرية الدعوة إلى تكوين مجموعة أمم مسيحية، وقد صور تحقيق هذه الدعوة بأنها ذروة تطور الإنسان من الناحية الخلقية والروحية ولعل ما دفعه إلى هذه الفكرة إيمانه بعجز الدولة عن إقامة العدالة ما لم تكن دولة مسيحية وهو يقول: في ذلك إن المغالطة الزعم بأن الدولة قادرة على أن تعطي كل ذي حق حقه إذا كانت الدولة نفسها لا تعطي للرب نفسه حقه في العبادة " وبرز أيضاً القديس " توماس الإكويني، بينما تبنى فكرة الإصرار على تملك الإمبراطور بسلطاته المطلقة الفيلسوف دانتي الجيوري " صاحب كتاب " الكوميديا الإلهية " الذائع الصيت وتعتبر الدولة في نظر القديس " توماس الإكويني " نتيجة ضرورية من أجل إشباع الحاجات النابعة من طبيعة الإنسان ومهمة الدولة هي صيانة الأمن والسكينة وتحقيق المصلحة العامة .

ومن جهة أخرى، فإن الدولة أدنى منزلة من الكنيسة، وعلى ذلك يجب على الدولة أن تقوم بتقديم يد العون والمساعدة للكنيسة، كما يجب أن تكون في خدمتها لكي تحقق أهدافها العليا، وكل دولة تقف مناهضة للكنيسة أو تعارض قراراتها تصبح دولة غير شرعية ويملك البابا حق إقالة حكومتها، وإعفاء مواطنيها من الخضوع لأوامرها وسلطاتها والقانون في رأيه يجب أن يستهدف تحقيق المصلحة العامة والخير العام للأفراد وليس مصلحة فرد واحد، وقد واجه " توماس الإكويني " مشكلة القوانين غير العادلة وواجب المواطنين كافة الخضوع إلى التشريع وانتهى إلى ضرورة الخضوع للقانون حتى ولو كان قانوناً ظالماً طالما لا يمس الدين، وبرر ذلك بأنه يؤدي إلى تلافي حدوث ضرر كبير لأن إجازة الإحاطة بالتشريعات غير العادلة يمكن أن تؤدي إلى فوضى وانتشار الفساد والفوضى وانتشار الفساد أخطر كثيراً على المجتمع من الخضوع لقانون ظالم (محمود السقا - دراسة فلسفية لنظرية القانون الطبيعي في العصر الوسيط - (عبدالحاميد - ص 105-155)<sup>(10)</sup>

وبذلك حقق هذا الفيلسوف توازناً بين السلطة الزمنية للإمبراطور في المسائل الدنيوية واختصاص البابا وسلطاته في الأمور الدينية كما لم يهمل فكرة العدالة وارتباطها بالقانون الطبيعي وحقوق الإنسان خاصة عندما نادى بإخضاع الدولة إلى الكنيسة خلافاً للقاعدة المسيحية التي تفصل بينهما، وتتخلص أفكاره حول حقوق الإنسان في نظريته الشاملة إلى ربط العدالة بالله الخالق، خالق الكون والحياة والذي بقدرته اللامتناهية ورحمته بعباده، لا يتركهم في ظلام دامس ومن هنا منحهم نفس القابلية للمعرفة والتعليم ولا يعلو أحد على أخيه إلا بمقدار ما يستخدم قدراته العقلية وفي تحليله للعدالة فإنه حاول ربطها بالأناجيل، فهي تمثل في نظره المحبة والاحترام، والفضائل، والإيمان هذه السمائل التي يتحلى بها الإنسان تتفق تماماً وما نصت عليه الأناجيل، وهي تحدد في الوقت ذاته مفهوم حقوق الإنسان وواجباته، وتتخلص وجهة نظر " دانتي الجيوري " في وجوب توحيد النظام السياسي للإنسانية جمعاء في دولة واحدة لتحقيق السلام العالمي وإسعاد البشر إذ ينبغي أن يجتمع الجنس البشري كله تحت رئاسة حاكم واحد لإنشاء إمبراطورية عالمية واحدة، ومن جهة أخرى، فهو يخالف القديس " توماس الإكويني " فيما ذهب إليه من علاقة الدولة بالكنيسة، وهاجم البابوات وسخر منهم بشدة، وقال عنهم أنهم " ذئاب كواسر في زي رعاة " ودعا إلى ضرورة

### حقوق الإنسان في الأديان السماوية

فصل الدولة عن الكنيسة، أي فصل السلطتين الروحية والسياسية، فما لقيصر لقيصر، وما لله لله .. والذي يملك هاتين السلطتين هما الله وحده.

وكنيجة لهذه الآراء انتقلت المسيحية من ديانة إلى مجرد فكر مسيحي حتى وإن نادى بالفصل بين ما لله وما لقيصر فإنها لم تبين ما هو لقيصر وما يترك لله، والأمر الوحيد الذي سعت المسيحية إلى تحقيقه هو حرية العقيدة، أما خارج هذا النطاق فقد ظل الخضوع للحاكم كما كان، وسلطانه بلا حدود. وكان المسيحية لم تتطرق لبيان الروابط بين حرية العقيدة وبين غيرها من الحريات، ولم تدرك أنه لا وجود للأولى دون غيرها.

وبناء على ذلك عاشت أوروبا قرونًا طويلة في ظل سلطان مطلق لا مكان فيه للفرد، ولا يعترف له بحقوق أو حريات، ولا يفيد من سلطات الحاكم، ولا يخضع لأي قاعدة أو قانون، واستمر الحال على ذلك قرونًا طويلة عاشتها أوروبا في ظل نظام استبدادي مطلق (بدوي بص 114)<sup>(11)</sup>، إثر ذلك بدأ الاتجاه الفلسفي يميل إلى طرح فكرة الدولة والقانون من زاوية أخرى هي العلاقة بين الفرد وبين الجماعة السياسية، أي بين الحكام والمحكومين وتوارت بذلك فكرة العلاقة بين الدين والدولة وقد ظهر هذا الاتجاه ليؤكد سيادة الدولة حتى ولو كان ذلك على حساب التضحية بحرية الأفراد، كما ظهر اتجاه عكسي يدعو إلى التمسك بحقوق الأفراد على حساب سلطة الدولة ومن بين المفكرين والفلاسفة الذين ينادون بذلك "ميكافيلي"، "جان بودان"، وجرسيوس.

### الفرع الثالث: الشريعة الإسلامية

من المؤكد أن الشريعة الإسلامية هي أولى الشرائع التي أقرت حقوق الإنسان بصورة شاملة، فقد اتسعت صورة هذه الحقوق في الإسلام، وتشعبت الضمانات الواردة لحمايتها، وقد دعمت الشريعة الحريات بكافة صورها، وحرص الإسلام على تقرير المساواة في أكل صورها، وجعلها من العقائد الأساسية التي يجب أن يدين بها كل مسلم. فقرر أن الناس سواسية بحسب خلقهم الأول وعناصرهم الأولى، وأن ليس ثم تقاضل في إنسانيتهم، وإنما يجري التقاضل بينهم على أسس خارجة عن الإنسانية نفسها: على أسس كفاءاتهم وأعمالهم وما يقدمه كل منهم لربه ونفسه ومجتمعه والإنسانية جمعاء وفي هذا يقول تعالى:

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ نَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } سورة الحجرات الآية 13 أي إنكم جميعاً منحدرون من أب واحد وأم واحدة فلا فضل لأحد على الآخر بحسب عنصره وطبيعته، وإذا كان الله تعالى قد جعل الناس شعوباً وقبائل فإنه لم يجعلهم كذلك لتفضيل شعب أو قبيلة، وإنما قسمهم هذا التقسيم ليكون ذلك وسيلة للتعرف والتميز والتسمية والتفاضل في نظر الله عز وجل إنما يجري على أساس الأعمال والمحافظة عليها ويقول الله تعالى في آية أخرى: { لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا } سورة الإسراء الآية 70 فإله تعالى قد كرم بني آدم على العموم، وفضلهم على كثير من خلقه ولم يحض بذلك جماعة دون أخرى. ويقول تعالى في صدد المساواة بين الذكر والأنثى في القيمة الإنسانية: { فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ } سورة آل عمران 195.

أي إن الذكور من الإناث والإناث من الذكور، وليس بينهما فرق في جوهر الطبيعة وفي هذا المقام يقول المصطفى عليه الصلاة والسلام في خطبة الوداع التي جعلها دستوراً للمسلمين من بعده

## حقوق الإنسان في الأديان السماوية

: يأيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد وكلكم لأدم وأدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر ولا لأبيض على أسود فضل إلا بالتقوى (ابن حنبل - ص 411) (12) والمتأمل للتشريع الإسلامي يدرك التأكيد على مبدأ الحرية الإنسانية وعدم اعترافه بالاستعباد والاسترقاق وإقراره كفارة تحرير الرقيق عن القتل الخطأ، ولعل أعظم صيحة للحرية الشخصية تلك العبارة التي أطلقها عمر بن الخطاب عندما خاطب عمرو بن العاص قائلاً: " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً " وعلى ذلك، فإننا لا نجافي الحقيقة إذا قلنا أن الإسلام هو أول من قرر المبادئ الخاصة بحقوق الإنسان في أكمل صورها ونطاقها، منذ أربعة عشر قرناً من الزمان، فالإسلام قرر منذ بداية عهده أن للإنسان حقوقاً يجب أن تراعى، وهذه الحقوق منحة من الله سبحانه وتعالى أي أنه لا فضل فيها لمخلوق يستبد ويتحكم فيها ويمنحها لمن يشاء ويمنعها عن من يشاء ومن ثم فإن الحقوق والحريات ليست حقوقاً طبيعية، إنما هي منح من الله العليّ القدير، تستمد من أحكام الشريعة وتستند إلى العقيدة الإسلامية وهذا ما يكسبها قدراً من الهيبة والاحترام والقدسية التي تشكل ضمانات أساسية ضد أهواء الحكام " فهي فرائض إلهية وواجبات شرعية " وتأسيساً على ما تقدم، فإن حقوق الإنسان هنا توصف بأنها حقوق ملزمة بحكم المصدر الإلهي الذي تستمد منه وهي لذلك لا تقبل الحذف أو النسخ أو التعطيل، كما لا يُسمح - شرعاً بالاعتداء عليها. (الغزالي - ص 9) (13)، إن عناية الشريعة بحقوق الإنسان جاء من حرصها على تحقيق مقاصدها الكلية التي تتمثل بحسب رأي غالبية الفقهاء في: حفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ الدين، وحفظ النسل، وحفظ المال، والواضح أن هذه المقاصد تستلزم كفالة تمتع كل إنسان بحقوق معينة: حفظ النفس - مثلاً - يتطلب كفالة حق كل إنسان في الحياة، وفي الأمن، وفي المأكل، ومقصد حفظ المال يتطلب حماية الحق في الملكية، وهكذا ولذلك يقول الفقه في هذا الصدد بأن: الإسلام اهتم بالإنسان وحقوقه، فقرر المساواة والعدل وأقام الحريات للجميع ودعا إلى احترام الفرد وتكريمه بما يصلح لكل زمان ومكان.

فالإسلام جاء عقيدة وشرعية لشموله أمور الدنيا والآخرة وتضمن أنواعاً من الحقوق تفوق الحقوق التي اشتملت عليها الفلسفات الوضعية في الأنظمة السياسية المتباينة (القاسمي ص 93 - 94) (14)، كان الإسلام هو السياق في إقراره وتأكيد حقوق الإنسان بأكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، فلم يسبق الشريعة الإسلامية أي تشريع آخر ينادي بحقوق الإنسان في كل مجال من حياته، وخبر دليل على ذلك مجموعة الوثائق الإسلامية التاريخية التي تؤكد سبق الإسلام مثل صحيفة المدينة، وصلح الحديبية، وصلح نجران، ووصية أبو بكر الصديق لجنوده، ومعاهدة عمر بن الخطاب مع أهل بيت المقدس، ومعاهدة عمرو بن العاص مع أهل مصر (عبد الحميد ص 95) (15) وتعزيزاً لذلك نشير إلى أن الشريعة قسمت الحقوق إلى: حقوق الله تعالى، وحقوق العباد، وحقوق مشتركة بين الله تعالى وعباده، ومن ثم فإن الحقوق والحريات ليست حقوقاً طبيعية، إنما هي منح من الله العليّ القدير تستمد من أحكام الشريعة وتستند إلى العقيدة الإسلامية وهذا ما يكسبها قدراً من الهيبة والاحترام والقدسية التي تشكل ضمانات أساسية ضد أهواء الحكام وتأسيساً على ما تقدم، فإن حقوق الإنسان في الإسلام توصف بأنها حقوق ملزمة بحكم المصدر الإلهي الذي تستمد منه، وهي لذلك لا تقبل الحذف أو النسخ أو التعطيل، كما لا يُسمح شرعاً بالاعتداء عليها

## حقوق الإنسان في الأديان السماوية

### النتائج:

1. إن حقوق الإنسان في الديانة اليهودية رغم أنها أكدت على بعض الحقوق كالمساواة ولكن نظرا لما شابها من تحريف في النصوص فإن اليهود استندوا على التوراة المحرفة التي تنادي بأفضلية بني إسرائيل على بقية الشعوب.
2. إن الديانة المسيحية هي دعوة دينية بحثه جاءت تدعوا إلى التسامح والمحبة وهي تنظر إلى حقوق الإنسان بالإضافة إلى دعوتها لتحديد السلطة وعدم قبول فكرة السلطة المطلقة محاولة الفصل بين السلطتين الدينية والزمنية فنادت دع ما لي قيصر لقيصر وما لله لله ولكن رغم ذلك لم تستمر هذه التصورات نتيجة تدخل الفكر المسيحي في كافة شئون الحياة عدا حرية العقيدة .
3. مساهمة الأديان في الاعتراف بحقوق الإنسان هي مساهمة للتخفيف من شقائه عن طريق صياغة نصوص تعترف اعترافا كاملا بهذه الحقوق وخلق ضمانات للحفاظ عليها مثل فرض العقاب على المخالف لها وإن ما صاحب هذه الديانات من تحريف وتشدد في التطبيق وكذلك العنصرية التي صاحبها ناتج عن التحيز للعقيدة والمذاهب بين أبناء الدين الواحد هو ما غير مفاهيمها .
4. إن حقوق الإنسان في الإسلام ليست منحة من أحد أو قرار صادر من منظمة محلية أو عالمية، وإنما هي حقوق ملزمة بحكم مصدرها الإلهي، لا تقبل الحذف والنسخ أو التنازل من هنا كل ما صدر من موثيق وبيانات كانت متمشية مع طبيعة الحقوق في الشريعة الإسلامية لذلك لم تتعرض لتغيير وإن تعرضت للانتهاكات.

### المراجع:

1. التونجي عبد السلام - دراسات إسلامية - منشورات قار يونس بدون تاريخ
2. خياطة محمد وحيد - قراءات في التوراة على ضوء المكتشفات الأثرية - دمشق - 1987
3. السعدي محمد - حول موثوقية الأناجيل والتوراة - جمعية الدعوة الإسلامية - ليبيا - 1986
4. شلبي أحمد - مقارنة الأديان - الجزء الأول - الطبعة الثانية عشر -
5. الكتاب المقدس - لبنان - بيروت - 1994
6. نويهض عجاج - برتوكولات حكماء صهيون - المجلد الثاني - الجزء الثالث والرابع - الطبعة الثانية. 1987.
7. أبو زهرة محمد - محاضرات في النصرانية - دار الفكر العربي - القاهرة - الطبعة الثالثة - بدو - دار بدوى ثروت : النظم السياسية - الجزء الأول - النظرية العامة للنظم السياسية - دار النهضة العربية - 1964
8. عبد الحميد حسن - فكرة القانون الطبيعي الكلاسيكي ومفهوم القانون " الأساس الديني للقانون " - دار النهضة العربية 1996.
9. حنبل - أبو عبدالله أحمد - المسند - الجزء الخامس - المكتب المصري للطباعة والنشر - بيروت - بدون طبعة
10. الغزالي محمد - حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة - 1992 -
11. القاسمي علي - حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والإعلان العالمي - الدار البيضاء - منشورات رمسيس 2001 -

## الوطنية من خلال القصيدة الليبية في الغربية (بعض قصائد: سليمان الباروني وأحمد رفيق أنموذجاً)

د. مولود بشير محمد كشلاف  
كلية الآداب جامعة الزاوية

### تمهيد

منذ بداية الحركة الشعرية في ليبيا التي انطلقت عقب عصر الانحطاط، كرس الشاعر الليبي جهده في تنوير العقول، فأخذ يوجه وينصح ويقترح ويسعى إلى المشاركة في تثقيف مجتمعه، الذي عانى ويلات الجهل والمرض والفقر بسبب الحقب الاستعمارية المتتالية على البلاد، ففي سنة 1510 احتل الأسبان طرابلس، ومن ثم تنازلوا عنها لفرسان القديس يوحنا في عام 1535م، وفي عام 1551م استولى العثمانيون الأتراك على زمام أمر ليبيا كاملة تحت مسمى الخلافة الإسلامية، وهذا الاستيلاء استمرّ قرناً طويلاً، أي حتى نزول الإيطاليين على الشواطئ الليبية وغزوها عام 1911م،<sup>(1)</sup> ورغم قساوة هؤلاء الدخلاء على الشعب الليبي الذين جعلوا من أبنائه مواطنين من الدرجة الثالثة أو أكثر وهو ما أذكى لهيب الثورات والقتال<sup>(2)</sup> التي توالى آنذاك في هذا القطر العربي الإسلامي على هؤلاء الدخلاء، الذين لم يدخروا جهداً "على تخلفه وعدم مسابرة الركب الحضاري الإنساني، إلا أنه حافظ على هويته القومية المميزة"<sup>(3)</sup>، كما أن الكوارث الطبيعية التي حلت بليبيا ضعفت هي الأخرى المجتمع الليبي وألحقت به الضرر<sup>(4)</sup>، كل تلك المحن أجبرت الكثير من أبنائه الناجين على اللجوء لدول جوار، وغيرها بحثاً عن الاستقرار والأمان، ومع ذلك كله ويقدر ما كان من اضطهاد وسوء معيشة وعدم استقرار، يقدر ما واكبت البلاد حركة النهوض واليقظة العلمية، التي سرت في ربوع الوطن العربي منطلقاً من مصر عقب الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بنايرت سنة 1798م، وفي هذا الوقت كانت الحركة السنوسية قد ظهرت في الشرق الليبي وصارت زواياها العلمية تنتشر في كل ربوع البلاد، بل امتد شعاعها إلى دول الجوار كالسودان وتشاد والنيجر، حينها "بدأ الأدب الليبي الحديث في الظهور بقيامها"<sup>(5)</sup> وزاد ذلك الظهور سطوعاً وانتشاراً ولادة الصحافة في هذا القطر سنة 1866م، ولكن كثيراً من مؤرخي الأدب العربي وثقافته يرون أن الأدب العربي الليبي انطلق في حياته الفعلية "مع قيام حركة الكفاح المقدس ضد الغزاة الإيطاليين عام 1329هـ 1911م؛ حيث بعث هذا الكفاح الحماس في صدور الشعراء العرب في كل مكان"<sup>(6)</sup> ولكن تبقى الحركة السنوسية هي البيئة الأولى لمنبت الأدب العربي الليبي الحديث ومن ثمّ تليها الصحافة، كما لا يمكن تناسي دور بعض الليبيين الذين درسوا في بعض الأقطار الأخرى، وقد نبغوا وساهموا بنتائجهم في صحافة تلك الأقطار<sup>(7)</sup> بل كان ذلك أحد الدعامات التي أذكت الحركة الأدبية في ليبيا إذ كان نتاج أولئك الشعراء في بلاد الغربية معبراً عن حقيقة مؤلمة وواقع مرّ فرض عليهم من قبل محتلّ أجبرهم على الإقامة في أرض غير أرضهم .

لقد كانت هذه القصائد مثلاً للتعبير عن حب الوطن وحرقة البعد عنه وعن الأهل؛ لذلك رأيت أن أقدم في هذا البحث دور قصيدة الغربية في تأجيج عاطفة حب الوطن، لأن الغربية بُعد عن مسقط الرأس والأهل والأحبة وذكريات الطفولة والصبا، ولعمري لا يعرف المرء القيمة الحقيقية للوطن إلا إذا تغرب وعاش رداً من الزمن بعيداً عنه، ولا يعرف أوجاع الغربية إلا من عاشها وقاسى عذابها، ولذا قالت العرب "أحمض من صقع الدلّ في بلد الغربة"<sup>(8)</sup> وقالوا أيضاً: "ما فكر فيلسوف قط إلا رأى الغربة أجمع"<sup>(9)</sup> أي أشق وأتعب، وقال الجاحظ في مدح الكتاب وتخفيف ألم

### الوطنية من خلال القصيدة الليبية في الغربية...

الغربية: " نعم الأنييس لساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربية" (10) وبما أننا في وقتنا الحاضر نرى أنفسنا وطلابنا خصوصاً في أمس الحاجة لزراعة بذور الوطنية في النفوس التي تجهلها ولا تحسب لها قيمة. فقد رأيت أن أشارك بهذا البحث المتواضع لعل وعسى أن يلتفت إليه بعض من لا يعرف معنى للوطنية وما تحويه من قيم عظيمة نستقيها من خلال الإرث الأدبي للأباء والأجداد.

#### المعنى اللغوي والاصطلاحي للغربية

الغربية من غرب وهو منتهي الشمس وغيابها آخر النهار، ومنها جاء الغروب، (11) وقالت العرب: "أشأَمُ مَنْ غَرَابَ اللَّيْلُ: ليس في الأرض بارح ولا نطيح ولا قعيد ولا أعصب، ولا شيء مما يتشامون إلا والغراب عندهم أنكد، واشتقوا من اسمه الغربية" (12).

والغربية في الاصطلاح هي الاغتراب، وأجمع العلماء على أنها النزوح عن الوطن لغرض طلب من المطالب وفي الحديث: قَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ( بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطَوَّبَى لِلْغُرَبَاءِ ) (13) معنى الحديث: إن الإسلام بدأ غريباً حينما دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الناس إليه، فلم يستجيب له إلا الواحد بعد الواحد، فكان حينذاك غريباً بغربة أهله، لقلنتهم وضعفهم مع كثرة خصومهم وقوتهم وطغيانهم وتسلطهم على المسلمين، حتى هاجر من هاجر فراراً بدينه من الأذى والظلم، حتى لحق بهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأمر الله تعالى إلى المدينة (14).

ولقد كان للاغتراب والفرقة أثراً عند القدامى، وما من عصر إلا واشتكى أدباؤه من حرارة الفرقة ومرارة الغربية، وقد وصف الجاحظ (16) الغريب بقوله: "والغريب النائي عن بلده المتحني عن أهله كالنور الناد، (17) الذي هو لكل رام قنبيصة" (18) ويقول الشاعر: (19)

جسمي معي غير أن الروح عندكم فالجسم في غربة والروح في وطن

ويدعو ابن حمديس (20) إلى البقاء في الوطن مهما كانت الظروف، ويحث على عدم التغرب، إذ شبهه بتجرع السم في قوله: (21)

وَيَاكَ يَوْمًا أَنْ تُجْرَبَ غَرِيبَةً فَلَنْ يَسْتَجِيرَ الْعَقْلُ تَجْرِبَةَ السَّمِّ

ويشكو الشاعر القروي ألم الغربية وشدة الحنين إلى وطنه العربي فيقول: (22)

ليكاد يقتلني الحنين إلى الحمى فأعجب لطول إقامتي في صنبل (23)

أمشي كبعض النائمين أو أنني وسط المدينة هائم في مجهل

#### الشعراء الليبيون في الغربية

والليبيون كغيرهم من الشعوب تعرضوا لنكبات التغرب وهذا لا يعني أن الشعراء هم وحدهم من تغرب عن الوطن، وضاق مرارة البعد عن الأهل والأحبة وعاش في بلاد الغير، بل كل الفئات تعرضت لذلك وبخاصة بسبب مقاومة الغزاة سواء كان في ميادين المعارك أم بالكلمة والفكر - فقد فُيِّضَ على عدد من المجاهدين فمن نجا من التعذيب والقتل نُفي قسراً، وهناك من فرّ وتغرب هرباً وخوفاً على نفسه من هذا العدو الدموي الحاقد، الذي لا يعرف إلا التتكيل والشنق، وهناك من لجأ للغربية لأجل طلب علم في تونس حيث جامع الزيتونة مثلاً، أو إلى مصر حيث الأزهر الشريف، أو في مدينة تمبكتو بمالي، أو في غير ذلك، ومنهم من تغرب بسبب طلب العيش، وهناك من استقرّ خارج الوطن حتى وافاه الأجل هناك (24) ونظراً لمحدودية صفحات هذا البحث، فقد أقتصر الحديث عن معاناة شاعرين تغرباً بسبب الاضطهاد إبان الغزو الإيطالي، وهما الشاعر سليمان الباروني والشاعر أحمد رفيق المهدي.

الوطنية من خلال القصيدة الليبية في الغربية...

**الشاعر سليمان الباروني:** ولد الشاعر والشيخ الزعيم سليمان الباروني سنة 1290هـ 1873م في بيت من بيوت العلم بمنطقة جادو -إحدى ضواحي جبل نفوسة- فدرس تعليمه الأول فيها، ثم رحل للأزهر الشريف ونهل من فيض فقائه فيه بضع سنين، ثم رحل إلى الجزائر ودرس الفقه الأباضي على يد أجل شيوخها، ولما رجع إلى طرابلس ألف كتابه ( الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الأباضية) وركب بحر السياسة، فانتخب عضواً في مجلس نواب طرابلس في العهد التركي سنة 1910م، وعندما غزت إيطاليا ليبيا امتشق سلاحه وتقدم لقيادة المجاهدين في الغرب الليبي، فقاوم العدو مقاومة شرسة، وكان عضواً بارزاً في الجمهورية الطرابلسية سنة 1918م، ولكونه زعيم مقاومة لو ثبض هذا العدو عليه سينتقم منه أيما انتقام، ولكن رعاية الله حفظته فهاجر إلى العراق بعد سيطرة الغزاة على الغرب الليبي سنة 1922م، ومنها انتقل إلى عُمان، وهناك أصيب بمرض عضال مما جعله يطلب الاستشفاء في بلاد الهند، وبعد وصوله بسويجات التقت ساعة وصوله بمكان منيته في مدينة بومباي عاصمة تلك البلاد سنة 1940م<sup>(25)</sup>، فعليه رحمة الله وجزاه عن شعبه ووطنه الفردوس الأعلى. وهو يعد من رواد الحركة الشعرية الليبية الحديثة، ومن الشعراء الذين واكبوا حركة التجديد في القطر الليبي، وقد لزم المدرسة التقليدية في شعره وهو من تأثر بالغربة عن وطنه فودع وبكى الفرقة والبعد عن الأهل والوطن، ومن جيد شعره في وداع الوطن:<sup>(26)</sup>

وداعاً يا ديار العز حتى	أعود إليك في أهدنا نهار
أذا ما نحو قطرك مدّ خط	حديدي إلى تلك القفار
ونور الكهرباء أتاك يسعى	وقيل الماء في البيداء جاري
وطهرت العيون وقام حزب	بمعدنك النفيس وبالآثار
وشيدت المدارس واستقامت	رجالك واكتست ثوب طهر
وخاطب فيك بالتلفون خِل	يريد البحث عن حال التجار
وحررت الجرائد واستعدت	مطابعها إلى نشر القرار
ورقيت المصانع واستفاقت	شبيبتهك الحليفة للديار
وجاب الشهم منها الأرض علماً	وخاض بحزمه لجّ البحار
وجارى في السياسة من أوروبا	رجال زاحموا قطب المدار
وأبدي الكد مخترعاً مجدداً	يجر النقع من تحت الستار
هناك تكون يا وطن المعالي	غزير العلم مجتمع النظار
يسود المرء فيك ينال عزاً	يجوز الأمن يطمع في انتصار
ألا يا قوم قد نتمت طويلاً	وهتمتم في الجهالة بالبراري
فهل من بقطة تشفي غليلاً	وتمحو ما استوى من سحب عار



الوطنية من خلال القصيدة الليبية في الغربية....

فَهْمُوا واصدقوا فالصدق فيكم عريق واحفظوا حقّ الديار

وإلاً فالوداع وكل قطر به الإسلام يصلح للقرار

هنا يضع شاعر قصيدته داخل إطار فني، منطلقاً بالتوديع والتمني ويختتمها بالدعوة للنهوض وطرده المستعمر فجعل من ذلك كله محاولة لتفريج عن كربة خروجه من الوطن، كونه سيعود يوماً ويراه متحررة في مصاف الدول المتقدمة هذا من ناحية ومن ناحية ثانية جعل تصوّراً لتكوين دولة مدنية حديثة ذات مؤسسات مدنية، حيث يرى في تصور أميته بلاده ليبيا تحرز تقدماً في مجال المواصلات بربط البلاد بخطوط السكك الحديدية، وينعم كل الليبيين بالتيار الكهربائي، وخدمة الاتصالات، ويتدفق الماء في الصحراء وتتحوّل إلى مروج خضراء، وتنتشر المدارس الحديثة في ربوع البلاد، وتدور آلات المطابع لطباعة الكتب والدوريات التي تعبر عن حرية الكلمة والفكر والرأي، وتحرر العقول من رواسب الجهل، وتتنور بضياء العلوم المختلفة، فيبرز فيها المبدعون والمخترعون وتدور عجلة الصناعات المختلفة، وينضبط المواطن تحت دستور يساوي بين الناس في الحقوق والواجبات، فيسود الاستقرار والأمان ربوع الوطن، أما الناحية الثالثة فهي كلمة عتاب ولوم وجهها للعرب، الذين غفوا في سبات عميق إلى جانب تمسكهم بالجهل وعدم النهوض بالوطن، فقد أصبحوا لقمة سائغة في فم الأعداء، فيطلب منهم الصحو والاهتمام بالوطن، وأخيراً يرى إن لم يأخذ الليبيون والعرب جميعاً بما رآه وتمناه فإنه سوف يستقر في أي بلد، فالإسلام والمسلمون في كل دول العالم، وكل ذلك كان من تأثير النزعة الوطنية والدينية في نفس الشاعر، فتلاحظ الشاعر قد بين حبه العميق لوطنه.

وقد استعمل الشاعر بعض الأغراض البلاغية في قصيدته، فمنها على سبيل المثال الاستعارة في قوله: (اكتست ثوب الفخار) فالفخار ليس له ثوب وإنما الذي يرتدي الثياب هم البشر، فقد شبه الفخار بالبشر وحذف المشبه وأبقى على شيء من لوازمه وهو الثياب على سبيل الاستعارة المكنية، وكّفي في قوله: (بمعدنك النفيس) كناية عن مكانة الوطن الغالية التي لا تقدر بثمن، وجانس جناساً غير التام بين لفظتي (نتمم وهمتم) وغيرها من الأغراض، ويقول في وصف شِعْره الذي أقسم ألا يُحْلِقَه حتى تتحرر بلده من الغزاة المستعمرين:<sup>(27)</sup>

هذا هو الشعر الذي شهد الحروب الهائلات

وعليه أمطرت القنا بل كالمواعق نازلات

ويقول:

عش أيها الشّعْر الجليل مسترسلاً كالسلسيل

تحكي ظلاماً شقه قمر له طرف كحيل

تُحي شعوراً لم يزل هو الحياة لكل جيل

ومن قوله في الغربية وشدة شوقه وحنينه لأرض وطنه، وقد ورد في رسالة بعث بها من غربته إلى أحد أصدقائه، متمنياً مُضيّ تلك الأيام الحزينة بسرعة؛ ليتحقق أمل رجوعه إلى وطنه وأهله:<sup>(28)</sup>

ليتها الغربية تقضي بعجل ويصير العام شهراً أو أقل

ونرى الشهر كيوم ينقضي والليالي تنطوي طيّ السجل

الوطنية من خلال القصيدة الليبية في الغربية...

هينَ ذاك من وإن كان كما	قيل من أعمارنا ذاك العجل
ساعة تعدل شهراً عندنا	فمتى يا أهل نيل الأمل
ويصف حاله في غربته أيضاً في قصيدة أخرى فيقول:	
هي النواذب لي فلا	أرضى بها للجاهلين <sup>(29)</sup>
الماكفين على اللذئذ	في رضاء المشركين
لهم الطنافس والتنافس	بالغوالي والبنين <sup>(30)</sup>
ولهم معاقرة الخمور	ونقض غزل المسلمين
ولهم بلا حد من الـ	أعداء ما للخائنين
ولي التغرب في البحار	وفي البراري بالسنين
ولي الجيوب الخاويات	مع الكفوف الطاهرين
ولي التباهي بالوقائع	في كفاح الغاصبين
ولي السيوف المرهفات	الماحيات لكل شين <sup>(31)</sup>
ولي الجياد الصافنات	الصائلات على الدفين <sup>(31)</sup>
العاديات الموريات	الغائرات على الكمين <sup>(32)</sup>
الجانبات الشاطحات	لدى اقتفاء الهارين
هذا الفخار ولا فخار	لغيره في كل دين
فلينهض الأحرار إن	راموا نجاة المؤمنين
فمحمد فخر العوا	لم يستعين ولا معين

إذا أمعنا النظر في القصيدة السابقة، اتضح لنا أن الشاعر عقد مقارنة بينه وبين غيره ممن خذلوا أنفسهم، وجرهم الشيطان بحب الدنيا فيقول عنهم: أنهم أحبوا الدنيا ومتاعها من لذيذ عيش زائف وزائل وتفاخر بالمال والبنين، وقد آثروها على دينهم ووطنهم فهم يُعدّون من الخونة والأعداء، ويقول عن نفسه: بأنه آثر دينه ووطنه على تلك الحياة الشيطانية، فهو في سبيل دينه ووطنه عاش ممتشق السلاح يصول بجواده في تقيع معارك الشرف والبطولة، يطارد عدوه، وعاش مرارة الغربة في البر وركوب البحر سنين طويلة فقيراً معوزاً لم يمدد يديه لما حرم الله، وهو الفخر والافتخار، وهو الاقتفاء والاقتداء بسيد المرسلين - صلى الله عليه وسلم - وتلاحظ في القصيدة بعض الأغراض البلاغية مثل الجناس الناقص في قوله: (الطنافس والتنافس) ومثل الاستعارة التصريحية في قوله: نقض غزل المسلمين، فقد شبه تفرق وتخاذل المسلمين بنقض الغزل فحذف التفرق والتخاذل وهو المشبه، وأبقى على المشبه به، وهو نقض الغزل على سبيل الاستعارة التصريحية، واستعمل الاقتباس القرآني في لفظ الصافنات وهي من قوله تعالى: في سورة ص الآية 31 {إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِيَاتُ الْجِيَادُ}، ولفظ العاديات الآية 1 من سورة العاديات، وكذلك لفظ الموريات الآية 2

الوطنية من خلال القصيدة الليبية في الغربية....

من السورة نفسها، ومن الكناية قوله: الكفوف الطاهرين وهي كناية عن عدم اكتساب وارتكاب ما حرم الله، وفي قصائد الشاعر بيان واضح لموقفه وهو يودع الوطن والأهل، وقد جعل منها سجلاً يفيض بمشاعره الملتهبة وتصوير صادق لوطنيته والتزامه بشرائع دينه وهي سمات بارزة في شخصيته، أما لغته فتعد لغة سهلة وبسيطة، فكلماتها تؤدي إلى المعنى المطلوب، لا تكلف القارئ البحث في قواميس لغوية، وكذلك أساليبها سلسلة سهلة بعيدة عن ركافة القول تحافظ على مراعاة النغم وسلامة القافية والسير على نهج الأقدمين في نظام القصيدة وأغراض الشعر.

**الشاعر أحمد رفيق المهدي:** ولد الشاعر أحمد رفيق المهدي في منطقة فساطو -إحدى ضواحي الجبل الغربي- سنة 1898م، ودرس تعليمه الأول في مدينة نالوت، ثم انتقل مع أسرته إلى مدينة مصراتة، ومنها إلى مدينة الزاوية، حيث تولى والده قائم مقام المدينة، وفي هذه الأثناء تحصل على الشهادة الابتدائية ورحل إلى طرابلس لدراسة المرحلة الإعدادية، ثم رحل إلى مصر، ودرس هناك في أحد المعاهد العلمية، وعند عودته إلى بنغازي التحق بالوظيفة العامة وشغل منصب رئيس مكتب عميد البلدية، واشتغل بالتجارة، ونقم عليه الإيطاليون بسبب وطنيته وتحريضه المستمر على مقاومتهم، فأجبروه على مغادرة الوطن، فسافر إلى تركيا عام 1934م، وبقي فيها يعاني آلام الغربية ووحشتها حتى إعلان استقلال الوطن المجيد عام 1951م فاعتلا عضوية مجلس الشيوخ الليبي آنذاك<sup>(33)</sup> وقد عرف في الوسط الأدبي بشاعر الوطن؛ لبروز وطنيته في قصائده، وهو أيضاً كسابقه يعد من رواد الحركة الشعرية الليبية الحديثة، ومن الشعراء الذين واكبوا حركة التجديد في القطر الليبي، وقد لزم المدرسة التقليدية في شعره، وهو ممن تأثروا بالغرب عن الوطن، فودع وبكى الفرقة والبعد عن الأهل والوطن- هو الآخر-، ومن جيد شعره في هذا الجانب قصيدته في وداع الوطن:<sup>(34)</sup>

رحيلي عنك عز عليّ جدا      وداعاً أيها الوطن المفدى  
وداعاً مفارق بالرغم شاءت      له الأقدار نيل العيش كذا  
وخير من رفاه العيش كذا      إذا أنا عشت حراً مستبداً  
سأرحل عنك يا وطني وإني      لا أعلم أنني قد جئت إداً  
ولكني أطعت إباء نفس      أبت لمرادها في الكون حداً  
علو النفس إن عظمت شقاء      يلذ لمن إلى المجد استعداً

إلى أن يقول: (35)

وقد يأتي الغيور بما يراه      خلى من جوى للعقل ضداً  
فلست ألام في تركي حبيباً      أرى في حبه الأعداء نداً  
ويا وطني وداعاً من محب      تحير رأيه أخذاً ورداً  
وداعاً لا أظن له لقاء      فوا أسفاً إذا ما البين جدا<sup>(36)</sup>  
أناديه وقد زمت ركابي      وهد البين ركن الصب هذا<sup>(37)</sup>  
وجاشت تخنق العبرات صوتي      وداعاً أيها الوطن المفدى

الوطنية من خلال القصيدة اللببية في الغربية...

لقد عبر الشاعر في قصيدته عن شدة ألمه وضيق نفسه بكل قوة وأسف، وهو يجهز أمتعته لشدة الرحال ومغادرة الوطن والبعد عنه والهجرة إلى بلد الغير، حتى أنه توقع عدم العودة والموت بعيداً عن الوطن، فكانت تلك اللحظات هي الأصعب عليه، فكانت سبباً في نحيبه تقاطر دموعه، ويرسل من غربته شكواه وآهاته لصديق له داخل الوطن فيقول: (38)

فارتكمت وفؤادي لا يفارقكم قيدتموه بأسباب وثيقات  
أهل الوداد وحيي للبلاد هما أسباب تعذيب قلبي واشتياقي  
تركت موطن آبائي على ماضٍ مما تجرعت من هم وويلات (39)  
والله ما باختياري أن أفارقه لو لم ينغصه حكم الظالم العاتي (40)  
إني لأذكر يوم البين إذ هملت مدامعي فوق خدي مستهلمات (41)

\*\*\*\*\*

خرجت من وطني مثل الطريد ودعت خلاً ولا أدركت ثارتي  
يا لهف نفسي على تلك الربوع بها ربيع عيشي قد ولي ولذاتي

ما كان أقصره عمراً وأسرعه مرّ كذلك أوقات المسرات

لما استقر الشاعر به المقام في هجرته وجد بيئة تختلف عن بيئته، ولغة غير لغته وطباع أناس تختلف عن طباع ناسه، فكانت وصال الألفة مختلفة ومتباعدة لذلك كان هو غريباً عليهم وهم غرباء عليه، ولم يجد طريقة يلجأ إليها لينفس بها عن كربته، إلا الشعر الذي وجد فيه سلوته وراحة لبعض معاناته، فأخذ يرسله لأصدقائه وأحبابه لعله يجد من يواسيه ويبعث له ببعض الجمل والعبارات، التي تخفف عنه أقداره وآهاته ولو للحظات من الوقت، ومن مثل ذلك القصيدة التي قالها بعد عام من معاناته من اكتواء الغربية في مدينة جبحان التركية، التي يقول فيها: (42)

تكامل عام منذ فارقت أوطاني فما نلت في أثنائه غير أحزان  
فقدت بلادي وهي عندي عزيزة ولم ألقى ما ملت في بلد ثاني  
كأنني غراب البين ضيع مشيه ولم يكتسب مشي الحمام بإتقان  
حنيناً وشوقاً يا بلادي فإنني وإن طال عني العهد لست بخوان  
فما كان بعدي عنك ترفعاً عن الضيم لا بغضاً ولا قصد هجران  
وإني لأكفي في الجوانح لوعة لحبك يوربها على البعد تحناني (43)  
إذا خفقت دمع الأسى فمدامعي لها وقدة زادت أساي وأشجاني  
كما كان عذب الماء في الجير منشئاً على خصر فيه حرارة نيران (44)

شبه الشاعر نفسه في خيبة ألمه بغراب أرد تقليد الحمامة في مشيها فتخبط وفشل، ويخبر بأنه خرج من بلاده بسبب ظلم المستعمر، وليس بسبب الخيانة أو بسبب جريمة، ولا هجر أو أبغض أهله ووطنه، فهو مهما يخفي جروحه وآلامها فلا بد من ظهورها. ومن جميل قصائد غربته قوله في

الوطنية من خلال القصيدة الليبية في الغربية....

قصيدة وطني حبيبي (45):

لم أكن يوم خروجي من بلادي بمصيب  
عجباً لي ولتركي وطناً فيه حبيبي  
وطناً فيه أناسي وبه مسقط رأسي  
لذة العيش الغريب بين أهل وقريب

وصديق وحبيب

لم أكن يوم خروجي من بلادي بمصيب  
عجباً لي ولتركي وطناً فيه حبيبي

وتسير القصيدة حتى نهايتها على هذا المنوال، وتعد هذه الليكائية ذات تركيبة ملفتة للنظر، فهي متعددة القوافي، وذات مقاطع متوالية كل مقطع يُفتتح بالبيتين الأولين من القصيدة، وهو ما يدل على ملازمة الندم لنفس الشاعر بسبب خروجه من وطنه، هذا من جانب ومن جانب آخر كون هذا التنسيق نوع من التجديد والتحديث في الشعر العربي الحديث، وهو تركيب موفق، مما يجعله يحدث إيقاعاً موسيقياً متوجاً بما بدأت وانتهت به القصيدة، كما أنها إذا بدأت قرأتها من البيت الأخير، واسترسلت في قراءتها، أي من أسفل إلى أعلى، فإن المعنى تجده لا يكاد يتغير، وهو ما يشير إلى ذكاء الشاعر وإبداعه، وبعد خروج الغزاة الإيطاليين من البلاد رجع الشاعر إلى وطنه وأهله بعد غياب امتزج بالمرارة وشدة الشوق والحنين، فاهتز غبطة وسروراً، ووصف ذلك الموقف في إحدى قصائده حيث يقول في مطلعها: (46)

رجع المطوح من بعاده عاد الغريب إلى بلاده (47)  
الحب يفعم روحه والشوق يلهب فؤاده  
وبشائر المستقبل الزاهي تضاعف من جهاده  
ليرى الحياة حرة هي وحدها أقصى مراده

فالأبيات تعبير صادق عن شعور الشاعر، فهي تفيض بالعواطف الجياشة النابعة من صميم القلب لحب الوطن المغروس في روحه، وقد صاغها في كلمات احتوت معان وأفكار توجج عاطفة المتلقي وتجعله كأنه عاش مع الشاعر غربته وتألم بالأمه.

كل تلك القصائد وغيرها من قصائد غربته - وهي كثيرة - جعل منها الشاعر وثيقة فنية ذات دلالة رائعة وانفعالات حارة تعبر عنما تكنه نفسه من شدة العاطفة، التي تمثل عظم حبه لوطنه وأهله وأصدقائه فكانت تجربة أليمة عاشها هذا الشاعر بكل ما تعنيه كلمات مرارة وأسف من معنى؛ لأنها تعبير وجداني صادق ينم عن الأصالة والتفرد. (48)

وإذا نظرنا لقصائد الشاعر من ناحية فنية نلاحظه قد استعمل في نسج أبياته ألفاظ سهلة وبسيطة لا تحتاج إلى عناية وجهد للوصول للمعنى الدال كما زينها بالصيغ البلاغية المختلفة فكان توظيفاً محاكياً ومصوراً فيه بساطة، فعلى سبيل المثال لا الحصر ورود التشبيه التالي في قوله: (49)

خرجت من وطني مثل الطريد ودعت خلأ ولا أدركت ثاراتي

#### د. مولود بشير كشلاف

#### الوطنية من خلال القصيدة الليبية في الغربة...

أي شبه الشاعر نفسه بالرجل المطرود من قومه  
وقوله: (50)

كأنّي غراب البين ضيع مشيه ولم يكتسب مشي الحمام بإتقان  
وهنا شبه نفسه بالغراب المفارق الذي لم يتقن مشيه.  
ومن الاستعارة من مثل قوله: (51)

تركت موطن آباي على مضض مما تجرعت من هم وويلات  
فقد شبه الهم والويلات بشيء يُتجرّع أي يشرب بدون استساغة، وحذف المشبه به وأبقى على  
المشبه والقرينة الدالة على يراد المعنى لفظة (يتجرّع)  
ومن مثلها قوله: (52)

الحب يفعم روحه والشوق يلهب فؤاده

ففي الشطر الأول (الحب يفعم روحه) كناية عن الغبطة والسرور، وكذلك استعارة لفظة يفعم  
بمعنى امتلاء فقد شبه الروح بإناء فحذف المشبه به وترك شيء من لوازمه وهي لفظة (يفعم) وهي  
القرينة الدالة على سبيل الاستعارة التصريحية أيضاً، وفي الشطر الثاني شبه الشوق بالنار وحذف  
المشبه به وأبقى على المشبه والقرينة الدالة على يراد المعنى الحقيقي لفظة (يلهب) وذلك على  
سبيل الاستعارة التصريحية.  
ومن مثل الجنس قوله: (53)

لذة العيش الغريب بين أهل وقريب

فقد جناس جناس غير تام بين لفظتي (غريب وقريب)، والحقيقة فإن مثل هذا النوع من الشعر  
مثل الرثاء يقال والأكباد تنقطع، بل هذا أصدق؛ لأنّ الرثاء يندب وينوح به على الغير، والغريب  
يبكي وينقطع به على نفسه، وما حلّ به من بُعد وفراق وما انتابه من ذل وضيم في بلد غير بلده،  
وهو أيضاً تعبير صادق عن الوطنية وما تشمله من مسقط رأس وحب للديار، وشريط خيالي  
للمذكرات الجميلة في بيئته التي كانت بداية انفتاحه على هذه الدنيا بين أهل وأقران، ولعمري فإنّ  
مثل هذه القصائد ذات طابع وطني مؤثر في النفوس ومثال صادق لحب الوطن، ولذا يجب أن  
يدرس مثل هذا النتاج لطلاب المراحل التعليمية المختلفة، وكذلك السيرة العطرة لمثل هؤلاء  
الشعراء، كما كانت تدرس في العهد الملكي وبداية العهد السابق (54)؛ لأنّ الناشئة الآن في أمس  
الحاجة لتعليم معنى الوطنية، التي يفقدها الكثير من أبنا الوطن، الذين لم يتعاطوها في مناهجهم  
الدراسية، وحتى وإن وجدت لم يُل لها اهتمام من قبل المهتمين بالعملية التعليمية في كافة مؤسساتنا  
التربوية والتعليمية في دولتنا العزيزة ليبيا.

#### الخاتمة

- الوطنية من أجل المسميات قدسية، وهي ثوب الانتماء من لم يرتده فهو عار أمام الآخرين.
- بين البحث أنّ الشاعرين اللذين خصتهما الدراسة كلاهما عاصر أصعب الظروف التي مرّ بها  
قطرهما الليبي، وهي فترة الغزو الإيطالي وقد اضطهدا خلاله بسبب جهادهما ضده وهذا  
الاضطهاد سبب لهما الغربة التي كشفت المعنى الحقيقي للوطنية في نفسيهما، ومن لم يجرب  
الغربة لا يعرف القيمة الحقيقية للوطن والأهل.
- تبين أن مثل هذين الشاعرين ونتائجهم الوطني خير مثال لتعبير عن الوطنية، ومن ثمّ فهو مادة

الوطنية من خلال القصيدة الليبية في الغربية...

- خصبة لتدريس مادة النصوص الأدبية في مناهج التعليم المختلفة، فطلابنا في أمس الحاجة لمثل هذه المناهج وبخاصة في وقتنا الحاضر لغرس حب الوطن في نفوسهم.
- يجب على جميع المهتمين بالجانب الأدب العربي أن يقفوا على الأدب الليبي وإعطائه شيئاً من الأهمية، فهو مادة خصبة غنية بالوجوه البلاغية والأساليب المتعددة؛ واللغة الرصينة والتراكيب النحوية. كما أن الكثير من الشعوب وبخاصة العربية لم تعرف أن في ليبيا أدب وأدباء.
- الهوامش**
1. ينظر التذكار، ابن غلبون، تح الطاهر الزاوي، المدار الإسلامي، ط1، 2004م، 26 وما بعدها.
  2. مثل ثورة عبد الجليل سيف النصر 1831-1842م وثورة غومة المحمودي في 1853-1858م. وثورة عمر المختار على الإيطاليين في الشرق الليبي 1911-1931م. ينظر: إعلام ليبيا، الطاهر الزاوي، المدار الإسلامي، ط3، 2004م، 202 وما بعدها، و299 وما بعدها، و291 وما بعدها.
  3. المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، تيسير بن موسى، دار العربية للكتاب، طرابلس ليبيا، لاط، 1988م، 25، وما بعدها.
  4. مثل العواصف والمجاعات الجفاف وانحجاب المطر مثلما حدث في سنة 1767م في سنة 1881م، ومنها ما أتت على سنوات متتالية، مثلما ما حدث بين عام 1906م-1909م. ينظر: مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين، طرابلس ليبيا، السنة 23، العدد 2، 2001، 72 وما بعدها، ينظر: الزاوية الغربية، فاتح رجب قدارة، مركز جهاد الليبيين، طرابلس - ليبيا، 2007م، 22.
  5. قصة الأدب، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجبل، بيروت، ط1، 1992م، 242.
  6. السابق، 224.
  7. فعلى سبيل مثال الشاعر سليمان الباروني 1870-1940م الذي أسس مطبعة الأزهار البارونية وصحيفة الأسد الإسلامي في القاهرة 1907م، ونشر نتاجه الشعري والنثري فيها. ينظر: السابق، 360. وكذلك الشاعر أحمد فؤاد شنيب أسس مجلة الينبوع في دمشق ونشر فيها نتاجه. ينظر: ديوان معزوفة على قنطرة الوطن، مجلس الثقافة العام، ليبيا، لاط، 2006م، 119.
  8. مجمع الأمثال، النيسابوري، تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لاط، لات، 1 / 229.
  9. الحيوان، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجبل بيروت، لاط، 1996م، 1 / 38.
  10. السابق 7 / 253.
  11. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة غ ر ب.
  12. المستقصى في أمثال العرب الزمخشري دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987م، 1 / 183.
  13. رواه مسلم (145).
  14. موقع الإسلام سؤال وجواب، إشراف الشيخ محمد صالح المنجد، 2003 / 7 / 3م
  15. أبو عثمان عمرو بن بحر الشهير بالجاحظ = 780 - 869 م): كبير أئمة المعتزلة في الادب،

- ينظر: الأعلام، خير الدين الزركلي در العلم، بيروت، ط15، 2002 (5/ 74)
16. الناد = الشارد عن القطيع. اللسان مادة: ن و د.
17. الحنين إلى الأوطان، الجاحظ، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1982م، 8.
18. ينسب هذا البيت في أغاني الأصفهاني إلى أحمد بن يزيد ونسبه البعض الآخر إلى أبو عيينة محمد المهلبي. ينظر: الأغاني، أبو فرج الأصبهاني، دار الفكر بيروت، ط2، لات، 113/20.
19. هو الشاعر أندلسي عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حمديس الأزدي الصقلي ( 527 هـ = 1133 م)، اشتهر بوصف الخيل، ومدح المعتمد بن عباد، فأجزل له عطاياه. الأعلام لخير الدين الزركلي (3/ 274).
20. ديوان ابن حمديس الصقلي، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، لبنان، 1960، 416.
21. ديوان القروي رشيد سليم الخوري، ليبيا، لاد، لاط، لات، 497.
22. يقصد مدينة سنيالو البرازيلية مقر العصبة الأندلسية، وكان رئيسها اثنائي الشاعر القروي بعد ميشل معلوف .
23. مثل الشيخ أحمد بن عبد الله الرجيب والشيخ أحمد الشريف السنوسي والشيخ السنوسي بادي، وغيرهم كثير. ينظر: أعلام ليبيا، الطاهر الزاوي، دار المدار الإسلامي، ط3، 2004م، 74، 79، 177.
24. ينظر: السابق 173 وما بعدها، وينظر: معجم الشعراء الليبيين، عبد الله مليطان، دار مداد، ط1، 2008م، ج1/ 91.
25. ديوان سليمان الباروني، تجميع: زعيمة الباروني، دار لبنان، لاط، لات، 73.
26. سليمان باشا الباروني، سليمان النفوسي، جمعية الفتح، ط1، 2013م، 87 وما بعدها.
27. السابق، 91.
28. التَّوَائِبُ = جمع نائبة وهي ما يُتَوَبُّ الإنسانُ أي يَنْزِلُ به من المُهْمَاتِ والحوادثِ ومصائب. اللسان مادة: ن و ب.
29. الطنَّافِسُ = ج الطَّنْفُوسِ وهي بضم الفاء التَّمْرِقَةُ فوق الرجل وقيل هي البساط الذي له خَمَلٌ رقيق، وكذلك الإنسان إذا لبس الثياب الكثيرة مُطْرَقِسٌ ومُطَنْقِسٌ. ينظر اللسان، مادة: ط ن ف س.
30. الصافنات = الصَّافِنُ من الخيل القائم على ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة على طرف الحافر. السابق، مادة: ص ف ن.
31. الموريات = من المَوْرُ وهو السرعة. السابق، مادة: م و ر.
32. ينظر: معجم الشعراء الليبيين، عبد الله مليطان، دار مداد، ط1، 2008م، ج1/ 113.
33. ديوان شاعر الوطن الكبير، أحمد رفيق المهدي، الفترة3، المطبعة الأهلية، بنغازي، ط1، 1962م، 52.
34. السابق، 54.
35. البين = الفراق. السابق مادة: ب ي ن.
36. زَمَ الركب = مسك بمقود الدابة. السابق، مادة: ز م م.
37. ديوان احمد رفيق، الفترة 3، 1 ما بعدها.
38. المَضَضُ = من المَضُّ وهو الحَرْقَةُ. اللسان، مادة: م ض ض.
39. التَّغَصُّصُ = كَدْرُ العيش. السابق، مادة: ن غ ص.
40. البين = الفراق. السابق، مادة: ب ي ن.



الوطنية من خلال القصيدة الليبية في الغربية....

41. ديوان احمد رفيق، الفترة 3، 7 ما بعدها.
42. أكمي = اخفي. اللسان، مادة: ك م ي.
43. خَصِر = برد. السابق، مادة: خ ص ر
44. ديوان احمد رفيق، الفترة 3، 117 ما بعدها.
45. ديوان احمد رفيق، الفترة 4، 2 ما بعدها.
46. المطوح = الذي اجبر على ترك وطنه. اللسان مادة ط و ح.
47. ينظر: رفيق شاعر الوطن، خليفة التليسي، انتربرنت، مالطا، ط3، 1976م.
48. ديوان احمد رفيق، الفترة 3، 1 ما بعدها.
49. ديوان احمد رفيق، الفترة 3، 7 ما بعدها.
50. ديوان احمد رفيق، الفترة 3، 1 ما بعدها.
51. ديوان احمد رفيق، الفترة 4، 2 ما بعدها.
52. ديوان احمد رفيق، الفترة 3، 117 ما بعدها.
53. ينظر على سبيل المثال كتاب الأدب والنصوص المقرر للصف الثالث ثانوي للعام الدراسي 1977-1978م.

المصادر والمراجع

- 1- التذكار، ابن غلبون، تح الطاهر الزاوي، المدار الإسلامي، ط1، 2004م.
- 2- إعلام ليبيا، الطاهر الزاوي، المدار الإسلامي، ط3، 2004م.
- 3- المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، تيسير بن موسى، الدار العربية للكتاب، طرابلس ليبيا، لاط، 1988م.
- 4- الزاوية الغربية، فاتح رجب قدارة، مركز جهاد الليبيين، طرابلس - ليبيا، 2007م.
- 5- قصة الأدب، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجبل، بيروت، ط1، 1992م.
- 6- ديوان معزوفة على قنطرة الوطن، مجلس الثقافة العام، ليبيا، لاط، 2006م.
- 7- مجمع الأمثال، النيسابوري، تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، ل
- 8- الحيوان، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجبل بيروت، لاط، 1996م.
- 9- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، ط2، لات.
- 10- المستقصى في أمثال العرب الزمخشري دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987م.
- 11- موقع الإسلام سؤال وجواب، إشراف الشيخ محمد صالح المنجد، 7/3/2003م
- 12- الأعلام، خير الدين الزركلي در العلم، بيروت، ط15، 2002م.
- 13- الحنين إلى الأوطان، الجاحظ، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1982م.
- 14- صحيح مسلم، 145.
- 15- الأغاني، أبو فرج الأصبهاني، دار الفكر بيروت، ط2 لات.
- 16- ديوان ابن حمديس الصقلي، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، لبنان، 1960.
- 17- ديوان القروي رشيد سليم الخوري، ليبيا، لاد، لاط، لات.
- 18- معجم الشعراء الليبيين، عبد الله مليطان، دار مداد، ط1، 2008م.
- 19- ديوان سليمان الباروني، تجميع: زعيمة الباروني، دار لبنان، لاط، لات.
- 20- ديوان شاعر الوطن الكبير، أحمد رفيق المهدي، الفترة3، المطبعة الأهلية، بنغازي، ط1، 1962م.
- 21- رفيق شاعر الوطن، خليفة التليسي، انتربرنت، مالطا، ط3، 1976م، 124.

د. مولود بشير كشلاف

الوطنية من خلال القصيدة الليبية في الغربية...

22- ينظر على سبيل المثال كتاب الأدب والنصوص المقرر للصف الثالث ثانوي للعام الدراسي 1977م/1978م.

## دور أساليب ووسائل التدريب الحديثة في نجاح البرامج التدريبية دراسة حالة على شركة الزاوية لتكرير النفط

د. الطاهر امحمد ساسي  
كلية الاقتصاد - جامعة صبراتة

### مقدمة:

إن بداية الاهتمام بتدريب الموارد البشرية كان نتيجة الثورة الصناعية، فقد تطلب نظام المصنع وجود أعداد كبيرة من العاملين من ذوي المهارات المتميزة لتشغيل الماكينات ذات العمليات المتخصصة، وبالتالي أصبح التدريب عملية مهمة ودليل نضج وتقدم المجتمعات وعن طريقه سعت تلك المجتمعات إلى تنشيط وتحديث معارف ومهارات وقدرات القوى العاملة في قطاعات الإنتاج المختلفة، وليس بالإمكان الاعتماد على التعليم النظامي وحده لسد الحاجة الملحة المتزايدة لمتابعة التطور العلمي والتكنولوجي، وكلما زادت حدة ودرجة التعقيد في مختلف الصناعات أصبح لزاماً عليها زيادة الطلب على القوى العاملة المدربة لمواكبة التقدم التقني الذي أصبح يزامن الصناعة القائمة عليها، فإن التطور المعرفي والسرعة الفائقة في التغيرات التكنولوجية تحتم علينا متابعة الدراسة والبحث حول البرامج التدريبية المعتمدة لدى المؤسسات الصناعية وبذل المزيد من الجهود لتطويرها وتمييزها بهدف التغلب على التغيرات البيئية المستمرة ومواكبة الفيضان المعرفي واللاحق بركب الحضارة والتقدم، وبخلاف ذلك يصبح من الأمور الصعبة جداً إحراز أي تقدم في المشاريع التنموية، ذلك أن القوى العاملة المدربة والماهرة تشكل الحجر الأساسي للتقدم الاقتصادي المنشود لذا يصبح لزاماً على المؤسسات والشركات وخاصة منها التي تقوم على الصناعات النفطية في ليبيا بصفة خاصة وعلى مستوى العالم بصفة عامة النظر إلى موضوع تطوير وتدريب الموارد البشرية الوطنية على أنه نوع من أنواع الاستثمار المربح للحاضر والمستقبل.

### مشكلة الدراسة:

نظراً للتسارع التكنولوجي والمتغير في وسائل الإنتاج المختلفة في كافة المستويات التنظيمية، واستجابة لذلك التسارع والمتغير والذي يعتبر عاملاً أساسياً لجعل منظمات الأعمال بمختلف أحجامها وأنشطتها تسعى جاهدة وراء عملية تنمية وتطوير مهارات وقدرات أفرادها العاملين سعياً منها للوصول إلى أرقى المستويات حفاظاً على بقائها ومكانتها بين المنظمات المنافسة، وبالتالي اعتماد المنظمة لأساليب علمية حديثة ومتطورة في تدريب عاملها سعياً منها لتحقيق أهداف وفق خطة مرسومة مسبقاً الأمر الذي يؤدي إلى زيادة تعزيز نجاح البرامج التدريبية المعتمدة، ومن خلالها تُمنح درجة النجاح أو الفشل للبرنامج التدريبي. وبالرغم من الأموال التي تنفق والجهود التي تبذل على البرامج والأنشطة التدريبية. إلا أن وجود بعض المشاكل والصعوبات التي تعترض سير العملية التدريبية في الشركات والمؤسسات النفطية ومراكز التدريب التابعة لقطاع النفط وخاصة في تحديد أساليب التدريب الحديثة بعيداً عن تلك الأساليب التقليدية الأمر الذي يؤدي إلى عدم تحقيق أهداف البرنامج التدريبي بفعالية، وبالتالي يرى الباحث أن مشكلة الدراسة تكمن في عدم التحديد الدقيق لأساليب ووسائل التدريب الحديثة من قبل فريق تصميم البرامج التدريبية الموضوعية والتي من شأنها الرفع من مستوى كفاءة ومهارات العاملين ومدى ملائمتها للهدف القائم عليه البرنامج التدريبي. ويمكن صياغة مشكلة الدراسة في التساؤلات الآتية:

**دور أساليب ووسائل التدريب الحديثة في نجاح البرامج التدريبية...**

- هل الأساليب المتبعة والوسائل المستخدمة في البرامج التدريبية حديثة وملئمة للمستوى الإداري المستهدف في البرنامج التدريبي؟
- ما مدى مساهمة الأساليب والوسائل التدريبية المتبعة في نجاح البرامج التدريبية؟
- ما هي المعايير التي يتم من خلالها اختيار الأساليب والوسائل الحديثة في البرامج التدريبية؟
- ما مدى تطبيق الأساليب والوسائل التدريبية الحديثة في برامج التدريب؟

**أهداف الدراسة**

تهدف هذه الدراسة إلى ما يلي:

1. التعرف على أهمية أساليب ووسائل التدريب المعتمدة في الشركة ودورها في نجاح العملية التدريبية .
2. التعرف على مدى تطبيق الأساليب والوسائل الحديثة في برامج التدريب
3. التعرف على العوامل التي تحد من استخدام الأساليب والوسائل الحديثة في برامج التدريب.

**أهمية الدراسة**

- 1- تساهم هذه الدراسة في معرفة مدى دقة تصميم البرامج التدريبية ومدى ملائمة الأساليب والوسائل الحديثة مع أهداف التدريب.
- 2- تقديم توضيح لواقع الأساليب المتبعة والوسائل المستخدمة في البرامج التدريبية، وكيفية اختيار الأفضل والأحدث منها ومدى ملاءمتها للهدف الذي أقيم من أجله البرنامج التدريبي.
- 3- تقديم مقترحات وتوصيات من واقع نتائج الدراسة والتي قد تساعد القائمين على البرامج التدريبية في الشركات المناظرة.
- 4- المساهمة مع المهتمين والباحثين في توسيع دائرة البحث في مجال التدريب.
- 5- المساهمة في تنمية قدرات ومهارات الباحثين في حسن استخدام المادة التعليمية.

**فرضيات الدراسة**

يمكن صياغة فرضية الدراسة كما يلي:

- لا توجد علاقة ذات دلالة معنوية بين أساليب التدريب الحديثة وفاعلية البرنامج التدريبي.
- لا توجد علاقة ذات دلالة معنوية بين وسائل التدريب الحديثة وفاعلية البرنامج التدريبي.

**منهجية الدراسة**

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي في الجانب النظري من الدراسة، فيما يتعلق بدور الأساليب والوسائل الحديثة في التدريب من تحقيق أهداف البرامج التدريبية في الشركة قيد الدراسة، أما الجانب التطبيقي من الدراسة فتمثل في دراسة حالة وهي دراسة تقييميه لواقع دور أساليب ووسائل التدريب الحديثة في نجاح البرامج التدريبية، وذلك من خلال ما سيتم جمعه من البيانات والمعلومات وتحليلها باستخدام نظام الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية والمعروف بـ Software (SPSS).

**أدوات الدراسة**

تتمثل أدوات الدراسة في تصميم استبيان يتم توزيعها على عينة عشوائية من مجتمع الدراسة.

### مفهوم التدريب:

يُعد التدريب أحد الأدوات الرئيسية لتنمية الموارد البشرية حيث يضيف ويحسن مستوى المعلومات، ويدعم الاتجاهات ويزيد المهارات، ويتوقف نجاح العمل التدريبي على مدى ما تقوم به أجهزة التدريب المختلفة من جهود إلى جانب مدى توافر الكفاءة لهذه الأجهزة من حيث التخطيط والتنظيم وإرساء قواعد أساسية للعمل التدريبي وذلك لضمان النهوض به وتنفيذه ومتابعته وتطويره، فالتدريب ظاهرة طبيعية يتميز بها المجتمع الإنساني، فقد ظهر مع ظهور الحضارات القديمة، حيث اكتسب الإنسان منذ ذلك الحين كثيراً من الحرف التي تعلمها من غيره متدرجاً وعلمها للآخرين مدرساً، ويعتبر تدريب الموارد البشرية من الأمور الهامة لتنمية المجتمع وتقدمه، وأصبح من الضروري إن يفكر الأفراد والحكومات على السواء في التخطيط لها والعمل على ترميمها بصفة مستمرة.

اعتمدت تعاريف مختلفة لمفهوم التدريب ووجهات نظر متباينة نتيجة للرؤية الخاصة لكل اتجاه في الفكر الإداري، ولكن معظمهم أكدوا على الأهداف والغايات التي يسعى التدريب إلى تحقيقها، ويمكن التعرض لمجموعة متعددة من تلك التعاريف منها:

عُرف التدريب بأنه "عمل يزيّد المعارف والمهارات للعاملين عندما يقومون بأعمالهم"<sup>(1)</sup>. كما يمكن تعريف التدريب بأنه "الجهد المنظم والمخطط له لتزويد القوى البشرية في المنظمة بمعارف معينة وتحسين وتطوير مهاراتها وقدراتها، وتغيير سلوكها واتجاهاتها بشكل إيجابي بناء"<sup>(2)</sup>.

وُعرف جمعية تعليم الكبار الأمريكية التدريب بأنه "عبارة عن محاولة لتسليط أنواع التأثير في الناس بقصد إعادة تشكيل سلوكهم في نواحي ذات أهمية خاصة"<sup>(3)</sup>. وجاء في معجم أكسفورد Oxford أن التدريب "هو عملية نقل الفرد إلى مستوى مرغوب من الكفاءة سواء بالتعليم أو الممارسة"<sup>(4)</sup>.

### تحديد الاحتياجات التدريبية:

مرحلة تحديد الاحتياجات التدريبية تركز بصفة عامة على حصر عدد ونوعية العاملين الذين ستشملهم عملية التدريب، وبالتالي تعد هذه العملية الخطوة الأولى عند التفكير في عقد الدورات التدريبية فهي مرحلة التشخيص لنوع القصور الذي يبدو في مهارات العاملين أو معارفهم وأنماط سلوكهم، ثم تأتي بقية العمليات لتقديم العلاج المناسب وفق التشخيص الموصوف.

### مفهوم الاحتياجات التدريبية:

يمكن تعريف الاحتياجات التدريبية على إنها "مجموعة التغيرات المطلوبة إحداثها في الفرد، المتعلقة بمعلوماته، خبراته، أدائه، سلوكه واتجاهاته لجعله مناسباً لشغل وظيفة محددة والقيام بمهامها بشكل فعال"<sup>(5)</sup>.

كما يقصد بتحديد الاحتياجات التدريبية بأنه "تحديد الأعداد والنوعيات من العاملين الذين يراد تدريبهم حتى يمكن إكسابهم المهارات والمعارف والاتجاهات المطلوبة لرفع درجة فاعلية المنظمة"<sup>(6)</sup>.

ويمكن القول بأن الاحتياجات التدريبية هي النتائج أو الأهداف التي يتم العمل التدريبي من أجل التوصل إليها، ويقصد بالاحتياجات التدريبية مواطن النقص أو الضعف الموجودة أو المتوقعة سواء من الناحية الفنية أو الإنسانية والتي يمكن أن تكمل عن طريق التدريب، أو هي مجموعة من المشكلات أو نواحي الضعف التي يمكن التغلب عليها بالتدريب.

دور أساليب ووسائل التدريب الحديثة في نجاح البرامج التدريبية...

**أهمية تحديد الاحتياجات التدريبية**

من خلال مفهوم الاحتياجات التدريبية يمكن القول أن أهمية تحديد الاحتياجات التدريبية تتمثل في النقاط التالية:

- 1- مستمرة ودائمة وذلك لتغير وتنوع مشاكل وظروف العمل.
- 2- تؤثر تأثير مباشر في كفاءة تخطيط البرامج التدريبية وتصميمها وتقويمها.
- 3- هامة لأنها تضمن الجدوى المنشودة للبرامج التدريبية.
- 4- توضيح من هم الأفراد المطلوب تدريبهم ونوع التدريب اللازم والنتائج المتوقعة منهم.
- 5- تحديد أهداف البرنامج التدريبي ومدته.
- 6- تساعد إدارة التدريب على التخطيط الجيد وتقدير الاحتياجات في المدى القريب والبعيد لتحقيق الكفاءة والفاعلية.

**تصنيف الاحتياجات التدريبية**

تتخذ الاحتياجات التدريبية في أي منظمة الأنواع التالية:

- 1- **احتياجات اعتيادية ومنتظمة:** تتعلق هذه الاحتياجات بتدريب العاملين الجدد، وتدريب العاملين الحاليين لأغراض الترقية أو النقل لوظائف أخرى... الخ، وتتسم هذه الحاجات بالتكرار والتشابه في أغلب أو جميع المنظمات.
- 2- **احتياجات لمواجهة وحل مشاكل العمل الإنشائية أو الفنية:** ويقصد بالمشاكل تلك المتعلقة بقدرات العاملين أو معلوماتهم أو اتجاهاتهم.
- 3- **احتياجات تطويرية وإبداعية:** ويتعدى هذا النوع من الاحتياجات التدريبية الاعتيادية واحتياجات حل المشاكل في العمل إلى ذلك النوع من الاحتياجات التي تتعلق بمجمل نمو وفعالية الفرد في المنظمة من ناحية، ونمو وفاعلية المنظمة ذاتها من ناحية أخرى خصوصاً إذا اتسع نطاق إدراك الفرد لقابلياته الكامنة والمحتملة التي بإمكانه تحقيقها أو الوصول إليها، وأيضاً هذا النوع من الاحتياجات ( الاحتياجات التطويرية والإبداعية ) تحاول تلبية حاجات الفرد المتعلقة بإدراك الذات وحاجات المنظمة المتعلقة بالنمو والتطوير ومواكبة متطلبات ومتغيرات البيئة.

**أساليب ووسائل تحديد الاحتياجات التدريبية**

قبل الشروع في توضيح أساليب ووسائل تحديد الاحتياجات التدريبية يمكن القول بأن الاحتياجات التدريبية يتم تحديدها من خلال ثلاثة مستويات أساسية وهي (7):

1. **مستوى الفرد:** وذلك بتحديد ما يحتاجه الفرد من مهارات ومعارف وقدرات جديدة أو تطوير لما هو قائم.
2. **مستوى الوظيفة:** وتتمثل في تحديد ما تتطلبه الوظيفة من أنماط الأداء وبما يتلاءم مع المتغيرات البيئية.
3. **مستوى المنظمة:** وتتمثل حاجاتها بتعزيز قدراتها التنافسية واستثمار مزاياها التنافسية، وتختلف الاحتياجات التدريبية تبعاً لاختلاف المستويات الوظيفية المراد تدريبها، حيث تختلف مسؤوليات العمل ومشاكله ومتطلباته بين المستويات الإدارية والوظيفية المختلفة.

**تصميم البرامج التدريبية**

يعتبر تصميم البرامج التدريبية عملية فنية تختلف من مُصمم إلى آخر حسب درجة خبرته والظروف المحيطة به، ويتضمن الخطوات التالية (8):

1. صياغة أهداف البرنامج التدريبي.

دور أساليب ووسائل التدريب الحديثة في نجاح البرامج التدريبية...

2. تحديد المادة العلمية والمادة التدريبية للبرنامج التدريبي.
  3. تحديد تتابع الموضوعات في البرنامج التدريبي.
  4. اختيار الأساليب والوسائل التدريبية.
  5. تحديد مكان ومدة البرنامج التدريبي.
  6. تحديد الشروط الواجب توافرها في المتدربين المشتركين بالبرنامج التدريبي.
  7. اختيار المدربين.
  8. إعداد ميزانية البرنامج التدريبي.
- إدارة وتنفيذ البرامج التدريبية**
- وتأتي هذه المرحلة بعد مرحلة تصميم محتوى البرنامج التدريبي من الموضوعات، وتحديد الجرعة المناسبة من كل موضوع لتحقيق أهداف البرنامج التدريبي وتلبية الاحتياجات التدريبية للمشاركين.
- ويقصد بإدارة البرنامج التدريبي "مجموعة التحضيرات والإجراءات والأعمال التي تتطلبها طبيعة إقامة البرنامج التدريبي"<sup>(9)</sup>.
- وتعتبر مرحلة إدارة وتنفيذ البرنامج التدريبي من المراحل المهمة لضمان تحقيق الأهداف التدريبية المنشودة، وتتكون من ثلاث مراحل فرعية هي:
- أولاً: مرحلة الإعداد لتنفيذ البرنامج التدريبي.
- ثانياً: مرحلة تنفيذ البرنامج التدريبي.
- ثالثاً: مرحلة ما بعد انتهاء البرنامج التدريبي.
- الإعداد لتنفيذ البرنامج التدريبي**
- تتضمن هذه المرحلة الخطوات التالية:
- اختيار المدربين.
  - اختيار المتدربين.
  - تحديد توقيتات تنفيذ البرنامج التدريبي ومكان عقده.
  - مراجعة وتحديد ميزانية تنفيذ البرنامج التدريبي.
  - طبع واستنساخ المادة التدريبية.
  - إعداد ملف البرنامج التدريبي أو الدورة التدريبية.
  - تهيئة قاعات ومعدات التدريب.
- تنفيذ البرنامج التدريبي**
- بعد الانتهاء من التهيئة لتنفيذ البرنامج التدريبي، وعندما يحل موعد التنفيذ، يكون علينا القيام بمجموعة من المهام والفعاليات منها ما يلي:
1. فعاليات اليوم الأول أو يوم الافتتاح: حيث يعتبر اليوم الأول أي يوم الافتتاح لتنفيذ الدورة التدريبية أو البرنامج التدريبي أكثر الأيام أهمية، حيث يؤثر في انطباعات وردود أفعال جميع الأفراد ذوي العلاقة بالبرنامج سواء من داخل الشركة أو خارجها، من المشاركين أو المدربين أو غيرهم، حيث يتضمن هذا اليوم عدة فعاليات منها:
  - افتتاح البرنامج التدريبي. ويتم فيه ترتيب فقرات الافتتاح بشكل منطقي ودقيق بحيث يُعرف كل شخص على دوره في الافتتاح ومتى يبدأ ومتى ينتهي.

### دور أساليب ووسائل التدريب الحديثة في نجاح البرامج التدريبية...

- جرد وقياس ما لدى المتدربين من معارف ومهارات وخبرات تتعلق بموضوعات البرنامج، وذلك يتم من خلال مناقشات أو استقصاء أو اختبارات قبلية (قبل الشروع في التنفيذ).
- تقديم الجلسة التدريبية الأولى: ويتم فيها تقديم مفاهيم عامة أو خطوط عريضة ونظرة شمولية لمحاولة سحب تفكير المتدربين بعيداً عن مشاكل العمل وتركيز انتباههم على الموضوع بشكل عام، ومن ثم يبدأ التنفيذ الرسمي للبرنامج حسب ما تم التخطيط والتصميم له وفق ما هو محدد في الجدول الزمني.

2. فعاليات باقي الأيام الأخرى من الدورة: وهي فعاليات تكون مصاحبة للبرنامج التدريبي خلال أيام التنفيذ وفق الجدول الزمن المحدد وتستمر حتى اختتام وتقييم البرنامج أو الدورة التدريبية، وتتمثل هذه الفعاليات في الاتصال بالمدرسين وتأكيد مواعيد تواجدهم، تأمين وسائل نقلهم، متابعة حضور وانصراف المتدربين وفق النظام المعمول به، حل المشاكل قبل ظهورها أمام المتدربين، توفير مستلزمات التدريب المطلوبة حسب الموقف، تأمين نجاح الزيارات الميدانية لمواقع العمل والتنسيق مع المعنيين، متابعة إنجاز المشاريع التطبيقية بتسهيل مهمة فرق العمل وأعضاء هيئة التدريب المشرفين على هذه الفرق، متابعة فترات الاستراحة وما يقدم فيها، تسهيل مراجعة المتدربين للمكتبة وحصولهم على المراجع والكتب اللازمة لهم، جمع استمارات المعلومات المطلوبة من المدرسين والمتدربين واستمارات التقييم أثناء التنفيذ، ... الخ.

#### انتهاء البرنامج التدريبي

- انتهاء تنفيذ البرنامج التدريبي لا يعني انتهاء مسؤوليات مدير البرنامج، فهناك الكثير من المهام والواجبات التي يجب إنجازها والمتعلقة بالبرنامج التدريبي أهمها ما يلي:
1. متابعة إعادة قاعات التدريب وقاعات المناقشة ومكان الاستراحة إلى ما كانت عليه قبل تنفيذ البرنامج، تنظيف وصيانة وإعادة ترتيب الأجهزة والمعدات إلى أماكنها والتي تم استعمالها أثناء التدريب.
  2. متابعة تسديد أجور المدرسين وفق اللائحة المعمول بها.
  3. متابعة وتقييم سلوك المتدربين في الأداء بعد عودتهم إلى أعمالهم، والنتائج الملموسة لأثر البرنامج التدريبي على العمل وبيئة العمل وفق النظام المعمول به.

#### تقييم البرامج والدورات التدريبية

يُعرف تقييم النشاط التدريبي على أنه محاولة القائمين على الإدارة الوصول إلى تحديد فعالية البرنامج التدريبي<sup>(10)</sup>. والتقييم هو عملية هادفة لقياس فاعلية الخطة التدريبية وكفاءتها ومقدار تحقيقها للأهداف المطلوبة، وإبراز نواحي الضعف أو القصور والقوة فيها. وترتبط عملية التقييم أساساً بتخطيط التدريب، فالتخطيط يحدد الأهداف التي تتوخى الإدارة تحقيقها من التدريب، ومن خلال هذه الأهداف يتم اشتقاق المعايير التي تقاس بها النتائج التي تم تحقيقها، ويقضي الأسلوب العلمي في تقييم التدريب بتخطيط التدريب، وذلك بتحديد الاحتياجات التدريبية الفعلية، للتعرف على النواحي التي المراد تميمتها أو تغييرها أو تعديلها من مهارات أو معلومات وسلوك واتجاهات، وعلى هذا يحدد الهدف من التدريب، وتصمم البرامج التدريبية الملائمة فتتصل أهدافها الرئيسية والفرعية، ويحدد محتواها والمواد التي تشملها وأساليب التدريب التي يحسن استخدامها لنقل المواد المحددة، وبعد ذلك ينتقل التدريب إلى حيز التنفيذ ويكتمل الأسلوب العلمي بعد ذلك بتقييم التدريب، وذلك حتى تتبين الإدارة نقاط القوة والضعف فيه، وتحدد درجات نجاحه أو فشله.



دور أساليب ووسائل التدريب الحديثة في نجاح البرامج التدريبية...

**أهمية تقييم البرامج والدورات التدريبية**

تتبع أهمية التقييم فيما يتعلق بنتائج برامج تنمية وتطوير الموارد البشرية بالكشف عن نقاط الضعف والقوة فيها، وتمثل أهمية التقييم في تقييم كفاءة البرامج التدريبية وفعاليتها، تحقيق الأهداف على نحو أكثر فعالية، ويؤدي إلى ادخارات مستقبلية كبيرة في الوقت والتكاليف، تحديد الاستراتيجيات الجديدة وصياغتها باستمرار والتي تؤدي إلى تطوير المصادر البشرية، تحديد مدى ما يمثله البرنامج التدريبي للأهداف المرسومة له، ويمكن الإدارة من معرفة إذا كان التدريب الذي قامت به ناجحاً أم لا، ويحدد مدى فاعلية البرنامج التدريبي وملحقاته، ويحدد محاسن البرامج التعليمية والتدريبية وقصورها حتى يمكن الاحتفاظ بالمزايا الحسنة والتخلي قدر الإمكان عن المزايا غير الحسنة في البرنامج.

- كما يمكن توضيح أهمية التقييم للبرامج والدورات التدريبية بالنسبة لعدة مستويات منها ما يلي:
- على مستوى الدولة: عملية التقييم مهمة وخاصة للدول النامية التي تنظر إلى التدريب على إنه نظام يهدف إلى رفع معدلات أداء الوظيفة العامة وكفاءتها.
  - على مستوى المنظمة: يمكن إدارة المنظمة من الحصول على معلومات تمكنها من إجراء تقدير سليم لمدى العائد الذي حققه الاستثمار في التدريب من مال ووقت.
  - على مستوى معاهد ومراكز التدريب: من خلال عمليات التقييم تحقق هذه المعاهد والمراكز الكفاءة والفاعلية المطلوبة من أهدافها المرسومة.
  - على مستوى المدربين والمتدربين: عملية التقييم مهمة بالنسبة للمتدربين في تحديد مدى مساهمتهم في تحقيق نتائج البرنامج التدريبي، وأيضاً مهمة بالنسبة للمدربين وذلك بتعريفهم بأساليب التدريب السليمة.

**أهداف تقييم البرامج والدورات التدريبية**

تهدف عملية تقييم البرامج التدريبية بصف عامة إلى تحديد القيمة أو الفائدة التي حققها البرنامج التدريبي، وبالتالي يمكن تحديد أهداف عملية تقييم البرامج التدريبية في النقاط التالية:

1. الوصول إلى التحديد العلمي لقيمة البرامج التدريبية والوسائل المتبعة.
2. إشعار الإدارة بمزايا النشاط التدريبي وفوائده أو أضراره.
3. الوقوف على نقاط الضعف في البرنامج التدريبي وتوفير فرص التغلب عليها.
4. التعرف على مقدار ما تم إنجازه من الخطة التدريبية وما تم تحقيقه من أهدافها.
5. إمكانية تقدير نتائج تعليم المتدربين أو المشاركين في برنامج تدريبي وما اكتسبوه من مهارات ومعارف واتجاهات.
6. التعرف على مكونات البرنامج التدريبي، وكيف يمكن زيادة عناصر النجاح والفاعلية للبرنامج التدريبي.
7. مقارنة الفوائد المترتبة على التدريب بمقدار الاستثمارات المادية التي بذلت في سبيله.
8. تطوير وتعديل طرق وأساليب التدريب بما يحقق فعالية التدريب.

**أسس تقييم البرامج والدورات التدريبية<sup>(11)</sup>**

**معايير التقييم:** إن عملية تقييم البرامج التدريبية شأنها شأن تقييم نتيجة أي عمل آخر لابد وأن يحدد معيار التقييم المناسب الذي يمكن بواسطته تقييم النتائج التي تمثل واقع حالة

### دور أساليب ووسائل التدريب الحديثة في نجاح البرامج التدريبية...

المتدرب بعد انتهاء البرنامج أو الدورة التدريبية، ومعايير التقييم يمكن أن تكون ذات طبيعة تعتمد على الأداء أو تعتمد على الموضوعية أو تعتمد على سلوك المتدرب، وفي بعض الأحيان تعتمد على الحوادث والأخطاء التي يقع فيها المتدرب وتسبب أخطاء، ولكن هناك بعض الاعتبارات يجب أن تتوفر في المعيار مهما كان نوعه ومن هذه الاعتبارات ما يلي:

**1. الارتباط:** إذا تم اختيار معيار محدد لتقييم نتائج التدريب فإنه يجب أن يكون مرتبطاً بطبيعة التدريب وما يمكن أن يحققه من زيادة مهارات وقدرات، فمثلاً إذا اختير معيار معين لتقييم المتدربين على قيادة السيارات فيعتبر هذا المعيار مناسباً لتحديد عدد الحوادث والإصابات، بينما إذا اختير نفس المعيار لتقييم المتدربين على أجهزة الحاسب، وبالتالي أجهزة الحاسب لا تسبب حوادث وإصابات، وبالتالي هذا المعيار غير مناسب وغير مرتبط بطبيعة التدريب، ومن الطبيعي أن يكون معيار التقييم المناسب هنا هو معيار الأداء.

**2. المعولية:** من المعروف بأن التدريب يختلف عن التعليم، وبالتالي فإن التدريب لا يقيم من خلال الاختبارات أو الامتحانات التحريرية كما هو الحال في التعليم، وإذا حصل ذلك فإن النتيجة العالية التي يتحصل عليها المتدرب لا تعني إنه وصل إلى درجة عالية من المهارات والقدرات التي ينبغي أن يكتسبها المتدرب، وبالتالي لا يمكن الاعتماد على هذا المعيار.

**3. عدم التداخل:** قد يكتسب المتدرب المهارات والقدرات من عدة جهات تؤثر عليه في نفس الوقت، وقد يكون التدريب أحد هذه الجهات، وبالتالي إذا اختير المعيار الخاص بتقييم التدريب يجب أن يكون بعيداً عن احتمال تقييم نتائج المؤثرات الأخرى بالإضافة إلى نتيجة التدريب.

#### أساليب تقييم البرامج التدريبية

يتم تقييم التدريب وفعاليتيه بثلاثة أساليب كما وضحتها ما كيني فيما يلي (12):

**أولاً: أسلوب التقييم عن طريق التجربة المخططة:** ويلخص هذا الأسلوب في النقاط التالية:

1. اختيار مجموعتين من العاملين يطلق عليهم مجموعة التدريب ومجموعة المقارنة.
2. اختيار معيار المقارنة قبل بدء التدريب.
3. تبدأ مجموعة التدريب في تلقي التدريب، بينما تبقى مجموعة المقارنة في عملها دون تدريب.
4. بعد انتهاء المجموعة الأولى (مجموعة التدريب) من التدريب تقاس النتائج باستخدام المعيار المنفق عليه قبل بدء التدريب أي قياس المهارات والقدرات لكلا المجموعتين (مجموعة التدريب، مجموعة المقارنة) ويقارن مدى التحسن أو التطور التي حدثت من مجموعة التدريب نتيجة التدريب بالمقارنة مع مجموعة المقارنة التي لم تتلقى أي تدريب، ومنها ننبين مدى فعالية الأسلوب التدريبي في تحقيق أغراضه.

**ثانياً: أسلوب يعتمد على استخدام فريق واحد فقط:** أي استخدام المجموعة أو الفريق الذي يتلقى التدريب فقط ويقارن أدائه أو مدى تطوره نتيجة للتدريب، وذلك بالمعيار الذي تم اختياره قبل البدء في التدريب، ويتم التقييم قبل وبعد التدريب للوقوف على مدى التطور الذي حصل عليه العامل نتيجة التدريب.

**ثالثاً: أيضاً أسلوب يعتمد على استخدام فريق واحد فقط:** ولكن هذا الأسلوب يختلف عن سابقه في أنه يتم تقييم وقياس مدي القدرات والمهارات التي تحصل عليها العامل بعد التدريب فقط دون تقييمه قبل التدريب.

ومن البديهي جداً أن يكون الأسلوب الأول للتقييم هو أدق أسلوب لتقييم فعالية التدريب، حيث إنه يحدد إلى أي مدى استطاع المتدربون أن يكتسبوا مهارات أكبر نتيجة البرنامج التدريبي بالمقارنة مع نفس الفترة التي قضوها في العمل بدون تدريب.

دور أساليب ووسائل التدريب الحديثة في نجاح البرامج التدريبية...

**عناصر تقييم البرامج التدريبية**

يمكن تحديد عناصر تقييم البرامج التدريبية وذلك حسب الأطراف الأساسية في العملية التدريبية وبيئة التدريب وهي كما يلي:

1. المجتمع كونه المستفيد النهائي لزيادة المهارات وتنمية القوى العاملة فيه، وانعكاس ذلك على الناتج القومي والدخل القومي.
2. إدارات منظمات الأعمال والدوائر الحكومية كونها المستفيد المباشر من تطور مهارات المتدربين وتحسن اتجاهاتهم نحو العمل والإدارة، فضلاً عن أنها الجهة المرشحة للمتدربين.
3. المتدربون كونهم المستفيد الأول من تطور معلوماتهم وقدراتهم ومؤهلاتهم، وكذلك كونهم العنصر المتفاعل مباشرة مع العملية التدريبية وأهدافها.
4. البرنامج التدريبي بما يتضمنه من مواضيع تدريبية ومفردات ووسائل وأساليب تدريبية وغيرها من مستلزمات مساعدة في التدريب.
5. المدربون كونهم المسؤولين عن تنفيذ البرامج التدريبية ميدانياً.
6. إدارة البرنامج التدريبي أو المشرفين على البرنامج كونهم المسؤولين عن تطبيق شروط المشاركة في البرنامج، ومتابعة تنفيذ مفرداته وتوفير مستلزماته، وكذلك تقييم عناصره قبل بدايته وأثناء تنفيذه وعند انتهائه.
7. البيئة التدريبية بما تتضمنه من مستلزمات تدريبية وملائمة مواقع أو أماكن التدريب ومواعيده وتوقيتاته.

**أساليب التدريب**

هناك العديد من الأساليب التدريبية التي تهدف إلى تزويد المتدرب بالمهارات والمعارف والخبرات الجديدة والدافعة، حيث تأخذ هذه الأساليب صوراً متعددة منها ما يختص بالتدريب الفردي ومنها ما يختص بالتدريب الجماعي، ومنها ما يرتبط بالتدريب أثناء العمل، ومنها ما يرتبط بالتدريب خارج أوقات العمل، وتجدر الإشارة إلى عدم وجود أسلوب مثالي للتدريب يصلح اتباعه بصفة عامة، وإنما تختلف أساليب التدريب باختلاف الظروف والمواقف القائمة، وبالتالي اختيار الأسلوب التدريبي التي يمكن اتباعه في تطوير مهارات وقدرات ومعارف واتجاهات العاملين في المنظمات هو الأساس في نجاح البرنامج التدريبي المصمم وبالرغم من تعدد الأساليب التدريبية في تنمية الموارد البشرية إلا إنه لا يمكن تقليص نوع معين على حساب النوع الآخر. إن المجتمع الناجح هو الذي يخلق توازناً مناسباً بين الأساليب المتعددة لخدمة قضايا التنمية في فترات زمنية محددة وهذا يتأتى من خلال دراسات وأبحاث خاصة بالاحتياجات التدريبية داخل المنظمة بصورة خاصة وبرامج التدريب على مستوى المنظمة بصفة عامة.

**أساليب التدريب الحديثة**

**1 - أسلوب تمثيل الأدوار**

وهو أسلوب يعتمد على "خبرة تعليمية تكتسب فيها عدة مهارات من خلال تفاعل اجتماعي بين اثنين أو أكثر وتعطي الفرصة بهذا التفاعل لظهور المشاعر والانفعالات الحقيقية أثناء القيام بتمثيل أو استعادة تمثيل موقف واقعي محدد حدث بالفعل أو موقف يمكن حدوثه حالياً أو مستقبلاً في الحياة العملية"<sup>(13)</sup>.

## دور أساليب ووسائل التدريب الحديثة في نجاح البرامج التدريبية...

ويهدف هذا الأسلوب إلى التخلص من المصاعب والعوائق التي تعترضهم في العمل والتعرف على الأخطار التي يقع فيها المتدربون وتصحيحها والممارسة والتجربة العملية لطرق متعددة من التصرفات في المواقف وتزويد المشاركين بخبرات متنوعة، وزيادة قدراتهم على إدراك المعاني لسلوك الآخرين في المواقف وتعديل أنماط سلوك المتدرب وتدعيم السلوك الإيجابي، كما يصلح هذا الأسلوب في التدريب على مختلف المواقف التي تتطلب اكتساب مهارات سلوكية إدارية واجتماعية وتعامل مع الآخرين أو القيام بأداء معين خاصة تحت ضغوط نفسية واجتماعية وانفعالية يمكن استحضارها.

### 2 - أسلوب مباريات العمل

يركز هذا الأسلوب على تنمية المهارات والقدرات التحليلية لدى المتدربين، وطبقاً لهذا الأسلوب فإنه يتم تقسيم الأفراد المتدربين إلى مجموعتين متنافستين يمثل كل مجموعة قسم معين أو منظمة معينة، ومن ثم تقوم كل مجموعة بتحديد المشكلة المراد مناقشتها أو تحليلها في الاجتماع بحيث تختار كل مجموعة مديراً لهل وتحديد مراكز بقية الأعضاء في المجموعة وتبدأ دراسة وتحليل الموضوع أو الموضوعات المطروحة في صورة مناقشة مفتوحة وحوار ونقد بالشكل الذي يؤدي إلى قرارات معينة، ولكن هذا الأسلوب يصلح في اتخاذ القرارات الإدارية "ويساعد في إدارة العمليات التفاوضية وكل النزاعات والصراعات لاتخاذ القرارات في حالات الصراع والمنافسة"<sup>(14)</sup>.

### 3 - أسلوب التدريب والتطوير الذاتي

منذ فترة طويلة عندما كان يتم تدريب الفرد على القيام بمهنة ما وكان يتم اعتبار التدريب الذي حصل عليه تدريباً تاماً بعدما يتقن المتدرب المهارات والقدرات لتلك المهنة التي تم تدريبه عليها، ولكن في ظل التطورات التكنولوجية أصبحت الكثير من الوظائف والأمور الروتينية بحاجة إلى من يقوم بها رغم الظروف وغياب الفرصة لديه من التدريب عليها، وبعبارة أخرى العاملين ذو المهارات العالية عليهم استبدال التدريب بالتعليم لأن التدريب عملية تتم من جانب واحد وهو تنقل المعلومات من المدرب إلى المتدرب بينما التعلم يتضمن استيعاب المعلومات ومعرفة كيفية التعرف على المشكلات المحتملة والبحث عن المعرفة والمعلومات الضرورية لحل المشكلات ووضع مفاهيم جديدة حيث تعتبر هذه العملية هي جوهر التدريب والتطوير الذاتي الحديث.

### 4 - أسلوب التدريب عن طريق الإنترنت

يعتمد هذا الأسلوب في حالة اللجوء لاستخدامه كأسلوب تدريبي على مهارات وأيضاً خبرات المتدربين مسبقاً قبل التحاقهم بالدورات والبرامج التدريبية وهذا ما يقودنا إلى أهمية أسلوب التدريب والتطوير الذاتي، وبالتالي استعمال الأفراد لأجهزة الكمبيوتر مما يسهل عملية التدريب عن طريق الإنترنت من ناحية الوقت، وحتى يمكن للمتدربين تعلمهم لطرق الاتصال عبر الإنترنت والدخول لشبكة المعلومات والبحث فيها بهدف الوصول إلى أرقى الخدمات وآخر التطورات التكنولوجية والتعرف على أحدث الآلات والمعدات المستخدمة في الصناعات النفطية، وأيضاً لتقديم بعض الاستشارات لبيوت الخبرة العالمية عبر الدخول لبعض المواقع ذات العلاقة بأعمالهم أو بواسطة البريد الإلكتروني للشركات والمؤسسات والهيئات ذات العلاقة.

### 5 - أسلوب المناقشات

وفقاً لهذا الأسلوب فإنه يتم تبادل المعلومات والآراء بين مجموعة من الأفراد (المتدربين) وغالباً ما يدير حلقة النقاش رئيس مجموعة وهو المدرب، وبالرغم من توجيه نقد كثير إلى هذا

### دور أساليب ووسائل التدريب الحديثة في نجاح البرامج التدريبية...

الأسلوب التدريبي إلا إن فشله لا يرجع إلى الأسلوب بالذات وإنما يرجع إلى عدة اعتبارات أو عوامل لا تؤخذ في الاعتبار وبالتالي يمكن الاستفادة من هذا الأسلوب في التدريب. ويعتبر هذا الأسلوب من أفضل أساليب الاتصال الشفوي فعالية في تدريب الجماعات الصغيرة حيث يجلس المتدربون لمناقشة موضوع معين لحل مشكلة ما عن طريق تبادل الآراء والأفكار والخبرات المختلفة ومشاركة الجميع قدر المستطاع، ويتميز هذا الأسلوب بإتاحة فرصة التفكير والتحليل والتعبير عن الرأي، وتنمية القدرة على تحليل الآراء والمقترحات وتقييمها لدى المتدربون، ولكن في المقابل لا يصلح هذا الأسلوب للأشخاص الذين ليس لديهم خبرات كافية في المجال الوظيفي، وأيضاً قد يسيطر أحد أو عدد من المتدربين على حلقة المناقشة مما يحول دون مساهمة بقية المتدربين.

#### 6 - أسلوب دائرة التلفزيون المغلق<sup>(15)</sup>

يتم استخدام جهاز التلفزيون كشاشة عرض لبرامج مسجلة مسبقاً على أشرطة مغناطيسية أو اسطوانات فيديو بواسطة جهاز تسجيل وعرض فيديو، ويتم تسجيل هذه البرامج إما من برامج مرسلة من الإذاعة والتلفزيون أو من

جهاز فيديو آخر بواسطة كاميرا فيديو ومن موقع العمل وتعتبر تقنية متطورة جامعة للصور والصوت، ويتم عرض المسجلات من قبل المدرب في قاعات الدراسة ويتحكم المدرب في سرعة عرض البرامج ويمكنه إيقافه في أي وقت أثناء الحصة التدريبية ولأي سبب ما مثل المناقشة على مشهد معين، ويمكن استخدامه في المختبرات وورش العمل وتسجيل ما يجري داخلها ومن ثم عرضها في قاعات الدراسة وتصحيح ما كان خاطئاً مع المتدربين، ويتميز هذا الأسلوب بأنه وسيلة تعليمية جامعة وشاملة والاستفادة المتبادلة بين المدرب والمتدرب من البرنامج المسجل وعرضه ومناقشته، وأيضاً سهولة تسجيل البرامج واستعادتها بالنسبة للمدرب والمتدرب من أي جهاز تلفزيون، والمشاركة الإيجابية الفعالة.

#### 7 - أسلوب التفاوض

يركز المدرب تبعاً لهذا الأسلوب على الموضوعات التي تتضمن إيجاد حلول ممكنة لمشكلة ما بين طرفين داخل العمل في المؤسسة أو المنظمة، وهذا يتأتى من خلال تفهم الموظفين أو العاملين لأعمالهم وولاءهم للمنظمة التابعين لها باعتبارها مصدر رزقهم، وإن أي خلل يحدث داخل المنظمة فإنه سوف يقودهم إلى الأسوأ، وبالتالي أتباع هذا الأسلوب ينمي مهارات وقدرات واتجاهات العاملين نحو الولاء التام للمنظمة وذلك من خلال اختيار المدرب للمواضيع المطروحة للتفاوض أثناء التدريب والتي يجب أن تكون قريبة جداً للواقع العملي، بالرغم من أن هذا الأسلوب يجب التركيز عليه في برامج تدريب المدراء أي على مستوى الإدارة العليا والوسطى، أما في برامج تدريب العاملين في المستوى الإداري التنفيذي لا يتم التركيز على هذا الأسلوب بصورة كبيرة، ولكن يجب على العاملين في المستوى التنفيذي أن يكونوا على دراية بمثل هذه الأساليب لتنمية القدرات الذهنية والفكرية.

إن الأساليب التدريبية لها علاقة بالمادة التدريبية حيث أن هناك موضوعات لا يصلح التدريب عليها إلا باستخدام أساليب معينة مثل أسلوب المحاضرة بينما يفضل عند تقديم مواضيع أخرى استخدام أسلوب آخر كأسلوب دراسة الحالة مثلاً، كما إن في حالة استخدام الأسلوب التدريبي يجب أن يكون ملائم للمتدربين بالنسبة لثقافتهم وأعمارهم وأعمالهم، وبالتالي طبيعة المتدربين واتجاهاتهم ومستوياتهم العلمية والثقافية لها الأثر الكبير في اختيار الأسلوب التدريبي وبالتالي تأثيرها على كفاءة وفعالية البرنامج التدريبي بصفة عامة، وعلى هذا الأساس إذا ما تم توزيع

### دور أساليب ووسائل التدريب الحديثة في نجاح البرامج التدريبية...

المتدربين في مجموعات صغيرة نسبياً أثناء التدريب فإن الاستفادة ستكون واضحة الأمر الذي يحقق فعالية أكبر للبرامج التدريبية على مستوى المنظمة.

#### وسائل الإيضاح الحديثة

بالرغم من اختلاف أنواعها وأشكالها تعتبر معينات أو مساعدات تدريبية لا تُغني عن دور المدرب، وبالتالي يقع على المدرب العبء الأكبر في نجاح استخدام تلك المعينات، فالمنظمات في حالة تبني برامج تدريبية لكوادرها فهي بدورها تهدف إلى الوصول إلى أرقى الأوضاع في مجتمع يتميز بشدة المنافسة بغية الوصول إلى أهدافها المرسومة، وهذا يتأتى بمواكبة التطورات سواء على مستوى العنصر البشري أو على مستوى التقنية والتكنولوجيا في الآلات المستخدمة في الإنتاج وجودته، وبالتالي وسائل الإيضاح بمختلف أنواعها وتسمياتها فإنها تساهم مساهمة فعالة في تلك التطورات من خلال البرامج التدريبية على مستوى المنظمة ومن وسائل الإيضاح الحديثة ما يلي:

#### 1 - السبورة: وتنقسم إلى عدة أنواع منها:

- **السبورة الممغنطة:** وهي وسيلة من وسائل الإيضاح الحديثة المستخدمة في البرامج والدورات التدريبية وتوجد حالياً سبورات ممغنطة خاصة يمكن استخدامها كسبورات طباشيرية يتم تثبيت قطع مغناطيسية على ظهر المقطعات ويحدث الالتصاق نتيجة الجذب المغناطيسي لذلك فإن المقطعات المصنوعة للسبورات الممغنطة يمكن أن تعمل من ورق المخططات أو الورق المقوى أو من صفائح اللدائن الرقيقة أو البوليستيرين أو صفائح ملونة من المطاط الممغنط.
- **السبورة النسيجية:** وهي سبورة مصنوعة من نسيج سميك أو قماش اللباد، حيث تنتشر قطعة القماش على سبورة خشبية وتثبت من الخلف بواسطة المسامير الصغيرة ويجب أن يكون القماش من اللون الداكن سواء الأسود أو الأزرق أو الأحمر لعمل توافق جيد مع المقطعات التي تعمل عادةً من أوراق رسم ذات ألوان فاتحة .
- **النماذج والمواصفات:** إن عملية التعليم والتعلم تتحقق من الأشياء الحقيقية ولكن تستخدم النماذج والمواصفات بدلاً منها لعدم توفر الأشياء الحقيقية كالتدريب في حالة الإنتاج مثلاً أو تدريب العامل على المكائن مباشرة وتكون النماذج أكثر ملائمة لأغراض التعلم لأنها تعطي تفاصيل مرئية يتعسر رؤيتها في الأشياء الحقيقية أو أنها تكون كبيرة جداً أو صغيرة جداً، فمن الضروري عمل النموذج من قبل المدرب نفسه بمقاييس معينة يسهل نقلها من مكان لآخر.
- **الكاتلوقات:** يعتبر التدريب بواسطة الكاتلوق في مضمونه الحقيقي بأنه كتيب يحتوي على كل ما يتعلق بالمكائن المستخدمة في صناعة ما ويراد تدريب العاملين في تلك الصناعات وعلى المكائن المستخدمة سواء في عمليات الصيانة أو التشغيل، بالتالي يعتبر الكاتلوق عامل مساعد في تدريب العاملين وتوضيح الأشياء على حقيقتها، ويحتاج استخدام الكاتلوق في التدريب إلى أفراد ذو مهارات وقدرات عالية في أمور الصيانة والتشغيل .

**4 - جهاز عرض الشرائح:** يقوم جهاز عرض الشرائح (الشفافات) بإسقاط الصور من شفافات بلاستيكية على شاشة الإسقاط البيضاء أو على الحائط، والشفافة عبارة عن صفحة من البلاستيك النقي وتكون صافية أو ذات رسوم جاهزة يتمكن المدرب من الكتابة مباشرة على الشفافة في نفس وقت عرض الصورة من جهاز عرض الشفافيات كما في الكتابة على السبورة الخشبية ويمكن إنتاج تلك الشفافيات بسهولة من قبل المدرب باستخدام عدة طرق مختلفة، ويمتاز هذا الجهاز بتقديم العرض لعدد كبير من المشاهدين بصورة واضحة وكبيرة، كما يمكن للمدرب أن يتحكم في تسلسل عرض المواد المعروضة، ويمكن أيضاً استخدام هذا الجهاز في غرف مضاءة بصورة اعتيادية .

دور أساليب ووسائل التدريب الحديثة في نجاح البرامج التدريبية...

**5 - العرض عن طريق الكمبيوتر:** يعتبر الحاسب الآلي (الكمبيوتر) إحدى الوسائل التي يمكن الاعتماد عليها كوسيلة مساعدة في عملية التدريب، وذلك بعرض المواد التدريبية ومن ميزاته قدرته على عرض الكلمات والصور بأحجام متفاوتة حسب أهميتها ويستطيع المدرب عند إجراء مناقشة أو حوار حول موضوع معين أن يكرر الجزء المطلوب شرحه بالتفصيل مرة أخرى على المتدربين، كما يمكن لجهاز الكمبيوتر تخزين كميات هائلة من المواد التدريبية، ونقل مجموعة من البيانات والمعلومات والرسومات التوضيحية أو الجداول الموجودة على شاشة الكمبيوتر على شرائح أفلام ثم يتم عرضها بعد ذلك على جهاز عرض الشرائح عند الحاجة إليها، وتظهر الصورة بدرجة التكبير المطلوبة على شاشة العرض الكبيرة المواجهة لجهاز عرض الشرائح.

**6 - جهاز عرض الأفلام:** يستخدم هذا الجهاز لعرض الأفلام السينمائية بهدف التدريب على ما يشاهده الفرد مثل عرض أفلام حول السلامة المهنية وكيفية عمل رجال المطافئ في شركة أو مؤسسة ما، بحيث يعيش المشاهد أثناء مشاهدته للعرض في جوء التجربة التي يشاهدها على الشاشة وتمكنه من أن يرى ويشكل عمله وفقاً لأحسن طريقة متبعة تنمية مهارات وقدرات العاملين، فمثلاً عند مشاهدة عرض ما حول كيفية عمل آلة من آلات المصنع أفضل بكثير مما إذا قرأ عنها لفترة زمنية معينة، لأن التطبيق العملي أسلوب يجب إتباعه والتركيز عليه وخاصة أثناء تدريب العاملين في المستوى الإداري التنفيذي.

**7 - جهاز العرض الرأسي:** يستخدم جهاز العرض الرأسي في العمليات التدريبية بشكل كبير، حيث يقوم المدرب بتجهيز الشفافات المصنوعة من البلاستيك مكتوبة عليها المادة المطلوبة أو الرسومات قبل وقت التدريب وعند قيام المدرب بالشرح أثناء الحصة التدريبية يقوم بوضع الشفافة الخاصة بالدرس أو الموضوع المطروح للنقاش على الجهاز بحيث تكون واضحة للمتدربين والمدرب على حد سواء، ويعتبر جهاز العرض الرأسي من الوسائل أو المعينات البصرية الأقل تكلفة مقارنة بغيرها من الوسائل الأخرى من حيث السعر أو المواد المستخدمة، كما يمكن نقله بسهولة لخفة وزنه، كما لا يحتاج إلى مهارات عالية لتشغيله ويمكن للمدرب التحكم فيه إلى حد كبير من ناحية تكبير وتصغير المادة المعروضة على الشاشة.

**بيئة الدراسة**

اقتصرت هذه الدراسة على شركة الزاوية لتكرير النفط التابعة للمؤسسة الوطنية للنفط، وهي أول شركة مصفاة يتم تصميمها وبنائها للمؤسسة الوطنية للنفط، وتم التعاقد على بنائها مع شركة سنام بروجيتي الإيطالية. تم افتتاح الشركة في سبتمبر لعام 1974 م، وقد جاء اختيار موقعها على أساس قربها من منطقة طرابلس التي تستهلك حوالي 70 % من مجموع الاستهلاك المحلي لمنتجات النفط، وكذلك على ضوء سياسة توزيع المراكز الصناعية<sup>(16)</sup>.

**اختيار العينة**

عينة الدراسة اقتصرت على العاملين في مستوى الإدارة التنفيذية في الشركة قيد الدراسة، فالعينة هي مجموعة مفردات أخذت من جمهور معين وهي بذلك عينة تمثل مجتمع الدراسة. فقد تم اختيار العينة عشوائياً، والجدول التالي يوضح حجم العينة.

دور أساليب ووسائل التدريب الحديثة في نجاح البرامج التدريبية...

جدول رقم (1): حجم العينة من مختلف الإدارات والأقسام بالشركة قيد الدراسة.

حجم العينة	البيان
20	1 إدارة مراقبة التكرير
20	2 مراقبة حركة الزيوت وتخطيط الإنتاج
20	3 مراقبة مصنع خلط وتعبئة الزيوت
20	4 إدارة الصيانة
5	5 إدارة الهندسة والدراسات الفنية
5	6 إدارة المواد والعمليات
20	7 إدارة منع الخسائر
110	8 المجموع

قام الباحث بتوزيع استثمارات الاستبيان على أفراد العينة وكانت نسبة الردود جيدة بسبب سهولة وفهم الجميع لها. ويمكن توضيح عدد الاستثمارات الإجمالية التي تم توزيعها على أفراد العينة ونسبة الردود والفاقد منها وذلك من خلال الجدول التالي:

جدول رقم (2): يوضح العدد الإجمالي لاستثمارات الاستبيان الموزعة.

إجمالي الاستثمارات	الردود	نسبة الردود	الفاقد	نسبة الفاقد	المستبعده	نسبة المستبعده
110	80	73 %	18	16 %	12	11 %

بعد استلام الاستثمارات المُرجعة، قام الباحث بفحصها فتم استبعاد (12) استثماراً ويرجع السبب في ذلك إلى عدم الجدية في الإجابة من قبل المبحوثين أما الفاقد منها كان (18) استثماراً. ويمكن توضيح ما سبق في المعادلات الرياضية التالية:

$$\text{عدد الاستثمارات المتبقية} = 110 - 30 = 80 \text{ استثمارة}$$

$$\text{نسبة الردود} = 80 \div 110 = 73 \%$$

$$\text{نسبة الفاقد} = 18 \div 110 = 16 \%$$

$$\text{نسبة المستبعده} = 12 \div 110 = 11 \%$$

مما سبق يتضح أن إجمالي الاستثمارات التي تم إجراء التحليل النهائي لها كانت (80) ثمانون استثماراً. باستخدام البرنامج الإحصائي في التحليل تم إتباع الأساليب الإحصائية المعروفة وهي:

**اختبار كروسكال Kruskal-Wallis Test:** يستخدم اختبار كروسكال "لاختبار الفرضية الصفرية وهي إن مجموعة من الأسباب أو العوامل لها أهمية متساوية مقابل الفرضية البديلة التي تشير إلى أن تلك الأسباب أو العوامل غير متساوية الأهمية".

**تقدير فترة الثقة Confidence Interval:** يستخدم هذا الأسلوب لتحديد المدى لوسيط الإجابات.

**اختبار مربع كاي Chi-Square Test:** لجودة التوفيق (تساوي نسب الإجابات) يستخدم لاختبار الفرضية الصفرية التي تشير إلى أن تكرار الإجابات لمجموعة من الفئات متساوية مقابل الفرضية البديلة التي تشير إلى أن تكرار تلك الإجابات غير متساوية (مختلفة). أي "لاختبار الفرضية الصفرية التي تشير إلى عدم وجود علاقة بين ظاهرتين أو متغيرين مقابل الفرضية البديلة وهي أن وجود علاقة ارتباط بين تلك الظاهرتين أو المتغيرين.



## تحليل البيانات وعرض النتائج

## أولاً: أساليب التدريب الحديثة

## 1- اختبار كروسكال Kruskal-Wallis Test

تم استخدام اختبار كروسكال في تحليل البيانات حول أنسب الأساليب التدريبية استخداماً في البرامج والدورات التدريبية.

جدول رقم (3): يوضح نتائج اختبار كروسكال حول أنسب الأساليب التدريبية الحديثة استخداماً في برامج التدريب

أساليب التدريب	الوسيط	متوسط الرتب	اختبار Z	نتيجة الاختبار
1 أسلوب تمثيل الأدوار	2	486.5	- 5.23	163.00
2 أسلوب مباريات العمل	2	531.1	- 3.44	
3 أسلوب التدريب والتطوير الذاتي	2	666.2	2.00	
4 أسلوب التدريب عن طريق الانترنت	3	746.3	5.23	
5 أسلوب المناقشات	3	824.1	8.36	
6 أسلوب دائرة التلفزيون المغلق	2	547.2	- 2.79	
7 أسلوب التفاوض	2	514.0	- 4.14	
المتوسط		616.5		

لاختبار الفرضية الصفرية التي تشير إلى أن أساليب التدريب الحديثة يمكن الاستفادة منها بمستوى واحد مقابل الفرضية البديلة وهي أن تلك الأساليب يمكن الاستفادة منها بدرجات أو مستويات مختلفة، ونلاحظ أن قيمة نتيجة الاختبار تساوي (163) وهي أكبر من قيمة مربع كاي الجدولية بدرجة حرية (6) ومستوى معنوية (0.01)، مما يشير إلى أن أساليب التدريب الحديثة غير متساوية في درجة ملائمتها ومناسبتها في استخدامها في البرامج والدورات التدريبية، ونلاحظ أن قيمة Z لأسلوب المناقشات، ولأسلوب التدريب عن طريق الانترنت، ولأسلوب التدريب والتطوير الذاتي تساوي (8.36)، (5.23)، (2.00) على التوالي وجميعها أكبر من قيمة Z الجدولية وهي (1.96) بدرجة حرية (6) ومستوى معنوية (0.01)، مما يشير إلى أن هذه الأساليب هي الأكثر ملائمة ومناسبة استخداماً في البرامج التدريبية، بينما كانت قيمة Z لأسلوب تمثيل الأدوار، ولأسلوب التفاوض، ولأسلوب مباريات العمل، ولأسلوب دائرة التلفزيون المغلق أقل من (-1.96)، مما يدل على انخفاض نسبة ملائمة ومناسبة هذه الأساليب في البرامج التدريبية مقارنة بالأساليب الأخرى.

## 2- تقدير فترة الثقة:

استخدم هذا الأسلوب في تحليل حول أساليب التدريب الحديثة فإنه ومن خلال الجدول رقم (4) نلاحظ أن أكثر أساليب التدريب الحديثة ملائمة ومناسبة هو أسلوب المناقشات، ولأسلوب التدريب عن طريق الانترنت، ولأسلوب التدريب والتطوير الذاتي، حيث يتراوح وسيطها بين (2.5،3)، بينما كان أسلوب مباريات العمل، ولأسلوب دائرة التلفزيون المغلق، ولأسلوب التفاوض وسيطها (2)، أما أسلوب تمثيل الأدوار يتراوح وسيطه من (1.5،2)، والمقياس المستخدم يتكون أيضاً من (3) درجات يبدأ من 1 (غير مناسب) وينتهي إلى 3 (مناسب)، وبمتوسط (2)، نلاحظ أن الأساليب التي حصلت على مستوى أعلى من المتوسط وهي أسلوب المناقشات، ولأسلوب التدريب عن طريق الانترنت، ولأسلوب التدريب والتطوير الذاتي، بينما أسلوب مباريات العمل، ولأسلوب دائرة التلفزيون المغلق، ولأسلوب التفاوض حصلت على مستوى متوسط، وأخيراً أسلوب

دور أساليب ووسائل التدريب الحديثة في نجاح البرامج التدريبية...

تمثيل الأدوار قد حصل على مستوى أقل من المتوسط مما يدل على عدم ملائمة ومناسبة هذا الأسلوب في برامج تدريب الإدارة التنفيذية.

جدول رقم (4): يوضح نتائج تقدير فترة الثقة حول أنسب أساليب التدريب الحديثة استخداماً في برامج التدريب.

الحد الأعلى للوسيط	الحد الأدنى للوسيط	الوسيط	أساليب التدريب	
			الحد الأعلى للوسيط	الحد الأدنى للوسيط
باحتمال 95 %				
2	1.5	2	1	أسلوب تمثيل الأدوار
2	2	2	2	أسلوب مباريات العمل
2.5	2	2.5	3	أسلوب التدريب والتطوير الذاتي
2.5	2.5	2.5	4	أسلوب التدريب عن طريق الإنترنت
3	2.5	2.5	5	أسلوب المناقشات
2	2	2	6	أسلوب دائرة التلفزيون المغلق
2	2	2	7	أسلوب التفاوض

3- اختبار مربع كاي Chi-Square:

نلاحظ من خلال الجدول التالي أن نتائج اختبار مربع كاي حول أنسب الأساليب التدريبية الحديثة ملائمة في الدورات وبرامج التدريب، نلاحظ أن قيمة مربع كاي المحسوبة لأسلوب التدريب والتطوير الذاتي تساوي (24.182) وهي أكبر من قيمة مربع كاي الجدولية بدرجة حرية (2) ومستوى معنوية (0.01)، مما يدل على أن قبول الفرضية البديلة ورفض الفرضية الصفرية أي أن وجود اختلاف في نسبة الإجابة، حيث نلاحظ أن هناك تقارب في نسبة الإجابة بعبارة (إلى حد ما، ومناسبة)، بينما كانت الإجابة بعبارة غير مناسبة منخفضة كما موضحة في الجدول، مما يدل على أن هذا الأسلوب ملائم ومناسب جداً استخدامه في برامج التدريب، كما نلاحظ قيمة مربع كاي المحسوبة لأسلوب مباريات العمل تساوي (7.852) وهي أكبر من قيمة مربع كاي الجدولية بدرجة حرية (2) ومستوى معنوية (0.05) وأقل من قيمة مربع كاي الجدولية بدرجة حرية (2) ومستوى معنوية (0.01)، مما يشير ذلك إلى أن هذا الأسلوب مناسب إلى حد ما، بينما قيمة مربع كاي المحسوبة لأسلوب تمثيل الأدوار تساوي (9.897) وهي أكبر من قيمة مربع كاي الجدولية بدرجة حرية (2) ومستوى معنوية (0.01) مما يدل على أن هذا الأسلوب غير مناسب في برامج التدريب.

جدول رقم (5): يوضح نتائج اختبار مربع كاي حول أنسب الأساليب التدريبية الحديثة استخداماً في برامج التدريب.

الحد الأعلى للوسيط	الحد الأدنى للوسيط	الوسيط	نتيجة مربع كاي	مناسبة	إلى حد ما	غير مناسبة	أساليب التدريب الحديثة
2	1.5	2	9.897	18	32	30	1 أسلوب تمثيل الأدوار
2	2	2	7.852	9	55	16	2 أسلوب مباريات العمل
2.5	2	2.5	24.182	32	35	13	3 أسلوب التدريب والتطوير الذاتي
2.5	2.5	2.5	48.421	44	24	12	4 أسلوب التدريب عن طريق الإنترنت
3	2.5	2.5	96.354	47	27	6	5 أسلوب المناقشات
2	2	2	59.738	17	45	18	6 أسلوب دائرة التلفزيون المغلق
2	2	2	13.034	13	46	21	7 أسلوب التفاوض

دور أساليب ووسائل التدريب الحديثة في نجاح البرامج التدريبية...

ثانياً: وسائل الإيضاح الحديثة:

وذلك باستخدام الأساليب الإحصائية المذكورة سلفاً والمستخدمه في هذه الدراسة.

1- استخدام اختبار كروسكال:

استخدم هذا الأسلوب الإحصائي في تحليل البيانات المتحصل عليها من إجابات المبحوثين في القسم الرابع من استمارة الاستبيان حول معرفة وسائل التدريب الحديثة من ناحية استخدامها ومناسبتها في البرامج والدورات التدريبية، فالجدول التالي رقم (6) يوضح نتائج الاختبار.

جدول رقم (6): يوضح نتائج اختبار كروسكال لوسائل الإيضاح الحديثة ومدى استخدامها في برامج التدريب.

وسائل الإيضاح الحديثة	الوسيط	متوسط الرتب	اختبار Z	نتيجة الاختبار
1 السبورة الممغطة	2	596.4	- 3.77	63.98
2 السبورة النسيجية	2	594.8	- 3.83	
3 النماذج والمواصفات	2	756.2	1.80	
4 الكاتلوقات	2	726.2	0.76	
5 جهاز عرض الشرائح	2	796.7	3.22	
6 العرض عن طريق الكمبيوتر	2	736.3	1.11	
7 جهاز عرض الأفلام	2	786.2	2.85	
8 جهاز العرض الراسي	2	643.4	- 2.13	
المتوسط		704.5		

نلاحظ من خلال الجدول السابق أن نتيجة الاختبار تساوي (63.98) وهي أكبر من قيمة مربع كاي الجدولية بدرجة حرية (7) ومستوى معنوية (0.01)، مما يدل ذلك على أن وسائل الإيضاح الحديثة غير متساوية في درجة استخدامها كمعينات في التدريب، حيث أن قيمة Z المحسوبة لجهاز عرض الشرائح، وجهاز الاستقبال المرئي هي (3.22)، (2.85) على التوالي وهي أكبر من قيمة Z الجدولية (1.96) يدل ذلك أن هذين الوسيلتين ملائمة في استخدامها، بينما كانت قيمة Z المحسوبة للسبورة النسيجية، والسبورة الممغطة، وجهاز العرض الراسي (3.83 -)، (-3.77)، (-2.13)، على التوالي وهي أصغر من (-1.96)، مما يشير إلى عدم ملائمة هذه الوسائل في استخدامها في برامج التدريب، أما قيمة Z لبقية الوسائل تتراوح بين (1.96 -، 1.96) وهي وسيلة الكاتلوقات.

النماذج والمواصفات، والعرض عن طريق الكمبيوتر (0.76)، (1.80)، (1.11) على التوالي، مما يدل على أن هذه الوسائل تستخدم أحياناً في برامج التدريب.

جدول رقم (7): يوضح نتائج اختبار كروسكال لوسائل الإيضاح الحديثة ومدى مناسبتها وملاءمتها في برامج التدريب.

وسائل الإيضاح الحديثة	الوسيط	متوسط الرتب	اختبار Z	نتيجة الاختبار
1 السبورة الممغطة	2	566.9	- 4.80	229.89
2 السبورة النسيجية	2	545.9	- 5.53	
3 النماذج والمواصفات	2	713.4	0.31	
4 الكاتلوقات	2	659.6	- 1.56	
5 جهاز عرض الشرائح	3	835.6	4.57	
6 العرض عن طريق الكمبيوتر	3	935.5	8.06	
7 جهاز عرض الأفلام	3	852.9	5.17	
8 جهاز العرض الراسي	2	526.1	- 6.22	
المتوسط		704.5		

دور أساليب ووسائل التدريب الحديثة في نجاح البرامج التدريبية...

نلاحظ من خلال الجدول السابق أن قيمة مربع كاي المحسوبة تساوي (229.89) وهي أكبر من قيمة مربع كاي الجدولية بدرجة حرية (7) ومستوى معنوية (0.01)، مما يشير ذلك إلى أن هذه الوسائل مختلفة في درجة ملاءمتها ومناسبتها في البرامج والدورات التدريبية، حيث نلاحظ قيمة Z المحسوبة لوسيلة العرض عن طريق الكمبيوتر، وجهاز عرض الأفلام، جهاز عرض الشرائح تساوي ( 8.06، 5.17، 4.57 ) على التوالي هي أكبر من قيمة Z الجدولية وهي ( 1.96 )، مما يشير إلى أن تلك الوسائل ملائمة ومناسبة في استخدامها في الدورات والبرامج التدريبية، بينما قيمة Z لوسيلة جهاز العرض الرأسي، السبورة النسيجية، والسبورة الممغنطة تساوي ( 6.22 -، -5.53، -4.80 ) على التوالي وهي أقل من قيمة Z الجدولية وهي ( 1.96 - )، مما يدل على أن هذه الوسائل غير ملائمة في برامج تدريب العاملين في المستوى التنفيذي، بينما نجد قيم Z المحسوبة لباقي الوسائل تتراوح ما بين ( 1.96 -، 1.96 ) وهي قيم Z الجدولية، وهذا يدل على أن هذه الوسائل مناسبة الاستخدام إلى حد ما في برامج التدريب .

**2- تقدير فترة الثقة:**

نلاحظ أن وسائل الإيضاح التي حصلت على مستوى متوسط جميعها ما عدا وسيلة (السبورة الممغنطة، والسبورة النسيجية )، مما يدل على أن الوسائل التي حصلت على مستوى متوسط أي وسيطها (2) كما موضحة في الجدول رقم (8) تستخدم أحياناً فقط في البرامج والدورات التدريبية، بينما الوسائل التي حصلت على مستوى متوسط فأقل هي وسيلة جهاز العرض الرأسي، ويدل ذلك على استخدام هذه الوسيلة بشكل بسيط جداً في برامج التدريب المعتمدة، بينما السبورة الممغنطة، والسبورة النسيجية حصلت على مستوى أقل من المتوسط مما يشير ذلك إلى عدم استخدام هذه الوسائل أبداً في برامج التدريب .

(8): يوضح نتائج أسلوب تقدير فترة الثقة لوسائل الإيضاح الحديثة ومدى استخدامها في برامج التدريب.

	الحد الأدنى للوسيط		الوسيط	وسائل الإيضاح الحديثة
	الحد الأعلى للوسيط	با احتمال 95 %		
1	1.5	1.5	1.5	السبورة الممغنطة
2	1.5	1.5	1.5	السبورة النسيجية
3	2	2	2	النماذج والمواصفات
4	2	2	2	الكاتلوقات
5	2	2	2	جهاز عرض الشرائح
6	2	2	2	العرض عن طريق الكمبيوتر
7	2	2	2	جهاز عرض الأفلام
8	2	1.5	1.5	جهاز العرض الرأسي

**3، استخدام مربع كاي:**

في تحليل البيانات والمعلومات لوسائل الإيضاح الحديثة ومدى مناسبتها وملاءمتها في برامج التدريب.

جدول رقم (9): يوضح نتائج اختبار مربع كاي حول وسائل الإيضاح الحديثة ومدى استخدامها في برامج التدريب.

وسائل الإيضاح الحديثة	غير مناسبة	إلى حد ما	مناسبة	نتيجة مربع كاي
1 السبورة الممغنطة	8	50	22	112.545
2 السبورة النسيجية	11	48	21	124.579
3 النماذج والمواصفات	5	56	19	68.398
4 الكاتلوقات	8	51	21	58.852

دور أساليب ووسائل التدريب الحديثة في نجاح البرامج التدريبية...

5	جهاز عرض الشرائح	3	28	49	80.774
6	العرض عن طريق الكمبيوتر	2	24	54	135.150
7	جهاز عرض الأفلام	2	22	56	87.967
8	جهاز العرض الرأسي	12	53	15	72.863

نلاحظ من خلال الجدول (9) أن قيمة مربع كاي المحسوبة للإجابة على كل الوسائل هي أكبر من قيمة مربع كاي الجدولية بدرجة حرية (2)، ومستوى معنوية (0.01)، مما يشير إلى أن رفض الفرضية الصفريّة وقبول الفرضية البديلة التي تشير إلى وجود اختلاف في نسبة الإجابة بالعبارات الثلاثة (مناسبة، إلى حد ما، غير مناسبة)، وبالتالي نلاحظ وجود تقارب بين نسبة الإجابات، ومن خلال البيانات المرفقة في الجدول أن كل الوسائل تقريبا تعتبر مناسبة، ومناسبة إلى حد ما في استخدامها في الدورات والبرامج التدريبية، حيث نلاحظ من خلال الجدول أن نسبة الأشخاص الذين أجابوا على أن هذه الوسائل غير مناسبة عددهم قليل مقابل الأشخاص الذين أجابوا بعبارات (مناسبة)، (إلى حد ما)، مما يشير ذلك إلى أن هذه الوسائل مناسبة وخاصة منها جهاز عرض الشرائح، والعرض عن طريق الكمبيوتر، وجهاز عرض الأفلام.

#### اختبار الفروض

لإثبات فروض الدراسة، ومعرفة العلاقة بين متغيراتها، فقد تم استخدام التحليل الإحصائي بعدة أساليب واختبارات (اختبار كروسكال، وتقدير فترة الثقة، واختبار مربع كاي). ومن خلال التحليل الإحصائية للبيانات يتضح أن هناك علاقة بين متغيرات الدراسة، حيث نجد أن الفرض الأول الذي يشير إلى أن (لا توجد علاقة ذات دلالة معنوية بين أساليب التدريب الحديثة وفعالية البرنامج التدريبي)، أي أن أساليب التدريب ترتبط ارتباطاً وثيقاً مع فعالية التدريب، ولكل منها أثرها على الآخر، ومن خلال الأسئلة المرفقة في استمارة الاستبيان التي تحدد الأساليب التدريبية الحديثة، ومدى مناسبتها وملاءمتها في البرامج والدورات التدريبية ومن خلال النتائج المتحصل عليها، وجد أن هناك علاقة بين أساليب التدريب الحديثة مع فعالية التدريب، أي كلما كانت تلك الأساليب المعتمدة والمستخدمة في البرامج والدورات التدريبية حديثة ومناسبة، كلما زادت فعالية التدريب، مما يدل على أن قبول الفرضية البديلة ورفض الفرضية الصفريّة.

أما عن الفرض الثاني (لا توجد علاقة ذات دلالة معنوية بين وسائل التدريب الحديثة وفعالية البرنامج التدريبي)، وجد أن هناك علاقة بين المتغيرين، أي بمعنى أن كلما كانت وسائل التدريب وحديثة كلما كانت برامج التدريب المتبعة أكثر فعالية. مما يدل على قبول الفرضية البديلة ورفض الفرضية الصفريّة.

#### النتائج والتوصيات

##### أولاً: النتائج

- 1- توصل الباحث أن الأساليب التدريبية الأكثر ملاءمة ومناسبة في البرامج والدورات التدريبية هي (أسلوب التدريب والتطوير الذاتي، وأسلوب المناقشات).
- 2- أن وسائل الإيضاح المستخدمة في الدورات والبرامج التدريبية كانت (وسيلة جهاز عرض الشرائح، وجهاز عرض الأفلام، والنماذج والمواصفات، والعرض عن طريق الكمبيوتر).
- 3- عدم تركيز إدارة التدريب في الشركة على تنمية وتطوير المهارات الفنية لدى العاملين بشكل خاص، حيث أن المهارة الفنية ضرورية للعاملين أكثر من المهارة الفكرية التي لا يحتاجها

دور أساليب ووسائل التدريب الحديثة في نجاح البرامج التدريبية...

العامل العادي إلا بدرجة بسيطة لأنه غير ملزم باتخاذ القرارات أو لا يشترك في أغلب الأحيان في اتخاذ القرار، الأمر الذي يؤدي إلى ضعف فعالية البرامج التدريبية.

ثانياً: التوصيات

من خلال النتائج يمكن اعطاء التوصيات الآتية:

- 1- ضرورة اتباع الطرق الأساليب الحديثة في التدريب قدر الإمكان وخاصة طريقة التدريب الداخلي من خلال العمل وخاصة في برامج تدريب العاملين في مستوى الإدارة التنفيذية وفق ما توصلت إليه الدراسة من خلال التحليل، والتي من خلالها يتم تنمية وتطوير المهارات الفنية بشكل خاص لدى العاملين وتغيير اتجاهاتهم السلوكية وقدراتهم على تحمل المسؤوليات أكثر ما يمكن.
- 2- ضرورة التفريق بين برامج تدريب المستويات الإدارية المختلفة من حيث الأساليب والوسائل المتبعة في التدريب، حيث هناك أساليب تتبع في تدريب العاملين ولا يستفاد منها، وبالتالي عند تدريب العاملين العاديين مثلاً ضرورة عدم التركيز على بعض من الأساليب مثل أسلوب المحاضرات، وأسلوب المحاكاة (التقليد)، ويفضل التركيز على أسلوب التدريب والتطوير الذاتي، وأسلوب المناقشات.
- 3- ضرورة التركيز على تنمية وتطوير مهارات وقدرات العاملين (وخاصة المهارات الفنية) التي يحتاجها الفرد العادي في عمله وهذا يتأتى من خلال اتباع الأساليب الحديثة واستخدام الوسائل التي تتماشى مع المتدربين أنفسهم.
- 4- إتاحة الفرصة أمام جميع العاملين في الأشتراك بالدورات والبرامج التدريبية سواء داخل الشركة أو خارجها.
- 5- ضرورة اشراك المدربين المشتركين في البرنامج التدريبي أو الدورة التدريبية في وضع الخطة التدريبية، والمادة العلمية بشكل خاص

المراجع

- 1- إبراهيم جميل على عبد القادر، دراسة تقييمية لبرامج تدريب الإدارة العليا في معهد الإدارة العامة بالمملكة الأردنية الهاشمية رسالة ماجستير (غير منشورة) في إدارة الأعمال، كلية الإدارة والاقتصاد، بغداد، 1993، ص 5.
- 2- إبراهيم جميل على عبد القادر، مرجع سبق ذكره، ص 5.
- 3- مأمون حسن محمد سعد، تقويم فاعلية تدريب القادة الإداريين في القطاع العام في الأردن رسالة ماجستير (غير منشورة) في إدارة الأعمال، بغداد، 1988، ص 16.
- 4- غازي عثمانين، مفاهيم أساسية في التدريب والتطوير (بحث غير منشور)، معهد النفط العربي للتدريب، بغداد، 1990، ص 4.
- 5- [www.abahe.co.uk](http://www.abahe.co.uk)
- 6- حنفي محمود سليمان، الأفراد، دار الجامعات المصرية للنشر، الإسكندرية (ب ت)، ص 365.
- 7- خالد عبد الرحيم مطر الهيتي، إدارة الموارد البشرية، مدخل إستراتيجي، عمان، الأردن، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1999 - 2000، ص 210.

دور أساليب ووسائل التدريب الحديثة في نجاح البرامج التدريبية...

- 8- البيت الاستشاري العربي الدولي Aricon، برنامج إعداد وتطوير المدربين، المؤسسة العربية للتنمية الإدارية، المنعقد بالمركز النوعي للتدريب في الفترة من 18 / 8 / 1991 إلى 11 / 9 / 1991، ص 72.
- 9- مؤيد سعيد السالم، عادل حرحوش صالح، إدارة الموارد البشرية، .....ص 212.
- 10- إبراهيم جميل علي عبد القادر، دراسة تقييمية لبرامج تدريب الإدارة العليا في معهد الإدارة العامة بالمملكة الأردنية الهاشمية، رسالة ماجستير في إدارة الأعمال، كلية الإدارة والاقتصاد، (غير منشورة)، 1993، ص 10.
- 11- السعيد السيد شلبي، تقييم فعالية التدريب، افمكو، مكتب الاستشارات الإدارية لأفريقيا والشرق الأوسط، (بحث منشور)، ص 1.
- 12- السعيد السيد شلبي، مرجع سبق ذكره، ص 3.
- 13- محمد كمال أبو هنود، البيت الاستشاري العربي الدولي، المؤسسة العربية للتنمية الإدارية، ص 193.
- 14- عبد المعطي محمد عساف، التدريب وتنمية الموارد البشرية، الأسس والعمليات، ص 214.
- 15- ناهل كمال خليل، دورة في العملية التدريبية، استخدام المساعدات السمعية والبصرية في التدريب، معهد النفط العربي للتدريب، بغداد، (بحث غير منشور)، 1990، ص 12.
- 16- دليل الشركة، إعداد قسم العلاقات العامة بالشركة، المؤسسة الوطنية للنفط، شركة الزاوية لتكرير النفط.

## التباين المكاني للنمو السكاني في منطقة الجفارة للفترة ما بين 1973-2006

د. عز الدين منصور أبو عجيبة  
جامعة الزاوية / كلية الآداب زواره

### المقدمة:

يعد السكان الهدف الرئيس للتنمية وهم - في الوقت ذاته - أهم مقومات الدولة وعليهم يتوقف نجاح الخطط التنموية، وقد اهتمت الدولة اهتماماً كبيراً بالتنمية بشكل عام، وتنمية القوى البشرية وتطويرها وتوظيفها بشكل خاص ليس هذا فحسب، بل اعتبرتها من المراكز الأساسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، وهذا بالفعل ما تؤكد خطط التنمية المختلفة، وبذلك يعدّ النمو السكاني من أبرز الظواهر الديموغرافية التي تمثل تحدياً للبشرية وخاصة للشعوب النامية التي يتزايد سكانها بمعدل يفوق معدل التزايد في التنمية الاقتصادية<sup>(1)</sup>، وعلى هذا الأساس فالنمو السكاني في منطقة ما يعدّ مؤشراً على مدى نموها الاقتصادي، ونهضتها الاجتماعية، وسماتها الحضارية وفكرها السياسي بل إنه يؤثر على خصائص سكانها<sup>(2)</sup> وتشكل دراسة النمو السكاني أمراً مهماً وأساساً لفهم العلاقات بين الظواهر الديموغرافية<sup>(3)</sup>.

تعد ليبيا من بلدان العالم النامي بلداً سريع النمو السكاني، بفضل التحسن الاقتصادي الذي شهدته مما أدى إلى ارتفاع مستوى المعيشة، الأمر الذي ترتب عليه زيادة عدد حالات الزواج، وبالتالي ارتفاع معدلات المواليد وانخفاض معدلات الوفيات، إضافة إلى دور الهجرة الخارجية الوافدة كما أن النمو السريع الذي يشهده العالم يأتي ارتفاع معدلات النمو في من الدول النامية وبناء على تقديرات الأمم المتحدة فإن هذه الدول مسؤولة عن 90% من الزيادة المتوقعة<sup>(4)</sup>، كما أن دراسة حجم السكان مهمة في كل المجتمعات، وتأتي معرفة الواقع السكاني في سلم الأولويات التي يجب أن يلتفت إليها الباحثون في علم السكان، وإن عدد السكان وتوقعات نموه، وحركته، والأنشطة الاقتصادية التي يقوم بها السكان تعد حجر الزاوية في كل خطة تنموية شاملة<sup>(5)</sup>، وفي هذا الخصوص فإن التعدادات العامة للسكان هي من أهم المصادر لكل المخططين للتعرف على معدلات نموهم والوقوف عندها ووضع البرامج والخطط اللازمة لها، وقبل التعرف على نمو وتطور حجم السكان في منطقة الجفارة يجب أن نتعرض للتغيرات السكانية في ليبيا ككل حتى يتحدد موقف المنطقة من هذه التغيرات إذ بلغ معدل النمو السنوي بين التعدادين (1973-1984) نحو (5.6%) وهو أعلى معدل وصلت إليه البلاد بسبب ارتفاع معدل الزيادة الطبيعية المرتبطة بتحسين الظروف المعيشية، وتطور الخدمات الصحية التي أسهمت في خفض معدل الوفيات، وارتفاع معدل المواليد بشكل عام ومنطقة الدراسة بشكل خاص، إضافة إلى رجوع أعداد من الليبيين المهاجرين في فترات سابقة، مع تأثير الهجرة الوافدة من الأجانب مقارنة بالمدة ما بين عامي (1995-2006) التي انخفض فيها المعدل إلى (1.6%) في ليبيا و(2.2%) لمنطقة الدراسة خلال المدة ذاتها كأثر للعوامل المشار إليها، ومنطقة الجفارة منطقة من مناطق ليبيا الإدارية ذات الثقل السكاني وخاصة في المنطقة الغربية، إذ قارب عدد سكانها نحو (451175) ألف نسمة عام 2006<sup>(\*)</sup>، وبذلك تحتل المرتبة الرابعة بعد كل من منطقة طرابلس، وبنغازي، ومصراته وتتضح بجلاء المشكلة السكانية بالمنطقة إذ شكلوا ما نسبته (17.6%) من إجمالي سكان إقليم سهل الجفارة في ذات التعداد، والقاطنين في مساحة لا تتجاوز (16.8%) من إجمالي مساحته.



د. عز الدين منصور أبو عجيلة

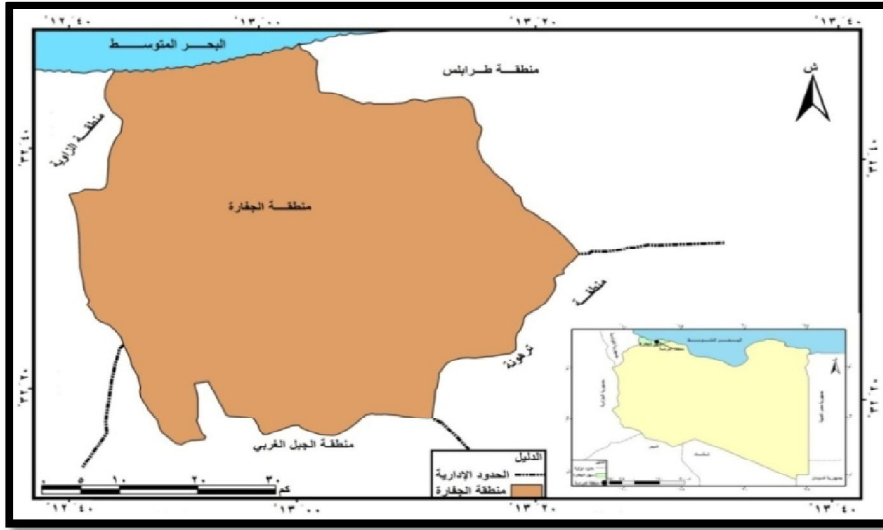
التباين المكاني للنمو السكاني في منطقة الجفارة للفترة ما بين 1973-2006

أولاً - تحديد منطقة الدراسة :

• الموقع الفلكي:

تقع منطقة الجفارة بين خطي طول (00° 28' 13" و 00° 30' 12") شرقاً، وبين دائرتي العرض (00° 16' 32" و 00° 32' 50") شمالاً، وهي بذلك تقع في الجزء الشمالي الغربي من ليبيا، متوسطة بذلك إقليم سهل الجفارة، ويحدها من الشمال البحر المتوسط، ومن الشمال الشرقي والشرق ومنطقة طرابلس وترهونة من الجنوب الشرقي، ومنطقة الزاوية من الغرب، بينما يحدها من الجنوب منطقة الجبل الغربي، وتبلغ مساحتها حوالي (2907.15 كم<sup>2</sup>)<sup>(\*)</sup> أي ما نسبته (16.8%) من إجمالي مساحة إقليم سهل الجفارة<sup>(6)</sup>، الشكل (1).

شكل ( 1 ) الموقع الجغرافي لمنطقة الجفارة



المصدر: إعداد الباحث استناداً إلى:

- أمانة التخطيط، مصلحة المساحة، الأطلس الوطني، طرابلس، 1978، ص 35 .
- المرئية الفضائية Spoto 5.

ثانياً- أهمية الدراسة ومبررات اختيار الاقتصادية والاجتماعية باين المكاني للنمو السكاني لمنطقة الجفارة نابغاً من عدة اعتبارات هي كالاتي:

1. افتقار المنطقة لمثل هذا النوع من الدراسات .
2. توفر البيانات والمعلومات التي تساعد على قيام دراسة خاصة بسكان منطقة الجفارة
3. الرغبة في تطبيق الدراسات السكانية في مجالات التخطيط وبرامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

جاءت أهمية البحث لتبين حجم السكان ونموهم والتنبؤ بمسال آتية: ضرورة تتركز عليها كافة خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية لتقدير احتياجاتهم في المستقبل وفقاً لمعدلات نموهم السنوي.

د. عز الدين منصور أبو عجيلة

## التباين المكاني للنمو السكاني في منطقة الجفارة للفترة ما بين 1973-2006

ثالثاً - أهدافها: يهدف هذه البحث إلى تحقيق الأغراض الآتية :

1. التعرف على التغيرات التي طرأت وأدواتها : لسكان نمواً وتوزيعاً في الفترة مابين (1973-2006)، والمقارنة بين تلك التغيرات.
  2. إعداد مجموعة من الخرائط والرسومات البيانية التي توضح للقاري الصورة التي عليها سكان المنطقة .
  3. تحديد الخصائص الديموغرافية لسكان منطقة الجفارة، وتحليلها وتطورها خلال الفترة المدروسة، بغرض لفت الانتباه لوضع سياسة سكانية تناسب، وأهداف التنمية الشاملة .
- رابعاً- تحديد مشكلة البحث وتساؤلاته وفرضياته وسائلها وأدواتها :
- تعد إثارة المشاكل في البحوث العلمية وتحليل إبعادها وأنماطها المكانية في البحوث الجغرافية ذات أهمية تخلص بها إلى تحليل المشكلات التي تواجه النمو السكاني وتعد تبايناتي منطقة الجفارة ضمن إقليم سهل الجفارة، يحمل دلالات ديموغرافية عن تطور سكان المنطقة ومن ذلك برزت المشكلة الأساسية للبحث في تباين نمو السكان في منطقة الجفارة ومحلاتها مع نمو السكان في ليبيا خلال الفترة من 1973-2006 والنظرة المستقبلية لذلك، وعلية فإن أهم تساؤلات البحث تكمن في الآتي :

1. هل تشهد منطقة الجفارة تطور في عدد سكانها خلال تلك الفترة ؟
  2. هل هناك تباين في النمو السكاني بين الفروع ومحلات المنطقة ؟
  3. هل يتناسب النمو السكاني في المنطقة مع معدلات النمو السكاني في ليبيا ؟
- ومن خلال الإسالة الآتية يجب وضع الحلول في موضوع البحث وتساؤلاته وفق الفروض الآتية :
1. تشهد المنطقة تطور في عدد سكانها في مختلف محلاتها .
  2. تباين النمو السكاني بين فروع منطقة الدراسة ومحلاتها .
  3. هناك تفاوت نسبي في معدلات النمو السكاني بالمنطقة وليبيا .
- خامساً - مناهج الدراسة :

- 1- المنهج التاريخي : تتضح معالمه من تتبع النمو السكاني خلال ثلاثة عقود ونيف
- 2- المنهج الإقليمي : تمت دراسة منطقة الجفارة كوحدة إدارية تحتوي على وحدات فرعية، وهذه الوحدات يطلق عليها المحلات، وتشكل كلها في النهاية إقليمياً جغرافياً متجانساً، ومتميزاً في العديد من الخصائص الطبيعية والبشرية عما يجاورها من مناطق لتوضيح ومعالجة التغيرات التي طرأت على السكان منطقة الدراسة .
- 3- المنهج الكمي ( الإحصائي ) : استخدمت بعض المعادلات الديموغرافية التي أفادت في تحليل البيانات الإحصائية لسكان المنطقة، كالمعادلة الأسية، ونسب التغير السكاني، وقد تم الاستفادة من استخدام بعض برامج الحاسب الآلي لمعالجة البيانات الإحصائية المختلفة باستخدام برنامج (Excel).

الوسائل والأدوات الكارتوجرافية: تم استخدام هذا الأسلوب لتأكيد الصيغة الجغرافية لنتائج تحليل البيانات الإحصائية للسكان وتوزيعهم على مختلف المحلات بالمنطقة، وتمثيلها في خرائط، وأشكال تختلف في نوعيتها حسب طرق التوزيع والاستعانة في رسمها ثم تحليلها باستخدام برنامج نظم المعلومات الجغرافية (GIS).

أولاً - تطور حجم السكان ونموهم ( 1973 - 2006 ) : كانت أعداد السكان في منطقة الجفارة قليلة جداً في بداية تلك الفترة الزمنية، وكان بعضهم يتركز في المدن، وبنسبة (9.2%) عام 1973، بينما ينتشر الباقي في القرى الريفية، وكان النمو السكاني بطيئاً، إلا أنه بدأ في التزايد

#### د. عز الدين منصور أبو عجيبة

#### التباين المكاني للنمو السكاني في منطقة الجفارة للفترة ما بين 1973-2006

خلال المدة ما بين تعدادي (1973-1984)، وذلك نتيجة لتحسن مستوى المعيشة، وتوفر الخدمات الصحية الأساسية، الأمر الذي أدى إلى القضاء على بعض الأمراض، وبالتالي انخفاض معدلات الوفيات بأشكالها المختلفة.

وتعد منطقة الدراسة من أهم مناطق ليبيا التي تتميز بنمو سكاني مرتفع ويتبع بيانات الجدول (1) والشكل (1)، ينضح أن هناك تطوراً ملحوظاً في أعداد السكان من (140198) نسمة حسب تعداد عام 1973، ثم ارتفع إلى (257475) نسمة عام 1984، وبنسبة تغير 83.2% ما بين التعدادين السابقين، وبمعدل نمو (5.3%)، أما في عام 1995 فبلغ إجمالي السكان نحو (360873) نسمة، وبنسبة تغير بلغت 40.2% نسمة ما بين التعدادين (1984-1995) وبنمو سكاني قدره (3.0%)، ومرد هذا التراجع في النمو السكاني خلال تلك السنوات إلى تأخر سن الزواج بسبب ارتفاع معدلات التعليم ودخول المرأة مجال العمل وكذلك الصعوبات المرتبطة بتوفير المسكن، وفرص العمل، بينما بلغ مجموعهم حسب تعداد عام 2006 حوالي (451175) نسمة، وبنسبة تغير (25.0%)، وبمعدل نمو (2.0%) (\*) إذ بلغت الزيادة الكلية ما بين تعدادي (1973-2006)، (310977) نسمة، وبمعدل نمو 3.1% وبنسبة تغير بلغت (221.8%)، ومرد ذلك إلى تحسن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية لليبيا بشكل عام، ومنطقة الدراسة بشكل خاص.

جدول (1) حجم السكان ونموهم في منطقة الجفارة مقارنة بليبيا في المدة ما بين عامي (1973-2006)

السنة	منطقة الدراسة		ليبيا	
	عدد السكان	الزيادة الكلية	عدد السكان	الزيادة الكلية
1973	140198	-	2.249.237	-
1984	257475	117277	3.642.576	1.393.339
1995	360873	103398	4.799.065	1.156.489
2006	451175	90302	5.657.692	858.627
2006-73	-	310977	-	3.4008.455

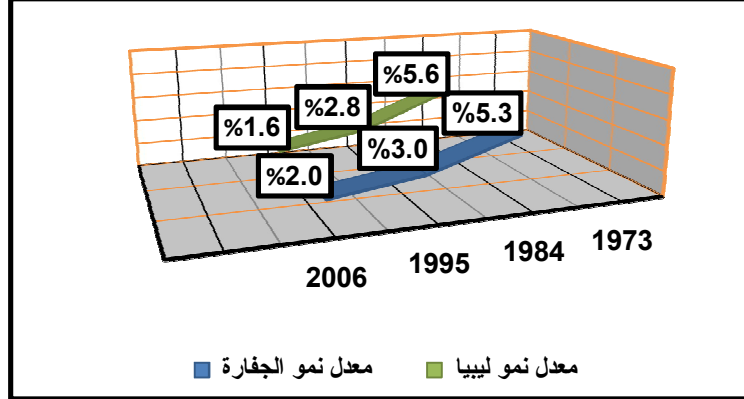
المصدر: إعداد الباحث استناداً إلى: النتائج النهائية للتعدادات السكانية، للأعوام المذكورة، صفحات مختلفة.

ويمكن القول إن هناك تشابه بين منطقة الدراسة وليبيا من حيث تطور حجم ونمو السكان إذ بلغ معدل النمو السنوي بين التعدادين (1973-1984) نحو (5.6%) وهو أعلى معدل وصلت إليه البلاد بسبب ارتفاع معدل الزيادة الطبيعية المرتبطة بتحسين الظروف المعيشية، وتطور الخدمات الصحية التي أسهمت في خفض معدل الوفيات بشكل كبير، وارتفاع معدل المواليد فسي ليبيا بشكل عام، ومنطقة الدراسة بشكل خاص، إضافة إلى رجوع أعداد من الليبيين المهاجرين في فترات سابقة، مع تأثير الهجرة الوافدة من الأجانب، ثم انخفض معدل نموهم بين تعدادي (1984-1995) إلى (2.8%)، بينما واصل انخفاضه بين تعدادي (1995-2006) إلى (1.6%)، أي كان معدلاً منخفضاً عما كان عليه إبان التعدادات السابقة، ومرد ذلك التراجع إلى العوامل سالفة الذكر إلا أنه مازال مرتفعاً مقارنة ببعض الدول المجاورة، إذ بلغ في جمهورية تونس 0.99%، الجزائر 1.2% (7)،

د. عز الدين منصور أبو عجيلة

### التباين المكاني للنمو السكاني في منطقة الجفارة للفترة ما بين 1973-2006

شكل (1) تطور نمو السكان في منطقة الجفارة مقارنة بليبيا خلال المدة ما بين عامي (1973-2006)



المصدر: بيانات الجدول (1).

في حين بلغت الزيادة الكلية ما بين تعدادي (2006-1973) إلى (3.408.455) نسمة، وبمعدل نمو 2,6%، والحقيقة التي يجب ذكرها أن نسبة سكان منطقة الجفارة لم تتجاوز (6.2%) في تعداد عام 1973 من إجمالي سكان ليبيا، بينما ارتفعت نسبتهم إلى (7.0%) و(7.5%)، و(7.9% على التوالي) في التعدادات، 1984 و1995 و2006، ومن ذلك يتبين أن هذه الزيادة لمنطقة الدراسة كانت بسبب الرعاية الصحية والطبية وارتفاع الدخل، وبالتالي تحسن مستوى المعيشة لدى سكان المنطقة، وهذا يفرض أعباء على التنمية الاقتصادية والاجتماعية خصوصاً وأن معدل المواليد والوفيات يسيران باتجاهين مختلفين في التعدادات الأولى، ذلك أن معدل المواليد مرتفع في حين أن معدل الوفيات في انخفاض مستمر، ويظهر جلياً من الجدول (2) أن سكان المنطقة شكلوا ما نسبته (12.5%) من إجمالي سكان إقليم سهل الجفارة في تعداد عام 1973، ثم ارتفعت نسبتهم إلى (16.6%) في تعداد عام 1984، في حين تراوحت نسبتهم ما بين (17.4%)، و(17.8%) في تعدادي 1995 و2006.

وعليه يمكن الإشارة إلى أن سكان منطقة الجفارة يشكلون ما نسبته 7.9%، وبذلك فهي تحتل المرتبة الرابعة بعد كل من منطقة طرابلس، وبنغازي، ومصراتة خلال تعداد 2006، وبنسب 18.8%، و11.9%، و9.6% على التوالي من إجمالي سكان ليبيا، ويعود ذلك لقربها من العاصمة طرابلس، وسهولة الاتصال بها، علاوة على كونها امتداداً طبيعياً وجغرافياً لها.

جدول (2) تطور عدد السكان ونسبتهم بمنطقة الجفارة مقارنة بسكان إقليم سهل الجفارة خلال المدة ما بين عامي (2006-1973)

السنة	عدد سكان سهل الجفارة	عدد سكان منطقة الجفارة	%
1973	1112776	140198	12.5
1984	1548850	257475	16.6
1995	2072485	360873	17.4

د. عز الدين منصور أبو عجيلة

### التباين المكاني للنمو السكاني في منطقة الجفارة للفترة ما بين 1973-2006

17.8	451175	2520628	2006
------	--------	---------	------

لمصدر: إعداد الباحث استناداً إلى: النتائج النهائية للتعدادات السكانية للأعوام المذكورة صفحات مختلفة.

#### ثانياً - تطور حجم السكان ونموهم الحضري والريفي:

أما فيما يخص نسبة سكان الحضر والتي تعد من المؤشرات شائعة الاستخدام في الدراسات الجغرافية، والاقتصادية، والاجتماعية، لما لها من مدلولات مهمة، في تفاوتت نسب الحضر من دولة إلى أخرى، ومن إقليم إلى آخر حسب مستويات التنمية الاقتصادية<sup>(8)</sup> فينتبع الجدول (3)، يلاحظ أن عدد سكان الحضر في منطقة الجفارة قد بلغ (96239) نسمة في تعداد عام 1973<sup>(\*)</sup> ونسبة بلغت (7.2%) من إجمالي سكان الحضر الليبيين، و(68.6%) من سكان المنطقة، بينما تشير نتائج التعداد العام للسكان عام 1984<sup>(\*\*)</sup> أن عدد الحضر من السكان المقيمين في منطقة الجفارة بلغ (241946) نسمة، وهم يمثلون ما نسبته (8.8%) من إجمالي سكان الحضر الليبيين، و(93.9%) من سكان المنطقة، في الوقت الذي أوضحت فيه نتائج التعداد العام في عام 1995 أن أعدادهم بلغت (314398) نسمة، ويشكلون ما نسبته 8.3% من إجمالي سكان الحضر الليبيين، و(87.1%) من سكان المنطقة، ويرجع السبب في انخفاض نسبة الحضر، إلى الارتفاع المتواصل لنسب الحضر في مدن ليبيا بشكل يفوق مدن منطقة الجفارة، بينما ارتفع عددهم ليصل إلى (423643) نسمة، ونسبة بلغت 9.0% في تعداد عام 2006، من جملة سكان ليبيا و93.9% من إجمالي سكان منطقة الجفارة، كأثر لهجرة سكان الريف إلى المدن بسبب قلة الأمطار، وتدني منسوب المياه في المناطق الزراعية.

جدول (3) عدد سكان الحضر في منطقة الجفارة ونسبتهم من سكان الحضر في ليبيا خلال المدة ما بين عامي (2006-1973)

السنة	عدد سكان الحضر في ليبيا	عدد سكان الحضر في منطقة الجفارة	%
1973	1344327	96239	7.2
1984	2746648	241946	8.8
1995	3748265	314398	8.3
2006	4670858	423643	9.0

المصدر: إعداد الباحث استناداً إلى: النتائج النهائية للتعدادات السكانية للأعوام المذكورة ، صفحات مختلفة.

ثالثاً- تطور سكان الفروع: إن التباين في معدل النمو السكاني بين فروع منطقة الدراسة خلال الفترة من (2006-1973) يرجع إلى تباين معدلات الزيادة الطبيعية نتيجة لتباين المستوى الاقتصادي، والاجتماعي بكل فرع منها، ومن دراسة أرقام الجدول(4)، والشكل (2) يمكن عرضها في ثلاث مراحل حسب التعدادات السكانية .

1. المرحلة الأولى (1973 - 1984): شهدت جل فروع منطقة الجفارة في هذه الفترة ارتفاعاً في معدلات نموها السكاني، إذ بلغ أقصاها في فرع اسبيعة 8.6%، بينما لم يتجاوز هذا المعدل عن 1.3% في فرع الماية، ويعود ذلك إلى اختلاف معدلات المواليد والوفيات وكذلك عامل الهجرة من فرع لآخر.

جدول (4) تغير النمو السنوي لسكان الفروع في منطقة الجفارة خلال المدة ما بين عامي (2006-1973)

فروع المنطقة	معدل النمو السنوي (1984 - 73)	معدل النمو السنوي (1995 - 84)	معدل النمو السنوي (2006 - 95)
جنزور	7.2	3.0	2.2
السواني	4.8	2.8	2.2
الماية	1.3	3.1	2.0
قصر بن غشير	4.7	2.6	2.5

د. عز الدين منصور أبو عجيلة

### التباين المكاني للنمو السكاني في منطقة الجفارة للفترة ما بين 1973-2006

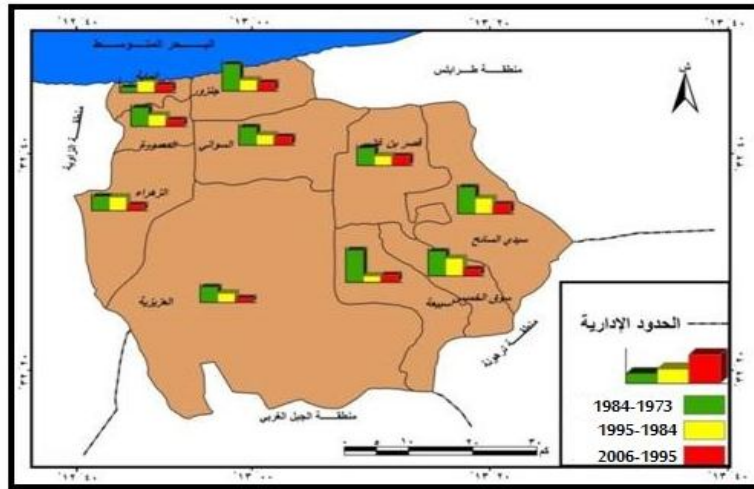
1.5	3.7	3.8	الزهران
1.7	3.1	5.0	المعمورة
1.1	2.5	4.1	العزيرية
2.5	4.2	7.1	سيدي السائح
1.8	4.8	6.6	سوق الخميس
1.9	1.7	8.6	اسببعة
2.0	3.0	5.3	منطقة الدراسة
1.6	2.8	5.6	ليبيا

المصدر: إعداد الباحث استناداً إلى: النتائج النهائية للتعدادات السكانية للأعوام المذكورة صفحات مختلفة.

2. **المرحلة الثانية (1984 - 1995):** تميزت معدلات النمو في هذه الفترة بالانخفاض مقارنةً بسابقتها في كل الفروع، إذ سجل أعلى معدل نمو في فرع سوق الخميس 4.8%، بينما سجل أقل معدل نمو في فرع اسببعة 1.7%، ومرد ذلك إلى الهجرة من الريف إلى المناطق الحضرية بين الفروع.

3. **المرحلة الثالثة (1995 - 2006):** اتسمت معدلات النمو السكاني في هذه الفترة بالانخفاض الواضح إذ بلغ أقصاه في فرعي قصر بن غشير، وسيدي السائح، ونسبة 2.5% لكل منهما، بينما بلغ أقل معدل نمو سكاني 1.1% في فرع العزيرية، ومرد هذا التراجع في النمو السكاني بصفة عامة إلى تأخر سن الزواج كآثر لارتفاع معدلات التعليم، ودخول المرأة مجال العمل، وكذلك الصعوبات المرتبطة بتوفير المسكن.

شكل (2) تغير معدل النمو السنوي لسكان الفروع في منطقة الجفارة خلال المدة ما بين عامي (1973-2006)



المصدر: إعداد الباحث استناداً إلى بيانات الجدول (4).

رابعاً- تطور سكان المحلات (1973-2006): لإبراز مدى التباين في معدلات النمو السنوي لسكان المحلات بالمنطقة بشيء أكثر تفصيلاً لتطور هذه المعدلات خلال فترات زمنية أخذاً بعين الاعتبار تصنيفها تبعاً للفترات التعدادية من تعداد عام 1973 إلى تعداد عام 2006 كما

د. عز الدين منصور أبو عجيلة

#### التباين المكاني للنمو السكاني في منطقة الجفارة للفترة ما بين 1973-2006

بينها الملحق(1)، يمكن إلقاء الضوء على هذا التباين وأسبابه بشكل أكثر وضوحاً، وعرضه من خلال تقسيم تلك الفترات إلى مرحلتين هما :

أ- المرحلة الأولى - تغير معدلات النمو السنوي للسكان ما بين الفترات التعدادية: في هذه المرحلة تم تقسيم معدلات النمو السنوي لسكان منطقة الدراسة حسب الفترات التعدادية إلى ثلاث فترات هي كالآتي:

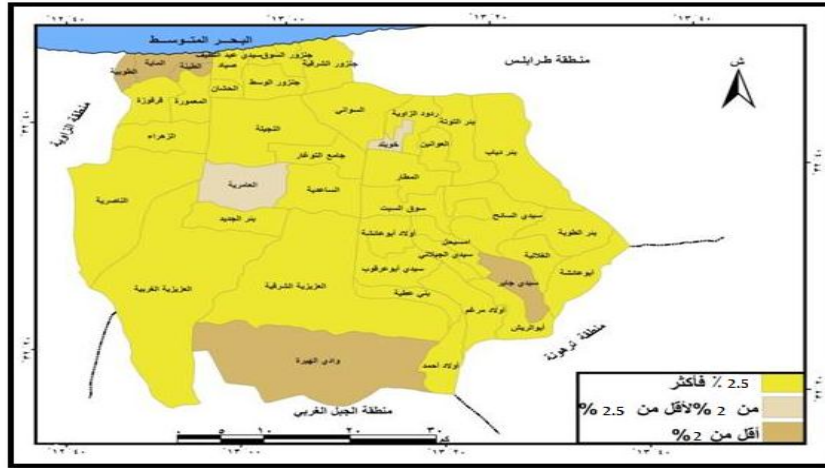
• الفترة الأولى (1973-1984): اتسمت هذه الفترة بمعدلات نمو مرتفعة تبعاً لارتفاع معدلات الزيادة الطبيعية والهجرة من محلة إلى أخرى كما في الشكل ( 3 )

- محلات ذات معدلات نمو مرتفعة: وتمثلها 35 محلة يزيد معدل نموها عن 2.5%، وتتوزع في كافة فروع منطقة الدراسة، حيث بلغ أقصى معدل نمو في محلتها جنزور الشرقية، وسيدي أبو عرقوب بمعدلات بلغت 12.5%، و 10.1% على التوالي، تليها محلة سيدي السائح 9.9%، ثم محلة أولاد أحمد 9.1%، وتأتي بقية المحلات بعد ذلك على التوالي حسب معدلات نموهم، ويعود ذلك إلى ارتفاع معدلات الزيادة الطبيعية.

- محلات ذات معدلات نمو متوسطة: وتشمل محلتين تراوحت معدلات نموها ما بين 2%، وأقل من 2.5%، وهما محلة خويلد 2.1%، والعامرية 2.0%، نتيجة لقلّة عدد السكان فيهما حيث كانت نسبة السكان فيهما ما بين 6.0%، و 4.4% على التوالي الذي انعكس بدوره على انخفاض معدلات المواليد.

- محلات ذات معدلات نمو منخفضة: تضم المحلات التي لم يزد معدل نموها عن 1.9%، متمثلة في محلة الماية والحشان ووادي الهيرة، وسيدي جابر، والطويبية، بمعدلات بلغت 1.8%، و 1.7%، و 1.7%، و 0.9% و -1% على التوالي، وذلك راجع لانخفاض معدلات الزيادة الطبيعية، إضافة إلى افتقار البعض منها إلى مقومات التنمية، وقلّة الخدمات بها أدى ذلك إلى هجرة سكانها، واعتماد بعضها على الزراعة البعلية كما هو الحال في محلة وادي الهيرة.

شكل (3) معدل النمو السنوي لسكان المحلات في منطقة الجفارة في الفترة ما بين عامي (1973-1984)



المصدر: إعداد الباحث استناداً إلى بيانات ملحق (1).

د. عز الدين منصور أبو عجيلة

#### التباين المكاني للنمو السكاني في منطقة الجفارة للفترة ما بين 1973-2006

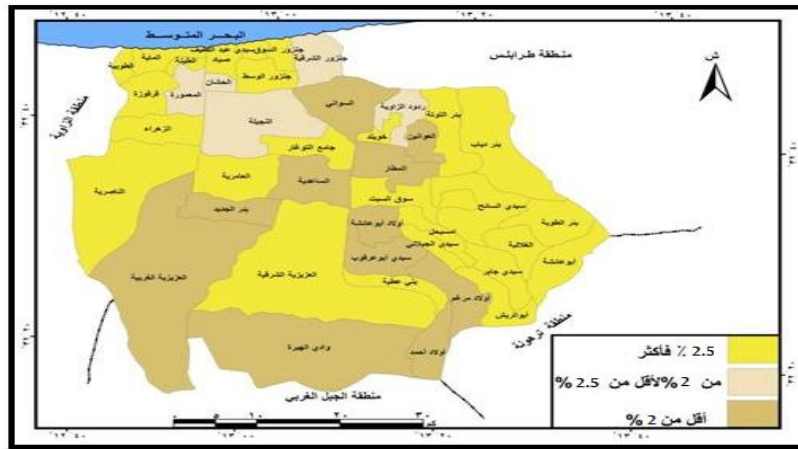
• **الفترة الثانية ( 1984-1995 ) :** إذا تتبعنا حركة النمو في هذه المرحلة نلاحظ انخفاضاً واضحاً في معدل النمو السكاني بالمحلات تبعاً لانخفاض معدلات الزيادة الطبيعية كما يوضحه الشكل (4) .

- **محلات ذات معدلات نمو مرتفعة:** ويبلغ عددها 26 محلة تجاوز معدل نموها 2.5%، وتتوزع في جل فروع منطقة الجفارة وتتميز هذه المحلات بتقارب معدلات نموها السكاني نتيجة لتوفر العديد من فرص العمل في المشاريع الصناعية، والإنتاجية، والزراعية التي قامت بها الدولة في المنطقة حينها حتى تعمل على إعادة توزيع السكان بها، وتخفيف الضغط السكاني عن المراكز الحضرية من ناحية والمساعدة في توطين سكان المحلات الريفية من ناحية أخرى، فعلى سبيل المثال لا الحصر بلغت نسبة معدل نمو سكان محلة أبو الريش في فرع سوق الخميس 8.6 % كرد فعل لإنشاء مصنع الإسمنت، والذي أدى بدوره إلى تشجيع الهجرة إليها .

- **محلات ذات معدلات نمو متوسطة:** تضم 5 محلات وهي محلة الحشان، وردود الزاوية، والمعصرة، والنجيلة، وجنزور الشرقية إذ تراوحت معدلاتها ما بين أقل 2.5%، و 1.7%، واتسمت هذه المحلات باعتدال معدلات نموها السكاني .

- **محلات ذات معدلات نمو منخفضة:** وتمثلها 11 محلة تتوزع أغلبها في الفروع الجنوبية للمنطقة، التي تراوحت معدلات نموها ما بين أقل من 1.7% إلى -0.08%، وهذا راجع إلى افتقار البعض منها إلى مقومات التنمية، وقلة الخدمات بها أدى ذلك إلى هجرة سكانها.

شكل (4) معدل النمو السنوي لسكان المحلات في منطقة الجفارة في الفترة ما بين عامي (1984-1995)



المصدر: إعداد الباحث استناداً إلى بيانات ملحق (1) .

• **الفترة الثالثة ( 1995 - 2006 ) :** تميزت هذه الفترة بصفة عامة بانخفاض معدلات نموها السكاني تبعاً لانخفاض معدلات المواليد والوفيات إضافة مرتفعة: ر سن الزواج، وإقبال المرأة على التعليم كما يتبين من الشكل(5).



د. عز الدين منصور أبو عجيلة

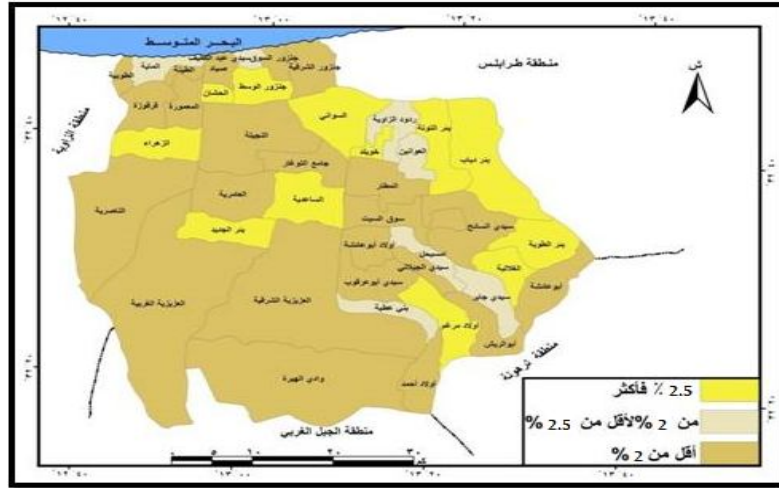
#### التباين المكاني للنمو السكاني في منطقة الجفارة للفترة ما بين 1973-2006

- محلات ذات معدلات نمو مرتفعة: وصل عددها إلى 14 محلة، وتنتزع بشكل متناثر داخل فروع المنطقة وتشكل ما نسبته 33.3% من إجمالي عددها، فعلى بالطبيعية لا الحصر سجلت محلة جنزور الوسط ما نسبته 3.9%، وهذا راجع بالأساس المتوسطة: معدلات الزيادة الطبيعية .

- محلات ذات معدلات نمو متوسطة: تضم 8 محلات، ونسبة 19.1% من إجمالي عددها، ونسق منخفضة: في الفروع الجنوبية للمنطقة، وتتميز باعتدال نموها السكاني.

- محلات ذات معدلات نمو منخفضة: تشمل 20 محلة، ونسبة 47.7% من إجمالي عددها وتنتزع في كافة فروع (1). المنطقة ويرجع هذا الانخفاض لتدني معدلات الزيادة الطبيعية، أو عامل الهجرة، كما هو الحال في محلة وادي الهيرة التي يعتمد سكانها على الزراعة البعلية، زد على ذلك قلة الخدمات بها .

شكل (5) معدل النمو السنوي لسكان المحلات في منطقة الجفارة في الفترة ما بين (1995-2006)



المصدر: إعداد الباحث استناداً إلى بيانات ملحق (1).

ب- المرحلة الثانية: تغير معدلات النمو السنوي للسكان في الفترة ما بين (1973-2006): من تتبّع أرقام ملحق (2) مرتفعة: يمكن تقسيم هذه المراحل الطويلة، والتي تزيد عن ثلاثة عقود ونيف في منطقة الجفارة إلى ثلاثة معدلات من النمو وهي كالآتي:

- محلات ذات معدلات نمو مرتفعة: تمثلها 32 محلة يزيد معدل نموها عن 2.5% وتنتزع في جل فروع منطقة الجفارة، إذ بلغ أقصى معدل نمو في محلتها جنزور الشرقية، وأبو الريش بنحو 4.6%، تليها محلة بئر دياب بمعدل 4.5%، ثم محلة سيدي السائح 4.4%، ومحلة امسجل 4.3%، متوسطة: المحلات بعد ذلك على التوالي حسب معدلات نموها، ويعود ذلك إلى ارتفاع معدلات الزيادة الطبيعية، واستفادة بعض المحلات من موقعها المتاخم من العاصمة طرابلس.

- محلات ذات معدلات نمو متوسطة: تشمل 8 محلات تراوحت معدلات نموها ما بين 2%، وأقل من 2.5%، وتنتزع في المنطقة بمنخفضة: 4 منها في شمال المنطقة وهي محلة الماية، والحشان، والطينة ومحلة المعمورة، والباقي في جنوبها ممتلئة في محلة الساعدية، والعامرية، وسيدي جابر،

د. عز الدين منصور أبو عجيلة

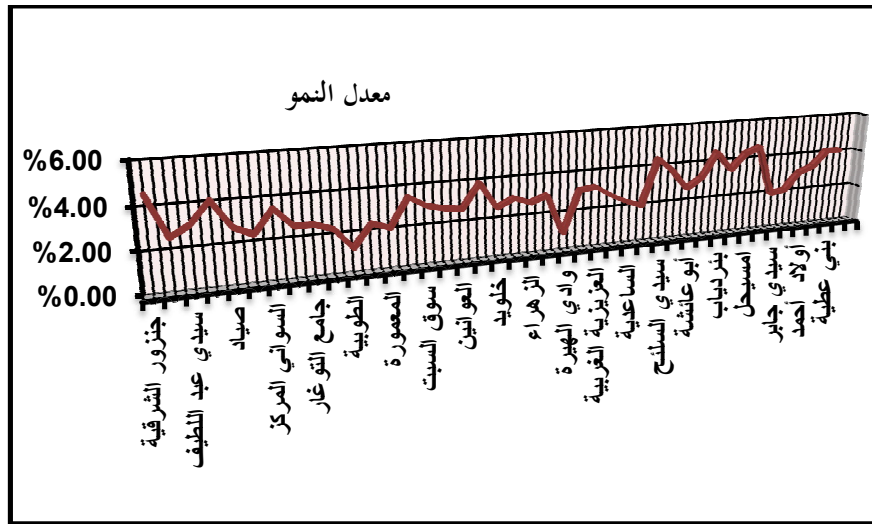
#### التباين المكاني للنمو السكاني في منطقة الجفارة للفترة ما بين 1973-2006

وأولاد أبوعائشة، نتيجة لقصور المشاريع الاقتصادية والخدمية، الأمر الذي يتطلب توفير فرص العمل لجذب السكان، علاوة على قلة نصيب هذه المحلات من جملة الاستثمارات العامة والخاصة .  
- محلات ذات معدلات نمو منخفضة: تضم المحلات التي لم يزد معدل النمو فيها عن 1.9%، وهما محلنا الطويبية، ووادي الهيرة، بسبب انخفاض معدلات الزيادة الطبيعية فيها أصلاً، إضافة إلى افتقار المحلة الأخيرة لمقومات التنمية، وقلة الخدمات بها، واعتماد سكانها على الزراعة البعلية.

#### خامساً: مستقبل نمو السكان حتى عام 2032:

يعد تقدير مستقبل السكان مكملاً للدراسة من الناحية الجغرافية والديموغرافية، لذا فإن تقديرهم ضرورة تركز عليها كافة خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية لتقدير احتياجاتهم في المستقبل، وفقاً لمعدلات النمو السنوي للسكان، لذا اعتمد في إجراء الإسقاطات المستقبلية لسكان المنطقة حتى سنة 2032<sup>(\*)</sup>، ثلاثة فروض رئيسية لتقديرهم في المستقبل، وهي ارتفاع معدل النمو أو ثباته، أو انخفاضه في السنوات المقبلة، كما يوضحه الجدول (5).

شكل (6) معدل النمو السنوي لسكان المحلات في منطقة الجفارة خلال المدة بين عامي (1973-2006)



جدول (5) تقدير عدد السكان المتوقع لمنطقة الجفارة حتى عام 2032.

السنوات	عدد السكان المتوقع (نسمة)		
	تقدير المرتفع (3%)	تقدير المتوسط (2%)	تقدير منخفض (1.8%)
2006 (سنة الأساس)**	451175	451175	451175
2019	666376	585142	570124
2032	984225	758888	720435

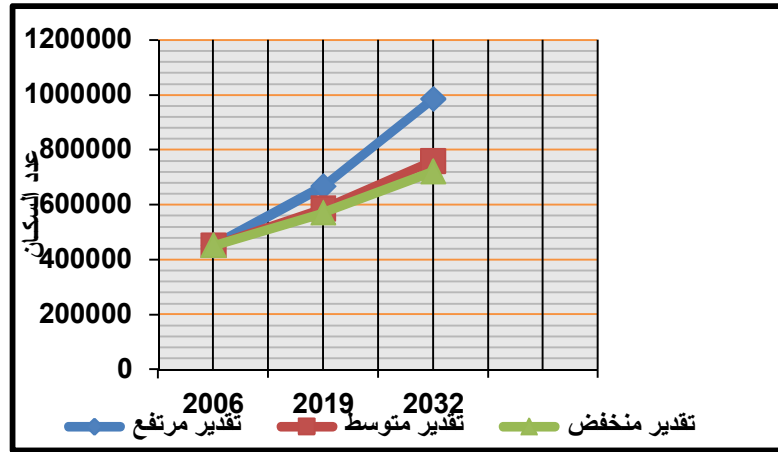
المصدر: عمل الباحث باستخدام معادلة الإسقاطات، للاستزادة راجع عبد الله عز الدين بن عامر، التحليل السكاني الرياضي، منشورات جامعة قارون، بنغازي، 2003، ص 165.

د. عز الدين منصور أبو عجيلة

#### التباين المكاني للنمو السكاني في منطقة الجفارة للفترة ما بين 1973-2006

وبتحليل أرقام الجدول (5)، والشكل (7) يمكن تتبع مجموعة الحقائق الآتية :

- 1- يتوقع أن يبلغ عدد السكان منطقة الجفارة وفق التقدير المرتفع لمعدل نموهم نحو 984225 نسمة سنة 2032 بزيادة قدرها 84.6% مقارنة بعددهم في سنة الأساس .
  - 2- يتوقع أن يبلغ عدد سكان المنطقة حسب الفرض المتوسط نحو 758888 نسمة في ذات السنة وبزيادة تبلغ نحو 68.2% مقارنة بعددهم في التعداد الأخير لمنطقة الدراسة .
  - 3- يتوقع أن يصل عدد سكان منطقة الجفارة حسب الفرض المنخفض لمعدل نموهم 720435 نسمة في سنة 2032، وبزيادة تصل إلى 59.6% مقارنة بعددهم في تعداد عام 2006. وتتأثر الإسقاطات المستقبلية لسكان الجفارة بالعديد من العوامل أبرزها معدلات المواليد والوفيات والهجرة، وخصائص السكان الاقتصادية، والاجتماعية، والصحية .
- شكل (7) تقدير عدد السكان المتوقع لمنطقة الجفارة حتى عام 2032.



المصدر بيانات جدول (5) .

وفقاً لمعدل النمو السنوي لسكان المنطقة في الفترة التعدادية الأخيرة (1995-2006) نستنتج أن عدد السنوات اللازمة لكي يتضاعف عدد سكانها في ضوء ثبات معدل نموها السنوي هو 35 سنة، أي بحلول سنة 2041. ومن قراءة الجدول (6)، والشكل (8) يمكن تقسيم فروع المنطقة إلى ثلاث مجموعات بناء على السنوات اللازمة لتضاعف عدد سكانها وهي كالآتي:

- فروع سيتضاعف عدد سكانها ما بين 20 إلى أقل من 30 سنة، وهي فروع، قصر بن غشير، وسيدي السائح الواقعين في الجزء الشرقي من المنطقة، واللذان سيتضاعف عدد سكانهما بعد 28 سنة، إذا ما استمر معدل نموها 2.5% حسب الفترة التعدادية الأخيرة (1995-2006).
- فروع سيتضاعف عدد سكانها ما بين 30 إلى أقل من 40 سنة، وتشمل 5 فروع تقع ثلاثة منها في الجزء الشمالي، وهي كالآتي: السواني، والماية، بينما يقع الباقي في الجزء الجنوبي من المنطقة، وهي سوق الخميس، واسبيعة، وبتراوح عدد السنوات اللازمة لتضاعفها ما بين 2038 - 2045 سنة في حالة ثبات معدل نموها ما بين ( 1.8% - 2.2% ).

#### د. عز الدين منصور أبو عجيبة

#### التباين المكاني للنمو السكاني في منطقة الجفارة للفترة ما بين 1973-2006

- فروع سيتضاعف عدد سكانها بعد أكثر من 40 سنة، وقد بلغ عددها ثلاثة وهي فرع المعمورة، والزهراء، والعزيزية، وتقع كلها في الركن الغربي من المنطقة، وتختلف عدد السنوات التي يحتاجها كل فرع منها لتضاعف عدد سكانه، إذ يحتاج فرع المعمورة مثلاً إلى 41 سنة، بينما يحتاج فرع الزهراء إلى حوالي 47 سنة، في حين نجد أن فرع العزيزية يحتاج إلى 64 سنة بناء على معدل نموه المنخفض في تلك الفترة .  
أما فما يخص المحلات فمن تحليل بيانات الملحق (3) يمكن تقسيمها حسب عدد السنوات اللازمة لتضاعف عدد سكانها كالآتي :  
- محلات سيتضاعف عدد سكانها ما بين 10 إلى أقل من 30 سنة:  
وتضم 15 محلة، تمثل ما نسبتها 35.7% من إجمالي عددها بالمنطقة، وتوزع أغلبها في الركن الشمالي منها، تأتي في مقدمتها محلة جنزور الوسط التي سيتضاعف عدد سكانها بعد 17.9 سنة، أي في سنة 2024، إذا ما استمر معدل نموها 3.9%، تليها محلة الحشان التي سيتضاعف عدد سكانها بعد 18.4 سنة، ثم محلة بئر النوتة التي تحتاج إلى 18.9 سنة، أي بعد سنة 2025، وللعلم فإن محلتين منهما واقعتان في حدود مدينة جنزور، في حين تقع الثالثة على الحدود الجنوبية من العاصمة طرابلس.  
جدول (6) الفترة الزمنية اللازمة لتضاعف عدد سكان الفروع في منطقة الجفارة

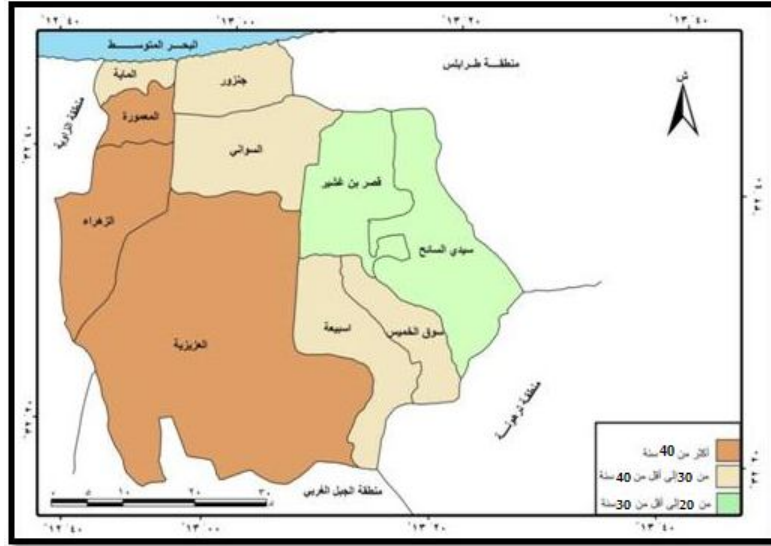
السنوات اللازمة لتضاعف عدد السكان		معدل النمو السنوي (2006-1995)	الفروع بالمنطقة
سنة التضاعف	عدد السنوات		
2038	31.8	2.2	جنزور
2038	31.8	2.2	السواني
2041	35	2.0	الماية
2034	28	2.5	قصر بن غشير
2053	46.7	1.5	الزهراء
2047	41.2	1.7	المعمورة
2070	63.6	1.1	العزيزية
2034	28	2.5	سيدي السانح
2045	38.9	1.8	سوق الخميس
2043	36.8	1.9	اسبعية
2041	35	2.0	منطقة الدراسة

المصدر: من عمل الباحث باستخدام المعادلة (70 / معدل النمو السنوي ) لحساب عدد السنوات للتضاعف، للاستزادة راجع رشود بن محمد الشريف السكان المفاهيم والأساليب والتطبيقات، مرجع سابق، ص 252.

د. عز الدين منصور أبو عجيلة

#### التباين المكاني للنمو السكاني في منطقة الجفارة للفترة ما بين 1973-2006

شكل (8) الفترة الزمنية اللازمة لتضاعف عدد سكان الفروع في منطقة الجفارة



المصدر: إعداد الباحث استناداً إلى بيانات الجدول (6).

- محلات سيتضاعف عدد سكانها ما بين 30 إلى أقل من 40 سنة:

وتشمل 10 محلات مشكلة ما نسبته 23.8% من إجمالي عددها، وتنتزع بشكل متفرق في فروع المنطقة، وتحتاج هذه المحلات لكي يتضاعف عدد سكانها ما بين 2036-2043 سنة حيث تساوت محلة جنزور السوق، والماية، وردود الزاوية في عدد السنوات اللازمة لتضاعف عدد سكانها التي بلغت 35 سنة.

- محلات سيتضاعف عدد سكانها ما بين 40 إلى أقل من 50 سنة:

وبلغ عددها 6 محلات وبنسبة 14.3% من إجمالي عددها، إذ تميزت هذه المحلات بمعدلات نمو منخفض تراوحت ما بين 1.5%-1.7%، حيث تساوت محلة الطويبية، وسوق السبت، سنة: بيزية الشرقية، والغربية في عدد السنوات اللازمة لتضاعفها، والتي بلغت 43.7 سنة.

- محلات سيتضاعف عدد سكانها بعد أكثر من 50 سنة:

وتتضمن 11 محلة أي ما نسبته 26.2% من إجمالي عددها بالمنطقة، وتختلف عدد السنوات التي تحتاجها لتضاعف عدد سكانها، إذ بلغ أقصاها 700 سنة، وهما محلتا وادي الهيرة والعامرية، إذا ما استمر معدل نموها حسب الفترة التعدادية 1995-2006، وأنها 50 سنة في محلتا جامع التوغار، وابوعائشة.

#### النتائج:

1. شهدت منطقة الجفارة ارتفاعاً في عدد سكانها من 140198 نسمة في تعداد عام 1973 إلى 451175 نسمة في تعداد عام 2006، وبلغت نسبة التغير 221.8% وبمعدل نمو بلغ 3.1%، ومرد ذلك إلى الدور الكبير للزيادة الطبيعية في نمو سكان المنطقة، إذ ارتفع معدل

### التباين المكاني للنمو السكاني في منطقة الجفارة للفترة ما بين 1973-2006

1. نموهم إلى أعلى حد له بين تعدادي 1973-1984 مسجلاً ما نسبته 5.3%، بينما انخفضت معدلات نمو السكان إلى أدنى حد لها بين تعدادي 1995-2006 مسجلة ما نسبته 2.0%.
2. بلغ عدد سكان الحضر في منطقة الدراسة 96239 نسمة يشكلون ما نسبته 68.6% من إجمالي سكانها في تعداد عام 1973، في حين بلغ عددهم 423643 نسمة يمثلون ما نسبته 93.8% من إجمالي سكانها في تعداد عام 2006.
3. اتضح من دراسة معدلات نمو السكان لمحات منطقتي الدراسة خلال الفترة ما بين 1973-2006 ارتفاع معدل النمو في كل من محلة جنزور الشرقية، وأبو الريش، وبئر دياب، وسيدي السائح، وامسجل، وجنزور الوسط، وبنى عطية، وسيدي أبو عرقوب، إذ تراوح ما بين 4.6%-4.1%، وفي المقابل انخفض معدل النمو في بعض المحلات إلى أن وصل في محلة الطويبية إلى 1.3%، ومحلة وادي الهيرة أقل من 1% كآثر انخفاض معدلات الزيادة الطبيعية وافتقارها إلى مقومات التنمية المختلفة واعتماد سكان الأخيرة على الزراعة البعلية.

#### التوصيات:

1. العمل على زيادة كفاءة العاملين بالسجلات المدنية التابعة لمصلحة التوثيق والمعلومات من خلال تدريبهم وتأهيلهم لخلق كوادر فنية مؤهلة تسهم في إعداد قاعدة بيانات سكانية لكل فرع على حده في منطقة الجفارة .
2. يجب مراعاة التوزيع المتوازن لتوزيع السكان في المنطقة بهدف وضع خطط وبدائل تعمل على الحد من التركيز السكاني في مدينة جنزور، وبعض الفروع الأخرى المجاورة للعاصمة طرابلس، وذلك عن طريق توفير الخدمات الجيدة في باقي الفروع الأخرى وخاصة تلك الواقعة في الجنوب مثل العزيزية، وسيدي السائح، واسبيعة، والزهران .

#### أولاً: المراجع العربية

1. فايز محمد العيسوي، موسى عبود سمحة، أسس جغرافية السكان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005، ص 121.
- 2-U.N.,World Population Division, Below Replacement Fertility, Department Of International Economic and Social Affairs, New York ,2000,p111 .
2. ناتسي بيرد صول، الحكومات والسكان والفقير، قصة مكاسب في مكاسب في كتاب السكان والتنمية نقاشات قديمة واستنتاجات جديدة، (تحرير) روبرت كاسين، (ترجمة) علي حجاج، دار وائل النشر، عمان، 2001، ص 339.
3. فوزي سهاونه، موسى عبود سمحة، جغرافية السكان، طرابلس، للنشر، عمان، 2003، ص 35.
4. صفوح الأخرس، علم السكان وقضايا التنمية والتخطيط، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1980، ص 202.
5. أمانة التخطيط، مصلحة المساحة، الأطلس الوطني، طرابلس، 1978، ص 26 .
- 7- Unite Nations, Demographic year Book, New York,2009,P39.
6. رشود بن محمد الخريف، السكان المفاهيم والأساليب والتطبيقات، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الرياض، 2002، ص 140 .

د. عز الدين منصور أبو عجيلة

التباين المكاني للنمو السكاني في منطقة الجفارة للفترة ما بين 1973-2006

### الملاحق

ملحق(1) معدل النمو السنوي لسكان المحلات في منطقة الجفارة خلال المدة ما بين عامي(1973-2006)

المحلات	معدل النمو السنوي (1984-73)	معدل النمو السنوي (1995-84)	معدل النمو السنوي (2006-95)	المحلات	معدل النمو السنوي (1984-73)	معدل النمو السنوي (1995-84)	معدل النمو السنوي (2006-95)
جنزور الشرقية	12,5	2.0	0.8	ردود الزاوية	5.1	2.4	2.0
جنزور السوق	3.5	2.8	2.0	وادي الهيرة	1.7	1.3	-0.1
سيدي عبداللطيف	4,2	2.8	3.1	العزيزية الشرقية	4.5	4.0	1.6
جنزور الوسط	4.3	6.1	3.9	العزيزية الغربية	8.3	-0.08	1.6
صياد	2.8	4.8	1.9	بئر الجديد	4.5	0.9	3.0
الحشان	1.7	2.4	3.8	الساعدية	3.7	0.01	3.2
السواني	6.2	1.4	2.7	العامرية	2.0	5.3	-1.1
النجيلة	4.1	2.2	1.7	سيدي المساح	9.9	4.9	0.7
جامع التوغار	3.2	3.4	1.4	الغلابية	6.8	2.9	2.7
الماية	1,8	3.2	2.0	أبو عائشة	3.2	3.9	1.4
الطوبية	-1.0	3.3	1.6	بئر الطوبية	3.9	3.9	2.5
الطينة	2.6	2.7	2.2	بئر دياب	8.7	4.6	3.4
المعمورة	2.9	2.3	1.1	سيدي الجيلاني	6.7	3.7	1.0
قرقوزة	6.3	3.4	1.9	امسichel	8.9	3.7	2.3
الزهراء	3.2	3.5	3.3	أبو الريش	6.7	8.6	1.5
الناصرية	4.5	3.8	1.2	سيدي جابر	0.9	3.0	2.2
سوق السبت	4.4	3.4	1.6	أولاد أبو عائشة	3.8	1.8	0.6
المطار	4.6	1.7	2.5	أولاد أحمد	9.1	-0.6	0.6
العوانين	4.3	1.6	2.4	أولاد مرغم	7.0	0.2	2.5
بئر التوتة	6.3	3.4	3.7	بني عطية	8.6	3.2	2.2
خويلد	2.1	3.6	2.6	سيدي أبو عرقوب	10.1	1.4	1.8
				منطقة الدراسة	5.3	3.0	2.0

المصدر: إعداد الباحث استنادا إلى: النتائج النهائية للتعدادات السكانية للأعوام المذكورة، صفحات مختلفة.

د. عز الدين منصور أبو عجيلة

التباين المكاني للنمو السكاني في منطقة الجفارة للفترة ما بين 1973-2006

ملحق (2) معدل النمو السنوي لسكان المحلات في منطقة الجفارة خلال المدة من (1973 - 2006)

المحلات	عدد السكان عام 1973	عدد السكان عام 2006	معدل النمو السنوي (73) - (2006)	المحلات	عدد السكان عام 1973	عدد السكان عام 2006	معدل النمو السنوي (73) (2006)
جنزور الشرقية	6363	47912	4.6	ردود الزاوية	6176	18296	3.0
جنزور السوق	4866	12333	2.6	وادي الهيرة	1449	2003	0.97
سيدي عبدلطيف	3513	10900	3.1	العزيزية الشرقية	3006	9508	3.1
جنزور الوسط	5800	29551	4.1	العزيزية الغربية	1761	5599	3.2
صياد	6462	17853	2.8	بئر الجديد	3322	8676	2.7
الحشان	3197	7476	2.4	الساعدية	3710	8132	2.3
السواني	6032	23079	3.5	العامرية	5376	10862	2.0
النجيلة	5874	14565	2.6	سيدي السائح	650	4038	4.4
جامع التوغار	3599	8941	2.6	الغلابية	920	3810	3.7
الماية	5258	11594	2.3	أبو عائشة	627	1614	2.7
الطوبية	3359	5207	1.3	بئر الطوبية	1017	3273	3.2
الطينة	2733	6360	2.4	بئر دياب	1295	9092	4.5
المعمورة	3140	6423	2.1	سيدي الجبالي	1798	6737	3.5
فرقوزة	3744	14163	3.5	امسحيل	1449	8412	4.3
الزهراء	8195	20966	2.7	أبو الريش	809	5886	4.6
الناصرية	5744	16887	3.0	سيدي جابر	1194	2380	2.0
سوق السبت	5501	16100	3.0	أولاد أبو عائشة	743	1511	2.1
المطار	6568	18006	2.8	أولاد أحمد	558	1688	3.0
العوانين	5834	14937	2.7	أولاد مرغم	840	2847	3.3
بئر التوتة	3096	14346	3.9	بني عطية	1474	7560	4.1
خويلد	1704	4341	2.6	سيدي أبو عرقوب	1438	7284	4.1
				منطقة الدراسة	140198	451175	3.1

المصدر: إعداد الباحث استناداً إلى : بيانات النتائج النهائية للتعدادين عام 1973، 2006، صفحات مختلفة



د. عز الدين منصور أبو عجيلة

التباين المكاني للنمو السكاني في منطقة الجفارة للفترة ما بين 1973-2006

ملحق ( 3 ) الفترة الزمنية اللازمة لتضاعف سكان المحلات في منطقة الجفارة

عدد السنوات لتضاعف السكان	عدد السنوات	معدل النمو السنوي (95 - 2006)	المحلات	عدد السنوات لتضاعف السكان		معدل النمو السنوي (95 - 2006)	المحلات
				سنة التضاعف	عدد السنوات		
2041	35	2,0	ردود الزاوية	2094	87,5	0,8	جنزور الشرقية
2706	700	-0,1	وادي الهيرة	2041	35	2,0	جنزور السوق
2050	43,7	1,6	العزيرية الشرقية	2029	22,6	3,1	سيدي عبد اللطيف
2050	43,7	1,6	العزيرية الغربية	2024	17,9	3,9	جنزور الوسط
2029	23,3	3,0	بنر الجديد	2043	36,8	1,9	صياد
2028	21,8	3,2	الساعدية	2024	18,4	3,8	الحشان
2706	700	-1,1	العامرية	2032	25,9	2,7	السواني
2106	100	0,7	سيدي السانح	2047	41,2	1,7	النجيلة
2032	25,9	2,7	الغلابية	2056	50	1,4	جامع التوغار
2056	50	1,4	أبو عائشة	2041	35	2,0	الماية
2034	28	2,5	بنر الطوية	2050	43,7	1,6	الطوية
2027	20,5	3,4	بنر دياب	2038	31,8	2,2	الطينة
2076	70	1,0	سيدي الجبلاني	2070	63,6	1,1	المعمورة
2036	30,4	2,3	امسحيل	2043	36,8	1,9	قرقوزة
2053	46,6	1,5	أبو الريش	2027	21,2	3,3	الزهراء
2038	31,8	2,2	سيدي جابر	2064	58,3	1,2	الناصرية
2123	116,6	0,6	أولاد أبو عائشة	2050	43,7	1,6	سوق السبت
2123	116,6	0,6	أولاد أحمد	2034	28	2,5	المطار
2034	28	2,5	أولاد مرغم	2035	29,2	2,4	العواتين
2038	31,8	2,2	بني عطية	2025	18,9	3,7	بنر التوتة
2045	38,8	1,8	سيدي أبو عرقوب	2033	26,9	2,6	خويلد
2041	35	%2,0	المنطقة الجفارة				

المصدر: إعداد الباحث باستخدام المعادلة (70 / معدل النمو السنوي) لحساب عدد السنوات لتضاعف، للاستزادة راجع، رشود بن محمد الشريف السكان المفاهيم والأساليب والتطبيقات، مرجع سابق، ص 252.

## التكامل السياسي والاقتصادي العربي الأفريقي لمواجهة تحديات العولمة

أ - الطاهر الواعر علي الواعر  
كلية الآداب - زوارة

### المقدمة:

إن البحث عن بدائل للعولمة بات مطلباً ضرورياً بعد بروز ظاهرة العولمة، والمخاطر التي باتت تحدق بالإنسان وتعصف بحضارته وقيمه وأخلاقه من كل جانب في ظل العولمة لا شك أن المتغيرات الدولية والتطورات المتلاحقة التي يشهدها العالم اليوم تلقي بظلالها على كافة البلدان، واستجابة لذلك ولمواجهة هذه المخاطر، ظهرت التكتلات والتنظيمات والتجمعات الاقتصادية والسياسية.

وتشير بعض الإحصاءات إلى أنه منذ بداية القرن العشرين، أخذت الدول تفكر بشكل جاد في تكوين اتحادات أو تجمعات لتعزيز الروابط فيما بينها، وتجسيد طموحاتها في التنمية والقضاء على المشاكل التي تواجهها، فقد شهد العالم في عقد التسعينات توجه قوي نحو التكتل والتوحد، فظهر الاتحاد الأوربي عام 1993م كفضاء أوربي موحد، كذلك تجمع الآسيان في آسيا، وتجمع الناftا في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا والمكسيك.

ونظراً لما تمثله العولمة من تحديات للعالم النامي والأمة العربية خاصة، فقد بات من الضروري مواجهة هذه التحديات وضرورة الإسراع في إقامة التكتلات الاقتصادية والوحدة العربية، خاصة وأن وضع الأمة العربية ينسجم مع ما تمتلكه من مقومات الوحدة وأسبابها، ومع ضغوط الظروف الموضوعية، وما يوجد في العالم من تكتلات عملاقة قادرة على الهيمنة والسيطرة على كل البلدان الضعيفة.

وقد شهد أواخر القرن العشرين ظهور التجمعات الإقليمية العملاقة في صورة التكامل الاقتصادي والذي أوضح بجلاء أن هذا العصر هو عصر التكتلات الدولية الكبرى، وأنه لا مكان للتجزئة والدول المنفردة، وعليه فإن التكامل السياسي والاقتصادي العربي الأفريقي سيكون قادراً على الوقوف ندأ لهذه التجمعات والفضاءات الاقتصادية العملاقة.

منهجية الدراسة تتطلب عملية تناول مشروع التكامل السياسي والاقتصادي العربي الأفريقي بمنهجية بحث تتماشى وطبيعة موضوع الدراسة، ويتمثل محور تركيز هذه الدراسة على الإجراءات والتدابير التي من شأنها أن تخفف من وطأة الآثار السلبية للعولمة على الأمة العربية والأفريقية، حيث نتناول مشروع الإتحاد العربي الأفريقي لمواجهة تحديات العولمة. أما فيما يتعلق بفرضية هذه الدراسة فإنها تتمثل في أن التحديات التي تواجهها الدول العربية والأفريقية في ظل العولمة تدفعها مثلها في ذلك مثل التجمعات الإقليمية الأخرى إلى تحقيق مستويات ملحوظة من التكامل السياسي والاقتصادي، كما تتبنى هذه الدراسة أسلوب تحليل المضمون وذلك بقصد تسليط الضوء على التكامل السياسي والاقتصادي العربي الأفريقي وما تمتلكه الأمة العربية من مقومات بشرية وموارد طبيعية لمواجهة هذه التحديات، وتمشياً مع الفرضية المثارة في هذه الدراسة فإنه سيتم التعرض إلى الآتي:

1. مدى تأثير العولمة على المستوى السياسي والاقتصادي في المجتمع العربي والأفريقي
2. مرحلة ظهور الإتحاد الأفريقي والدوافع التي كانت وراء إنشائه.
3. التحديات التي يواجهها التكامل السياسي والاقتصادي العربي الأفريقي وكيفية مواجهتها.

التكامل السياسي والاقتصادي العربي الأفريقي لمواجهة تحديات العولمة

1- مدى تأثير العولمة على المجتمع العربي والأفريقي على المستوى السياسي والاقتصادي والثقافي.

لقد أسهمت العولمة بآلياتها الحديثة في تقليص دور الدولة بشكل خاص لا سيما دول أفريقيا من خلال سيطرتها على الإقتصاديات المحلية التي دخلت في نشاطات اقتصادية عالمية، ودعوتها للمزيد من حرية انتقال السلع والخدمات وتبادل الأفكار والمعلومات وانسياب رؤوس الأموال والعمال، وتحويل العالم الى سوق مفتوحة دون حواجز أو عوائق سواء على مستوى الإنتاج أو التوزيع أو التسويق أو المنافسة، شخوصها مؤسسات الإقراض الدولية ، ومنظمة التجارة العالمية، ووسائلها رأس المال العالمي ورأس المال الصناعي والقروض والمديونية .

ولم تعد تلك الدول الفاعل المؤثر داخل حدودها، كما أنها لم تعد المحور الرئيسي للنشاط الإقتصادية على الصعيد العالمي، بل هناك الشركات المتعددة الجنسية وصندوق النقد الدولي والبنك الدولي والمنظمات الدولية والإقليمية .

ولا ريب بأن ذلك قد أدى الى تآكل قدرة الدولة الوطنية على إدارة الإقتصاد المحلي، إلا أن العولمة كما – يعتقد سمير أمين – في ذاتها لم تلغ وجود الدولة فينتج عن ذلك تناقض جديد ، وأن تكون الرأسمالية قادرة على التغلب عليه ، فليست الرأسمالية نظاماً اقتصادياً فقط ، بل هي نظام كلي لا فصل فيه بين الإقتصاد والسياسة<sup>(1)</sup>.

ونتيجه للأوضاع السياسية والإقتصادية والإجتماعية التي تعيشها غالبية الدول العربية والأفريقية يظهر مدى الحاجة الى جهاز الدولة كي تتمكن من إيجاد آلية للتعامل بصورة فعالة مع واقع العولمة الإقتصادية، والاعتماد على ذاتها في برامجها التنموية والقضاء على المشاكل التي تواجهها. ولا شك أن مروجي قيم العولمة قد بدأوا بوضع استراتيجية جديدة للكيفية التي يمكن عن طريقها التدخل في التنمية الداخلية للدول ، دون أي ردة فعل تؤثر في مصالحهم ولكي تجد العولمة نوعاً من القبول من قبل المجتمعات الإنسانية رأى أنصارها أن يكون لها بعد سياسي يقوم على الحرية بكل أشكالها، بمعنى حرية العقيدة وحرية الحياة الخاصة ودون تدخل ، وحرية التوافق مع الإرتقاء بأدمية الإنسان ، ويرى أنصار العولمة أنها الوسيلة الوحيدة للديمقراطية منتقدين أي أسلوب آخر غير الأسلوب الفردي<sup>(2)</sup>.

هذا ويعتبر أنصار العولمة أن الإقتصاد والمصالح الإقتصادية هي اللغة المشتركة بين الشعوب، لذلك فإنهم يركزون على الجانب الإقتصادي أكثر من تركيزهم على بقية الجوانب الأخرى ، لذا يقدم السوق على أنه البديل الأسلم لإقتصادياتهم حيث حرية التجارة والبورصة والبنوك والأسواق المفتوحة باعتبارها المعايير التي أثبتت نجاحها، وبالتالي فهي الأجدر بأن تفوز وتسود الحياة الإقتصادية، كل ذلك بطبيعة الحال على حساب دور الدولة الوطنية الذي يتم تقليصه إلى الحد الأدنى عن طريق مؤسسات الإقراض الدولية ، ومنظمة التجارة العالمية والشركات عابرة القارات . إن العولمة الإقتصادية لا تعالج الإختلالات الهيكلية المتأصلة في هياكل الإنتاج ولا تعالج مشاكل التنمية بعيدة الأمد، بقدر ما تفرض إصلاحات هيكلية ذات طبيعة مالية وتجارية ونقدية طبقاً لوصفات وأيديولوجية صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية ... وليس وفقاً لشروط التنمية الوطنية ، فإن الدول المعنية ستكون ملزمة بتعديل أولويات إقتصادها صوب أغراض وأهداف ومصالح ومراكز الرأسمالية ومؤسساتها وشركاتها<sup>(3)</sup>، إن إقتصاد العولمة غير عادل ويقوم على استلاب جهود الضعفاء لمصلحة

## التكامل السياسي والاقتصادي العربي الأفريقي لمواجهة تحديات العولمة

الأقوياء وإذا اقتضته ضرورة التوسع أن ينقل وحدات انتاجية في اقطار شتى في العالم وفق مصالحه وأولوياته ، كما أنه لا يعني بما تحتاج اليه الشعوب من سلع وخدمات بل بما يعود عليه من أرباح .

من آثار العولمة الاقتصادية ازدياد الهوة بين النخبة والأكثرية في البلد الواحد نتيجة افتراسها لحقوق العمال واستغلال جهودهم لحساب الرأسمالية الجشعة . كما أن من آثارها سيطرة الشركات المتعددة الجنسية على الإقتصاديات النامية ولا سيما الدول العربية والأفريقية خاصة في ظروف غير متكافئة وليست عادلة، هذا الواقع أدى إلى محاصرة هذه الإقتصاديات النامية وإجبارها على نمط محدد يتمثل في كونها مصدر للمواد الخام والأيدي العاملة الرخيصة، كما تعني العولمة على شدة التنافس الإقتصادية على الساحة الدولية، الأمر الذي بدوره عمق الاتجاه في هبوط أسعار الموارد في الأسواق العالمية، مما ساهم في تزايد الأزمات الإقتصادية في البلدان العربية والأفريقية التي هي أساساً إقتصاديات متهاكلة لأنها نتاج الاستعمار الأوربي في مرحلته السابقة (4) .

لقد اكتسحت العولمة وشركاتها العملاقة كل شئ في افريقيا بسبب سيطرتها على رأس المال والتقنية العالية التي جعلت الشركات الكبرى لا تلجأ إلى الأيدي العاملة إلا في نطاق أضيق ، وهذا يعني : المزيد من البطالة التي تؤثر على الحياة الإجتماعية سواء من حيث تدني التعليم والفقر وانتشار الفساد والأمراض والأوبئة ، ناهيك عن مشكلات تلوث البيئة بسبب الإنخراط في استغلال المناجم وأخشاب الغابات والتصحر وهجرة الأيدي العاملة الفنية المدربة (5) .

وفي الوقت الذي حققت فيه العولمة فوائد كبيرة للدول المتقدمة من خلال سيطرتها على وسائل التقنية الحديثة ، وجذب الإستثمارات، وتدفق رؤوس الأموال، وانضمامها في التجمعات الإقليمية الكبرى ، نجد أن تأثير العولمة كان سلبياً على إقتصاديات دول العالم النامي وخاصة الدول العربية، سواء كان في مجال السياسة المالية والنفدية، أو التجارة، أو في مجال التقنية والمعلوماتية الحديثة . إن الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية أخذت تفرض العولمة على كل شئ، حيث أصبحت تعي جيداً بأن كل برامجها المتعلقة بتلك العملية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتوجه الثقافي لشعوب العالم النامي ومدى استيعابها لتلك البرامج، لذا فإن ضمان نجاح العولمة يكمن في إيجاد أرضية تمكنها من الوصول الى تهيئة الشعوب ثقافياً وحضارياً لتقبل ثقافة الإستهلاك . فمن انعكاسات العولمة الثقافية هو توطين وترسيخ هذه الثقافة حتى يكون الفرد مستهلكاً غير منتج، وهو ما يحقق هدف أساسي لتوجهات النظام الراسمالي .

فالدول الغربية تسعى بكل وسائلها الممكنة لنشر ثقافتها الإستهلاكية بين شعوب الدول النامية وبالأخص الدول العربية لطمس وتغييب الثقافة الوطنية لها وتحقيق مصالحها في هذه المناطق وقد اكتسبت الثقافة في الدول الكبرى أهمية خاصة، وأصبحت مؤثرة بسبب الإستقرار السياسي والتنمية الإقتصادية القوية التي تركز عليها، ومع ذلك لا توجد ثقافة عالمية واحدة مسيطرة، وكما يقول محمد مراد: صحيح إن ما يحدث اليوم بشكل تغييراً هائلاً تدخل معه البشرية في عصر المجال السمعي والبصري، والتواصل الفوري المباشر، أي أن النمط التليفزيوني هو المسيطر، كما أننا إزاء عالم افتراضي أثري يتألف من الصور والإشارات والنصوص المرئية والمقروءة على الشاشات الإلكترونية الدائمة البث بما بات يشكل تهديداً لمنظومات القيمة والرموز وتغييراً في المرجعيات الوجودية وأنماط الحياة، حيث وجدت الثقافات الخاصة والأمم والشعوب الأخرى نفسها عارية أمام تدفق الرسائل والإعلانات التي تجوب العالم على مدار الساعة حاملة معها أبطالاً ورموزاً جديدة أخذت تملأ مخيلة المشاهد بدءاً بعارضات الأزياء ونجوم الكرة ، وصولاً الى رموز الفن والسينما ، والأعمال، والألبسة، والأطعمة ، وأنماط السلوك والمفردات اللغوية المتكررة (6) .

## التكامل السياسي والاقتصادي العربي الأفريقي لمواجهة تحديات العولمة

هذا ولقد لعبت وسائل التقنية الحديثة ولا سيما المتصلة بالقنوات التلفزيونية والمحطات الفضائية ، فضلاً عن انتشار وسائل الإتصال الحديثة من الشبكة العالمية "الانترنت" الى القنوات الفضائية وغيرها دوراً كبيراً في فرض النمط الثقافي الغربي ومحو الثقافات المحلية الأخرى، وإبراز الثقافة الغربية على أنها الأفضل والأنسب للجميع، حيث تبث هذه المحطات العديد من المسلسلات والأفلام المليئة بصور التحلل الأخلاقي والصراعات وأعمال العنف، بهدف التأثير في قيم الشباب الأفريقي عامة والعربي خاصة، واختراق ثقافته الاستهلاكية الغربية من خلال الثقافة العربية الإسلامية، حيث لم يعد هناك من سبيل لحماية الشباب من آثارها السلبية ونتائجها المدمرة على عقولهم وأفكارهم ومعتقداتهم بما يرى ويسمع عن تلك الثقافة التي سخر لها الغرب كل الإمكانيات الإعلامية والدعائية لإظهارها بأنها النعيم الدنيوي .

إن هاذه الأوضاع الصعبة التي تعيشها المجتمعات العربية والأفريقية شكلت دوافع قوية للتعاون والتكامل السياسي والاقتصادي للبلدان العربية والأفريقية الذي يعول عليه في القضاء على المشاكل من خلال مؤسساته وأجهزته المختلفة .

1. **مرحلة ظهور الإتحاد الأفريقي والدوافع التي كانت وراء إنشائه:** شهد العالم خلال العقود الأخيرة سلسلة من المتغيرات الاقتصادية في ظل العولمة، حيث أصبحت الأنشطة الاقتصادية الدولية أكثر ترابطاً وانتشاراً تحركه تكتلات اقتصادية دولية وإقليمية والعديد من التكتلات التي ساهمت بشكل كبير في بلورة النظام الاقتصادي الجديد الذي يتسم بعدم التوازن ويشكل تحدياً كبيراً لمسيرة التنمية في الدول العربية والإفريقية ، ونظراً لما تمتلكه القارة من مقومات اقتصادية التي تمكنها من إعادة هيكلة اقتصادياتها والاندماج في السوق العالمي، وحرصاً على وحدة القارة وتعزيز التنمية الاقتصادية والاجتماعية والإستفادة من الآليات والأدوات التي توفرها العولمة وأخذ المكانة اللائقة للدول العربية والإفريقية بين شعوب العالم ، جاء الإتحاد الأفريقي كنتطوير لآليات التكامل والتضامن والوحدة في القارة الإفريقية، شعوراً من شعوب وحكومات الدول الإفريقية بأن منظمة الوحدة الإفريقية لم تعد بشكلها الذي وضعت عليه قادرة على مواجهة التغيرات الإفريقية والعالمية . جاء إعلان ميثاق منظمة الوحدة الإفريقية في مؤتمر القمة الذي انعقد في أديس أبابا في شهر مايو عام 1963م ، تضمن حق تقرير المصير ، والإعتراف بالحرية والمساواة والعدالة والتضامن ، كما يؤكد على تمشي الميثاق مع ميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان . منظمة الوحدة الإفريقية جاءت عام 1963م لتشكل الإطار الذي استطاع جمع الدول الإفريقية المستقلة في منظمة واحدة لأول مرة في تاريخها، رغم أن هذه المنظمة لم تكن حسب ميثاقها كفيلاً بتحقيق طموحات الأفارقة في الوحدة، إلا أنها كانت تشكل الحد الأدنى الذي يمكن البناء عليه مستقبلاً (7) ، وعلى الرغم من الإنتقادات الموجهة لمنظمة الوحدة الإفريقية كونها لا تخرج عن أي منظمة دولية تقليدية مثل جامعة الدول العربية ، بمعنى أن هذه المنظمة : " تقوم على التعاون أكثر مما تقوم على التنازل عن قسط من السيادة القومية للدول الأعضاء بأية صورة من الصور (8) ، وبالرغم من الإعلان عن ميلاد منظمة الوحدة الإفريقية (OAU) ، فإن الدول الإفريقية لم تتوقف عن استحداث العديد من التجمعات والتنظيمات الإقليمية الفرعية ، بهدف تحقيق التعاون والتكامل الاقتصادي والاجتماعي والسياسي فيما بينها وقد نجحت هذه التجمعات في تحقيق بعض أهدافها، ومن أهم هذه التجمعات والتكتلات:-

- السوق المشتركة للشرق والجنوب الإفريقي " كوميسا " ( COMESA )
- التجمع الاقتصادي لدول افريقيا الجنوبية " سادك " ( SADC )
- التجمع الاقتصادي لدول غرب افريقيا " الإيكواس " ( CEOA )

التكامل السياسي والاقتصادي العربي الأفريقي لمواجهة تحديات العولمة

- الإتحاد الاقتصادي لأفريقيا الوسطى " الإيكاس " (ECCAS)
- اتحاد المغرب العربي (AMU) عام 1989م ، وقد شمل " ليبيا - تونس الجزائر - المغرب - موريتانيا " بهدف تحقيق التكامل الاقتصادي وتوطيد العلاقات فيما بينها .
- تجمع دول الساحل والصحراء " س - ص " CEN - SAD ، ويعتبر أحدث التجمعات ككتل إقتصادي إقليمي في القارة الإفريقية ، الهدف منه خلق كتل إقتصادي أفريقي متكامل لمواجهة التحديات الاقتصادية العالمية التي يشهدها العالم اليوم، وقد تم التوقيع عن الوثيقة التأسيسية لتجمع دول الساحل والصحراء عام 1998م، ويشمل كل من ( ليبيا - السودان- تشاد - النيجر- بوركينا فاسو - مالي - السنغال - غامبيا - أريتريا - موريتانيا - أفريقيا الوسطى - جيبوتي - مصر - المغرب - تونس - الجزائر)، ويبلغ عدد سكانه " 320 مليون نسمة " ثلاثمائة وعشرون مليون نسمة ، أي نصف سكان القارة الأفريقية تقريباً. وهو من أكبر التجمعات الاقتصادية الإفريقية، وكان من المتوقع أن يكون له الأثر الكبير في مواجهة التحديات الدولية الجديدة في ظل العولمة ، نتيجة لما تتمتع به قارة أفريقيا ، حيث يتنوع فيها المناخ وتباين فيها الكثافة السكانية من منطقة لأخرى، فضلاً عن وجود مقومات التكامل الاقتصادي الإقليمي بين بلدانها، وتتضمن معاهدة إنشاء التجمع على خلق اتحاد اقتصادي بين الدول الأعضاء، ودفع العمل الوحدوي بين هذه الدول من كافة المجالات، ويمتاز تجمع دول الساحل والصحراء بموقعه المتميز الذي يربط البحر المتوسط بغرب القارة وشرقها ووسطها ، إضافة لذلك التجانس الثقافي والاجتماعي الذي يربط شعوب دول التجمع " يستهدف التجمع إنشاء كتلة اقتصادية افريقية متكاملة، لها إستراتيجية تحقق مفهوم الإعتماد على الذات من خلال تكامل اقتصاديات دول التجمع ، وقد عمل التجمع على تطوير أهدافه ، فقد بدأ في عام (1998م) بمجموعة أهداف اقتصادية تتعلق بتسهيل حركة عوامل الإنتاج الوطنية، والسلع والبضائع ذات المنشأ الوطني عبر حدود دول أعضاء التجمع، وذلك بقصد تحقيق التكامل الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي كهدف طويل المدى<sup>(9)</sup>،
- وبالرغم من أن بعض هذه التجمعات الإقليمية لم تؤد دورها بالشكل المطلوب لا سيما الدول النامية ، إلا أنها تبقى نقطة هامة في التوجه نحو اتحادات أعم وأشمل، كما أن الظروف الراهنة تحتم على الدول ضرورة التجمع والتوحد لتحقيق حياة أفضل لشعوبها .
- هذا وتجدر الإشارة الى أن مسيرة العمل العربي المشترك تضمنت إثنتي عشرة تجربة ومحاولة من أجل تحرير التجارة العربية، وإقامة سوق عربية مشتركة، ومن أبرز هذه التجارب إقامة ثلاثة تجمعات فرعية وهي :
- تشكيل مجلس التعاون الخليجي عام 1981م . بهدف حماية الموارد البترولية العربية، وتشكيل آلية دفاعية ضد التهديدات الإيرانية في ذلك الوقت .
- مجلس التعاون العربي عام 1989م . ويضم كل من : مصر واليمن والعراق والاردن كوحدة اقتصادية وسياسية إلا أنه فشل بسبب الغزو العراقي للكوييت.
- إتحاد المغرب العربي عام 1989م . ويضم كل من: ليبيا وتونس والجزائر وموريتانيا، إلا أنه لم يحقق أية منافع اقتصادية ملموسة لأعضائه.
- وهكذا أقامت الدول العربية تجمعات إقليمية، بينما أحجمت عن العمل الجماعي المشترك نتيجة الخلافات السياسية وعدم وجود إرادة لإقامة التكامل الاقتصادي العربي وقد دخلت الأمة العربية في عدة تجارب وحدوية عربية، سواء كانت ثنائية أو متعددة الأطراف، إلا أنها لم تعمّر طويلاً نتيجة ما يحكيه أعداء الأمة العربية من مؤامرات ضدها من أجل تدمير الأمة العربية والهيمنة على مقدراتها.

### التكامل السياسي والاقتصادي العربي الأفريقي لمواجهة تحديات العولمة

بالإضافة الى ذلك عدم وجود علاقات طبيعية متوازنة فيما بين الدول العربية، والإختلاف الكبير في مستويات المعيشة بين مختلف الدول العربية، وسوء إستخدام النفوذ السياسي للدول العربية في علاقاتها مع بعضها البعض، حيث كانت بعض الدول العربية تميل في أغلب الأحيان الى إستخدام نفوذها السياسي للدول التي تحتاج الى مساندة سياسية أو مساعدة إقتصادية من أجل تحقيق أهداف محددة لها سواء على المستوى السياسي أو الإقتصادي، وقد يلجأ بعض الدول العربية أحيانا للمقاطعة الإقتصادية في سبيل إنجاز أهدافها السياسية. ويرى محمد المغيربي بأن : السمة البارزة للنظام العربي منذ بداية التسعينات هي حالة التردّي والإنهيار السائدة به، والآثار السلبية لهذا التردّي على قضية التنمية والديمقراطية في الوطن العربي، وقد أدت التناقضات العربية السياسية منها والإقتصادية والتي إنفجرت أثناء حرب الخليج الى جمود العمل المشترك في كل المجالات وتركت للقوى السائدة في العالم وعلى رأسها الولايات المتحدة إتخاذ مبادرات فتح مسارات السلام إعتباراً لتوجهاتها ومصالحها وانطلاقاً من هيمنتها الجيوستراتيجية في الشرق الأوسط، والإقتصادية على سوق المحروقات<sup>(10)</sup> .

ولعل من أسباب عدم نجاح قيام الوحدة العربية والتكامل العربي وجود الكيان الصهيوني كقاعدة متقدمة للغرب تعمل على رعاية المصالح الغربية الأمريكية، فلقد كان لهذا الكيان الدور البارز في شق وحدة الصف العربي وإنهاك قواه السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية وعدم التناغم مع العرب، وذلك بكل الوسائل المتاحة له والمدعومة من الدول الغربية عامة والولايات المتحدة الأمريكية خاصة، كل ذلك قد تم بمباركة الولايات المتحدة الأمريكية وتحت الشعارات البراقة، النظام العالمي الجديد، السلام العالمي، الديمقراطية، وحقوق الإنسان .

وتعمل الدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية على جر العالم الى نظام اقتصادي وسياسي واجتماعي جديد، يخدم مصالحها ويحقق أهدافها ويزيد من ضعف وتفكك المجتمعات النامية وتبعيتها لها. وفي إعلان الجزائر الصادر عن تلك القمة، أعرب القادة الأفارقة عن قلقهم البالغ من مخاطر العولمة، حيث ذكر الإعلان أن:"العولمة تشكل - في المقام الأول وبدون منازع - التحدي الأكثر شمولاً، حيث أنها أصبحت اليوم تنثر المخاوف مما تحمله من تهديد لسيادتنا ، وخصوصياتنا الثقافية والتاريخية، وما تنثّره كذلك من رهانات خطيرة على آفاق التنمية في بلداننا<sup>(11)</sup> .

من هنا تواصلت جهود القادة الأفارقة في تحقيق الأمل الذي كان يراود الشعوب الأفريقية، وتكوين فضاء افريقي تتطوي تحته جميع الدول الافريقية، فقد صدر الإعلان عن قيام الإتحاد لأفريقي في مدينة سرت بلبيبا عام 2001م ، وتجدر الإشارة الى أن المحور الرئيسي لدول الإتحاد الأفريقي في مواجهة تحديات العولمة يكمن في تحقيق التكامل الإقتصادي والسياسي بين شعوب القارة .

ويعتبر كتل الإتحاد الأفريقي ( AU ) من أبرز الكتلات الإقتصادية والسياسية العالمية، حيث يضم في عضويته حوالي ( 566,600 ) مليون نسمة أي حوالي خمس سكان العالم، ويشغل مساحة تقدر بحوالي 20% من مساحة الكرة الأرضية، وتزخر القارة بالموارد الطبيعية والمقومات البشرية ، حيث تشير الإحصائيات الى أن القارة تتمتع بثروات كاملة وإمكانيات بشرية ومادية نذكر منها<sup>(12)</sup> .

التكامل السياسي والاقتصادي العربي الأفريقي لمواجهة تحديات العولمة

جدول (1)

التوزيع النسبي للموارد الطبيعية بالقارة الأفريقية

البن	الكاكاو	النفط	الفوسفات	اليورانيوم	المنجنيز	الكروم	الذهب	الماس	الموارد الطبيعية
13	70	20	33	25	50	97	75	98	% من اجمالي الانتاج العالمي

المصدر: تقرير الامين العام لصندوق الامم المتحدة للسكان ، نيويورك 1999م .

إضافة إلى ما تتمتع به القارة من المنتجات الزراعية والحيوانية ومناخ المياه، كما أنها تمثل سوقاً واسعاً يرتبط بعدد سكانها، مما يؤكد أن أفريقيا ستكون محط أنظار العالم مستقبلاً .

ونظراً لما تمتلكه القارة من مقومات اقتصادية وسياسية وجغرافية، فقد تعرضت القارة في الماضي للهيمنة الإستعمارية التي سيطرت على مقدراتها وثرواتها لفترة طويلة، وتقادياً لعودة الإستعمار من جديد، وحرصاً على وحدة القارة وتعزيز التنمية الاقتصادية والاجتماعية فيها، ولمواجهة التحديات التي تفرضها العولمة بصورة أكثر فعالية والقضاء على المشاكل التي تواجه القارة، جاء إعلان الإتحاد الأفريقي بهدف جمع الصف الأفريقي " ويبدو أن الأفارقة على موعد مع مطلع القرن الجديد، ففي هذه المرة وفي يوليو عام ( 2000م ) أي بعد مرور مائة عام على مؤتمر لندن ، أعلن في لومي عن قيام القانون التأسيسي للإتحاد الأفريقي<sup>(13)</sup> .

ومن غير المتصور أن يقوم الإتحاد الأفريقي بإلغاء التنظيمات الأفريقية القائمة وما تمثله من تجارب تنظيمية مهمة، حيث رأى أن بعض هذه التنظيمات مفيدة للغاية، وقد اعتبر التجمعات الاقتصادية الإقليمية كالكوميسا بمثابة إحدى الركائز المهمة التي ينهض عليها الإتحاد الأفريقي .

هذا وتجدر الإشارة إلى عودة المغرب إلى حضيرة المؤسسة الأفريقية ، بعد موافقة قادة رؤساء الحكومات الأفريقية بعودة المغرب إلى صفوف الإتحاد الأفريقي في مؤتمر القمة المنعقد بأديس أبابا في 30 يناير 2017م بعد قطيعة دامت 32 عاماً، وقد انسحب المغرب من عضوية الإتحاد الأفريقي عام 1984م احتجاجاً على قبول عضوية الإتحاد لجبهة البوليساريو التي تطالب بانفصال الصحراء الغربية عن المغرب ، مما يدل على أن وجود المغرب طبيعياً في القارة الأفريقية ويساهم في حل النزاعات وتفتح أفريقيا أمام المستقبل المشرق .

إن من بين أهداف الإتحاد الأفريقي هو تحقيق وحدة وتضامن الدول الأعضاء، والدفاع عن سيادتها ووحدة أراضيها واستقلالها والدفاع عنها وتحقيق التكامل الاقتصادي والسياسي والاجتماعي بين شعوبها، وتعزيز التعاون في جميع ميادين النشاط البشري لرفع مستوى معيشة الشعوب الأفريقية، وتهيئة الظروف اللازمة التي تمكن القارة من لعب دورها المناسب في الإقتصاد العالمي والمفاوضات الدولية، وتعزيز المواقف حول المسائل ذات الإهتمام المشترك للقارة وشعوبها، مع الأخذ في الاعتبار ميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وتعزيز السلام والأمن والإستقرار وتحقيق التنمية والرفاهية لأبناء القارة، وكما يرى محمود ابو العينين بأن: "الرؤيا الجديدة التي طرحها الإتحاد الأفريقي تمثل اقتراباً جديداً يحسن بصفة عامة من فرص القارة في إمكانية احتواء الصراعات واحلال السلام والأمن ، الأمر الذي يمهد لانتقال افريقيا في ظل الإتحاد من حالة الفوضى وعدم الإستقرار إلى حالة الإستقرار والأمن، كي تتمكن افريقيا من تكريس جهودها للتنمية ورفع مستوى حياة شعوبها"<sup>(14)</sup>، أن قيام الإتحاد الأفريقي يدل على أن افريقيا قد وعت بحقائق العصر والتحديات التي تواجهها، ويضعها في دائرة الإهتمام العالمي، كما يساهم في تحقيق التكامل والتنمية من خلال ضمان الإستقرار والأمن في القارة، لأنها وحدها صاحبة المصلحة الحقيقية في الإتحاد في وقتنا الراهن في عصر التكتلات والفضاءات والقوى الكبرى ، والإستفادة



### التكامل السياسي والاقتصادي العربي الأفريقي لمواجهة تحديات العولمة

من الإمكانيات والموارد المتاحة لها ، حيث أن التكامل العربي الأفريقي المشترك هو السبيل الوحيد لمواجهة كافة المخاطر التي تواجهها الأمة العربية والأفريقية وتحقيق التنمية والتحرر والتفاعل على الساحة الدولية كقوة إقليمية وإقتصادية قادرة على مواجهة تحدي العولمة .

#### 3: لتحديات التي يواجهها التكامل السياسي والاقتصادي العربي الأفريقي وكيفية مواجهتها:

تمثل العولمة تحدياً للعالم النامي والأمة العربية خاصة، ولعل الوقت قد حان أكثر من أي وقت مضى لمواجهة هذه التحديات وضرورة الإسراع في إقامة التكتلات الإقتصادية والوحدة العربية، خاصة وأن وضع الأمة العربية ينسجم مع ما تمتلكه من مقومات الوحدة وأسبابها ، ومع ضغوط الظروف الموضوعية، وما يوجد في العالم من تكتلات عملاقة قادرة على الهيمنة والسيطرة على كل البلدان الضعيفة، خاصة وأن الدول العربية قد مرت بتجارب عديدة، كان الهدف منها تجميعها في تكتلات ذات أهداف مختلفة إلا أنها أخفقت كلها في إيجاد كيان موحد يمكن التعويل عليه في توحيد المواقف والغايات العربية .

وإذا كانت المخاطر هي التي توحد الشعوب أو الأمم ، هل لا يوجد مخاطر ضد الأمة العربية اليوم؟

وإذا كانت العولمة الإقتصادية تعني الخصخصة والغاء الحماية الجمركية ، وحرية تبادل السلع والخدمات والإستثمار وغيرها من آليات السوق ، فإنكل ذلك يتطلب نظاماً إقتصادياً أفريقياً مشتركاً يوفر ضمانات أكثر لمواجهة الضغوط الدولية وقد يجعل خيار العولمة خياراً نسبياً حتمياً ، لذلك على الدول الأفريقية أن تتكفل لأن هذا الأمر يساهم في تطوير اقتصادها ويسمح لها بأن تبني مؤسسات ذات قدرة تنافسية<sup>(15)</sup> .

لقد عمد الغرب الى طرح أفكار ومشاريع من شأنها إعاقة أي تكامل عربي وجعل الأمة العربية مجزأة، وهو الذي رسم حدودها الجيوسياسية، ولقد رأينا في السنوات الأخيرة بروز فكرة " الشرق أوسطية"الهدف من ورائها فصل أقطار الوطن العربي الواقعة في شمال إفريقيا، ومحاوله إدماج المشرق العربي مع الدول المجاورة للكيان الصهيوني، وبذلك يتم تعييب القضية الفلسطينية قضية العرب جميعاً، وإحلال الرابطة الجغرافية الإقتصادية محل رابطة القومية العربية والقضاء عليها نهائياً، وبرزت أيضاً فكرة " المتوسطية " بدعوى الشراكة - الأورو متوسطية -

الهدف منها فصل أقطار المغرب العربي عن بقية الأقطار العربية والحيلولة دون تكامل اقتصادي أو قيام وحدة عربية، بالإضافة الى ذلك إقامة أنظمة وقوميات إقليمية موازية أو بديلة للنظام الإقليمي العربي، كما أنه يعد جزءاً من الصراع على النفوذ والمصالح في حوض البحر المتوسط.

وقد تأثرت الدول الأفريقية وبالأخص الدول العربية، مثل غيرها من دول العالم بمشروع الليبرالية المتوحشة في ظل العولمة، بسبب الإضطرابات والفوضى في المجالات الإقتصادية والإجتماعية بما يؤدي الى الركود الإقتصادي والكساد التجاري للذين يؤديان بدورهما الى خلق حالة من الفلق والفرز لدى المواطنين ويجعلان اليأس يدب في النفوس،" إن الأقطار العربية على الرغم من اختلاف المشكلات الإقتصادية والإجتماعية لكل منها تواجه بدرجات متفاوتة تحديات بالغة التعقيد زاد من صعوبتها وتعقيدها الوضع الإقتصادي والإجتماعي الراهن الذي صنفته العولمة، ورسمت له الطريق بما يتمشى ومصالح الغرب الرأسمالية الذي بنى أيديولوجية على أن تكون دولة الأطراف مستهلكة لا منتجة، وما يزيد من صعوبة الوضع عدم نجاح الأقطار العربية في التوصل الى صيغ فكرية مناسبة لمواجهة هذه التحديات، في حين يتغير العالم ويتقدم بسرعة

التكامل السياسي والاقتصادي العربي الأفريقي لمواجهة تحديات العولمة

مذهلة من حولها (16)، وتحليل الوضع الاقتصادي الدولي الراهن في ظل التكتلات الاقتصادية الدولية تبين لنا أن العالم قد شهد خلال العقود الماضية سلسلة من المتغيرات الاقتصادية في ظل العولمة ، حيث أصبحت الأنشطة الاقتصادية الدولية أكثر ترابطاً وانتشاراً تحركه تكتلات اقتصادية دولية وإقليمية مثل صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي ، ومنظمة التجارة العالمية، والعديد من التكتلات التي ساهمت وبشكل كبير في بلورة النظام الاقتصادي الجديد، كما نجد أن المستفيد من هذا النظام هي الدول التي لها القدرة التنافسية ولها الخبرة المكتسبة في السوق الدولي . وقد برز لاعبين جدد في الاقتصاد العالمي الجديد، خاصة في منطقة شرق آسيا، واليابان والصين، وعدد آخر من الدول التي تطمح في أن تشكل جزءاً من عملية تنظيم الاعتماد المتبادل في الاقتصاد العالمي: "ويعد هذا المتغير الجديد من أحد المؤثرات التي ساهمت وبشكل مباشر في صياغة توجهات الاقتصاد العالمي، وذلك للحفاظ على نصيبها في السوق وقدرتها التنافسية والنفوذ الذي يمكنها من توجيه دفة الأمور وفقاً لمصالحها الاقتصادية ومخططاتها ومن هذه القوى الإتحاد الأوربي الذي يعتبر من أكثر الحالات الاندماجية تقدماً في العالم اليوم ، واليابان، والصين ، والنمور الآسيوية التي تضم شرق وجنوب شرق آسيا وتشمل كلاً من: (ماليزيا ، واندونيسيا، وهونج كونج ، وتايوان ، وتايوان، ذات الاقتصاديات الفاعلة والقوية). وقد حققت طفرات اقتصادية وتكنولوجية هائلة إستحقت بموجبها لقب الدول حديثة التصنيع (NICs) أو أكثر الاقتصاديات ديناميكية ( Most Dynamic Economies ) ، وذلك وفقاً لتصنيف (منظمة التعاون الاقتصادي للتنمية): حيث حققت هذه الدول معدلات نمو تقدمت في كثير من الأحيان 10 % سنوياً ، نقلتها إلى مشارف البلدان الصناعية المتقدمة، ونجحت عن طريق الهندسة العكسية والإقتباس في تطوير تكنولوجيا تتناسب إمكاناتها وظروفها فأكسبتها قدرة تنافسية متزايدة ونصيباً ملائماً في السوق العالمية (17)

هذه الظواهر في النظام الاقتصادي الدولي الجديد تتسم بعدم التوازن، وتشكل تحدياً كبيراً لمسيرة التنمية في البلدان النامية خاصة التي تمكنها إمكاناتها الاقتصادية من إعادة هيكلة اقتصادياتها والاندماج في السوق الدولي، "إن افرازات العولمة ليست في وحدة العالم فقط ، وإنما في ظهور الإقليمية الجديدة ، فالإتحاد الأوربي في اوربا ، والآسيان في آسيا، والنافتا في كندا والولايات المتحدة الأمريكية والمكسيك، والكوميسا في افريقيا ، والسيركور في أمريكا اللاتينية ، هي جميعاً أشكالاً جديدة للإقليمية تشكل تحولات عميقة في العالم (18). ويرى محمد المغربي أن: ظاهرة التكتل والإقليمية ليست بالظاهرة الجديدة حيث عرفها النظام العالمي منذ أكثر من نصف قرن، إلا أن التكتلات التي برزت مؤخراً ومن القواعد الرئيسية في العلاقات الدولية كما يرى الدكتور ابراهيم ابوخرام هي: التي تقول (إذا وجد الفرد وجد السلام وعند وجود إثنين يبدأ الصراع ، ومتى وجد ثلاثة تبدأ التحالفات) ويضيف دعونا نحلل بعض مظاهر الحاضر، البعض ينظر للإتحاد الأوربي على أنه إتحاد تعاوني ، فهو في صيغة لتعاون اوربا حلت محل صراعاتها .. إن هذا صحيح على المستوى الأوربي ، لكن الواقع الحقيقي للتكتل هو (الصراع) مع الآخر .. إن الإتحاد الأوربي هو نتيجة لا غير لقانون الصراع العالمي .. فقد أدركت فرنسا أنها ليست قادرة بمفردها على خوض الصراع العالمي، وهو نفسه إدراك المانيا وإيطاليا... الخ. إن هذه الدول إندفعت مجبرة للتعاون من أجل الصراع مع آخر لم تعد أي منها قادرة على مواجهته منفردة (فالأحلاف تتماسك بالخوف لا بالحب) تلك هي بعض القوانين الثابتة في العلاقات الدولية، وهي القوانين التي تشكل المواد الأولية لعلم العلاقات الدولية، وهي تتفاعل في المختبر الذي يضيف على العلاقات الدولية طابعها العلمي ألا وهو التاريخ (20). ونظراً لما تتميز به القارة الأفريقية من موارد وامكانيات وفيرة والتي لم تستغل الإستغلال الأمثل بسبب سيطرة الشركات متعددة الجنسية التي لا تولي إهتماماً بالتنمية

## التكامل السياسي والاقتصادي العربي الأفريقي لمواجهة تحديات العولمة

الإقتصادية والإجتماعية في إفريقيا ، بل هدفها هجرة الأيدي العاملة الرخيصة ونقل المواد الخام الأفريقية الى الولايات المتحدة واوربا لإستغلالها في صناعاتها وخلق سوق لها في إفريقيا، لذلك على الدول العربية والأفريقية خوض غمار التنمية الإقتصادية التي حرمت منها طلبة الإستعمار الغربي وإستغلال ثرواتها بالتركيز على التصنيع خاصة وأن إفريقيا تمتلك المواد الخام اللازمة ولديها الأيدي العاملة الرخيصة، حيث أن التصنيع أصبح مقاساً للشعوب والأمم في تقدمها وتخلفها، ولكي تواجه الدول العربية والأفريقية تحديات العولمة لابد لها من إتباع سياسات واستراتيجيات تساعد في النهوض بقطاع التصنيع كاستراتيجية صحيحة للتنمية الإقتصادية منطلقاً من تجارب الدول السابقة في هذا المجال، حيث اتضح من خلال تجارب الدول المتقدمة أن التصنيع وحده الذي يساعد على حل مشاكل كثيرة تواجه الدول العربية والأفريقية والتي منها المجاعة، البطالة، إنخفاض مستوى المعيشة، والأمراض الفتاكة... الخ<sup>(21)</sup>، الى جانب تحديات العولمة المختلفة، يواجه الإتحاد الأفريقي تحديات داخلية كالحروب الأهلية، والنزاعات الحدودية، وعدم الإستقرار السياسي وضعف خطط التنمية الإقتصادية، وتفاقم الأزمات الإقتصادية وما نجم عنها من ديون وبطالة وفقر وهجرة.

إن الدول العربية والأفريقية هي أولى الدول المستهدفة من قبل النظام العالمي الجديد في ظل التحديات التي تفرضها العولمة في مختلف المجالات، السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية وفي مواجهة التجمعات الإقليمية، وبالتالي فإنها بين خيارين: إما أن تبقى تحت الوصاية الغربية التي تسعى للحد من إستقلالية السياسات الإقتصادية العربية والأفريقية، والإعتماد على أسواق الدول المتقدمة، وإما أن تلقي مع بعضها في تجمعات إقليمية وتكتلات إقتصادية وتعمل بشكل جاد على إعادة النظر في سياساتها الإقتصادية للإستجابة للعولمة الإقتصادية ومواجهة تحديات العولمة، وأن تصبح عضواً فاعلاً في النظام الإقتصادي الجديد والتي أطلق عليها المجالات الإقتصادية الكبرى على أساس تحرير التبادل التجاري بين أعضاء التكتل وتفعيل التعاون الإقتصادي والتكنولوجي، "فقد أصبح هناك وعي متزايد بضرورة الإنتظام في مجموعات متفاوتة متضامنة، تدافع عن مصالحها لمجموعات كأعضاء وليس فقط إزاء طموحات هيمنة باغية، بل أيضاً من أجل توفير الشروط الضرورية للتنمية، واكتساب القدرة على الصمود في عالم يبدو أن المنافسة فيه ستلعب دوراً متزايد أهميته وخطورته باستمرار، ولعل الإتحاد الأوربي مثلاً صالحاً للإقتداء به في هذا المجال<sup>(22)</sup>. بالإضافة لذلك عليها ضرورة العمل الجاد لمحاربة ثقافة الإستسلام والخنوع والإنفصال، والتسليم بالأمر الواقع، ودعوة كافة المجتمعات العربية والقوى السياسية في المنطقة العربية لدعم التكامل السياسي والإقتصادي العربي الأفريقي وتفعيله واحترام حقوق الإنسان للمواطن العربي وتحقيق العدالة الإجتماعية، حرصاً على استمرار وجود الأمة العربية، وأخذ مكانتها اللائقة بين شعوب العالم في زمن العولمة والفضاءات والتكتلات الكبرى، وكما يرى محمد الحصن من أنه: "لابد للدول الأفريقية في ظل الإتحاد الأفريقي أن تستفيد من الآليات التي توفرها ظاهرة العولمة، وحتى لا تكون إفريقيا منعزلة... لا بد من التحرك في إطار الإيجابيات التي توجد في العولمة، والرفض للعولمة قد يضيع على إفريقيا فرصة الإعلان عن هويتها والتحديات للشبهات المثارة ضدها، لذلك يجب البدء بترتيب البيت من الداخل أي داخل كل دولة أفريقية، ثم البيت الأفريقي بين جميع الدول حتى يصبح لهذه القارة كينونة وكرامة حقيقية، وتأخذ مكانها في المحافل الدولية ، وتكون فاعلة وغير منعزلة عن العالم"<sup>(23)</sup>.

**التكامل السياسي والاقتصادي العربي الأفريقي لمواجهة تحديات العولمة**

- إستخلاصات:** من خلال الدراسة السابقة يمكن أن نستخلص الآتي:
- لقد أسهمت العولمة بآلياتها الحديثة وشركاتها العملاقة وسيطرتها على رأس المال والتقنية العالية في محاصرة اقتصادات الدول النامية ولا سيما الدول العربية والأفريقية وإجبارها على نمط محدد في كونها مصدر للمواد الخام والأيدي العاملة الرخيصة .
  - نتيجة للأوضاع السياسية والإقتصادية والإجتماعية التي تعيشها غالبية الدول العربية والأفريقية يظهر مدى الحاجة للتوجه نحو تكتل سياسي واقتصادي يساهم في تعزيز التنمية المستدامة، ومعالجة الواقع الإجتماعي والسياسي والاقتصادي الجديد في افريقيا على نحو فعال يمكنها من لعب دورها المناسب في الإقتصاد العالمي والمفاوضات الدولية .
  - الإتحاد الأفريقي من أبرز التكتلات الإقتصادية والسياسية العالمية وهو الرد على التحديات العالمية الراهنة ومواجهة الفضاءات الأخرى .

**توصيات و مقترحات:** لقد لمسنا من خلال ما تقدم في هذه الورقة مخاطر العولمة وانعكاساتها على المجتمع العربي والأفريقي، ولمزيد من العمل والجهد في هذا السياق، نشير الى بعض المقترحات التي من شأنها أن تساهم في مواجهة التحديات التي تفرضها ظاهرة العولمة وهي على النحو التالي:

- 1- تقوية الإقتصاد العربي وذلك ببناء قاعدة اقتصادية متكاملة مبنية على رؤية قومية ، لمواجهة التكتلات الإقتصادية الكبرى التي يشهدها العالم اليوم ، والعمل على خلق فضاء عربي افريقي قوي وسليم يعود بالفائدة على أبناء المجتمع العربي والأفريقي .
- 2- إنشاء سوق عربية مشتركة بتفعيل إتفاقية التعاون العربي المشترك من خلال الجامعة العربية عام 1945م، واتباع سياسة حكيمة لتوظيف الموارد العربية ، كما يتوجب إنشاء منظمة للتجارة الحرة لتعزيز المبادلات التجارية كخطوة فريدة لتوحيد تجارتها وإلغاء التعريفات الجمركية بينها ، وإعطاء المزيد من الحرية في تنقل الأفراد والبضائع بدون عوائق .
- 3- عدم ترك الفرصة للكيان الصهيوني بتطبيع العلاقات مع الدول العربية على أي مستوى حتى لا يتسنى له إختراق الصف العربي والقضاء على اقتصاده، وجره الى نزاعات جانبية، وطمس هويته الثقافية، والعمل على تحقيق الوحدة العربية، وزيادة تشجيع الإستثمارات العربية داخل الوطن العربي وافريقيا بكل الوسائل الممكنة والمتاحة .
- 4- إن قدرة الدول العربية والأفريقية على مواجهة تحدي العولمة مرهون بتغيير طبيعة ودور وممارسات مؤسسات الحكم في الحياة السياسية والإجتماعية والإقتصادية العربية والأفريقية، والعمل على إيجاد مؤسسات مستقلة ومستقرة قادرة على التغلغل في المجتمع وتوظيف إمكانياته، وتحقيق أهدافه وطموحاته، وتوزيع ثروة المجتمع على جميع أفراد وفئاته، والعمل على استيعاب مطالب كل الفئات والمشاركة في الحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية بصورة فعالة.

**هوامش البحث ومراجعته:**

- 1- مولود الطيب ، العولمة والتماسك المجتمعي في الوطن العربي، مركز الدراسات، طرابلس، 2005م ، ص184 .
- 2- محمد الفرجاني الحصن، افريقيا وتحديات العولمة، المكتبة الجامعية، غريان، 2002م، ص12

**التكامل السياسي والاقتصادي العربي الأفريقي لمواجهة تحديات العولمة**

- 3-** ميلاد ابوراس، الفضاء الإفريقي والعولمة، رسالة ماجستير غير منشورة ، أكاديمية الدراسات العليا ، طرابلس، 2009م ، ص118.
- 4-** المرجع السابق، ص117.
- 5-** المرجع السابق، ص117
- 6-** محمد مراد بركات ، تأملات لظاهرة العولمة، مجلة دراسات، العدد التاسع، مركز الدراسات، طرابلس ، 2002م ، ص102
- 7-** بشير الكوت، المنظمات الإقليمية الفرعية في إفريقيا، دراسة لأبرز المنظمات، مركز الدراسات ، طرابلس ، 2008م ، ص28
- 8-** ميلاد ابوراس ، الفضاء الإفريقي والعولمة ، مرجع سابق ، ص102 .
- 9-** تقرير المدير العام لمكتب العمل العربي ، مؤتمر العمل العربي، الدورة الخامسة والعشرين، الاقصر ، 1999م .
- 10-** محمد المغيربي، سمات وآثار النظام الشرق أوسطي والشراكة \_ المتوسطة من منظور النظام الإقليمي العربي، بحوث في ثقافة الديمقراطية والنظام العربي، مركز الدراسات، طرابلس ، 2007م ، ص122
- 11-** عبد العزيز الشربيني، رؤية حول الدور الاقتصادي الإفريقي، الاتحاد الإفريقي ومستقبل القارة الإفريقية ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 2001م ، ص348
- 12-** تقرير الأمين العام لصندوق الأمم المتحدة للسكان ، نيويورك 1999م .
- 13-** حمدي عبد الرحمن حسن، برلمان عموم إفريقيا والبعد الشعبي في حركة الوحدة الإفريقية، الإتحاد الإفريقي ومستقبل القارة الإفريقية ، المرجع السابق ، ص79.
- 14-** محمود ابو العينين ، الإتحاد الإفريقي، وإمكانات إحلال السلام والأمن في القارة الإفريقية، الإتحاد الإفريقي ومستقبل القارة الإفريقية ، معهد البحوث والدراسات، جامعة القاهرة. 2001م، ص215 .
- 15-** محمد الفرجاني الحصن، إفريقيا وتحديات العولمة ، مرجع سابق، ص18
- 16-** مولود الطيب ، مرجع سابق ، ص218
- 17-** أسامة المجذوب، العولمة والإقليمية ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، 2001م ، ص31

## الهوية في فكر زكي نجيب محمود

د. عبد المنعم أحمد سالم ميلاد

### تمهيد:

يرتبط مفهوم الهوية عند زكي نجيب محمود بمشروعه الفكري الذي قضى زهاء نصف قرن وهو يعمل عليه، سواء في مرحلته الأولى التي قضاها في التعريف بالفلسفات العلمية، ولأسيما الوضعية المنطقية، والتأكيد على منهج التحليل المنطقي كوسيلة لحل بها مختلف مشاكلنا الفلسفية والاجتماعية والثقافية، أو في مرحلته الثانية التي بدأ فيها يتناول قضايا تتعلق بتجديد الفكر العربي، وموقفنا من التراث، والحريات السياسية، وكيفية التوفيق بين الأصالة والمعاصرة. فزكي نجيب محمود، وعلى الرغم من أنه كان يعتقد بأن "الشرق فنان"، ويميل إلى التصوف والطرق العاطفية والوجدانية في الحياة، وأن الغرب عملي، ويؤمن بالطرق المنطقية والعقلانية في بناء الحياة والمستقبل، إلا أنه كان يرى أن العالم العربي والإسلامي يمكن أن يلعب دوراً وسيطاً على أرضه يستطيع المزج بين فنون الشرق وتصوفها مع عقلانية الغرب ومنجزاته العلمية.

وبناء على ذلك توصل زكي نجيب محمود إلى أن الهوية التي تناسب عالمنا العربي، والتي يجب أن نعمل عليها ونطورها هي هوية توفيقية، تقوم على المزج بين الأصالة والمعاصرة. فالمسألة الأساسية التي شغلت بال زكي نجيب محمود خلال العقود الأخيرة من عمره هي: "كيف نوائم بين موروثنا الحضاري والثقافي من جهة، وما تقتضيه الحياة العصرية من تحولات من جهة أخرى؟"<sup>(1)</sup>. وبصيغة أخرى: "كيف السبيل إلى ثقافة موحدة منسقة يعيشها مثقف حي في عصرنا هذا، بحيث يندمج فيها المنقول والأصيل في نظرة واحدة"<sup>(2)</sup>. وبصيغة ثالثة يسأل زكي نجيب محمود عن "طريق للفكر العربي المعاصر، يضمن له أن يكون عربياً حقاً ومعاصراً حقاً"<sup>(3)</sup>. والمشكلة هي أن مثل هذا التوفيق، قد لا يكون سهلاً، سيما وأن الرؤية السطحية توحي بأن هناك تناقض، أو اختلاف كبير بين العروبة والتراث والقيم التقليدية من جهة، وبين عالم غربي يقوم على العقلانية والحرية والاعتماد على المنجزات العلمية الحديثة، والمناهج التي تقف وراءها من جهة ثانية.

حتى إن زكي نجيب محمود الذي كان يميل في بداية حياته إلى الحداثة الغربية، قد اعترف أنه لم يكن يعتقد بإمكانية التوفيق بينها وبين تراث العرب وقيمهم التقليدية فالإنسان عنده "لا يمكن أن يتقدم إلى الوراء، والله لم يضع لكائن عيناه في قفاه"<sup>(4)</sup>، ولذلك لم يكن من أمل عنده لأي نقطة التقاء بين الثقافتين الغربية والعربية، يقول زكي نجيب محمود في ذلك: "لا أمل في حياة فكرية معاصرة إلا إذا بترنا التراث بترأ، وعشنا مع من يعيشون في عصرنا علماً وحضارة، ووجهة نظر إلى الإنسان والعالم، بل وإني تمنيت عندئذ أن نأكل كما يأكلون ونجد كما يجدون ونلعب كما يلعبون ونكتب من اليسار إلى اليمين كما يكتبون، على ظن مني آنذاك أن الحضارة وحدة لا تتجزأ، فإما أن نقلها من أصحابها - وأصحابها اليوم هم أبناء أوروبا وأمريكا بلا منازع - وإما أن نرفضها، وليس في الأمر خيار بحيث ننقي جانباً ونترك جانباً"<sup>(5)</sup>.

غير أن موقف زكي نجيب محمود هذا قد تغير كثيراً بعد ذلك، فلقد انتهى به الحال إلى الاعتقاد أنه لا يمكننا أن نستغنى عن منجزات الحضارة الغربية السياسية والعلمية من جهة، كما لا يمكننا أن نرمي وراء ظهرنا تاريخنا ومنجزاتنا الحضارية، وتراثنا الذي اهتدى به العالم أجمع لقرون طويلة. غير أن هذا التوفيق لا بد من أن نتعمق فيه، وأن نحلل ما نحتاج إليه من تراثنا، وما أصبح بالياً وعبثاً علينا. كما لا بد من التدقيق فيما يمكن أن نأخذه من الغرب، سيما وأن مجتمعاتنا عانت كثيراً

### الهوية في فكر زكي نجيب محمود

من نزعت الاستعمارية لعقود طويلة. ولذلك فإن التوفيق يعني أن نأخذ من التراث بعد نقده نقداً علمياً صارماً، والاكتفاء بما يمكن أن يعيننا في حياتنا المعاصرة وحسب، كما يعني أن نأخذ من الحضارة الغربية، ليس عن طريق التقليد الأعمى بل عن طريق فلترة للحضارة الغربية، وتحديد ما يناسبنا وما يضرنا، سيما وأن هناك اختلاف في الظروف والأحوال ومستوى التطور الحضاري<sup>(6)</sup>.

وإذا كانت هذه هي الخطوط العريضة لرؤية زكي نجيب محمود حول الهوية التي علينا أن نأخذ بها فإننا سوف ندخل في عمق هذه الرؤية والركائز التي تقوم عليها، وذلك من خلال النقاط التالية:

أولاً: التوفيق بين الأصالة والمعاصرة.

ثانياً: علاقة الهوية بالانتماء والنماء.

ثالثاً: مكونات الهوية المصرية واستيعاب الثقافات الأخرى.

رابعاً: أهمية النزعة الإنسانية في تبلور مفهوم الهوية:

أولاً- التوفيق بين الأصالة والمعاصرة: إذا كان زكي نجيب محمود قد استقر على ضرورة التوفيق بين الأصالة، وما تعنيه من تراث وقيم وتاريخ، والمعاصرة، وما تعنيه من تقدم علمي وقيم سياسية وتجربة حضارية، إلا أنه يعتقد أن هذا التوفيق يجب أن يكون مسبقاً بعملية نقد، نقد التراث من جهة، وتكوين نظرة عقلانية للحضارة الغربية تقوم على الاستقلالية من جهة أخرى، حتى نصل إلى مركب نأخذ فيه "من التراث صورته دون مضمونه، ونأخذ من الفكر المعاصر مضمونه دون صورته، ثم نضع المضمون المعاصر في الصورة التراثية"<sup>(7)</sup>. ولكن ما هو المقصود بالرؤية العقلانية للحضارة الغربية؟ وما هو المقصود بنقد التراث؟

● الرؤية العقلانية للغرب: يعتقد زكي نجيب محمود أن الصورة التي يجب أن نكونها عن الغرب ونتعامل معه على أساسها يجب أن تكون صورة عقلانية ومتوازنة، فلا هي تبجل الغرب وتعتبره المثال المطلق والوحيد للتقدم، وتأخذ كل ما يقوله بشكل أعمى وتقليدي، ولا هي تقع في هوس "شبح اسمه الغزو الثقافي"<sup>(8)</sup>، والاستسلام لنظرية المؤامرة التي لا ترى في الغرب سوى عدو يتربص بنا ويريد نهب ثرواتنا والهيمنة علينا. فالمطلوب هو تفاعل إيجابي منفتح على الغرب، على أن يكون انفتاحاً موضوعياً وعقلانياً، يدرك أن الغرب اليوم هو قمة الحضارة الإنسانية، وأنها يمكن أن نأخذ منه الكثير، ويمكن أن نعيد إنتاج ما نأخذه بما يتناسب مع حاجتنا الحضارية والاجتماعية<sup>(9)</sup>.

حتى إن زكي نجيب محمود يستغرب كثرة الحديث عن الغزو الثقافي، ويعتبره نوع من التهويل الجديد في طريقة التعامل مع الغرب. فبالنسبة لمصر فإنها كانت تعتمد على الانفتاح الإيجابي والنقد الموضوعي والتعامل بعقلانية مع الغرب، وهذا ما حصل في بدايات القرن العشرين مثلاً، حيث تعامل مفكرو مصر مع الحضارة الغربية بموضوعية، حتى عندما كانوا يختلفون مع مفكري الغرب، وحتى عندما تكون أحكام الغرب على الإسلام وقيمنا التراثية أحكاماً جائرة وبعيدة عن الموضوعية. فهذا هو "الشيخ محمد عبده يقرأ ما كتبه هانوتو ليرد عليه ثم يسافر إلى إنجلترا ليلتقي وجهاً لوجه مع أحد فلاسفة بريطانيا في ذلك العهد، وهو هيربرت سبنسر، ثم هاهم هؤلاء رجالنا في العشرينات الأربع من هذا القرن: قاسم أمين، لطفي السيد، طه حسين، العقاد، الدكتور هيكل، سلامة موسى، أحمد شوقي، طلعت حرب إلى آخر ذلك الرعيل الرائد من أقباء فتحو لكل ما عند العصر من فكر وأدب وفن فتحوا له صدورهم وقلوبهم وعقولهم، في غير خوف، فلا بارك الله أنفس الجبناء"<sup>(10)</sup>. هنا نجد أن زكي نجيب محمود يعتبر عصر النهضة العربية هو النموذج الذي يجب اعتماده لتجديد نمط التعااطي مع الغرب بدون خوف.

### الهوية في فكر زكي نجيب محمود

أما حالة الخوف من الغرب والتي ظهرت بعد ذلك، وتحولت إلى عدو مطلق، فتفسيرها عند زكي نجيب محمود ذلك الخوف الذي أخذ يسري في داخل جسد الأمة، والناجم عن الإخفاقات وحالة الضعف، فالأقوياء هم من لا يخشون على أنفسهم من حضارات الآخرين. يقول زكي نجيب محمود في تفسيره لحالة التشكك من الغرب والتضخيم مما يسمى الغزو الثقافي: "إنها حالة تنتاب الرؤوس في مراحل الضعف، لكنها تختفي اختفاء تاماً في مراحل القوة، انظر إلى العرب الأوائل عندما بلغوا القوة ما بلغوا في صدر الإسلام، لقد فتحوا ثغورهم جميعاً لكل ثقافة تأتي من خارج حدودهم، أيأ كان مصدرها، وهي إن لم تأتيهم من تلقاء نفسها أتوها عامدين، جاءتهم (ثقافة) وأرسلوا رسلهم ليجيئوا لهم بثقافة، ولم يخطر لأحد منهم - إلا نادراً - أن يقول قائل منهم إنه (غزو ثقافي)، وذلك لأنهم كانوا أصحاء أشداء"<sup>(11)</sup>.

فالمهم ليس الثقافة ذاتها، بقدر ما هو العين التي ترى هذه الثقافة وتتفهمها وتغريها وتعرف كيف توظفها. وعلى ذلك فإن مكانة العرب في ثقافتنا، نحن الذين نحددها، ونحن الذين علينا أن نحدد كيف نتعامل معها. ففي "الغرب نور وسحاب، شمس وضباب، وفيه طريق مضاء لكنه منحدر إلى الخراب، فإن كانت العين صالحة للنظر نظرت واستقامت على الهدى، وإن لم تكن عين تنظر فلا خير في القبلة حيث كانت إلى الغرب أو إلى الشرق وفي الشمال أو في الجنوب، وفي الشرق الذي خبا نوره زاوية مشرقة، وفي الغرب الذي تألق نوره زاوية مظلمة، وعلى (العين) وحدها المعول فيما تراه من كل زاوية، فلا يكن شعارنا شروقاً من المغارب ولا تخبطاً في ظلام المشارق، وإنما الشعاع الحق (العين ترى) من كل حدب وصوب ونظرة تحيط بكل أفق وترتفع على كل فلك"<sup>(12)</sup>.

وإذا كان هذا هو المقصود بالتعامل العقلاني مع الغرب، أي أن نتعامل معه بطريقة واعية وموضوعية، وبدون أي تشنج أو مواقف مسبقة، مع الانتباه إلى أنه ليس كل ما يأتي منه أمر لابد من أن نأخذ به، فما هو المقصود بالتعامل النقدي مع التراث، وكيف يمكن مزجه مع الحياة؟

● **نقد التراث وعصرنته:** ينطلق زكي نجيب محمود في تعامله مع التراث من نظرية وجدها عند المفكر هربرت ريد<sup>(13)</sup> تقول: "إنني لعلى علم بأن هناك شيئاً اسمه التراث، ولكن قيمته عندي هي في كونه مجموعة من وسائل تقنية يمكن أن نأخذها عن السلف لنستخدمها اليوم ونحن آمنون بالنسبة إلى ما استحدثناه من طرائق"<sup>(14)</sup>. فقد شكلت هذه النظرية المفتاح لكيفية التعامل مع التراث، ولذلك نجد زكي نجيب محمود يشن نقداً شاملاً ضد النظرية الرومانسية والمثالية للتراث، والتي تطالب بالأخذ منه من دون تصور عملي أو مقياس واقعي، يحدد الكيفية التي يمكن أن نستفيد فيها من تراثنا المترامي الأطراف، والمتشعب المجالات من الدين والشعر والنثر والفقه، إلى العلوم والسياسة والكيمياء... إلخ. وعلى ذلك فإن تعامل زكي نجيب محمود مع التراث يكون من زاوية عصرية براغماتية، أي نأخذ ما يفيدنا وينفعنا في الحياة، ويساعدنا على حل مشاكل قد تعترضنا في هذا العالم المتغير، وأن نترك - بل وننقد - قيم من التراث

كانت السبب في تخلفنا وتراجعنا الحضاري<sup>(15)</sup>. وبذلك ينقسم التراث عند زكي نجيب محمود إلى قسمين: الأول هو العيوب التي علينا أن نحاربها في التراث، والثاني القيم التي تستحق البقاء من التراث<sup>(16)</sup>.

فهناك في التراث العربي قيود وسلاسل وعقبات وسلطة واستقواء باسم الحق والعدالة، كما هناك دعوات للتفكير الخرافي واحتكار للسلطة، ودعوات للتكفير دون وجه حق، وهي أمور لابد من التنبيه لها، وبدون فضحها وكشف الدور السلبي الذي تلعبه في حياتنا، لا يستقيم الأخذ من التراث، وسيكون نصيب أي عملية لعصرنة التراث الفشل أو التحول بالتراث لخدمة سلطات معينة. ففي التراث عوامل "تعمل فينا كأبشع ما يستطيع فعله كل ما في الدنيا من أغلال وأصفاد، وأنه لمن



### الهوية في فكر زكي نجيب محمود

العبث أن يرجو العرب المعاصرون لأنفسهم نهوضاً أو ما يشبه النهوض، قيل أن فكوا عن عقولهم تلك القيود، لتنتقل نشيطة حرة نحو ما هي ساعية إلى بلوغه، إنه لا بناء إلا بعد أن نزيل الأنقاض ونمهد الأرض ونحفر للأساس القوي المكين<sup>(17)</sup>.

أما أهم العيوب التي يجب أن نتخلص منها في التراث، فهي ثلاثة عيوب:

1. احتكار الحاكم لحرية الرأي: فالحاكم في تراثنا السياسي ليس صاحب رأي، بل هو صاحب (الرأي) بآل التعريف، أي صاحب الرأي المطلق، وهو الشخص الذي يجب أن يطاع بشكل كامل، أما الناس فليس مسموحاً لهم سوى الطاعة والخضوع وتنفيذ أوامره<sup>(18)</sup>. ولا سبيل لوصل حاضرنا بتراثنا إلا إذا أدنا وتكرنا لسلوك الحكام التسلطي، ورفضنا كل ما يأتي من عصور الانحطاط التي مرت بها - في وقت من الأوقات - حضارتنا الإسلامية، فأساس البلاء هو "أن يجتمع السيف والرأي الذي لا رأي غيره في يد واحدة"<sup>(19)</sup>. وهذا لا شك أنه سيولد لدى الناس الخوف من الحاكم وغياب النقد لديهم، مما سيؤدي إلى غياب حرية الرأي والنقاش والحوار، الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى غياب المجتمع في دهاليز الطاعة والخضوع والضعف والهوان. وما المحن التي مر بها أحمد بن حنبل وابن المقفع والحلاج وشار الشاعر وغيرهم كثير، إلا دليلاً على ضرورة نقد غياب حرية الرأي والحريات السياسية في القسم الأكبر من تاريخنا العربي الإسلامي<sup>(20)</sup>.

2. سلطان الماضي على الحاضر: ويقصد به زكي نجيب محمود سيطرة الموتى على الأحياء، أي النظر إلى الماضي وتراثه نظرة تنجيلية تجعله هو النموذج لمستقبلنا، وهو الوسيلة لحل مشاكلنا، وهو الذي يجب أن ننتمي إليه بشكل كامل، وبطريقة تسليمية مطلقة، تجعل من ذلك التراث القديم معصوماً من الخطأ. في حين أن تراثنا - في حقيقة الأمر - مليء بالكتب التي تروي نقلاً عن المؤرخين، وكثيراً ما يغيب عنها العقل والتحليل لصالح الاجترار والتصنيف والمدح وشروح الشروح... إلخ، ولذلك نجد زكي نجيب محمود يؤكد على ضرورة التصدي لظاهرة تقديس التراث القائم على التلقين<sup>(21)</sup>، وذلك بناء على ما لاحظته من آثار سلبية كبرى بتركها التلقين على عقول الناس وقدرتهم التحليلية، ومن هنا نجد زكي نجيب محمود يدعونا لمواجهة عملية إحياء تراث لا تخدم سوى من يدعو إلى الطاعة والخضوع ورفض الفكر النقدي.

3. تعطيل القوائيم الطبيعية بالخرافات والكرامات: بدون نقد الكتب والمذاهب والآراء التي تعتمد على الخرافات والأوهام والكرامات، التي تضرب عرض الحائط بالقوائيم العلمية والتفسيرات السببية، سيبقى التراث غير قادر على أن يصبح عوناً لنا في الحياة المعاصرة. فعصرنة التراث لا بد أن تبدأ بتحريه من كل العقليات اللاعلمية والتفسيرات غير السببية<sup>(22)</sup>. تعود أهمية هذه الدعوة إلى اعتقاد زكي نجيب محمود أن مشكلة التراث تعود بشكل أساسي إلى ضخامة التراث الذي يعتمد على التفكير اللاعلمي أو الخوارق، والذي يكاد يشكل القسم الأعظم من تراثنا أولاً، وإلى تورط حتى علمائنا المعاصرين في عصور سابقة يمثل هذا النوع من التفكير والتفسير ثانياً<sup>(23)</sup>. وهذا الأمر حقيقة هو أكثر ما أثار استياء زكي نجيب محمود، فلم تعد مسألة تصديق الكرامات والخرافات مقصورة على سواء العامة، بل إن المسألة انتقلت حتى إلى العلماء أنفسهم، ويرجع زكي نجيب محمود انتشار مثل هذه العقليات إلى عصور الضعف التي مرت بها حضارتنا الإسلامية في مراحلها المختلفة من تاريخنا.

ولكن إذا كان هذا ما يرفضه زكي نجيب محمود من تراثنا، فما الذي يقبله، وما الذي يجعل للتراث دوراً في حياتنا المعاصرة؟ وهنا يمكن أن نحدد القيم المقبولة من التراث، والتي تجعل منه تراثاً إيجابياً، ويمكن للناس أن يستفيدوا منه اليوم، وهو الجزء الذي يصلح للحياة المعاصرة.

ويمكن أن نحدد تلك القيم الإيجابية بالنقاط التالية:

1. **التوفيق بين العقل والنقل:** فالحضارة الإسلامية هي حضارة توفيق بين العقل والفكر الفلسفي والإنساني من جهة، وبين الدين الإسلامي ومبادئه وأصوله من جهة ثانية. وفحوى نظرية التوفيق هذه، أنها نظرية تراثية ساهم فيها فلاسفة ومفكرون من أمثال ابن رشد الذي يرى أن "ما جاء في الشريعة وحياً، فيما له صلة بحقيقة الكون، هو نفسه ما يستخلصه العقل من دراسته للكون دراسة مباشرة، فكأنما نحن أمام كتاب واحد كتب بلغتين"<sup>(24)</sup>. وهذا يعني أن الإنسان يمكن أن يصل إلى الحقائق الكبرى للكون عن طريق الدين الإسلامي، وهذه إحدى القيم التي يجب أن نحيتها لكي نؤكد أن الدين الإسلامي متوافق مع العقل أولاً، وأنه دين يحترم كل المعارف والحقائق، سواء أتت من كتب الدين أو كتب العلماء أو كتب الفلاسفة ثانياً، فالمهم أن يعلم الناس أن الشريعة ليست مخالفة للحكمة العقلية<sup>(25)</sup>. ويبدو أن زكي نجيب محمود يؤكد على هذه القيمة الموجودة في التراث لكي يبين أن لا خلاف بين القيم العقلية والدين الإسلامي، وأن الحديث عن أن الدين الإسلامي دين مغلق، يقوم على مجموعة من المسلمات الغيبية، أمر منافي لحقيقة هذا الدين. فالمشكلة هنا "أننا نعيش أزمة مسلمين وليس أزمة إسلام، أزمة عقل وليس أزمة قوة"<sup>(26)</sup>.

2. **قيم الفن الإسلامي:** يعد الفن الإسلامي من المجالات التي لم تأخذ حقها من الاهتمام والدراسة، ولذلك بقي في دائرة المجهول، حتى بالنسبة لبعض المهتمين بشؤون الفنون الإسلامية. والقيمة الأساسية التي يريد زكي نجيب محمود العودة إليها وإحيائها من تراثنا هي أن الفن الإسلامي "فن فكرة قبل أن يكون فناً مراده أن يعكس الكائنات على الخامة التي يستخدمها، بكل تفصيلاتها أو بعضها، على سبيل المحاكاة للمحاكاة ذاتها"<sup>(27)</sup>. فالرسامين والفنانين العرب اتجهوا إلى الرسم والتصوير والنحت، لكي يخلدوا الأفكار وليس الأفراد، لأن الأفراد فانون، في حين أن الأفكار هي التي تبقى. يضاف إلى ذلك أن اتجاههم إلى هندسة الأشكال لما تتطوي عليه هذه الأشكال من حقائق رياضية، ورؤية الحقائق في تجريدها، هي عندهم العالم الحقيقي البعيد كل البعد عن العالم الواقعي المتغير الفاسد<sup>(28)</sup>. وبناء على ما سبق يمكن القول إن تفسير زكي نجيب محمود للفن الإسلامي مستمد من نظريات فيثاغورث وأفلاطون، وهو تفسير بعيد كل البعد عن التفسيرات الاستشرافية التي اتهمت هذا الفن بالضعف والفقر الروحي.

والخلاصة التي يريد زكي نجيب محمود أن ينتهي إليها هي أن الفن والرسم والنحت ليست محرمة في الدين الإسلامي، وأن الربط بين الرسم والنحت وعبادة ما هو مرسوم أو منحوت هي أمور مبالغ فيها من قبل بعض الاتجاهات الإسلامية المتشددة، لأن الرسوم هنا تريد أن تبلغ الأفكار والمبادئ وليس تجسيدات الفانية<sup>(29)</sup>. وهذا هو مصدر اللبس في فهم الفن الإسلامي.

1. **القيم العقلانية التي يزخر بها التراث:** إن استخراج القيم العقلانية والتقدمية من بطون كتب التراث مسألة بحاجة إلى جهد وعمل، ولذلك لم يتصدى لها الكثير من المثقفين، سيما وأنها قيم غير جلية وتحتاج إلى قراءة وتدقيق. ولذلك يأخذ زكي نجيب محمود هذه المهمة على عاتقه، ويعمل على استخراج عدد كبير من القيم والمقولات والمناهج والرؤى التي يمكن للفكر العربي المعاصر أن يأخذها وتمثلها وينشرها، وهي قيم منتشرة في تراثنا المترامي الأطراف، ولا تحطها عين الباحث والمنقب. وهنا نجد زكي نجيب محمود يتجول في مختلف الكتب التراثية، لكي يثبت لنا أن في التراث قيم تقدمية وعقلانية، نحتاجها اليوم، أكثر من أي وقت، ولا بد من توظيفها اليوم لخدمة الحياة الثقافية المعاصرة. ومن هذه القيم قول الغزالي: (لا مطعم في الرجوع إلى التقليد بعد مفارقتة)<sup>(30)</sup>، وهو كلام يشهد بأن هناك شخصيات إسلامية معروفة لم تكن تقبل التقليد الأعمى لما أصبح من الماضي، لأنه لا نفع من وراء هذا التقليد. أما القيمة الثانية فهي إدراك تراثنا لنسبته كلمات مثل:

### الهوية في فكر زكي نجيب محمود

الحق، الخير، العدل... إلخ، ومعرفتهم أن للحقائق مناهج متعددة، ومتناقضة في بعض الأحيان، وخير مثال على ذلك طريقة كل من أبو حيان التوحيدي والغزالي ومسكويه في مناقشة بعض القضايا بطريقة عقلانية تدرك أن الحقيقة نسبية وأن الطرق العلمية والمنطقية والفلسفية والدينية في التفكير، كلها طرق تخدم الفكر البشري وتجعله أكثر عمقاً في إدراك موضوعه، وذلك بخلاف بعض التوجهات المعاصرة التي تميل إلى حصر نفسها في زاوية معينة أو منهج معين<sup>(31)</sup>.

هذه بعض من القيم العقلانية والعلمية التي يريد زكي نجيب محمود منا أن نستعيدوها ونهضمها من تراثنا، وهذه هي القيم التي يقصدها عندما يقول إن للماضي دوراً في حياة الأحياء، وهذا هو المقصود عندما يقول إنني لا أخذ من التراث إلا ما يمكن أن أطبقه بشكل عملي، ويمكن توظيفه في حياتنا الحديثة، المليئة بالمشاكل والتحديات. ولكن كيف نظر زكي نجيب محمود لعلاقة الهوية بالانتماء والنماء والتنمية والنزعة الإنسانية والثقافات الأخرى؟

**ثانياً- علاقة الهوية بالانتماء والنماء:** لدى زكي نجيب محمود نظرية في الانتماء تقول: إن الإنسان يشعر بالانتماء الفطري إلى المكان الذي ينمو فيه، إذا ما وفر له هذا المكان الظروف المواتية لنمائه. لذلك فهو يرى أن الانتماء إلى وطن ما ليس بحاجة إلى موعظة أو توجيه من أحد، وإنما كل ما نحن بحاجة إليه هو أن نوفر للمواطن عوامل النمو والازدهار في بلده، وهو عندئذ سيشعر بالانتماء إلى هذا الوطن مدفوعاً بفطرته<sup>(32)</sup>.

وإذا كان هذا الانتماء الفطري للمكان مشترك بين الإنسان وبقية الكائنات الحية، إلا أن الإنسان يفتقر عنهم بانتماء آخر وهو الانتماء الثقافي. ويقصد زكي نجيب محمود بذلك أن لدى البشر نوع من "الانتماء الثقافي" الذي يدخل الفرد في مجموعة متكاملة من الأفكار والقيم والأعراف التي تميز مكان ما، يشعر هذا الفرد أنه يحق له النمو والازدهار فهناك علاقة قوية بين تنمية الإنسان وانتمائه، فهو ينتمي إلى حيث ينمو<sup>(33)</sup>. وبناء على ما سبق يؤكد زكي نجيب محمود على أن الدول عليها إذا ما أرادت أن تزيد من انتماء المواطنين لأوطانهم أن تسهر وتكد من أجل أن تحقق لهم النمو، وتوفر لهم كل الظروف التي تساعدهم على تحقيق النمو الحضاري. وهذا هو الفرق بين البلدان المتقدمة حضارياً، والبلدان المتخلفة.

ومن خلال ذلك نجد أن الهوية مرتبطة بالناحية الاقتصادية والتعليمية والحقوقية والحريات والعيش الكريم، لأنها أمور ضرورية حتى تزيد من انتماء المواطن لوطنه، والعكس صحيح أيضاً، لأن تخلف البلدان وعدم جديتها في تنمية الحياة تدفع الناس إلى التفكير في الهجرة، حيث تكون درجة انتمائهم لهذه البلاد تكون قد تراجعت، الأمر الذي يدفع الإنسان إلى البحث عن وطن آخر، قد يحقق فيه تنمية لأوضاعه وأحواله، تضمن له العيش الكريم<sup>(34)</sup>. وهذا يعني أن الإنسان يرتبط بالانتماء لوطنه كلما كان هذا الوطن يعلي من قيم القانون، ويطبق بعناية الواجبات، ويعطي بدقة الحقوق، ويسهر على حرية المواطن وراحته وتعليمه، وأن هذا الانتماء سرعان ما يتراجع إذا غابت تلك الأمور. يوضح زكي نجيب محمود ذلك بالقول: "لكن هل يمنع ذلك أن نجد مصرباً يعبر لنا عن شعوره الحقيقي الداخلي، فإذا به قد ضاق بمصريته تلك، وأخذ يفكر فعلاً في هجرة عسى أن تنتهي به إلى التخلص من جنسيته واكتساب جنسية أخرى؟ فمثل هذا الإنسان، لو طلبنا منه أن يرتب صفات هويته كما يشعر هو لا كما هو مفروض عليه من خارج ذاته، لما وضع مصريته في أول الدرجات"<sup>(35)</sup>.

هذه هي حالة المجتمعات التي لا تستقيم فيها الحقوق والواجبات مع ما يرغب فيه الفرد ويرتضيه، وإنما تفرض عليه فرضاً، أما في المجتمعات المثالية فتكون الدساتير ملائمة لما يشعر فيه الفرد بداخله، وهنا تكون تراتبية الهوية عند الإنسان مثالية، فيضع مصريته بالمرتبة الأولى.

### الهوية في فكر زكي نجيب محمود

ومن خلال ما سبق يمكن لنا أن نستنتج أن زكي نجيب محمود لا يعول كثيراً على العناصر المعنوية في عملية تكون الهوية لدى الأفراد، بقدر ما يعطي العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الدور الأساسي. فالهوية يجب أن تنشأ في وجدان الإنسان عن حب وطاعة وقناعة، لا عبر الدساتير والقوانين والمواظ. وهذا يعني أن الهوية مسألة نفسية ترتبط بالشعور الداخلي بالانتماء، ولكنها أيضاً مسألة عملية واقعية، لأن هذا الشعور لا يبد من عوامل واقعية تغذيه في وجدان الإنسان.

وهذا يعني أن مسألة الهوية بالنسبة لزكي نجيب محمود "ليست متوقفة على وعظ نلقيه على الناس عبر قنوات الإعلام، قائلين لهم بالكتب والنشرات والخطب والمقالات والأغاني والمسلسلات: إن انتماء المصري لمصر واجب، نعم: هو أوجب الواجبات، كما يعلم كل مصري علم بالفطرة ذاته، إن لم يكن بحكم ما اكتسبه المصري من تعلق طبيعي شديد بأرض الوطن، لكن ذلك كله تتغير موازينه في قلوب الناس، وتأخذ المقومات الأخرى في مزاجمة الروح الوطنية على الأولوية والصدارة، كما حدث بالفعل بالنسبة إلى مئات الألوف من مواطنينا، من هاجر ومن لم يهاجر"<sup>(36)</sup>، ولذلك يمكن أن تحدد مقياس للدول التي تنمي أبناءها، وما إذا كانت هذه الدول تعمل على زيادة حب مواطنيها لوطنهم أم لا. ويقوم هذا المقياس، على الواجبات التي تقوم بها الدول، والتي بدون تلك الواجبات تكون مسألة الانتماء والروح الوطنية في أدنى مستوياتها. ويمكن تحديد هذا المقياس بالأعمال التالية:

- على الدولة أن تهتم بالعلوم ومختلف المنتجات العصرية والتكنولوجية الحديثة، وأن تجعلها في متناول الناس، ليس فقط من أجل التطبيق والمعرفة، وإنما أيضاً لكي يبدعوا فيها، ويعيدوا في ابتكارها وتوظيفها في أشكال جديدة<sup>(37)</sup>.
- تحويل النظام التعليمي من نظام يقوم على الحفظ والمحاكاة، إلى تعليم يقوم على الابتكار والإبداع. فمسألة التعليم ومحو الأمية بشكل شبه كامل من سمات الدول المتقدمة، وصفة يفتخر بها أبناء الوطن<sup>(38)</sup>.
- أن تضمن الدولة مختلف أنواع الحريات، وأن تقوم ببناء الإنسان الحر فالذي يشعر بالهوية هو الإنسان الحر، ولا هوية في ظل غياب الحرية<sup>(39)</sup>. فالحرية هي مصدر التحضر، وكل الأمم الحديثة بنت نهضتها وهويتها وسبجت أوطانها بالحرية، والإنسان لا يشعر بالانتماء إلى وطن لا يشعر فيه بالحرية بمختلف أنواعها من حرية التعبير والفكر، وصولاً إلى الحريات السياسية والاجتماعية. وبدون هذه الشروط ستبقى الأوطان متخلفة ومتراجعة حضارياً، وستعرض للهزائم، وأطماع الآخرين، وعندها ستظهر أنواع هدامة من الانتماء والهويات، ألا وهي الهويات التي تلوذ بالماضي، وتأخذ بتمجيده، كنوع من التعويض عن انسداد أفق المستقبل. ويبدو أن هذا ما حصل للعالم العربي بعد هزيمة 1967، فنحن شعوب – بحسب زكي نجيب محمود – حتى الهزائم لا نتعلم منها، لأننا نعيشها بالكلام والكتابة، وليس بشكل عملي يدفعنا إلى تحليلها وفهمها، والتحليل والفهم يعني أن تعمل على تجاوز الأسباب العملية للهزيمة، لا أن نستحضر الماضي وبطولاته لكي نسكن بها جراح اليوم، بحيث يصبح الانتماء إلى الماضي أكبر من الانتماء للحاضر، والشعور بالارتباط النفسي مع معارك الماضي أكثر من الارتباط والتعاطف مع مشكلات الحاضر وهموم المستقبل. فالهزائم تشوه حتى الانتماء، وتبعثر الهوية. ولذلك كان لا بد للدول من أن تحصن شعوبها بالتأسيس لأسباب القوة<sup>(40)</sup>.

### الهوية في فكر زكي نجيب محمود

ثالثاً- مكونات الهوية المصرية واستيعاب الثقافات الأخرى: تقوم نظرية زكي نجيب محمود عن الهوية بالتوفيق بين الهوية العامة والهوية الخاصة، وتكوين ما يسميه "دوائر الانتماء" وتقاطعاتها، وتحديد أولوياتها عبر تحليل علمي واجتماعي لمسألة العلاقة بين مختلف الهويات التي تتراكم في وجدان كل فرد، وتقوم نظرية زكي نجيب محمود في الهوية على التأسيس من الخاص إلى العام، أي من الجزء إلى الكل. وبهذا المعنى تكون هوية المصري مثلاً هي: مصري أولاً، ثم عربي ثانياً، ثم مسلم ثالثاً، دون أن يكون أي تناقض بين تلك الانتماءات، بل على العكس فإن بعض هذه الانتماءات يكمل بعضها الآخر، بحيث تقوم على الانسجام. يقول زكي نجيب محمود في جواب عن سؤال: من أنت؟ "عند هذه النقطة يبدأ الإشكال. فأول الإجابة بديهي وسهل، لكن تأتي الصعوبة التي كثيراً ما يثور حولها الخلاف، عندما نريد أن نمثد بعد تلك الخطوة الأولى بضع خطوات. فأنا أقر عن نفسي - أنا كاتب هذه السطور - أنني لم أتردد منذ الوهلة الأولى أن أرتب خطوات الانتماء بعد مصريتي بذكر عروبيتي، فإسلامي، بحيث أقول: أنا مصري، عربي، مسلم، ولم أحسب أن مثل هذا الترتيب لخطوات الانتماء يثير اعتراضاً من أحد... فمصر جزء من الوطن العربي، وهذا الوطن العربي جزء من أوطان يدين معظم أهلها بالإسلام"<sup>(41)</sup>.

وبناء على ذلك تكون الهوية عند زكي نجيب محمود هي أولاً وطنية، ثم قومية، ثم دينية. ويبدو أن هذا الترتيب قد قوبل بالرفض من قبل القوميين الذين أكدوا على أن الانتماء الأول هو للقومية قبل الوطن، ومن قبل ذوي الاتجاه الديني الذين يعتبرون الانتماء الديني له أولوية الأولويات. لذلك يدخل زكي نجيب محمود مع هؤلاء في نقاش طويل لتأكيد وجهة نظره. ويرد زكي نجيب محمود على الذين يتمسكون بأولوية الانتماء الإسلامي، ويؤكدوا أن الإنسان في النهاية يمكن أن يتخلى عن انتمائه الوطني، ولكنه لا يمكن أن يتخلى عن دينه، بالقول: "الوضع الطبيعي في البناء الاجتماعي السليم، هو أن تجيء مشاركة المواطنين في وطنهم، بالواجبات والحقوق، أسبق من مشاركتهم أو عدم مشاركتهم في الدين"<sup>(42)</sup>.

فالمسألة هنا مسألة وطنية أولاً وقبل كل شيء، والوطنية لا تتناقض وتتعارض مع الدين، بل يمكن أن تتداخل معه، ولكن على أسس وطنية. والوطنية تعني أن ننظر إلى الأمر من الخارج، أي من خارج الذات، وليس من داخلها، فالنظر إلى المسألة من داخل الذات قد يعطي الأولوية للدين، ولكن من خارج الذات، يجعل الوطن والمصالح العليا للوطن في أول الانتماءات. ويشبه زكي نجيب محمود هنا وجهة نظره، بالركاب الذين يركبون في سفينة واحدة، "فبأي منظار ينظر قائد السفينة إلى سلوك الركاب من حيث المفاضلة بين راكب وآخر، أو من حيث خطأ السلوك وصوابه؟ إنه ينظر بمنظار سلامة السفينة بركابها، وأما العقيدة التي يؤمن بها كل راكب على حدة، فمتروكة لصاحبها. وهذا هو المعنى الذي عبرنا عنه في ثورة 1919 بعبارة شاعت حتى استقرت في الصدور، وهي عبارة تقول: الدين لله والوطن للجميع"<sup>(43)</sup>.

والأمثلة التاريخية التي يسوقها زكي نجيب محمود على صحة رأيه كثيرة، ومنها مشكلة "الشعبوية" التي أثيرت في القرن الثاني للهجرة، حيث انتهت المناقشات التي أثيرت حول هذه المشكلة، ومحاولة البعض بالتفاخر بالإسلام في وجه الفرس، إلى أن الانتماء للقوم والدولة لا يقل أهمية عن الانتماء الديني. هذا إذا ما توقفنا عند حالات عديدة تحارب فيها أبناء الديانة الواحدة وانقسموا إلى دول متناحرة، وهذا ما حدث مثلاً بين باكستان وبنجلاديش<sup>(44)</sup>.

وفيما يتعلق برد زكي نجيب محمود على الذين يعتقدون بأولوية الانتماء للقومية أو الوطن، فإنه يذهب إلى أن "العروبة والمصرية تسيران في خط واحد... فهناك شبه في البنية المنطقية بين قولنا، الشعب المصري جزء من الأمة العربية، وقولنا مؤلفات الحكيم جزء من الأدب العربي. فللجزء

### الهوية في فكر زكي نجيب محمود

الأصغر صفات تميزه ولا شك، لكن هذا التميز لا ينفى عنه وقوعه جزءاً من كل يحتويه، ولولا تعدد السيادة والقيادات في أجزاء الوطن العربي الكبير، لظهرت الحقيقة صارخة، بأن في هذا الوطن، من أقصاه ذات الشرق، إلى أقصاه ذات الغرب، كياناً يتنفس ويتغذى من جذور ثقافية واحدة<sup>(45)</sup>. وهذا يعني أن الفروق بين الوطنية والقومية، وقيام كيانات وطنية، بالنسبة للعالم العربي، هي أمور مزيفة، وناتجة عن وضع خاص يتمثل في وجود أنظمة تبحث عن سيادتها الخاصة، ولذلك تم اختراع الدول العربية المتناثرة هنا وهناك.

هذا فيما يتعلق بعلاقة الهوية المصرية بالهوية القومية والإسلامية، أما بالنسبة لعلاقة الهوية المصرية بالنسبة للثقافات الأخرى، فإن زكي نجيب محمود يؤكد أن لهذه الهوية ميزة خاصة تتمثل في أنها ملقاة عدد من الثقافات التي تلاقت ضمن بوتقة هذه الهوية. ولذلك يخطئ من يضع هذه الثقافات في مقابل بعضها، بل لا بد من وضعها بجانب بعضها البعض. فقديماً سادت الثقافة الفرعونية ثم في العصور الوسطى سادت الثقافة الإسلامية، ثم في القرن الثامن عشر، تلاقت هاتين الثقافتين مع الثقافة الأوروبية الحديثة، وعلى ذلك فإن الثقافة المصرية، ومن ورائها الهوية المصرية، هي محصلة إجمالية لتلك التلاحقات، ودمج إيجابي بين قيم ورؤى وأعراف مختلف تلك الثقافات. وتعود قدرة الثقافة المصرية في استيعابها وتفاعلها مع مختلف الثقافات إلى ميزة في هذه الثقافة، وهذه الميزة الانفتاح وتقبل الآخر مع مراعاة الخصوصية الحضارية<sup>(46)</sup>.

فالثقافة المصرية تفاعلت مع الثقافة الإسلامية الوافدة، ولكنها لم تتخل عن خصوصيتها الفرعونية، مثلما تفاعلت مع الثقافة الأوروبية الحديثة، ولكنها أيضاً حافظت على نوع من الخصوصية. وهذا هو السر في أن المصري هو في وقت واحد: مصرياً، عربياً، إسلامياً، إفريقيًا، وإنسانياً<sup>(47)</sup>.

**رابعاً- أهمية النزعة الإنسانية في تبلور مفهوم الهوية:** على الرغم من الجهود التي بذلها زكي نجيب محمود في تكوين مفهوم متوازن للهوية، يوفق أولاً بين الأصالة والمعاصرة عبر رؤية تقوم على الأخذ منهما معاً، على أسس برغماتية وعلمية وواقعية، بعيداً عن الاستسهال المثالي والنزعة الوعظية، ويوفق ثانياً بين الهوية المصرية والعربية والإسلامية على أساس من نظريته التي تقدم الوطنية على بقية الانتماءات، ويوفق ثالثاً بين مختلف الثقافات والهويات التي عاشتها مصر وتأثرت بها، كالثقافة الفرعونية والمجال الإفريقي، ووصله في النهاية إلى ما يمكن أن نسميه بالنزعة الإنسانية للهوية، وهي نزعة تذهب إلى النظر إلى الإنسان على أنه إنسان أولاً، بغض النظر عن انتماءاته المختلفة، وإلى أن هذا الإنسان عليه أن ينتمي إلى الإنسانية جمعاء، وأن يوفق بين هذه النزعة وانتماءاته الوطنية والدينية بشكل إيجابي وبناء<sup>(48)</sup>.

إن هذه الأفكار التي قدمها لنا زكي نجيب محمود عن الهوية لم تسلم من النقد، سواء بحجة أنه يستورد مناهج وعلوم وطرق حياة الغرب، ويريد تطبيقها مع بعض التجميلات والتعديلات، وتمريضها عبر عباءة التوافق مع التراث والانتماءات الوطنية والدينية، أو بحجة أنه لم يعط للإسلام حقه، والمكانة التي يستحقها عندما نتحدث عن هويتنا.

غير أن مثل هذه الانتقادات لم تتصف زكي نجيب محمود من حيث تأكيده على أنه لا بد من الخروج من الثنائيات التي تهيم على الثقافة العربية، الأصالة والمعاصرة، العقل والوجدان، نحن والغرب، المعقول واللامعقول... إلخ، وأن هذا الخروج من الثنائيات لن يكون بلا ثمن، ولكن يكون دون خسائر يتعرض لها هذا الطرف أو ذاك. أما استفادته من المناهج الغربية فقد بقيت في حدود الخطوط العامة، والمؤثرات الكلية، التي يمكن لأي حضارة أن تتأثر بها دون أن يطيح ذلك بخصوصيتها ووجودها الحضاري المستقل. فالمناهج الغربية "كانما أعطته الإطار النظري الذي

### الهوية في فكر زكي نجيب محمود

كان يبحث عنه، وإن كانت استفادته من هذا المذهب أو ذلك لم تتعد الخطوط العريضة التي تعينه على حل مشكلاته، ومشكلات أمته الفكرية<sup>(49)</sup>.

والآن يمكن أن نحدد الملامح الرئيسية لمفهوم الهوية عند زكي نجيب محمود:

1. إن مفهوم الهوية عند زكي نجيب محمود يقوم على التوفيق بين الهويات الجزئية والهويات الكلية، ولا يلغي إحداها على حساب الأخرى. فهو مثلاً يوفق بين الهوية الوطنية والدينية، بخلاف أنصار الهوية الإسلامية والتجربة الإسلامية، دون إعطاء أي خصوصية للشعوب.

2. الهوية عند زكي نجيب محمود هوية منفتحة ويبدو أن هذا هو مصدر قوتها، فهي هوية تستوعب الجميع، والكل يجد لنفسه مكاناً في هويته. وذلك بخلاف الهويات ذات الطابع الإيديولوجي، التي تتمسك بجانب واحد، وتتخذ من الجوانب الأخرى أعداءً لا بد من محاربتهم، كما حصل مع القوميين الذين حاربوا الهوية الوطنية وعدوها دعوة للتجزئة والتفرقة بين مكونات الشعب العربي. أما زكي نجيب محمود فإنه وبحكم نزعه الواقعية والموضوعية، يؤمن بأن الوطن هو الحجر الأساسي للهوية، وأن لا تعارض بين الوطنية والقومية إلا عند من يريد أن يزايد على العواطف الوطنية والقومية لدى الشعوب.

3. كما أنه هويته تركيبية، بمعنى أنها تركيب العام من الأجزاء، وذلك بخلاف الهويات المثالية والإيديولوجية التي تتطلق من العام أو الكلي، وتلغي الخاص أو تهمشه. فكون الشعوب العربية إسلامية وعربية فإن هذا يجب أن يفهم من الجزء، أي من كونهم شعوب تعيش في دول، وهناك أنظمة سياسية ذات سيادة، وأن هذه الشعوب بحاجة إلى أن تحل مشاكلها التربوية والاجتماعية ومشاكل المرأة والتنمية... إلخ، وهذه بحاجة إلى إطار وطني، ولا تحل في الهواء أو عن طريق العواطف القومية أو الدينية.

4. على خلاف نظرة بعض المفكرين العرب لعلاقة الهوية بالغرب، وتحميلهم لذلك الغرب دوراً كبيراً في التراجع الحضاري للعالم العربي، ووصفهم للغرب بأنه دائم التآمر، وأنه هو الذي زرع إسرائيل في قلب هذا العالم، إلا أن زكي نجيب محمود وعلى الرغم من إدراكه لهذا الوجه الاستعماري للغرب إلا أنه لا يميل إلى تكوين هوية عربية تحت ضغط الغرب، بقدر ما يميل إلى تكوين هوية تواجه حالة الفوضى العقلية والاجتماعية والسياسية التي يعيشها عالمنا العربي. فالهوية عنده يجب أن تستعيد التراث وتستعيد منه بشكل عملي، وأن تأخذ بالطرق والمناهج الغربية في الحياة والتطور، وأن تفكك اللامعقول الذي يملأ الحياة العقلية العربية، وأن تفضح الاتجاهات السلفية التي تريد الماضي أن لحكم الحاضر، وأن تطالب بالحرية السياسية التي تميل الأنظمة العربية إلى تجاهلها تماماً. وعلى ذلك فالهوية عنده تتشكل تحت ضغط الواقع ومشاكله، وليس تحت ضغط الغرب، وذلك لإدراكه أن حالة الضعف والهوان، هي التي تدفع الهوية باتجاه الانغلاق وتؤدي إلى وقوعها فريسة في براثن اللامعقول.

5. إن الهوية عند زكي نجيب محمود هي المحافظة على التراث، ويعد ذلك اختزال كبير أمة، واستهانة لأهمية الدين والتاريخ والتراث في صنع واقع وحضارة.

#### هوامش البحث:

1. زكي نجيب محمود، في تحديث الثقافة العربية، دار الشروق، القاهرة، 1994، ص 6.
2. زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، دار الشروق، القاهرة 1979، ص 6.
3. المرجع نفسه، ص 10.
4. زكي نجيب محمود، في مفترق طرق، دار الشروق، القاهرة، 1993، ص 213.
5. زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، مرجع سابق، ص 13.

الهوية في فكر زكي نجيب محمود

6. المرجع نفسه، ص18.
7. زكي نجيب محمود، من خزانة أوراقه، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1996، ص148.
8. زكي نجيب محمود، في مفترق طرق، مرجع سابق، ص95.
9. زكي نجيب محمود، في تحديث الثقافة العربية، مرجع سابق، ص149، 150.
10. زكي نجيب محمود، في مفترق طرق، مرجع سابق، ص104.
11. المرجع السابق، ص103-104.
12. زكي نجيب محمود، من خزانة أوراقه، مرجع سابق، ص184.
13. هربرت ريد: ناقد ومفكر إنجليزي.
14. زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، مرجع سابق، ص17.
15. المرجع السابق، ص18.
16. زكي نجيب محمود، قيم من التراث، دار الشروق، القاهرة، 2000، ص5.
17. زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، مرجع سابق، ص26-27.
18. المرجع نفسه، ص34.
19. زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، مرجع سابق، ص33.
20. المرجع نفسه، ص33.
21. المرجع نفسه، ص57.
22. المرجع نفسه، ص58.
23. زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، مرجع سابق، ص59.
24. زكي نجيب محمود، قيم من التراث، مرجع سابق، ص21.
25. المرجع نفسه، ص22.
26. زكي نجيب محمود، من خزانة أوراقه، مرجع سابق، ص150-151.
27. زكي نجيب محمود، قيم من التراث، مرجع سابق، ص18.
28. المرجع نفسه، ص16.
29. المرجع نفسه، ص17.
30. زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، مرجع سابق، ص87.
31. المرجع نفسه، ص87-88.
32. زكي نجيب محمود، في مفترق طرق، مرجع سابق، ص188.
33. المرجع نفسه، ص189.
34. المرجع نفسه، ص190-191.
35. زكي نجيب محمود، رؤية إسلامية، دار الشروق، القاهرة، 1993، ص351.
36. المرجع نفسه، ص351-352.
37. زكي نجيب محمود، في مفترق طرق، مرجع سابق، ص191.
38. المرجع نفسه، ص191.
39. زكي نجيب محمود، عن الحرية أتحدث، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999، ص79.
40. المرجع نفسه، ص37-38.
41. زكي نجيب محمود، رؤية إسلامية، مرجع سابق، ص348.
42. المرجع نفسه، ص352.



الهوية في فكر زكي نجيب محمود

43. زكي نجيب محمود، رؤية إسلامية، مرجع سابق، ص352.  
44. المرجع نفسه، ص353.  
45. المرجع نفسه، ص356.  
46. زكي نجيب محمود، قيم من التراث، مرجع سابق، ص189.  
47. زكي نجيب محمود، في مفترق طرق، مرجع سابق، ص189.  
48. المرجع السابق، ص189.  
49. إمام عبد الفتاح إمام، رحلة في فكر زكي نجيب محمود مع نص رسالته في الجبر الذاتي ترجمة، إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2001، ص129.

## الفن وخطاب التأويل السلبي

أ. سعاد بشير الخراز  
كلية التربية - جامعة طرابلس

### مقدمة:

الفن بكل صورة هو الراحة النادرة التي نأوي إليها، وننسى في ظلها كل مشاكل عالمنا الحاضر، ونعيش معها لحظات سعيدة مبهجة بقيمتها الفنية والجمالية، التي نرتقي بذوقنا لها في كل مرة نحو الأفضل، ونحس بإنسانيتنا التي يجب أن تكون مليئة بالحب والسعادة بعيداً عن العداوة والبغضاء والحروب.

إن فلسفة الفن هي فرع من الفلسفة الأم تهدف إلى البحث في طبيعة الفن الجميل، وطبيعة التدوُّق الفني وأهمية الفن في التجربة البشرية، الأستاذ جيروم ستولنيتز "Jerome Stolnitz" يرى بأن الفن يرتبط بسائر جوانب النشاط الإنساني. وحدد الألفاظ التالية في "الفن" و"الاستطقي" و"الجمال". حيث يرى أن دراسة الفن تختلف تماماً عن دراسة الجمال الذي يشير إلى جاذبية الأشياء أو قيمتها، بينما يعني "الاستطقي" يشير إلى إدراك موضوعات عالية القيم الإبداعية والتطلع إليها، إن دور الفن يمكن أن يكون ضاراً بقدر ما يكون نافعاً، وهناك طرق لا حصر لها يستطيع بها الفنان أن يعمل على هدم السعادة الشخصية والاجتماعية، فهو قد يفسر ولا سيما بين الصغار إذ تنتج الدوافع نحو سلوك غير مشروع ومضاد للمجتمع، وهو قد شكك في المثل العليا التقليدية ذات الضرورة الحيوية بالنسبة إلي النظام الاجتماعي، وفي وقت الأزمات السياسية أو العسكرية قد يكون الفن داعية للفتن والتخريب.

**مشكلة الدراسة:** في غياب اشتغال الخطاب الفلسفي والجمالي والنقدي والمعرفي والمفاهيمي الذي يوضح أدبيات الفن للناس بالتوازي مع التظاهرات نفسها ومع ارتباط بنية الذائقة والتواصل الجمالي بما هو فهم مباشر، تصبح المسألة الثقافية كلما تعلق بهذا الفن معرضة لسوء الفهم والإضرار والحكم المسبق على عملية الإنتاج نفسها.

### تكمّن مشكلة البحث في التساؤلات التالية:

- 1- ما هي أبعاد ومستويات ثقافة الفن التشكيلي في مجتمعنا الليبي؟
- 2- ما مدى تأثير الفن التشكيلي على التكوين الثقافي في مجتمعنا؟
- 3- ما هو دور الفن التشكيلي الليبي في الرقي بالتدوُّق الفني؟

### أهمية البحث:

1. توضيح مواقف الديانات السماوية الثلاث من مسألة التحليل والتحرير للصورة وقيمتها التعبيرية والجمالية.
2. توضيح كيفية القراءة البصرية للصورة الفنية، و تأويلها.
3. تنمية الرؤية البصرية لدى المتلقي من خلال الفكر المتفتح والمنطق.
4. توضيح مدى تعقد مسألة التدوُّق الفني ما بين التأويل الإيجابي والسلبي.

### أهداف البحث:

#### يهدف البحث إلى:

1. الكشف عن الأبعاد المختلفة لثقافة الصورة البصرية، ودورها في إثراء التدوُّق الفني في المجتمع الليبي.
2. التعرف على مواقف التحليل والتحرير للفن التشكيلي من خلال الديانات السماوية.

### الفن وخطاب التأويل السلبي

3. الكشف عن طبيعة التأول للفن و مسألة التنوُّق الفني.  
**منهج البحث:** استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي القائم على جمع المعلومات والبيانات من المراجع والمصادر ذات العلاقة لبناء الإطار النظري للبحث.

#### حدود البحث:

الحدود المكانية: المجتمع العربي.

الحدود الزمانية: الزمن المعاصر.

الحدود الموضوعية: خطاب التأويل السلبي والتحرير للفن.

تأتي مسألة الذوق الفني ودرجاته حسيما يحمله المتنوق من ثقافة بصرية من خبرات جمالية وذكاء في الفهم، على اعتبار أن الإدراك الجمالي (Perception) يسير وفق هذا النظام فالإدراك هو: عملية عقلية معرفية، تنظيمية يقدم العقل فيها بتفسير ما تستقبله الحواس جمالياً.

تظهر في مجتمعاتنا العربية بشكل عام، وفي مجتمعنا الليبي بشكل خاص إشكالية الفهم الجمالي، والتأويل الفني التشكيلي لها موقفاً مختلفاً لنظام المشاهدة المرتبطة بروية مختلفة سواء أكانت دينية أو فلسفة أو أيولوجية سياسية معينة فيما يعرف بالتأويل الفني. في تلك التصورات والروية للمفاهيم التي هيمنت على مراحل تاريخ الفهم الجمالي الفلسفي الخاطئ كالممكن والمحمّل، وأحياناً المجرد للمعنى، بروية ومنطق الهيام للتأويل الوجداني المتعالي وغير المنطقي، من جانب آخر مما يفقد التطور والرقى بالإبداع الفني على جميع الأصعدة بكل تأكيد.

**التأويل والتأويل السلبي:** تعرف كلمة التأويل في اللغة: أصل هذه الكلمة مادة (أول) وهذه المادة تدور حول معاني الرجوع، والعاقبة، والمصير، والتفسير يعني خطاب التأويل Hermeneutics الاهتمام بمناهج لتفسير الأدب والفن ويتموقع في الأصل والأساس بتأويل الكتب المقدسة، وتأتي كلمة "تأويل" اشتقاقاً من الكلمة اليونانية harmonics التي تشير إلى المرء الذي لديه القدرة على التفسير، أو جعل الأشياء واضحة، وترتبط أيضاً بالكلمة اليونانية hermus (هرمز) رسول الآلهة المعروف بقدرته على الابتكار.

التأويل في أوسع معانيه هو "توضيح مرامي العمل الفني ككل، ومقاصده باستخدام وسيلة اللغة، وبهذا المفهوم ينطوي التأويل على "شرح" خصائص العمل وسماته، مثل النوع الأدبي الذي ينتمي إليه، ومقاصده وبنيتة و غرضه وتأثيراته. صار لفظ التأويل - بتعدد الاصطلاحات والمصلحة المراد بها حسب التوجه. لقد ظهر التأويل أول ما ظهر في ثقافة العهد الكلاسيكي المتأخر «عندما فوّضت النظرة الواقعية للعالم التي أتى بها التنوير العلمي قوة ومصداقية الأسطورة - وهو السؤال المناسب للرموز الدينية - حتى تتوقف النصوص القديمة على أن تكون مقبولة في حلتها الأولى، يتم عندئذ استدعاء التأويل للتوفيق ما بين النصوص القديمة والمتطلبات الحديثة. ولهذا، قام الأبيقوريون بالتأويل المجازي الرمزي لسمات زيوس وعلاقتها بليتومفا قصده هو ميروسفي ملحمة المشهورة لمطابقتها مع نظرتهم القائمة على وجوب الأخلاق عند الآلهة... لهذا يفترض التأويل مسبقاً وجود خلل ما بين المعنى الواضح للنص و بين متطلبات القارئ فيما بعد والحال، أنه لسبب من الأسباب يتوقف النص عن أن يكون مقبولاً، ومع ذلك فلا يمكن التخلي عنه، فالتأويل هو عبارة استراتيجية راديكالية من أجل الحفاظ على نص قديم يعتقد بأنه ثمين جداً لا يمكن نبذه، وذلك عن طريق إصلاحه، فقد كان أسلوب التأويل القديم كوم أو لكن هم راع لواجبات الاحترام فهو يشيد معنى آخر فوق المعنى الحرفي، أمّا الأسلوب الحديث في التأويل فإنه يحفر من أجل أن يكشف الإبداعية، وهو أثناء حفره يدمر فهو يحفر خلف النص ليعثر على نص تحتي هو النص الحقيقي إن أشهر أنظمة

### الفن وخطاب التأويل السلبي

التأويل شهرة وتأثيراً هو نظام اماركس وفرويد اللذان بلغا حقيقة درجة منظومات مسهية من النظريات المفسرة والتهجمية والتكفيرية من التأويل، وكلا لظواهر البادية للعيان توضع بين قوسين باعتبار - حسب فرويد- تتجلى عن مضمون ذلك أنه يجب سبر هذا المضمون الظاهر للإبداع وتحديثه جانباً من أجل العثور على المعنى الحقيقي، أي على المعنى الكامن وراءه.

لم يقتصر خطاب التأويل والتحرير للفنون من الناحية الدينية فقط وإنما تعدى إلي ما يعرف بالتحرير السياسي والتحرير الاجتماعي والتحرير الثقافي إلي جانب التحريم الأكاديمي، وكل هذه الخطابات كلها تدرج تحت طائلة الخطاب، العام فالخطاب الديني هو جزء من الخطاب العام في أي مجتمع فيكون منفتحاً وحررياً و إنسانياً بقدر ما يكون الخطاب الثقافي العام كذلك بازدهار الخطاب العام، إن الفن هو ممارسة للحرية، بل هو ممارسة لأقصى مستويات الحرية و أن مسألة التأويل التحريمي في الفن في أي خطاب من الخطابات السابقة هو أحد تجليات الفزع من الحرية بشكل عام، وهذا الفزع هو ظاهرة تتميز بها مجتمعاتنا عن سائر المجتمعات الأخرى.

لم يكن عمل النماثيل في معظم الأديان القديمة مثلاً عملت لأجل الفن و إنما كانت لعبادة أرواح الأسلاف حيث يصبح التمثال تمثيلاً رمزياً لهذه الأرواح، إن تأويل و تحريم الفن بأواعه من رسم و نحت و موسيقى ظل نقاشاً لاهوتياً تجريبياً و ظلت الحياة الدينية متداخلة مع الفن، فلا يتصور دين بلا فن، فكل الثقافات تغطي بالتعبيرات الفنية و الأدبية في ممارسة الشعائر، و في تقديم القرابين و في الاحتفالات الدينية على نحو عام .

من الواضح إذن أن المسألة ثقافية بالأساس قبل أن تنحصر في مبادئ الأيدولوجيا و صلفها المتعجرف الذي يسيء إلى الفن والفنان، وهي تتعلق بإشكالية التلقي: كيف ننظر إلى الأعمال الفنية؟ بأي عين نرى؟ وبأي نظر نفكر؟ وبأي فكر ننظر؟

يؤكد أبو زيد أن خطاب التحريم بشكل عام، لا يقتصر على الخطاب الديني، على الرغم من أن الخطاب الديني هو الأبرز حضوراً، والأعلى صوتاً بحكم مركزية "الدين" في أفق الحياة العامة في مجتمعاتنا.

**موقف الديانات السماوية من الفن:** تتداخل قضية التصوير في الديانات الثلاث (اليهودية – الإسلام – المسيحية) على نحو ثابت تاريخياً بأنه كان لكل ديانة على حدة معركتها مع تحريم التصوير، إلا أن الصراعات الدينية والسياسية قد تداخلت، وتدخلت لتغير من شكل القضية وتحصرها في الإسلام وحده.

إن معركة الأيقونات قد امتدت قرابة العشر قرون. ومن الملفت للنظر أن كافة كتب تاريخ الفن تبدأ بالتأريخ لها منذ بدايات عصر النهضة، وكأنها تتحاشى ذكر تلك الفترة الدرامية بكل ما تضمنته من صراعات في محاور مختلفة. مثلما نلاحظ أيضاً استبعاد معظم المراجع للدور الذي قام به العرب والمسلمون سواء في الفن أو في نقل المعارف إلى الغرب، وهو ما تلاحظه أيضاً (مارت برنوستابلور) إذ تقول: "كثيراً ما تغفل المراجع أن الحضارة الإسلامية تمثل حلقة الوصل بين العالم القديم والعالم الغربي. وأن علوم وفلسفة اليونان قد انتقلت إلينا بفضل العلماء العرب. وأن عدداً لا يستهان به من المباني في أوروبا لازال يحمل – بلا أدنى شك - تأثير الفن الإسلامي الذي لا يمكن إغفاله".

واليوم نرى ما يجعل الفن في محطة توقيف وفحص وتأويل سلبي أكثر مما هو إيجابي بكل مقاييس الحضارة. إن مسألة قضية التحريم في الإسلام بدأ أولاً في اليهودية ثم انتقل ضمناً إلى المسيحية قبل أن يلصق بالإسلام.

### الفن وخطاب التأويل السلبي

بعد تحريم الإسلام للفن التشكيلي من تلك الموضوعات التي تغلغت في الخلفية الثقافية لوجدان جمهرة من المسلمين، بقدر ما يثير هذا الموضوع عديداً من الجدل والمناقشات بدايةً بفكرات بعض المستشرقين الذين تحاملوا على الإسلام، وانتهاءً بأولئك الذين أسهموا – اجتهاداً (وللمجتهد أجره وإنْ أخطأ) – في زرع هذه البذرة التي أنتت ثمارها بما يتعارض مع روح الإسلام الذي يحترم قيم الجمال والخير ويحض عليها، والتزاماً بقيم الإسلام وروحه ونصوصه بعيداً عن التعسف، وأول ما يرد للفهم في هذا السبيل، تلك القاعدة الأصولية التي يقوم عليها الإسلام من أن "الأصل في الأمور الإباحة ما لم يرد نص بالتحريم". فإذا نظرنا إلى القرآن الكريم سنجد موضوعين بعينهما يشيران إلى التماثيل، أولهما في سورة "الأنبياء" – آية 52 "، عندما هاجم إبراهيم -عليه السلام- تلك التماثيل التي كان قومه يتخذونها أصناماً: "إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ". فحسب تفسير الطبري كانت تلك التماثيل أصنامهم التي كانوا يعبدونها ..

أمَّا الموضوع الثاني فقد جاء في سورة "سبأ" – آية 13 " إذ قام الجن بالعمل بين يدي سليمان -عليه السلام- وأخذوا "يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَاثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ<sup>٤</sup> اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ".

اختفاء تماثيل الغزاة والحسنة ومسألة التأويل السلبي:

اختفت الغزاة والحسنة لم يبق إلا حوض النافورة المزين بفسيفساء زرقاء، حتى الجرة التي كانت تمسك بها الحسنة اختفت، السؤال المحير عند الكثيرين هو لماذا؟ ومن قام بهذا العمل الغريب؟ هل هو تأويل سلبي أم سرقة لصوصية؟

يعود تاريخ تماثيل الغزاة والحسنة إلى ثلاثينيات القرن الماضي، حيث انجز التحفة النحات الإيطالي انجلو فانتييني من البرونز، والتمثال عبارة عن حسنة عارية تمسك بجرّة وتسد ظهرها على غزاة، ونصب التمثال في ميدان عرف باسم ميدان الغزاة، على مقربة من حديقة البلدية وفي مواجهة الكورنيش، لم يعترض أحد على وجود التمثال العاري منذ زمن بعيد. وهذه ليست المرة

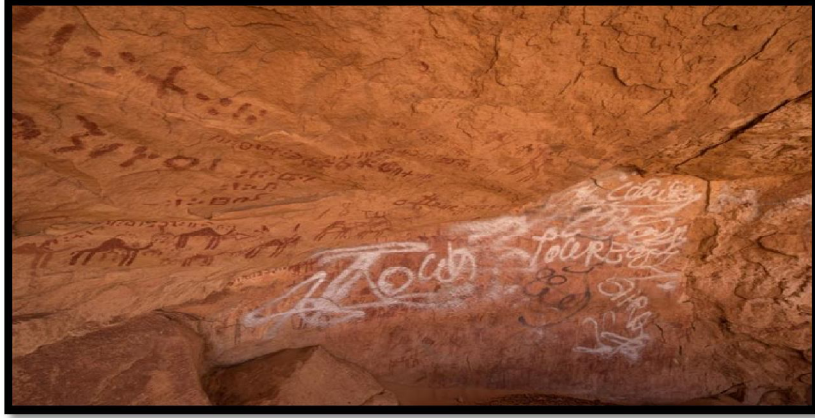


الأولى التي يتم الاعتداء فيها على أجمل تماثيل مدينة طرابلس، ففي عام 2012م تقاجاً سكان

المدينة بقماش أزرق يحيط بكامل التمثال ويحجبه عن المارة، واستنتج السكان أن الإسلاميين المتشددين هم وراء ذلك، مثلما حجب الإسلاميون الجزائريون التماثيل في مدينة الأصنام بعد فوزهم بالانتخابات البلدية عام 1992م، حيث اشتروا بأموال البلدية قماشاً أبيض وغطوا التماثيل النسائية بالكامل، بينما غطوا خصور التماثيل الرجالية حسب فهمهم للشريعة الإسلامية.

### الفن وخطاب التأويل السلبي

من المستبعد أن يكون الإسلاميون وراء ذلك، فهم يدمرون المعلم التاريخي بسرعة عجيبة، ويتركونه حطاماً قبل أن يختفوا، والذي سرق التمثال هذه المرة يعرف قيمته التاريخية والمادية جيداً، وقد يبيعه في السوق السوداء بملايين الدولارات.



صورة التقطت في الأول من يناير 2016م تبين رسوم «غرافيتي» أعلى نقوش تعود لحقبة ما قبل التاريخ على كهف باكاكوس (أ ف ب)

ما بين النهب والتشويه تتعرض الحضارة البشرية في ليبيا لخطر كبير، بسبب ممارسات خاطئة وجاهلة في نفس الوقت بأهمية هذا الإرث الكبير المتمثل في الآثار والرسوم التي تعود لآلاف السنين قبل الميلاد. وأحدث حلقة في هذا المسلسل هو تضرر النقوش الصخرية التي تعود إلى 21 ألف عام قبل الميلاد في جبل أكاكوس جنوب غرب ليبيا، حيث أقدم بشر لا يفقهون، ولا وطنية لهم ولا حس جمالي أصلاً وقاموا بتشويهها برسوم غرافيتي في السنوات الأخيرة.

قضية الآثار في ليبيا باتت مؤلمة لدرجة أصبح فيها الليبي لا يستغرب مدينة أثرية كبيرة يتم العبث بها، وخير مثال لنقوش صخرية عمرها آلاف السنين في جبال أكاكوس في الجنوب وقد شوّهت بالطلاء، و ما خفي كان أعظم.. العبث بكل ما هو عتيق وأثري يحمل روح البلاد، لا يقبله الليبيون بعمامة، ولكنّه يأتي خفية ومن طريق القوة والإرهاب من قبل الميليشيات المسلحة والعصابات في ظل غياب الأمن.

### نتائج البحث:

- 1 - يفتقر الفن في بلادنا إلى ثقافة نقدية سيّارة تراكب هواجس المبدعين وترعاها.
- 2 - وقع تحميل العمل الفني ما لا يتحمل، وكان الاعتداء على الفن نفسه قبل أن يكون اعتداءً على منظومة القيم والنموس الأخلاقي واللغوي العام ومقومات الانتماء... لدى هذا الطرف أو ذلك.
- 3 - ليسبح في على أحد، في أواخر القرن العشرين، إلى أي مدى يمكن المتاجرة بأي شيء، حتى بالدين، من أجل تحقيق المكاسب السياسية أو أية أغراض أخرى. - أن ينقلوا الأعداء التحريم من العقيدة اليهودية وعرسه في الفكر الإسلامي. فمن المسلم به أن الفنون هي أسمى أشكال التعبير الإنساني، ووسيلة من أهم وسائل الحوار الأدمي، ودعامة من أهم الدعائم الأساسية التي تقوم

### الفن وخطاب التأويل السلبي

عليها الحضارات. وأنَّ تحريم التعامل بالمجالات الفنية يعد بترًا لجانب أساسي من جوانب الفكر الإنساني. بتر يؤدي إلى خنق الملكات الإبداعية وإلى تخلف الشعوب التي تقع تحت نير هذا البتر.

#### التوصيات:

- 1 - يفترض وجود خطاب تنظيري واستراتيجي مباشر وربما ندوة بمشاركة نقاد ومنظرين ومؤرخين وأساتذة في علوم الفن من الأكاديميين إنَّ لزم الأمر، لنشر المفاهيم المشتغل عليها...
- 2 - دعم الحوار وتحويل المادة المعروضة من رسم أو نحت أو أي عمل فني إلى فعالية ثقافية حية... إذ الفنّ اليوم، معرفة ومفاهيم تتطلب حدًا أدنى من الثقافة النقدية. وفي مجتمعنا، ما نزال نفتقر إلى ثقافة نقدية سبارة تواكب هواجس المبدعين وترعاها، لذلك كان الفن مفتقدًا لأهدافه في البناء والانخراط في السيرة الاجتماعية، بل كان الفنّ زينة وتلميعًا لتظاهرات أخرى مينة جمالية من طبيعة سياسية وتنشيطية وغيرها.
- 3 - يقوم الفنّ والفن المعاصر بالخصوص على المشاركة، مشاركة الجمهور، الناظر المتأمل، المتفرّج (عندما يتحوّل العمل الفني إلى فرجة) في تكوين عناصر العمل الفني بما فيها العنصر السيميولوجية، عبر تعددية القراءة ومن خلال الجهد التأويلي. فما الذي يبقى للعمل الفني إنَّ كانت مضامينه المقصدية واضحة ولا تحتاج إلى العناء التأويلي الممنوع أو السلبي في نفس الوقت.

#### هوامش البحث:

1. آرثر الزبارجر، النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003م، ص55.
2. إيفا ويلسون الزخارف الإسلامية، ترجمة محمد عامر المهندس، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، 1997، ص29.
3. أبوبكر زمال، مجلة الإذاعات العربية، عدد 2، الجزائر، 2003، ص28.
4. جبروم ستولنيتز، النقد الفني، ترجمة فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1981، ص547.
5. نصر حامد أبو زيد، التجديد والتحريم والتأويل: بين المعرفة العلمية والخوف من التكفير، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2010، ص89 - 91.
6. شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) موقع بوابة الوسط،  
/ http://alwasat.ly/ar/news/culture/94251
7. عمر الكدي، الغزاة والحسناء تهربان من طرابلس، شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) موقع إيوان ليبيا وكالات 30: https://hunasotak.com/article/12896 30: ديسمبر 2016
8. أخذت الصور من قبل الباحث بتاريخ 2010.

## ملاحح التحول الديمقراطي في العالم والوطن العربي: قراءة تحليلية في بعض المؤشرات الدولية

د. محمود سالم جنود  
جامعة الزاوية / كلية الآداب

### مقدمة:

شهدت المجتمعات الإنسانية منذ منتصف القرن العشرين، وبخاصة العقد الأخير منه تغيرات كبيرة على مستوى أنظمتها الاجتماعية، بفعل الثورات الاقتصادية والصناعية والتكنولوجية. التي وصفها البعض بالثورة الصناعية الثالثة، والبعض الآخر وصفها بالثورة الناعمة في إشارة إلى ثورة التكنولوجيا والمعلومات والاتصالات. ومن بين الأنظمة التي طالها التغير النظام السياسي. إذ سعت العديد من المجتمعات إلى تطوير أنظمتها السياسية من خلال تبني أنظمة الحكم الديمقراطية، وإن اختلفت درجة ممارساتها وإنجازاتها. ولم يعد الحديث إلا على ثلاث المجتمعات الإنسانية تقريباً التي مازالت تزرع تحت نظم الحكم التسلطية.

في المجتمعات العربية بالرغم من تأثرها بالمتغيرات الدولية والثورات الاقتصادية والصناعية والتكنولوجية وتفاعلها معها؛ إلا أن الجهود التي بذلت في اتجاه التحول نحو الديمقراطية ما زالت محدودة، وبقيت العديد من المجتمعات محتقظة بأنظمة الحكم السائدة فيها، الأمر الذي ترتب عنه - بحسب المنظور الوظيفي - حدوث خلل وظيفي على مستوى النظام السياسي وبقيّة النظم الأخرى، وكان من نتائج هذا الخلل اندلاع ما سمي بثورات الربيع العربي.

### هدف البحث:

أولاً: التعرف على بعض العوامل التي أسهمت في انتشار قيم الديمقراطية في العالم والوطن العربي.

ثانياً: التعرف على ملاحح التحول الديمقراطي في العالم بعامّة، والوطن العربي بخاصة من خلال التركيز على المؤشرات الدولية التي تهتم برصد حالة الديمقراطية في العالم. ثالثاً: التعرف على أي من أبعاد هذه المؤشرات كان إسهامه أكثر من غيره في التحول الديمقراطي أو حد منه سواء على مستوى العالم أم الوطن العربي. ولتحقيق هذه الأهداف تبني الباحث إحدى تقنيات جمع البيانات للبحث الكمي والمتمثلة في تقنية تحليل الإحصائيات (إنجرس، مورس. 2004م: 184، 222)، وبعد مراجعة لعدد من المؤشرات وقع الاختيار على المؤشرين الدوليين، مؤشر الديمقراطية Democracy Index، ومؤشر الحكم الرشيد The Worldwide Governance Indicators: WGI للعام 2014م. كما تقرر التركيز على البلدان التي حصلت على الترتيب المتقدمة التي توصف في كلا المؤشرين بأنها ذات ديمقراطية كاملة، أو حكم رشيد، بلغ عددها أربعة وعشرين بلداً، وكذلك اختيار أربعة وعشرين بلداً التي تقع في قاع الترتيب بكلا المؤشرين والتي صنفت على أنها ذات أنظمة تسلطية، وعرض أبعاد المؤشرين لهذه البلدان في جداول إحصائية صممت بالخصوص تضمنت البيانات الآتية:

- 1- عرض قيمة كل بعد من أبعاد المؤشرين لكل بلد.
- 2- حساب قيمة متوسط هذه الأبعاد التي تمثل إنجاز البلد على المؤشرين.
- 3- حساب قيمة المتوسط العام لكل بعد لجميع البلدان. ولقد طبق الأسلوب ذاته على البلدان العربية المدرجة بهاذين المؤشرين، وبذلك جاء البحث في مقدمة وأربعة محاور رئيسة. إذ تضمّن المحور الأول، فكرة عن الديمقراطية والتحول الديمقراطي. المحور الثاني، تناول ملاحح التحول



ملامح التحول الديمقراطي في العالم والوطن العربي...

الديمقراطي في العالم. المحور الثالث، تناول ملامح التحول الديمقراطي في الوطن العربي. أمّا المحور الرابع، فيشتمل على المناقشة الختامية والاستنتاجات.

**المحور الأول- عن الديمقراطية والتحول الديمقراطي:** توجد في عالمنا اليوم أربعة نماذج رئيسية لأنظمة الحكم السياسية: الملكية (Monarchy)، والتسلطية (Authoritarianism)، والشمولية (Totalitarianism)، والديمقراطية (Democracy) (Dianakendall,2007:385). يتميز نظام الحكم الديمقراطي عن بقية النظم الأخرى بالتنظيم والفرص الدستورية والإجراءات القانونية عند تغيير القادة وفقاً لإرادة الأغلبية، ومن خلال اقتراح حر ومباشر يشارك فيه جميع المواطنين المؤهلين سواسية وبدون استثناء. كما أنّ اختيار هذا النظام للحكم والانحياز له يحقّ العديد من المكاسب والنتائج المرغوبة على نحو ما يرى دال منها: تجنّب الاستبداد، الحقوق السياسية، الحرية العامة، تحقيق الذات، المسؤولية الأخلاقية، التنمية البشرية، حماية المصالح الشخصية الأساسية، المساواة السياسية، التماس السلام، وأخيراً الرفاء. (دال، روبرت أ. 2000:40).

عبر التاريخ، اتخذ هذا النظام أشكالاً عدّة، ففي المجتمع اليوناني استخدم مصطلح الديمقراطية ليعني مجموعة الممثلين المنتخبين من قبل المواطنين، غير أنّ فئة المواطنين هذه كانت تمثل نخباً معيّنة من الناس تضم الأحرار ووجهاء المدن، دون المزارعين وأصحاب الأملاك الزراعية في الأرياف. وقد أطلق على هذا النوع من الديمقراطية اسم الديمقراطية التشاركية أو المباشرة. أمّا في المجتمعات الحديثة فقد شاع نظام الديمقراطية التمثيلية التي تمارس عن طريق الاقتراع العام (غدنز، أنتوني، 2005: 471-474).

وتعد أنظمة الحكم الديمقراطية التمثيلية سواء منها الليبرالية أم الشعبية من أكثر الأنظمة التي انتشرت في العالم ولعقود طويلة من القرن العشرين. إذ تبنّت أكثر المجتمعات الغربية، وبعض الأقطار الآسيوية كاليابان والهند، نظم الحكم الديمقراطي الليبرالي التي يقترح فيها الناخبون لاختيار ممثلهم من حزبين سياسيين أو أكثر. وبالمقابل تبنّت مجتمعات أخرى منها الاتحاد السوفيتي سابقاً والصين أنظمة الحكم الديمقراطية الشعبية، أو ما أطلق عليها الأنظمة الشيوعية، التي يقترح فيها المواطنون الناخبون لاختيار ممثلهم من الحزب الواحد الذي يهيمن على جميع مناحي الحياة ممثلاً في الحزب الشيوعي أو الاشتراكي (غدنز، أنتوني، 2005: 474-477).

وبالنظر إلى عملية التحول الديمقراطي، فإنّها تتطلب توافر معايير محدّدة، ومؤسسات ديمقراطية، ومشاركة فعّالة للأفراد. فمن المعايير التي يجب توافرها لعملية التحول الديمقراطي: المشاركة الفعّالة، المساواة في التصويت، الحصول على فهم مستنير.. وأمّا المؤسسات فتشمل: موظفين منتخبين، انتخابات حرة وعادلة ومتكرّرة، حرية التعبير، توفر مصادر بديلة للمعلومات، جمعيات مستقلة كالأحزاب السياسية وجماعات المصالح، ومواطنة متضمنة الديمقراطية (دال، روبرت أ. 2000 : 40، 81). وعن الإسهام الإيجابي للأفراد في عملية التحول الديمقراطي فإنّه يتطلب توافر شروط تشمل: تعلم الأفراد روح المسؤولية، الخضوع للقانون، التعاون والعمل الجمعي، وتنمية روح التكامل والتضامن فيما بينهم (غدنز، أنتوني، 2005: 425-469).

**المحور الثاني- ملامح التحول الديمقراطي في العالم من واقع المؤشرين:** إنّ انتشار الديمقراطية مع حلول النصف الثاني من القرن العشرين وبخاصة العقد الأخير منه، جاء بنظر الباحث محصّلة لعدد من التغيرات الكبيرة التي شهدتها العالم في كافة شؤون الحياة، من بينها زيادة معدّلات الإلمام بالقراءة والكتابة والتحصيل العلمي، إذ يقدر معدّل الإلمام بالقراءة والكتابة من سن 15 فما فوق بنسبة 81.2%. كما يقدر معدّل الالتحاق بالتعليم العالي بنسبة 31% (تقرير التنمية البشرية،

ملاحح التحول الديمقراطي في العالم والوطن العربي...

2014: 190-193). كما يعود إلى انهيار الأنظمة الشيوعية بتفكك الاتحاد السوفيتي عام 1991م، وإلى العولمة وما ارتبط بها من ثورة التكنولوجيا والمعلومات والاتصالات. لقد أدى التوظيف الواسع لمنتجات التكنولوجيا والتي من بينها: الهواتف النقالة، والفضائيات التلفزيونية، وشبكة الانترنت إلى وفرة في المعلومات المتاحة، وإفراح المجال أمام الناس للبحث والإطلاع. وهذا ما تؤكد البيانات المستقاة من مسح القيم العالمي 2014-2010م World Values Survey (WVS) والتي تشير إلى توظيف الناس بالعالم التليفزيون كمصدر للحصول على المعلومات بصورة يومية بنسبة 73.3%، والهاتف المحمول بنسبة 41.4%، والانترنت بنسبة 29.2%، والبريد الإلكتروني بنسبة 20%. ورافق ذلك تراجعاً في توظيف الوسائل التقليدية كالصحف اليومية 30%، وأخبار الراديو 42%، والمجلات المطبوعة 6%. وهذا التوظيف بدوره مكن الناس من التعبير عن إرادتهم وأرائهم، واتساع الخيارات أمامهم عند اتخاذ قراراتهم، كما ساعدتهم في زيادة وعيهم بقضايا حياتية كثيرة من بينها رأيهم في الديمقراطية وأهميتها، ورأيهم في أنظمة الحكم. فقد جاء من بين نتائج هذا المسح عند سؤال أعضاء العينة العالمية عن رأيهم في بعض أنظمة الحكم السياسية تأييدهم لوجود نظام حكم ديمقراطي يحكم البلد بنسبة 82.1%. وفي سؤال آخر جاء تأييدهم لحكم الجيش منخفضاً بنسبة 24.9%. وعن أهمية أن يعيش الفرد في بلد تحكمه الديمقراطية فقد أكد 40.9% من أعضاء العينة العالمية على هذه القيمة، وتعد هذه النسبة الأعلى من بين نسب بدائل الإجابة المقترحة لهذه القيمة. كما أكد 40.6% على أن اختيار الناس لرؤسائهم في انتخابات حرة يعد من السمات الجوهرية للديمقراطية ([www.worldvaluessurvey.org/wvSOnline.jsp](http://www.worldvaluessurvey.org/wvSOnline.jsp))

وبالنظر إلى ملاحح التحول الديمقراطي في العالم، يشير غدنز أنه حتى أواسط السبعينيات من القرن العشرين كان أكثر من ثلثي المجتمعات في العالم يعيش في ظل أنظمة استبدادية، غير أن مجموع التغيرات الجذرية على الصعيد الوطنية والدولية أدت جميعها إلى انحسار هذه الأنظمة وسقوطها أو انهيارها بفعل حركات شعبية داخلية (غدنز، إنتوني، 2005: 477).

وحديثاً يبين مؤشر الديمقراطية \* للعام 2014م أن 14.4% من المجتمعات بالعالم تمارس ديمقراطيات كاملة، وأن 31.1% تمارس فيها ديمقراطيات معيبة، و23.4% تمارس فيها ديمقراطية هجينة، وأن ثلث المجتمعات في العالم 31.1% ما زالت تعاني من سطوة النظم التسلطية. وللتعرف أكثر على ملاحح التحول الديمقراطي في العالم وأهم الأبعاد المؤثرة فيه، نعرض فيما يأتي لأبعاد المؤشرين، مؤشر الديمقراطية، ومؤشر الحكم الرشيد لعدد 24 بلداً ذات الأنظمة الديمقراطية، و24 بلداً ذات الأنظمة التسلطية.

1- **مؤشر الديمقراطية للعام 2014م:** يصنف المؤشر البلدان من حيث حالة الديمقراطية إلى أربعة أنواع: الديمقراطية الكاملة؛ ديمقراطيات معيبة؛ أنظمة هجينة؛ وأنظمة تسلطية. والتحليل سوف يتركز على نوعين فقط من الأنظمة، وهما النظم الديمقراطية الكاملة والنظم التسلطية.

1.1- **البلدان ذات الديمقراطية الكاملة:** يلاحظ من الجدول رقم (1) أن جميع البلدان الـ 24 يمارسون ديمقراطيات كاملة حسب تصنيف مؤشر الديمقراطية للعام 2014م. إذ تقترب متوسطاتها من القيمة القصوى للمؤشر وهي (10) درجات. وبالنظر إلى أداء كل بلد على حدة فيلاحظ أن النزوح تأتي في المرتبة الأولى من حيث الممارسة الديمقراطية الكاملة وأخرها كوستاريكا. ويأتي تصنيف هذه البلدان على أنها ذات ديمقراطيات كاملة حسب مؤشر الديمقراطية نتيجة للإنجازات المحققة على كل بعد من أبعاد المؤشر وبخاصة البعدين الأول والأخير. إذ تظهر

ملامح التحول الديمقراطي في العالم والوطن العربي...

المتوسطات والانحرافات المعيارية للأبعاد أن بعد العملية الانتخابية والتعددية تحصل على أعلى متوسط، يليه بعد الحريات المدنية، وجاء في المرتبة الثالثة بعد أداء الحكومة، وفي المرتبة الرابعة جاء بعد الثقافة السياسية، وفي المرتبة الأخيرة جاء بعد المشاركة السياسية.

جدول رقم (1) بين القيم المتحصل عليها لعدد 24 بلداً

ذات الديمقراطيات الكاملة وفق مؤشر الديمقراطية للعام 2014م،

البلد	العملية الانتخابية والتعددية Electoral process and Pluralism	اداء الحكومة Functioning of Government	المشاركة السياسية Political Participation	الثقافة السياسية Political Culture	الحريات المدنية Civil Liberties	قيمة المؤشر Overall Score
النرويج	10.00	9.64	10.00	10.00	10.00	9.93
السويد	9.58	9.64	10.00	10.00	10.00	9.73
اسلندا	10.00	9.29	8.89	10.00	9.71	9.58
نيوزيلندا	10.00	9.29	8.89	8.13	10.00	9.26
الدانمرك	9.17	9.29	8.33	9.38	9.41	9.11
سويسرا	9.58	9.29	7.78	9.38	9.41	9.09
كندا	9.58	9.29	7.78	8.75	10.00	9.08
فنلندا	10.00	8.93	7.78	8.75	9.71	9.03
استراليا	9.58	8.93	7.78	8.75	10.00	9.01
هولندا	9.58	8.57	8.89	8.13	9.41	8.92
لوكسمبورغ	10.00	9.29	6.67	8.75	9.71	8.88
ايرلندا	9.58	7.50	7.78	8.75	10.00	8.72
المانيا	9.58	8.57	7.78	8.13	9.12	8.64
النمسا	9.58	7.86	8.33	7.50	9.41	8.54
مالطا	9.17	8.21	6.11	8.75	9.71	8.39
المملكة المتحدة	9.58	7.14	6.67	8.75	9.41	8.31
اوروغواي	10.00	8.93	4.44	7.50	10.00	8.17
موريشيوس	9.17	8.21	5.00	8.75	9.71	8.17
الولايات المتحدة	9.17	7.50	7.22	8.13	8.53	8.11
اليابان	9.17	8.21	6.11	7.50	9.41	8.08
كوريا الجنوبية	9.17	7.86	7.22	7.50	8.53	8.06
اسبانيا	9.58	7.14	7.22	6.88	9.41	8.05
فرنسا	9.58	7.14	7.78	6.88	8.82	8.04
كوستا ريكا	9.58	7.86	6.11	6.88	9.71	8.03
المتوسط الحسابي	9.58	8.48	7.52	8.41	9.54	8.70
الانحراف المعياري	0.29	0.81	1.34	0.93	0.43	0.57

المصدر: <http://www.sudestada.com.uy/Content/Articles/421a313a-d58f-462e-9b24-2504a37f6b56/Democracy-index-2014.pdf>

إن إحراز هذه البلدان متوسطات مرتفعة على هذا المؤشر، يعد نتيجة لتوافر شروط العملية الديمقراطية التي مهدتها هذه المجتمعات، وللجهود التي بذلتها من أجل التحول نحو الممارسة الديمقراطية، التي من بينها: بناء مؤسسات ديمقراطية حقيقية وفاعلة تسمح بانتخابات حرة ونزيهة، ووجود قيادات ديمقراطية فكرياً وسلوكياً، والهيمنة على المؤسسات العسكرية والأمنية، ووجود قاسم مشترك بين الناس فيما يتعلق بالمعتقدات الديمقراطية والثقافة السياسية، وتوافر للأفراد في إطار المجتمع المدني قدر كبير من حرية التعبير، وتعلم الخضوع للقانون والعمل الجمعي وتنمية روح التكامل، إلى جانب توافر حرية الإعلام واستقلالية القضاء.

## ملامح التحول الديمقراطي في العالم والوطن العربي...

**2.1- البلدان ذات النظم التسلطية:** يظهر الجدول رقم (2) أنّ جميع البلدان الـ 24 تحسّلوا على درجات منخفضة حسب مؤشر الديمقراطية للعام 2014م. إذ تتباعد متوسطاتها عن القيمة المتوسطة للمؤشر (5.55). وبذلك تصنّف على أنّها أنظمة حكم تسلطية. ويأتي تصنيف هذه البلدان على أنّها أنظمة حكم استبدادية لكونها لم تسع إلى تهيئة الظروف الملائمة التي تتطلبها العملية الديمقراطية والانتقال الديمقراطي، الأمر الذي انعكس سلباً في النتائج المتحصّل عليها لكل بعد من أبعاد هذا المؤشر وبخاصة البعدين الأول والثاني. إذ يظهر المتوسط الحسابي والانحراف المعياري فيما يتعلق بالبعد الأول، العملية الانتخابية والتعددية حصوله على أدنى متوسط (0.57) وانحراف معياري كبير (0.72) وهذا يعني أنّ هذه البلدان لم تسجل أي إنجاز على مستوى 12 سؤالاً المعتمدة لقياس هذا البعد، والتي من بينها: أنّ انتخابات المجالس التشريعية والبلدية وانتخاب رؤساء الحكومات ليست حرة ونزيهة، هذا إذا كانت هناك انتخابات أصلاً بهذه البلدان. وأنّ المواطنين لا يستطيعون الوصول إلى المناصب العامة بالدولة، وأنّه لا توجد آلية واضحة ومؤسّسة لانتقال السلطة عقب الانتخابات، وأنّ حق الاقتراع ليس مكفول لكل البالغين، وأنّ المواطنين ليست لديهم القدرة والحرية في تشكيل الأحزاب السياسية المستقلة عن الحكومة، وكذلك ليست لديهم القدرة على تشكيل وتكوين المنظمات السياسية والمدنية بدون تدخل الدولة ومراقبتها، عدم وجود قوانين تقدّم بشكل واضح وواسع فرص متساوية للحملات الانتخابية، وعدم وضوح وشفافية في عملية تمويل الأحزاب السياسية. يليه البعد الثاني، بعد أداء الحكومة بحصوله على (1.84) وانحراف معياري (1.30)، وهذا يعني أيضاً أنّ هذه البلدان أخفقت في تحقيق إنجازات على مستوى 14 سؤالاً المرتبطة بقياس هذا البعد، ومن بينها أنّ أعضاء الحكومة غير منتخبتين انتخاباً حراً، وأنّه لا يوجد نظام فعّال من الضوابط والتوازنات في ممارسة السلطة من قبل الحكومة، وأنّ هناك تدخل من قبل قوى أجنبية في تحديد مهام الحكومة وسياساتها العامة، وأنّه لا توجد آليات ومؤسّسات قائمة تضمن مساءلة الحكومة، وأنّ أداء الحكومة غير شفاف لا يتيح للجمهور الوصول إلى المعلومات المطلوبة عنها، وأنّ الفساد منتشر بالحكومة، وأنّ الثقة الشعبية في الحكومة منخفضة جداً.

جدول رقم (2) يبيّن القيم المتحصّل عليها لعدد 24 بلداً ذات النظم الاستبدادية وفق مؤشر الديمقراطية للعام 2014م

البلد	العملية الانتخابية والتعددية Electoral process and Pluralism	أداء الحكومة Functioning of Government	المشاركة السياسية Political Participation	الثقافة السياسية Political Culture	الحريات المدنية Civil Liberties	قيمة المؤشر Overall Score
الصين	0.00	4.64	3.89	5.00	1.47	3.00
جيبوتي	0.83	2.50	3.33	5.63	2.65	2.99
الكونغو	1.25	2.86	3.33	3.75	3.24	2.89
البحرين	1.25	3.57	2.78	4.38	2.35	2.87
أذربيجان	0.50	2.14	3.33	3.75	4.41	2.83
اليمن	1.33	1.43	5.00	5.00	1.18	2.79
زيمبابوي	0.50	1.29	3.89	5.00	3.24	2.78
أفغانستان	2.50	1.14	3.89	2.50	3.82	2.77
الإمارات العربية المتحدة	0.00	3.57	1.67	5.00	2.94	2.64
السودان	0.00	1.79	4.44	5.00	1.47	2.54

ملاحح التحول الديمقراطي في العالم والوطن العربي...

2.45	0.59	6.25	2.78	2.57	0.08	أوزبكستان
2.44	1.18	6.88	1.67	2.50	0.00	اريتريا
2.37	1.47	6.25	2.22	0.07	1.83	طاجيكستان
2.21	1.18	5.00	1.67	3.21	0.00	لاوس
1.98	1.76	2.50	2.78	2.86	0.00	ايران
1.93	2.06	3.13	2.78	0.00	1.67	غينيا بيساو
1.83	0.59	5.00	2.78	0.79	0.00	تركمانستان
1.82	1.47	3.13	1.67	2.86	0.00	السعودية
1.75	1.76	3.13	2.22	0.71	0.92	جمهورية الكونغو الديمقراطية
1.74	0.00	5.00	3.33	0.36	0.00	سوريا
1.66	1.47	4.38	1.67	0.79	0.00	غينيا الاستوائية
1.50	2.65	3.75	1.11	0.00	0.00	تشاد
1.49	2.35	2.50	1.67	0.00	0.92	جمهورية أفريقيا الوسطى
1.08	0.00	1.25	1.67	2.50	0.00	كوريا الشمالية
2.26	1.89	4.30	2.73	1.84	0.57	المتوسط الحسابي لكل بلد
0.55	1.11	1.35	1.01	1.30	0.72	الانحراف المعياري

المصدر: <http://www.sudestada.com.uy/Content/Articles/421a313a-d58f-462e-9b24-2504a37f6b56/Democracy-index-2014.pdf>

والملاحظة التي يمكن تسجيلها هنا أن بعد العملية الانتخابية والتعددية كان الأكثر تأثيراً في عملية الممارسة الديمقراطية سواء للبلدان التي صنفت على أنها ذات ديمقراطيات كاملة، أم البلدان التي صنفت على أنها ذات أنظمة استبدادية. إذ جاء متوسطه أكبر من بقية متوسطات الأبعاد الأخرى في البلدان التي صنفت على أن بها ديمقراطيات كاملة، وبالمقابل سجل هذا البعد أدنى متوسط له عن بقية الأبعاد الأخرى في البلدان التي صنفت على أن بها أنظمة استبدادية. الأمر الذي يؤكد أهمية هذا البعد في تعزيز الممارسة الديمقراطية بأي بلد أو تدرجها.

**2- مؤشر الحكم الرشيد للعام 2014م :** صنّف المؤشر البلدان حسب حالة الديمقراطية إلى بلدان ذات حكم رشيد وأخرى تسلطية، معتمداً على مقياس تضمن ستة أبعاد تتراوح قيمة هذا المؤشر ما بين (2.5 +، 0، -2.5)\*

**1.2- البلدان ذات الحكم الرشيد:** يظهر الجدول رقم (3) أن جميع البلدان الـ 24 التي صنفت على مؤشر الديمقراطية بأنها ذات ديمقراطيات كاملة، هي نفسها حققت درجات عالية على مؤشر الحكم الرشيد بالرغم من اختلاف المؤشرين في قياسهما للعملية الديمقراطية، الأمر الذي يؤكد أن هذه

ملامح التحول الديمقراطي في العالم والوطن العربي...

البلدان تمارس الديمقراطية والحكم الرشيد. وبالنظر إلى أداء كل بلد على حدة فيلاحظ أن فنلندا حازت على المرتبة الأولى من حيث ممارسة الحكم الرشيد وأخرها كوستاريكا. ويأتي تصنيف هذه البلدان على أنها تمارس الحكم الرشيد حسب هذا المؤشر نتيجة للإنجازات المحققة على مستوى كل بعد من أبعاد المؤشر. إذ تظهر المتوسطات والانحرافات المعيارية للأبعاد أن بعد سيادة القانون جاء في المرتبة الأولى بحصوله على أعلى متوسط، يليه بعد مكافحة الفساد والحد منه، وجاء في المرتبة الثالثة بعد فاعلية الحكومة، وفي المرتبة الرابعة جاء بعد نوعية التنظيم، وفي المرتبة الخامسة جاء بعد الصوت أو التعبير عن الرأي والمساءلة، وفي المرتبة الأخيرة جاء بعد الاستقرار السياسي وغياب العنف. كما يلاحظ من جانب آخر إن المتوسطات التي تم احتسابها لأبعاد هذا المؤشر أظهرت أهمية بعد سيادة القانون بهذه البلدان على بقية الأبعاد الأخرى الأمر الذي يعني أن المسؤولين والمواطنين على حد سواء بهذه البلدان يعطون أهمية كبيرة لأحكام القانون والتقيدها، واحترام المؤسسات القانونية من محاكم وشرطة.

جدول رقم (3) بين القيم المتحصل عليها  
لعدد 24 بلداً وفقاً لمؤشر الحكم الرشيد (WGI) للعام 2014م

البلد	الصوت والمساءلة VA	الاستقرار السياسي وغياب العنف PV	فاعلية الحكومة GE	نوعية التنظيم RQ	سيادة القانون RL	مكافحة الفساد CC	قيمة المؤشر Index Value *
فنلندا	1.57	1.28	2.02	1.90	2.12	2.18	1.85
سويسرا							1.81
النرويج	1.71	1.13	1.81	1.64	2.05	2.23	1.76
الدانمرك	1.55	0.94	1.81	1.72	2.09	2.26	1.72
لوكسمبورغ	1.53	1.39	1.66	1.65	1.90	2.09	1.70
هولندا	1.58	1.05	1.83	1.78	1.98	2.00	1.70
كندا	1.43	1.18	1.76	1.83	1.89	1.82	1.65
نيوزيلندا	1.56	1.49	1.93	1.94	2.02	2.27	1.62
استراليا	1.37	1.08	1.59	1.87	1.93	1.87	1.61
ألمانيا	1.46	0.93	1.73	1.70	1.85	1.83	1.58
إيرلندا	1.34	1.07	1.60	1.75	1.80	1.62	1.53
النمسا	1.41	1.29	1.57	1.49	1.96	1.44	1.53
اسبيلندا	1.39	1.24	1.50	1.21	1.72	1.82	1.48
المملكة المتحدة	1.3	0.44	1.62	1.83	1.89	1.73	1.47
السويد	1.00	1.07	1.97	1.80	1.99	2.14	1.44
اليابان	1.04	1.02	1.82	1.14	1.60	1.73	1.30
الولايات المتحدة	1.18	0.62	1.46	1.27	1.62	1.32	1.24
فرنسا	1.22	0.36	1.40	1.09	1.47	1.27	1.13
مالطا	1.17	1.11	1.03	1.10	1.21	0.86	1.08
أوروغواي	1.11	1.00	0.48	0.52	0.68	1.35	0.86
موريشيوس	0.91	0.74	1.13	1.00	0.92	0.45	0.86
اسبانيا	1.00	0.32	1.15	0.78	0.94	0.53	0.79
كوريا الجنوبية	0.68	0.19	1.18	1.11	0.98	0.49	0.77
كوستا ريكا	1.13	0.63	0.40	0.53	0.51	0.73	0.65
المتوسط الحسابي	1.30	0.94	1.52	1.43	1.63	1.59	1.38
الانحراف المعياري	0.25	0.35	0.43	0.43	0.47	0.58	0.36

قام الباحث باحتساب قيمة متوسط المؤشر لكل بلد.

ملامح التحول الديمقراطي في العالم والوطن العربي...

**2.2- البلدان ذات النظم التسلطية:** يلاحظ من الجدول رقم (4) أن جميع البلدان 24 التي صنفت على مؤشر الديمقراطية بأنها ذات أنظمة تسلطية، هي نفسها تحصلت على درجات منخفضة أي دون الصفر حسب مؤشر الحكم الرشيد للعام 2014م، باستثناء البلدان العربية الثلاثة الأولى وهي: الإمارات، والبحرين، والسعودية التي سجلت درجات مرتفعة نسبياً. وعليه فإن هذه البلدان الثلاثة اختلف تصنيفها في هذا المؤشر عن تصنيفها حسب مؤشر الديمقراطية الذي صنفتها على أنها أنظمة تسلطية.

جدول رقم (4) بين القيم المتحصل عليها  
لعدد 24 بلداً وفقاً لمؤشر الحكم الرشيد (WGI) للعام 2014م

البلد	الصوت والمساءلة VA	الاستقرار السياسي وغياب العنف PV	فاعلية الحكومة GE	نوعية التنظيم RQ	سيادة القانون RL	مكافحة الفساد CC	قيمة المؤشر * Index Value
الإمارات العربية المتحدة	-1.06	0.81	1.48	0.98	0.71	1.23	1.05
البحرين	-1.32	-0.94	0.59	0.70	0.45	0.30	0.72
العربية السعودية	-1.78	-0.24	0.23	-0.01	0.27	0.10	0.43
الصين	-1.54	-0.46	0.34	-0.27	-0.33	-0.33	-0.55
أذربيجان	-1.44	-0.50	-0.34	-0.29	-0.61	-0.92	-0.68
لاوس	-1.65	0.46	-0.39	-0.85	-0.71	-0.76	-0.80
جيبوتي	-1.41	-0.72	-0.97	-0.55	-0.85	-0.49	-0.83
طاجيكستان	-1.44	-0.68	-0.75	-1.01	-0.96	-1.00	-0.97
إيران	-1.57	-0.91	-0.41	-1.46	-1.03	-0.57	-0.99
الكونغو	-1.08	-0.29	-1.15	-1.18	-1.07	-1.22	-1.00
أوزبكستان	-1.89	-0.23	-0.63	-1.74	-1.08	-1.12	-1.11
غينيا بيساو	-1.04	-0.74	-1.55	-1.27	-1.36	-1.51	-1.24
زيمبابوي	-1.28	-0.65	-1.18	-1.89	-1.42	-1.39	-1.30
تركمانستان	-2.22	0.08	-0.86	-2.09	-1.33	-1.22	-1.30
تشاد	-1.33	-1.53	-1.48	-1.17	-1.12	-1.23	-1.31
غينيا الاستوائية	-1.98	-0.39	-1.45	-1.46	-1.40	-1.84	-1.42
اليمن	-1.34	-2.53	-1.41	-0.84	-1.17	-1.55	-1.47
اريتريا	-2.04	-0.76	-1.62	-2.12	-1.46	-0.86	-1.48
أفغانستان	-1.16	-2.46	-1.34	-1.13	-1.53	-1.33	-1.49
جمهورية الكونغو الديمقراطية	-1.31	-2.27	-1.59	-1.34	-1.43	-1.29	-1.53
السودان	-1.73	-2.36	-1.61	-1.39	-1.15	-1.45	-1.62
كوريا الشمالية	-2.13	-1.09	-1.65	-2.20	-1.54	-1.34	-1.65
جمهورية أفريقيا الوسطى	-1.42	-2.67	-1.84	-1.41	-1.73	-1.15	-1.70
سوريا	-1.80	-2.76	-1.44	-1.67	-1.34	-1.55	-1.76
المتوسط الحسابي لكل بعد	-1.54	-1.10	-1.12	-1.21	-1.08	-1.07	-1.18
الانحراف المعياري	0.33	0.86	0.48	0.58	0.39	0.44	0.37

المصدر: Worldwide Governance Indicators على الرابط:

<http://info.worldbank.org/governance/wgi/index.aspx#reports>

\* قام الباحث باحتساب قيمة متوسط المؤشر لكل بلد ومتوسط كل بعد .

## ملامح التحول الديمقراطي في العالم والوطن العربي...

ويأتي تصنيف غالبية هذه البلدان على أنها لا تمارس الحكم الرشيد حسب هذا المؤشر، نتيجة للإخفاقات المحققة على مستوى كل بعد من أبعاده. وبخاصة البعدين الأول والرابع. فالبعد الأول الصوت والمساءلة، الذي يقيس مدى قدرة مواطني هذه البلدان على المشاركة في انتخابات مجالسهم التشريعية والتنفيذية، ومدى امتلاك الأفراد حرية التعبير، وحرية تكوين الجمعيات والأحزاب، ومدى الحرية المتاحة لوسائل الإعلام، جاء بمتوسط حسابي (1.54-) وانحراف معياري (0.33). أما البعد الرابع نوعية التنظيم الذي يقيس قدرة الحكومة على توفير سياسات وتنظيمات سليمة تتيح تنمية القطاع الخاص، ونوعية الخدمات العامة التي تقدمها لمواطنيها، ومحدودية قدرة أجهزتها المدنية على تقديم تلك الخدمات، وعدم استقلالها عن الضغوط السياسية، فقد جاء بمتوسط حسابي (1.21-) وانحراف معياري (0.58). ومما يزيد من رداءة الحكم بهذه البلدان انعدام الاستقرار السياسي، وانتشار العنف أو الإرهاب، وعدم استقرار حكوماتها وتغييرها بوسائل غير دستورية كالانقلابات العسكرية، أو العنف أو الإرهاب.

ما يلاحظ أن المؤشرين، الديمقراطية والحكم الرشيد يظهران أن العامل الرئيس والمباشر لعدم ممارسة الديمقراطية في هذه البلدان يعود في المقام الأول إلى البعد المرتبط بقياس العملية الانتخابية. ففي مؤشر الديمقراطية حاز بعد العملية الانتخابية والتعددية على أدنى متوسط (0.57). وحاز بعد الصوت والمساءلة في مؤشر الحكم الرشيد على أدنى متوسط (1.54-).

**المحور الثالث- ملامح التحول الديمقراطي في الوطن العربي من واقع المؤشرين:** تأثر المجتمع العربي كغيره من المجتمعات الإنسانية بالتغيرات الكبيرة التي شهدها العالم في كافة شؤون الحياة، بفعل العولمة وأبعادها المختلفة وبخاصة بعدها التكنولوجي ممثلاً في ثورة الاتصالات والمعلومات، التي شهدت انتشاراً واسعاً لمنتجاتها بالوطن العربي منذ تسعينيات القرن المنصرم وحتى اليوم وبخاصة منها: الهواتف النقالة، والفضائيات التلفزيونية، وشبكة الإنترنت. فحسب تقارير الأمم المتحدة فإنه حتى عام 1990م لم يكن أحداً من العرب تقريباً لديه نقال أو يستخدم الإنترنت. وبحلول عام 2013م صار هناك 996 شخصاً يستخدمون الهاتف النقال والثابت، و272 شخصاً يستخدمون الإنترنت، و108 شخصاً يمتلكون حواسيب شخصية لكل 1000 شخص (تقرير التنمية البشرية 2013م: 201).

كما أنها أصبحت إحدى أهم مصادره للتزود بالأخبار والمعلومات بشكل يومي، بدلاً من المصادر التقليدية كالراديو والصحف اليومية والمجلات. إذ تظهر البيانات المستقاة من مسح القيم العالمي 2010- 2014م إن أكثر المصادر توظيفاً من قبل العرب للحصول على المعلومات والأخبار بشكل يومي هي أخبار التلفزيون بنسبة 69.9%، يليها الهاتف المحمول بنسبة 41.4%، فالإنترنت 32%، فأخبار الراديو 32%، فالبريد الإلكتروني 23.2%، وجاءت الصحف اليومية بنسبة 20.6%، والمجلات المطبوعة بنسبة 4.9%. ([www.worldvaluessurvey.org/wvSOnline.jsp](http://www.worldvaluessurvey.org/wvSOnline.jsp))

لقد أتاح الإقبال على هذه المنتجات وتوظيفها على المستوى الشخصي والمؤسسي بالمجتمعات العربية فرص كثيرة - رغم اختلاف معدلاتها من مجتمع إلى آخر منذ تسعينيات القرن العشرين وحتى اليوم - من بينها أنه أسهم في تقديم وفرة في المعلومات المتاحة، وتمكينهم من الإطلاع على ما يدور حولهم على المستويين الداخلي والخارجي، كما مكنتهم من التواصل مع الآخرين، والتعبير عن آرائهم وتحديد مواقفهم من القضايا المختلفة وازدياد وعيهم، وبخاصة رأيهم في الديمقراطية وأهميتها وأنظمة الحكم. وهذا ما أكدته البيانات المستخلصة من مسح القيم العالمي. فعند سؤال أعضاء العينة العربية عن رأيهم في بعض أنظمة الحكم السياسية، وبخاصة منها النظام الديمقراطي



## ملامح التحول الديمقراطي في العالم والوطن العربي...

وحكم الجيش، أكد 83% تأييدهم المطلق لوجود نظام حكم ديمقراطي يحكم البلد. أما عن حكم الجيش للبلد فجاء تأييدهم له منخفضاً بنسبة 31.4%. أما عن أهمية أن يعيش الفرد في بلد تحكمه الديمقراطية فقد أكد 42.5% من أعضاء العينة العربية على هذه القيمة. وعند سؤالهم عن بعض سمات الديمقراطية الأساسية التي من بينها حماية حقوق الإنسان من قمع الدولة فقد أكد عليها 26.8%. كما جاء تأكيدهم على أن اختيار الناس لرؤسائهم في انتخابات حرة ونزيهة يعد من السمات الجوهرية للديمقراطية بنسبة 37%. وتعد هذه النسب الأعلى من بين نسب بدائل الإجابة المقترحة لهذه الأسئلة. وبسؤالهم عن طاعة الحكّام، أجاب 70% من أعضاء العينة أنهم لا يرون أن من سمات الديمقراطية الأساسية طاعة الحكام [www.worldvaluessurvey.org/wvSOnline](http://www.worldvaluessurvey.org/wvSOnline.jsp) (jsp).

وبمقارنة توجهات العينة العربية بتوجهات العينة العالمية فيما يتعلق بالديمقراطية وقيمها يتبين أنها متقاربة. كما أن توجهات المواطن العربي نحو الديمقراطية والحرية، والعيش بكرامة داخل مجتمع يسوده العدل والمساواة والنظام وتكافؤ الفرص، هي توجهات حقيقية أكدت عليها غالبية المسوح والاستطلاعات الميدانية العالمية والعربية. وبالرغم من كل هذه التغيرات، فالنظم السياسية في معظم البلدان العربية بقيت تقريباً على ما هي عليه دون أي تغيير، وبخاصة فيما يتعلق بعملية التحول الديمقراطي. فالسمة الغالبة على مشهد الواقع العربي هي تغلغل نواقص محدّدة في البنية المجتمعية العربية تعوق بناء التنمية الإنسانية تمثلت في ثلاث نواقص هي: الحرية والحكم الصالح، تمكين المرأة، والقدرات الإنسانية (تقرير التنمية الإنسانية العربية 2003م: 19-20). وبقيت هذه النظم تمارس على المواطن العربي أشكالاً من الدكتاتورية، وربما التغيير الوحيد الذي طرأ على المشهد السياسي العربي وجاء استجابة لهذه التغيرات كان في عام 2003م. حيث اعترف بعض القادة السياسيين والحكومات بضرورة الإصلاح الديمقراطي، إلى جانب بروز مبادرات من بعض القوى المدنية والسياسية ممثلة في المنظمات الأهلية المطالبة بمزيد من الحرية والديمقراطية. لقد توجت هذه المبادرات باعتراف القادة العرب في قمة تونس 24 مايو 2004م بمشروعية الإصلاح الديمقراطي. إذ تضمنت المادة الأولى من البيان الختامي لهم ما نصه "ضرورة تعميق أسس الديمقراطية والشورى وتوسيع المشاركة في المجال السياسي والشأن العام، وفي صنع القرار، في إطار سيادة القانون وتحقيق العدالة والمساواة بين المواطنين واحترام حقوق الإنسان وحرية التعبير، وفقاً لما جاء في مختلف العهود والمواثيق الدولية والميثاق العربي لحقوق الإنسان وضمن استقلال القضاء.." (تقرير التنمية الإنسانية العربية 2004م: 24-25).

لكن هذا الموقف لم يقابل بأية إجراءات عملية على مستوى الواقع، ولا أية إصلاحات ذات شأن؛ ولم يقدم هؤلاء القادة إلا هامشاً محدوداً من حرية التعبير والإصلاح السياسي، وهذا ما أكده تقرير الأمم المتحدة للتنمية البشرية لعام 2010م. إذ أكد أن البلدان العربية بالرغم من وجود بعض الإصلاحات الديمقراطية بها فهي وحدها من بين بلدان العالم، لا تظهر ما يشير إلى التحول نحو الديمقراطية بشكل حقيقي. وأن معظم هذه الإصلاحات قابلتها تدابير تعيق حقوق الإنسان في مجالات أخرى. فمن الإصلاحات على سبيل المثال إنشاء الجمعيات التمثيلية في كل من الإمارات العربية وعمان وقطر، وعودة البرلمان المنتخب في البحرين، وتنظيم انتخابات رئاسية بمشاركة العديد من المرشحين في مصر عام 2005م، وانتخابات محلية في السعودية عام 2006م لكثته اقتصر على الذكور فقط. غير أن هذه الإصلاحات لم تحدث تغييراً في الأساس البنيوي للسلطة في البلدان العربية، حيث مازالت السلطة التنفيذية تسيطر عليها من دون الخضوع لأي شكل من أشكال المساءلة (تقرير التنمية البشرية 2010م: 69).

ملامح التحول الديمقراطي في العالم والوطن العربي...

وهكذا بقيت الدعوات للإصلاح والمحاولات التي جرت منذ 2003-2004م مجرد شعارات ترفع، ومؤتمرات تعقد وإصلاحات محدودة لم تلامس بعمق الواقع المعاش، وكان أن أفضى الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي للمواطن العربي به في نهاية الأمر إلى كسر حاجز الخوف، والخروج في مظاهرات انتهت باندلاع انتفاضات ببعض البلدان العربية: تونس، مصر، ليبيا، اليمن، سوريا فيما سمي بثورات الربيع العربي\* 2011م التي كانت تنشد تغيير الأوضاع الحياتية للمواطن العربي نحو الأفضل في الوضع السياسي ممثلاً في التحول نحو الديمقراطية والحكم الصالح، والقضاء على الفساد الإداري والمالي، وفتح فضاءات لحرية التعبير والصحافة والمشاركة السياسية، وفي تحسُّن الأوضاع المعيشية والمساواة في الفرص.

**1- مؤشر الديمقراطية للعام 2014م:** يلاحظ من الجدول رقم (5) أنّ البلدان العربية مجتمعة جاء أدائها على مؤشر الديمقراطية للعام 2014م محدوداً جداً. إذ بلغت قيمة المؤشر (3.53) وهذه القيمة أدنى من القيمة المتوسطة للمؤشر (5.55) وتضعها مجتمعة وفق تصنيف المؤشر في فئة الأنظمة الاستبدادية. كما يلاحظ أنّ تونس هي البلد العربي الوحيد الذي صنّف على أنّ به ديمقراطية معيبة لحصوله على معدل (6.31)، أمّا لبنان، فلسطين، العراق، موريتانيا، والمغرب، فالقيم التي تحصّلت عليها وفق هذا المؤشر فتضعها ضمن البلدان ذات الأنظمة الهجينة، باقي البلدان العربية فتصنّف على أنّها ذات أنظمة تسلطية.

جدول رقم (5) بين قيمة مؤشر الديمقراطية للعام 2014م لعدد عشرين بلداً عربياً

البلد	العملية الانتخابية والتعددية Electoral process and	أداء الحكومة Functioning of Government	المشاركة السياسية Political Participation	الثقافة السياسية Political Culture	الحريات المدنية Civil Liberties	قيمة المؤشر Index Value Overall
تونس	7.00	6.07	7.22	6.25	5.00	6.31
لبنان	5.67	2.14	7.22	5.00	5.59	5.12
فلسطين	4.75	2.86	7.78	4.38	3.82	4.72
العراق	4.33	0.79	7.22	4.38	4.41	4.23
موريتانيا	3.42	4.29	5.00	3.13	5.00	4.17
المغرب	3.50	4.29	2.78	5.00	4.41	4.00
الجزائر	3.00	2.21	3.89	5.63	4.41	3.83
ليبيا	2.25	2.50	3.33	5.63	5.29	3.80
الكويت	3.17	3.93	3.89	4.38	3.52	3.78
الأردن	3.17	3.93	4.44	3.75	3.53	3.76
قطر	0.00	3.93	2.22	5.63	4.12	3.18
مصر	2.17	2.86	5.00	3.13	2.65	3.16
عمان	0.00	3.93	3.33	4.38	4.12	3.15
جيبوتي	0.83	2.50	3.33	5.63	2.65	2.99
البحرين	1.25	3.57	2.78	4.38	2.35	2.87
اليمن	1.33	1.43	5.00	5.00	1.18	2.79
الإمارات	0.00	3.57	1.67	5.00	2.94	2.64
السودان	0.00	1.79	4.44	5.00	1.47	2.54
السعودية	0.00	2.86	1.67	3.13	1.47	1.82
سوريا	0.00	0.36	3.33	5.00	0.00	1.74
متوسط الحسابي*	2.29	2.99	4.28	4.69	3.40	3.53

المصدر: [http://www.sudestada.com.uy/Content/Articles/421a313a-d58f-462e-9b24-](http://www.sudestada.com.uy/Content/Articles/421a313a-d58f-462e-9b24-2504a37f6b56/Democracy-index-2014.pdf)

\* [2504a37f6b56/Democracy-index-2014.pdf](http://www.sudestada.com.uy/Content/Articles/421a313a-d58f-462e-9b24-2504a37f6b56/Democracy-index-2014.pdf)

احتساب الباحث متوسط كل بعد، وكذلك متوسط الأبعاد مجتمعة وبالنظر إلى إنجاز البلدان العربية مجتمعة على مستوى كل بعد من أبعاد المؤشر، فإنّ بعد الثقافة السياسية الذي تضمّن 8 أسئلة لقياس تصورات الناس عن الديمقراطية وأهميتها والثقافة التي

ملاحح التحول الديمقراطي في العالم والوطن العربي...

يحملونها عنها، هو البعد الوحيد الذي تحسّل على أعلى متوسط من بين متوسطات الأبعاد الأخرى إذ بلغت قيمته (4.49). كما تبيّن من الجدول أنّ البعدين الأول والثاني سجلا أدنى متوسطات. إذ سجل البعد الأول المتعلق بالعملية الانتخابية والتعددية (2.29)، والبعد الثاني المتعلق بأداء الحكومة (2.99).

**2- مؤشر الحكم الرشيد للعام 2014م:** يتبين من الجدول رقم (6) أنّ البلدان العربية مجتمعة جاء أدواها على مؤشر الحكم الرشيد للعام 2014م منخفضاً جداً (-0.89) وبذلك تصنف أنظمتها بأنّها أنظمة حكم تسلطية. وتتوافق هذه النتيجة مع نتيجة مؤشر الديمقراطية الذي أظهر أنّ البلدان العربية مجتمعة تحسّلت على متوسط منخفض (3.53) وصنفت على أنّها أنظمة تسلطية.

بالنظر إلى أداء كل بلد منفرداً على مؤشر الحكم الرشيد، فيلاحظ أنّ بعض البلدان العربية سجلت قيماً مقبولة على هذا المؤشر. إذ سجلت الإمارات العربية (1.05)، قطر (0.94)، البحرين (0.72) عمان (0.59)، العربية السعودية (0.43)، والأردن (0.36)، وهذه البلدان تشكّل ما نسبته 30% من إجمالي البلدان التي شملها هذا المؤشر.

ويأتي تصنيف غالبية البلدان العربية على أنّها لا تمارس الحكم الرشيد، نتيجة للإخفاقات المحققة على مستوى جميع أبعاد هذا المؤشر، وبخاصة البعدين الثاني والأول. إذ جاء متوسطها على البعد الثاني الذي يقيس مدى الاستقرار السياسي للحكومات واحتمال زعزعة استقرارها بوسائل غير دستورية؛ أو أنّها تعاني من العنف والإرهاب، منخفض جداً (-1.30). ومتوسطها على البعد الأول الذي يقيس مدى قدرة مواطني هذه البلدان على المشاركة في انتخابات مجالسهم التشريعية والتنفيذية، ومدى امتلاك الأفراد حرية التعبير، وحرية تكوين الجمعيات والأحزاب، ومدى الحرية المتاحة لوسائل الإعلام، منخفض جداً أيضاً (-1.06). وفي المرتبة الثالثة جاء بعد فاعلية الحكومة بمتوسط (-0.78) وهو البعد الذي وضع لقياس أداء الحكومات العربية من حيث قدرتها أو عدم قدرتها على إدارة مواردها وتنفيذ السياسات السليمة بفاعلية. وفي المرتبة الرابعة جاء بعد مكافحة الفساد بمتوسط (-0.77) وهو البعد الذي وضع لقياس مدى استغلال السلطة العامة لتحقيق مكاسب خاصة سواء كانت صغيرة أم كبيرة، هذا إلى جانب استحواذ النخب وأصحاب المصالح الشخصية على مقدرات البلدان العربية. وفي المرتبة الخامسة جاء بعد نوعية التنظيم بمتوسط (-0.73) وهو البعد الذي صمم لقياس مدى قدرة الحكومات العربية على توفير سياسات سليمة وتنظيمات تتيح تنمية القطاع الخاص من عدمها. وجاء في المرتبة السادسة بعد سيادة القانون بمتوسط (-0.72) وهو البعد الذي صمم لقياس مدى قدرة المواطنين والحكومات في تعاطيهم مع القوانين، ومدى تقديرهم للقوانين السائدة، واحترامهم الأحكام الصادرة عن المحاكم والتزامهم بتنفيذها، ومدى إمكانية فرض سيادة القانون.

جدول رقم (6) بين قيمة مؤشر الحكم الرشيد (WGI) للعام 2014م لعدد عشرين بلداً عربياً،

البلد	الصوت والمساءلة Voice and Accountability	الاستقرار السياسي وغياب العنف Political Stability and	فاعلية الحكومة Government Effectiveness	نوعية التنظيم Regulatory Quality	سيادة القانون Rule of Law	مكافحة الفساد Control of Corruption	قيمة المؤشر*
الإمارات	-1.06	0.81	1.48	0.98	0.71	1.23	1.05
قطر	-0.98	1.00	0.99	0.57	0.99	1.09	0.94
البحرين	-1.32	-0.94	0.59	0.70	0.45	0.30	0.72

## ملامح التحول الديمقراطي في العالم والوطن العربي...

0.59	0.25	0.58	0.69	0.29	0.66	-1.05	عمان
0.43	0.10	0.27	-0.01	0.23	-0.24	-1.78	السعودية
0.36	0.15	0.48	0.08	0.13	-0.56	-0.77	الأردن
-0.23	-0.26	0.05	-0.13	-0.15	0.14	-0.65	الكويت
-0.26	-0.26	-0.06	-0.01	-0.14	-0.39	-0.70	المغرب
-0.28	-0.09	-0.12	-0.35	-0.13	-0.93	0.03	تونس
-0.76	-1.06	-0.76	-0.22	-0.38	-1.72	-0.42	لبنان
-0.78	-0.57	-0.44	0.28	-0.53	-1.99	-0.85	فلسطين
-0.82	-0.92	-0.82	-0.70	-1.05	-0.58	-0.91	موريتانيا
-0.83	-0.49	-0.85	-0.55	-0.97	-0.72	-1.41	جيبوتي
-0.87	-0.61	0.73	-1.21	-0.51	-1.17	-0.93	الجزائر
-0.92	-0.59	-0.60	-0.75	-0.82	-1.58	-1.19	مصر
-1.46	-1.34	-1.36	-1.25	-1.13	-2.47	-1.21	العراق
-1.47	-1.55	-1.17	-0.84	-1.41	-2.53	-1.34	اليمن
-1.62	-1.45	-1.15	-1.39	-1.61	-2.36	-1.73	السودان
-1.73	-1.61	-1.52	-2.19	-1.64	-2.32	-1.15	ليبيا
-1.76	-1.55	-1.34	-1.67	-1.44	-2.76	-1.80	سوريا
-0.89	-0.77	-0.72	-0.73	-0.78	-1.30	-1.06	متوسط كل بلد*

المصدر: Worldwide Governance Indicators على الرابط:

<http://info.worldbank.org/governance/wgi/index.aspx#reports>

\* قام الباحث باحتساب قيمة متوسط الدليل لكل بلد ومتوسط كل بلدان العربية مجتمعة.  
**المحور الرابع- مناقشة ختامية واستنتاجات:** أظهر البحث أن عملية التحول الديمقراطي عملية معقدة، تتطلب وقتاً وشروطاً يقع بعضها على الأفراد من بينها تعلم الأفراد روح المسؤولية، والخضوع للقانون، والتعاون والعمل الجمعي، على جانب تنمية روح التكامل والتضامن فيما بينهم. وبعضها يقع على عاتق الدولة من حيث بناء المؤسسات، وترسيخ قيم الحرية ومبادئ الديمقراطية وبخاصة منها الحرية كونها جوهر النظام السياسي والاجتماعي، والعقد الاجتماعي كونه ماهية النظام السياسي المدني، والفصل بين كل ما هو ديني وسياسي في الحياة العامة ومؤسسات الدولة. إن أهم النتائج المستخلصة من البحث بعامة والمؤشرين اللذين تم توظيفهما لفهم عملية التحول الديمقراطي في العالم والوطن العربي تكمن في الآتي:

**1- النتائج المستخلصة عن بعض العوامل التي ساعدت في انتشار قيم الديمقراطية في العالم:**

تبيّن من البحث أن تحولات كبيرة شهدتها العالم منذ منتصف القرن العشرين وبخاصة العقد الأخير وما بعده منها: زيادة معدل الإلمام بالقراءة والكتابة في العالم. وانهيار الأنظمة الشيوعية عام 1991م. وانتشار العولمة وما ارتبط بها من ثورة التكنولوجيا والمعلومات والاتصالات. وأن هذه التحولات أثرت على الأفراد والمجتمعات على حد سواء. فعلى مستوى الأفراد أظهر البحث أن إقبال الناس الكبير في العالم على منتجات التكنولوجيا وبخاصة وسائل الاتصال والإعلام: الهواتف النقالة، والقنوات الفضائية، وشبكة الانترنت وتوظيفهم لها بشكل يومي في الحصول على الأخبار والمعلومات على اختلافها، أسهم في انفتاحهم على الآخرين وتواصلهم معهم، ومكّنتهم من التعبير عن آرائهم واتساع خياراتهم، وازدياد وعيهم بقضايا حياتية كثيرة على المستويين المحلي والخارجي، منها القضايا المرتبطة بقيم الديمقراطية وأهميتها. فالناس على مستوى العالم - بحسب مسح القيم العالمي - يؤيدون نظام الحكم الديمقراطي بنسبة 82.1%. وبالمقابل جاء تأييدهم لسؤال

## ملامح التحول الديمقراطي في العالم والوطن العربي...

عن حكم الجيش للبلاد منخفضاً بنسبة 24.9%. كما أكد 40.9% على أهمية أن يعيش الفرد في بلد تحكمه الديمقراطية، وبين 40.6% من أعضاء العينة العالمية أن سمات الديمقراطية الجوهريّة اختيار الناس لحكامهم، وتعد هاتان النسبتان الأعلى من بين نسب بدائل الإجابة المقترحة لهاذين السؤلين.

أمّا على مستوى المجتمعات فأظهر البحث أن العديد منها سعت إلى تطوير أنظمتها السياسية من خلال تبنيها للنظام الديمقراطي في الحكم. فقد تبين أن قرابة ثلثي المجتمعات الإنسانية تشهد الآن نظاماً ما بين ديمقراطية كاملة وأخرى معيبة وهجينة، وأنّ النظم التسلطية لم تعد تتشكل في العالم الآن إلا قرابة الثلث فقط. لقد دفعت هذه التحولات والآثار المترتبة عنها ببعض المفكرين والعلماء والكتّاب إلى التبشير بانتصار الديمقراطية الليبرالية، ونهاية الأنظمة الديكتاتورية من بينهم **فرانسيس فوكوياما (Francis Fukuyama)** الذي أعلن عن نظريته المثيرة للجدل نهاية التاريخ والإنسان الأخير (1992م) التي أوضح فيها أن انتصار الديمقراطية الليبرالية يمثل نهاية التاريخ من الناحية الإيديولوجية، ونهاية التاريخ تعني نهاية البدائل؛ أي نهاية الديكتاتورية والفاشية والنازية.

**2- النتائج المستخلصة عن التحول الديمقراطي في العالم من واقع المؤشرين للعام 2014 والأبعاد المؤثرة:** أهم ما يمكن استنتاجه من الجداول رقم (1، 2، 3، 4) أن جميع البلدان الـ 24 التي تصنّف على أنّها ديمقراطيات كاملة، أحرزت تقدماً كبيراً على مستوى المتوسطات الحسابية لجميع أبعاد المؤشرين. إذ جاء متوسطها العام على مؤشر الديمقراطية (8.70)، وعلى مؤشر الحكم الرشيد (1.38). كما تبين أنّ أكثر الأبعاد بالمؤشرين إسهاماً وتأثيراً بإيجابية على الممارسة الديمقراطية بهذه البلدان هما: بعد العملية الانتخابية والتعددية بمؤشر الديمقراطية وقد جاء متوسطه (9.58)، وبعد سيادة القانون بمؤشر الحكم الرشيد وقد جاء متوسطه (1.63).

وبالمقابل، فجميع البلدان الـ 24 التي صنفت على أنّها أنظمة تسلطية، جاءت متوسطاتها الحسابية متدنية على جميع أبعاد المؤشرين. إذ بلغ المتوسط العام على مؤشر الديمقراطية (2.26)، وعلى مؤشر الحكم الرشيد (-1.18) باستثناء ثلاث بلدان هي: الإمارات العربية والبحرين والعربية السعودية التي جاءت متوسطاتها فوق الصفر. كما تبين أنّ أكثر الأبعاد إسهاماً وتأثيراً بالمؤشرين في تدني الممارسة الديمقراطية وترسيخ التسلطية بهذه البلدان هما: بعد العملية الانتخابية والتعددية بمؤشر الديمقراطية الذي جاء متوسطه (0.57)، وبعد المساءلة والصوت بمؤشر الحكم الرشيد الذي جاء متوسطه (-1.54). إنّ هاذين البعدين رغم اختلافهما في المسمى إلا أنّهما يشتركان في المضمون. إذ وضع كلاهما لقياس جودة العملية الانتخابية، من حيث قدرة المواطنين بأي بلد على المشاركة في الانتخابات على مستوى المجالس التشريعية والتنفيذية، ومن حيث حرية التعبير، وتكوين الجمعيات، ومدى حريتهم في تشكيل الأحزاب، ومدى إمكانية وصول جميع المواطنين إلى المناصب العامة، والمدى الذي تسمح به القوانين لمنح الفرص المتساوية للحملات الانتخابية، ومدى حرية وسائل الإعلام، ونزاهة وحرية الانتخابات.

**3- النتائج المستخلصة عن العوامل التي ساعدت في انتشار قيم الديمقراطية في الوطن العربي:** تبين من البحث أنّ إقبال الناس بالبلدان العربية منذ تسعينيات القرن العشرين على منتجات العولمة والتقدم التكنولوجي وبخاصة منها: الهواتف النقالة، والقنوات الفضائية، وشبكة الانترنت، وتوظيفها كإحدى أهم مصادر التزود بالأخبار والمعلومات بشكل يومي، ووصولهم على الأخبار والمعلومات على اختلافها والإطلاع عليها، أسهم في تمكينهم من التواصل مع الآخرين محلياً وعالمياً، والتعبير عن آرائهم واتساع خياراتهم، وازدياد وعيهم بقضايا حياتية كثيرة منها القضايا

#### ملامح التحول الديمقراطي في العالم والوطن العربي...

المرتبطة بالديمقراطية وأهميتها. فقد تبين أن العرب - بحسب مسح القيم العالمي - يؤيدون نظام الحكم الديمقراطي بنسبة 83%. أما تأييدهم لنظام حكم الجيش فقد جاء منخفضاً بنسبة 31.4%. كما أكد 42.5% على أهمية أن يعيش الفرد في بلد تحكمه الديمقراطية، وأن من السمات الجوهرية للديمقراطية اختيار الناس لرؤسائهم في انتخابات حرة ونزيهة بنسبة 37% وهي أعلى نسبة سجلت من بين البدائل الإجابة المقترحة لهذا السؤال. ويلاحظ من هذه النسب توافق العينة العربية مع العينة العالمية من حيث تأييدهم للنظام الديمقراطي، ورفضهم للنظم التسلطية بما في ذلك حكم الجيش.

**4- النتائج المستخلصة عن التحول الديمقراطي في الوطن العربي من واقع المؤشرين للعام 2014م والأبعاد المؤثرة:** إن أهم ما يمكن استخلاصه من الجدولين (5،6) أن البلدان العربية مجتمعة تصنّف على أنّها أنظمة تسلطية، إذ جاءت متوسطاتها الحسابية متدنية للمؤشرين. فقد بلغ المتوسط العام لها على مؤشر الديمقراطية (3.53) باستثناء تونس التي صنفت على أنّها ديمقراطية معيبة. وبلغ المتوسط العام لها على مؤشر الحكم الرشيد (-0.89) باستثناء الإمارات العربية وقطر، والبحرين، عمان، والعربية السعودية، والأردن التي جاءت متوسطاتها فوق الصفر. كما تبين أنّ أكثر الأبعاد إسهاماً وتأثيراً في تدني الممارسة الديمقراطية بالبلدان العربية، والتي تعيق التحول الديمقراطي هما: بعد العملية الانتخابية والتعددية بمؤشر الديمقراطية الذي جاء متوسطه (2.29)، وبعد الاستقرار السياسي وغياب العنف بمؤشر الحكم الرشيد الذي جاء متوسطه (1.30).

أمّا عن النظم السياسية فالبحث بيّن أنّ معظم البلدان العربية بقيت محتقظة بنظمها السياسية دون تغيير، وبخاصة فيما يتعلق بعملية الإصلاح الديمقراطي؛ بالرغم من كل التغيرات التي شهدتها البلدان العربية منذ تسعينيات القرن العشرين سواء على مستوى الأفراد، أو التنظيمات المدنية التي برزت منذ 2003م التي طالبت بضرورة الإصلاح السياسي؛ وأنّ التغيير الوحيد الذي طرأ على المشهد السياسي العربي كان اعتراف القادة العرب في قمة تونس 2004م بمشروعية الإصلاح الديمقراطي. ومع ذلك بقي هذا الاعتراف حبيس الأوراق والأروقة التي أعلن منها. وبقيت هذه النظم تمارس على المواطن العربي أشكالاً من الدكتاتورية وترفض أن تستجيب لطموحاته وتوجهاته وتلبي احتياجاته، فكان اندلاع ثورات الربيع العربي في بعض البلدان العربية 2011م والتي تردد صداها بشيء من الحذر في البلدان العربية الأخرى.

خلاصة القول: إن الإقبال على منتجات التكنولوجيا وبخاصة وسائل الاتصال والإعلام أسهم في نشر القيم الديمقراطية، وأنّ هذا الإقبال أحدث وعياً عالمياً سواء على مستوى الأفراد، أو المجتمعات بأهمية الديمقراطية وضرورة التحول الديمقراطي من أجل التنمية والتمكين، وأنّ عدداً كبيراً من المجتمعات بدأت تسعى نحو الديمقراطية وتمثلها، وإنّ اختلافت في التعاطي معها وممارستها. أمّا على مستوى المجتمعات العربية فأغالبيتها ما زالت تترجح تحت أنظمة حكم توصف بالتسلطية، وأنّ هناك هوة بين تطلعات العرب نحو الديمقراطية والنظم السياسية الحاكمة. كما تبين أنّ أكثر الأبعاد المؤثرة - إيجاباً أو سلباً - في العملية الديمقراطية وممارستها سواء على مستوى العالم أم الوطن العربي بحسب المؤشرين: مؤشر الديمقراطية ومؤشر الحكم الرشيد هي:

- 1- بعد العملية الانتخابية والتعددية / والمساءلة والصوت. 2- بعد سيادة القانون. 3- بعد الاستقرار السياسي وغياب العنف.

#### مراجع البحث:

- 1- أنجيس، موريس. منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية. ترجمة بوزيد صحراوي وكمال بوشرف وسعيد سبعون. الجزائر: دار القصة للنشر، 2004م.

ملاحح التحول الديمقراطي في العالم والوطن العربي...

- 2- تقرير التنمية الإنسانية العربية. نحو الحرية في الوطن العربي، 2004م.
- 3- تقرير التنمية البشرية. الثروة الحقيقية للأمم: مقررات تمهيدية للتنمية البشرية، 2010م.
- 4- تقرير التنمية البشرية. نهضة الجنوب: تقدم بشري في عالم متنوع، 2013م.
- 5- دال، روبرت أ. عن الديمقراطية. ترجمة أحمد أمين الجمل. ط1. القاهرة: الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، 2000م
- 6- على، جمال سلامة. النظام السياسي والبناء الاجتماعي. ط1. القاهرة: دار النهضة العربية، 2006م.
- 7- غدنز، أنتوني. علم الاجتماع. ترجمة فايز الصياغ. ط1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2005م.
- 8- مؤشر إدارة الحكم الرشيد العالمي 2014 The Worldwide Governance Indicator المصدر:  
<http://info.worldbank.org/governance/wgi/index.aspx#reports>
- 9- مؤشر الديمقراطية 2014 Democracy Index المصدر :  
<http://www.sudestada.com.uy/Content/Articles/421a313a-d58f-462e-9b24-2504a37f6b56/Democracy-index-2014.pdf>
- 10- مسح القيم العالمي 2010- 2014 م المصدر :  
[www.worldvaluessurvey.org/wvSOnline.jsp](http://www.worldvaluessurvey.org/wvSOnline.jsp)
- 11- Kendall, Diana. Sociology In Our Time: The Essentials .6ed. Belmont: Thomson Learning, Inc.2007.

## أسلوب المناقشة الجماعية، وأثره في تنمية مهارات الاستجواب لدى طالبات جامعة الزاوية

د. آمنة حسين عبد المولى بركات  
كلية الآداب — الجميل

### مقدمة البحث:

الإنسان اجتماعي بطبعه، لا يستطيع ان يتصرف بمفرده دون الرجوع إلى غيره فيتفاعل معهم، وكل ما يحيط به، ويشارك في التطوير والتعديل لصالح المجتمع، فالعالم بتطوره دفع الإنسان إلى البحث والتفكير؛ لمواجهة متطلبات العصر، ومواكبة تطوراته السريعة والمتقدمة، بما فرض على التعليم متطلبات أساسية ومهمة، فأصبح من المفروض على المؤسسات التعليمية ألا تنقل المعارف والمهارات فقط، بل تعلم طرق التفكير والإبداع والتعامل مع الحياة بمجالاتها المختلفة.

فالتربية والتعليم يؤديان دوراً رئيساً في تكوين إنسان هذا العصر ليكون مدرباً، ومنتجاً، وقادراً على الإسهام في دفع عجلة التنمية في جميع المجالات<sup>(1)</sup>، لقد أصبحت التربية من الأمور الأساسية في حياة الأمم والشعوب، فهي متغيرة وأداة للتغيير، وهي وسيلة لصنع المواطن الجديد، من خلال تنمية تفكيره، ومهاراته، وخبراته، وقدراته العقلية<sup>(2)</sup>، لذلك نجد محاولات من أجل تحسين، وتطوير النظم التعليمية والتربوية في جميع أنحاء العالم، وإعادة النظر في مناهجنا الدراسية، وطرائق وأساليب التدريس على أسس علمية حديثة وسليمة؛ لتحقيق التقدم الذي تنتشده وتهدف إليه، فطرائق التدريس المستخدمة في مدارسنا بكل المراحل تعتمد على طريقة التدريس القائمة على التلقين والإلقاء من قبل المعلم، والمتعلم بدوره يقوم بحفظ هذه المعارف والمعلومات وسردها على المعلم كما ذكرها؛ فهذه الطريقة تعتبر تقليدية ولها العديد من السلبيات، كذلك لها إيجابيات، ولكن لا بد من التنوع في أساليب وطرائق التدريس التي يشارك فيها المتعلم؛ لأنه هو محور من محاور العملية التعليمية، والمعلم الناجح والتميز هو الذي ينوع في طرائق التدريس ولا يعتمد على طريقة أو أسلوب واحد في التدريس، من بين العديد من هذه الطرق والأساليب ( أسلوب المناقشة الجماعية )، وهو أسلوب متبع منذ القدم فالبعث ينسبه إلى سقراط، ولأهمية أسلوب المناقشة في التدريس أتى عليه الكثير من العلماء والباحثين، حيث يقول (عبد العزيز): ( لو طبقنا أسلوب المناقشة في مدارسنا لتحول الدرس إلى محاضرات مشوقة، يشارك فيها المعلم ومتعلميه بروح ديمقراطية، تاركاً لهم حرية التعبير عن آرائهم وما يجول في خواطرهم، ويرشدهم إلى ما يريدونه )<sup>(3)</sup>.

فتنفيذ موقف التدريس على صورة أسئلة وأجوبة هي: عملية فتح الاتصال بين المعلم والمتعلمين، أو بين المتعلمين أنفسهم، ويمكن أن تتم المناقشة بين أفراد مجموعات صغيرة أو كبيرة، كما يمكن أن تكون المناقشة في غرفة الصف، أو في المختبر، والمناقشة وسيلة اتصال جيدة ما بين المعلم والمتعلم، حيث يستطيع المعلم من خلال المناقشة التعرف إلى المتعلمين، كما تصبح العلاقة بينهم قوية. فطريقة المناقشة تؤكد على إيجابية المتعلم وتشجعه على التعاون، وتدريبه على النقد البناء، وعلى الاعتماد على النفس والثقة بها، ويشجعه على البحث والأساليب الديمقراطية، ويراعي الفروق الفردية بين المتعلمين، وينمي ما يملكونه من ميول واستعدادات وقدرات ومهارات، وتعد المناقشة وسيلة اتصال فكري بين المعلم والمتعلم، وكذلك بين المتعلمين أنفسهم، وقد يكون الحوار موقفاً تعليمياً فعّالاً يذكر علماء التربية والمهتمين بطرائق التدريس: إن لهذا الأسلوب جذوراً تاريخية تمتد إلى عصر الفيلسوف اليوناني ( سقراط ) إذ كان يتبعه في توجيه فكر تلاميذه، ويشجعهم على



### أسلوب المناقشة الجماعية وآثره في تنمية مهارات الاستجواب...

البحث في القضايا التي كان يعرضها عليهم، وهذا الأسلوب ينقل المتعلمين من الموقف السلبي إلى الموقف الإيجابي؛ لأنهم يساهمون مع المعلم في التفكير وإبداء الرأي (4).

**مشكلة البحث:** تتحدد مشكلة البحث في: تدني مستوى مهارات الاستجواب، لدى طالبات السنة الثالثة قسم الأحياء، كلية التربية، في مادة طرق تدريس خاصة، ويرجع السبب في ذلك إلى استخدام أغلب المعلمين طرق تدريس معتادة وتقليدية. وتدور مشكلة البحث في التساؤل التالي:

- ما أثر أسلوب المناقشة الجماعية في تنمية مهارات الاستجواب، لدى طالبات السنة الثالثة قسم الأحياء كلية التربية جامعة الزاوية؟

**أهمية البحث:** تتمثل أهمية البحث في الآتي:

- تنمية مهارات الاستجواب لدى المتعلمين.
- التأكيد على أهمية العلاقة بين المعلم والمتعلم؛ لمعرفة الفروق الفردية.
- ندرة الدراسات السابقة في هذا الموضوع، حسب علم الباحثة.
- يضيف هذا البحث للمكتبة الليبية لبنة علمية تزيد من الرصيد العلمي الأكاديمي.

**أهداف البحث:**

يهدف البحث الحالي إلى الكشف عن أثر المناقشات الجماعية في تنمية مهارات الاستجواب (معرفة، فهم، تطبيق)، لدى طالبات قسم الأحياء كلية التربية جامعة الزاوية.

**فروض البحث:**

- 1- توجد فروق دالة إحصائياً عند مستوى (0.05) بين متوسطات درجات طالبات المجموعة التجريبية، والمجموعة الضابطة في اختبارات مهارات الاستجواب، لصالح المجموعة التجريبية.
- 2- توجد فروق دالة إحصائياً عند مستوى (0.05)، بين متوسطات درجات طالبات المجموعة التجريبية في التطبيق القبلي والبعدي في اختبار مهارات الاستجواب، لصالح التطبيق البعدي.

**حدود البحث:**

- 1- الحد الزمني: تم تطبيق البحث في العام الدراسي 2016-2017م.
- 2- الحد المكاني: كلية التربية جامعة الزاوية.
- 3- الحد البشري: عينة من طالبات السنة الثالثة قسم الأحياء كلية التربية جامعة الزاوية.
- 4- الحد الموضوعي: أسلوب المناقشة الجماعية ودوره في تنمية مهارات الاستجواب (الأسئلة والإجابة حسب مستويات المعرفة والفهم والتطبيق).

**مصطلحات البحث:**

- 1- أسلوب المناقشة الجماعية: عرّفه (محمد الحيلة) بأنه: "طريقة في التدريس معدلة عن طريقة المحاضرة أو الإلقاء، وفي العادة تعتمد على الحوار الشفوي بين المعلم والمتعلم" (5).
- وعرّفه (زيد الهويدي) بأنه: " الطريقة التي تتمي مهارات الاتصال والتواصل بين المعلم من جهة، والمتعلمين من جهة أخرى، كذلك بين المتعلمين أنفسهم" (6).
- التعريف الإجرائي لأسلوب المناقشة الجماعية: هو أسلوب تدريسي قائم على طرح الأسئلة والإجابة عنها (الحوار) من قبل المعلم أو المتعلمين فيما بينهم.
- 2- مهارات الاستجواب: هي الأسئلة التي يستخدمها المعلم في الحصة لتحقيق حسن التواصل مابين المعلم والمتعلم؛ وذلك لتحقيق أهداف الحصة الدراسية، ومن شروطها قدرة وإتقان المعلم على صياغة الأسئلة، وتوفير مناخ تعليمي مريح (7).

أسلوب المناقشة الجماعية وأثره في تنمية مهارات الاستجواب ...

- التعريف الإجرائي: هو عملية طرح الأسئلة حسب مستويات (بلوم) (تذكر، فهم، تطبيق، تحليل)، واستقبال الإجابة بدقة وسرعة وإتقان من قبل المعلمين، أو المتعلمين فيما بينهم.

أدبيات البحث:

المحور الأول: أسلوب للمناقشة الجماعية مفهوما - خطواتها - أنواعها

**أسلوب المناقشة الجماعية:** هو أسلوب تدريسي يُحدثُ تفاعلاً بين المعلم والمتعلم، الذي بدوره يكون فاعلاً وإيجابياً إلى حد ما، ويتطلب من المعلم أن يعد لها إعداداً جيداً؛ حتى يتمكن من شرح المادة شرحاً جيداً ويضمن تفاعل المتعلمين، ويتم ذلك بطرح المعلم للأسئلة داخل الصف، وهي مهارة يجب أن يتقنها المعلم، ووسيلة مهمة لتحقيق الأهداف المرغوبة في جميع المراحل العملية التعليمية، فأسلوب المناقشة الجماعية هو عبارة عن: اجتماع مجموعة من العقول حول مشكلة من المشكلات، أو قضية من القضايا، ودراستها دراسة منظمة؛ بقصد الوصول إلى حلٍّ للمشكلة، وللمناقشة عادة؛ يقوم الرائد بعرض الموضوع، ويوجه المجموعة إلى الخط الفكري الذي تسير فيه المناقشة حتى تنتهي إلى الحل المطلوب، وتؤسسُ هذه الطريقة في جوهرها على الحوار، ويعتمد فيها المعلم على معارف المتعلمين وخبراتهم السابقة، فيوجه نشاطهم مستخدماً الأسئلة المتنوعة وإجابات المتعلمين لتحقيق أهداف درسه، ففيها إثارة للمعارف السابقة وتثبيت المعارف الجديدة، والتأكد من الفهم، وفيها استثارة للنشاط العقلي الفعّال عند المتعلمين وتنمية انتباههم، وتأكيد تفكيرهم المستقبلي، ووصف (حمدان) المناقشة الجماعية: " بأنها أكثر الإجراءات المحبذة في التعليم لما تحدثه من تفاعل فكري واجتماعي بين المعلم ومتعلميه، أو بين المتعلمين بعضهم ببعض" (8).

طريقة المناقشة: طريقة تدريس معدلة عن المحاضرة، وهي تعتمد على الحوار الشفوي ما بين المعلم والمتعلم عادة، واشتراك المتعلمين في الدرس اشتراكاً إيجابياً متفاعلاً من خلال ما يثيرونه من أسئلة واستفسارات، وما يتبادلونه من معلومات بشأن موضوع الدرس. فهي الطريقة التي يقوم فيها المعلم بتقسيم طلاب الصف إلى مجموعات صغيرة، ثم يطرح عليها موضوعاً، أو سؤالاً، أو مشكلة، أو قضية، ويطلب مناقشتها وإيداء الرأي فيها، ثم محاولة التوصل إلى حلها (9). أي أنّ المتعلم هو المحور الأساسي في المناقشة، ودور المعلم قيادة وتوجيه النقاش، فالمناقشة الجماعية: تعتبر من الأساليب التدريسية التي تتيح الحرية، وتعتمد أساساً على المتعلمين، لوصفهم محوراً مركزياً تدور حوله العملية التعليمية (10) فلا بد أن يتم التخطيط الجيد للمناقشة، وللأسئلة التي يتم طرحها أثناء المناقشة، يجب أن تكون حافزة، من أجل إثارة التلاميذ وشد انتباههم، ويمكن استخدام الأسئلة طيلة الحصة الدراسية بحيث تتخلل جميع المواقف والمعلومات داخل الدرس وتسمى بالأسئلة البنائية، حيث لا يجوز للمعلم أن ينتقل من هدف إلى آخر إلا بعد أن يتأكد من تحقيق الهدف الأول. ودعمها بالوسائل التعليمية، ومشاركة جميع المتعلمين فيها. وأسلوب المناقشة يفيد في تكوين اتجاهات إيجابية عند المتعلمين مثل احترام الرأي الآخر، وتبادل الآراء، وحسن الاستماع، وعدم التسرع في إعطاء الحكم. كما أنها تقيد في التقييم، ومعرفة مستويات المتعلمين والتعرف على الأهداف التي لم تتحقق لدى المتعلمين.

**خطوات المناقشة:**

تقوم طريقة المناقشة على ثلاث خطوات متداخلة هي:

- 1- الإعداد للمناقشة.
- 2- السير في المناقشة.
- 3- تقويم المناقشة.

أسلوب المناقشة الجماعية وآثره في تنمية مهارات الاستجواب...

فمن خلال عرض الدرس تبرز أسئلة تحتاج إلى البحث والدراسة، فيوجه المعلم المتعلمين إلى البحث عن إجاباتها من المصادر المتاحة له، ويدون الطلاب ما توصلوا إليه من إجابات، استعداداً لمناقشتها في حصة محددة، وفي حصة المناقشة يعرض كل طالب ما جمعه من معلومات، ويتبادل الطلبة الإجابات، ويتم بذلك تنمية مهارات الاستجواب بهذه الطريقة، ويقوم المعلم بتنظيم عملية النقاش وإدارته، والهدف من الاستعداد للمناقشة هو: إثارة اهتمام الطلبة بموضوع الدرس أو المشكلة المطروحة للمناقشة، وربط الدرس الجديد بالدرس السابق فيتم تبادل الأفكار ووجهات النظر؛ ليتم تحديد الفكرة الأساسية لموضوع النقاش، ولابد من توافر معلومات سابقة لدى الطلبة ليتمكنوا من المشاركة بفاعلية في عملية المناقشة.

1 - الإعداد للمناقشة: يتم فيها:

- أ- تحديد أهداف المناقشة وصياغتها.
- ب- تحديد نوع المناقشة.
- ت- تحديد المصادر التعليمية.
- ث- التخطيط للتهيئة.
- ج- التخطيط لإدارة عملية المناقشة، وتنظيمها، وكيفية السير فيها.
- ح- التخطيط لتقييم خطوات المناقشة .

2- السير في المناقشة: في هذه الخطوة تمارس جميع مهارات التدريس، ويتمكن المعلم مع طلابه من إدارة الوقت، وممارسة العمل الجماعي ومهارات الاتصال، واستخدام تكنولوجيا التعليم، وتبادل المعلومات والأفكار.

3- تقويم المناقشة وفيها:

- أ- تقويم ذاتي.
- ب- تقويم جماعي.
- أ- التقويم الذاتي: يتم عن طريق استخدام بطاقة تتكون من عدد من البنود تدور حول مدى مساهمة الطلاب في عملية المناقشة، ومحددة باستجابات متدرجة من 4 : 1 رقم (1) أدنى عمليات المساهمة، ويمثل رقم (4) أعلاها وفي نهاية البطاقة توجد مساحة خالية للتعليقات والآراء.
- ب- التقويم الجماعي: ويتم ذلك باستخدام بطاقة تحتوي على عدد من البنود، للوقوف على مدى استفادة الطالب من المناقشة، والمعلم له دور كبير في تقويم عملية المناقشة من خلال التساؤلات الآتية:

- 1- إلى أي مدى تم تحقيق أهدافه؟.
  - 2- ما الأهداف التي لم تتحقق بشكل جيد؟.
  - 3- ما مستوى الأسئلة التي طرحها المتعلمون؟.
  - 4- هل تمت إدارة عملية المناقشة بشكل جيد؟.
- أنواع المناقشة: أنواع المناقشة حسب الفترة الزمنية :
- 1- المناقشة الصفية القصيرة: وهي المناقشة التي تدور بين المتعلمين والمعلم، أو بين المتعلمين بإشراف المعلم، وهي لا تدوم إلا وقتاً قصيراً يتراوح بين 4-6 دقائق، وهذه المناقشة تدور غالباً حول أحد الأمور الآتية:
  - أ- توضيح بعض المفاهيم الواردة في الدرس.
  - ب- استخلاص معلومات خاصة من: صور، أو رسم بياني.
  - ت- فهم مشكلة معينة متضمنة في الموضوع.

أسلوب المناقشة الجماعية وأثره في تنمية مهارات الاستجواب ...

**2- المناقشة الصفية الطويلة:** ويتناول فيها المتعلمون مناقشة مشكلة تستغرق وقت الحصة كاملاً، ويمكن حل المشكلة اعتماداً على المعلومات السابقة التي تعلمها الطلاب<sup>(11)</sup>، ويستخدم في هذه المناقشة النقاش التأملي، وذلك لمساعدة المتعلمين على تطوير مهاراتهم التحليلية، والتوصل إلى بدائل متنوعة وإيجاد الحلول للمشكلات. وترتبط هذه المهارات بأهداف معرفية ذات مستوى مرتفع مثل: التحليل، والتركيب، والتقويم، وفي هذه المناقشة يطرح المعلم مشكلة لها علاقة بهدف تعليمي، ثم يطرح مجموعة من الأسئلة المغلقة، والأسئلة المفتوحة المتعلقة بالمشكلة، وذلك للحصول على إجابات متنوعة، وفي هذه الحالة يجب قبول جميع إجابات الطلاب، كما يكلف المعلم أحد الطلبة بتسجيل الإجابات، ثم يقوم المعلم مع طلابه بتصنيف الإجابات إلى عناوين رئيسية، وبهذا يدرّب الطلبة على تصنيف الإجابات، وبالتالي استخلاص النتائج والتعميمات والمبادئ، والوصول إلى حلول للمشكلة الأساسية المطروحة<sup>(12)</sup>.

**أنواع المناقشة حسب المجموعات:**

1- المناقشة الثنائية: يجري هذا الأسلوب بين اثنين من المتعلمين، أحدهما يسأل والثاني يجيب معتمداً على الجدل، وقد يتصرف المعلم في النقاش فيجعله بأشكال مختلفة، كأن يكون اثنين، أو ثلاثة مقابل ثلاثة<sup>(13)</sup>.

2- المناقشة الجماعية الحرة: في هذه الطريقة يجلس مجموعة من الطلاب على شكل حلقة للمناقشة، ويحدد قائد الجماعة أبعاد الموضوع وحدوده، ويوجه المناقشة؛ لينتج أكبر قدر من المشاركة الفعّالة، والتعبير عن وجهة النظر المختلفة دون الخروج عن موضوع المناقشة، ويحدد في النهاية الأفكار الهامة التي توصلت لها الجماعة، فقائد الجماعة هو الذي يقوم بتوجيه الأسئلة التي يتوخى فيها إثارة تفكير الطلبة، وتبادل الأسئلة والأجوبة فيما بينهم حتى يتحول الصف إلى مجموعة متفاعلة بين سائل ومجيب، وبالتالي تُنمى فيهم مهارة صياغة الأسئلة، وكيفية الإجابة عليها. ويبرز دور المعلم في إيجاد جو ديمقراطي، يسوده التعاون في البحث والمناقشة<sup>(14)</sup>.

3- المناقشة الاكتشافية: في هذه الطريقة: يطرح المعلم مشكلة محددة أمام طلابه، تشكل محوراً تدور حوله الأسئلة المختلفة الهدف، فتوقظ فيهم هذه الأسئلة معلومات مخزنة في الذاكرة، وتثير ملاحظاتهم وخبرتهم الحيوية، ويختار الطلبة بين مجموعة من الحقائق التي توصلوا إليها، حتى إذا أصبحت معروفة وواضحة لديهم يبدأ هؤلاء في استخراج القوانين والقواعد وتصميم النتائج، وهكذا يكتشفون عناصر الاختلاف والتشابه ويدرسون أوجه الترابط، وأسباب العلاقات، ويستنتجون الأجوبة للأسئلة المطروحة بطريقة الاستدلال المنطقي، وبالتالي يستوعبون المعارف بأنفسهم دون الاستعانة بأحد، وتتحصر مهمة المعلم على الإرشاد والتوجيه والتنظيم، وأن يتدخل إذا استوجب الموقف ذلك أو أحس أن المناقشة خرجت عن أهدافها أو يذكر بنقط يرى أنها ضرورية<sup>(15)</sup>.

4- الندوة: تتكون من مقرر وعدد من الطلاب لا يزيد عددهم عن ستة، ويجلسون في نصف دائرة أمام بقية الطلاب، ويعرض المقرر موضوع المناقشة ويوجهها بحيث يوجد توازناً بين المشتركين في عرض وجهة نظرهم في الموضوع، وبعد انتهاء المناقشة يُلخص أهم نقاطها ويطلب من بقية الطلاب توجيه الأسئلة التي ثارت في نفوسهم إلى أعضاء الندوة، وقد يوجه المقرر إليهم أسئلة أيضاً، ثم يقوم بتلخيص نهائي للقضية ونتائج المناقشة، الأسئلة التعليمية لها أغراض عدة من بينها: تشخيص معرفة المتعلم السابقة، وإثارة اهتمام المتعلم بالموضوع، وكشف عمليات التفكير والتقويم وغيرها من الأهداف.

**مزايا أسلوب المناقشة:** يمكننا القول إنَّ لأسلوب المناقشة مزايا متعددة يمكن تحديد أهمها فيما يلي:

1- يُنمى لدى الطلبة مهارات اجتماعية، من خلال تعوده الحديث إلى زملائه والمعلم.

أسلوب المناقشة الجماعية وآثره في تنمية مهارات الاستجواب...

- 2- يَنمي لدى الطلبة مفهوم الذات، وروح التعاون، والانسجام، والتفاعل.
  - 3- طريقة تدفع المتعلمين إلى التفكير، والبحث، والمطالعة، والتقيب، والاستنتاج.
  - 4- تراعي هذه الطريقة الفروق الفردية بين المتعلمين.
  - 5- تُبعد الملل والضجر عن الطلاب؛ نظراً للفعاليات التي يُوَدونها، والمسؤوليات والواجبات.
  - 6- تُنمي الجراءة الأدبية والشجاعة على إبداء الرأي، واحترام آراء الطلاب ومشاعرهم.
  - 7- يعد من أكثر أساليب التدريس قدرة على تطوير المعلومات النظرية، والمهارات التطبيقية، والتفكير المنطقي، واللغة، والاهتمامات المعرفية، والانفعالات<sup>(16)</sup>.
- سلبيات أسلوب المناقشة:** هناك عدة أمور من السلبيات قد تنتج عن استخدام هذه الطريقة فيما لو أُسيء تطبيقها من جانب المعلم أو المتعلم، ومن هذه السلبيات:

- 1- إذا لم يحدد المعلم موضوعه، تختلط عليه الأمور.
- 2- الوقت قد يسرق الجميع إذا لم ينتبه إليه المعلم، خاصة إذا كان عدد المتعلمين كبيراً.
- 3- سيطرة مجموعة من المتعلمين على الحديث على حساب غيرهم، إذا لم ينتبه المعلم لذلك.
- 4- إذا لم يستعد الطلاب للمناقشة؛ تكون لا جدوى منها.
- 5- إذا لم يضبط المعلم إدارة الحوار والمناقشة، سوف يتحول إلى مكان للفوضى.
- 6- يحتاج هذا الأسلوب إلى التعرف على المراجع، والمصادر، وتحديد أوجه النشاط المطلوب، وهذا يحتاج إلى معلم ذي خبرة واسعة، وأفق ثقافي واسع<sup>(17)</sup>.

**المحور الثاني: الأسئلة الصفية تصنيفها، ومهارة طرحها:**

**تصنيف الأسئلة الصفية:** تصنف الأسئلة الصفية إلى عدة تصنيفات من بينها تصنيف (بلوم): صنف (بلوم) الأهداف السلوكية إلى ستة مستويات (المعرفة، والفهم، والتطبيق، والتحليل، والتركيب، والتقويم) والأسئلة تشتق من الأهداف السلوكية، وبالتالي حسب تصنيف الأهداف، وتصنف الأسئلة الصفية، وتعتبر (المعرفة، والفهم، والتطبيق) ذات مستوٍ منخفض من التفكير، و ( التحليل، والتركيب، والتقويم) ذات مستوٍ عالٍ من التفكير.

- 1- أسئلة المعرفة هي: الأسئلة التي تقيس قدرة المتعلم على التذكر.
- 2- أسئلة الفهم هي: الأسئلة التي تقيس قدرة المتعلم على التعبير عن المعلومات.
- 3- أسئلة التطبيق هي: الأسئلة التي تستخدم في قياس القدرة على استخدام المعلومات في مواقف جديدة.
- 4- أسئلة التحليل هي: الأسئلة التي تستخدم في قياس قدرة المتعلم على تحليل الشيء لعناصره.
- 5- أسئلة التركيب هي: الأسئلة التي تقيس قدرة المتعلم على ربط العناصر والأجزاء.
- 6- أسئلة التقويم هي: الأسئلة التي تقيس قدرة المتعلم على تقدير أهمية فكرة أو موضوع، ثم إصدار حكم حولها.

**مهارة طرح الأسئلة:** تُعرَّف بأنها: مجموعة من السلوكيات التدريسية التي يقوم بها المعلم، بدقة وسرعة وبقدرة على التكيف مع معطيات الموقف التدريسي، وتتعلق بكل من:

- 1- إعداد السؤال.
- 2- توجيه السؤال.
- 3- الانتظار عقب توجيه السؤال.
- 4- اختيار الطالب المجيب.
- 5- الاستماع إلى الإجابة.
- 6- معالجة إجابات الطلاب.

7- تشجيع الطلاب على توليد الأسئلة وتوجيهها.

8- التعامل مع أسئلة الطلاب.

**كيفية استخدام المعلم أسلوب المناقشة في تنمية مهارات الاستجواب:** لكي يكون الموقف التعليمي فعالاً يقيس مقدار ما فهمه المتعلم من المادة التي درسها، فلا بد من مراعاة شروط تتعلق بعملية التدريس، من حيث تحديد الأهداف ومحتواها العلمي، ووسائلها، وإجراءاتها، وأنشطتها، ووسائل التقويم أثر التعليم، فتكون جميع مدخلات عملية التعلم والتعليم تقود إلى تحقيق العمليات التي تؤدي إلى نتائج تعليمية واضحة، وبالتالي تكون عملية الاستجواب أسلوباً من أساليب فهم المادة من الطلبة، إنَّ أهمَّ ما يمكن أن يستعمله المعلم في أسلوب التقويم الاستجابي، هو أسلوبٌ تربويٌ تقييميٌ، وبما أن طريقة المناقشة أو الحوار هي: عبارة عن طرح عدة أسئلة ومحاولة الإجابة عليها من قبل الطلاب، يكون الأسلوب التقييمي لها هو أسلوب الاستجواب، فلا بد أن تكون طريقة تعامل المعلم سلسلة ومحبية، تبعد عن ذهن الطالب المستجوب أي لون من ألوان الرهبة، أو مجرد الشعور بها، وتعكس الموقف، كما يكون المعلم فيه، ويكون الطالب في وسط جو يشعر من خلاله الراحة والطمأنينة، والقدرة على إبداء ما تعلمه من معلومات، ومهارات، واتجاهات في تنمية أسلوب الاستجواب، فلا يجعل من هذا الأسلوب وسيلة لتهديد الطالب، فحين يشعر أن الطلاب لا يجيدون أداء مهارة ما أو فهم معلومة معينة فيقوم بإجراء الاستجواب فهو في هذه الحالة محتاج إلى لوم نفسه، ومراجعة أدائه وأدواته التي لم يتمكن بواسطتها أن يعلم طلبته على تعلم مهارة معينة، أو فهم المعلومات التي لاحظ أنهم لا يتقنونها، ويتبادل مع طلابه مواقف الاستجابة فمثل هذه المواقف تنمي شخصية الطالب

فعند استخدام المعلم لأسلوب المناقشة التي يتم فيه طرح أسئلة متنوعة حسب مستويات التفكير، وإجابة المتعلمين عنها، تسمى هذه بمهارة الاستجواب، فتعود المتعلم على تنظيم المادة وترتيبها، وتهتم بتدريب المتعلم على الاستخدام المستقل للمعلومات والمهارات في حل المشكلات، وتحليل المعلومات المتوفرة لديهم للوصول إلى النتائج، وتعميمها كذلك بعض الأسئلة التي تعتمد على التركيب، تستثير التفكير التباعدي لدى المتعلم على أن يصدر حكم على أفضل فكرة أو حل لمشكلة ما.

#### إجراءات البحث:

- منهج البحث: استخدمت الباحثة المنهج التجريبي.
- مجتمع البحث: تألف مجتمع البحث من 76 طالبة، مقيدة بالسنة الثالثة، قسم الأحياء كلية التربية جامعة الزاوية.
- عينة البحث: تكونت عينة البحث من 23 طالبة مجموعة تجريبية، و23 طالبة مجموعة ضابطة، من الطالبات المقيدات بالسنة الثالثة قسم الأحياء، كلية التربية جامعة الزاوية.

#### أدوات البحث:

- 1- أدوات التجريب: تتمثل في إعداد موضوعات من المنهج المقرر في مادة طرق تدريس خاصة، باستخدام المناقشات الجماعية، لدى طالبات السنة الثالثة قسم الأحياء، كلية التربية جامعة الزاوية.
- 2- أدوات القياس: تتمثل أدوات القياس في: إعداد اختبار في مهارات الاستجواب والمتمثلة في ( المعرفة، الفهم، التطبيق، التحليل).

### نتائج البحث ومناقشتها:

**الفرضية الأولى:** توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى (0.05) بين متوسطات درجات طالبات المجموعة التجريبية، والمجموعة الضابطة، في اختبارات مهارات الاستجواب لصالح المجموعة التجريبية.

يوضح الجدول التالي المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية على اختبارات مهارات الاستجواب.

جدول (1) المتوسطات الحسابية

المجموعة	حجم العينة	الاختبار القبلي		الاختبار البعدي	
		الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي
الضابطة	23	2.54835	27.4348	3.56531	27.4348
التجريبية	23	2.93675	52.5652	5.15951	52.5652

يتضح من الجدول السابق أن المتوسط الحسابي للمجموعة الضابطة بلغ: (27.4348) بينما بلغ المتوسط الحسابي للمجموعة التجريبية: (52.5652)، حيث يظهر هناك فرقاً ظاهرياً كبيراً بين متوسطات المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة، في اختبارات مهارات الاستجواب، وبالتالي يتم قبول الفرضية التي تنص على وجود فروق دالة إحصائية عند مستوى: (0.05)، بين متوسطات درجات طالبات المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة في اختبارات مهارات الاستجواب، لصالح المجموعة التجريبية.

وللتأكد من دلالة الفروق بين المتوسطات الحسابية للمجموعتين تم توظيف البرنامج الإحصائي spss من خلال استخدام اختبار (t) لمعرفة الفروق بين متوسطي درجات طلاب المجموعات. **الفرضية الثانية:** توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى (0.05) بين متوسطات درجات طالبات المجموعة التجريبية في التطبيق القبلي والبعدي في اختبارات مهارات الاستجواب لصالح التطبيق البعدي.

جدول (2) يبين اختبار (t) لدلالة الفروق بين متوسطات درجات طلاب المجموعتين على الاختبار البعدي

المجموعة	حجم العينة	اختبار ليفن		اختبار t	
		القيمة الفائنية	مستوى الدلالة f	t	قيمة الدلالة
الضابطة	23	3.454	0.070	-9.217	0.000
التجريبية	23				

ولمعرفة وجود تباين بين نتائج اختبارات أفراد العينة بحسب المجموعة، تم حساب القيمة الفائنية باستخدام اختبار ( ليفن )؛ لتحديد تجانس التباين، وجاءت قيمتها (3.454) لمستوى دلالة (0.070)، والذي يدل: على عدم وجود تجانس بين نتائج اختبارات أفراد العينة من كلتا المجموعتين (الضابطة والتجريبية) في مهارات الاستجواب.

كما يتضح من الجدول أن قيمة اختبار (t) بلغت: (-19.217)، وهي: قيمة معنوية عند مستوى دلالة: (0.05)، حيث بلغت قيمة الدلالة: (0.000)، وهذا يشير إلى: وجود فروق معنوية

أسلوب المناقشة الجماعية وأثره في تنمية مهارات الاستجواب ...

بين المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية في اختبارات مهارات الاستجواب، وبما أن قيمة الدلالة أصغر من مستوى الدلالة: (0.01)، فهذا يدل على وجود فروق دالة إحصائية بين نتائج الاختبارات البعدية لصالح المجموعة التجريبية، عليه يتم قبول الفرضية التي تنص على وجود فروق دالة إحصائية عند مستوى: (0.05)، بين متوسطات درجات طالبات المجموعة التجريبية في التطبيق القبلي والبعدى في اختبارات مهارات الاستجواب لصالح التطبيق البعدى، وتُعزى هذه النتيجة لاستخدام إستراتيجية المناقشة الجماعية، التي عملت على تدعيم ثقة الطلاب بقدراتهم، وثقتهم بمعلمهم، ومشاركتهم في العملية التعليمية؛ كانت لهم فرصة في تشجيعهم، وتسهيل تعلمهم، وتفاعلهم داخل قاعة الدراسة، وتنمية مهارات الأسئلة والإجابة، عن طريق المناقشة الجماعية، وكيفية صياغة الأسئلة حسب مستويات ( بلوم )، والإجابة عنها باعتبار أن أفراد العينة التي أُجريت عليها البحث، هم: طلبة جامعيون، يتحملون مسؤولية تعلمهم، ويدركون الأهداف، ويشاركون في إلقاء المحاضرات بأسلوب المناقشة الجماعية. وفي ضوء نتائج البحث يمكن الوصول إلى عدة توصيات تتلخص فيما يلي:

- 1- توجيه المعلمين باتباع أسلوب المناقشة الجماعية في تدريسهم بدلاً من الأسلوب الإلقائي التلقيني.
- 2- تدريب الطلبة المعلمين في مادتي تطبيقات تدريسية، والتربية العملية على استخدام أسلوب المناقشة، ومعرفتهم لدوره في تنمية مهارات استخدام الأسئلة والإجابة ( الاستجواب).
- 3- إقامة دورات للمعلمين؛ لتدريبهم على تطبيق أسلوب المناقشة الجماعية في التعليم، وكيفية تنمية مهارات الاستجواب للطلبة، عن طريق استخدام هذه الطريقة.
- 4- إجراء دراسات ميدانية، ومعرفة الأثر في استخدام أسلوب المناقشة الجماعية على تنمية مهارات الاستجواب، وكذلك علاقتها بمدى التحصيل العلمي للطلاب.
- 5- تدريب المعلمين على كيفية صياغة الأسئلة، حسب المستويات العليا للتفكير (التحليل والتركيب والتقويم).

الهوامش:

- 1- فائزة عبد القادر الجلبى، تصميم نموذج تعليمي في الرياضيات، معهد إعداد المعلمين، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية، العراق، 1998م، ص21.
- 2- صبحي ناجي، أثر استخدام طريقتي الاستقصاء والمناقشة في تنمية التفكير الناقد، معهد إعداد المعلمين، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية، العراق، 1986م، ص22.
- 3- صالح عبد العزيز، التربية وطرق التدريس، دار المعارف، القاهرة: 1990م، ص252.
- 4- رشدي لبيب، معلم العلوم مسؤولياته وأساليبه عمله، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة: 1990م، ص123.
- 5- محمد الحيلة، طرائق التدريس واستراتيجياته، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية: 2002م، ص142.
- 6- زيد الهويدي، الأساليب الحديثة في تدريس العلوم، دار الكتاب الجامعي، العين: 2005م، ص150.
- 7- المرجع السابق، ص176-177.
- 8- محمد زياد حمدان، التربية العملية الميدانية، مؤسسة الرسالة، بيروت: 1981م، ص51.
- 9- أفنان نظير، النظرية في التدريس، دار الشروق، عمان: 2000م، ص191.



د. آمنة حسين عبدالمولى بركات

أسلوب المناقشة الجماعية وآثره في تنمية مهارات الاستجواب...

- 10- شاكر الأمين، أصول تدريس المواد الاجتماعية، دار الحكمة للطباعة، بغداد: 2001، ص49.
- 11- علي الحصري ويوسف العنيزي، طرق التدريس العامة، مكتبة الفلاح للنشر، الكويت: 2000 م، ص66.
- 12- زيد الهويدي، الأساليب الحديثة في تدريس العلوم، دار الكتاب الجامعي، العين: 2005م، ص156.
- 13- فحطان أحمد الظاهر، طرق التدريس العامة، منشورات المكتبة الجامعية، القاهرة: 1999م، ص106.
- 14- محمد حسين آل ياسين، المبادئ الأساسية في طرق التدريس العامة، منشورات دار القلم، بيروت: 1994م، ص109.
- 15- أحمد محمد عبد القادر، طرق التدريس العامة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة: 1990م، ص128.
- 16- عبد اللطيف إبراهيم، المناهج أسسها، مكتبة مصر، القاهرة: 1990، ص123.
- 17- علي راشد، اختيار المعلم وإعداده، دار الفكر العربي، القاهرة: 1996م، ص170.

## المستشفيات العامة في مدينة طرابلس: توزيعها وخدماتها بين الواقع والمستهدف

د. نجاة محمد المهدي  
كلية الآداب/جامعة طرابلس

### المقدمة

تعد الخدمات الصحية من المستلزمات الأساسية لأي مجتمع لأنها تعكس التطور الذي وصل إليه المجتمع، لذا فقد لقي هذا الجانب اهتماماً واسعاً من دول العالم وأصبح تطور مستلزماته يعكس قدرة الدولة في الوصول إلى التنمية الاجتماعية والاقتصادية وبالتالي تتمكن المدن من أداء وظائفها بكفاءة لخدمة سكانها وإقليمها المجاور، ولكن شريطة أن يكون توزيع الخدمات الصحية بشكل يتناسب مع أعداد سكانها، لأن زيادة حجم السكان وبشكل متواصل يولد ضغطاً على مجمل الخدمات الصحية داخل المدينة ويقلل من كفاءتها. تعد مدينة طرابلس من المدن التي تشهد زيادة مستمرة في حجمها السكاني ونمو مركزها وتوسع أحيائها السكنية مما يتطلب ذلك دعم هذا القطاع كما ونوعاً بما يتناسب مع توزيع سكانها. ووفق ذلك جاء هذا البحث لإلقاء الضوء على واقع هذا القطاع الحيوي وما يعانيه من خلال تقويم علمي وسليم لطبيعة التوزيع المكاني لمؤسساته من أعلى مستوى من الخدمات الصحية المتمثل في المستشفيات العامة ومدى كفاءة الخدمات الصحية المقدمة.

تعتبر المستشفيات العامة في مدينة طرابلس أحد أهم مرافق خدمات الرعاية الصحية الأساسية وبالتالي فمن الضرورة بمكان أن تكون خدماتها في متناول جميع السكان بالمدينة وتكون قادرة على مساعدة الأفراد في المحافظة على صحتهم والنهوض بهم، وأن تشمل خدماتها على كافة التدابير الصحية المتعلقة بالجانب الوقائي والعلاجي.

ولكن على الرغم من التحسن في المستوى المعيشي وارتفاع مستوى الدخل نسبياً ومع تزايد أعداد المؤسسات الصحية ومراكز خدماتها المتمثلة في المستشفيات والعيادات المجمع والمستوصفات إلا أن الرأي الذي يدور بين الأوساط العامة يشير إلى تدني مستوى الخدمات الصحية التي تقدمها رغم توفر الإمكانيات بأكثرها.

فهل يا ترى يرجع السبب إلى عدم تناسب عدد الأطباء المناوبين مع عدد المترددين من السكان على مراكز الخدمات الصحية؟ أو إلى عدم توفر المتخصصين؟ أو عدم كفاءة الإمكانيات؟ أو يعود إلى درجة وعي المواطنين وانعدام ثقافتهم بالأطعم الطبية في مراكز الخدمات الصحية العامة؟ استفسارات متعددة، وكلها تبحث عن إجابة بسبب انعدام إجراء أي من الدراسات التي تركز على مراكز الخدمات الصحية ودورها في القيام بواجباتها المنوطة بها. وهذا ما دفع الباحثة إلى اختيار هذه المرافق لتكون موضوعاً لدراستها المتمثلة في المستشفيات العامة البالغ عددها أربع مستشفيات وهي (مستشفى طرابلس المركزي، مستشفى طب الفضاء والأعماق (معينته)، مستشفى الخضراء، ومركز طرابلس الطبي) تنتشر في مناطق داخل مخطط مدينة طرابلس وذلك لأهميتها في توفير الرعاية الصحية باعتبارها أكبر حجماً وأكثر وأوفر إمكانيات من المرافق الصحية الأخرى (عدد الأطباء، أطقم التمريض، أجهزة، ومعدات... الخ).

### المستشفيات العامة في مدينة طرابلس توزيعها وخدماتها...

وفي هذه الدراسة تم التركيز على التوزيع المكاني للمستشفيات العامة دون سواها في مدينة طرابلس وعلاقة هذا التوزيع بالكثافة السكانية، والإمكانيات المتوفرة بها، ودرجة توفيرها للعناية والرعاية الصحية للمواطنين مقارنة بما هو مستهدف من وراء إنشائها.

#### مشكلة الدراسة:

لتحقيق الأهداف المرجوة من هذه الدراسة سيتم الإجابة على التساؤلات الآتية:

1. هل تم مراعاة الكثافة السكانية في اختيار مواقع المستشفيات العامة؟
2. هل تقدم هذه المستشفيات الخدمات العلاجية والوقائية على حد سواء؟ أم أن التركيز فيها على الجانب العلاجي دون غيره؟ وهل تفي المستشفيات العامة بإمكانياتها المتوفرة بدرجة لا يفكر معها المواطن في البحث عن مراكز خدمات صحية بديلة حتى وإن كانت خاصة؟
3. ما مدى رضي المترددين على المستشفيات العامة عن جودة الخدمات الطبية (العلاجية) التي تقدمها، وعن كفاءة العاملين فيها، ودرجة قيامهم بواجباتهم؟

#### فرضياتها:

وهي تتمثل في الآتي :

1. لا يتفق عدد المستشفيات القائمة وتوزيعها المكاني مع التوزيع الحالي للسكان أو كثافتهم في الفروع التي تشكل منطقة الدراسة.
2. الخدمات العلاجية وليست الوقائية هي الهدف الذي من أجله يتردد المواطنون على المستشفيات العامة.
3. الخدمات التي تقدمها المستشفيات العامة ليست كافية بالدرجة التي تحول دون تفكير المواطن في البحث عن مراكز خدمات صحية بديلة حتى وإن كانت مكلفة مادياً.

**أهدافها:** تشد مدينة طرابلس بحكم حجمها وموقعها واحتوائها على نصيب الأسد من مراكز الخدمات الصحية أنظار القاطنين بها والقادمين من خارجها سعياً وراء أفضل الخدمات العلاجية. وبناء على ما سلف من تساؤلات في مشكلة الدراسة فإن هذه الدراسة تهدف إلى:

1. معرفة العلاقة بين التوزيع الجغرافي لسكان مدينة طرابلس (كثافتهم) ومواقع المستشفيات العامة.

2. التعرف على درجة تحقيق هذه المستشفيات للأهداف التي أنشئت من أجلها.

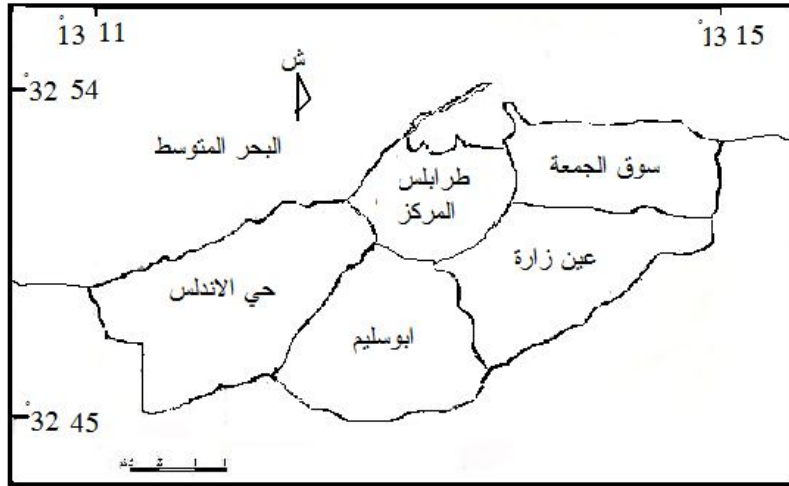
**أهميتها:** تبرز أهمية هذه الدراسة من خلال إبرازها المشاكل والمعوقات التي تعترض المستشفيات والعاملين فيها وتحول دون القيام بواجباتهم المنوطة بهم.

إفادة ذوي الاختصاص بالتوصيات والمقترحات التي توصلت إليها هذه الدراسة لتحسين مستوى الخدمات المتوفرة والعمل على توفير النواقص منها.

**مجال الدراسة:** جغرافياً: تغطي مدينة طرابلس التي تمثل محور تركيز هذه الدراسة المنطقة الجغرافية التي يحدها من الشمال البحر المتوسط ومن الغرب نقطة التقاء الطريق السريع مع طريق غوط الشعال وطريق قرقارش ((الغيران)) ومن الجنوب الخط الواصل ما بين الغيران غرباً ومستشفى صلاح الدين إلى نهاية محلة شهداء عين زارة ومن الشرق الحد الفاصل بين سوق الجمعة وتاجوراء. وتقسم إلى خمسة فروع هي: طرابلس المركز، وحي الأندلس، وأبوسليم، وعين زارة، وسوق الجمعة.

أما فلكياً، فتقع منطقة الدراسة بين خطي طول 1113° و 1513° شرقاً وبين دائرتي عرض 4532 و 5432 شمالاً. الخارطة رقم (1).

خريطة رقم (1) فروع منطقة الدراسة



المصدر: مصلحة التخطيط العمراني، طرابلس، 2006.

**المنهجية المتبعة:** لتحقيق الأهداف المرجوة من هذه الدراسة فقد تم استخدام المنهج الوصفي الاستفادة من المعلومات والبيانات التي أمكن الحصول عليها من التقارير و المخططات و البحوث والإحصائيات و كذلك الخرائط والتي استطاعت الباحثة من خلالها معرفة المواقع الفعلية للمستشفيات العامة والأهداف التي أنشئت من أجلها وأعداد السكان في المناطق الواقعة بها . كذلك تم استخدام المنهج التحليلي للبيانات التي تم الحصول عليها من الدراسة الميدانية التي أعدت لها استمارة استبانة خاصة تضمنت عددا من الأسئلة وذلك لمعرفة الإمكانيات المتوفرة بالمستشفيات لتقديم الخدمات العلاجية من أطقم طبية متخصصة ومعدات وأدوية، إضافة إلى إمكانية التعرف على المشاكل والمعوقات التي تواجه سير العمل بها، أما الفئات التي تم الاعتماد عليها في الإجابة على أسئلة الاستبانة فقد تمثلت في المواطنين المترددين على المستشفيات بمدينة طرابلس والعاملين بها والتي بلغ عددها 200 مواطن من المترددين وذلك وقت إجراء الدراسة الميدانية للتحقق من الفرضيات المتعلقة بالخدمات الصحية التي تقدمها المستشفيات العامة، وعدد 100 من الأطقم الطبية والعاملين بالمستشفيات.

**الخدمات الصحية في مدينة طرابلس:** تؤدي مدينة طرابلس البالغ عدد سكانها الليبيين حوالي 895,729 نسمة حسب تعداد عام (1) 2006 تطور حتى بلغ 940,653 نسمة عام 2012 بزيادة بلغت 44,924 نسمة أو ما يعادل 5% عما كان عليه عددهم عام (2) 2006 دوراً متميزاً في البيئة الحضرية ليس لسكانها وسكان المناطق المجاورة لها فحسب، بل لمعظم سكان ليبيا بصورة عامة. تشهد مدينة طرابلس معظم عمليات التحول الاقتصادي والاجتماعي وتتميز بالحدثة والمعاصرة، وبنمو سكاني شامل يرتبط بتوسع مكاني مذهل. وهو ما يتطلب توافراً مع الخدمات الصحية بحيث يكون التخطيط لها فعالاً ومجدياً و متمشياً مع المتطلبات والاحتياجات السكانية من جهة والموارد المتاحة من جهة أخرى. تسعى ليبيا كغيرها من دول العالم النامي إلى تحقيق شعار الرعاية الصحية الأساسية التي نالت موافقة معظم دول العالم في مؤتمر (ألماتا) الذي عقد بالاتحاد

المستشفيات العامة في مدينة طرابلس توزيعها وخدماتها...

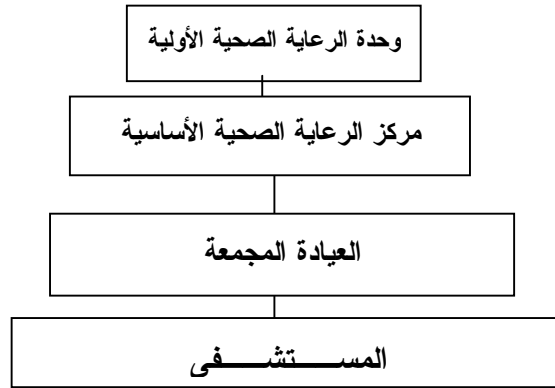
السوفيتي "سابقاً" عام 1978. حيث نص هذا الاتفاق صراحة على أن الرعاية الصحية الأساسية حق طبيعي يكفله القانون والمجتمع لكل المواطنين، بصرف النظر عن اللون أو العنصر أو الدين أو الحالة الاقتصادية والاجتماعية، لذلك فالتمتع بأعلى مستوى من الخدمات الصحية هو أحد الحقوق الأساسية التي نص عليها دستور المنظمة في تحديد أهدافها وإستراتيجيتها في مجال الخدمات الصحية، وفي ظل الاعتبارات الصحية السابقة وانطلاقاً من شعار مؤتمر (ألمانيا) من أن الصحة للجميع وبالجميع، فقد تبنت ليبيا سياسة صحية إستراتيجية لتوفير الخدمات الصحية وتطويرها واعتبارها هدفاً أساسياً من أهداف التغيير الاجتماعي والاقتصادي الذي تشهده البلاد، وضرورة من ضرورات التنمية وإنجاحها، وصولاً إلى بناء الإنسان السليم الخالي من جميع الأمراض، القادر على التفكير والإبداع والدفع بعملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية إلى الأمام.

ورغم أن هذه الدراسة اقتصرت على المستشفيات العامة في مدينة طرابلس وخدماتها المنوطة بها، يكون من الضرورة بمكان الإشارة إلى أن النظام الصحي في ليبيا يتكون من عدة مستويات تتمثل في وحدات الرعاية الصحية الأولية (المستوصفات سابقاً)، ومراكز الرعاية الصحية الأساسية، والعيادات المجمعّة التي تقوم بدور رئيسي في المدن فيما يتعلق بالخدمات التخصصية، ثم المستشفيات العامة والتخصصية، حيث أنشئت عدة مرافق علاجية ووقائية مجهزة بأحدث التقنيات الطبية، وموزعة على كافة مناطق ليبيا وبدرجات متفاوتة في الخدمات التي تقدمها.

يوضح الشكل رقم (1) تدرج الخدمات الصحية في مدينة طرابلس من وحدة الرعاية الصحية الأولية إلى مراكز الرعاية الصحية الأساسية ثم العيادات المجمعّة فالمستشفى العام.

شكل رقم (1)

مستويات الرعاية الصحية



المصدر: اللجنة الشعبية العامة للصحة والضمان الاجتماعي بشعبية طرابلس.

تقدم المستشفيات الخدمات للمرضى المحولين من العيادات المجمعّة، والمراكز الصحية، ووحدات الرعاية الأساسية، وحيث بلغ عدد المستشفيات العامة والتخصصية في منطقة الدراسة (طرابلس) 12 مستشفى في عام 2010، منها 4 مستشفيات عامة، ممثلة في مستشفى طرابلس المركزي، ومستشفى طب الفضاء والأعماق (معينيه)، ومستشفى الخضراء، ومركز طرابلس الطبي، و8 مستشفيات تخصصية ممثلة في مستشفى الرازي للأمراض النفسية، ومستشفى أبي ستة

المستشفيات العامة في مدينة طرابلس توزيعها وخدماتها...

للأمراض الصدرية، ومستشفى السكر، ومستشفى العيون، ومستشفى الجلاء للأطفال، ومستشفى الجلاء للولادة، ومستشفى الحروق والتجميل، ومستشفى الحوادث. وجدير بالذكر أنّ هذه المستشفيات تقدم خدماتها الإيوائية وغير الإيوائية للكثير من الحالات من داخل وخارج المدينة، حيث تُدرّ متوسط الإيواء بالمستشفيات للذين هم من خارج المدينة بحوالي 16.4% لعام 2006، يعتبر السبب الجوهري الذي جعل من هذه المستشفيات الأربع تأتي هذه النسبة الكبيرة من خارج المدينة هو افتقار المدن المجاورة إلى مثل هذه الخدمات التي تقدمها المستشفيات سائلة الذكر، نذكر على سبيل المثال لا الحصر أنّ مستشفى الحروق الذي ينفرد بخدماته المتخصصة على مستوى البلاد، أما مستشفى أبي سنة ومستشفى الرازي للأمراض النفسية فيقدمان خدماتهما للمواطنين على مستوى مدن غرب البلاد، تقوم المستشفيات الموجودة بمدينة طرابلس بتقديم خدماتها العلاجية والوقائية سواء كان ذلك للقائنين داخل المدينة أو من خارجها. حيث تقيد البيانات التي تم الحصول عليها من بيانات اللجنة الشعبية العامة للصحة والضمان الاجتماعي (سابقاً) أنّ عدد الحالات المترددة على العيادات الخارجية بهذه المستشفيات كان قد بلغ 644241 حالة في عام 2005 وارتفع إلى 659030 حالة في عام 2006، وبلغ عدد الحالات المترددة على المختبرات الطبية أكثر من مليون ونصف في عام 2005، وما يقرب من ذلك العدد في عام 2006، ناهيك عن عدد الحالات التي ترددت على هذه المستشفيات لإجراء عمليات جراحية، أشعة، علاج طبيعي، حوادث، مرضى السكري، خدمات الأسنان، وأمراض العيون.... ألخ الجدول رقم (1).

جدول رقم (1) نشاط المستشفيات في مدينة طرابلس للسنوات 2005-2006

2006	2005	أنشطة المستشفيات
65946	68419	حالات الدخول لمرضى من داخل الشعبية
12947	12299	حالات الدخول لمرضى من خارج الشعبية
659030	644241	الحالات المترددة على العيادات الخارجية
1331225	1509627	التحاليل " المختبرات الطبية "
37549	37390	العمليات الجراحية
161406	159607	حالات الأشعة
52964	53993	العلاج الطبيعي
12617	12678	حالات الولادة
268067	258293	الحوادث
8238	3533	القسطرة
119891	89329	ترددات مرضى السكري
2428	2441	الحالات المترددة على مركز علاج الصرع
1744	1610	الحالات الجديدة في مركز علاج الصرع
80165	73999	الحالات المترددة على مركز خدمات الأسنان
50854	46942	الحالات المترددة على مركز مكافحة أمراض العيون

المصدر: التقرير السنوي لنشاط المستشفيات بمدينة طرابلس، اللجنة الشعبية العامة للصحة والضمان الاجتماعي بشعبية طرابلس، لعام 2005-2006

ومن أجل رفع القدرة الاستيعابية لإيواء المرضى سواء أكان ذلك من داخل مدينة طرابلس أو من خارجها تم رفع السعة السريرية في المستشفيات من 3626 سريراً في 1980 إلى 2458

د. نجاة محمد المهدي

المستشفيات العامة في مدينة طرابلس توزيعها وخدماتها...

سريراً عام 1999، وزيد إلى 5699 سريراً في 2005، إلا السعة السريرية الفعلية لم تتجاوز 3980 سريراً. الجدول رقم (2).

جدول رقم (2) السعة السريرية الفعلية بمستشفيات مدينة طرابلس لعام 2005

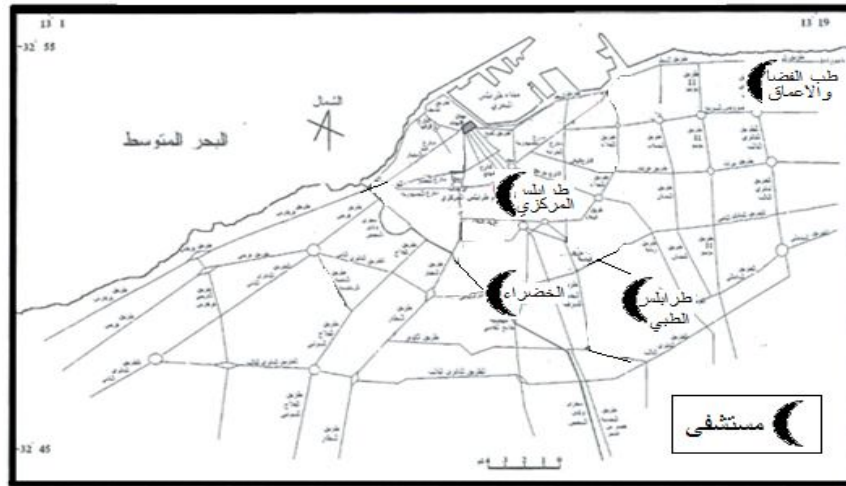
المستشفيات	السعة السريرية بالمستشفى	السعة السريرية الفعلية
مركز طرابلس الطبي	1400	1275
مستشفى طرابلس المركزي	1200	721
مستشفى الخضراء	610	556
مستشفى طب الفضاء والأعماق	200	167
مستشفى العيون	302	239
مستشفى الحروق والتجميل	220	149
مستشفى الجلاء للأطفال	200	140
مستشفى الجلاء للولادة	480	79
مستشفى السكر	118	73
مستشفى الرازي	250	250
مستشفى الحوادث أبي سليم	500	250
مستشفى أبي ستة للأمراض الصدرية	219	81
المجموع	5699	3980

المصدر: التقرير السنوي لعام 2005، اللجنة الشعبية العامة للصحة والضمان الاجتماعي.

توزيع المستشفيات العامة في مدينة طرابلس حسب الفروع:

لقد سبقت الإشارة إلى أن تركيز هذه الورقة البحثية من خلال تساؤلاتها وأهدافها يتمحور حول المستشفيات العامة في مدينة طرابلس دون سواها من مراكز الخدمات الطبية. وذلك في نطاق فروعها المتمثلة في فرع طرابلس المركزي، وفرع عين زارة، وفرع سوق الجمعة، وفرع أبوسيم، وفرع حي الأندلس، الخارطة رقم (2).

خريطة رقم (2) المستشفيات العامة في مدينة طرابلس



المصدر: مصلحة التخطيط العمراني، طرابلس، 2005.

المستشفيات العامة في مدينة طرابلس توزيعها وخدماتها...

وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى أن المستشفيات العامة البالغ عددها أربع مستشفيات موزعة على جميع فروع المدينة، ومن المفترض أن تقدم كل منها خدماته للسكان القاطنين في نطاقه باستثناء فرع حي الأندلس الذي لا يوجد فيه أي مستشفى لخدمة ساكنيه. علما بأن مركز طرابلس الطبي الموجود في نطاق فرع عين زارة خصص ليقدم خدماته لكل سكان مدينة طرابلس والمناطق المحيطة بها. الجدول رقم (3).

فإذا ما أخذنا بعين الاعتبار ما تهدف إليه خطة التحول التي تفترض أن يغطي كل مستشفى حوالي 100,000 نسمة<sup>(3)</sup> وعلى اعتبار أن سكان مدينة طرابلس والبالغ عددهم حوالي 895,729 حسب تعداد 2006<sup>(4)</sup>، وعلى المعايير الدولية المعتمدة فإن مدينة طرابلس بحاجة إلى حوالي 9 مستشفيات عامة، وإذا ما تم مقارنة عدد السكان مع ما هو متوفر من المستشفيات (والتي لم يتجاوز عددها كما أسلفنا أربع مستشفيات) يتضح أن كل مستشفى يخدم ما يقرب من 224 ألف نسمة من السكان الأمر الذي يؤكد أن عدد المستشفيات القائمة وتوزيعها غير متكافئ مع عدد السكان وتوزيعهم على فروع مدينة طرابلس، الأمر الذي يستوجب بناء خمس مستشفيات عامة إضافية لخدمة السكان القاطنين بمدينة طرابلس ليتمكن كل منها من تقديم خدماته للعدد المقترح من السكان، جدول رقم(4).

جدول رقم (3) مقارنة بين عدد المستشفيات العامة وعدد السكان في كل فرع بناء على تعداد 2006

الفرع	عدد السكان بالآلاف	عدد المستشفيات
سوق الجمعة	123,356	1
عين زارة	102,002	1
طرابلس المركز	158,613	1
أبو سليم	270,607	1
حي الأندلس	241,151	-
المجموع	895,729	4

المصدر: الهيئة العامة للمعلومات، النتائج الأولية للتعداد العام للسكان 2006 .  
جدول رقم (4) الاحتياجات الفعلية من المستشفيات في مدينة طرابلس

الفرع البلدي	عدد السكان بالآلاف	العدد الفعلي من المستشفيات	العدد المستهدف عدد السكان /100,000 نسمة	الاحتياجات الفعلية بناء على ما هو مستهدف
سوق الجمعة	123,356	1	1	-
عين زارة	102,002	1	1	-
طرابلس المركز	158,613	1	2	1
أبو سليم	270,607	1	3	2
حي الأندلس	241,151	-	2	2
المجموع	895,729	4	9	5

المصدر: - مكتب المعلومات والتوثيق، اللجنة الشعبية العامة للصحة والضمان الاجتماعي، 2005.



## المستشفيات العامة في مدينة طرابلس توزيعها وخدماتها...

## تحليل البيانات المجمعّة من الدراسة الميدانية:

أولاً- فئة المواطنين المترددين على المستشفيات: لتأكيد مبدأ الأمانة العلمية خاصة فيما يتعلق باختيار عينة الدراسة عشوائياً من فئات تتفاوت في خصائص أفرادها النوعية، والعمرية، والتعليمية، والاقتصادية، وتفاوتهم في عدد أفراد أسرهم فقد تم توزيع ورقة الاستبانة عشوائياً على عدد 200 مواطن، من بين المترددين على المستشفيات العامة قيد الدراسة، واتضح من خلال الدراسة الميدانية أن خصائصهم تتمثل في الآتي:

أن ما يقرب من ثلث أفراد عينة الدراسة (32.5%) تراوحت أعمارهم ما بين 41-50 سنة، يليهم أولئك الذين تراوحت أعمارهم ما بين 51-60 سنة ويشكلون 21.5%، ثم من تراوحت أعمارهم ما بين 31-40 سنة ويشكلون 20.5% ثم تقلص عددهم من الفئات العمرية الأخرى 61-70، و71 فأكثر، وأولئك الذين تقل أعمارهم عن 30 سنة وهؤلاء على التوالي يشكلون 13.5%، 7%، 5% على التوالي. ولوحظ أن 56% لا يجيدون القراءة والكتابة (أميون)، و24% من حملة مؤهلات التعليم الأساسي، 11% من حملة مؤهلات التعليم الإلزامي، 25.5% من حملة المؤهلات المتوسطة، و16% من حملة المؤهلات الجامعية، 3% فقط من حملة المؤهلات العليا (فوق الجامعي). وفي السياق نفسه يمكن تصنيف أفراد العينة وفق عدد أفراد أسرهم حيث اتضح من الدراسة الميدانية أن 44% منهم يتراوح عدد أفراد أسرهم ما بين 5-7 أفراد، أما الذين تتراوح عدد أفراد أسرهم ما بين 8-10 أفراد فقد شكلوا 34% من مجموع أفراد العينة، أما الذين لا يتجاوز عدد أفراد أسرهم 4 أفراد فقد بلغت نسبتهم 19%، أما الذين تجاوز عدد أفراد أسرهم 10 أفراد فلم يشكلوا سوى 3% من مجموع أفراد العينة. كما اتضح أن (48.5%) من أفراد عينة الدراسة هم من فئة مزاولي الأعمال الحرة، أما الموظفين والمتقاعدين فهم يشكلون 33%، و18.5% على التوالي. وفيما يخص مستوى الدخل اتضح أن 54% يتراوح دخلهم الشهري ما بين 300-400 دينار، وحوالي 18% يقل دخلهم الشهري عن 300 دينار، ومن شكلت نسبتهم 28% فهؤلاء يتجاوز دخلهم الشهري 400 دينار، أما فيما يتعلق بمكان إقامة المترددين على المستشفيات العامة بمنطقة الدراسة فقد اتضح أن 74% من المترددين على المستشفيات تمثلت أماكن إقامتهم في: حي الأندلس، وطرابلس المركز، وأبو سليم، وزاوية الدهماني، وغوط الشعال، والدربيي، وسوق الجمعة، والهضبة الخضراء، وعين زارة وكان بقيتهم (26%) من المقيمين خارج مدينة طرابلس وهذا يعني أن ما يقرب من ثلاثة أرباع المستفيدين من الخدمات الطبية بالمستشفيات هم من سكان مدينة طرابلس وبقيتهم من خارج المدينة.

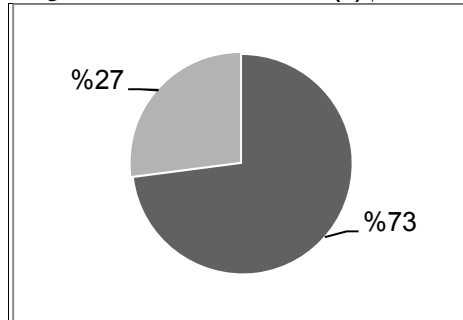
فيما يخص المسافة التي تفصل بين مكان إقامة 73% من مجموع أفراد عينة الدراسة وأقرب مستشفى تتراوح ما بين 0-10 كم، وبقيتهم 27% تتجاوز المسافة التي تفصل مكان إقامتهم عن أقرب مستشفى 10 كم، الشكل رقم (2)، حيث يؤدي بُعد المسافة عن الخدمات الصحية دوراً حاسماً في تقليل الانتفاع من هذه الخدمات، وقصر المسافة ظاهرة مكانية معروفة تعني ان عملية الانتفاع بالخدمات الصحية تقل بزيادة المسافة والعكس بالعكس، كما أن الأدب الجغرافي مملوء بالأدلة الكثيرة عن تأثير عامل المسافة على استعمال الخدمات الطبية. فقد أكد كل من Joseph & Philips (1984) على أثر عامل المسافة في عملية الانتفاع بأنواع مختلفة من الخدمات الصحية مثل المستشفيات والعيادات الخارجية، وحجرات الإسعاف السريع، وتسهيلات الرعاية الصحية الأولية وبصفة عامة يمكن القول بأن معظم الدراسات التي أجريت تميل إلى تأكيد انخفاض تدريجي في معدلات الانتفاع بالخدمات الصحية مع زيادة المسافة من الخدمة.

المستشفيات العامة في مدينة طرابلس توزيعها وخدماتها...

جدول رقم (5) المسافة بين مكان الإقامة والمستشفى

النسبة %	الفئة
73	10-0
27	أكثر من 10
100	المجموع

شكل رقم (2) المسافة بين مكان الإقامة والمستشفى



المصدر: الدراسة الميدانية 2010 المصدر: بيانات الجدول رقم (5)

وفي السياق نفسه تقيد الدراسة الميدانية أن كل أفراد عينة الدراسة يستخدمون وسائل نقل عامة أو خاصة للوصول إلى المستشفيات للانتفاع من خدماتها، حيث أتضح أن 75.5% منهم يستخدمون وسائل ركوبهم الخاصة. أما بقية أفراد العينة ويشكلون حوالي 24.5% فيستخدمون وسائل النقل العامة.

أن ما يجدر الإشارة إليه من خلال البيانات التي تم الحصول عليها من الدراسة الميدانية أن الخدمات العلاجية هي السبب الجوهري الذي يكمن وراء تردد غالبية أفراد العينة على المستشفيات وهذا ما أكده 98% منهم متمثلة في إجراء الفحوصات الطبية، والحصول على الأدوية، والتحاليل الطبية، والأشعة. ورغم أن السؤال كان مفتوحاً لعل أيضاً مهم يضيف نوع آخر من العلاجات غير تلك التي وردت في ورقة الاستبانة، ويتم الاستفادة منها من قبل أفراد عينة الدراسة، إلا أن جميعهم لم يتطرقوا إلى غير أنواع الخدمات العلاجية الأربعة التي سبق ذكرها. أما من أفادوا بأن قدومهم من أجل الحصول على خدمات وقائية فهؤلاء لم تتجاوز نسبتهم 2% حيث أفادوا بأن ترددهم على المستشفيات أحياناً من أجل الحصول على خدمات وقائية متمثلة في الاستشارات الطبية، من بين الأسئلة التي تضمنتها ورقة الاستبانة، سؤال يتعلق بسبب تفضيل أحد المستشفيات العامة عن غيره، وتم اقتراح ثلاثة أسباب هي:- البحث عن علاج أفضل،، ومجانبة العلاج، وطبيب ذائع الصيت، إضافة إلى ذلك أتيحت الفرصة أمام أفراد عينة الدراسة لإضافة أي سبب آخر يكمن وراء ترددهم على هذا المرفق الصحي ولم يرد في خانة الأسباب التي تضمنتها ورقة الاستبانة. بالإضافة إلى حرية اختيار أكثر من سبب، ونتيجة لذلك لوحظ أن 83.5% منهم يعتبرون أن مجانية العلاج هو السبب الجوهري وراء ترددهم على هذا المرفق. يلي ذلك في الترتيب هدف البحث عن علاج أفضل وأفاد بذلك 75%. وأفاد 72% أن السبب يكمن في وجود طبيب ذائع الصيت.

تعتبر معاملة العاملين بأي مرفق من المرافق الخدمية وخاصة الصحية دافعا أساسيا لتشجيع المواطن على التردد على ذلك المرفق دون غيره وفي هذا السياق تضمنت ورقة الاستبيان سؤالاً

المستشفيات العامة في مدينة طرابلس توزيعها وخدماتها...

يتعلق بتقييم أفراد عينة الدراسة للعاملين بالمستشفى الذي يترددون عليه، وطلب من كل منهم تصنيف درجة المعاملة على مقياس يشتمل على خمس درجات هي: معاملة ممتازة، جيدة جداً، جيدة، مقبولة، ودون المستوى.

حيث أفاد 39.7% منهم أن معاملة العاملين لهم جيدة، وأفاد 23.5% بأن معاملة العاملين جيدة جداً، وحوالي خمس أفراد عينة الدراسة (20.5%) أفادوا بأن معاملة العاملين ممتازة، وأكثر من عُشر مجموع أفراد العينة بقليل (13%) أفادوا بأن معاملة العاملين لهم مقبولة. ولكن ما تجدر الإشارة إليه أن 4% فقط من مجموع أفراد عينة الدراسة أفادوا بأن معاملة العاملين هي دون المستوى. إن ذلك يعني أن غالبية أفراد عينة الدراسة ينظرون إلى معاملتهم من قبل العاملين بالمستشفيات بأنها على مستوى جيد وأفضل من ذلك

لا يتوقف تقييم المواطن لأي مرفق صحي على متغير واحد مثل الذي سبق الإشارة إليه والمتمثل في تقييمه لمعاملة العاملين له بقدر ما يعتمد على عدد من المتغيرات الأخرى مثل تقييم مستوى الخدمات التي تقدمها المرافق الصحية، ودرجة توفر الإمكانيات فيها، وتوفر الأطباء المتخصصين، وجنسية العناصر الطبية العاملة، ومقدرة المواطن في التقاطع مع هذه العناصر خاصة إذا كانت من غير العربية، ودرجة توفر الخدمات التي يحتاجها المواطن بما في ذلك الأدوية، ومعامل التحاليل .... ولتحقيق ذلك، تضمنت ورقة الاستبانة عدداً من الأسئلة كل منها يختص بواحد من هذه المتغيرات.

فيما يتعلق بمستوى الخدمات التي تقدمها المستشفيات، طلب من أفراد عينة الدراسة تقييمها على مقياس يتكون من خمس درجات: خدمات ممتازة، جيدة جداً، جيدة، ومقبولة، وخدمات دون المستوى. واستناداً على ما أفاد به أفراد عينة الدراسة اتضح أن أكثر من ثلثهم (35%) ينظرون إلى تلك الخدمات بأنها في مستوى جيد، 28.5% في مستوى جيد جداً، 18% بأنها ممتازة، 18% بأنها مقبولة أو دون المستوى. الجدول رقم (6)، والشكل رقم (3).

جدول رقم (6) مستوى الخدمات

الفئة	النسبة %
ممتازة	18.5
جيدة جداً	28.5
جيدة	35
مقبولة أو دون المستوى	18
المجموع	100

المصدر: الدراسة الميدانية 2010

شكل رقم (3) مستوى الخدمات



المصدر: بيانات الجدول رقم (6)

المستشفيات العامة في مدينة طرابلس توزيعها وخدماتها...

من البديهي أن تعتمد الخدمات التي يقدمها أي مرفق صحي بالدرجة الأولى على درجة توفر الأطباء المتخصصين، ثم درجة توفر الإمكانيات اللازمة. وفي هذا السياق أفاد أكثر من ثلثي مجموع أفراد عينة الدراسة (68.5%) بأن درجة توفر الإمكانيات بصورة عامة محدودة، وبمعنى آخر متوفرة إلى حد ما، وفي المقابل أفاد 13.5% فقط من مجموع أفراد العينة بأن الإمكانيات متوفرة جداً، ولكن ما تجدر الإشارة إليه أن نسبة الذين أفادوا بأن الإمكانيات غير متوفرة (18%) تفوق نسبة أولئك الذين أفادوا بتوفرها. الجدول رقم (7)، والشكل رقم (4).

جدول رقم (7) درجة توفر الإمكانيات

النسبة %	الفئة
13,5	متوفرة جدا
68,5	متوفرة الى حد ما
18	غير متوفرة
100	المجموع

شكل رقم (4) درجة توفر الإمكانيات



المصدر: الدراسة الميدانية 2010 المصدر: بيانات الجدول رقم (7)

تعتبر الأدوية من ضرورات استكمال الخدمات العلاجية التي يطمح المواطن للحصول عليها من المستشفيات العامة، وهي المعيار الأساس الذي يعتمد عليه بعض المواطنين (خاصة ذوي الدخل المحدود) في تقييمهم للمرفق الصحي كونها مجانية كما هي الخدمات العلاجية. وفي سؤال يتعلق بدرجة توفر الأدوية اتضح أن غالبهم (72%) أفادوا بتوفرها ولكن بدرجة محدودة (كميات محدودة وأنواع محددة). ورغم أن 10% أفادوا بأن الأدوية متوفرة جداً إلا أن ما يقرب من ضعف هذه النسبة (18%) أفادوا بعدم توفرها. أن هذا يعني أن أكثر من 90% من مجموع أفراد عينة الدراسة يتفقون على أن الأدوية التي يحتاجونها محدودة (كما وكيفاً) أو أنها غير متوفرة أصلاً لأن ذلك يعتمد بطبيعة الحال على أنواعها ومجالات استعمالها. كما تعتبر أيضاً معامل التحاليل ركناً أساسياً في استكمال الخدمات العلاجية التي تقدمها المستشفيات فهي الوسيلة التي يلجأ إليها الطبيب في تشخيص حالة المريض وبالتالي تحديد نوع الدواء المناسب. وفي هذا السياق أفاد أكثر من ثلثي أفراد عينة الدراسة (67.5%) أن معامل التحاليل متوفرة ولكن بدرجة محدودة، وأفاد 21.5% بأن معامل التحاليل متوفرة، وعلى النقيض أفاد 11% من مجموع أفراد عينة الدراسة بأن معامل التحاليل غير متوفرة، أما عن جنسيات العناصر الطبية المتوفرة فقد أفاد 48.5% من مجموع أفراد العينة بوجود عناصر طبية ليبية، وأفاد 35.5% بوجود عناصر طبية عربية، وأفادت النسبة الباقية 16% بوجود عناصر طبية أجنبية. ونتيجة لعدم إتاحة الفرصة أمام المواطنين المترددين

## المستشفيات العامة في مدينة طرابلس توزيعها وخدماتها...

لاختيار العناصر الطبية التي يتعاملون معها وذلك بحكم تخصص كل منها من جهة ومقتضيات العمل من جهة أخرى، وبالتالي فقد يجد المواطن نفسه (أحياناً) مضطراً للتعامل مع العناصر الطبية الأجنبية. لهذا اشتملت ورقة الاستبانة على سؤال يتعلق بدرجة التفاهم بين أفراد هذه الفئة من المترددين والعناصر الطبية الأجنبية. وفي هذا السياق أفاد حوالي نصف أفراد العينة (49.5%) بأن إمكانية التفاهم مع العناصر الطبية الأجنبية محدودة، ورغم أن 39% أفادوا بسهولة تفاهمهم مع العناصر الطبية الأجنبية، إلا أن 11.5% أفادوا بصعوبتها.

رغم أنه سبقت الإشارة إلى تقييم أفراد عينة الدراسة لمستوى الخدمات، لكن ذلك ينطبق فقط على ما هو متوفر منها. لهذا تضمنت ورقة الاستبانة سؤالاً يختص بدرجة توفر الخدمات التي يحتاجها المواطن بغض النظر عن نوعها أو مستواها. حيث يكمن الهدف الجوهري من هذا السؤال في معرفة نسبة أفراد العينة الذين يتحصلون فعلاً على الخدمات الصحية التي يحتاجونها من هذه المستشفيات، ومعرفة البدائل التي يلجأ إليها بقية أفراد العينة الذين لا يتمكنون من الحصول على الخدمات الصحية بالمستشفيات، حيث اتضح أن 72% أفادوا بتوفر الخدمات الصحية التي يحتاجونها بالمستشفيات التي يترددون عليها، وعلى النقيض أفاد 28% بعدم توفر الخدمات الصحية التي يحتاجونها مما يجعلهم في سعي دائم للحصول عليها من مراكز صحية أخرى سواء كان ذلك في الداخل كالمصحات الخاصة أو السفر إلى الخارج. يعتبر هذا دليلاً آخر إلى جانب الأدلة التي سبق الإشارة إليها مثل نقص الأطباء المتخصصين، ونقص المعدات، ونقص الأدوية... الخ تؤكد بأن مستوى الخدمات التي تقدمها المستشفيات للمواطنين ليست بالمستوى الذي كان مستهدفاً منها.

من خلال الدراسة الميدانية، اتضح أن المواطن على وعي كامل بواقع المستشفيات ليس فقط من منطلق تقييمهم للإمكانيات المتوفرة، والأطقم الطبية، ودرجة ملائمة الخدمات لحاجة المواطن، ولكن أيضاً من منطلق تحديدهم للمشاكل التي تعترض هذه المرافق الصحية من ناحية تقديم الخدمات المستهدف تقديمها لذوي الحاجة إليها من المواطنين، وتمكنهم من تقديم بعض المقترحات التي يعتقدون بأنها ستكون عوامل مساعدة في التغلب على بعض المشاكل التي تواجه هذه المرافق.

اتضح أن مشكلة نقص وعدم توفر الأدوية تحتل الترتيب الأول بين المشاكل التي تحول دون حصول المواطن على الخدمات الصحية المستهدفة من المستشفيات وذلك بناء على ما أفاد به 21%، وتأتي مشكلة الازدحام في الترتيب الثاني حسب رأي 19%، واحتلت مشكلة عدم توفر المعدات الترتيب الثالث بناء على ما أفاد به 15%، أما مشكلة الإهمال وعدم الاهتمام بالمرضى فقد اتضح بأنها تحتل الترتيب الرابع بناء على رأي 13% يلي ذلك في الترتيب الخامس مشكلة عدم توفر معامل التحاليل (11%)، وجاءت مشكلة تدني مستوى الخدمات في الترتيب ما قبل الأخير برأي 8% واحتلت مشكلة المسافة بين المستشفى ومكان الإقامة المرتبة الأخيرة و يعاني منها 6% من مجموع أفراد العينة. وعلى النقيض لوحظ أن 5.5% أفادوا بعدم وجود أي مشاكل تحول دون تقديم المستشفيات للخدمات المستهدفة من إنشائها. وجددير بالذكر أن اختلاف الآراء لا يعني تضارباً فيها بقدر ما يعني إبراز المواطن للمشاكل التي سبق أن اعترضته خلال مرات تفرده على المستشفيات.

أما عن المقترحات التي تقدم بها أفراد عينة الدراسة والتي يعتقدون بأنها سوف تسهم في تغلب المستشفيات على المشاكل التي تعانيها وبالتالي يمكنها تحسين خدماتها، فقد تم تصنيفها في ست مجموعات، احتل مقترح توفير عدد كاف من الأطباء المتخصصين الترتيب الأول بينها حيث أفاد 26% بأن توفير عدد كاف من الأطباء المتخصصين يتناسب وحجم المترددين سوف يؤدي دوراً كبيراً في تحسين الخدمات ويخفف عبء معاناتها من مشكلة الازدحام، واتفق 20% منهم على مقترح ضرورة العمل على صيانة مباني المستشفيات خاصة مستشفى طرابلس المركزي. يلي ذلك

### المستشفيات العامة في مدينة طرابلس توزيعها وخدماتها...

في الترتيب الثالث اقتراح ضرورة تحسين مستوى الخدمات التي تقدمها المستشفيات. أما مقترح زيادة عدد العاملين بما في ذلك أطقم التمريض فقد احتل الترتيب الرابع وينسبة 15.5% من مجموع افراد العينة لاعتقادهم بأن توفير عدد كاف من العاملين وأطقم التمريض يسهل ويحسن تقديم الخدمات الصحية للمترددين باعتبارهم عاملاً مساعداً وضرورياً للأطباء. أما النسبة المتبقية تمحورت حول عدد من المقترحات تم تجميعها تحت فئة (مقترحات أخرى) تمثلت غالبيتها في ضرورة توفير الأدوية والمعدات ومعامل التحاليل.

#### ثانياً- فئة العاملين:

أنشئت المستشفيات لتقديم الخدمات العلاجية والوقائية للمواطنين الذين هم في حاجة إلى أي منها. وما دامت هذه الخدمات تقدم لذوي الحاجة من المواطنين عن طريق الأطقم الطبية ومساعدتهم من هيئة التمريض، والفنيين والموظفين، فقد أعدت ورقة استبانة خاصة بهذه الفئات وذلك بهدف الوقوف على واقع المستشفيات وإمكانياتها من خلال وجهة نظر العاملين فيها. للقيام بالدراسة الميدانية، اختيرت عينة عشوائية بلغ عدد أفرادها 100 فرد من العاملين في المستشفيات اشتملت على عدد من الأطباء والمرضى والمرضات والفنيين والموظفين. حيث بلغ عدد أفراد العينة 25 فرداً من كل مستشفى. من بين الأسئلة التي وجهت لهم أسئلة تتعلق بالخدمات العلاجية التي تقدمها المستشفيات للمترددين عليها، وفي هذا السياق أفاد جميعهم بدون استثناء أنّ المستشفيات تقدم خدمات الايواء، والفحص الطبي، والتحليل الطبية، والأشعة، وتقدم الأدوية ولكن كل ذلك بناءً على الإمكانيات المتوفرة في كل مستشفى.

كما تضمنت ورقة الاستبانة سؤالاً يتعلق بتقييم العاملين لدرجة توفر الإمكانيات فيها. حيث أفاد 87% من العاملين من أفراد هذه الفئة بأن درجة توفر الأطباء المتخصصين عالية جداً، وأفاد بقيةهم (13%) بأن الأطباء المتخصصين متوفرون ولكن بدرجة محدودة، أما عن درجة توفر أطقم التمريض التي هي الساعد الأيمن للأطباء المتخصصين في تقديم الخدمات الطبية لذوي الحاجة إليها، فقد أفاد 84% بأن أطقم التمريض متوفرة جداً، وأفاد 16% فقط بأن أطقم التمريض متوفرة بشكل محدود، ولم يقد أي منهم بأنها غير متوفرة.

أما عن درجة توفر فنيي المعامل فقد افاد غالبيتهم (98%) بأنها عالية جداً، وأفاد بقيةهم (2%) بأنها محدودة، وترتبط درجة توفر فنيي المعامل ارتباطاً طردياً مع درجة توفر المعامل التي تتناسب مع وظائفهم. وما دام غالبيتهم أفادوا بوجودها فإن رأيهم يعتبر مرآة عاكسة لواقع المعامل أو لدرجة توفرها. وفي هذا السياق أفاد 98% بأن معامل التحاليل متوفرة جداً.

أما عن درجة توفر الأجهزة والمعدات فقد اتضح أن بعض الأقسام بالمستشفيات تعاني من نقصها شأنها في ذلك شأن بقية الإمكانيات الأخرى. والدليل على ذلك أن 11% فقط من مجموع أفراد عينة الدراسة أفادوا بأنها متوفرة جداً. ولكن على النقيض، فإن نسبة الذين أفادوا بعدم توفر الأجهزة والمعدات (12%) فاقت نسبة أولئك الذين أفادوا بتوفرها، ومن جهة أخرى أفاد غالبية أفراد عينة الدراسة من فئة العاملين في المستشفيات (77%) أفادوا بتوفر الأجهزة والمعدات ولكن بدرجة محدودة.

أما الأدوية فهي الأقل من حيث درجة توفرها في المستشفيات مقارنة بجميع الإمكانيات الأخرى. وفي هذا السياق لوحظ أن 6.0% فقط من فئة العاملين جزموا بأن الأدوية متوفرة جداً، ورغم أن 4% أفادوا بعدم توفرها، إلا أن المؤشر الذي يؤكد قلة توفرها هو ما أفاد به غالبية أفراد العينة من هذه الفئة (90%) بأن الأدوية متوفرة ولكن بدرجة محدودة في جميع المستشفيات، وعن توفر سيارات الإسعاف أفاد جميع أفراد العينة بمحدودية وجودها في كل المستشفيات.

### المستشفيات العامة في مدينة طرابلس توزيعها وخدماتها...

أما فيما يتعلق بمقدرة المستشفيات بإمكانياتها المتوفرة من تحقيق الأهداف المرجوة التي أنشئت من أجلها، فقد اتضح من خلال البيانات التي تم الحصول عليها من الدراسة الميدانية أنّ المستشفيات العامة الواقعة في منطقة الدراسة قادرة على تحقيق أهدافها المرجوة منها وهي تقديم الخدمات العلاجية لذوي الحاجة إليها وذلك بناء على ما أفاد به أكثر من ثلثي أفراد عينة الدراسة (68%) من فئة العاملين، ولكن من جهة أخرى أفاد بقية أفراد العينة من هذه الفئة (32%) بأن المستشفيات لا تتمكن من تحقيق جميع الأهداف التي أنشئت من أجلها.

في الجزء الثاني من نفس السؤال الذي يتعلق بمقدرة المستشفيات على تحقيق الأهداف المرجوة من وراء إنشائها بناء على تقييم أفراد العينة من العاملين في كل منها، طلب من أفراد العينة من هذه الفئة الذين أفادوا بعدم مقدرة المستشفيات على تحقيق الأهداف التي أنشئت من أجلها، تحديد الأسباب الكامنة وراء ذلك الاعتقاد. وفي هذا الصدد، أفاد 43% من مجموع أفراد هذه الفئة بأن نقص الإمكانيات هو السبب الجوهري الذي يحول دون تحقيقها للأهداف المرجوة من وراء إنشائها. وأفاد 25% بأن ذلك يرجع إلى عدم توفر الأطباء المتخصصين، مما ينجم عنه عدم قدرة هذه المراكز على تلبية جميع احتياجات المواطنين من خدمات التخصصات الطبية المختلفة. وارجع 14% السبب إلى ضعف الإدارة. وأفاد 18% من مجموع أفراد العينة من فئة العاملين الذين أفادوا بعدم مقدرة المستشفيات والعاملين فيها على تحقيق أهدافها بأن السبب يكمن في ضخامة عدد المترددين عليها وبالتالي تعجز عن استيعابهم وتقديم الخدمات لهم. وفي سؤال يتعلق بمقدرة المستشفيات على تقديم خدمات وقائية، أفاد جميع أفراد العينة من فئة العاملين فيها بأن جميع المستشفيات تقدم خدمات علاجية بالدرجة الأولى، كما تقدم خدمات وقائية لمن يحتاجها. ويرجعون السبب إلى عدم طلب المترددين عليها لهذه الخدمات وخاصة الاستشارات الطبية.

وفي سؤال يتعلق بدرجة توفر الأطقم الطبية الأجنبية في المستشفيات ومشاركتهم في تقديم الخدمات الطبية للمترددين، أفاد غالبية أفراد العينة من فئة العاملين (85%) بوجود أطقم طبية أجنبية في جميع التخصصات وخاصة أطقم التمريض.

أما عن كيفية تفاهم المترددين مع العناصر الطبية الأجنبية العاملة في فقد أفاد 40% من فئة العاملين الذين أكدوا وجود عناصر طبية أجنبية بأن هناك وسطاء للترجمة يقومون بمساعدة المرضى من المترددين في التفاهم مع هذه العناصر وبالتالي في الحصول على الخدمات الطبية التي يحتاجونها، في مقابل 60% أفادوا بأن المواطنين المترددين على هذه المستشفيات يستخدمون أساليبهم الخاصة في التفاهم مع الأطقم الطبية الأجنبية.

### الخاتمة

تهدف هذه الدراسة إلى التركيز على معرفة الخدمات الصحية التي تقدمها المستشفيات العامة من حيث الكم والكيف، ومدى ملائمة توزيع هذه المستشفيات لتحقيق أكبر قدر ممكن من الخدمات الطبية للمجتمع، وذلك لأن حالة الأفراد الصحية تلعب دوراً هاماً في حاضر المجتمعات البشرية ومستقبلها، باعتبار أن الإنسان بطبيعته مخلوق اجتماعي يعيش في مجتمعات تعتمد على نجاح علاقاته وتفاعلاته مع بيئته من أجل حياته وأمنه، والتمتع بوضع صحي أفضل، فكل فرد في المجتمع عرضة لتأثيرات البيئة المحيطة به، فقد يتلقى الرعاية والحماية، وقد يعاني من الأمراض والحرمان وعلى هذا الأساس فإن الصحة الجيدة تعتبر من الضرورة بمكان سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات، بالنسبة للفرد يساهم توفر الخدمات الصحية المتطورة في تحسين مستوى

### المستشفيات العامة في مدينة طرابلس توزيعها وخدماتها...

حياته لتزيد من قدرته على العطاء وتتيح له فرصة التمتع بفائدة هذا العطاء، أما بالنسبة للمجتمع فإنه كلما ازدهرت الحالة الصحية للمواطنين من الناحيتين البدنية والعقلية، كانت قدرتهم على العمل والإنتاج أكبر وهو ما يؤدي بطبيعة الحال إلى دفع عملية التنمية إلى الأمام.

إن الرعاية الصحية حق يكفله المجتمع لكافة أفرادها بدون استثناء. لذا فإن التمتع بأفضل مستوى صحي هو أحد الحقوق الأساسية لكل فرد وهذا لا يتحقق إلا من خلال توفر وتطوير أداء الخدمات الصحية على اختلاف مستوياتها واعتبارها هدفا أساسيا من أهداف التغيير نحو الأفضل، ولما كانت خدمات المستشفيات العامة بمدينة طرابلس تدرج تحت مستويات الرعاية الصحية الأساسية، فقد أثرت الباحثة أن توليها عناية خاصة وذلك من خلال اختيار هذا المستوى من الخدمات الصحية باعتبارها تمثل أعلى مستوى في هذا المجال والتي تتصل اتصالا مباشرا بالمواطنين. حيث تجسد هدف الدراسة في تجميع وتحليل البيانات ذات العلاقة بتقييم المستشفيات العامة من خلال التعرف على درجة توفر الخدمات الطبية ومدى رضا المواطنين عنها ودرجة الاستفادة منها والذي يعكس درجة تحقيق هذه المرافق الصحية للأهداف التي أنشئت من أجلها.

لقد تم من خلال دراسة التوزيع المكاني للمستشفيات العامة في منطقة الدراسة تقييم مدى ملائمة توزيعها المكاني مع التوزيع الحالي للسكان ومعرفة مدى سهولة الوصول إليها (عامل القرب المكاني) والذي ينعكس بدوره على درجة الانتفاع بهذا النوع من الخدمات الصحية المتاحة في المدينة. كما تم تسليط الضوء على الخدمات التي تقدمها المستشفيات العامة في مدينة طرابلس والمشاكل التي تعاني منها مثل قلة عدد الأطباء المتخصصين في بعض التخصصات الدقيقة، ونقص الأجهزة العلاجية في محاولة لإيجاد حلول ناجحة لها بهدف زيادة فاعلية الخدمات الصحية المقدمة للوصول إلى وضع مخطط مستقبلي يتمشى مع زيادة عدد السكان ويتفق مع الطلب المتزايد على الخدمات الطبية. وبناء على ذلك تم التوصل للنتائج الآتية:

- يخلو فرع حي الأندلس من إي مستشفى عام حتى الآن، بالرغم من ازدياد عدد السكان فيه.
- يزيد عدد سكان منطقة الدراسة عن 895 ألف نسمة حسب تعداد 2006، وبما أن كل مستشفى من المفترض أن يقدم خدماته لحوالي 100,000 نسمة، لهذا فإن سكان منطقة الدراسة الذين يمكنهم الاستفادة من هذه الخدمات بناء على المعايير الدولية لا يشكلون أكثر من 44.7% من مجموع السكان، وهذا يعني أن أكثر من نصف سكان المنطقة في حاجة ماسة إلى مثل هذه الخدمات الصحية في الفروع التي يقيمون فيها.
- أفاد 62% من مجموع أفراد العينة أن وسائل النقل لا تشكل عائقا، وذلك لاملاكهم وسائل نقل خاصة تمكنهم من الوصول في أقل وقت ممكن.
- تتفق هذه الدراسة مع غيرها من الدراسات التي أجريت في مناطق مختلفة من العالم (Habib and vaughan 1986, phillips 1991) في النتيجة التي توصلت إليها بأن لمستوى الدخل دور في تحديد الفئات الأكثر تردداً على المستشفيات. وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى أن 54% من أفراد العينة لا يزيد دخلهم الشهري عن 400 دينار. فيما يخص المسافة تبين أن 73% من أفراد العينة لا تتجاوز المسافة بين مكان إقامتهم والمستشفى الذي يترددون عليه 10 كم.
- رغم أن المستشفيات أنشئت أساسا لتقديم الخدمات العلاجية المتمثلة في الإيواء والفحوصات الطبية وأجراء التحاليل وخدمات الأشعة وتقديم الأدوية وكذلك تقديم الخدمات الوقائية المتمثلة



### المستشفيات العامة في مدينة طرابلس توزيعها وخدماتها...

- في الاستشارات الطبية والتنظيف الصحي إلا أن هذه الدراسة أثبتت أن الخدمات العلاجية هي السبب الجوهري الذي يكمن وراء تردد 98% عليها.
- تبين أن 83.5% يترددون على المستشفيات لأسباب مادية متمثلة في مجانية العلاج وعدم مقدرتهم على دفع تكاليف العيادات الخاصة أو السفر للخارج.
- اتضح أن درجة توفر الإمكانات في المستشفيات محدودة وهذا ما أفاد به أكثر من ثلثي (68.5%) أفراد العينة من المترددين، وينطبق أيضا على الأدوية بنسبة 72%، ومعامل التحاليل 67.5%، كما أفاد 72% بتوفر الخدمات التي يحتاجونها.
- أفاد ما نسبته 87% من مجموع أفراد العينة من فئة العاملين بالمستشفيات بتوفر الأطباء المتخصصين، وينطبق هذا أيضا على التمريض وهذا ما أفاد به 84% منهم، وأفاد غالبيتهم 98% بتوفر فنيي المعامل بدرجة عالية جدا.
- أفاد 77% بمحدودية المعدات والأجهزة، بينما أفاد 85% بوجود أطقم طبية أجنبية وخاصة في التمريض. بينما حوالي 70% من مجموع أفراد العينة من نفس الفئة بان المستشفيات قادرة على تحقيق الأهداف المرجوة بالإمكانات المتوفرة.

#### التوصيات: تتمثل بالآتي:

1. زيادة عدد المستشفيات في مدينة طرابلس بما يتمشى مع عدد السكان، مع مراعاة عدالة توزيعها بين الفروع التي تشكل منطقة الدراسة. واختيار المواقع المناسبة ضمن سياسات التخطيط العمراني والإقليمي.
2. تركيز الجهود على خدمات الصحة الوقائية لوقاية الأفراد من الأمراض وتحسينهم ضدها ونشر الوعي الصحي والغذائي السليم بينهم.
3. توفير احتياجات جميع المستشفيات من الأدوية ومراعاة عدالة توزيعها.
4. العمل على توفير الأجهزة والمعدات التي يحتاجها كل مستشفى ليتمكن من تقديم خدماته المنوطة به على الوجه الأكمل خاصة فيما يتعلق بمعامل التحاليل.
5. العمل على توفير عدد كاف من الأطباء في جميع التخصصات المتوفرة بدرجة يتناسب عددهم وحجم المترددين وذلك من أجل تحسين الخدمات التي تقدمها هذه المراكز لذوي الحاجة من المترددين عليها، مع ضرورة توفير أطباء متخصصين في التخصصات التي يقل وجودها.
6. ضرورة العمل على صيانة مباني المستشفيات، وتطوير نظام العمل بدرجة يسهل معها تقديم الخدمات للمترددين وتحسين مستواها.
7. توفير سيارات إسعاف مجهزة وبإعداد كافية بكل مستشفى لنقل الحالات الطارئة إلى المستشفيات.

#### الهوامش:

1. الهيئة العامة للمعلومات والتوثيق، النتائج الأولية للتعداد العام للسكان، 2006، ص 1.
  2. اللجنة الشعبية العامة للصحة، تقرير عن خدمات المستشفيات، بيانات غير منشورة، 2007، بدون ترقيم.
  3. مصلحة الإحصاء والتعداد ليبيا، 2013، بدون ترقيم.
  4. الهيئة العامة للمعلومات والتوثيق، النتائج الأولية للتعداد العام للسكان، 2006، ص 1.
- المراجع.

المستشفيات العامة في مدينة طرابلس توزيعها وخدماتها...

1. اللجنة الشعبية العامة للصحة والضمان الاجتماعي بشعبية طرابلس. التقرير السنوي للخدمات الطبية 2010.
2. اللجنة الشعبية العامة للصحة والضمان الاجتماعي، التقرير السنوي لنشاط المستشفيات بمدينة طرابلس، شعبية طرابلس، لعام 2005-2006.
3. اللجنة الشعبية العامة للصحة والضمان الاجتماعي. التقرير السنوي لعام 2005.
4. اللجنة الشعبية العامة للصحة، تقرير عن خدمات المستشفيات، بيانات غير منشورة، 2007.
5. الهيئة العامة للمعلومات والتوثيق، النتائج الأولية للتعداد العام للسكان، 2006.
6. مصلحة التخطيط العمراني، خريطة فروع مدينة طرابلس. 2006
7. مصلحة الإحصاء والتعداد ليبيا. 2013. <https://ar.wikipedia.org/wiki/ليبيا>

## الجفر ... بين الحقيقة والخرافة. في تبيان مسألة (الجفر) وتحوُّله من (مجرد كتاب) إلى (عقيدة إيمانية)

د. عبد الله سالم مليطان  
كلية الآداب/ جامعة طرابلس

### المقدمة

ترجم طائفة ممن ينتمون إلى الإسلام، أن ثمة كتاب يسمى (الجفر) لكذلك إذا ما سألت عن هذا (الجفر)، ستغرق في بحار متلاطمة من الروايات الخرافية والأوهام التي لا نهاية لها، لأنه لا أحد ممن ينتمي إلى هذه الطائفة - ناهيك عن غيرهم - يملك جواباً علمياً شافياً، ليجيبك عن أي من الأسئلة، التي تدور في خلدك عن هذا (الجفر).

فهم تارة ينسبونه (زوراً) إلى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وتارة أخرى يزعمون نسبته إلى (جعفر الصادق)<sup>(1)</sup> الإمام السادس من أئمة آل البيت -عليهم السلام- لكن "العجيب في الأمر هو أنهم يتحدثون عن تفصيلات تقع في المستقبل -الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى - وكان المستقبل أمام أعينهم، وإن سألتهم أي لكم هذا؟ لأجابوا: إنه مكتوب في (الجفر)"<sup>(2)</sup>.

وإذا حاولت السؤال ثانية، لتتعرف عن هذا (الجفر) أين يمكنك أن تجده؟، لتقرأ معهم المستقبل الآتي، والغيب القادم فإنك ستواجه بأكثر من جواب، مما يزيد من استغراقك في الوهم، مما يدل على عدم تتبعهم وقلة اطلاعهم<sup>(3)</sup> وربما دفعك إلى مزيد من الشك أكثر في احتمالية عدم وجود هذا (الجفر) أصلاً.

وبالإطلاع والتتبع لشأن هذا (الجفر)، نجد ثمة كتب تحمل هذا العنوان (الجفر)، غير أن مصنفوها لا يعززون ما فيها لعلي بن أبي طالب، ولا تحمل في مضمونها ما يمكن نسبته إليه، لأن ما حوته لا يمكن بأي حال من الأحوال التسليم بأن علياً يمكن أن يكتبه، أو يصرح به، ومنها على سبيل المثال الكتاب الذي كتب مقدمته (كمال الدين أبو سالم محمد بن طلحة)<sup>(4)</sup>، والذي أسماه (كتاب الجفر للإمام علي بن أبي طالب) دون أن يدعي أنه هو (الجفر) المأثور عن علي بن أبي طالب، بل يدعي أن أحد أصدقائه أثناء انشغاله بالصلاة كشف له عن لوح الأمر، ولما أعرض عنه وكرهته يد مع صوت يقول له: خذ ما تنتفع به، فأخذه، فوجده دائرة وخطوط، واسماً وحروفاً<sup>(5)</sup> وهو ما يعني أن هذا الكتاب لا علاقة له بعلي، لأنه ليس من منهج علي -رضي الله عنه-، أن يعني بمثل هذه الطلاسم، رغم أن كاتب مقدمته الكتاب، أشار إلى أن صاحبه رأى علياً في المنام وسأله "أين اللوح الذي أوتيته؟"<sup>(6)</sup>

وثمة كتاب آخر اسمه (الجفر) وقد كتب على غلافه، أنه منسوب إلى علي بن أبي طالب، وكاتب مقدمته أيضاً، لا يدعي نسبة ما فيه من المأثور عن علي بن أبي طالب<sup>(7)</sup> كما أن ما فيه - على حد تعبير كاتب مقدمته - هو "رشحة غيبية، ومنحة وهبية، استنتقت بها لسان المعارف، و أيقظت لها عيون ترجمان العوارف بحسب ما أملى علي وورد الوقت بحكمة الحزم وقضائه الحتم"<sup>(8)</sup>.

وهناك كتاب آخر، حمل عنوان (الجفر) أيضاً وضعه (شمس الدين محمد بن الشيخ كمال الدين سالم المعروف بالخلاف)<sup>(9)</sup> وهو كذلك لم ينسب إلى علي بن أبي طالب، وهو "مكوّن من ثلاث كتب، الكتاب الأول من تأليف (الكندي)<sup>(10)</sup> والكتاب الثاني من تأليف (كمال الدين محمد المعروف

الجفر بين الحقيقة والخرافة...

بالبسطامي<sup>(11)</sup>، والكتاب الثالث من تأليف (محي الدين بن عربي)<sup>(12)</sup>، وقد عنوانه بكتاب (الجفر الكبير الجامع، ومصباح النور اللامع، في حل رموز كلام الشيخ الأكبر والكبرى الأحمرة، محي الدين بن عربي، وفيه كلام بن طلحة البسطامي، وفي كلام الشيخ عبد الحق بن سبعين)<sup>(13)</sup> إضافة إلى عدد آخر من الكتب التي حملت عنوان (الجفر)، مما لا يتسع المقام هنا لسردها.

لذلك تطلب الأمر أن نبحث في شأن هذا (الجفر)، ونسبر أغوار كل تلك المصادر التي أتت على ذكره، على اختلاف اتجاهاتها، مستأنسين ببعض المراجع التي أشارت إليه، لتتبع شأن هذا (الجفر)، والوقوف عند حقيقة الأمر في شأنه، في محاولة لتبيين الحقائق من الأوهام التي تكتنف الموضوع من خلال الإجابة على عديد الأسئلة التي تدور في الأذهان حوله، التي يأتي في مقدمتها ماذا يعني هذا (الجفر) لغة؟ وعلى ما يدل اصطلاحاً؟ ولمن ينسب حقيقة؟ وعلى ماذا يحتوي؟ وهل هو جفر واحد، أم أنه أجفار متعدّد؟ وماذا عن آراء المؤرخين والعلماء حياله؟ إلى غير ذلك من الأسئلة.

أولاً- الجفر لغة: الجفر (يفتح فسكون)، لفظ مفرد وجمعه (أجفار) و(جفار)<sup>(14)</sup>، وفي (لسان العرب) أيضاً يجمع على (جفرة)<sup>(15)</sup>، وبالبحث عن (الجفر) في معاجم اللغة، على اختلاف مناهجها، نجد أن لهذا (الجفر) عدد من المعان، من بينها:

المعنى الأول: ولد الشاء، إذا عظم واستكرش، وجفر (أي اتسع) جنباه<sup>(16)</sup> فلا يشمل الهزيل من الغنم، كما يعني أيضاً ولد المعز، الذي بلغ أربعة أشهر<sup>(17)</sup> وجفر (أي اتسع) جنباه، وفصل عن أمه<sup>(18)</sup> وبالتالي فإنه لا يشمل ولد الضأن من الغنم ولا الهزيل منها، ولا الصغير دون ذلك السن، وقبل الانفصال عن الأم، وضيقوا معناه ثلاثة فخصوه بالذكر من أولاد المعز أي الجدي، الذي فطم عن أمه ابن ستة أشهر<sup>(19)</sup> بحيث لا يشمل الأنثى من ولد المعز، ولا غير المفطوم منها، وكذلك دون سن الستة أشهر<sup>(20)</sup>.

المعنى الثاني: هو البئر الواسعة التي لم تطو (21)، وقيل التي طوي بعضها ولم يصولا بعض<sup>(22)</sup>.

المعنى الثالث: هو الصبي إذا انتفخ لحمه، وصارت له كرش<sup>(23)</sup>.

المعنى الرابع: هو الجمل الصغير<sup>(24)</sup>.

نخلص هنا، إلى أن المعنى اللغوي لفظ (الجفر) في لغة العرب، دالاً على ولد الشاء إذا ما عظم، واستكرش، والبئر التي لم تطوى، والصبي حين ينتفخ لحمه ويصير له كرش، وكذا الجمل الصغير، وهي المعاني لا علاقة لها بالمعنى الذي ذهب إليه تلك الطائفة المسماة بـ(الشيعة)<sup>(25)</sup>، التي نحت في تعريفه مناحي أخرى لا علاقة لها بما جاءت به معاجم اللغة، كما سيبتن لنا لاحقاً، من خلال تتبع معانيه، ودلالاته لديهم.

ثانياً- الجفر في اصطلاح الشيعة: اصطلاح (الطريحي)<sup>(26)</sup> في (مجمع البحرين)، على تعريف (الجفر) بأنه "إهاب<sup>(27)</sup> ماعز، و إهاب كبش، وفيها جميع العلوم، حتى أرش الخدش<sup>(28)</sup>، والجلدة ونصف الجلدة<sup>(29)</sup> بينما ذهب (محمد بن حسن الصفار)<sup>(30)</sup> في (بصائر الدرجات في مناقب آل محمد) إلى القول: بأنه "جلد شاة، ليست بالصغيرة، ولا بالكبيرة"<sup>(31)</sup> وهو أيضاً "مسك<sup>(32)</sup> ماعز، ومسك ضأن، ينطق أحدهما بصاحبه"<sup>(33)</sup> وقيل "إهاب كبش"<sup>(34)</sup>، وهناك من عنى بـ(الجفر) "جلد الثور"<sup>(35)</sup>، كما استبعدت روايات أخرى، نسبتها إلى الحيوان، وفسرته بـ"أديم عكاظي"<sup>(36)</sup>.

أمّا من حيث محتوى ومضمون هذا (الجفر)، فقد اصطلحت الشيعة، على أنه "كتاب أملاه رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم- في أواخر حياته المباركة على وصيّه، وخليفته علي بن أبي طالب رضي الله عنه- وفيه علم الأولين والآخرين، ويشتمل على علم (المنايا)<sup>(37)</sup> و(البلايا)<sup>(38)</sup>، و(الرزايا)<sup>(39)</sup>، وعلم ما كان، ويكون إلى يوم القيامة<sup>(40)</sup>، وأنه من الأسرار الخاصة جداً بال

الجفر بين الحقيقة والخرافة...

البيت -عليهم السلام- بل وأتته لن ينظر إليه منهم، إلا من كان أكثر بر من غيره بأبيه، فقد روى (نعيم القابوسي)<sup>(41)</sup> عن (أبي الحسن) <sup>(42)</sup> أنه قال: "إنّ ابني علياً أكبر ولدي، وأبرهم عندي، وأحبهم إلي، وهو ينظر معي في الجفر، ولم ينظر فيه إلا نبي، أو وصي نبي"<sup>(43)</sup>. وهو أيضاً "أحد ركائز المعتقدات (الباطنية)<sup>(44)</sup>، إذ يطلق عندهم على علم من العلوم الغيبية المبنية على أسرار الحروف، ومنها يستدل على الحوادث المستقبلية، حتى قيام الساعة، أسره النبي صلى الله عليه وسلم- إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه- وأمره بتدوينه، فكتبه الإمام حروفاً متفرقة، وأخذ (جعفر الصادق) عنه<sup>(45)</sup> وارتباط الأفكار الشيعية بمعتقدات (الباطنية)، ارتباط وثيق ذلك أنّ كثير من أفكارهم تعود في مصادرها إلى الفكر الباطني، الدخيل على أفكار ومعتقدات الإسلام، والتي يتستر بها للنيل من الإسلام، مظهرين جانب التكلم والتستر لإخفاء ما يبطنون من عداة لهذه الأمة.

ثالثاً- أنواع الجفر: و(الجفر) عند الشيعة، ليس جفراً واحداً، إنّما هو أربعة جفار وبألوان متعددة، الجفر الأول منها: عبارة عن كتاب، أمّا الثلاثة الأخرى فهي أوعية منها الأبيض، والأحمر، والجفر الجامع، ولكل لون خصائصه ومزاياه التي تختلف عن غيره، إمعاناً في تضليل الناس، وصرافهم عن هدى الدين، وهذه الأنواع هي:

النوع الأول: الجفر: كما أشرنا سابقاً وفق اصطلاحهم- الكتاب الذي أملاه رسول الله صلى الله عليه وسلم- في أواخر حياته المباركة على وصيّه، وخليفته علي بن أبي طالب رضي الله عنه- وفيه علم الأولين والآخرين، ويشتمل على "علم المنايا، والبلايا، والرزايا، وعلم ما كان، ويكون إلى يوم القيامة"<sup>(46)</sup> فقد روى (محمد باقر المجلسي)<sup>(47)</sup> في (بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار) أنّ جعفر الصادق قال: "ويلكم إيّي نظرت في كتاب الجفر صبيحة هذا اليوم، وهو الكتاب المشتمل على علم المنايا، والبلايا، والرزايا، وعلم ما كان، وما يكون إلى يوم القيامة، الذي خصّ الله تقدّس اسمه به محمداً، والأئمة من بعده، وتأمّلت فيه مولد قائمنا وغيبته وإبطاء وطول عمره، وبلوى المؤمنين به من بعده في ذلك الزمان، وتولّد الشكوك في قلوبهم من طول غيبته، وارتداد أكثرهم عن دينهم وخلعهم ربة الإسلام من أعناقهم التي قال الله تقدّس ذكره (وكلّ إنسان أزمناه طائفة في عُنُقِهِ)<sup>(48)</sup> يعني الولاية، فأخذتني الرقة واستولت عليّ الأجران"<sup>(49)</sup>.

النوع الثاني: الجفر الأبيض: هو -حسب زعمهم- وعاء جلد ماعز، أو ضأن، يضم مجموعة من الكتب المقدّسة ما عدا القرآن الكريم، مستندين على ذلك بما جاء في (أصول الكافي) أهم كتبهم في الحديث، حيث روي عن (الحسين بن أبي العلاء)<sup>(50)</sup>، قال سمعتُ أبا عبد الله (المقصود جعفر الصادق) يقول: "إنّ عندي الجفر الأبيض". قال: قلتُ فأبى شيء فيه؟ قال: "زبور داود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وصحف إبراهيم -عليه السلام- والحلال والحرام، ومصحف فاطمة، ما أزعجني فيه قرآناً، وفيه ما يحتاج الناس إليّ، ولا تحتاج إلى أحدٍ حتّى فيه الجلدة، ويصف الجلدة، ورُبّع الجلدة، وأرْسُ الخدش"<sup>(51)</sup>، وفي (بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار) أيضاً يروي (المجلسي) زوراً عن جعفر الصادق قوله "وأما الجفر الأبيض فوعاء فيه توراة موسى وإنجيل عيسى وزبور داود وكتب الله الأولى"<sup>(52)</sup>.

النوع الثالث: الجفر الأحمر: وهو كما يزعمون- وعاء جلد ماعز أو ضأن يحتوي على السلاح، وفيه سلاح رسول الله صلى الله عليه وسلم- ودليلهم على ذلك ما رواه (الكليني)<sup>(53)</sup> "عن الحسين بن أبي العلاء قال سمعتُ أبا عبد الله (جعفر الصادق) يقول: "وعندي الجفر الأحمر". قال قلت: وأي شيء في الجفر الأحمر؟ قال: "السلاح، وذلك إنّما يفتح للدم يفتح لصاحب السيف لقتل"<sup>(54)</sup>.

الجفر بين الحقيقة والخرافة...

وجاء في كتاب (الإرشاد في معرفة حُجَجِ الله على العباد) للشيخ (المفيد) (55) عن (أبي بصير) (56) عن (جعفر الصادق) قوله: "وأما الجفر الأحمر، فوعاءٌ فيه سلاح رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ولن يظهر حتى يقوم قائمنا أهل البيت" (57).

النوع الرابع- الجفر الكبير الجامع: هذا (الجفر) هو أكبر كل تلك الجفار، وهو في زعمهم- جلد ثور مدبوغ ويشتمل على الجفار الثلاثة، أي كتاب الجفر، والجفر الأبيض والأحمر، وهما مضمومان إلى بعضهما، فقد سأل أبا عبد الله (جعفر الصادق) عن الجفر؟ فقال: "هُوَ جلدٌ ثور مملوء علماً" (58)، وفي هذا الجلد "علم ما يحتاج الناس إليه إلى يوم القيامة من حلال وحرام، إملاء رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بخط علي، وفيه (مصحف فاطمة) (59) ما فيه آية من القرآن، وإنَّ عندي لخاتم رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ودرعه وسيفه ولوآءه، وعندني الجفر على رغم أنف من زعم" (60).

رابعاً- الجفر في التأويل الشيعي للقرآن: الاعتقاد الشيعي في مسألة (الجفر) ثم الترويج له في كثير من مصنفاتهم في التفسير، وبعده من الروايات المسندة إلى بعض علمائهم، لصرف المسلمين عن كتابهم، ففي ادعائهم تفسير القرآن الكريم، يذهبون إلى تأويل بعض آياته، لما يؤكد زعمهم بحقيقة جفرهم، وهو ما ادعاه (العباشي) (61) في تفسيره لقوله تعالى (وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظةً وتفصيلاً لكل شيء) (62)، حيث ذهب إلى القول "إنَّ الله تبارك وتعالى لما أنزل الألواح على موسى -عليه السلام- أنزلها عليه، وفيها تبيان كل شيء كان أو هو كائن إلى أن تقوم الساعة، فلما انقضت أيام موسى أوحى الله إليه أن استودع الألواح - وهي زبرجدة من الجنة - جبلاً يقال له: زينة، فأتى موسى الجبل فانتشق له الجبل، فجعل فيه الألواح ملفوفة، فلما جعلها فيه انطبق الجبل عليها، فلم تنزل في الجبل حتى بعث الله نبيه محمداً -صلى الله عليه وسلم- فأقبل ركب من اليمن يريدون الرسول -صلى الله عليه وسلم- فلما انتهوا إلى الجبل انفرج الجبل، وخرجت الألواح ملفوفة كما وضعها موسى، فأخذها القوم فلماً وقعت في أيديهم ألقى الله في قلوبهم ألا ينظروا إليها وهابوها حتى يأتوا بها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأنزل الله جبرائيل على نبيه فأخبره بأمر القوم، وبالذي أصابوه، فلماً قدموا على النبي -صلى الله عليه وسلم- ابتدأهم فسألهم عما وجدوا، فقالوا: وما علمك بما وجدنا؟ قال: "أخبرني به ربي، وهو الألواح" فقالوا: نشهد إنك لرسول الله، فأخرجوها فوضعها إليه، فنظر إليها، وكانت بالعبراني، ثم دعا أمير المؤمنين رضي الله عنه - فقال: "دوتك هذه، ففيها علم الأولين وعلم الآخرين، وهي ألواح موسى، وقد أمرني ربي أن أدفعها إليك" فقال: لست أحسن قراءتها، قال: "إنَّ جبرائيل أمرني أن أمرك أن تضعها تحت رأسك ليلتلك هذه فإتتك تصبح وقد علمت قراءتها" قال: فجعلها تحت رأسه فأصبح وقد علمه الله كل شيء فيها، فأمره رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بنسخها فتنسخها في جلد شاة، وهو الجفر، وفيه علم الأولين والآخرين، وهو عندنا والألواح عندنا، وعصا موسى عندنا، ونحن ورثنا النبيين -صلى الله عليهم أجمعين- قال أبو جعفر تلك الصخرة التي حفظت ألواح موسى تحت شجرة في واد يعرف بكذا (63).

خامساً- الجفر في مدونات الحديث: في كتب الحديث لديهم، يلقفون عن بعض أئمة آل البيت، - رضوان الله عليهم- كثيراً من المرويات التي يجزمون بصدق نسبتها إلى الأئمة الأطهار على نحو ما جاء في كتاب (أصول الكافي) الذي يعدونه عمدة كتب الحديث لديهم، والذي وضع فيه (الكليني) باباً خاصاً من (كتاب الحجة) في أصوله بعنوان (باب فيه ذكر الصحيفه، والجفر، والجامعه، ومصحف فاطمة)، وفيه يسرد أحاديثاً كثيرة، مروجاً فيها لهذا الجفر (64).

الجفر بين الحقيقة والخرافة...

وإذا نظرنا إلى مجموع تلك الآثار التي أوردها (الكليني) في شأن (الجفر) لوجدنا ثمة تناقض بينها وبين غيرها من نصوص الكافي، مما قالت بأن "علم الإمام بالإلهام أو بالوحي أو بالوراثة" (65) الأمر الذي يعززه ما ذهب إليه (الصفار) في (بصائر الدرجات في مناقب آل محمد) رواية عن (القاسم بن يحيى) (66)، عن (الحسن بن راشد) (67) قوله: سمعت (أبا إبراهيم) (68)، يقول إن الله أوحى إلى محمد صلى الله عليه وسلم- أنه قد فنيت أيامك، وذهبت دنياك واحتجت إلى لقاء ربك، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم- يده إلى السماء، وقال: اللهم عدتكم التي وعدتني إنك لا تخلف الميعاد، فأوحى الله إليه أن أنت أهدأ أنت ومن تتق به، فأعاد الدعاء، فأوحى الله إليه امض أنت وابن عمك حتى تأتي أهدأ، ثم لتصعد على ظهره فاجعل القبلة في ظهره، ثم ادع وأحس الجبل بمحبتك، فإذا حسك فاعمد إلى جفرة منهن أنثى وهي تدعى الجفرة، تجد قرينها الطلوع، وتشخب أوداجها دماً، وهي التي لك، فمر ابن عمك ليقيم إليها فيذبها ويسلخها من قبل الرقبة، ويقلب داخلها فتجده مدبوغاً، وسأنزل عليك الروح وجبرائيل معه دواة وقلم ومداد، ليس هو من مداد الأرض يبقى المداد ويبقى الجلد لا يأكله الأرض، ولا يبيليه التراب، لا يزداد كل ما ينشر إلا جدة غير أنه يكون محفوظاً مستوراً، فيأتي وحي يعلم ما كان، وما يكون إليك، وتمليه على ابن عمك، وليكتب ويمد من تلك الدواة، فمضى حتى انتهى إلى الجبل، ففعل ما أمره فصادف ما وصف له ربه، فلما ابتدأ في سلخ الجفرة نزل جبرائيل والروح الأمين وعدة من الملائكة، لا يحصي عددهم إلا الله، ومن حضر ذلك المجلس ثم وضع علي الجلد بين يديه، وجاء به والدواة والمداد أخضر كهيئة البقل، وأشدُّ خضراً وأنور، ثم نزل الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم- وجعل يملي علي رضي الله عنه- ويكتب علي أنه يصف كل زمان وما فيه، وغمزه بالنظر والنظر وخبره بكل ما كان، وما هو كائن إلى يوم القيامة، وفسر له أشياء لا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم، فأخبره بالكائنين من أولياء الله، من ذريته أبدأ إلى يوم القيامة، وأخبره بكل عدو يكون لهم في كل زمان من الأزمنة، حتى فهم ذلك وكتب، ثم أخبره بأمر يحدث عليه وعليهم من بعده فسأله عنها فقال: الصبر الصبر، وأوصى الأولياء بالصبر، وأوصى إلى أشياعهم بالصبر والتسليم حتى يخرج الفرج، وأخبره بأشراط أوانه، وأشراط تولده، وعلامات تكون في ملك بني هاشم، فمن هذا الكتاب استخرجت أحاديث الملاحم كلها، أو صار الوصي إذا أفضى إليه الأمر، تكلم بالعجب (69).

معنى ذلك أن هذا الكتاب الذي أسماه (الجفر) الذي يزعمون أنه من إملاء الرسول صلى الله عليه وسلم- على علي رضي الله عنه- هو أهم من القرآن الكريم الذي أنزله الله على رسوله محمد -صلى الله عليه وسلم- الذي يعتقدون أنه لم يفصل دقائق الأحداث التي ستكون في ما هو آت من الأزمان، ولم يذكر المنايا والرزايا والبلايا مع أنه وضع منهاجاً واضحاً أمام الناس، ينير طريقهم في السعي إلى فعل ما يقودهم إلى الفوز بنعيمة بعيداً عن الأهوال، ناسين أن لو كان في بيان هذا خيراً للإنسان ما كان القرآن ليغفله، وهو الذي أنزله الله تعالى رحمة للعالمين، وفيه تبياناً لكل ما يهم الإنسان، ولم يكن علياً وهو الأكثر حرصاً على صون كتاب الله من الزيادة، وحفظه من التحريف، أن يزعم لنفسه كتاباً غير القرآن أملي عليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم- وعلى ضوء هذا الاختراع الشيعي، مرتت كثير من الافتراءات، التي حاول من خلالها أعداء الإسلام في محاولة يائسة تخريب الدين الإسلامي من داخله، وهم يزعمون انتصارهم للرسول صلى الله عليه وسلم- وآل بيته الأتقياء الأطهار.

سادساً- الجفر بين مؤكد ومنك: حظي اختراعهم (الجفر) باهتمام بالغ في الترويج له، والتأكيد عن كونه حقيقة، وأنه ممّا اختصوا به دون غيرهم من البشر، فهذا (محمد بن يعقوب الكليني)، أبرز علماء الحديث عندهم يؤكد في أحد أحاديثه رواية عن (أبي عبيدة) (70) قال: سأل أبا عبد الله (جعفر

الجفر بين الحقيقة والخرافة...

**الصادق** بعض أصحابنا عن الجفر، فقال: هو جلد ثور مملوء علماً<sup>(71)</sup> كما يسوق **(الكليني)** أيضاً في **(أصول الكافي)** رواية **(أبي بصير)** عن الصادق قوله: وإن عندنا الجفر وما يدرهم ما الجفر؟ قال قلت: وما الجفر؟ قال: وعاء من آدم، فيه علم النبيين والوصيين، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل<sup>(72)</sup>، ويورد **(الصفار)** في **(بصائر الدرجات في مناقب آل محمد)** عن **(أبي حمزة الثمالي)**<sup>(73)</sup> قصة هذا الجلد في رواية طويلة، ومما جاء فيها: "...ثم دعا أمير المؤمنين فقال: دونك هذه ففيها علم الأولين وعلم الآخرين وهي ألواح موسى، وقد أمرني ربي أن أدفعها إليك قال يا رسول الله لست أحسن قراءته، قال: إن جبرئيل أمرني أن أمرك أن تضعها تحت رأسك ليلتلك هذه، فبئك تصبح وقد علمت قراءتها، قال فجعلها تحت رأسه فأصبح، وقد علمه الله كل شيء فيها، فأمره رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن ينسخها فتسخها في جلد شاة، وهو الجفر، وفيه علم الأولين والآخرين، وهو عندنا والألواح وعصا موسى عندنا، ونحن ورثنا النبي -صلى الله عليه وسلم-<sup>(74)</sup>. وفي كتابه **(الخصال)** يورد **(ابن بابويه القمي)**<sup>(75)</sup> في معرض حديثه عن علامات الإمام وصفاته، التي من بينها أن يكون "أعلم الناس، وأحكم الناس، وأتقى الناس، وأعلم الناس، وأشجع الناس، وأسخى الناس، وأعبد الناس -إلى أن يقول- ويكون عنده الجفر الأكبر والأصغر إهاب ماعز، وإهاب كبش، فيهما جميع العلوم حتى أرش الخدش وحتى الجلدة، ونصف الجلدة، وثلث الجلدة"<sup>(76)</sup>.

ولما يتسم به هذا **(الجفر)** من طابع السرية والتكتم، وما يكتنفه من غموض، فقد وجدنا ثمة إشارات إلى هذا **(الجفر)**، قد اكتشف في أكثر من مكان، وفي أزمنة متعاقبة، ومن بين هذه الإشارات ما جاء به **(ابن خلكان)**<sup>(77)</sup> في كتابه **(وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان)** الذي "رأى في بعض تواريخ المغرب أن ابن تومرت<sup>(78)</sup> كان قد ظفر بكتاب يقال له الجفر"<sup>(79)</sup>، كما أن **(أغا برزك الطهراني)**<sup>(80)</sup> في **(الذريعة في تصانيف الشيعة)** يقر بوجود هذا **(الجفر)** "عند بني عبد المؤمن<sup>(81)</sup> في المغرب الأقصى"<sup>(82)</sup> ويذهب **(البستاني)**<sup>(83)</sup> في **(دائرة المعارف)** إلى أن "السلطان العثماني **(سليم الأول)**<sup>(84)</sup> حصل هذا الكتاب من مصر، وجعله في بلاطه مع عدة تحف نفيسة"<sup>(85)</sup>.

في المقابل نجد من ينكر عليهم ادعائهم بوجود هذا **(الجفر)**، ومن هؤلاء المنكرين بحكم سياق قولهم، **(ابن قتيبة)**<sup>(86)</sup>، الذي يعجب في كتابه **(تأويل مختلف الحديث)** من أن الشيعة "يدعون أن عندهم علم الباطن بما وقع إليهم من الجفر"<sup>(87)</sup>، وينقل **(ابن أبي أصيبعة)**<sup>(88)</sup> في **(عيون الأنباء في طبقات الأطباء)** قصيدة منسوبة إلى **(ابن سينا)**<sup>(89)</sup> أورد فيها أخبار عن المستقبل بالاعتماد على النجوم وكتاب الجفر المنسوب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب<sup>(90)</sup> وفي فتاويه، ينكر **(ابن تيمية)**<sup>(91)</sup> وجود هذا **(الجفر)** المزعوم بقوله: "أن كل ما يدكر عن علي وأهل البيت؛ من أنهم أخذوا بعلم خصمهم به النبي -صلى الله عليه وسلم- دون غيرهم: كذب عليهم؛ مثل ما يدكر منه الجفر والبطاقة والجدول وغير ذلك، وما يائره (القرامة النباطية)<sup>(92)</sup> عنهم؛ فإنه قد كذب على جعفر الصادق ما لم يكذب على غيره، وكذلك كذب على علي رضي الله عنه - وغيره من أئمة أهل البيت رضي الله عنهم"<sup>(93)</sup>، وفي موضع آخر من فتاوى **(ابن تيمية)** نجده يستنكر ما أضيف إلى **(جعفر الصادق)** من أخبار منكره، التي من بينها "كتاب الجفر الذي يدعون أنه كتب فيه الحوادث"<sup>(94)</sup>، وفي **(منهاج السنة)** يرى **(ابن تيمية)**، أن "الكتب المنسوبة إلى علي، أو غيره من أهل البيت، في الإخبار بالمستقبلات كلها كذب، مثل كتاب **(الجفر)** و **(البطاقة)** وغير ذلك. وكذلك ما يضاف إليه من أنه كان عنده علم من النبي -صلى الله عليه وسلم- خصه به دون غيره من الصحابة"<sup>(95)</sup>، أمّا **(الذهبي)**<sup>(96)</sup> فقد أشار في معرض حديثه عن **(جعفر الصادق)**، بأن مناقبه



الجفر بين الحقيقة والخرافة...

كثيرة، "وَقَدْ كَذَّبَتْ عَلَيْهِ الرَّافِضَةُ، وَتَسَبَّتْ إِلَيْهِ أَشْيَاءَ، لَمْ يَسْمَعْ بِهَا، كَمَا كَتَبَ الْجَفْرُ، وَكُتِبَ اجْتِلَاجُ الْأَعْضَاءِ، وَتُسَخَّ مَوْضُوعَةٌ" (97)، "أَمَّا الشَّيْخُ (مُحَمَّدُ أَبُو زَهْرَةَ) (98) فَيَرْجِعُ فِكْرَةَ (الْجَفْرِ) إِلَى مَذْهَبِ (الْخَطَابِيَّةِ) (99) "وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْجَفْرِ" (100).

الخاتمة:

نخلص هنا إلى أنَّ (الجفر) الذي يدعيه الشيعة، وينسبونه زوراً إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه- زاعمين أنَّه يحمل في طياته كثيراً من العلوم والمعارف الغيبية، وأنَّ لا أحد غير آل البيت على علم ومعرفة بما يحمل من أسرار، وما يتضمَّن من معارف وعلوم بالمستقبل، وما يحمل مناف تماماً لعقائد الإسلام التي يعتقدونها آل البيت -عليهم السلام- وذلك للنص القرآني الصريح الذي جاء في سورة الجن حيث قوله تعالى (فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول) (101)، ولن يساور الباحث الشك في أنَّ آل البيت -عليهم السلام- لا يدركون المعنى المراد من هذه الآية ولا يؤمنون بها، والدليل على أنَّ علياً رضي الله عنه- الذي يزعمون بنسبة (الجفر) إليه، أنَّه أعلن صراحة أنَّ ليس لديه شيء خاص به، أو اختص به دون غيره وآل بيته، سوى القرآن الكريم، فقد جاء في (البخاري) (102) من طريق (أبي حنيفة السوائي) (103) قال قلت لعلي: هل عندكم كتاب؟ قال لا إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة، قال: قلت: فما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل، وفكك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر" (104)، وقد علَّق (ابن حجر) (105) على ذلك بقوله: وإتَّما سأله (أبو حنيفة) عن ذلك لأنَّ جماعة من الشيعة كانوا يزعمون أنَّ عند أهل البيت -لا سيما علياً- أشياء من الوحي خصَّهم النبي صلى الله عليه وسلم- بها لم يطلع غيرهم عليها" (106).

وفي حين يؤيد مدَّعي القول بـ(الجفر)، بأنَّه "وإنَّ كان يتعلَّق بالحوادث الغيبية، إلا أنَّ علم الأئمة به، لا يلزم منه أنَّ يكونوا مشاركين لله في علم الغيب، لأنَّه علم علمه الله لنبيه، والنبي أملاه على الأئمة، فإنَّه بالتالي صار علماً مودعاً عندهم، فهم يعلمون بالحوادث عن تعليم وتوقيت وتحديد من قبل الله تعالى، على حسب ما أعلم الله به نبيه" (107)، فإنَّهم يبررون ذلك بأنَّ أهل البيت "أرفع مرتبة من الإنسان العادي، لأنَّ الله أفاض عليهم من القابليات ما رفعهم بها عن ذلك المستوى، والله على كل شيء قدير" (108)، وهذا التبرير يتناقض تماماً مع النصوص الصريحة الواضحة، التي تؤكد اختصاص الله سبحانه وتعالى بالغيب، دون غيره، قال تعالى: (قُلْ لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ) (109) وأنَّ ما قال به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم- من أمور الغيب لم يكن سوى ترجمة عملية لما جاءت به نصوص القرآن الكريم من الأنبياء عن الغيب، الذي قررت إرادة الله تعالى أنَّ يعلم به البشر على نحو ما جاءت به النصوص الصريحة بشأن البعث والحساب والعقاب والثواب والجنة والنار، وما استتطق به الرسول الكريم، الذي لا ينطق عن الهوى.

وباستقراء مجمل النصوص التي أوردناها هنا، يتضح لنا أنَّ (الجفر) لم يعد كتاباً كما يزعمون من خلال ادعائهم، وإتَّما تحوَّل إلى عقيدة "تسرَّبت إلى الشيعة عن طريق اليهود وطريقتهم في حساب الجمل، وإنَّ كان أصلها يرجع إلى (الفلسفة الفيثاغورية) (110) في الأعداد، وأول من قال بها الشيعة الخطابية" (111) كما هو معروف ومتداول لدى المصنِّفات المعنية بالشيعة وفرقها. وعقيدتهم في هذا (الجفر) المزعوم ربطوها بزعمهم في (المهدي المنتظر) (112)، الذي يتوهمون عودته ليقيم العدل في البلاد بعد أن عمَّها جور، لينتصر لهم من أعدائهم، وهو ما يصرِّح به علناً، (محمد باقر المجلسي) في (بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار) إشارة إلى (المهدي)، الذي يضع السيف في العرب، وفي قریش خاصة (113)، حيث روى أنَّ المنتظر يسير في العرب بما في (الجفر الأحمر) وهو قتلهم (114)، وروى أيضاً: "ما بقي بيننا وبين العرب، إلا الذبح" (115) كما

## الجفر بين الحقيقة والخرافة...

يحذر بشكل واضح طائفته من العرب متوعداً "اتق العرب، فإنَّ لهم خبرٌ سوء، أمَّا إنَّه لم يخرج مع القائم منهم واحد" (116).

يبقى في الختام التأكيد على أنَّ هذا (الجفر) ليس مجرد كتاب - كما أشرنا - إنَّما هو مخطَّط لهدف ومشروع أكبر، يستهدف الإسلام في صميم عقيدته، وما ادعاء البعض ممَّن يروِّج لهذا (الجفر)، من اعتناقهم الإسلام، وتسبُّرهم بالالتفاف حول آل البيت رضوان الله عليهم - ليس إلا تمويهاً على عامة الناس؛ لكسف ثقتهم حتى يضمّنوا نجاح مخططهم.

### الهُوامش والإحالات:

1. جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط، الهاشمي القرشي، أبو عبد الله، الملقب بالصادق: سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية. كان من أجلاء التابعين. وله منزلة رفيعة في العلم. أخذ عنه جماعة، منهم الإمامان أبو حنيفة ومالك. ولقب بالصادق لأنَّه لم يعرف عنه الكذب قط. له أخبار مع الخلفاء من بني العباس وكان جريئاً عليهم صداعاً بالحق. له (رسائل) مجموعة في كتاب، ورد ذكرها في كشف الظنون، يقال إنَّ جابر بن حيان قام بجمعها. مولده ووفاته بالمدينة (80 - 148 هـ) (80 - 148 هـ) (الزركلي، الأعلام، ج 2 ص 126، وانظر من مراجعه في الأعلام: نزهة الجليس للموسوي ج 2 ص 35 ووفيات الأعيان ج 1 ص 105 واليعقوبي ج 3 ص 115 وصفة الصفوة ج 2 ص 94 وحلية الأولياء ج 3 ص 192).

2. أكرم بركات العاملي، حقيقة الجفر عند الشيعة (بيروت: دار الصفوة، ط1، 1995م) ص 11.

3. أكرم بركات العاملي، المرجع السابق، ص 12.

4. محمد بن طلحة بن محمد بن الحسن، كمال الدين القرشي النصيبي العدوي الشافعي، أبو سالم: وزير من الأدباء الكتاب. ولد بالعمرية (من قرى نصيبين) عام 582هـ ورحل إلى نيسابور، وولي الوزارة بدمشق، ثم تركها وتزهد. وتوفي بحلب سنة 652هـ. له (العقد الفريد للملك السعيد) و (مطالب السؤل في مناقب آل الرسول) و (الدر المنظم في السر الأعظم) و (مفتاح الفلاح في اعتقاد أهل الصلاح)، و (نفائس العناصر لمجالس الملك الناصر) (انظر: الزركلي، الأعلام، ج 6 ص 175، وانظر مراجعه في الأعلام: إعلام النبلاء ج 4 ص 437 و شذرات الذهب ج 5 ص 259 وطبقات السبكي ج 5 ص 26).

5. أكرم بركات العاملي، حقيقة الجفر عند الشيعة، ص 12.

6. أكرم بركات العاملي، المرجع السابق، ص 12.

7. أكرم بركات العاملي، المرجع السابق، ص 15.

8. انظر: الجفر الجامع والنور اللامع، بيروت: دار مكتبة التريبية، ص 6، وكذلك الجفر الجامع والنور اللامع، القاهرة: منشورات الكليات الأزهرية، ص 4.

9. لم أعتز له على ترجمة.

10. يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي، أبو يوسف: فيلسوف العرب والإسلام في عصره، وأحد أبناء الملوك من كندة. ونشأ في البصرة. وانتقل إلى بغداد، فتعلم واشتهر بالطب والفلسفة والموسيقى والهندسة والفلك. وألف وترجم وشرح كتباً كثيرة، ولقي في حياته ما يلقاه أمثاله من فلاسفة الأمم، فوشى به إلى المتوكل العباسي، فضرب وأخذت كتبه، ثم ردت إليه. وأصاب عند المأمون والمعتصم منزلة عظيمة وإكراماً. من كتبه: رسالة في التجيم، و اختيارات الأيام، و تحاويل السنين، وإلهيات أرسطو، ورسالة في الموسيقى، والأدوية المركبة، و رسم المعمور، ونشر الدكتور أبو ريذة "رسائل الكندي" في جزأين، وللشيخ مصطفى عبد الرازق:

كتاب "فيلسوف العرب والمعلم الثاني" صغير، في سيرته وسيرة الفارابي توفي نحو عام 260هـ (الزركلي، الأعلام، ج 8 ص195، وانظر مراجعه في الأعلام: طبقات الأطباء ج1 ص 206 - 214 وابن النديم، طبعة فلوجل ص255 - 261 وتاريخ حكماء الإسلام، للبيهقي ص41 وطبقات الأطباء والحكماء، لابن جلجل ص73 والمخطوطات المطبوعة ج2 ص111، 112).

11. لم أعثر له على ترجمة.

12. محمد بن علي بن محمد ابن العربي، أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي، المعروف بمحيي الدين بن عربي، الملقب بالشيخ الأكبر: فيلسوف، من أئمة المتكلمين في كل علم. ولد في مرسية (بالأندلس) عام 560 هـ وانتقل إلى إشبيلية. وقام برحلة، فزار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز. وأنكر عليه أهل الديار المصرية (شطحات) صدرت عنه، فعمل بعضهم على إراقة دمه، كما أريق دم الحلاج وأشباهه. وحبس، فسعى في خلاصه علي بن فتح البجائي (من أهل بجاية) فنجا. واستقر في دمشق، فتوفي فيها سنة 638 هـ من كتبه: (محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار) و (ديوان شعر) و (فصوص الحكم) و (مفاتيح الغيب) و (التعريفات) و (عنقاء مغرب) و (إنشاء الدوائر) و (والأنوار)، و (شجرة الكون) و (عقلة المستوفز) و (التجليات) و (الأربعون صحيفة من الأحاديث القدسية). ولطه عبد الباقي سرور (محيي الدين ابن عربي) في سيرته (الزركلي، الأعلام، ج 6 ص281، وانظر مراجعه في الأعلام: فوات الوفيات ج2 ص241 وجذوة الاقتباس ص175 ومفتاح السعادة ج1 ص187 وميزان الاعتدال ج3 ص108 وعنوان الدراية ص97 ولسان الميزان ج5 ص311 وجامع كرامات الأولياء ج1 ص118 ونفح الطيب ج1 ص404 وشذرات الذهب ج5 ص190 وآداب اللغة ج3 ص100 ودائرة المعارف الإسلامية ج1 ص231).

13. عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر ابن سبعين الاشبيلي المرسي الرقوتي، قطب الدين أبو محمد: ولد عام 613هـ من زهاد الفلاسفة، ومن القائلين بوحدة الوجود. درس العربية والآداب في الأندلس، وانتقل إلى سبتة، وحج، واشتهر أمره. وصنّف كتاب (الحروف الوضعية في الصور الفلكية) و (شرح كتاب إدريس عليه السلام الذي وضعه في علم الحرف) ؟ وكتاب (البدو) وكتاب (اللهو) و (أسرار الحكمة المشرقية) ورسالة (النصيحة) وتسمى (النورية) ونشر حديثاً في القاهرة كتاب (رسائل ابن سبعين) وغير ذلك.. وفصد بمكة، فترك الدم يجري حتى مات نزفا سنة 669 هـ 669هـ (الزركلي، الأعلام، ج 3 ص280، وانظر مراجعه في الأعلام: جلاء العينين ص51 وفوات الوفيات ج1 ص247 ونفح الطيب ج1 ص421 و شذرات الذهب ج5 ص329 والنجوم الزاهرة ج7 ص232 والبداية والنهاية ج13 ص261 ولسان الميزان ج3 ص392 وفي دائرة المعارف الإسلامية ج1 ص188).

14. الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، اعتنى به ووضع هوامشه: عبد المنعم خليل إبراهيم وكريم سيد محمد محمود (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2007م)، ج10 ص236

15. ابن منظور، لسان العرب (بيروت: دار صادر، ط بلا "د ت") ج4 ص142

16. أكرم بركات العاملي، حقيقة الجفر عند الشيعة، ص11.

17. انظر: المقري، المصباح المنير (القاهرة: دار الحديث، ط بلا، 2002م)، ص65، و ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (بيروت: دار الجيل، ط "د ت") ج1 ص466، و الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج10 ص236، ابن منظور، لسان العرب، ج4 ص142.

الجفر بين الحقيقة والخرافة...

18. المقرئ، المصباح المنير، ص66، الجوهري، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار (بيروت: دار العلم للملايين، ط3، 1984م) ج2 ص615، الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج10 ص236، لسان العرب ج3 ص142، الإفصاح ج2 ص783.
19. الجوهري، الصحاح، ج2 ص615، ابن منظور، لسان العرب، ج4 ص142، الزبيدي، تاج العروس، ج10 ص236
20. ابن منظور، لسان العرب، ج4 ص142، الزبيدي، تاج العروس، ج10 ص236.
21. أكرم بركات العاملي، حقيقة الجفر عند الشيعة (بيروت: دار الصفا، ط1، 1995م) ص29.
22. الجوهري، الصحاح، ج2 ص615، ابن منظور، لسان العرب، ج4 ص143، الزبيدي، تاج العروس، ج10 ص236، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج1 ص466، المقرئ، المصباح المنير، ص66.
23. الزبيدي، تاج العروس، ج10 ص236، ابن منظور، لسان العرب، ج4 ص143.
24. ابن منظور، لسان العرب، ج4 ص142، الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج10 ص236.
25. الشيعة أتباع الرجل وأنصاره، وجمعها شيعٌ، وأشياح جمع الجمع، وأصل الشيعة: الفرقة من الناس، ويقع على الواحد والاثنتين والجمع والمذكور والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد، وقد غلب هذا الاسم على من يتولى علماً وأهلاً بينه، حتى صار لهم اسماً خاصاً، فإذا قيل: فلان من الشيعة عرف أنه منهم، وفي مذهب الشيعة كذا أي: عندهم، وأصل ذلك من المشايعة وهي المتابعة والمطابوعة. والشيعة: قوم يرون رأي غيرهم، وتشايح القوم صاروا شيعاً، وشيخ الرجل إذا ادعى دعوى الشيعة، وشايحه شياًعاً وشيخه تابعه، ويقال: فلان يشايحه على ذلك أي: يقويه" (انظر: ابن منظور، لسان العرب: مادة: شيع).
26. فخر الدين بن محمد بن علي بن أحمد بن طريح الرمحي النجفي: من علماء الأمامية. ولد عام 1571م له "مجمع البحرين ومطلع النيرين" في تفسير غريب القرآن والحديث، و"المنتخب في جمع المراثي والخطب" و"غريب الحديث" و"جامع المقال فيما يتعلق بأحوال الحديث والرجال" و"كشف غوامض القرآن" و"جواهر المطالب في فضائل علي بن أبي طالب" و"مراثي الحسين" و"تزهة خاطر وسرور الناظر". توفي في الرماحية عام 1674م ونقل إلى النجف (الزركلي، الأعلام، ج5 ص138، وانظر مراجعته في الأعلام: روضات الجنات 510 ومجلة المجمع العلمي العربي 22: 503 والذريعة ج5 ص73، بروكلمان، الذيل ج2 ص500).
27. الإهاب الجلد قبل أنْ يدبغ، وبعضهم يقول الإهاب الجلد، والجمع أهب بضمين على القياس مثل كتاب وكتب وبفتحتين على غير قياس، قال بعضهم وليس في كلام العرب فعال يجمع على فعل بفتحتين إلا إهاب وأهب وعماد وعمد وربما أستعير الإهاب لجلد الإنسان وتأهب للسفر استعد له والأهبة العدة والجمع أهب مثل غرفة وغرف (انظر: المقرئ، المصباح المنير، القاهرة: دار الحديث، ط، 2003م، ص23).
28. أرش الجناية ديتها والجمع أروش مثل فلس وفلوس (الطريحي، مجمع البحرين، ضبطه وصححه، نضال علي، ص33) وعن الخدش، يقول الطريحي: يخدش الخدشة هي بالفتح فالسكون، تفرق اتصال في الجلد أو الظفر أو نحو ذلك وإن لم يخرج الدم، يقال خدشه يخدشه خدشاً من باب ضرب إذا جرحه في ظاهر الجلد (الطريحي، مجمع البحرين، ص357).

الجفر بين الحقيقة والخرافة...

29. الطريحي، مجمع البحرين، ضبطه وصححه، نضال علي (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط1، 2009م) ص215.
30. محمد بن الحسين بن فروخ الصفار القمي، من أبرز علماء الشيعة الإمامية من أشهر كتبه "فضل القرآن" و "الملاحم" و "بصائر الدرجات" وتوفي بقم عام (290 هـ، 903م) (انظر: الفهرست للطوسي ص143، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ج9 ص208).
31. محمد بن حسن الصفار، بصائر الدرجات في مناقب آل محمد (قم: طليعة النور، ط1/ 1384هـ) ص213.
32. المسك هو الجلد والجمع مسوك مثل فلس وفلوس (انظر: المقري، المصباح المنير، القاهرة: دار الحديث، ط، 2003م، ص340).
33. محمد بن حسن الصفار، مصدر سابق، ص212.
34. ابن بابويه القمي، الخصال، تحقيق: علي أكبر الغفاري (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط1، 1990م)، ص528، وفي لسان العرب يعرف ابن منظور الكيش بأنه "فحل الضأن في أي سن كان" (انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج6 ص338).
35. الكليني، أصول الكافي، تحقيق: محمد جواد الفقيه (بيروت: دار الأضواء، ط 1992، 1م) ج1 ص299.
36. الأديم هو الجلد المدبوغ (انظر: المقري، المصباح المنير، القاهرة: دار الحديث، ط، 2003م، ص11).
37. المنايا الأحداث والأجل والحنف والقدر والمنون الزمان، ويحمل معنى المنون على المنايا فيعبر بها عن الجمع، وهو اسم مفرد وعليه قول الله تعالى (نتربص به ريب المنون) سورة الطور، الآية 30 (انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج13 ص416).
38. البلايا جمع البلاء، الاختبار يكون بالخير والشر، يقال ابتليته بلاء حسناً وبلاء سيئاً (انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج14 ص84).
39. الرزيا جمع رزية كالرزء والمرزنه وهي المصيبة، ومارزنته - بالكسر - ما نقصته، وارتزاً انتقص (انظر: الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط، طرابلس، تونس: الدار العربية للكتاب، ط3/ 1980م، ج2 ص330).
40. المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ج21 ص163.
41. نعيم القابوسي، عده المفيد في الإرشاد من خاصة الكاظم وثقاته وأهل الورع وله رواية في الكافي (انظر: علي أكبر الترابي، الموسوعة الرجالية الميسرة، ص487).
42. أبو الحسن هنا المقصود به هو الإمام موسى بن جعفر الكاظم، سابع أئمة أهل البيت.
43. الكليني، أصول الكافي، تحقيق: محمد جواد الفقيه (بيروت: دار الأضواء، ط 1/ 1992م) ج1 ص372.
44. الباطنية هي فرقة تحكم بأن لكل ظاهر باطنًا ولكل تنزيل تأويلًا ولهم أسماء كثيرة فيسمون الباطنية والقرامطة والمزدكية والتعليمية والإسماعيلية، وقد خلط قدماء الباطنية كلامهم ببعض كلام الفلاسفة وصنفوا كتبهم على ذلك المنهاج فقالوا إنا لا نستطيع أن نشبه صفات الله بصفات الإنسان ولا أن نقول هو موجود ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز (انظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، بيروت، القاهرة: دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري، ط "دت" ج1 ص195)، وبالتالي يصبح الباطني اصطلاحاً للدلالة على فكرة أو نظرية لا تعني إلا الخاصة ولا يستوعبها إلا الخبراء (انظر: روزنتال وبودين، الموسوعة الفلسفية، ترجمة: سمير كرم،

الجفر بين الحقيقة والخرافة...

- بيروت: دار الطليعة، ط6/1987 م، ص74). ومن أسماء الله تعالى الباطن حيث جاء في سورة الحديد {هو الأول والظاهر والباطن} سورة الحديد، (الآية: 3)، وهو يعني في اللغة المحتجب عن أبصار الخلائق وأوهمهم فلا يدركه بصر ولا يحيط به وهم (انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 13 ص54).
45. مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (الرياض: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2003م) ج2 ص1037.
46. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق: الشيخ محمود درياب (بيروت: دار التعارف للمطبوعات ط1، 2001م) ج21 ص163.
47. محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي الأصفهاني إمامي ولي مشيخة الإسلام في أصفهان وترجم إلى الفارسية مجموعة كبيرة من الأحاديث وأصدر "بحار الأنوار" و"مرآة العقول" وغيرها مولده ووفاته بين عامي (1037 \_ 1111هـ) (انظر: الأعلام للزركلي ج6 ص48).
48. سورة الإسراء، (الآية: 13).
49. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق: الشيخ محمود درياب (بيروت: دار التعارف للمطبوعات ط1، 2001م) ج21 ص163.
50. الحسين بن أبي العلاء خالد الخفاف (أبو علي الأعور) عرف وأخواه علي و عبد الحميد بالرواية عن أبي عبد الله وكان الحسين أوجههم وله كتاب في الأصول (علي أكبر الترابي، الموسوعة الرجالية الميسرة، قم: مؤسسة الإمام الصادق، ط2، 1424هـ، ص148).
51. الكليني، أصول الكافي، ج1 ص298.
52. محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج11 ص255.
53. محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني من أهل كلين بالري كان شيخ الشيعة ببغداد ومن أشهر كتبه "الكافي" الذي يعد من أوثق الكتب عند الشيعة وهو أحد الكتب الأربعة الصحيحة لديهم و"الرد على القرامطة" توفي عام (329 هـ/ 941م) (انظر: الأعلام للزركلي ج7 ص145).
54. الكليني، أصول الكافي، ج1 ص298.
55. أبو عبد الله محمد بن محمد بن نعمان، من مصنفاته "أصول الفقه" و"الكلام في وجوه إعجاز القرآن" توفي عام 413 هـ (1022م) (انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ج17 ص344، الأعلام للزركلي، ج7 ص21).
56. يحيى بن القاسم أبو بصير الأسدي أبو محمد ثقة وجيه روى عن أبي جعفر وأبي عبد الله له كتاب يوم وليلة ومات سنة خمس مائة (السيد مصطفى بن الحسين الحسيني التفرشي، نقد الرجال، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط1، 1418هـ - ج5 ص80).
57. الشيخ المفيد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق: مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث (بيروت: دار المفيد، ط2، 1993م) ج2 ص186.
58. الكليني، أصول الكافي، ج1 ص299.
59. تورد أئمة أهل البيت ذكر حقيقة المصحف هذا وتتسبه إلى السيدة فاطمة ويؤمنون به ويعتبرونه من المواريث التي تركتها فاطمة لأبنائها الأئمة المعصومين (رسمية عبد الكاظم الموسوي، مصحف فاطمة بين النفي والإثبات، بيروت: مؤسسة البلاغ، ط1، 2011م، ص79) ويرى الباحث أن هذا مجرد افتراء على آل البيت وأن الادعاء بوجود هذا المصحف ليس إلا هراء شيعي لتنفيذ المخطط الشيعي داخل المجتمع الإسلامي.
60. محمد بن حسن الصفار، بصائر الدرجات في مناقب آل محمد، ص218.

الجفر بين الحقيقة والخرافة...

61. محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمي السمرقندي العياشي، أبو النصر مفسر من الشيعة ومن أشهر كتبه "الجزية" و"الخراج" والتفسير الذي عرف واشتهر باسمه وتوفي عام (320 هـ/ 932م) (انظر: معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ج 12 ص 20).
62. سورة الأعراف، (الآية : 145).
63. العياشي، تفسير العياشي، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط1، 1991م) ج 2 ص 32.
64. من الأحاديث التي أوردها الكليني في باب فيه ذِكرُ الصَّحِيفَةِ وَ الْجَفْرِ وَ الْجَامِعَةِ وَ مُصْحَفِ فَاطِمَةَ "عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَجَّالِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْحَلْبِيِّ عَنْ أَبِي بصيرٍ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقُلْتُ لَهُ جُعِلَتْ فِدَاكَ إِنِّي أَسْأَلُكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ هَاهُنَا أَحَدٌ يَسْمَعُ كَلَامِي قَالَ فَرَفَعَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ سِيراً بَيْنَهُ وَ بَيْنَ بَيْتٍ آخَرَ فَاطَّلَعَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ قَالَ فُلْتُ جُعِلَتْ فِدَاكَ إِنِّي شِيعَتُكَ يَتَحَدَّثُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَّمَ عَلِيًّا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بَاباً يُفْتَحُ لَهُ مِنْهُ أَلْفُ بَابٍ قَالَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ عَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلِيًّا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَلْفَ بَابٍ يُفْتَحُ مِنْ كُلِّ بَابٍ أَلْفُ بَابٍ قَالَ فُلْتُ هَذَا وَ اللَّهُ الْعَلْمُ قَالَ فَتَكَّتْ سَاعَةٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ قَالَ إِنَّهُ لَعَلِمَ وَ مَا هُوَ بِذَلِكَ قَالَ ثُمَّ قَالَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ وَ إِنِّي عِنْدَنَا الْجَامِعَةُ وَ مَا يُدْرِيهِمْ مَا الْجَامِعَةُ قَالَ فُلْتُ جُعِلَتْ فِدَاكَ وَ مَا الْجَامِعَةُ قَالَ صَحِيفَةٌ طَوَّلَهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً بِزِرَاعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَ إِمْلَائِهِ مِنْ فَلَاحٍ فِيهِ وَ خَطٌّ عَلِيٌّ بِبَيْتِهِ فِيهَا كُلُّ حَلَالٍ وَ حَرَامٍ وَ كُلُّ شَيْءٍ يَحْتَاجُ النَّاسَ إِلَيْهِ حَتَّى الْأَرْضُ فِي الْخَدَشِ وَ ضَرْبٌ بِيَدِهِ إِلَيَّ فَقَالَ تَأْتِنِي لِي يَا أَبَا مُحَمَّدٍ قَالَ فُلْتُ جُعِلَتْ فِدَاكَ إِنَّمَا أَنَا لَكَ فَاصْتَعِ مَا شِئْتَ قَالَ فَعَمَّرَنِي بِيَدِهِ وَ قَالَ حَتَّى أُرْسُ هَذَا كَأَنَّهُ مُغْضَبٌ قَالَ فُلْتُ هَذَا وَ اللَّهُ الْعَلْمُ قَالَ إِنَّهُ لَعَلِمَ وَ لَيْسَ بِذَلِكَ ثُمَّ سَكَتْ سَاعَةٌ ثُمَّ قَالَ وَ إِنِّي عِنْدَنَا الْجَامِعَةُ - عَلَيْهَا السَّلَامُ - قَالَ فُلْتُ وَ مَا مُصْحَفُ فَاطِمَةَ - عَلَيْهَا السَّلَامُ - قَالَ مُصْحَفٌ فِيهِ مِثْلُ فِرَاتِكُمْ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَ اللَّهُ مَا فِيهِ مِنْ فِرَاتِكُمْ حَرْفٌ وَاحِدٌ قَالَ فُلْتُ هَذَا وَ اللَّهُ الْعَلْمُ قَالَ إِنَّهُ لَعَلِمَ وَ مَا هُوَ بِذَلِكَ ثُمَّ سَكَتْ سَاعَةٌ ثُمَّ قَالَ إِنِّي عِنْدَنَا عِلْمٌ مَا كَانَ وَ عِلْمٌ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَيَّ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ قَالَ فُلْتُ جُعِلَتْ فِدَاكَ هَذَا وَ اللَّهُ هُوَ الْعَلْمُ قَالَ إِنَّهُ لَعَلِمَ وَ لَيْسَ بِذَلِكَ قَالَ فُلْتُ جُعِلَتْ فِدَاكَ فَايُ شَيْءٍ الْعَلْمُ قَالَ مَا يَحْدُثُ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِ الْأَمْرِ وَ الشَّيْءُ بَعْدَ الشَّيْءِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . (انظر: الكليني، أصول الكافي، تحقيق: محمد جواد الفقيه، بيروت: دار الأضواء، ط1/ 1992م، ج 1 ص 296 - 298). وأورد أيضاً عن "عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ إِنَّ عِنْدِي الْجَفْرَ الْأَبْيَضَ قَالَ فُلْتُ فَايُ شَيْءٍ فِيهِ قَالَ زُبُرُ دَاوُدَ وَ تَوْرَاهُ مُوسَى وَ إِنْجِيلُ عِيسَى وَ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهَا السَّلَامُ - وَ الْحَلَالُ وَ الْحَرَامُ وَ مُصْحَفُ فَاطِمَةَ مَا أَرَعُمُ أَنْ فِيهِ فِرَاتٌ وَ فِيهِ مَا يَحْتَاجُ النَّاسَ إِلَيْنَا وَ لَا نَحْتَاجُ إِلَيْ أَحَدٍ حَتَّى فِيهِ الْجِلْدَةُ وَ نَصْفُ الْجِلْدَةِ وَ رُبْعُ الْجِلْدَةِ وَ أَرْضُ الْخَدَشِ وَ عِنْدِي الْجَفْرُ الْأَحْمَرُ قَالَ فُلْتُ وَ أَيُّ شَيْءٍ فِي الْجَفْرِ الْأَحْمَرِ قَالَ السَّلَاحُ وَ ذَلِكَ إِنَّمَا يُفْتَحُ لِلدَّمِ يَفْتَحُهُ صَاحِبُ السَّيْفِ لِقَتْلِ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي يَعْفُورٍ أَصْلَحَكَ اللَّهُ أَيْعَرَفَ هَذَا بَنُو الْحَسَنِ فَقَالَ إِي وَ اللَّهُ كَمَا يَعْرِفُونَ اللَّيْلَ أَنَّهُ لَيْلٌ وَ النَّهَارَ أَنَّهُ نَهَارٌ وَ لِكُلِّهُمْ يَحْمِلُهُمُ الْحَسَدُ وَ طَلَبُ الدُّنْيَا عَلَى الْجُحُودِ وَ الْإِنْتِكَارِ وَ لَوْ طَلَبُوا الْحَقَّ بِالْحَقِّ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ."(انظر: الكليني، أصول الكافي، تحقيق: محمد جواد الفقيه، بيروت:

الجفر بين الحقيقة والخرافة...

- دار الأضواء، ط1/ 1992م، ج1 298). وأورد أيضاً عن "علي بن إبراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس عن ذكره عن سليمان بن خالد قال قال أبو عبد الله إن في الجفر الذي يدكرونه لما يسوؤهم لأنهم لا يقولون الحق والحق فيه فليخرجوا قضاباً عليّ وقرأئته إن كانوا صادقين وسلوهم عن الخالات والعمات وليخرجوا مصحف فاطمة -عليها السلام- فإن فيه وصية فاطمة -عليها السلام- ومعها سلاح رسول الله صلى الله عليه وسلم- إن الله عزّ وجلّ يقول فأتوا بكتاب من قبل هذا أو آتاه من علم إن كنتم صادقين . (انظر: الكليني، أصول الكافي، تحقيق: محمد جواد الفقيه، بيروت: دار الأضواء، ط1/ 1992م، ج1 ص299).
- وأورد كذلك عن "محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن ابن محبوب عن ابن رباب عن أبي عبيدة قال سأل أبا عبد الله بعض أصحابنا عن الجفر فقال هو جلد ثور مملوء علماً قال له الجامعة قال تلك صحيفة طولها سبعون ذراعاً في عرض الأديم مثل فخذ القالج فيها كل ما يحتاج الناس إليه وليس من قضية إلا وهي فيها حتى رأس الخنث قال فمصحف فاطمة -عليها السلام- قال فسكت طويلاً ثم قال إنكم لتنحون عما تريدون وعما لا تريدون إن فاطمة مكنت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم- خمسة وسبعين يوماً وكان دخلها حزن شديد على أبيها وكان جبرئيل -عليه السلام- يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها ويطيب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه ويخبرها بما يكون بعدها في تربتها وكان علي رضي الله عنه- يكتب ذلك فهذا مصحف فاطمة -عليها السلام- (الكليني، أصول الكافي، تحقيق: محمد جواد الفقيه (بيروت: دار الأضواء، ط1/ 1992م، ج1 ص299).
65. ذهب آية الله العظمى أبو الفضل البرقي في معرض رده على باب "ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة" في كتابه "كسر الصنم" حيث قال " إن كان الرواة لم ينتبهوا إلى ذلك لشدة جهلهم مع أن رواية هذا الباب إما مجهول والحال كعبد الله الوضاع أو الشاك في الدين كأحمد بن محمد البرقي أو كعلي بن الحكم راوي سلسلة الحمار وكأحمد بن أبي بشر الواقفي وأمثالهم وأما متونها، فالحديث رقم "2" يقول: جاء ملك إلى فاطمة رضي الله عنها ليؤنسها وحدثها مع أن الشيخ مفيد ادعى الإجماع بأنه لا يوحى لأحد بعد خاتم الأنبياء وقال علي في نهج البلاغة في خطبة رقم "131" (ختم به الوحي) ومعنى خاتم النبوة يعني قطعت الأخبار من السماء، وذكر هذا الباطل في الحديث الخامس أيضاً " (البرقي، كسر الصنم، ترجمة: عبد الرحيم ملا زاده البلوشي، عمان: دار البيارق، ط2، 2001م، ص185).
66. القاسم بن يحيى بن الحسن بن راشد، مولى المنصور، روى عن جده، ضعيف (انظر: الحلبي؛ ترتيب خلاصة الأقوال في معرفة علم الرجال، تحقيق / قسم الحديث في مجمع البحوث الإسلامية، مشهد: مجمع البحوث الإسلامية، ط1/ 1433هـ، ص341).
67. الحسن بن راشد مولى لني العباس، كوفي من رجال الصادق، قال الطوسي له كتاب وروى عنه في كامل الزيارات وتفسير القمي، ضعيف في روايته (انظر: علي أكبر الترابي، الموسوعة الرجالية الميسرة، أشرف: جعفر السبحاني، قم: مؤسسة الإمام الصادق، ط2/ 1424هـ، ص129).
68. أي الإمام موسى بن جعفر الصادق السابع الأئمة الاثني عشر ولد بالابواء عام 745م وأقدمه الخليفة المهدي العباسي إلى بغداد ثم رده إلى المدينة وبلغ الرشيد أن الناس يبائعون للكاظم فيها فلما حج حمله معه إلى البصرة وحبسه عند واليها عيسى بن جعفر ثم نقله إلى بغداد فمات بها سجيناً عام 799م (انظر: الأعلام للزركلي، ج7 ص321).
69. محمد بن حسن الصفار، في مناقب آل محمد، ص661.



70. زياد بن عيسى (أبو عبيدة الحداء) كوفي مولى ثقة روى عن أبي جعفر وأبي عبد الله ومات في حياته (علي أكبر الترابي، الموسوعة الرجالية الميسرة، قم : مؤسسة الإمام الصادق، ط2، 1424هـ، ص201)
71. الكليني، أصول الكافي، ج1 ص299.
72. الكليني، أصول الكافي، ج1 ص297.
73. ثابت بن دينار الثمالي الأزدي بالولاء، أبو حمزة: من رجال الحديث الثقات عند الامامية. وروى عنه بعض أهل السنة. وهو من أهل الكوفة. قتل ثلاثة من أولاده مع زيد بن علي بن الحسين. وكان الرضا (علي بن موسى) يقول: هو لقمان زمانه. وكان أبوه مولى للمهلب بن أبي صفرة. له كتاب في (تفسير القرآن) وكتاب (الزهد) وكتاب (النوادر) توفي سنة 767م (الزركلي، الأعلام، ج2 ص97، وانظر مراجعه في العلام : الرسالة المستترفة ص 116 وتذكرة الحفاظ ج 3 ص 81 وفهرسة ابن خليفة ص193).
74. الصفار، بصائر الدرجات في مناقب آل محمد، ص195.
75. محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق، من أبرز علماء الحديث، ومن مؤلفاته " معاني الأخبار " و" من لا يحضره الفقيه "، توفي عام 381 هـ (991 م ) (انظر: الفهرست للنديم، ص277، والفهرست للطوسي ص156).
76. ابن بابويه القمي، الخصال، تحقيق: علي أكبر الغفاري (بيروت : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط1، 1990م) ص528.
77. أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الاربلي، أبو العباس: المؤرخ الحجة، والأدب الماهر، صاحب (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) وهو أشهر كتب التراجم ومن أحسنها ضبطاً وإحكاماً. ولد في إربل وانتقل إلى مصر فأقام فيها مدة، وتولى نيابة قضائها. وسافر إلى دمشق، فولاه الملك الظاهر قضاء الشام. وعزل بعد عشر سنين. فعاد إلى مصر فأقام سبع سنين، ورد إلى قضاء الشام، ثم عزل عنه بعد مدة. وولي التدريس في كثير من مدارس دمشق، وتوفي فيها فدفن في سفح قاسيون. يتصل نسبه بالبرامكة (انظر: الزركلي، الأعلام، ج1 ص220).
78. محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي البربري، أبو عبد الله، الملقب بالمهدي، ويقال له مهدي الموحدين: صاحب دعوة السلطان عبد المؤمن بن علي ملك المغرب، وواضع أسس الدولة المؤمنية الكومية. وهو من قبيلة (هرغة) من (المصامدة) من قبائل جبل السوس، بالمغرب الأقصى. وتنسب هرغة إلى الحسن بن علي، ولد ونشأ في قبيلته. عام 1092م ورحل إلى المشرق، طالبا للعلم سنة 500هـ فانتهى إلى العراق. وحج وأقام بمكة زمناً. واشتهر بالورع والشدة في النهي عما يخالف الشرع، فتعصب عليه جماعة بمكة، فخرج منها إلى مصر، فطرده حكومتها، فعاد إلى المغرب. ونزل بالمهدية، فكسر ما رآه فيها من آلات اللهو وأواني الخمر. وانتقل إلى بجاية، فأخرج منها إلى إحدى قرأها واسمها (ملالة) فلقى بها عبد المؤمن بن علي القيسي (الكومي) وكان شاباً نبيلاً فطنا، فاتفق معه على الدعوة إليه. واتخذ أنصاراً رحل بهم إلى مراکش، و عبد المؤمن معه، فحضر مجلس علي بن يوسف بن تاشفين (وكان ملكاً حليماً) فأنكر عليه ابن تومرت بدعا ومنكراته. ثم خرج من حضرته، ونزل بموضع حصين من جبال (تينملل) بكسر التاء وفتح الميم وتشديد اللام الأولى وفتحها. فجعل يعظ سكانه حتى أقبلوا عليه. واشتهر فيهم بالصلاح، فحرضهم على عصيان (ابن تاشفين) فقتلوا جنوداً له، وتحصنوا. وقوي بهم أمر ابن تومرت، وتلقب بالمهدي القائم بأمر الله،

الجفر بين الحقيقة والخرافة...

- وعاجلته الوفاة في جبل تينملل قيل أن يفتح مراکش. عام 1130م ولكنه قرر القواعد ومهداها، فكانت الفتوحات بعد ذلك على يد صاحبه (عبد المؤمن)، له كتاب (كنز العلوم) و(أعز ما يطلب)، وأفرد شئ من سيرته في كتاب (أخبار المهدي ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين) وللدكتور سعد زغلول بالإسكندرية، كتاب (محمد بن تومرت، وحركة التجديد في المغرب والأندلس) (الزركلي؛ الأعلام، ج 6 ص 228، وانظر مراجعه في الأعلام : وفيات الأعيان ج 2 ص 37 والاستقصا ج 1 ص 199 وأخبار المهدي ابن تومرت، طبعة باريس سنة 1928م والأيس المطرب القرطاس ص 119 وابن خلدون ج 6 ص 225 وجذوة الاقتباس ص 128 والحلل الموشية ص 75 ورقم الحلل لابن الخطيب ص 56 والكامل لابن الأثير ج 10 ص 201 - 205 ومعجم البلدان ج 2 ص 445 والوافي بالوفيات ج 3 ص 323 - 328 وربنيه باسيه. R Basset في دائرة المعارف الإسلامية ج 1 ص 106 - 109 وأداب اللغة ج 3 ص 99).
79. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار الثقافة، ط بلا "دت") ج 3 ص 238.
80. محسن (أو محمد محسن) بن علي بن محمد رضا الطهراني: عالم بترجم المصنفين، مع كثير من التحقيق والتحري. من أهل طهران. ولد بها عام 1293هـ وانتقل إلى العراق (1313 هـ فنقحه في النجف وأجيز بالاجتهاد قبل سن الأربعين. وشارك في قضية الانقلاب الدستوري في إيران. وانتقل إلى سامراء (1329 - 1355) وعاد إلى النجف لمتابعة العمل في تأليف كتبه، إلى أن توفي. وقد أصبح شيخ محدثي الشيعة على الإطلاق، وصدر عنه أكثر من ألفي إجازة في رواية الحديث. من كتبه المطبوعة "الذريعة إلى تصانيف الشيعة" تسعة عشر جزء منه، و "نقباء البشر في القرن الرابع عشر" وهو واحد من 11 كتابا في التراجم، وفيات المئة الرابعة الهجرية فما يليها إلى الآن. افرد كل كتاب منه بقرن وباسم، وسمى الجميع "طبقات أعلام الشيعة" صدر منه ستة مجلدات. ومن كتبه المخطوطة "ضياء المفازات في طرق مشايخ الإجازات" و "مشجرة في الأنساب" قلت: وفي كلمة أذاعها الشيخ محمد حسن الطالقاني بالنجف أن صاحب الترجمة كان قد وقف مكتبته المحتوية على أكثر من خمسة آلاف كتاب، وجعل لها قسما من داره وتوفي سنة 1389 هـ (1389هـ) (الزركلي؛ الأعلام، ج 4؟؟).
81. دولة بنو عبدالمؤمن حكمت في شمال إفريقية (المغرب، الجزائر، تونس، ليبيا) و الأندلس سنوات 1130-1269 م.
82. أغار بزرك؛ الذريعة إلى تصانيف الشيعة (قم: مؤسسة اسماعيليان، ط1، 1408هـ) ج 5 ص 119.
83. بطرس بن بولس بن عبد الله البستاني: صاحب (دائرة المعارف) العربية. عالم واسع الاطلاع. ولد ونشأ في (الدبية) من قرى لبنان، عام 1819م وتعلم بها وبيروت آداب العربية، واللغات السريانية والإيطالية واللاتينية ثم العبرية واليونانية، وتعين أستاذا في مدرسة (عبيبة) سنة 1860 م، فمكث سنتين، وعين ترجمانا للفتصلية الأميركية في بيروت. واستعان به المرسلون الأميركيون على إدارة الأعمال في مطبعتهم، وعلى ترجمة التوراة، من العبرية إلى العربية. واشتغل بالتأليف فنصنف كتاب (محيط المحيط) في اللغة، مجلدان، واختصره وسمى المختصر (قطر المحيط) وله (كشف الحجاب في علم الحساب) وكتاب (مسك الدفاتر) و (تاريخ نابليون) و (المصباح)، و (مفتاح المصباح). وأنشأ مستعينا بابنه الأكبر (سليم) أربع صحف، هي (نفيير سورية) و (والجنان) و (الجنة) و (الجنينة) وأعظم آثاره (دائرة المعارف) لم يتم، أكمل منه

الجفر بين الحقيقة والخرافة...

84. سليم الأول ولد في أول شعبان سنة 900هـ وتوفي في 4 شوال سنة 926هـ وفترة حكمه (918-926هـ).
85. بطرس البستاني؛ دائرة المعارف (بيروت: دار المعرفة، ط "ب د" ج 6 ص 488).
86. عبد الله بن مسلم بن قتيبة، مؤرخ وأديب، ومن أشهر مؤلفاته "المعارف"، توفي عام 276 هـ (889 م) (انظر: وفيات الأعيان، ج 3 ص 42، تذكرة الحفاظ، ج 2 ص 623، الأعلام للزركلي، ج 4 ص 137).
87. ابن قتيبة الدينوري، تأويل مختلف الحديث (بيروت: دار الكتاب العربي، ط بلا "دت") ص 48-49.
88. أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس ابن أبي أصيبعة: الطبيب المؤرخ، صاحب (عيون الأنبياء في طبقات الأطباء) في مجلدين. كان مقامه في دمشق، وفيها صنف كتابه سنة 643هـ ومولده بها عام 1200م زار مصر سنة 634 وأقام بها (طبيياً) مدة سنة. ومن كتبه أيضاً (التجاريب والفوائد) و (حكايات الأطباء في علاجات الأدوية) و (معالم الأمم). وتوفي بصرخد، في سورية عام 1270م (الزركلي؛ الأعلام، ج 1 ص 197، وانظر مراجعه في الأعلام: النجوم الزاهرة ج 7 ص 229 وخطط مبارك ج 12 ص 141 و البداية والنهاية ج 13 ص 257 وأدب اللغة ج 3 ص 157 ودائرة المعارف الإسلامية ج 1 ص 69 وأدباء الأطباء ج 1 ص 52).
89. الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك: الفيلسوف الرئيس، أصله من بلخ، ومولده في إحدى قرى بخارى. عام 980م ونشأ وتعلم في بخارى، وطاف البلاد، وناظر العلماء، واتسعت شهرته، وتقلد الوزارة في همذان، وثار عليه عسكرها ونهبوا بيته، فتوارى. ثم صار إلى أصفهان، وصنف بها أكثر كتبه. وعاد في أواخر أيامه إلى همذان، فمرض في الطريق، ومات بها. أشهر كتبه (القانون) و (الشفاء) و (السياسة) و (أسرار الحكمة المشرقية) و (الإشارات) و (أسرار الصلاة) ولجميل صليبا (ابن سينا) ولجورج شحاتة قنواتي كتاب (مؤلفات ابن سينا)، ولعباس محمود العقاد (الشيخ الرئيس ابن سينا) ولبولس مسعد (ابن سينا الفيلسوف) ولحمودة عزابة (ابن سينا بين الدين والفلسفة) (الزركلي، الأعلام، ج 2 ص 242، وانظر من مراجعه في الأعلام: وفيات الأعيان ج 1 ص 152 وتاريخ حكماء الإسلام ص 27 - 72 وابن العبري ص 325 وخزانة البغدادي ج 4 ص 466 ودائرة المعارف الإسلامية ج 1 ص 203 وأدب اللغة ج 2 ص 336 ولسان الميزان ج 2 ص 291 والذريعة ج 2 ص 48 و 96 ثم ج 7 ص 184).
90. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنبياء في طبقات الأطباء (بيروت: دار الثقافة، ط3، 1981م) ج 3 ص 24.
91. أحمد بن عبد الحلیم الحراني، فقيه، ولد في حران، ومن أشهر كتبه "الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان"، توفي عام 728هـ (1328م) (انظر: فوات الوفيات، ج 1 ص 35، الدرر الكامنة، ج 1 ص 144، البداية والنهاية، ج 14 ص 135، الأعلام للزركلي، ج 1 ص 144).

الجفر بين الحقيقة والخرافة...

92. يقال إن كلمة القرامطة مشتقة من "قرمط الرجل في مشيته أي قارب بين خطواته" (انظر: نسيب علاء الدين، القرامطة، بيروت: دار الهادي، ط 1 / 2003م، ص34) وفي كتابه "تاريخ الشعوب الإسلامية" يورد "كارل بروكلمان" أن معنى قرمط هو المعلم السري (انظر: كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، بيروت: دار العلم للملايين، ط 7 / 1967م، ص229) وعرف القرامطة بفلسفتهم المادية التي تسربت إليها تعاليم الملاحدة والمتأمرين من الفرس إلى جانب تأثرهم بمبادئ الخوارج الكلامية والسياسية ومذاهب الدهرية كما عرف عنهم تعلقهم بمذاهب الملحدين من مثل مزدك وزرادشت، وكان أساس معتقدهم ترك العبادات والمحظورات وإقامة مجتمع يقوم على الإباحية والشيوع في النساء والمال (انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص397).
93. ابن تيمية، مجموعة الفتاوى، تحقيق: عامر الجزار وأنور الباز (الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 1998م) ج1 ص392.
94. ابن تيمية، مجموعة الفتاوى، ج2 ص311.
95. ابن تيمية، منهاج السنة النبوية النبوية (بيروت: دار الكتب العلمية، ط بلا "دت") ج4 ص178.
96. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤرخ، ولد بدمشق ومن أشهر مؤلفاته "ميزان الاعتدال"، توفي عام 748هـ (1348م) (انظر: فوات الوفيات، ج2 ص183، شذرات الذهب، ج6 ص153، الأعلام للزركلي، ج5 ص326)
97. الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: سعد يوسف محمود أبو عزيز وآخرون (القاهرة: المكتبة التوفيقية، ط بلا "دت") ج9 ص58-59.
98. محمد بن أحمد أبو زهرة ولده بمدينة المحلة الكبرى عام 1898م وتربى بالجامع الأحمدي وتعلم بمدرسة القضاء الشرعي (1916 - 1925) وتولى تدريس العلوم الشرعية والعربية ثلاث سنوات، وعلم في المدارس الثانوية سنتين ونصفا. وبدأ اتجاهه إلى البحث العلمي في كلية أصول الدين (1933) وعين أستاذا محاضرا للدراسات العليا في الجامعة (1935) وعضوا للمجلس الأعلى للبحوث العلمية. وكان وكيلا لكلية الحقوق بجامعة القاهرة، ووكيلا لمعهد الدراسات الإسلامية وأصدر من تأليفه أكثر من 40 كتابا، منها المطبوعات الآتية: (الخطابة) و (تاريخ الجدل في الإسلام) و (أصول الفقه) و (الملكية ونظرية العقد في الشريعة الإسلامية) و (مذكرات في الوقف) و (الأحوال الشخصية) و (أحكام التركات والموارث) و (خلاصة أحكام الأحوال الشخصية والوصايا والموارث) و (الوحدة الإسلامية) و (تنظيم الإسلام للمجتمع) و (الحرية والعقوبة في الشريعة الإسلامية) و (محاضرات في مقارنات الأديان) و (محاضرات في المجتمع الإسلامي) وكانت وفاته بالقاهرة سنة 1974م (الزركلي، الأعلام، ج 6 ص25، وانظر مراجعه في الأعلام: تقويم دار العلوم ص266 وجريدة الأهرام 13 ابريل 1974 م وحضارة الإسلام: حزيران 1974م ص 39 - 51).
99. أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي.. فرقة من غلاة الشيعة، انتسب أبو الخطاب إلى أبي عبد الله جعفر الصادق ولما وقف الصادق على غلوه في الباطل في حقه تبرأ منه وأمر أصحابه بالبراءة منه، فلما اعتزل عنه ادعى الإمامة لنفسه (انظر: إسماعيل العربي؛ معجم الفرق والمذاهب الإسلامية، الدار البيضاء: دار الأفق الجديدة، ط1، 1993م، ص157).
100. محمد أبو زهرة؛ الإمام الصادق، حياته، وعصره \_ رأؤه وفقهه (القاهرة: دت)، ص125.

101. سورة الجن، (الآيتان : 26 - 27).
102. محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة البخاري عالم بالحديث ولد عام (194هـ/810م) ببخارى ونشأ يتيمًا وقام برحلات عديدة في طلب العلم فزار خراسان والعراق ومصر والشام وجمع ستمائة ألف حديث اختار منها في صحيحه ما وثق برواته وهو ما عرف بصحيح البخاري وتوفي بسمرقند عام (256 هـ/870م) (انظر : تذكرة الحفاظ للذهبي ج2 ص 122 الأعلام للزركلي ج6 ص34).
103. وهب بن عبد الله أبو حبيفة السوائي، يقال له وهب الخير، كان من صفار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم نزل الكوفة، وابتنى بها داراً وتوفي سنة أربع وسبعين للهجرة (انظر: المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: عمر سيد شوكت، بيروت: دار الكاب العلمية، ط1، 2004م، ج10 ص597).
104. ابن حجر العسقلاني ؛ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، رتب كتبه وأبوابه / محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة : دار الريان للتراث، ط1، 1987م) ج1 ص246، وأنظر أطرافه في (1870\_ 3047\_ 3172\_ 3179\_ 6755\_ 6903\_ 6915\_ 7300).
105. أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر: أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة. (1316 - 1394هـ) ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماح الشيوخ، وولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل. أما تصانيفه فكثيرة جليلة، منها (الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة) و (لسان الميزان) و (تقريب التهذيب) و (الإصابة في تمييز أسماء الصحابة) و (تهذيب التهذيب) و (تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة) و (تعريف أهل التقديس) و (بلوغ المرام من أدلة الأحكام) و (نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر) و (تصوير المنتبه في تحرير المشتبه) و (رفع الإصر عن قضاة مصر) و (إنباء الغمر بأبناء العمر) و (فتح الباري في شرح صحيح البخاري) و (التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير) و (بلوغ المرام من أدلة الأحكام) (الزركلي ؛ الأعلام، ج1 ص178، وانظر مراجعه في الأعلام : التبر المسبوك ص230 الضوء اللامع ج2 ص36 والبدر الطالع ج1 ص87 وخطط مبارك ج6 ص37 وآداب اللغة ج3 ص165).
106. ابن حجر العسقلاني ؛ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج1 ص247.
107. محمد ماضي أبو العزائم ؛ الجفر (القاهرة : دار الكتاب الصوفي، ط5، 2012م) ص18.
108. محمد ماضي أبو العزائم ؛ المرجع السابق، ص19.
109. سورة النمل، (الآية: 65).
110. تنسب الفلسفة الفيثاغورية إلى فيثاغوس الذي يرى أن الأشياء أعداد والعدد ليس رقماً ولكنه شكل والكون كله أعداد وأنغام والنغم توافق الأضداد والحياة مستمرة طالما أن التناغم يحكمها (انظر للمزيد : عبد المنهم الحنفي ؛ موسوعة الفلسفة والفلاسفة، القاهرة : مكتبة مديبولي، ط2، 1999م، ج2 ص1054).
111. مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج2 ص1037.
112. عالج الباحثون مسألة المهدي المنتظر بمختلف الرؤى ومن هؤلاء " محمد حسن آل ياسين، المهدي المنتظر ( بيروت : المكتب العالمي ط3 / 1398هـ)، أبو طالب التبريزي، المهدي ( قم : المطبعة العلمية ط "د ت"، عبد الرزاق الحصان، المهدي والمهدوية ( بغداد : مطبعة المعاني ط1 / 1377 هـ)، نجم الدين العسكري، المهدي الموعود ( طهران : مؤسسة الإمام

الجفر بين الحقيقة والخرافة...

المهدي ط1 / 1402 هـ)، محمد صادق الخرسان، الأربعون في الإمام المهدي (النجف، ط1 / 1419 هـ)، مهدي حمد الفتلاوي، المهدي المنتظر من ولد الإمام الحسن أم الإمام الحسين (بيروت: مركز وارث الأنبياء، ط1 / 2000م)، أحمد أمين، المهدي والمهدوية (القاهرة: دار المعارف، ط1 / 1951م)، محمد جواد مغنية، المهدي المنتظر والعقل (بيروت: دار الجواد، ط10 / 1983م)، إبراهيم المشوفي، المهدي المنتظر (الزرقاء: مكتبة المنار ط1983/م)، محمد صالح البحراني، حصائل الفكر في أحوال الإمام المنتظر (بيروت: مؤسسة الوفاء، ط2 / 1983م)، يوسف بن يحيى المقدسي، عقد الدرر في أخبار المنتظر، تحقيق - عبد الفتاح الحلو (بيروت: عالم الفكر ط1 / 1399 هـ)، محمد أمين زين الدين، من حديث المهدي والمهدوية (بيروت: مطبعة النعمان، ط / 1413 هـ)، سعد محمد حسن، المهدي في الإسلام (القاهرة: مطبعة الأزهر ط1 / 1953 م).

113. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج21 ص517.
114. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج21 ص490.
115. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج21 ص515.
116. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج21 ص504.

هوامش البحث:

- ✓ ابن أبي أصيبعة
1. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص: 454-457
- ✓ ابن بابويه القمي
2. الخصال
- تحقيق: علي أكبر الغفاري.
- بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط1، 1990م) ص528
- ✓ ابن تيمية
3. مجموع الفتاوى، ج4 ص78-79
4. منهاج السنة النبوية النبوية
- بيروت: دار الكتب العلمية، ط بلا "دت"
- ✓ ابن حجر العسقلاني
5. فتح الباري بشرح صحيح البخاري
- رتب كتبه وأبوابه: محمد فؤاد عبد الباقي.
- القاهرة: دار الريان للتراث، ط1، 1987م
- ✓ ابن خلكان
6. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان
- تحقيق: إحسان عباس
- بيروت: دار الثقافة، ط بلا "دت"
- ✓ ابن قتيبة الدينوري
7. تأويل مختلف الحديث

- بيروت: دار الكتاب العربي، ط بلا "دت" ✓  
ابن منظور
- 8. لسان العرب
- بيروت: دار صادر، ط بلا "دت" ✓  
أغار بزرك
- 9. الذريعة إلى تصانيف الشيعة
- قم: مؤسسة اسماعيليان، ط 1، 1408 هـ ✓  
أكرم بركات العاملي
- 10. حقيقة: الجفر عند الشيعة
- بيروت: دار الصفاة، ط 1، 1995 م ✓  
بطرس البستاني
- 11. دائرة المعارف
- بيروت: دار المعرفة، ط "ب د" ✓  
الجوهري
- 12. الصحاح
- تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار
- بيروت: دار العلم للملايين، ط 3، 1984 م ✓  
الذهبي
- 13. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام
- تحقيق: سعد يوسف محمود أبو عزيز وآخرون
- القاهرة: المكتبة التوفيقية، ط بلا "دت" ✓  
الزبيدي
- 14. تاج العروس من جواهر القاموس
- اعتنى به ووضع هوامشه: عبد المنعم خليل إبراهيم وكريم سيد محمد محمود
- بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 2007 م ✓  
الشيخ المفيد
- 15. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد
- تحقيق: مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث
- بيروت: دار المفيد، ط 2، 1993 م ✓  
الطريحي
- 16. مجمع البحرين
- ضبطه وصححه: نضال علي
- بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط 1، 2009 م ✓  
العايشي
- 17. تفسير العياشي
- تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي
- بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط 1، 1991 م ✓

- ✓ الكليني  
18. أصول الكافي
- تحقيق: محمد جواد الفقيه
  - بيروت: دار الأضواء، ط 1، 1992م
- ✓ مانع بن حماد الجهني
19. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة
- الرياض: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 2003م
- ✓ محمد باقر المجلسي
20. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام
- بيروت: مؤسسة الوفاء، ط 1، 1414هـ
- ✓ محمد بن حسن الصفار
21. بصائر الدرجات في مناقب آل محمد
- قم: طليعة النور، ط 1، 1384هـ
- ✓ محمد أبو زهرة
22. الإمام الصادق، حياته، وعصره



### تبادل الصيغ ودلالاتها في القرآن الكريم من خلال السياق.

د. البشير ميلود امحمد الجهمي  
جامعة الزاوية- كلية التربية ناصر

#### تمهيد:

لا شك أن الناظر في معاجم اللغة ومصطلحاتها، يجد تعريفاً واضحاً وضوح الشمس في كبد السماء؛ لفهم معاني كلمة: (تغيّر، ودلالة، وسياق) على النحو الآتي:  
التَّعْيِيرُ لغة: تَغْيِيرُ الشَّيْءِ عَنْ حَالِهِ: تَحْوِيلٌ، وَغَيْرُهُ: جَعَلَهُ غَيْرَ مَا كَانَ، وَغَيْرُهُ: حَوْلُهُ وَبَدَلُهُ وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، [سورة الأنفال: 53]<sup>(1)</sup>.

واصطلاحاً: انتقال الشيء من حالة إلى أخرى، ويُقال التَّعْيِيرُ على وجهين:  
أحدهما: تغيير صورة الشيء دون ذاته، يقال: غيّر داره؛ إذا بناها غير الذي كان.  
والآخر: تبديله بغيره، نحو: غيّرت غلامي، ودابتي أبدلتها بغيرهما<sup>(2)</sup>.  
أمّا الدلالة لغة، فهي: كل شيء يقوم بدور العلامة، أو الرمز له دلالة أو معناه، سواء كانت العلامة أم الرمز كلمات وجمل، أو كانت أشياء غير لغوية، كإشارات المرور، وإيماءة الرأس، ورسم فتاة مُغمضة تمسك ميزاناً، والتصفيق باليدين، وغيرها.

أو هي: الإرشاد، وما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه، وتُجمع على: دلالات، ودلالات.  
واصطلاحاً: علم مستقل يُعد فرعاً من فروع اللغة، يهتم بدراسة دلالات الرموز اللغوية وأنظمتها، ويُسمى علم الدلالة، أو علم المعنى.  
وقيل: هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول: هو الدال، والثاني: هو المدلول<sup>(3)</sup>.

وسياق الكلام: تتابعه، وأسلوبه الذي يجري عليه، وأصل السياق: سواق، فُلِّيتَ (واو ياء)؛ لكسرة السين<sup>(4)</sup>.

**الهدف من البحث:** هو تعريف -القارئ- بتبادل الصيغ ودلالاتها في القرآن الكريم من خلال سياق تبادل المواقع من المفرد إلى المثنى، والجمع، أو العكس؛ وذلك من خلال دراستها في المباحث التالية:

#### المبحث الأول: إطلاق صيغة المفرد وإرادة الجمع.

**تمهيد:** لماذا يرى القارئ في هذا المبحث- تغيّر دلالة الكلمة من خلال تبادل المواقع بين المفرد النكرة، والمعرف بالألف واللام، والمضاف إلى المعرفة، وتداخل الضمان، مع الجمع، بشكل يؤدي إلى انزاح واضح في دلالتها من معنى إلى آخر؟

وللإجابة عن ذلك تعالوا نُفصّل القول على النحو الآتي:  
قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْقَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُوَفِّي مِنْ قَبْلِ وَلِيَتَّبِعُوا أَجْلاً مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، [سورة غافر: 67].  
في هذه الآية الكريمة سؤال معروف، وهو أن يُقال: ما وجه الأفراد في قوله تعالى: (يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً)، مع أن المعنى نخركم أطفالاً؟

للعلماء عن هذا السؤال أجوبة منها:

- 1- أنه صفة للجمع؛ لأنه مصدر، مثل: عدل، وزور، وغير ذلك.
- 2- أن كل واحد منكم يخرج طفلاً.

تبادل الصيغ ودلالاتها في القرآن الكريم من خلال السياق

ولا يخفى عدم اتجاه هذين الجوابين؛ لذلك قيل: الذي يظهر من استقراء اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم، هو أنّ المفرد إذا كان اسم جنس، يكثر إطلاقه مراداً به الجمع؛ ولكي تتجلي الصورة أكثر، نوضّح ذلك في ثلاث مسائل:

- 1- التذكير. 2- التعريف: بالألف واللام. 3- الإضافة.
- المسألة الأولى- دلالة المفرد النكرة على الجمع:** من خلال النصوص القرآنية، والأبيات الشعرية، نسوق إليك-عزيزي القارئ- بعض الكلمات المفردة النكرة التي تظهر فيها دلالة المفرد النكرة على الجمع، بشكل واضح لا يخفى على أحد، وهي كما يلي:
- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَتَهْرٍ﴾ [سورة القمر: 54]؛ أي: وأنهار، بدليل قوله تعالى: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾، [من سورة محمد: 47].
  - وقوله عزّ وجل: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾؛ [من سورة الفرقان: 74] أي: أئمة.
  - وقوله تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾؛ [سورة النساء: 4] أي: أنفساً.
  - وقوله تعالى: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾، [سورة المؤمنون: 67] أي: سامرين.
  - وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُوْتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَوْ تَفَرَّقُوا بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَتَحَنُّنٌ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾، [من سورة البقرة: 136] أي: بينهم.
  - وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾، [سورة النساء: 69] أي: رفقاء.
  - وقوله تعالى: ﴿وَلَنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرْتُمْ﴾، [من سورة المائدة: 6] أي: جنبين أو أجنبياً.
  - وقوله تعالى: ﴿إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾؛ أي: مظاهرون.
- ومن أمثلة ذلك مع التذكير في كلام العرب، قول عقيل بن علفة المري: (5).

كَانَ بَنُو فِرَارَةَ شَرًّا قَوْمٌ \*\*\* وَكُنْتُ لَهُمْ كَثْرَ بَنِي الْأَخِينَا.

يعني: شرّ أعمام

وقول لَعْنَتَبْ بِنِ أُمِّ صَاحِبِ: (6)

مَا بَالُ قَوْمِ صَدِيقٍ ثُمَّ لَيْسَ لَهُمْ \*\*\* دِينٌ، وَلَيْسَ لَهُمْ عَقْلٌ إِذَا انْتَمِنُوا؟<sup>7</sup>

يعني: ما بال قوم أصدقاء.

وقول جرير:

نَصَبْنَا الْهَوَىٰ ثُمَّ ارْتَمَيْنَا قُلُوبَنَا ... بِأَعْيُنِ أَعْدَائِ، وَهَنَّ صَدِيقٌ.<sup>8</sup>

يعني: صديقات (9)

**المسألة الثانية- دلالة المفرد المعرّف بالألف واللام على الجمع:**

1. قوله تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾، [من سورة آل عمران: 119] يعني: وتؤمنون بالكُتُبِ كلها، بدليل قوله تعالى: ﴿أَمَنْ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ﴾، [من سورة البقرة: 285].
2. وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾، [سورة الفرقان: 75] أي: العُرف؛ بدليل قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَبْنِيَّةٌ تُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِعَادَ﴾، [سورة الزمر: 20] وقوله: ﴿وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ﴾، [من سورة سبأ: 37].

تبادل الصيغ ودلالاتها في القرآن الكريم من خلال السياق

3. وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾، [سورة الفجر: 27] يعني: جاء ربُّك والملائكة...؛ بدليل قوله: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴿﴾، [سورة البقرة: 210].
4. وقوله تعالى: ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾، [سورة القمر: 45] أي: الأدبار؛ بدليل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُلُوهُمْ التَّأْتِبَارَ﴾، [سورة الأنفال: 15].
5. وقوله تعالى: ﴿أَوِ الطِّغَالِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾، [من سورة النور: 31] أي: الأطفال، ونحو هذا كثير في القرآن العظيم، وفي كلام العرب، وهو في التعت بالمصدر مطَّرد، كما تقدم مراراً.  
ومن أمثلة ذلك في الشعر، قول زهير:

مَتَى يَشْتَجِرُ قَوْمٌ تَقُلُّ سِرْوَاتِهِمْ \*\*\* هُمْ بَيْنَنَا فَهُمْ رَضَى وَهُمْ عَدَلٌ.

بمعنى: عدول مرضيون.

المسألة الثالثة- دلالة المفرد المضاف على الجمع:

1. قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾، [من سورة النور: 61] أي: أصدقائكم.
2. وقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، [من سورة النور: 36] أي: أو امره.
3. وقوله عز وجل: ﴿وَإِنْ تُعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، [سورة النحل: 18] أي: نعم الله.
- 4- وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُون﴾، [سورة الحجر: 68] أي: أضيافي، ونظير ذلك من كلام العرب، قول علقمة بن عبدة التميمي:  
بها جيفُ الحسرى فأماً عظامها \* فيبيضُ وأماً جلدُها فصليبُ. (10)، (11)  
أي: وأماً جلودها، فصلبيةة.  
ومما جاء في الشعر على لفظ المفرد المضاف، يُراد به الجميع:

كُلُوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمْ تَعَفُّوا \*\*\* فَإِنْ زَمَاتِكُمْ زَمَنْ حَمِيصُ. 12

أي: بطونكم زمن حميص.

وهذا البيت والذي قبله أنشدتهما سيبويه (13) في كتابه مستشهداً بهما قائلاً:

"وليس بمستكثر في كلامهم، أن يكون اللفظ واحداً، والمعنى جميع، حتى قال بعضهم في الشعر من ذلك ما لا يُستعمل في الكلام". (14)، (15)

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره، فإن للمفرد دلالات أخرى ذكرها العلماء، نذكر منها قول أبي عبيدة: (16) "إنَّ العرب تَضَع لَفْظَ الْوَاحِدِ فِي مَعْنَى الْجَمِيعِ، عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ".  
وكذلك ما ذكرته بعض المعاجم من دلالات، تقول: إنَّه صالح لأن يُراد به جميع الجنس، وأن يُراد به بعضه إلى الواحد، وقد يُطلق المفرد ويُراد به ما يقابل المثني، والمجموع، أعني: به الواحد، وقد يطلق ويُراد به ما يقابل المضاف، يُقال: هذا مفرد؛ أي: ليس بمضاف، وقد يُطلق على ما يقابل المركب، وهو أن لا يدخل جزؤه على جزء معناه، بأن لم يكن للفظ أو للمعنى جزء كهمزة الاستفهام، وقد يُطلق على ما يقابل المركب والجملة.  
أمَّا عن الفرق بين المفرد، والواحد، فإنَّ المفرد: قد يكون حقيقياً، وقد يكون اعتبارياً، وأتته قد يقع على جميع الأجناس، بينما الواحد: لا يقع إلا على الواحد الحقيقي. (17)

تبادل الصيغ ودلالاتها في القرآن الكريم من خلال السياق

**والخلاصة:** بعد القراءة والاستقراء لأمثلة هذا المبحث، تبيّن لنا-بوضوح- أنه لا خلاف بين أهل اللسان العربي في وقوع إطلاق المفرد وإرادة الجمع، وهو كثير في القرآن العظيم، وفي كلام العرب، غير أنني ألاحظ في هذا المبحث أن سبب تعدد دلالة المفرد، قد يرجع لكونه: اسم جنس، أو لتأثر الكلمة بضمير...، أو بالإضافة، أو عن طريق تبادل المواقع، وتداخل الضمائر في سياق تركيب الجملة.

وقد يكون سبب هذا التحوّل دافعه: الضرورة الشعرية، أو المجاز، أو تأثر الكلمة بموقعها في الجملة...

لذلك نرى تغيّراً في دلالة الكلمة، فمنها: ما يُطلق ويُراد به الجمع، أو ما يُقابل المثنى والمجموع، ومنها ما يُشار به إلى دلالة الكلمة على معانٍ حقيقية، أو مجازية...

**المبحث الثاني- إطلاق صيغة الجمع وإرادة التثنية:**

**تمهيد:** يدور الحديث في هذا المبحث حول توضيح دلالة المعنى الحقيقي، لصحة وقوع الجمع موقع التثنية في اللغة؛ وذلك من خلال فهم إجابة العلماء عن الأسئلة التالية:

ما دلالة الجمع في قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾، [من سورة المائدة: 38]، ولِمَا لَمْ يَقُلْ: يديهما؟ وهل أقل الجمع اثنين؟

من سنن العرب إذا ذكرت اثنين أن تجريهما مجرى الجمع، كما تقول عند ذكر العَمْرَيْنِ، والحسنين-كرم الله وجوهما، ولم تقل: وجهيهما، وكما قال عزّ ذكره: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾؟ [من سورة التحريم: 4]؛ ولم يقل: قلبكما، فكذلك قال عزّ وجلّ: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾؟ ولم يقل: يديهما؟

لأنّ قوله: (أَيْدِيَهُمَا): جمع واقع موقع التثنية؛ لأمن اللبس، لأنّه معلوم أنّه يُقطع من كلّ سارق يمينه<sup>(18)</sup> ولهذا فقد اشتَرَطَ التَّحْوِيلُ فِي وَفُوعِ الْجَمْعِ مَوْعِ التَّثْنِيَةِ شَرْطًا، من جملتها:

أن يكون ذلك الجزء المضاف مُفْرَدًا من صاحبه نحو: (قُلُوبِكُمَا) و(رُؤُوسِ الْكَيْبَتَيْنِ) لأمن الإلباس، بخلاف (العَيْنَيْنِ، وَالْيَدَيْنِ، وَالرِّجْلَيْنِ) إذ لو قلت: (فَقَاتَ أَعْيُنَهُمَا) وأنت تعني: عينيها، و(كَتَفَتَ أَيْدِيَهُمَا)، وأنت تعني: يديها، لم يَجْزُ لِلْبَسِ، فلو لا أنّ الدليل دلّ على أنّ المراد: اليَدَانِ الْيَمِينِيَّانِ لَمَّا سَاعَ ذَلِكَ، وهذا مُسْتَفِيزٌ فِي لِسَانِهِمْ؛ أعني: وَفُوعِ الْجَمْعِ مَوْعِ التَّثْنِيَةِ بِشَرْطِهِ.

ولتوضيح ذلك نذكر المسألة بشكل مفصل، فنقول: كلُّ جزأين أضيفا إلى كليهما لفظاً أو تقديرًا، وكانا مُفْرَدَيْنِ من صاحبيهما جاز فيهما ثلاثة أوجه:

الأحسن: الجمع، ويليه الإفراد عند بعضهم، ويليه التثنية، وقال بعضهم: الأَحْسَنُ الْجَمْعُ، ثم التثنية، ثم الإفراد، نحو: قَطَعْتَ رُءُوسَ الْكَيْبَتَيْنِ، ورَأَسِيَ الْكَيْبَتَيْنِ ورَأَسَ الْكَيْبَتَيْنِ.<sup>(19)</sup>

وأما عن إجابة السؤال الثاني الفائل: وهل أقل الجمع اثنين؟

فقد استدل الجميع بأنّ أقلّ الجمع: اثنان؛ لأنّ التثنية جمع شيء إلى مثله، فالمعنى يقتضي أنّها جمع؛ بدليل قوله صلى الله عليه وسلّم-: "اثنان فما فوقهما جماعة"<sup>(20)</sup>

وممّا استدل به على أنّ أقلّ الجمع: اثنان، قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمَّه السُّدُسُ﴾، [من سورة النساء: 11] أي: إذا كان له أخوان، كان لأمّه السدس.<sup>(21)</sup>

وحكي عن سيبويه أنّه قال: سألت الخليل<sup>(22)</sup> عن قوله: ما أحسن وجوههما؟ فقال: الاثنان جماعة، وقد قال الشاعر خُطَامُ المَجَاشِعِيِّ، فَجَمَعَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ:

وَمَهْمَهَيْنِ فَذَفَيْنِ مَرَّتَيْنِ \*\*\* (ظَهَرَا هُمَا مِثْلُ ظَهْوَرِ الثُّرَيْسَيْنِ).<sup>(23)</sup>

وعلى هذا جاءت التثنية بلفظ الجمع، وليس ذلك إلا نظراً للجمع على الحقيقة، إذ كان ذلك جمع واحد إلى واحد، فعلى هذا ساع أنّ تكون التثنية جمعا.

تبادل الصيغ ودلالاتها في القرآن الكريم من خلال السياق

**الخلاصة:** لو تأمل القارئ كيف جمع النص القرآني كلمة: اليد، فقال: (أيدي)، ثم أدخل التثنية على الجمع (هما)، فصارت: (أيديهما)؛ لفهم أن الجمع: جاء باعتبار أفراد نوع السارق، والتثنية؛ لتشمل الذكر والأنثى.

**المبحث الثالث: دلالة صيغة الجمع على المفرد.**

**تمهيد:** الناظر في هذا المبحث يلاحظ أن لفظ المفرد أتى بصيغة الجمع، غير أن دلالاته جاءت على معنى: المفرد؛ ولتوضيح ذلك تعالوا نفقّس عن دلالة لفظ الجمع على المفرد، في النصوص الآتية: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، [سورة آل عمران: 137] أي: أن الناس جمع، وكان الذي قال: رجلاً واحداً، فلفظ الناس لفظه لفظ: الجميع الذي له واحد منه، ووقع معنى هذا الجميع على الواحد؛ لأن الذي قال: رجلاً واحداً، وليس جميع الناس؛ فهو من باب: إطلاق الجمع وإرادة المفرد. (24) ومما يقوى أن المراد بالناس في قوله: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾، واحد: قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾؛ فوقعت الإشارة بقوله: (ذلكم) إلى واحد بعينه، ولو كان المعنى به: جمعاً؛ لقال: (إنما أولئك الشيطان)، فهذه دلالة ظاهرة في اللفظ، وقيل: بل وضع فيه (الذين) موضع (الذي). (25)

وكفوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾، [من سورة آل عمران: 39] فالمنادى: سيدنا جبريل - عليه الصلاة والسلام - وحده، وليس جميع الملائكة. (26) وهذا لا يمتنع في اللغة كما تقول: ركب فلان السفن؛ وإنما ركب سفينة واحدة، أي: ركب هذا الجنس؛ لأن العرب تفعل ذلك، فيقول الرجل: فعلنا كذا، وفعلنا...، وإنما يعني: نفسه؛ وجاء القرآن ليؤكد ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾، [سورة القمر: 49]؛ والله هو الخالق. (27)

**وخلاصة القول:** إن دلالة لفظ (الجمع) في (الناس، والملائكة، والشياطين، وخلقناه...) جاءت بمعنى: المفرد، المستعمل لقصد الإبهام؛ أو لأنه لا يمكن أن يُحمل على معناه الحرفي؛ إذ حال المخاطبين لا تحتمل أن يُجمع لهم كل الناس، والملائكة...، على سبيل الحقيقة، وإنما بعضهم؛ والدليل على ذلك: القرينة العقلية.

**المبحث الرابع- إطلاق صيغة المثني على الجمع:**

**تمهيد:** يتمحور الحديث في هذا البحث، حول إطلاق لفظ (التثنية) المراد به: الجمع، يظهر ذلك جلياً من خلال تتبع دلالة الكلمات الواردة في النصوص القرآنية الآتية: جاء لفظ (كرتين) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾، [سورة الملك: 67]- بصيغة المثني، وهو يدل على الجمع بدليل قوله تعالى: ﴿يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾؛ أي: مزدجراً وهو كليل، وهذان الوصفان لا يأتيان بنظرتين، ولا ثلاث؛ وإنما المعنى: كرات، وهذا كقولهم: "لبَّيك، وسعديك، وحنائبك، ودوايك، وهذا ديك" (28) فهم لا يريدون بهذه التثنية تشفيح الواحد؛ وإنما يريدون التأكيد؛ أي: إجابة لك بعد أخرى.

والتثنية تُفيد: التأكيد؛ لقرينة كما يُفیده أصلها وهو العطف؛ لقرينة؛ كقول الشاعر:

لَوْ عَدَّ قَبْرٌ وَقَبْرٌ كَانَ أَكْرَمَهُمْ \*\*\* بَيْنًا وَأَبْعَدَهُمْ عَن مَنَزْلِ الزَّامِ. (29)

أي: قبور كثيرة ليتم المدح. (30)

ومما يؤكد أن حقيقة النظر أربع مرات:

الأولى- في قوله تعالى: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ﴾، [من سورة الملك: 3].

والثانية- في قوله تعالى: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ﴾، [من سورة الملك: 3].

والثالثة، والرابعة - في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾، [من سورة الملك: 67].

تبادل الصيغ ودلالاتها في القرآن الكريم من خلال السياق

**والخلاصة:** أنّ النّاطر في نصوص القرآن الكريم وما نطق به العرب، يستنتج أنّ المراد بالثّنية هو: الجمع؛ لأنّ البصر لا يحسر إلاّ بالجمع: كرّات؛ فلو أمره أن ينظر في السّماء كرّتين فقط، فنظر مرتين، لم يرجع البصر خاسئاً وهو حسير؛ لأنّ البصر لا يحسر من مرتين، إنّما يحسر من مرات. **المبحث الخامس- إطلاق صيغة المفرد على المثنى:**

**تمهيد:** من المعروف أنّه يجب مطابقة المعطوف للمعطوف عليه، ولا يراع فيه حالة المعطوف وحده؛ نحو: جاء السائل والغريب، فعاونتهما، وفازت فاطمة وسعاد وعائشة، فهنّأتهم... وهكذا؛ غير أنّي ألحظ ألفاظاً- في نصوص القرآن الكريم، والحديث الشريف، وكلام العرب تأتي على صيغة المفرد، ويُرَادُ بها المثنى، نحو: قوله تعالى: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنَّ كَثُورًا مُّؤْمِنِينَ﴾، [سورة التوبة: 62].

ما دلالة كلمة (يرضوه) في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ في سورة التوبة؟ إنّما أفرد الضمير، وإن كان الأصل في العطف بـ(الواو) المطابقة، لوجوه منها:  
1. أنّ رضا الله ورسوله شيء واحد؛ بدليل قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾، [سورة النساء: 80].

2. أنّ الضمير عائذ على المثنى بلفظ الواحد بتأويل المذكور؛ كقول رؤية: (31)  
**فِيهَا خُطُوطٌ مِنْ سَوَادٍ وَبَلَقٌ (32) \*\*\* كَأَنَّهُ فِي الْجِلْدِ تَوَلُّعُ الْبَهَقِ (33)**

أي: كأن ذلك المذكور. قيل له كيف تقول: كأنه؟ وهلأ قلت: كأنها، فيعود على (الخطوط) أو كأنهما، فيعود على (السواد والبلق)؟ فقال أردت: كان ذلك، ثمّ استشهد بقول لبيد: (34)  
**إِن لِّلْخَيْرِ وَلِلشَّرِّ مَدَى \*\*\* وَكَلَا ذَلِكَ وَجْهٌ وَقِيلُ.**

قيل أراد: وكلا ذينك، فأطلق المفرد وأراد به: المثنى. فكلمة: (ذا) تدل في حقيقتها اللغوية على المفرد المذكور، ولكنّها تدل بمعناها هنا على (المثنى)؛ لأنّها إشارة إلى ما ذكر من (الخير والشر)، وهذه الدلالة مجازية؛ لأنّه على غير المفرد (35) وإنّما أفرد الضمير؛ لئلا يجمع بين اسم الله ورسوله في ضمير واحد، كما جاء في الحديث: "يُسْ الخَطِيبُ أَنْتَ، قُلْ: وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ" (36) قال الزّمخشري: (37) قد يقصدون ذكر الشّيء، فيذكرون قبله ما هو سبب منه، ثم يعطفونه عليه مضافاً إلى ضميره، وليس لهم قصد إلى الأول، كقولهم: سرّتي زيد، وحسن حاله، والمراد: حسن ماله، وفائدة هذا الدلالة: أنّها تدل على قوّة الاختصاص، بذكر المعنى: (ورسول الله أحق أن يرضوه) ويدل عليه ما تقدّم من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، [من سورة التوبة: 82]؛ ولهذا وحّد الضمير، ولم يُن. (38)

ومما ورد في كلام العرب قولهم: رأيت عمراً وزيداً، وسلّمْتُ عليه؛ أي: عليهما؛ ولهذا نرى في نصوص القرآن كثيراً من الألفاظ التي جاءت على السياق نفسه، نحو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقِدُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، [من سورة التوبة: 34]. وتقدير الكلام: ولا ينفقونها في سبيل الله، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾، [سورة الجمعة: 11]؛ وتقديره: انفضوا إليهما. (39)

**والخلاصة:** لقد ظهر لي من خلال دراسة النصوص السابقة؛ أنّ العرب إذا ذكرت شيئين يشتركان في المعنى، تكتفي بإعادة الضمير على أحدهما؛ استغناءً بذكره عن ذكر الآخر؛ لمعرفة السامع بأشتر اكهما في المعنى.

تبادل الصيغ ودلالاتها في القرآن الكريم من خلال السياق

**المبحث السادس- إطلاق صيغة المثني على المفرد:**  
**تمهيد:** أحاول التعرف في هذا المبحث- على فهم العلة أو الدافع من وراء أمر الواحد بلفظ أمر الاثنين؛ وذلك من خلال الإجابة عن السؤال التالي:  
 لماذا أتى بضمير المثني والمراد به الأفراد؟ وهل الأمر واحد، أو اثنان في قوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [سورة ق: 24].  
 اختلف أهل العلم في ذلك إلى فريقين:  
 فريق قال: الأمر واحد؛ وهو خطاب لمالك خازن النار، والمعنى: ألق في جهنم...؛ وإنما أتى بضمير الاثنين دلالة على تكرار الفعل؛ كأنه قيل: ألق ألق.  
 وآخر قال: أراد (أَلْقَيْنِ) بالنون الخفيفة، فأبدلها ألفاً إجراءً للوصول مجرى الوقف... وقيل: العرب تُخاطب الواحد مخاطبة الاثنين تأكيداً؛ كقوله:  
**فَإِنْ تَرَجَّرَ نِي يَا ابْنَ عَقَانَ أَرْجُرُ\*\*\* وَإِنْ تَدَعَانِي أَحْمُ عَرْضًا مُنْعَاً.** (40)  
 وقال آخر:

**فَقُلْتُ لِصَاحِبِي: لَا تَحْبِسَانَا\*\*\* يَنْزِعُ أَصُولِهِ وَاجْدُرَّ شَيْحَا.** (41)

وتقول العرب: ويحك أرجلاه، وأرجراها، وخذاها، للواحد.  
 قال الفرّاء (42). وأصل ذلك أن أدنى أعوان الرجل في إبله، وغنمه، وسفره، اثنان، فجرى كلام الواحد على صاحبه، ومنه قولهم في الشعر: خليلي... (43)  
**والخلاصة:** أن الألف من (ألقيا، وترجرائني، تدعاني...، ضمير: اثنين، وضع موضع ضمير الواحد؛ وإنما فعلت العرب ذلك؛ لأنّ الرجل يكون أدنى أعوانه اثنين: راعي إبله، وراعي غنمه، فجرى خطاب الاثنين على الواحد؛ لمرور ألسنتهم عليه.  
 وقيل: إن الألف فيهما بدل من النون الخفيفة في الوصل، أجري له مجرى الوقف، والأصل: قولن، وإن ترجرن، وإن تدعن.  
 أمّا إلحاق الألف، فهو أمارة دالة على أن المراد: تكرار اللفظ لا غير.

**الخاتمة:** بعد هذه الدراسة التي سعيت من خلالها إلى توضيح مشكلة البحث المتمثلة في كيفية معرفة أسباب تغيير دلالة الكلمة في سياق تبادل المواقع، وتداخل الضمائر؛ وذلك من خلال الشرح والتوضيح لكل سبب في متن هذا البحث على حده، عن طريق وضع مبحث خاص به، يختلف عنوانه عن الآخر، ثم الوصول إلى نتيجة مفادها: أن سبب تغيير دلالة الكلمة من معنى إلى آخر، دافعة تبادل المواقع، وتداخل الضمائر، من المفرد إلى المثني والجمع، أو العكس.  
 عليه: أوصي طلاب العلم بقراءة، واستقراء مباحث هذا البحث، قراءة متأنية، واعية؛ حتى يمكن استيعاب وفهم الأسباب التي أدت إلى تغيير دلالة الكلمة في تركيب الجملة العربية؛ لكي تذهب الحيرة من الأذهان، ويُعرف السبب، فيزول العجب.  
 كما أنصح بمواصلة مزيد من الدراسة، والبحث في هذا السياق؛ بقصد التقصي، والتوسع في إثراء المكتبة العربية، عن طريق توضيح الأسباب، والدوافع الكامنة وراء تغيير دلالة الكلمة عند انتقالها من مكان إلى آخر في كلام العرب.

**الهوامش**

1. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، لاط، لاب، لات، مادة: (غ ي ر).

تبادل الصيغ ودلالاتها في القرآن الكريم من خلال السياق

2. محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، تح: د. محمد رضوان الداية، ط1، دار الفكر المعاصر، - بيروت-دمشق، 1410، 191/1 .
3. أحمد بن محمد الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تح: المكتبة العلمية، لاط، بيروت، سنة الوفاة 770هـ، لات، (دل ل).
4. علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405، ط1، تح: إبراهيم الأبياري، 139/1.
5. علفة بن عقيل بن علفة المري، وهو من وجوه بني مرة بن ذبيان... أبو القاسم علي بن عبد الله الشافعي، تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها، وتسمية من حلها من الأماثل، تح: محب الدين أبي سعيد عمر العمري، لاط، دار الفكر - بيروت - 1995، 128/41.
6. قعنب بن ضمرة، بن غطفان: من شعراء العصر الأموي، كان في أيام الوليد بن عبد الملك، وله هجاء فيه، توفي عام: 714م. خير الدين بن محمود، الزركلي، الأعلام، توفي، 1396هـ، دار العلم للملايين، ط15 - أيار/مايو 2002 م، لاط، 202/5.
7. البيت من البسيط، وقائله: قعنب بن ضمرة، من بني بن غطفان: من شعراء العصر الأموي. المعجم المفصل في شواهد العربية، د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ - 1996م، لاط، 118/8.
8. البيت من: الطويل، وقائله: جرير. طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تح: محمود محمد شاكر، لاط، دار المدني - جدة، لات، 411/2.
9. محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تح: مكتب البحوث والدراسات، لاط، دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت - 1415هـ - 1995م، 271/4.
10. الصليبي: الودك، محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، لاط، لاط، لات، مادة: (و. د. ك).
11. من الطويل، وقائله: علقمة بن عتبة التميمي. عبد القادر بن عمر البغدادي، خزنة الأدب، توفي: 1093هـ، تح: محمد نبيل طريف، وإميل بديع يعقوب، لاط، دار الكتاب، 1998، بيروت، 209/1.
12. البيت: من الوافر. البغدادي، خزنة الأدب، 5225/7.
13. هو: عمرو بن عثمان المعروف بـ(سيبويه)، من أهل البصرة، صحب الخليل بن أحمد، فبرع في النحو، وجرت بينه وبين الكسائي وأصحابه مناظرة...، وذكر بعض أهل العلم انه مات في سنة ثمانين ومائة، وقيل: مات سيبويه سنة أربع وتسعين ومائة. أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، لاط، دار الكتب العلمية - بيروت، 198-195/12.
14. سيبويه، الكتاب، 209/1، 210.
15. الشنقيطي، أضواء البيان، 33/2، 20/1، الزمخشري، الكشاف، 262/3، و ابن عطية، الوجيز، 413/4.
16. أبو عبيدة معمر بن المثنى، القرن، مجاز القرآن، تح: محمد فواد سزكين، لاط، مكتبة الخانجي، القاهرة، لات، 9/1، 44/2.
17. أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش، محمد المصري، لاط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ - 1998م، 829/1.
18. عبد الملك بن محمد الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، تح: عبد الرزاق المهدي، ط1، إحياء التراث العربي، 1422هـ - 2002م، 226/1.



تبادل الصيغ ودلالاتها في القرآن الكريم من خلال السياق

19. أبو حفص عمر ابن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ، علي محمد معوض، ط 1، دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان - 1419 هـ -1998م، 322/7.
20. نص الحديث: حدثنا هشام بن عمار ثنا الربيع بن بدر، عن أبيه عن جده: عمرو بن جراد عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم-: "اثنان فما فوقهما جماعة". محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، سنن ابن ماجه، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، لا ط، دار الفكر - بيروت، لا ت، 312/1.
21. أضواء البيان، الشنقيطي، 220/8.
22. الخليل بن أحمد الفراهيدي، له المصنفات المشهورة منها كتاب: العين، وهو أول من اخترع العروض والقوافي...، مات: سنة سبعين ومئة، أو خمس وسبعين. أبو العباس شمس الدين أحمد أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، لا:ط، دار الثقافة، لبنان، لا ت، 244/2.
23. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 73/5، وابن عادل، اللباب في علوم القرآن، 391/3-322/7.
24. أبو عبيدة، مجاز القرآن، 10/1.
25. الزركشي، البرهان، 20/2.
26. أبو البقاء، الكليات، 1078/1.
27. أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد، معاني القرآن، (المتوفى: 338هـ)، تح: محمد علي الصابوني، ط:1، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، 1409، 390/1.
28. بمعنى: هَذَا بَعْدَ هَذَا، أي: قَطْعًا بَعْدَ قَطْعٍ، ومنه قول الشاعر:  
فَبَاكِرَ مَحْتَمًا عَلَيْهِ سِيَاغَهُ \*\*\* هَذَا نِيكَ حَتَّى أَنْقَدَ الدَّنَّ أَجْمَعًا.  
وَقَوْلُ اللَّئِاسِ إِذَا أُرِدْتَ أَنْ يَكْفُوا عَنِ الشَّيْءِ: هَذَا نِيكَ وَهَجَايِكَ، عَلَى تَقْدِيرِ الثَّانِيَيْنِ. الزبيدي، تاج العروس، وابن منظور، لسان العرب، مادة: (ه ذ ذ).
29. البحر من: البسيط، وقائله: لم نعتز عليه، أبو حيان: محمد بن يوسف، البحر المحيط، تح: عادل أحمد الشيخ وآخرون، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، 1422هـ-2001م، 293/8.
30. ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، 230 /19، و الزركشي، البرهان، 8/3.
31. البيت من: الرجز، وقائله: هو أبو محمد روبة بن العجاج، المتوفى: سنة 145 هـ 762 م، وهو أشهر الرجزة، لم يطبع ديوانه. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، تح: محمد عوامة، ط/1، دار الرشيد - سوريا - 1406 - 1986، 111/1.
32. هو: سواد وبياض، وكذا البلقة بالضم، يُقال: فرس أبلق، وفرس بقاء، البلق والبُلُقَة: مصدر. الرازي، مختار الصحاح، مادة: (ب.ل.ق).
33. هو: بياض دون البرص؛ أي: بِيَاضٌ يَعْتَرِي الْجَسَدَ يَخْلُفُ لَوْنَهُ لَيْسَ مِنَ الْبَرَصِ، أو هو: داء يذهب بلون الجلد فتظهر فيه بقع بيض. ابن منظور، لسان العرب، مادة: (ب ه ق).
34. البيت من: الرمل، وقائله: ليس (ليبيد) كما ورد في البحر المحيط، وإنما قائله هو: عبد الله بن الزبيري، أحد شعراء قریش، وكان يهجو المسلمين ثم أسلم. عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911 هـ)، شرح شواهد المغني، تح: أحمد ظافر كوجان، لاط، لجنة التراث العربي، 1386 هـ - 1966 م، لاب، 549/2.
35. أبوحيان، البحر المحيط، 604 /1، وابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، 113/10.

تبادل الصيغ ودلالاتها في القرآن الكريم من خلال السياق

- 36.** نص الحديث: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن عبد الله بن نمير، أن رجلاً خطبَ عندَ النبي صلى الله عليه وسلم- فقال: "من يُطع اللهَ ورَسُولَهُ، فَقَدْ رَشِدَ، وَمَنْ يَعْصِيهِمَا، فَقَدْ غَوَى"، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يُنْسَ الْخَطِيبُ أَنْتَ، قُلْ: وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ"، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، لاط، لات، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 594/2.
- 37.** هو: محمود بن عمر الزمخشري، ومن مؤلفاته: الكشاف في التفسير، وأساس البلاغة، وغير ذلك، مات: ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة. أحمد بن محمد، طبقات المفسرين، تح: سليمان بن صالح الخزي، ط1، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، 1418هـ-1997م، 172/1.
- 38.** الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 127/3.
- 39.** الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، 226/1.
- 40.** البحر من الطويل: وقائله: سويد بن كراع العكلي. محمد بن غالب ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1413هـ-1993م، 163/5.
- 41.** البيت من: الوافر، وقائله: مضر بن ربيعي، إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد الشعر العربي، 70/2.
- 42.** هو: أبو زكريا: يحيى بن زياد المعروف بـ(الفرّاء)، الكوفي، له مصنفات كثيرة منها: معاني القرآن... ولد في الكوفة، وتوفي سنة: سبع ومائتين، ابن خلكان، وفيات الأعيان و أبناء الأبناء الزمان، 176/6-181.
- 43.** أبو زكريا: يحيى بن زياد الفرّاء، المتوفى: 207هـ، تح: أحمد يوسف النجاتي، وآخرون، ط1، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، لات، 78/3.

## الاشتقاق اللغوي عند القدماء والمحدثين

أ. طارق البهلول سالم سلامة  
كلية التربية - جامعة الزاوية

## المقدمة:

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين محمد \_ صلى الله عليه وعلى آله وسلم وآله الطيبين الطاهرين.

موضوع الاشتقاق في العربية من الموضوعات المهمة، التي نالت اهتمام المختصين والباحثين من علماء اللغة منذ القدم؛ لأنه من وسائل نمو اللغة وزيادة ثروتها اللفظية، واستحداث مصطلحات جديدة تواكب التقدم الحضاري في كل زمن وحين، فقد دعت الحاجة إليه مع بدايات التأليف في النحو وعلوم العربية عموماً، لما له من ارتباط بأصول الكلمات ومعانيها وأحوال تركيبها، كما يؤدي لمعرفة معاني الأسماء التي تداولتها ألسن العرب وكانوا يجهلون أصولها، لذلك نال هذا الموضوع اهتمام علماء اللغة القدامى والمحدثين، فنجد في معظم كتب اللغة العربية، وقد جاء ذلك الاهتمام لمكانة هذه اللغة، فهي التي نزل بها القرآن الكريم، على نبينا محمد \_ صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهي لغة الحديث الشريف، ولغة الشعر والنثر والثقافة أيضاً.

فالاشتقاق خصيصة من خصائص العربية وإن خفي أمره عن اللغويين المتقدمين؛ لحدائثة العهد بالدراسات اللغوية وعدم استقرار المصطلحات الدالة على الكثير من الظواهر اللغوية الملحوظة، وقد خلص اللغويون ممن عنوا بالاشتقاق على اختلاف الاتجاهات إلى أن العرب تشق بعض الكلام من بعض، لذلك جعل الاشتقاق أحد دروب تصرفهم في كلامهم، وعلى هذا سائر كلام العرب "كما يقول ابن فارس، لكن ابن فارس"<sup>(1)</sup>، يسارع إلى رأي فيجعل الاشتقاق مبنياً على التوقيف، وهذه وجهة نظر سائدة، فقد جعل معظم اللغويين الاشتقاق، أي: (توليد الألفاظ) سماعياً، فلا يجوز في نظر هؤلاء اشتقاق أفعال أو أسماء غير التي سمعت عن العرب".

لكن بعض اللغويين الذين أجازوا الاشتقاق من الأصول العربية وغيرها، وحجتها وانطلاقهم من أن ما قيس على كلام العرب يعد من كلام العرب، فقد صرح بذلك ابن جني في كتابه الخصائص<sup>(2)</sup>، ومع أن الدين صرحوا بهذا الموقف قلة من اللغويين القدامى، فإن وقائع الأمور كانت تدل على أن الاشتقاق جار دون توقف ملاحظ أو غير ملاحظ، وقد ثبت أن الكثير ممن أنكروا التطور الدلالي والتوليد الاشتقافي استعملوا الكثير من الكلمات الجديدة صيغة أو دلالة.

ومن خلال الاطلاع على بعض المصادر والمراجع العلمية ذات العلاقة بعلم الاشتقاق، رأيت أن أنظر في آراء علماء اللغة القدامى والمحدثين، وأقارن بينها بالحجة والدليل، وأرجح ما هو أقرب للواقع اللغوي في حياتنا العملية والعلمية.

واعتمدت في كتابة هذا البحث على مصادر عدة قديمة وحديثة، فالقديمة كالخصائص لابن جني (ت392هـ) ولسان العرب لابن منظور (ت711هـ) والمزهر للسيوطي (ت911هـ) وغيرها من المصادر، ومن المصادر الحديثة، دراسات في فقه اللغة لصبحي الصالح، وفصول في فقه اللغة لرمضان عبد التواب وغيرها من المصادر الأخرى.

قسمت البحث على ثلاثة مباحث، فجعلت المبحث الأول عن معنى الاشتقاق في اللغة والإصطلاح، وجاء المبحث الثاني عن أقسام الاشتقاق، والمبحث الثالث فصلت القول فيه عن آراء العلماء العرب القدامى والمحدثين في الاشتقاق، وتحدثت أيضاً عن فوائد الاشتقاق، وثمرات البحث بخاتمة تبلورت فيها نتائج برزت خلال إعداد هذه الدراسة.

## الاشتقاق اللغوي عند القدماء والمحدثين

أرجوا أن أكون قد وفقت في بحثي هذا سائلا الباري عز وجل أن يوفق الجميع للخير والفضيلة وتعم الفائدة.

### التمهيد

#### المبحث الأول - الاشتقاق في اللغة والاصطلاح:

**الاشتقاق لغة:** الاشتقاق من الشق، وهو أخذ الشيء، وهو مصدر الفعل ( اشْتَقَّ ) المزيد بالألف والناء، أو هو أخذ شفه، أي: نصفه يقال: شق الأرض بالمحراث، أي: قلبها وجعل فيها صدعا، وشق الفجر، طلع، واشتقاق الكلام الأخذ فيه يمينا وشمالا، واشتق الحرف من الحرف أخذه منه، ويقال شق الكلام إذا أخرجه أحسن مخرج<sup>(3)</sup>.

والشق: الموضع المشقوق، وهو مصدر الفعل (شَقَّ) المضعف.

وقيل: "أخذ شق الشيء أو هو نصفه، والاشتقاق الأخذ في الكلام، وفي خصومه يمينا وشمالا مع ترك المقصد، واشتقاق الحرف أخذه منه"<sup>(4)</sup>.

يقولون: اشْتَقَّ الكلمة من غيرها، أي: أخرجها منها أو صاغها منها.

**والاشتقاق اصطلاحا:** "هو توليد لبعض الألفاظ من بعض، والرجوع بها إلى أصل واحد، يحدد مادتها، ويوصي بمعناها المشترك الأصيل مثلما يوصي بمعناها الخاص الجديد"<sup>(5)</sup>.

أو هو: "عملية استخراج لفظ من لفظ أو صيغة من أخرى".

وعرفه بعضهم "أخذ كلمة من كلمة أو أكثر مع تناسب بين المأخوذ والمأخوذ منه في اللفظ والمعنى جميعا".

أو هو: "اقتطاع فرع من أصل يدور في تصاريفه حروف ذلك الأصل"<sup>(6)</sup>.

وقد عرفه السيد الجرجاني (ت816هـ)

"تزرع لفظ من آخر، بشرط مناسبتها معنا وتركيبا، ومغايرتها في الصيغة"<sup>(7)</sup>

وفي رأي بعض المحدثين هو:

"إحدى الوسائل الرائعة التي تنمو عن طريقها اللغات وتتسع ويزداد ثراؤها في المفردات، فنتمكن به من التعبير الجديد عن الأفكار والمستحدثات من وسائل الحياة"<sup>(8)</sup>.

والاشتقاق بهذا المعنى علم عملي تطبيقي في لغتنا العربية، مختلف في مفهومه عن الاشتقاق عند اللغويين الغربيين حيث يقول أحدهم هو "عبارة عن أخذ ألفاظ القاموس، كلمة كلمة، وتزويد كل واحدة منها بما يشبه أن يكون بطاقة شخصية يذكر فيها، من أين جاءت؟ ومتى؟ وكيف صيغت؟ والتقلبات التي مرت بها، فهو علم تاريخي يحدد صيغة كل كلمة في أقدم عصر تسمح المعلومات التاريخية بالوصول إليه، ويدرس الطريق الذي مرت به الكلمة، مع التغييرات التي أصابتها من جهة المعنى أو من جهة الاستعمال"<sup>(9)</sup>.

**المبحث الثاني- أقسام الاشتقاق:** كانت دراسة علماء العربية القديمة للاشتقاق تدور حول الاشتقاق الصرفي واللغوي، فكل جهدهم في هذا المضمار يركز على تتبع المادة وجميع ما يُصرف منها للكشف عن العلاقة بين معانيها ومعرفة أحوال صيغها وأوزانها، فمادة (ض ر ب) يصاغ منها المضارع، والأمر، واسم الفاعل، واسم المفعول، وصيغة المبالغة... وغيرها، ما يسمى بالمشنقات القياسية أو الصرفية، كذلك يشتق منها صيغ أخرى، كالضرب، والاضراب ونحوهما مما يسمى بالاشتقاق اللغوي.

وظلت دراسة الاشتقاق على هذا الحال حتى القرن الرابع الهجري، في هذا القرن يطالعنا ابن جني في كتابه (الخصائص) بنوع جديد من الاشتقاق سماه (الاشتقاق الكبير) كما سيأتي، ومفردا في كتابه بين نوعين من الاشتقاق الأول: صغيرا أو أصغر: وهو الذي عُرفَ بين العلماء، والثاني:

### الاشتقاق اللغوي عند القدماء والمحدثين

تعرف بالصرفي واللغوي وكبيراً وأكبر: وهو تقليد حروف الأصل الثلاثي على صورته الست، ويقول ابن جني:

" الاشتقاق عندي على ضربين: كبير وصغير، فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم كأن تأخذ أصلاً من الأصول فتقره، فتجمع بين معانيه وإن اختلفت صيغته ومبانيه، وذلك كثير كتركيب (س ل م) فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه، نحو: سلّم، يسلمّ وسلمان، سلمى، السلامة، والسلم: اللديع، اطلق عليه تقاؤلاً بالسلامة. وعلى ذلك بقية الأمثلة.

وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية، فتقعد عليه وعلى تقاليبه الست معنى واحداً تجتمع التراكيب الستة، وما ينصرف من كل واحد منها عليه"<sup>(10)</sup>.

أ- الاشتقاق الصغير أو الصرفي أو العام: يسمى الاشتقاق العام أو الاشتقاق الصرفي، وهو أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى، ومادة أصلية وهيئة التركيب لها، ليدل بالثانية على معنى الأصل، وزيادة مفيدة، لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئة كضاربٍ من ضربٍ، وحذّر من حذر<sup>(11)</sup>. أو هو أخذ كلمة من جذر ذي ثلاثة أصوات، تلتزم ترتيباً واحداً أو معنى جذرياً واحداً، أو هو: أن يكون بين اللفظين تناسباً في الحروف والتركيب، نحو ضربٍ من الضرب، وعلم من العلم، وفهم من الفهم.

وهذا النوع من الاشتقاق هو أكثر أنواع الاشتقاق وروداً في العربية وأكثرها أهمية، وعليه تجري كلمة (اشتقاق) إذا أطلقت من غير تقيّد؛ لأن الألفاظ تنصرف عن طريقه، ويشق بعضها من بعض، ومعنى هذا افتراض الأصالة في قسم من الألفاظ، والفرعية في القسم الآخر<sup>(12)</sup>.

وطريقة تعرفه تقلب تصاريف الكلمة، حتى يرجع كل منها إلى صيغة التي هي أصل الصيغ دلالة واطراداً، أو حروفاً غالباً، كضربٍ فإنه دال على مطلق الضربٍ فقط، أما ضاربٍ، مَضْرُوبٌ، يَضْرِبُ، أضرِبُ فكلها أكثر دلالة، وأكثر حروفاً، وضربٍ الماضي مساو حروفاً وأكثر دلالة، وكلها مشتركة في (ض ر ب)، وفي هيئة تركيبها. وهذا هو الاشتقاق المحتج به<sup>(13)</sup>.

وإذا كانت الصيغة المشتقة متفقاً مع الصيغة المشتق منها في المادة الأصلية، وهيئة التركيب وتصاريفها كما رأينا في (ضربٍ). وتصاريفها. كان لزاماً في كل كلمة بها حروف المادة الأصلية تجمع على ترتيب نفسه، وأن تقيّد المعنى العام الذي وضعت له تلك الصيغة، وإن تخللها أو لحقها أو سبقها بعض الأصوات اللينة، أو الساكنة، فالرابطة المعنوية العامة لمادة (عَرَفَ) التي تقيّد انكشاف الشيء وظهوره، تتحقق في جميع الكلمات الآتية:

عَرَفَ، تعرّف، تعارف، عُرِفَ، عُرِفَ، أعرف، عرّاف، تعرّف، عرّفان، وهكذا. وهذا النوع من الاشتقاق عرف بالقياسي، إذ من غير الممكن سماع جميع المشتقات في كل مادة "فهناك فرق كبير بين ما يجوز لنا من اشتقاق صيغ، وما اشتق فعلاً، واستعمل في أساليب اللغة المروية عن العرب، فليس من الضروري أن يكون لكل فعل واسم فاعل، اسم مفعول، مرويات في نصوص اللغة، فقد لا يحتاج الكاتب إلى كليهما في فعل من الأفعال، فالمشتقات تنمو وتكثر حين الحاجة إليها"<sup>(14)</sup>.

وقد يشق من أسماء الأعيان: استحجر الطين، واستنوقَ الجمل واستنسر البغات، واستأسد الرجل، ونقوس، وتحشّب، وتربّ، وتمسكّن.... الخ<sup>(15)</sup>.

كما أنهم اشتقوا من الأعداد، وهي أسماء معان جامدة، فقالوا: وحّد، وتوحّد، بقي وحده، وتثبته: جعله اثنين الخ، واشتقوا من أسماء الأزمنة، أسماء معان أيضاً ولكنها جامدة كقولهم: أخرف القوم، أي: دخلوا في الخريف، وشتوا بموضع كذا، أي: أقاموا به شتاء، وأربعوا: دخلوا في الربيع،

الاشتقاق اللغوي عند القدماء والمحدثين

وأصفوا، أي: دخلوا في الصيف، وأفجروا، أي: دخلوا في الفجر، وأصبحوا، أي: دخلوا في الصباح، وكذلك أشرقوا وأظهروا.

واشتقوا من أسماء الأصوات بكثرة، حتى ذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها، إنما هو من الأصوات المسموعات، كدوي الرياح، وحنين الرعد، وخرير الماء، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس<sup>(16)</sup>.

ب- **الاشتقاق الكبير:** وهو الاشتقاق الأكبر عند ابن جني أو القلب اللغوي<sup>(17)</sup>. وهو عبارة عن ارتباط غير مقيدبين المجموعات الثلاثية، ترجع تقاليبيها السنة وما يتصرف من كل منها إلى مدلول واحد مهما تغير ترتيبها الصوتي<sup>(18)</sup>. أو هو (أن يكون بين اللفظين تناسب في اللفظ والمعنى دون الترتيب نحو جذب وجذب من الجذب)<sup>(19)</sup>.

لعل ابن جني أول من وجه الاهتمام إلى هذا النوع من الاشتقاق، وأفرد له باباً خاصاً سماه: الاشتقاق الأكبر، وقال في أوله: "هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا، غير أن أبا علي- رحمه الله- كان يستعين به، ويخلد إليه، مع إعواز الاشتقاق الأصغر، أي: الصغير، ولكنه مع هذا لم يسمعه، وإنما كان يعتاده عند الضرورة، ويستروح إليه، ويتعلل به، وإنما هذا التقليل لنا نحن، وسنراه فتعلم أنه لقب مستحسن"<sup>(20)</sup>.

وقد ذكر ابن جني أمثلة كثيرة، وتوسع في هذا النوع، وقال:-

"وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية فتعقد عليه، وعلى تقاليبيه السنة معنى واحداً، تجتمع التراكيب السنة، وما يتصرف من كل منها عليه، وإن تباعد الشيء من شيء من ذلك عنه، ردّ بلطف الصنعة والتأويل إليه كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد"<sup>(21)</sup>.

"فهو يرى أن مادة (ج ب ر) مهما تقلب فإن المعنى الجامع لها هو القوة والشدة"<sup>(22)</sup>.

منها: جبرت العظم والفقير، إذا قويتهما وشددت منهما، والجبر: الملك لقوته وتقويته لغيره ومنها (رجل مجرب) إذا جربته الأمور ونجدته فقويت مئته واشتدت شكيمته، ومنه الجراب لأنه يحفظ ما فيه، وإذا حفظ الشيء ورؤعي اشتد وقوى، وإذا أغفل وأهمل تساقط وردي<sup>(23)</sup>. وفسر أيضاً قوله:

وإن مادة "س م ل) مهما تقلبت واختلف ترتيبها الصوتي، فإن المعنى الجامع لها المشتمل عليها الأصحاب والملائية"<sup>(24)</sup>.

وتقاليب مادة "ق و ل) تدل على الإسراع والخفة"<sup>(25)</sup>.

وإن كان ابن جني صاحب الفضل في التسمية، فالخليل بن أحمد الفراهيدي (ت180هـ) صاحب الفضل في فكرة التقاليب الذي حاول حصر كل المستعمل من كلمات اللغة العربية، معتمداً على تقلب اللفظ إلى كل الاحتمالات الممكنة، ومبيناً المستعمل من هذه التقاليب من غير المستعمل، وعلى أساس فكرة التقاليب هذه بنى معجمه (العين) والخليل لم ير أن التقاليب السنة للكلمة الثلاثية تدخل في باب اشتقاق واحد. وإنما الباعث له على هذا الترتيب فكره إحصائية<sup>(26)</sup>.

وقد أقر ابن جني بأن هذا النوع من الاشتقاق صعب التطبيق على جميع نصوص اللغة، وصرح باستحالة الاطراد والإحاطة، فقال: "واعلم أنا لا ندعي أن هذا مستمر في جميع اللغة، كما لا ندعي الاشتقاق الأصغر أنه في جميع اللغة"<sup>(27)</sup>.

وإذا كان ابن جني على ولعه بهذا الاشتقاق الكبير، أو كما يسميه (الاشتقاق الأكبر) يترفق فيه ولا يبالغ، فقد تكلف بعضهم فيه وفي غيره تكلفاً لا يطاق، فخرجوا عن مدلول اللفظ الأصلي وتعسفوا في التعليل والتفسير.

ج- **الاشتقاق الأكبر:** "هو الإبدال اللغوي، وهو ارتباط قسم من المجموعات الثلاثية الصوتية ببعض المعاني ارتباطاً عاماً لا يتقيد بالأصوات نفسها بل بترتيبها الأصلي، والنوع الذي تتدرج

الاشتقاق اللغوي عند القدماء والمحدثين

تحتة، فمتى وردت تلك المجموعات على ترتيبها الأصلي، فلا بد أن تفيد الرابطة المعنوية المشتركة، سواء اختلفت بمخرجها الصوتي أو تتحد معها في جميع الصفات<sup>(28)</sup>.  
أو هو: أن يكون بين اللفظين تناسب في المخرج نحو، نَعَقَ نَهَقَ، عَثَانُ، عَلْوَانُ.  
وعَرَفَهُ بَعْضُهُمْ بِأَنَّهُ: "إقامة حرف مكان حرف آخر في الكلمة"<sup>(29)</sup>.  
من أمثلة التقارب في المخرج الصوتي تناوب اللام والراء في هديل الحمام، وهديره وتناوب القاف والكاف في قَشَطَ الجِدَدَ، وكَشَطَهُ، وتناوب الباء والميم في كبح الفرس، وكمحه<sup>(30)</sup>.  
ومن أمثلة الاتفاق في الصفات تناوب السين والصاد في صَقَرَ، سَقَرَ، وسِرَاطُ، وصِرَاطُ، وسَطَاطُ، وصَاطِطُ.

وابن جني الذي صال وجال في ميدان الاشتقاق الكبير الذي سماه بالأكبر- كما رأينا. وصول في ميدان الاشتقاق الأكبر، أي: الإبدال اللغوي، ويقدم لنا الكثير من الأمثلة في الباب الذي عقده في خصائصه، تحت عنوان "باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني"<sup>(31)</sup> ويقول "وهذا كله، والحروف واحدة غير متجاورة، لكن من وراء هذا ضربٌ غيرُه، وهو أن تتقارب الحروف لتقارب المعاني، وهذا باب واسع من ذلك قوله سبحانه (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا) مريم/ (19) أي: تزعجهم وتقلقهم، فهذا في معنى تهزهم هزا، والهزة أحت الهاء، فتقارب اللفظيات لتقارب المعنيين، وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة؛ لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز، لأنك قد تهز ما لا يال له، كالجدع، وساق الشجرة، ونحوه ذلك... الخ"<sup>(32)</sup>، إن الإبدال الذي يقوم عليه الاشتقاق الأكبر يمكن ارجاعه إلى عوامل متعددة نذكر فيها على سبيل المثال:

1. **اختلاف اللهجات:-** فالقبائل العربية تختلف في نطق الأصوات، فيما تميم تجنح إلى الأشد الفخم، وتميل قريش إلى اختيار الأرق الأنعم؛ لأن تميم بدوية وقريش حضرية"<sup>(33)</sup>.
2. **التصحيف الخطأ في السمع:-** وقسَرَ شعبة بن الحجاج في مجلس له فقال: "تسمعون جرش طير الجنة، بالشين فقال له الأصمعي الذي كان في حلقتة: جرس، فقال شعبة: خذوها منه فإنه أعلم بهذا منا، وأعتقد لولا سماحة شعبة، وتصادف وجود الأصمعي، لما بعد أن يكون في المعاجم جرس، وجرش بمعنى صوت الطير"<sup>(34)</sup>.
3. **التطور الصوتي الذي عد عامل آخر من عوامل وجود الإبدال المسمى:** الاشتقاق الأكبر.  
إن أوائل العلماء الذين كتبوا في الإبدال هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي، فالإبدال لا يصدر عن ناطق واحد، وهذا رأي أبي الطيب اللغوي حيث قال: "ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف، وإنما هي لغات مختلفة لمعان متفقة، تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد حتى لا يختلفان إلا في حرف واحد"<sup>(35)</sup>.  
قال والدليل على ذلك أن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طوراً مهموزة، وطوراً غير مهموزاً، ولا بالصاد مرة، وبالسين مرة، كذلك إبدال لام التعريف ميماً، والهمزة المصدرية عينا كقولهم في نحو إن: عن، لا تشترك العرب في شيء من ذلك، إنما يقول هذا قوم وذاك آخرون.  
**والإبدال في اللغة نوعان- الإبدال اللغوي، والإبدال الصرفي:**

أ- **الإبدال الصرفي** وهو أن تقيم حروفاً أخرى، مكان حروف معينة لغرض تسهيل اللفظ أو الوصول بالكلمة إلى الهيئة التي يشيع استعمالها، كإبدال الواو ألفاً في (صام) لأن؛ أصلها: (صومَ)، وإبدال الطاء من التاء في (اصطنع)، وأصلها اصنَّع، وقد اهتم النحاة اهتماماً كبيراً بهذا الموضوع من الإبدال، واختلفوا في عدد حروفه، فهي اثنا عشر حرفاً يجمعها قولك، طال يوم انجذته، وذهب بعضهم إلى أنها تسعة، يجمعها قولك (هدأت موطياً)<sup>(36)</sup>

### الاشتقاق اللغوي عند القدماء والمحدثين

**ب- الابدال اللغوي:-** هو أوسع من الابدال الصرفي؛ لأنه يشمل حروفاً لا يشملها الابدال الصرفي، وقد اختلف اللغويون في مفهوم هذا الابدال، فوسّع جماعة منهم دائرته، إذ ذهبوا إلى أنه يشمل حروف الهجاء جميعاً، وضيّقها آخرون واشترطوا أن تكون الحروف المتعاقبة متقاربة المخرج، وتكون إحدى اللفظتين أصلاً للأخرى، لا لغة في الثانية<sup>(37)</sup>.

**د- الاشتقاق الكبار:-** هناك بعض الباحثين نسب النحت إلى الاشتقاق وجعله قسماً رابعاً وسماه: الاشتقاق الكبار، وهو الذي عُرفَ عند علماء العربية القدامى باسم النحت، وهو مزج كلمتين أو أكثر في كلمة واحدة مثل (سبحان الله) و(سَبَحَل) و(حَيَّعَل) من (حَيَّ على الفلاح) مع المناسبة في اللفظ والمعنى معاً.

### وللاشتقاق الكبار (النحت) أنواع منها:-

**1- النحت الفعلي:-** وهو أن تتحت من الجملة فعلاً، يدل على النطق بها، أي: يدل على المعنى الذي تدل عليه الجملة دون تغيير في هذا المعنى، أو على حدوث مضمونها، مثل (بسم) إذا قال: بسم الله الرحمن الرحيم. فيسمل تدل على معنى ومضمون بسم الله الرحمن الرحيم<sup>(38)</sup>.

**2- النحت الوصفي:-** هو أن تتحت من كلمه واحدة ما يدل على صفة بمعناها، أو بأشدها منه، مثل: (ضَبِطَر) للرجل الشديد من ضبط وضَبَّرَ والضبر معناه الشدة والصلابة.

**3- النحت النسبي:-** وهو أن تتحت من علم مؤلف من مضاف ومضاف إليه مركب إضافي النسب إلى هذا العلم، والدلالة على معنى الاتصال به بسبب ما، نحو: عبشمي، عبدي، وعبشمي، وتيملي، ومرقسى في النسب إلى عبد شمس، وعبد الدار، وعبد القيس، وتيم اللات، وامرئ القيس<sup>(39)</sup>.

**4- النحت الاسمي:-** وهو أن تتحت من كلمتين اسماً، مثل: جلود من (جمد) و(جلد) و(حبقر) للبرد، أصله حب قر<sup>(40)</sup>.

### المبحث الثالث- آراء العلماء العرب القدامى والمحدثين في الاشتقاق:

**آراء العلماء العرب في الاشتقاق:** والحديث عن موضوع الاشتقاق يقودنا إلى ذكر الخلاف بين العلماء حول طبيعة اللغة هل لها قياس؟ وهل يشتق بعض الكلام من بعض؟

أجمع أهل اللغة- إلا مَنْ شَدَّ عنهم- أن للغة العرب قياساً، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض، فاسم الجن مشتق من الاجتئان، وإن الجيم والنون تدلان أيداً على الستر، يقال: جن الشيء، ستر، والجنين سمي بذلك لاستتاره في بطن أمه، ويقال: جن عليه الليل، إذا أظلم لأنه يستتره بظلامه، تقول العرب للدرع: المَجَنّ لأنه يستتر صاحبه ويقيه، والجنن: القبر؛ لأنه يستتر الميت<sup>(41)</sup>.

وأصل الأَفس من الظهور ويقولون: أنست الشيء: أبصرته وعلى هذا سائر كلام العرب، عَلِمَ ذلك مَنْ عَلِمَ وجهه من جهل، قلنا: وهذا أيضاً مبني على ما تقدم من قولنا في التوقيف، فإن الذي وقفنا على إن الاجتئان الستر هو الذي أوقفنا على إن الجن مشتق منه، وليس لنا اليوم أن نخترع ولا أن نقول غير ما قالوه، ولا أن نقيس قياساً لم يقيسوه؛ لأن في ذلك فساد اللغة وبطلان حقائقها<sup>(42)</sup>، وفي هذا القول غلو وإسراف، علاوة على ما فيه فساد الاعتقاد باشتقاق المعنوي من الحي، فإن الاجتئان مأخوذ من الجن وليس العكس<sup>(43)</sup>.

ومع أن ابن فارس يغالي في جعل الكلام كله موقوفاً عليه، فإن مذهبه عدم القياس على كلام العرب، يعبر عن وجهة نظر سائدة، فقد جعل معظم اللغويين الاشتقاق، أي: (توليد الألفاظ) سماعياً، فلا يجوز في نظر هؤلاء اشتقاق أفعال أو أسماء غير التي سمعت عن العرب، فلا قياس على كلام العرب في الاشتقاق وكل كلام العرب توقيف من الله سبحانه وتعالى، وقد وقّع بعض اللغويين في هذا الوهم، عندما حاولوا تعليل بعض الأسماء العربية، فقد سئل أبو عمرو بن العلاء (ت154هـ) عن اشتقاق الخيل فلم يعرف، فَمَرَّ أعرابي مُحْرَم، فأراد السائل سؤال الأعرابي فقال أبو عمرو له:



## الاشتقاق اللغوي عند القدماء والمحدثين

دعني فأنا ألطف بسؤاله وأعرف، فسأله فقال الأعرابي: استقاد الاسم من فعل المسمى، فلم يعرف من حضر ما أراد الأعرابي، فسألوا أبا عمرو عن ذلك فقال: ذهب إلى الخيلاء التي في الخيل<sup>(44)</sup>. وبناء على هذا القول، فإن أبا عمرو بن العلاء على الرغم من واسع علمه ومعرفته ومكانته الرفيعة، وقد ظن بأن الخيل مشتق من الخيلاء، و ابن دريد الذي زعم أن (الفردوس) مشتق من (الفردسة) فقال: "والفردسة: السعة، وصدر مفردس: واسع ومنه اشتقاق الفردوس"<sup>(45)</sup>، وقد تنبه علماء اللغة القدامى من أن ينحو إلى مثل هذا الاعتقاد في أخذ اللغة، والتصرف فيها، قال ابن السراج في رسالته في الاشتقاق: "مما ينبغي أن تحذر منه غاية الحذر، أن يشتق من لغة، لشيء قد أخذ من لغة العجم. قال: فيكون بمنزلة من ادعى أن الطير ولد الحوت"<sup>(46)</sup>. ولاشك أن ابن السراج يقصد بهذه العبارة ابن دريد وأمثاله ممن ظنوا أن الدفاع عن عروبة اللغة يقتضي القول باشتقاق الأعجمي من العربي، "فلم يزيدوا بذلك على أن صيروا الأصل فرعا، والفرع أصلا، ونسبوا إلى العربية من الإعجاز في موافقة اللغات الأجنبية، ما لا يجوز أن يدور مثله في خلد الإنسان"<sup>(47)</sup>.

وفي الوقت الذي نجد علماء اللغة يكادون يجمعون على وقوع الاشتقاق الأصغر في العربية وكثرت فيها وتوليدته قسما كبيرا من منتها حتى أفرد الاشتقاق بالتأليف، جماعة من المتقدمين منهم الأصمعي، وأبو الحسن الأخفش وغيرهم، نجد طائفة قليلة من الباحثين القدامى ينكرون وقوع الاشتقاق بأنواعه كافة زاعمين "أن الكلم كله أصل" ولا يقل عن هذا الزعم غلوا وغرابة من قول طائفة من المتأخرين اللغويين "كل الكلم مشتق" أما الراي العلمي الجدير بأن تنتصر له، فهو ما ذهب إليه المؤلفون في الاشتقاق من أن "بعض الكلم مشتق، وبعضه غير مشتق"<sup>(48)</sup>. وبما أن اللغة في تطور والحاجة إلى مفرداتها في ازدياد، فقد تدعو الحاجة إلى اشتقاق معين لم يكن موجودا؛ لأن المشتقات لم تكن في عصر واحد، وإنما زادت شيئا فشيئا، ولا سيما المصطلحات العلمية والمفردات الحضرية التي ينبغي أن تسد النقص في الثروة اللفظية ... وعليه تكون قاعدة القياس في الاشتقاق مستمرة جيلا بعد جيل.

وقد اختلف النحاة في أصل المشتقات، فيرى البصريون أن المصدر أصل المشتقات لكونه مجردا عن الزمن، أي: يدل على الحدث فقط، بخلاف الفعل، فإنه يدل على الحدث والزمن<sup>(49)</sup>. ويلاحظ من اختلاف البصريين والكوفيين هو أن البصريين نظروا إلى جهة المعنى، فوجدوا أن المصدر يدل على الحدث خالص من أي ارتباط آخر، أما الفعل فإنه يدل على مدلولين الحدث والزمن، والكوفيين نظروا إلى التجرد والزيادة، فوجدوا أن أكثر الصيغ تجردا هو الفعل الماضي المسند إلى الغائب المفرد، مثل: ( كتب ) لذلك عد الفعل الماضي أصلا للمشتقات؛ ولأن المصدر يجيء بعده في التصريف فيقال مثلا: ضَرَبَ، يَضْرِبُ ضَرْبًا<sup>(50)</sup>.

ويؤيد الأستاذ عبد الله أمين مذهب البصريين، ويزيد عليه أن العرب اشتقت من أسماء الأعيان، إلى جانب اشتقاقها من المصادر ويدلل على ذلك بقوله "ولاشك أن كل اسم من أسماء الأعيان، وهو أصل المشتقات من مادته، إذ لا يعقل أن الفعل: تأبل، أي: اتخذ إبلا، قد وضع قبل أن يوضع لفظ: إبل نفسه، ولا الفعل تَأْرَضُ، أي: لصق بالأرض، وضع قبل لفظ الأرض"<sup>(51)</sup>، ويوضح ابن السراج صور هذا الاختلاف، فيقول "فمنهم يقول: الاشتقاق في اللغة البتة وهم الأقل، ومنهم من قال: بل كل لفظتين متفتتين فإحدهما مشتقة من الأخرى، ومنهم من يقول "بعض ذلك مشتق وبعضه غير مشتق وهو لاء هم جمهور أهل اللغة"<sup>(52)</sup>.

لقد صرح ابن جني بأن الاشتقاق الأكبر صعب التطبيق، على جميع نصوص اللغة فيقول: "واعلم أنا لاندعي أن هذا مستمر في جميع اللغة، كما لاندعي الاشتقاق الأصغر، أنه في جميع اللغة، بل إذا

## الاشتقاق اللغوي عند القدماء والمحدثين

كان ذلك متعذراً صعباً، كان تطبيق هذا واحاطته، اصعب مذهباً واعز ملتصقاً<sup>(53)</sup>، وقف اللغويون والباحثون من مذهب ابن جني ثلاثة مواقف مختلفة. فهذا حمزة بن الحسن الاصبهاني يقول في كتابه الموازنة:

"كان الزجاج يزعم أنّ كلّ لفظتين اتفقتا ببعض الحروف وإنّ نقصت حروف إحداهما عن حروف الأخرى فإن إحداهما مشتقة من الأخرى، ÷ فنقول: الرحل مشتق من الرحيل، والثور إنما سمي ثوراً لأنه يثير الأرض، والثوب إنما سمي ثوباً لأنه تاب، أي: رجع لباساً بعد أن كان عزلاً"<sup>(54)</sup>

كذا قال وزعم أن القرنان إنما سمي قرنان؛ لأنه مطبق لفجور امراته كالثور القرنان، أي: المطبق لعمل قرونه، وفي قوله تعالى: (وما كنا له مقرنين) (الزخرف/ 13) أي: مطبقين، وقد حملت هذه المبالغات السيوطي على أن يقول عن هذا الاشتقاق "أنه ليس معتمداً في اللغة، ولا يصح أن يستنبط به اشتقاق في لغة العرب"<sup>(55)</sup>، وكذلك اتهم ابن جني بأنه أراد من خلال توسعه في هذا الاشتقاق، أن يبين قوة ساعده وردة المخالفات إلى قدر مشترك، ولم ينكر السيوطي وقوع معنى مشترك يبين هذه التقابل، لكن التحليل على ذلك في جميع مواد التركيبات (كطلب لعنقاء مغرب)<sup>(56)</sup>، وقد وقف صبحي الصالح موقفاً وسطاً، فهو يرى أنّ صيغ ابن جني في هذه التقابل "لا تخطئ التكلف البعيد الذي وقع فيه، وهو يلتصق الطريق نحو الرابط السحري الوجيب الذي يرد هذه التقابل إلى اصل واحد، لكن الارتباط الذي اهتدى إليه ابن جني ليس عاماً وحسب بل هو شديد العموم وبلغت شدت عمومها حدّ الإيهام والغموض"<sup>(57)</sup>، وقد قال الدكتور إبراهيم أنيس: "وإذا كان ابن جني قد استطاع في عنقته ومشقة أن يسوق لنا، للبرهنة على ما يزعم بصنع مواد من كل مواد اللغة، التي يقال أنها في جمهرة اللغة لابن دريد تصل إلى أربعين الف وفي معجم لسان العرب تكاد تصل إلى ثمانين الفا فليس يكفي مثل هذا القدر الضئيل المتكلف، لإثبات ما يسمى بالاشتقاق الأكبر"<sup>(58)</sup>.

وعدّ ابن جني ذلك مقبولاً ومعتدلاً، عندما حاول ارجاع تقاليد المادة إلى أصل ثلاثي، يحمل معنى هذه المادة بشكل عام، إذا قيس إلى مذاهب بعض المحدثين من فكرة ثنائية الأصول، ومعناها العام يرتبط بأصلين اثنين من أصولها . وممن قال بهذا الرأي ولم يحد عنه قيد شعره: الأصبهاني صاحب كتاب غريب القرآن، فإنه بنى معجمه الجليل على اعتبار المضاعف هجاء واحداً، ولم يبال تكرار حرفه الأخير، فهو عنده من وضع الخيال، لامن وضع العلم ولا التحقيق، أي: أنه إذا أراد ذكر (مَدَّ يَمُدُّ مَدًّا) مثلاً في سفره، ذكرها كأنها مركبة من مادة (مَدَّ)، أي: ميم ودال ساكنة، ولا يلتفت أبداً إلى أنها من ثلاثة أحرف، أي: (مَدَد) كما يفعل سائر اللغويين ولهذا السبب عيّن يذكر (مد) قبل (مَدَح) مثلاً، ولا يقدم هذه على تلك على ما نشاهده في معاجم اللغة، كالقاموس، ولسان العرب، وتاج العروس، وغيرها<sup>(59)</sup>، وقال بعض المستشرقين: "وكل حرف زيد على الأصل الثنائي، ويجري على قانون التطور اللغوي، تتويجاً أو إقحاماً أو تذييلاً، مع بقاء اللحمة المعنوية بين الثنائي والثلاثي كما هي مستمرة بين الثنائي والرباعي، وما فوقه من المزيدات"<sup>(60)</sup>. ولقد أدرك لغويو العرب إمكان وقوع الإبدال مثلما تصوروا إمكان وقوع القلب، وانطلقوا يؤكدون أن "من سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض، ويقولون: مدحه ودمحه وفرس ورفن وهو كثير مشهور قد ألف فيه العلماء"<sup>(61)</sup>، وقد ربط القدماء بين الصورتين إذا بدا لهما اشتراكاً في معنى متقارب، مع أنّ كثيراً من هذا التقارب لا يزيد عن الترادف تارة، والاشتراك تارة أخرى، ومن العجيب أن ابن السكيت مثلاً في (القلب والابدال) لم يذكر في الثلاث مئة كلمة التي اشتملت عليها رسالته إلا القليل مما يمكن أن يفسر بظاهرة الإبدال تفسيراً صريحاً.

### الاشتقاق اللغوي عند القدماء والمحدثين

أما المحدثون فلهم في الاشتقاق الأكبر رأي جريء، يردون في ضوئه أكثر صور الإبدال إلى ضرب التطور الصوتي الذي يدخل أحياناً في اختلاف اللهجات. قال الدكتور إبراهيم انيس: "حيث تستعرض تلك الكلمات التي فسرت على أنها من الإبدال حيناً، أو من أصل اللهجات حيناً آخر، لا نشك لحظة في أنها جميعاً نتيجة التطور الصوتي، أي: أن الكلمة ذات المعنى الواحد حين نرى لها في المعاجم صورتين أو نطقين، ويكون الاختلاف بين الصورتين لا يتجاوز حرفاً من حروفها، نستطيع أن نفسرها على أن إحدى الصورتين هي الأصل والآخرى فرع لها أو تطور عنها. غير أنه في كل حالة، يشترط أن نلاحظ العلاقة الصوتية بين الحرفين المبدل والمبدل منه"<sup>(62)</sup>.

وأرى أن رأي المحدثين أسلم اتجاهها، وأصلح نتيجة من رأي تلك الطائفة من المتقدمين الذين ذهبوا إلى أكثر العرب من الإبدال كأنه سنة أو عادة وكان النطقين المختلفين عندهم متساويين بوضع إحداهما مكان الآخر وكأنهم يعدون هذا الإبدال اعجاباً به وتقناً فيه.

لا يوجد خلاف بين المحدثين في أن الاشتقاق وسيلة مهمة جداً من وسائل نمو اللغة العربية وتطورها ومواكبتها للحضارة والحياة المتجددة، فالدكتور علي عبد الواحد يذكر مثلاً من (الاشتقاق العام هو: عَلم، اعَلم، تَعَلَّم، اعَلَّمي، علم، ..... الخ، وعرفه بأنه "ارتباط كل أصل ثلاثي في اللغة العربية بمعنى عام وضع له، فيتحقق هذا المعنى (العلم) مثلاً، وهو ادراك الشيء وظهوره ووضوحه، في كل كلمة توجد فيها الأصوات الثلاثة مرتبة حسب ترتيبها في الأصل الذي أخذت منه وهو (ع ل م) وقال: "وعلى هذه الرابطة يقوم أكبر قسم من متن اللغة العربية"<sup>(63)</sup>.

وعند ازدهار الترجمة في العصر الحديث، كان الاهتمام على أساليب الاشتقاق في العربية يكون أهم عنصر في ترجمة المصطلحات العلمية.

أما اليوم فقد نهضة لغوية مستمرة ومتصاعدة تجلّت في نشاطات المجمع اللغوية العربية، كمجمع اللغة العربية بطرابلس في ليبيا، ومجمع اللغة العربية في القاهرة، وغيرها من المجمع الدولية والعالمية، وفي المجالات والكتب العلمية التي تصدر في أرض العرب، وقد نال الاشتقاق من عنايتها ما ينبغي أن ينال في عصرنا الحاضر، وخاصة أننا نشهد اليوم نهضة علمية واضحة، وفضلاً من الكتب والبحوث المعربة، واختط هذا المجمع خطة علمية جعلها أساساً لعمله في وضع الكلمات أو المصطلحات العلمية<sup>(64)</sup>.

وعدت المجمع اللغوية قواعد وداستير تتبعها فيما تصفه وتقره من المصطلحات العلمية والكلمات اللغوية.

- 1- إن الاشتقاق قياس مطرد في اللغة قياساً مطلقاً في أسماء المعاني وغيرها التي هي عرضة للتغير على معانيها ومفيدة بحسيس الحاجة في الجوامد.
- 2- إن وضع الكلمات الحديثة في اللغة يجري إما على طريقة الاشتقاق وإما على طريقة التعريب، ولا مانع من الجمع بينهما ويرجع إلى النحت عند الحاجة.
- 3- لا يذهب إلى الاشتقاق في وضع كلمة حديثة إلا إذا لم يعثر في اللغة على ما تؤدي معناها، بخلاف التعريب فإنه يجوز تعريب كلمة أعجمية مع وجود اسم لها في العربية كما هو الشأن في أكثر المعربات الموجودة في اللغة.

**فوائد الاشتقاق:** إن الاشتقاق له أهمية بالغة في اللغة العربية بل ذهب بعضهم إلى وجوب تقدم تعلمه على علم النحو، إن علم التصريف نوع من أنواع الاشتقاق، بل هو أهمها وأكثرها وروداً، وفي ذلك يقول ابن جني: "فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة، والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة، ألا ترى أنك إذا قلت قام بكرّ، ورأيت بكرأ، ومررت ببكر، فإنك إنما خالفت بين

### الاشتقاق اللغوي عند القدماء والمحدثين

حركات حروف الإعراب لاختلاف العامل ولم تعرض لباقي الكلمة، وإذا كان كذلك فقد كان من الواجب على من أراد معرفه النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف؛ لأن معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغي أن يكون أصلاً لمعرفة حالته المتقلة، إلا أن هذا الضرب من العلم لما كان عويصاً صعباً بدى قبله بمعرفة النحو، ثم جيء به بعد ليكون الارتياض في النحو موطناً للدخول فيه، ومعينا على معرفة أغراضه ومعانيه وعلى تصرف الحال<sup>(65)</sup>.

وقد بين ابن السراج الغرض من الاشتقاق بقوله: "إن به اتسع الكلام، وتسلط على القوافي والسجع في الخطب، وتصرف في دقيق المعاني وقد بان بعض ذلك، ولو جمدت المصادر، وارتفع الاشتقاق في كل الكلام لم يوجد في الكلام صفة لموصوف ولا فعل لفاعل على سائر اللغات بهذه التصاريف وكثرتها".

ويقول ابن السراج في مكان آخر مبينا المنفعة من الاشتقاق بقوله: "ربما سمع العالم كله ليعرفها من أجل بنائها وصيغتها ويعرف ما يساوي حروفها فيطلب لها مخرجا منه، وكثيرا ما يظفر وعلى هذا سائر العلماء في تفسير الأشعار وكلام العرب"<sup>(66)</sup>، وللاشتقاق فوائد كثيرة في المجال اللغوي منها:

1- أننا إذا أنعمنا النظر إلى الاشتقاق من حيث وظيفته ومعناه، وجدناه من الناحية الوظيفية يقوم على التوليد بمعنى: (توليد الألفاظ) وينتج هذا التوليد زيادة في الثروة اللغوية، فالاشتقاق إذا عامل هام من عوامل تنمية اللغة وزيادة ثروتها اللفظية.

2- الاشتقاق أيضا يمدنا بمدلولات جديدة لمسميات كثيرة تبعاً لما يطرأ على ساحة الحياة المتغيرة من أن لآخر، "لهذا كان الاشتقاق في اللغة العربية وسيلة رائعة لتوليد الألفاظ للدلالة على المعاني الجديدة ولم ينقطع سبل الألفاظ الجديدة في اللغة العربية، ففي صدر الإسلام وفي العصور التالية، وفي العصر الحديث ظهر عدد كبير من الألفاظ لأداء المعاني الجديدة للدلالة على أفكار أو أشياء مادية، وذلك بطريق اشتقاق لفظ جديد من مادة قديمة كالجهاد، والزكاة، والعامل، وكالعروض (المقابلة للجوهر) والتأليف، والتصعيد، والتجريع، والتعديل، والشعوبية، والتصدير، والإذاعة، والاشتراكية"<sup>(67)</sup>.

3- الاشتقاق يكشف لنا عن الربط بين الجزينات والكليات، أو المعاني الجزئية، والمعاني الكلية، وذلك ما ينعكس على عقلية أصحاب اللغة ويوضع ذلك د. عبد الحسين المبارك قائلا: "وإذا كان الاشتقاق في اللغة العربية مظهراً من مظاهر منطقيتها وموافقها للطبيعة في ارجاع الجزينات إلى الكليات وربط الأجزاء المبعثرة بالمعنى الجامع، وتتجلى في ذلك مقدرة اللغة العربية في الربط، والتصنيف سواء في الألفاظ، أو في المعاني، وتطبع بذلك عقلية أصحابها بهذا الطابع المنطقي العلمي، وإن شئت عكست، فقلت إن هذه الخاصية هي صدى ما للعقلية العربية من خصائص التفكير المنطقي العلمي"<sup>(68)</sup>.

4- إن الاشتقاق يدلنا على الأصل الذي تفرعت منه الكلمات، أو بمعنى آخر الذي انتزعت منه الكلمات فمثلا (الرحمن) مشتق من (الرحم) وكذلك (الرحيم) مشتق من الرحم أيضاً. والاسم مشتق من وسم أو سمو، وكذلك الشيطان مشتق من شطن أو شيط، والإنسان من الأنس.

وهكذا نستطيع فهم اللغة والوقوف على أسرارها، ومعرفة خباياها وفي هذا يقول الدكتور محمد المبارك "والاشتقاق يدلنا على أصول الألفاظ، فيمكننا من ربط الكلمة بأخواتها، وأفراد المجموعة التي تنتسب إليها، وذلك مما يثبت معناها أو يوضحه فإن كلمة سماء من (س م و) وشتى جمع شتيت من (ش ت ت) والكفاءة معناها التعادل فإنها من (ك ف ا) ومنها الكفاء والأكفاء أي المتعادلون والمكافأة فالاشتقاق هو الطريق إلى حسن فهم اللغة والتفقه فيها، ومعرفة أسرارها،

### الاشتقاق اللغوي عند القدماء والمحدثين

والدخول في عالمها الخاص فانه يربط الالفاظ ويصل بين معانيها فان معرفة مادة (ر ب و) تطلعتنا على حقيقة معاني (الرّبَا والرّبوة) وصلتها بمادة (ر ب ب) ومنها التربية والمرّبّي، وفيها جميعا معنى الزيادة والنماء، فالاشتقاق يدخلنا في صميم اللغة ويشعرنا بارتباط هذه المعاني، وجمع الصور المتمثلة والمعاني المتشابهة ويفسر بعضها بعضاً ويشير الى الواضح منها الغامض والحس المعنوي<sup>(69)</sup>.

5- إن الاشتقاق يعرفنا الأصل من الدخيل في اللغة، فالكلمة الدخيلة في العربية تبقى غالباً في معزل عن هذه المجموعات فلا نجد لها أصلاً لفظياً ذا معنى يدل على أصلها كالصراط، الفردوس، والكوب، فليس في العربية مادة (ص ر ط) ولا (ف ر د س) ولا (ك وب) لنعتقد إن هذه الالفاظ عربية أصيلة وكذلك مادة (سبرق) حتى نظن أنها (السرّاق) مشتقا منها ولا مادة (سيرف) حتى نحسب (الاستبرق) متفرعاً عنها ولا (سندس) حتى نخال (السندس) مقيساً عليها، بل (السرّاق) فارسي معرب (سرّادار) وهو الدهليز، والاستبرق الديباج الغليظ، وهو بلغة العجم (استغره) وممن صرح بانه بالفارسية أبو عبيد، وأبو حاتم وآخرون. وقيل مثل ذلك في السندس فهو رقيق الديباج ولم يختلف أهل اللغة في أنه معرب وإنما اختلفوا في اللغة التي عرّبت أهي الفارسية كما قال الثعالبي، أم الهندية... ولقد أرى بعض اللغويين أن يستخدموا الاشتقاق وسيلة للتمييز بين الأصل والدخيل فعطلوا هذه الوسيلة الرائعة، وأبطلوها بجنوحهم إلى عربية كل لفظ أعجمي ما دام القرآن قد نزل به وتلك جهود يبرأ منها القرآن الذي أذهب عجمة الكثير من الالفاظ بأشتماله عليها<sup>(70)</sup>.

ومن فوائد الاشتقاق انه يكشف لنا عن الربط بين الجزئيات والكليات أو المعاني الكلية والمعاني الجزئية، وكذلك حسن فهم اللغة والوقوف على اسرارها، ومعرفة اصول الالفاظ، فيمكننا من ربط الكلمة بأحواتها، وأفراد المجموعات التي تنتسب إليها ذلك يثبت معناها أو يوضحه. كما يعرفنا الأصل من الدخيل في اللغة، كما يوقفنا على الاصل الذي تفرغت منه الكلمات ويمدنا بمدلولات جديدة لمسميات كثيرة تبعا لما يطراً على ساحة الحياة المتغيرة من وقت لآخر ومن عصر إلى عصر وغير ذلك.

### الخاتمة:

بعد كتابة البحث توصلت إلى نتائج عدة أوجزها كما يأتي:-

- 1- الاشتقاق سمة من سمات اللغة العربية وكذلك هو وسيلة من وسائل نموها لانستطيع أن نستغني عنه في أبحاثنا ومؤلفاتنا وما نجده من كم هائل من الالفاظ العربية يمكن ارجاعه إلى الاشتقاق فهو عملية استخراج لفظ من لفظ أو صيغة من أخرى.
- 2- الاشتقاق موضوع واسع في اللغة احتل مكانة كبيرة في مؤلفات القدماء والمحدثين فلا يكاد يخلو كتاب منه قديماً وحديثاً.
- 3- يكاد يجمع العلماء على أن الاشتقاق واقع في العربية وكثير فيها وتوليدته قسماً كبيراً من متن اللغة.
- 4- للاشتقاق أقسام منها الصغير والذي يكون بين اللفظين؛ تناسب في الحروف والتركيب مثل الضّارب من الضّرب، والاشتقاق الكبير الذي يكون بين اللفظين أيضاً، وفيه تناسب في اللفظ والمعنى دون الترتيب مثل جذب من الجذب، وهناك الاشتقاق الأكبر والذي يكون بين اللفظين مع تناسب في المخرج يتبع لفظاً، نحو نعق، نهق، همس، همش.
- 5- هناك بعض الباحثين ينسب النحت إلى الاشتقاق وسماه: (الاشتقاق الكبّار) الذي هو أخذ كلمة من كلمتين أو أكثر من ذلك، مع المناسبة في اللفظ والمعنى معا.

الاشتقاق اللغوي عند القدماء والمحدثين

- 6- هناك طائفة قليلة من الباحثين القلائل ينكرون وقوع الاشتقاق بأنواعه كافة، وحجتهم في ذلك أن الكلم كله أصل، وهناك من يرى عكس ذلك في قول طائفة من المتأخرين اللغويين: كل الكلم مشتق. أما الرأي العلمي الصائب هو ما ذهب إليه أكثر المؤلفين في اللغويات قديما وحديثا، من أن بعض الكلم مشتق وبعضه غير مشتق وهذا ما أراه مناسبا، ماوفقا هؤلاء في رأيهم.
  - 7- الاشتقاق أُلّف فيه كثير من العلماء، كابن جني والأصمعي والسيوطي والجرجاني وابن فارس وغيرهم والمحدثين مثل د. حاتم الضامن ود. رمضان عبد التواب وصبحي الصالح وغيرهم.
- الهوامش:**
- ينظر: الصاحبى في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، منشورات دار الكتب العلمية- بيروت - لبنان - الطبعة/الأولى، ص35-36.
  1. ينظر: الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني، ت: عبد الحميد هندواي، ص35-36.
  2. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (ش ق ق) ت: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر، 2003م.
  3. من قضايا فقه اللغة، جابر علي السيد سليم، ص103. الطبعة/ الثانية، دار الفكر 2006.
  4. دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، ص 174، الطبعة /الثالثة، دار العلم للملايين 1987. وينظر: فقه اللغة(مناهله ومسائله) محمد أسعد النادري، ص 275. المكتبة العصرية- بيروت 2008.
  5. لسان العرب، 1/ 186.
  6. الصاحبى في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكريا، ت: أحمد حسن، دار الكتب العلمية، ص 35.
  7. فصول في فقه اللغة العربية، رمضان عبد التواب، الطبعة /الثالثة، ص 290. مكتبة الخانجي بالقاهرة.
  8. المصدر السابق/ص 290.
  9. الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، ت: عبد الحميد هندواي. ج 2 / 135- 136. دار الكتب العلمية للطباعة والنشر.
  10. مباحث في فقه اللغة العربية، أسعد محمد النجار، الطبعة/الأولى. ص 85. وينظر: فصول في فقه العربية، ص 290-291. وينظر: من قضايا فقه اللغة، ص 107.
  11. ينظر: فصول في فقه اللغة العربية، ص 290. وينظر: مباحث في فقه اللغة العربية، ص 85-86.
  12. ينظر: دراسات في فقه اللغة، ص 174-175.
  13. فصول في فقه اللغة العربية، ص 293.
  14. ينظر: أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية، رشيد عبد الرحمن العبيدي، ص 27. دار الكتاب للطباعة والنشر.
  15. ينظر: الخصائص، ج 1 / 47.
  16. ينظر: الخصائص، ج 2 / 133. وينظر: مباحث في فقه اللغة العربية، ص 88.
  17. ينظر: دراسات في فقه اللغة، ص 186. وينظر: الخصائص، ج 2، ص 136.
  18. ينظر: أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية، ص 270. وينظر: فقه اللغة وسر العربية، لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، ت: مصطفى محمد، ص 564.

الاشتقاق اللغوي عند القدماء والمحدثين

19. ينظر: من قضايا فقه اللغة، ص 111
20. الخصائص، ج2/139.
21. الخصائص، ج 2/135. وينظر: دراسات في فقه اللغة، ص 186. وينظر: فصول في فقه اللغة العربية، ص 297.
22. الخصائص: 2/140.
23. الخصائص، ج2/139. فصول في فقه العربية، ص 297. دراسات في فقه اللغة، ص 186.
24. دراسات في فقه اللغة، ص 186. الخصائص، ج2/135. فصول في فقه العربية، ص 197.
25. ينظر: مباحث في فقه اللغة العربية:، ص 88. وينظر: أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية، ص 271.
26. الخصائص، ج 2/140.
27. دراسات في فقه اللغة، ص 195. وينظر: مباحث في فقه اللغة العربية، ص 90.
28. فقه اللغة وسر العربية، ص 564.
29. ينظر: مباحث في فقه اللغة العربية، ص 91.
30. الخصائص، ج 2/147.
31. المصدر السابق، ج 2/148.
32. المزهري في علوم اللغة، لجلال الدين السيوطي، ت: محمد أحمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل، وعلي محمد النجاري، ج 1/460. دار إحياء الكتب العربية.
33. ينظر: المصدر السابق، ج1/354.
34. المصدر السابق، ج1/460.
35. ينظر: المزهري، ج 10/460.
36. ينظر: مباحث في فقه اللغة العربية، ص 92.
37. ينظر: أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية، ص 272.
38. ينظر: فقه اللغة وسر العربية، ص 578.
39. ينظر: المصدر السابق، ص 578.
40. ينظر: المصدر السابق، ص 578.
41. ينظر: المزهري، ج 1/346، 35-36. وينظر: مباحث في فقه اللغة العربية، ص 86.
42. ينظر: المزهري، ج 1/353. وينظر: فصول في فقه اللغة، ص 293.
43. الاشتقاق، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، ت: عبد السلام محمد هارون، ص 179. مكتبة الخانجي.
44. المصدر السابق.
45. دراسات في فقه اللغة، ص 179.
46. المصدر السابق، ص 179.
47. فقه اللغة وسر العربية، ص 114.
48. ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين والبصريين والكوفيين لأبي البركات عبدالرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأمباري، ومعه كتاب الإنصاف من الإنصاف، محمد محي الدين عبدالحميد، ج1، 237، ط المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1987.
49. ينظر: مباحث في فقه اللغة العربية، ص 86.
50. فقه اللغة وسر العربية: 79؛ ينظر: مباحث في فقه اللغة العربية: 86.

51. فقه اللغة، ص79.
52. الخصائص، ج 2 / 140. فصول في فقه اللغة العربية، ص 297. دراسات في فقه اللغة، ص 188.
53. المزهر: 1 ج / 354. وينظر: مباحث في فقه اللغة العربية، ص 89.
54. فصول في فقه اللغة العربية، ص 298. وينظر: المزهر، ج 1 / 347.
55. ينظر: المزهر، ج 1 / 347. وينظر: فصول في فقه اللغة العربية، ص 298.
56. دراسات في فقه اللغة، ص 195.
57. فصول في فقه اللغة العربية، ص 298.
58. فصول في فقه اللغة العربية، ص 298-299.
59. فصول في فقه اللغة العربية، ص 300.
60. فصول في فقه اللغة، ص 30. وينظر: فقه اللغة، ص 268، وينظر: الصاحبى، ص 173.
61. فقه اللغة، ص 276.
62. فقه اللغة، ص 276.
63. الخصائص، ج 2 / 489-490.
64. الاشتقاق، ص 40.
65. المصدر السابق، ص 45.
66. فقه اللغة، ص 55.
67. المصدر السابق، ص 258.
68. ينظر: من قضايا فقه اللغة، ص 132-133. وينظر: فقه اللغة وخصائص العربية، ص 71. ينظر: دراسات في فقه اللغة، ص 177-178. وينظر: من قضايا فقه اللغة، ص 133.



## النظرية الاجتماعية في دراسة الأسرة (دراسة تحليلية)

د. بهية القمودي البشتي  
كلية الآداب/ جامعة الزاوية

### مقدمة:

إن الاهتمام بالأسرة كوحدة اجتماعية ليس حديثاً، فقد شغل بال الكثير من الفلاسفة القدماء من أيام كونفوشيوس وأفلاطون وأرسطو قبل أكثر من ألفي سنة، وإن لم تكن تلك الاهتمامات قد أسفرت عن دراسات علمية كالتى وصلت إلينا خلال منتصف القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. وأدى التغيير السريع في محاور الاهتمام بالأسرة من التركيز على أنماط الزواج والعلاقات والمشاكل الأسرية إلى ظهور مجالات جديدة كنتيجة لما تمر به المجتمعات من تحولات على مختلف المستويات، حيث تحول التركيز في دراسة الأسرة؛ بربطها بقضايا حديثة كتقسيم العمل والمكانة وتوزيع القوة وصناعة القرار...إلخ.

ومن هذا المنطلق، أصبحت الإطارات النظرية الرئيسية لدراسة الأسرة تتخذ طبيعة سوسولوجية متداخلة مع العديد من المداخل العلمية الأخرى كالأنثروبولوجيا الاجتماعية وعلم النفس الاجتماعي، فتطورت الأفكار المطبقة على ميدان الأسرة والزواج وأشكال ونظم الحياة العائلية وانتقلت من التركيز على الاهتمام بالماضي والتسلسل التاريخي، إلى الاهتمام بالواقع واستخدام المناهج العلمية في التناول لغرض الوصول إلى نتائج تكوّن أساساً لبناء النظريات السوسولوجية التي كان معظمها يتمحور حول وظيفة المجتمع الكلي كبناء يتكون من أنساق تعد الأسرة من أهم الأنساق الفرعية فيه.

بناءً على ما سبق، فقد تشعبت المداخل النظرية وتداخلت مدارسها الفكرية واختلف الباحثون في تحديدها لدراسة الأسرة، وإن كانت في مجملها قد ارتبطت باتجاهات ومدارس كبرى كالوظيفية والصراعية والتفاعلية الرمزية، فعند دراسة تاريخ تطور الدراسات الأسرية، نجد أنه انعكاساً لتطور الفكر في كل مرحلة، ولتطور الدراسات السوسولوجية بشكل خاص. وفي العموم، يمكن أن نقسم تاريخ الدراسات السوسولوجية إلى أربعة مراحل مرت بها<sup>1</sup>:

**المرحلة الأولى:** مرحلة ما قبل البحث، وتمتد حتى منتصف القرن التاسع عشر. وتضم هذه المرحلة الفكر العاطفي والخرافي.

**المرحلة الثانية:** الداروينية الاجتماعية، هذه المرحلة تمتد من منتصف القرن التاسع عشر حتى بداية القرن العشرين، ولقد تأثرت دراسات الأسرة بمناخ الداروينية.

**المرحلة الثالثة:** والتي تعد مرحلة نشأة العلم، فقد امتدت منذ بداية القرن العشرين حتى منتصفه، ولعل أكثر ما يميز هذه المرحلة هو الانتقال من الاهتمام بماضي الأسرة على حاضرها.

**المرحلة الرابعة:** وتمتد من عام 1950 وحتى وقتنا الحاضر، ومن أكثر ما يميز هذه المرحلة هو الاهتمام بالنظرية وتأييد الدراسات الكمية بطريقة أكثر منهجية.

وعلى هذا الأساس، فإنه في هذه الورقة البحثية سيتم التعرض لأهم الاتجاهات النظرية في دراسة الأسرة، مع توضيح أوجه التداخل والالتقاء والتناقض بينها كلما سنحت الفرصة لذلك لغرض الإلمام بأكبر قدر ممكن من تلك الاتجاهات النظرية الموجودة، هادفاً من ذلك أن يكون بداية لدراسات لاحقة تتناول جوانب أخرى للأسرة بشكل أكثر تركيزاً. وسيتم عرض المحاور وفقاً للمحاور التالية:

1. -الاتجاه التطوري: **The Development Approach**.
2. اتجاه دراسة الأسرة كنظام **The Family as a system Approach**.
3. الاتجاه البنائي الوظيفي – **The Structural Functional Approach**.
4. اتجاه التفاعل الرمزي – **The Symbolic Interactionism Approach**.
5. اتجاه التبادل – **The Exchange Approach**.
6. اتجاه التحديث – **The modernization Approach**.
7. الاتجاه الصراعى – **The Conflict Approach**.
8. الأسرة من المنظور الإسلامى.
9. اتجاهات مابعد البنيوية: أ- المقاربة النسوية في دراسة الأسرة .
10. مدخل القوة وصناعة القرار.
11. مدخل دراسة الموقف.

أولاً: الاتجاه التطوري **The Development Approach** (هنري مورجان Henry Morgan، مايرفورتس Meyer Fortes).

تمر الأسرة كمؤسسة اجتماعية في مسيرة حياتها بمراحل زمنية محددة: تبدأ بالزواج، ثم إنجاب الأطفال، ثم نضج الأبناء وزواجهم وتكوين أسر خاصة بهم، وتنتهي بوفاة الوالدين. أي المرور بحركة دائرية من النشأة والنمو والاضمحلال على غرار التفسير الكونتي لمراحل تطور المجتمعات<sup>(2)</sup>، وتعرف الأسرة وفقاً لهذا المنظور على أنها نظام دينامي تتجدد فيه الأدوار وتتغير بتغير مراحل النمو التي يعيشها أفراد الأسرة من ناحية، وبالتغيرات في دورة حياة الأسرة من ناحية أخرى، وفي هذا الإطار، يهتم أصحاب هذا الاتجاه بموضوعات مثل: دراسة طبيعة العلاقة بين أسرة التوجيه والأسرة الزوجية، والفرق بين أدوار الذكور وأدوار الإناث عبر دورة الحياة، ودراسة سلطة المرأة ونطاق مشاركتها في الأسرة عبر دورة الحياة، إلى جانب دراسة طبيعة العلاقة بين الأجيال في الأسر النووية والأسر الممتدة، وكذلك الاهتمام بدراسة فقدان الأسرة لسيطرتها على نمط الشخصية والقيم لأعضاء الأسرة في ضوء التغيرات السريعة المحيطة، ويعتبر هنري مورجان Henry Morgan أحد أهم المفكرين الذين تأثروا بالنزعة التطورية، فقد قدم في مؤلفه (أنظمة القرابة والمصاهرة في الأسرة البشرية – 1869) عرضاً لـ 139 نسفاً قريباً من أجزاء مختلفة من العالم، واستخلص منها أن كل أشكال الحياة الأسرية لها نفس الخصائص وتؤدي نفس الوظائف وتتطور على نفس المنوال، بصرف النظر عن اختلاف السياق الاجتماعي المحيط بها<sup>(3)</sup>. ويعتبر النمط الأمومي عند مورجان Morgan، أول أشكال الأسرة، وهو يقوم على الزواج الجماعي، ومن ثم يظهر نمط تعدد الزوجات وأخيراً الزواج الأحادي<sup>(4)</sup>، أما مايرفورتس Meyer Fortes (1906-1983)، عالم الأنثروبولوجيا الاجتماعية الشهير، فقد أكد في بحث له معنون بـ: الدورة التطورية العائلية، المنشور في عام 1958، على أهمية العامل التطوري كميكانيزم للحفاظ على منظومة العائلة، وبضع نموذجاً للتمييز بين ثلاث مراحل تمر بها الأسرة خلال تطورها وهي: مرحلة التوسع (تتكون من شخصين) مرحلة زواج أكبر الأبناء (كبدائية لتكوين أسرة جديدة)، والمرحلة الثالثة وهي مرحلة الاستبدال، أي استبدال أسرة التوجيه بأسرة أحد الأبناء<sup>(5)</sup>، وإلى جانب مورجانوفورتس، قدمت إيفلين دوفال Evelyn Duvall 1976 ثمان مراحل لتطور الأسرة أمام كل مرحلة مهام وواجبات لإشباع حاجات جسمية وعاطفية وثقافية واجتماعية لأفرادها، تبدأ المرحلة الأولى بالأسرة المبتدئة بدون أطفال وتنتهي بالمرحلة الثامنة وهي أسرة الشيخوخة<sup>(6)</sup> غير أنه يؤخذ على أصحاب هذا الاتجاه في دراسة الأسرة، اعتمادهم على تعميمات تكاد تكون في أغلب

**النظرية الاجتماعية في دراسة الأسرة (دراسة تحليلية)**

الأحيان خالية من التغيير المنطقي لسلسلة المراحل التي وضعها لتمر بها الأسرة، وحصراً في منظور تاريخي محدد بفترات زمنية، اتسمت كل مرحلة فيها بالتكامل والانسجام واستقرار الأسرة وقدرتها على التكيف مع التغيرات التي تحدث في المجتمع المتقدم، مع عدم الاهتمام بالمواقف وتأثيراتها بين الشخصيات المتفاعلة، فالتركيز بالنسبة لهذا الاتجاه ينصب حول وصف ومقارنة التفاعل الزوجي في مراحل مختلفة من تطور الأسرة ونموها فقط.

**ثانياً: اتجاه دراسة الأسرة كنظام The Family as a system Approach (موراي بوين Murray Bowen)**

يبحث هذا المدخل في أصل النظام الأسري وتطوره مع مقارنات عبر الزمان والمكان، وكثرت من خلاله الدراسات المعتمدة على الوصف والمقارنة في محاولة للوصول إلى تعميمات من خلال تتبع التطور الحاصل في الوظائف التي تؤديها الأسرة، فالأسرة حسب هذا المنظور، يتم التعامل معها كمتغير تابع وليس كمتغير مستقل له من التأثير المباشر وغير المباشر على بقية النظم ما يستحق التنبيه والدراسة، بحيث ينطلق من فكرة رئيسية مفادها: أن الأفراد لا يمكن فهمهم بمعزل عن بعضهم بل من خلال كونهم جزءاً لا يتجزأ من الأسرة التي ينتمون إليها، فالأسرة هي الوحدة العاطفية، كما أنها وحدة ترابط وتكافل أفرادها ولا يمكن فهم سلوكهم بمنأى عن النظام الأسري الكلي.

ويعتبر الطبيب النفسي موراي بوين Murray Bowen هو أول من قدم هذا الاتجاه لدراسة الأسرة في الخمسينيات وقد صاغ نظريته باستخدام نظم التفكير لدمج معرفة الجنس البشري كنتاج للتطور والمعرفة من خلال البحوث المتعلقة بالأسرة، كونها النظام الذي يلعب كل عضو فيها أدواره من خلال وجود فيها، وتلك الأدوار تخضع لقواعد احترام محددة وفق منظومة متوقعة الاستجابات، وكل دور يتم الاتفاق عليها بين أعضاء الأسرة، سواء كانت لكل المنظومة مباشرة أو يمكن التنبؤ بها. ومن أجل الحفاظ على الأسرة كنظام، يؤكد بوين Bowen على ضرورة العمل على خلق التوازن أولاً، وهذا التوازن لا يتحقق إلا من خلال الحفاظ على نمط السلوك داخل النظام، مع الوضع بعين الاعتبار أن ذلك السلوك المنمط قد يؤدي أحياناً إلى خلل وظيفي فالحفاظ على الأنوار الوظيفية تكون نتيجته دفع الأسرة نحو توازن مشروط بمدى استجابة مختلف الأعضاء لذلك السلوك، وأي تغيير في أي جزء من الأجزاء المكونة للأسرة يؤثر على الأشخاص جميعاً، باعتبار أن الغريزة العاطفية للأسرة النواة هي المسيطرة على المواقف السلوكية للأفراد. كما أن التغيرات التي تحدث في نظام الأسرة إنما تحدث لسببين: تغيرات اسمية أي يمكن التنبؤ بها كتغيرات لدورة الحياة، وتغيرات غير معيارية كالأزمات (7).

**ثالثاً: الاتجاه البنائي الوظيفي – The Structural Fauctional Approach (جورج ميردوك George Murdock و تالكوتبارسونز Talcootparsons " 1902 - 1979)**

يسعى الاتجاه البنائي الوظيفي في تناوله للأسرة إلى توضيح وجود الأسرة، باعتبارها جزء من كيان المجتمع، تتكون من أنساق فرعية مترابطة بعلاقات تبادلية داخلية وخارجية، كما أن لها وظائف اجتماعية تقوم بها كمتطلبات وظيفية لكونها نظام اجتماعي من ضمن أنظمة وأنساق البناء الاجتماعي الكلي (المجتمع). فالأسرة حسب وجهة نظر هذا الاتجاه، جماعة صغيرة لها خصائص وسمات تشترك فيها مع الجماعات الصغيرة الأخرى، ويتم تبادل الخدمات فيما بينها من خلال الوظائف المؤداة والتي تخدم الصالح العام، أي إشباع الوظائف أمر ضروري لوجود النسق الأسري واستمراره، وتلك الوظائف يمكن تلخيصها في الآتي: وظائف الأسرة بالنسبة للمجتمع، ووظائف

### النظرية الاجتماعية في دراسة الاسرة (دراسة تحليلية)

الأنساق الفرعية داخل الأسرة بالنسبة للأسرة ككل أو لبعضها البعض، وظائف الأسرة بالنسبة لأفرادها باعتبارهم أعضاء فيها<sup>(8)</sup>.

من هنا، فإن الأسرة ليست بناءً مستقلاً مغلقاً ومنعزلاً، ولكنها نسق داخل البناء لها وظائفها وأوارها التي يركز عليها الموظفون كثيرون، والتي تهدف في النهاية إلى تحقيق توازن الأسرة واستمرار النظام.

ويعتبر جورج ميردوك – George Murdock، أحد رواد هذا الاتجاه، وقد حلل الأسرة بنائياً ووظيفياً، من خلال توضيحه للقواعد الأساسية المحددة لطبيعة البناء الأسري عامة، وتشتمل على قواعد: الزواج (أحادي أو متعدد)، النسب (القرابة: حقوقها وواجباتها)، الإقامة (بتوفر عنصر الاختيار أو عدمه)، ونسق لمصطلحات القرابة تحدد العلاقات كالمصاهرة وغيرها.

كما قام ميردوك Murdock في الأربعينيات من القرن العشرين، بإجراء مقارنة لبيانات كان قد جمعها من 250 مجتمعا بشريا من مختلف أنحاء العالم مرتكزة على الالتقاء الثقافي لهذه المجتمعات، فوجد أن للأسرة كبناء له وظائف قاربت أغلبها على الانسحاب من الأسرة كمصدر رئيسي لأدائها، قائلاً: "الأسرة جماعة اجتماعية بشرية عالمية Universal"<sup>(9)</sup>، بمعنى أن للأسرة وظائف تقوم بها ووظائف ما زال عليها القيام بها من منطلق كونها أفضل مؤسسة يمكن أن تساهم في استمرار الوجود الإنساني للمجتمعات. وتتخلص الوظائف الرئيسية التي حددها ميردوك للأسرة في: وظيفة التنشئة الاجتماعية، ووظيفة التعاون، ووظيفة الإنجاب، ووظيفة الإشباع الجنسي<sup>(10)</sup>. وكل ما سبق يتحقق في إطار منظومة قيمية هدفها الحفاظ على الأطر الثقافية التي تحمل القيم الموجهة للسلوك الأسري ضمن نظام يؤدي وظائف متكاملة.

غير أن تلك الوظائف الأربعة التي حصر فيها ميردوك الأسرة كنسق عليه القيام بها لضمان استمرار وجوده ضمن البناء الاجتماعي الكبير (المجتمع)، قد أصابها الفتور إن لم نقل يكاد يُسحب بعضها من الأسرة، بمعنى أن الأسرة قد تحقق تكيفا ناجحاً داخل المجتمع بوظيفتين فقط وهما الإشباع الجنسي والإنجاب، تاركة الوظيفة الاقتصادية للمؤسسات الخدمية والإنتاجية الأخرى، والوظيفة التربوية ظهرت مؤسسات الأسرة، كالمدرسة، والمؤسسة الدينية، وتقوم بتمرير ما كانت تمرره الأسرة لأفرادها من قيم وثقافة ومعايير توجه السلوك الإنساني.

كما نشير هنا إلى وجهة نظر أرنست برجس أحد مفكري مدرسة شيكاغو، والذي يرى أن التغيرات البنائية العامة التي حدثت وتحدثت في المجتمع الاجتماعي، تتعكس على نمط الأسرة وعلى طبيعة التفاعل داخلها، فتلك التغيرات أدت إلى تحلل الأسرة كمؤسسة "Institution" تؤدي وظائف عديدة، فلم تترك هذه التغيرات للأسرة إلا وظيفة تحقيق السعادة والتكامل الشخصي للأفراد، ولذلك فإنها لم تعد مؤسسة بقدر ما أصبحت رابطة صداقة "Companionship"<sup>(11)</sup>.

أما عالم الاجتماع الأمريكي تالكوتبارسونز Talcootparsons " 1902 - 1979، فقد نظر إلى الأسرة بوصفها نسقاً اجتماعياً<sup>(12)</sup>، يتألف من أفراد في الأسرة النووية، والجماعات الصغيرة فيما يتعلق بالأسرة الممتدة. فالأسرة بدورها هي نسقاً فرعياً يدخل في إطار نسق اجتماعي أكبر هو المجتمع. ويؤكد بارسونز على أن لكل أسرة كنسق بناء اجتماعي يتألف من أربعة عناصر، تتخذ لها ترتيباً متدرجاً يربط كل منها بالآخر، وهي القيم Values و المعايير Norms والتجمعات Collectivities والأدوار Roles.<sup>(13)</sup>

كما يصنف بارسونز أربع مكونات رئيسية للبناء الأسري من خلال تقسيمه لبناء الفعل الاجتماعي<sup>(14)</sup>، يتصل الواحد بالآخر ويتكامل فيما بينها، وهي: النظام الثقافي Cultural system الذي يتكون من الأفكار، والمعتقدات، والقيم، والعادات، والتقاليد، والقوانين،

النظرية الاجتماعية في دراسة الاسرة (دراسة تحليلية)

والتكنولوجيا، والمعارف العلمية.. الخ. والنظام الاجتماعي Social system، وهو النظام الذي يتفاعل فيه عدد من الأشخاص الموجهين نحو هدف معين. وإقامة النظام الاجتماعي كأساس لبناء الأسرة، ينبغي توافر عدة شروط أهمها: ضرورة توافر عدد كافٍ من الأفراد الذين يمثلون دعائم النظام الاجتماعي، وضرورة حدوث تفاعل ديناميكي، ومستمر بين هؤلاء الأشخاص، بالإضافة إلى امتلاك هؤلاء الأعضاء لأنماط ثقافية مشتركة في معناها، مما يسهل عملية التفاعل بينهم. ثم نظام الشخصية Personality system وهو عبارة عن نظام للصفات الميول، والاتجاهات، والحاجات، فهذه السمات المميزة لشخصية الفرد تكون مبتكرة، ومتعلمة من خلال تفاعل الفرد مع الآخرين، أو مع جماعات من الأفراد، فنظام الشخصية نسق رئيسي في تكوين الدافعية اللازمة للنسق الاجتماعي. وأخيراً، نظام الكائن العضوي organicbeing system المتكون من المتغيرات البيولوجية، والفيزيائية، للكائن العضوي، مثل غرائزه ودوافعه وغير ذلك من العمليات البيولوجية لبقائه حياً. وفضلاً عن هذه المكونات البنائية للنسق الأسري، هناك عمليات محددة تدعم الأسرة وتؤدي إلى تغييرها أحياناً، وهي بمثابة متطلبات وظيفية أساسية يتعين على كل نسق من هذه الأنساق أن يواجهها إذا ما أراد البقاء، ويحددها بارسونز في<sup>(15)</sup>:

1- الكمون Latency أو المحافظة على بقاء النمط pattern maintenance،  
2 - التكامل Integration، وهو على العكس من التكيف وتحقيق الهدف يهتم بموضوعات داخل النسق.

3 - تحقيق الهدف Goal Attainment، ويتمثل في حشد الموارد من أجل تحقيق أهداف الأسرة ككل.

4 - التوافق أو المواءمة Adaptation، يشير إلى ضرورة تكيف الأسرة أو تلاؤمها مع البيئة الاجتماعية والطبيعية التي تعيش فيها، من خلال عملية التبادل بين الأنظمة الأخرى في المجتمع وبذلك نرى بأن كل نظام من أنظمة الفعل الاجتماعي عند بارسونز ينقسم إلى أربعة أجزاء، حيث يعمل كل جزء على مقابلة حاجة وظيفية معينة، تكون لازمة لبقائه، وكما يرى بارسونز، أن الوظائف التقليدية التي كانت تقوم بها الأسرة قد تقلصت إلى وظيفتين فقط وهما: وظيفة التنشئة الاجتماعية بالنسبة للأطفال حتى يندمجوا ويستدمجوا في المجتمع الكبير، ووظيفة تحقيق الاستقرار للأفراد الكبار في الأسرة. ولكنه قد نظر إلى هذا التقلص بأنه لا يشكل خطراً يهدد الأسرة ولا يعني انحسارها، وإنما هو عملية تغير تمر بها الأسرة شأنها شأن باقي الأنظمة الأخرى في المجتمع التي تقلصت وظائفها واستمرت في البقاء<sup>16</sup>.

وعلى الرغم بما لنظرية بارسونز من أهمية علمية، وما أسهمت به من أفكار وقضايا نظرية في إثراء المعرفة الإنسانية، وما أضفاه من محاولات لإيجاد تفسيرات لما تمر به الأسرة، وتحديداً نظام القرابة في الأسرة الأمريكية المعاصرة، واعتبارها منظومة فرعية وثيقة التشابك مع سائر المنظومات الفرعية ومع المجتمع بوصفه كلا واحداً؛ إلا أن أفكاره قد تعرضت لمجموعة من المآخذ كالتالي وجهها له "بول ريس"، حيث يرى أن وجهة نظر بارسونز الخاصة بالانعزالية النسبية لأسرة النووية كوحدة نموذجية في المجتمع الصناعي الحديث لا تكاد تطبق حتى على المجتمع الأمريكي نفسه، حيث أثبتت الدراسات التي أجريت لاحقاً في المجتمع الأمريكي أن الأسرة النووية غير منعزلة وأن الأفراد يحافظون على استمرارية علاقتهم بنوي قربانهم<sup>(17)</sup>، كما أثبت الإنجليز بيتر لازلت Peter Lazelt، والأمريكي جرينفيلد Greenfield، من خلال دراستهما، أن الأسرة النووية وجدت قبل مرحلة التصنيع، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن التصنيع لا يقود مباشرة إلى ظهور الأسرة النووية، لأن الآلات لا تصنع البنى الاجتماعية<sup>18</sup>، وعلى الرغم من

**النظرية الاجتماعية في دراسة الاسرة (دراسة تحليلية)**

تأكيد تالكوتبارسونز على إن نظام العائلة النووية المعزولة والمكونة من زوج وزوجة وذريتهما، المقيمين باستقلال عن عائلاتهم القرابية هو النموذج الأمثل لملاقاة الطلب على العمل والحراك الجغرافي في المجتمع الصناعي الحديث، وفي هذا النظام فإن الالتزامات المتبادلة والتفاعل وتربية الأطفال تتم داخل العائلة النووية نفسها بينما تفقد الروابط مع جماعة القرابة دلالتها صيانة العائلة الزوجية المفردة، إلا أن هذا جعل المنتقدين يرون أن هناك تهديدا لنسق الأسرة النواة لكي تستمر في الوجود، حيث هناك أسبابا كامنة وراء ذلك التهديد يلخصها هشام شرابي في أن الأسرة هي نتيجة للتحويل الاقتصادي وقوة محرركة له والتحول السياسي إذ حلت الدولة والمؤسسات العامة والخاصة محل العائلة، وفيها تنقهر العلاقات الرأسية التقليدية بسبب تحصيل الأبناء العلمي واكتسابهم لمهارات محددة فيحققون بذلك استقلالية وحرية فما عادوا يعتمدون على آرائهم وهنا يجد الأب نفسه مجبراً على الدخول في علاقة جديدة في منزله ومع كل فرد من أفراد أسرته إذ أن استقلالية الأفراد الاقتصادية لها انعكاساتها على الأغلب من حيث استقلالية الأفراد الاجتماعية ونزوعهم نحو الحرية وحق الاختيار بعيداً عن تدخل الأسرة<sup>(19)</sup>، وكما يرى العديد من المحللين أنه لا يمكن تعميم النتائج التي توصل إليها بارسونز، لأنه أجرى بحثه في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي بلد يمتاز بحراك جغرافي كبير، كما أن تحليلاته كان مرتكزة على الملاحظات التي لاحظها عن الطبقات العليا والوسطى فقط، وبالتالي أغفل الطبقات الدنيا والجماعات الأثنية المختلفة التي تكون المجتمع<sup>20</sup>.

**رابعا: اتجاه التفاعل الرمزي The Symbolic Interactionism Approach (جورج هربرت ميد George H. mead و هربرت بلومر Herbert Blumer)**

ينظر هذا الاتجاه للأسرة على أنها وحدة من الفاعلين الذين يعيشون في بيئة رمزية خاصة (الأسرة)، وفي بيئة أخرى عامة (المجتمع المحيط) بهم. ويركز من هذا المنطلق، على دراسة العلاقات بين الزوج والزوجة، وبين الوالدين والأولاد فالأسرة كيان متحرك ودينامي، ويتم تفسيرها من خلال عمليات الزواج والتنشئة الاجتماعية وغيرهما، كعمليات ذات تفاعلات ناشئة عن وحدة متحركة وليست ثابتة<sup>(21)</sup>.

وتدعو هذه النظرية إلى استقصاء الأفعال المحسوسة للأشخاص، مع التركيز على أهمية المعاني وتعريفات المواقف والرموز، والتفسيرات ... إلخ. ذلك لأن التفاعل بين بني الإنسان وفقا لهذا المنظور يتم عن طريق استخدام الرموز وتفسيرها والتحقق من معاني أفعال الآخرين<sup>(22)</sup>، يعتبر جورج هربرت ميد George H. mead، المؤسس الفكري والنظري الرئيسي لاتجاه التفاعلية الرمزية، وقد حوصلت أفكاره في كتابه (العقل، والذات والمجتمع 1962/1934)، يرى ميد، أن "الفعل" هو الوحدة الأساسية لدراسة التفاعل الاجتماعي، وهذا الأخير يولد المعاني المشكّلة للعالم المحسوس حولنا، وهي متغيرة ومتطورة بشكل يجعل العالم يتغير بتغيرها. وقد حدد مستويين للتفاعل الاجتماعي في المجتمع الإنساني هما: المحادثة بالإشارة، واستخدام الرموز ذات الدلالة<sup>(23)</sup>، ويتحدد سلوك البشر عند "ميد"، من خلال عالمهم الرمزي المليء بالمعتقدات والقيم، وهي أساسية أبنيتهم العقلية، ومن تم فإن سلوكهم يُفهم في ضوء متغيرات عقلية وليس في ضوء متغيرات بيولوجية (العقل)، كما يستجيب الإنسان لذاته من خلال قدرته على الاستجابة للآخرين ضمن إطار العملية الاجتماعية اللازمة لتطور العقل. أما المجتمع، فهو ليس أكثر من تنظيم اجتماعي يظهر فيه العقل والذات، وأنماط التفاعل البشري المختلفة والتي يعتبر فيها محور العلاقات الاجتماعية القائمة على الفهم العقلي للرموز والأحكام القيمية، وعبر الرموز يتمكن الإنسان من التواصل مع الآخرين، تلك الرموز هي التي يحرص المجتمع على نقلها للفاعل الاجتماعي عبر قنوات الثقافة، مما يعطي

### النظرية الاجتماعية في دراسة الأسرة (دراسة تحليلية)

للمجتمع أسبقية الوجود على الفرد، فالفرد يكتسب رموزه وقيمه من مجتمعه ومن خلاله تتشكل ذاته الفاعلة. وتستمدح المعاني والرموز في ذوات الأفراد وتصبح جزءاً لا يتجزأ من تكوينهم الداخلي. بشكل عام، يتأثر أعضاء الأسرة ويؤثرون عن طريق الرموز، والاتصال هو المفهوم الأساسي الذي تنتقل من خلاله الرموز، ويستجيب أفراد الأسرة بصورة رمزية للمواقف المتبادلة بينهم وفقاً للمثيرات الاجتماعية التي تحكم ذلك الموقف.

ولا يختلف هربرت بلومر – **Herbert Blumer**، في تحليلاته عن ميد، حيث تركز نظريته على ثلاث مقدمات منطقية وهي<sup>(24)</sup>: إن البشر يتعاملون مع الأشياء على أساس ما تعنيه لهم من معاني، وتشتق المعاني عن التفاعل الاجتماعي من المجتمع الإنساني، ومن ثم، يمكن له أن يتناول تلك المعاني ويعد لها وفق الإشارات والأشياء التي تصادفه.

ولقد حث بلومر Blumer على ضرورة أن يضع الإنسان نفسه مكان الآخرين حتى يفهم وجهة نظرهم والتي لا تخرج عن إطار التفاعل الاجتماعي المتضمن للعمليات التي تحدث بين الأفراد والتي حددها مستويين هما: التفاعل غير الرمزي (استخدام الإشارة)، والتفاعل الرمزي (استخدام رموز الدلالة).

مما سبق عرضه، نلاحظ أن تركيز اتجاه التفاعل الرمزي كان منصبا حول تفسير سلوك الأفراد، كما ينضبط ويتأثر ويتحدد عن طريق المجتمع من جهة، ومن جهة أخرى حول تفسير كيفية انضباط أعضاء الجماعة (كالأسرة مثلا) عن طريق جماعتهم. وفي ذات الوقت الاهتمام بالمراكز التي يشغلها أولئك الأعضاء ومدى قيامهم بأدوارهم المنوطة من خلالها. فعلاقات الزوج والزوجة والأبناء والأدوار التي يحكمها داخل المواقف الزوجية وما تمثله من خلال التنشئة الاجتماعية، كلها مظاهر مختلفة لتفاعل الأسرة في شكل عمليات اجتماعية<sup>(25)</sup>.

إن تركيز التفاعلية الرمزية على البنى الضيقة النطاق كالمعاني، الرموز، الفعل، والتفاعل، جعلهم يتجاهلون البنى الواسعة للنظام كالنطاق الاجتماعي، والمجتمع، والثقافة وما لها من تأثيرات على السلوك، أي أنها لكي تصبح نظرية سوسيولوجية متكاملة حسب وجهة نظر شلدون سترايكر Sheldon Straycer، يجب أن تركز على البنى ذات المدى الضيق والواسع معا، أي أن ترتبط بين مستوى الشخص (النظام الضيق) وإلى مستوى البناء الاجتماعي (الواسع النطاق) والعودة ثانية إلى مستوى الشخص<sup>(26)</sup>.

### خامساً: اتجاه التبادل – **The Exchange Approach** (كلود ليفي شتراوس – **Claude Levi Straus** و جورج هومانز **George homans**)

تُفهم الأسرة في ضوء نظرية التبادل على أنها مجموعة من الفاعلين يعيشون حياة مشتركة لأنها تحقق لهم أعلى درجة من الفائدة وأقل قدر من الخسارة، ويعتبر الجانب المعنوي هو أساس التبادل بين الأعضاء أكثر من الجانب المادي في ضوء عملية واضحة لإدراك أهمية وجود كل عضو، ويهتم الأفراد بالحصول على أكبر قدر من المنفعة وتجنب السلوك المكلف، ومن ثم فسلوكياتهم تبنى على هذا الأساس أي حساب العائد والتكلفة لاختيار أفضل البدائل في ضوء الإدراك المستقبلي أحيانا لحثثيات الموقف ونتائجها.

فلا تفهم عملية التبادل حسب المنظور المادي الاقتصادي في سوق العمل بالربح والخسارة، فقد ترتبط التكلفة والعائد بمصادر معنوية بحثة كالبحت عن جذب الانتباه والاستقلال والأمن والمساواة... إلخ.

### النظرية الاجتماعية في دراسة الأسرة (دراسة تحليلية)

كما تركز عملية التبادل على توقع رد المنفعة، بمعنى أن يتم التبادل في ضوء قيم ومعايير مجتمعية تحكم "التبادلية المعممة" *Generalized reciprocity*، ويقوم السلوك البشري على العقلانية سواء كان على المستوى الفردي أو بين الجماعات والمؤسسات<sup>(27)</sup>. وقد قدم **كلود ليفي شتراوس Claude Levi Straus**، نظريته التبادلية على فرضيتين أساسيتين هما: أن التبادل الاجتماعي عملية إنسانية متميزة راقية برقى الجنس البشري ذاته وتميزه عن غيره من المخلوقات، بالإضافة إلى أنه لا يمكن تفسير التبادل الاجتماعي من خلال المصلحة الفردية فقط لكي تستمر العلاقات الاجتماعية؛ وإنما هناك القوى الجماعية والثقافية التي تحكم دورها مسألة التبادل الإنساني كمسألة رمزية لا مجرد مصلحة ذاتية فردية قائمة على حاجات اقتصادية ونفسية.

ويرى **شترائوس Straus** أن بناء الأسرة يعتمد على المرأة، فالابنة هي التي تترك أهلها حاملة معها إرث عائلتها المادي والقرابي والرمزي، وعليه فإن البناء الأسري يقوم على الزوجة القادمة من خارج العائلة البيولوجية<sup>(28)</sup>.

أما جورج هومانز - **George Homans**، فقد عرض أفكاره النظرية حول التبادل الاجتماعي في كتابه "السلوك الاجتماعي: أشكاله الأولية" الذي نشره عام 1961، وتتلخص وجهة نظره في أن دراسة السلوك الفردي والتفاعل الاجتماعي هي الأساس الذي يقوم عليه علم الاجتماع. فهناك أنماط تدعم وتعزز السلوك كالمكافآت "Rewards"، والتكاليف "Costs" التي تقود الناس إلى أن يسلكوا سلوكاً معيناً.

فالسلك الاجتماعي عند **هومانز Homans** هو عملية تبادل للنشاط المادي والغير المادي، النشاط المريح ونشاط الخسارة، فتوقع النجاح أو الربح هو المفترض قبل دخول أي عملية تفاعل مع وجود الحافز، وخاصة إذا كان هذا الحافز له ماض قد نال من خلاله مكافأة مرتبطة بقيمة الفعل. أما عندما لا ينال فعل الشخص المكافأة التي توقعها؛ فإن السلوك سيكون مأسوفاً عليه وقد نتج عنه احتمالية القيام برد فعل عدواني. كل تلك المراحل التي تسبق وتختل وتختم السلوك تتم حسب وجهة نظر هومانز بإشراف عقلائي هدفه الحصول على أعلى قدر ممكن من المكاسب، في مقابل أقل مستوى من التكاليف، فالفعل المرغوب يكرر، والفعل المعاقب عليه يتوقف<sup>(29)</sup>.

سادساً: اتجاه التحديث - **The modernization Approach** و**وليام جود William Goode** و**رونالد فليتشر Ronald Fletche**

ينطلق هذا الاتجاه من مسلمة رئيسية مفادها: أن التصنيع والتقدم التكنولوجي تظهر اختلافاتهما وتأثيراتهما في حياة الناس مباشرة، وليس فقط على الصعيد المجتمعي أو العالمي، فالتحديث يؤدي إلى تباين وتمايز الوظائف الاجتماعية، ويتم تحقيق توازن ذلك التباين والتمايز من خلال تقدم عملية الحداثة.

فالأسرة حسب وجهة نظر هذا الاتجاه كمؤسسة لها من الوظائف التي عليها القيام بها ما يجعلها تمتاز بخصوصية دون باقي المؤسسات في المجتمع، وتخضع لعمليات تحول نحو الأفضل من أمانة مع ما يسير عليه المجتمع الكبير بكافة أنظمتها، فالتحول الكلي للمجتمع التقليدي (أو ما قبل الحديث) إلى مجتمع من النوع التقني والتنظيم الاجتماعي الذي يميز أهم الدول المتقدمة المزدهرة اقتصادياً والمستقرة نسبياً سياسياً؛ هو جوهر عملية التحديث حسب ما يرى مفكره. وهذا الوضع هو الذي ظهرت من خلاله الأسرة النووية الحديثة، التي تركز حولها معظم وأغلب دراسات مفكري اتجاه التحديث، باعتبارها أكثر الأشكال ملائمة للصناعة وللإقامة في المجتمع الحضري الصناعي، وتتفق إيديولوجيتها بتساوي أفرادها في الحقوق والواجبات مع ما يوفره نمط الحياة الحديثة من



النظرية الاجتماعية في دراسة الأسرة (دراسة تحليلية)

تحرر من قيود المكان وتوفير فرص العمل وتحقيق المساواة، فلم تعد الأسرة مرتبطة اقتصاديا بمكان الإعاشة كما هو الحال في ارتباط الأسرة الممتدة بمكان الإقامة.

يعرض **وليام جود William Goode**، في كتابه (الثورة العلمية وأنماط الأسرة) أن دول العالم التي أصبحت صناعية ومتحضرة تتحول أنساقها الأسرية في اتجاه نسق الأسرة الزوجية (النووية) وهو يرى ملاءمتها للمجتمع الصناعي الحديث، مجادلا بأنه في كل أنحاء العالم هناك ميلا لأن تكون عملية التصنيع مصحوبة بتحول سريع أو بطئ نحو ما اسماه بالأسرة الزوجية، فهي النموذج المثالي لاتصافها بالاستثناء النسبي لمدى واسع من الأقرباء بالدم، أو بالمصاهرة من شؤونها اليومية كما يقول **جود Goode** (30).

كما يرى أن هناك ميكانيزمات في نمط الأسرة النواة تعتبر أساسية لوجودها واستمرارها وتناغمها مع متطلبات الحياة في المجتمع الصناعي الحديث، والتي أهمها الاستقلالية الذاتية للأفراد المكونين لهذا النمط من الأسرة وتمتعهم بالحرية في التنقل والتحرك الجغرافي، واختيار موطن الاستقرار، الأمر الذي يجعلها تتباعد عن الجماعات الأسرية الممتدة، فتضعف بالتالي وأصر العلاقات معها، وتصاب بالفنور، وفقدان الولاء لها. ومن أهم مميزات تكيفها مع الوضع الحديث أيضا حسب ما يرى جود، هو الاتجاه نحو تقليص حجمها من خلال تأخر سن الزواج تماشيا مع عملية التصنيع التي تتطلب توفر نوع من الاستقلالية وحرية الحركة (31).

ومن جهة أخرى، يؤكد رونالد فلنشر – **Ronald Flecher** (32) على أن الدولة في المجتمع الصناعي الحديث، لم تسحب وظيفة الرعاية الصحية من الأسرة، بل ساهم النظام الصحي في مساعدة الأسرة على توفير الرعاية الصحية لأفرادها وجعلهم أكثر وعيا بأهمية الصحة والنظافة في المنزل مما يشكل دعما إضافيا لها. ومقارنة بالماضي، يؤيد فلنشر أن الأسرة الحديثة ما زالت تحافظ على وظيفتها اقتصاديا في شكل تحولها من وحدة إنتاجية إلى وحدة استهلاكية، بالرغم من فقدانها البعض من وظائفها الحيوية، ولاسيما في حالة الأسرة التي تنفق أموالها على كل العائلة وليس على فرد واحد فيها فقط، ويؤيد كل من " يونغ Yong" ويلموت "Yelmot" هذه النظرة الاقتصادية لوظيفة الأسرة الحديثة، من حيث اعتبار أن الأسرة بصفتها مستهلكا جعلت هناك تحالفا مع التكنولوجيا والتقدم الصناعي، فالصناعة تحتاج للاثنتين : السوق للبيضاة، والقوة العاملة ذات الدوافع، وذلك من خلال إقبال الأسرة على شراء السلع الاستهلاكية كأجهزة الكمبيوتر، والأجهزة الحديثة في المنزل لتحسين نوعية الحياة الأسرية، ويبدو من الوهلة الأولى للعرض السابق لأفكار اتجاه التحديث، أن **جود Good** قد تبنى الرؤية البارسونية في تحليل العلاقة بين الأسرة وعملية التصنيع، وأن ما يحدث هو عبارة عن عملية تباين من شأنها أن تؤدي إلى المزيد من الوحدات المتخصصة لغرض لقيام بوظائف محددة من شأنها أن تساعد الأسرة في أن تتخصص هي بالتالي في تقديم وظائف خاصة بها، ولكن سؤال المطروح هنا: هل تعتبر الأسرة النووية هي الوليدة الشرعية لعملية التصنيع، أم أنها ساعدت على تموه وتطوره؟ هذا الاستشكال هو ما دفع **جود Jood** في كل كتاباته توخي الحذر من عدم منح الأولوية لأي منهما، فنظر إليهما باعتبارهما مسببان متلازمان وليس أحدهما نتيجة للآخر.

ويعطي جود هنا مثالا على تأثير الأسرة على عملية التصنيع بالأسرة اليابانية التقليدية، والأسرة الصينية ودورها في التطور الصناعي للبلدين، حيث توصل في دراسته إلى أن الاختلافات في نظامي الأسرتين هي السبب في تباين مستوى التصنيع بينهما وفي تقدم اليابان في بداية القرن العشرين. 33.

النظرية الاجتماعية في دراسة الاسرة (دراسة تحليلية)

كما نجد أن فلتشر Flecher قد حاول من خلال التفاوض بهذا النموذج المثالي للأسرة الغربية الحديثة، التوضيح بأن الأسرة الحديثة تعيش حياة أفضل مقارنة بالأسر التي قبلها، وهذا تقديم بعيد عن الواقع؛ فمن النادر وجود توافق تام بين الأسرة والفرد والمجتمع على الشكل الذي تقدم به فلتشر ومن سبقوه، والدليل على ذلك ما تتعرض له الأسرة الغربية من عدم اتزان وتوافق مع بقية المؤسسات والأنظمة في المجتمع الحديث، الأمر الذي أظهر من المشاكل ما لا حصر له كنتيجة للتغيرات الهامة في بنيتها ووظائفها التي أدخلتها في تحديات صارمة مع عملية التوازن المطلوب.<sup>(34)</sup>

سابعا: الاتجاه الصراعى – The Conflict Approach فريدريك إنجلز Frederick Engles و رالف داهرنورف – Ralf Dahrendorf

ينطلق هذا الاتجاه من مسلمة رئيسية مفادها أن التباين والاختلاف والتناقض هو من الأمور الطبيعية سواء في محيط الأسرة أو المجتمع ككل. وهذا الوضع ناتج بدون شك من التوزيع غير العادل للسلطة والقوة والسيطرة مع اختلاف مفاهيمها ومضامينها حسب الوحدة الاجتماعية الموجودة فيها، وهذا دليل على أن تلك الوحدات بصورة منظمة تخلق الصراع. يفترض أصحاب هذا الاتجاه أن اختلاف الآراء وتنوع الأهداف في الأسرة هو الذي يجعلها في حالة صراع مستمر ما دام هذا الاختلاف سببه تباين الأدوار المبني على أساس النوع والجنس الذي هو سبب ونتيجة في نهاية الأمر.

إن الطبيعة الديناميكية لحياة الأسرة هي محور الاتجاه الصراعى، والعوامل الخارجية ما هي إلا قوى تغيير رئيسية تتمثل في تغير الأحوال الاقتصادية، والبنى الاجتماعية وعلاقات السلطة، وكلها في مجملها تؤدي إلى صراع المصالح الفردية التي تنتم به الحياة الاجتماعية التي تسعى في نهاية المطاف لتحقيق التوازن، ولكن عن طريق تخطي مرحلة صراع إلى مرحلة أخرى،<sup>(35)</sup> بغض النظر عن الاهتمام بالكيفية التي تؤدي إلى مواجهة الصراع التي تقود بالنتيجة إلى التوفيق بين الأدوار.

تنشأ في محيط الأسرة تحديدا، الصراعات بين الأزواج بسبب عدم العدالة في توزيع الموارد والوظائف والسلطة، أي بسبب وجود عدم المساواة في العلاقات بين الزوجين التي ستتطور إلى وجود صراع بسبب المكانة والدور بين أفراد الأسرة جميعهم، فالأسرة من وجهة نظر الصراعيين لا يمكنها أن تشبع حاجات أفرادها جميعا ولوحدها، بل عليها الاستعانة بجماعات أخرى. إن المصلحة وتحقيق الأهداف هي محور الصراع داخل الأسرة، وليس فرضا على الأسرة – حسب رأي الصراعيين – توفير الدعم العاطفي لجميع الأفراد، بل إن على الأفراد أنفسهم السعي لتحقيق التوازن من خلال خلق أهداف عامة مشتركة بينهم يستغلونها للمحافظة على وحدة الأسرة ليكون الصراع في هذه الحالة لا يحمل أي أغراض تدميرية هدفها القضاء على نوع الأسرة، بل يعمل أفرادها المتصارعون على تحاشي الصراع وتنظيمه، وفي حالة فشلوا في ذلك، فإن عليهم لعمل على إدارة الصراع بشكل يكون محقق لأهداف جميع أفراد الأسرة ككل بالرغم من استمراره في محيطها الداخلي والخارجي. وفيما يلي سنعرض لاثنتين من روافد الفكر الصراعى اللذين أسهما مساهمة مباشرة في تأسيس فكر سوسيولوجي متعلق بالأسرة وهما فريدريك إنجلز Frederick Engles، و رالف دار ندرورف Ralf Dahrendorf.

ينطلق فريدريك إنجلز Frederick Engles في تحليلاته حول الأسرة في نظرية الفكر الشيوعي في العصر الحديث التي أسهم في تطويرها كارل ماركس، وقد وضع مع الأخير النظرية

النظرية الاجتماعية في دراسة الاسرة (دراسة تحليلية)

الماركسية المعروفة في كتيهما الشهيرة : الأسرة المقدسة 1845، والإيديولوجيا الألمانية 1846، والبيان الشيوعي 1848.

إن الفكرة الرئيسية حول أهمية دور الأسرة عند إنجلز تتمحور في أن إنجاز الوظائف المنوطة بالأسرة القيام بها اجتماعيا أمر مسلم به، ولكن هذا لا يعفي الأسرة بأنها أول مؤسسة تمارس الاضطهاد على الفرد المتمثل في الصراع بين الجنسين الرجل والمرأة، الزوج والزوجة، الأخ والأخت، ويشير إنجلز إلى ذلك في كتابه المشهور: (أصل العائلة، الملكية الخاصة، والدولة) بقوله: "إن الزواج يمثل نمونجا راقيا للعداوات التي ظهرت في التاريخ حيث أن تطور وازدهار مجموعة محددة يتم على حساب اضطهاد مجموعة أخرى"<sup>(36)</sup>.

ويعتقد إنجلز أن نمط الأسرة الاشتراكية الذي كان سائدا وكانت فيه المرأة هي صاحبة السلطة في المنزل، قد تغير إلى نمط الأسرة الأبوية الذي أصبحت فيه السلطة للرجل لأن ميزان الميراث قد تغير عندما أصبح الرجل هو الوريث للثروة الجديدة. وبظهور نمط الأسرة ذات السلطة الأبوية وبالأخص في صورة الزوج الواحد؛ تحولت قضية إدارة المنزل من حالة عامة واجتماعية إلى حالة خاصة، فأصبحت المرأة أول خادمة للمنزل، وأخرجت من ساحة الإنتاج الاجتماعي<sup>(37)</sup>.

فالسيطرة الممارسة من قبل الرجل على المرأة ليست أمرا نهائيا لا يمكن تجاوزه، بل هو وضع فرضته الحالة التاريخية المرتبطة بنمو الملكية الخاصة وانتقالها من جيل إلى آخر، مما يعزز حالة الاضطهاد أو الضبط على المرأة في شكل ما يعرف بالاستغلال. من هنا ينمو الشعور الطبقي بوجود وعي بالعلاقة بين شخص مُستغل وآخر مُستغل، ومن ثم فعل المرأة كسر هذا الاستغلال أي الخروج من خصوصيتها وتحررها من قيود مفاهيم عدم المساواة وانبثاق تغير ثوري وليس توافق شخص على غرار ما دعا إليه مورجان.

ويتفق هنا بورديو مع إنجلز في هذا الطرح من خلال ما أسماه بالهيمنة الذكورية، والتي اعتبرها متجذرة من لا وعي الأفراد، وهي تعلن عن نفسها كنظام طبيعي ثابت، لكنها في الأصل بناء اجتماعي تاريخي ثقافي، وتلك الهيمنة ناشئة في الأساس عن التمايز البيولوجي بين الجنسين مع محاولة إخفاء جذوره الثقافية، فهي عنف رمزي ممارس من قبل الرجال على النساء، بوجود مؤسسات اجتماعية تقوم بإعادة إنتاج الاختلاف بين الجنسين<sup>38</sup>.

في حين يرى، عالم الاجتماع الألماني رالف داهرنورف Ralf Dahrendorf أن هناك جوانب في المجتمع تفوق في الأهمية ما يراه الوظيفيون ألا وهي الجوانب الصراعية في مجمل كتاباته، يظهر بوضوح تأثير دار ندورف Dahrendorf كغيره من الصراعيين بالأفكار الاجتماعية والاقتصادية لماركس، ولاسيما الأفكار التي تقول بحتمية الصراع بين الأفراد والجماعات لتعارض المصالح.

حيث تركز الفكرة المحورية في دراسة الأسرة عنده في أن تعارض واختلاف المصالح بين الأفراد داخل الأسرة يؤدي إلى الصراع، وتلك الاختلافات الناشئة عن تباين المكانات والأدوار المنوطة بها تتمثل في تباين توزيع القوة والسلطة فتظهر لدينا فئتين : الأولى تملك ولها سلطة اتخاذ القرار، والثانية لا تملك وعليها التنفيذ<sup>(39)</sup>.

على الرغم من أهمية القضايا الفكرية التي قدمها الاتجاه الصراعية في دراسته للأسرة، إلا أن عليه بعض المآخذ، والتي اتفق عليها العديد من المفكرين وأصحاب الاتجاهات الأخرى، ومن هذه المثالب أن الصراعيين في تناولهم للأسرة كوحدة اجتماعية – أو لغيرها من النظم – قد انطلقوا من فرضية صراع القوة وحتمية التغيير من منظور كلي ومحدود، ولكن أنماط التفاعل والعلاقات الاجتماعية الناشئة عنه، ليست كلها متباينة في توزيع القوة والسلطة والنفوذ مما يسبب الصراع،

النظرية الاجتماعية في دراسة الاسرة (دراسة تحليلية)

بمعنى أن التعارض الموجود لا يؤدي إلى الصراع بالضرورة ولتغيير ما هو قائم، فالتغيير الاجتماعي ليس ناشئاً عن الصراع ولا نتيجة حتمية له. والمثال على ذلك أن الصراع بين الزوجين غالباً ما ينشأ عن عدم المساواة بينهما، وهذا اختلاف فطري بيولوجي في الأساس، واجتماعي بالدرجة الثانية – **GenderConflect** صراع الجندر، وإنما هذا الصراع يلاشى وينتهي أمام المصلحة الكبرى التي يسعى إليها الزوجين وهي استمرار النسق الأسري، ولهذا لا يمكن ربط الصراع داخل الأسرة بالإضطهاد الممارس داخل النظم الكبرى الأخرى في المجتمع، والحل المقدم لها من قبل الصراعيين يجد صعوبة في تطبيقه على النمط الأسري المتعدد الأشكال والمختلف باختلاف الثقافات والشعوب.

وعموماً، يمكن القول بأن نظرية الصراع في محاولتها لتحليل النظام الأسري والعلاقات الأسرية لم تكن ذات بنية ثابتة، بمعنى وجود اختلافات بين مفكرها وإن اتحدوا في الفكرة الرئيسية ألا وهي حتمية الصراع، بمعنى آخر لا يمكن بأي حال من الأحوال تخيل شكل الأسرة – وإن كانت في النظام الرأسمالي – في مراحل صراعية مستمرة غير خاضعة لقوانين تنظم العلاقات الأسرية والحياة الزوجية دون ظلم واضطهاد، فكيف سنفسر الصراع في حال ما تغيرت الظروف. **ثامناً- الأسرة من المنظور الإسلامي:**

يعطي المنظور الإسلامي للأسرة أهمية كبيرة كمؤسسة من أجل استمرار الجنس البشري وتكاثره وتعويض الفاقده منه، قال تعالى: { وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة } [سورة النحل: 72]، فالكائن البشري ليس حيوان اجتماعي كما تدعي الداروينية والتوفيقية الحديثة؛ بل هو مكرم لكونه إنسان عاقل مدرك ومفكر، فقد منحه الحقوق وفرض عليه الواجبات، وأوصاه بالتألف والتأخي والتعاشر ضمن الدائرة الانسانية المتمثلة بالأسرة، والدائرة الجغرافية المتمثلة بالبيت، وعلى الرغم من أنه لم يرد مفهوم الأسرة بصورة واضحة ومحددة في القرآن الكريم والسنة النبوية أو ما يعادله تماماً. كما أن الفقهاء لم يستعملوا اللفظ في عباراتهم في المعنى المقصود، إلا أن لفظ أهل والذي تردد ذكره فيهما هو أنسب الألفاظ للدلالة على معنى الأسرة، قال تعالى: { واجعل لي وزيراً من أهلي (29) هارون أخي(30) } [سورة طه: 29-30]، كما أن غموض مدلول كلمة أسرة لكونه مطاطاً، إلا أن الفقهاء قد تمكنوا من وضع تعاريف عديدة لها بين اللغة الاصطلاح<sup>(40)</sup> نعرض أحدها والأوضح لدينا، وهو بأنها "رابطة اجتماعية تتكون من رجل وامرأة تربط بينهما علاقة زواج شرعي وما ينتج عن هذا الزواج من أبناء"<sup>(40)</sup>.

فقد حظيت الأسرة كنظام اجتماعي باهتمام بالغ من الأحكام الإسلامية سواء في القرآن الكريم أو تلك التي جاءت في السنة النبوية الشريفة. فقد اعتبر الإسلام الأسرة مؤسسة يعتمد عليها استقرار البناء الكلي للمجتمع، وهي الجسر الذي عن طريقه يتم نقل الثقافة بكل محتوياتها من جيل إلى جيل لاحق، وهي النواة الأولى التي عن طريقها يستمر الجنس البشري فلا إنتاج مقبول اجتماعياً ودينياً خارج مؤسسة الأسرة، قال تعالى { ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يفكرون" } (الآية 21 سورة الروم). ومن هنا، قدم الإسلام الأحكام الشرعية التي تنظم العلاقة بين الرجل والمرأة وما ينشأ عنهما، في شكل قواعد وأسس وتوجيهات وتشريعات مفصلة في القرآن والسنة ومنها<sup>(41)</sup> الحث على الزواج، شروط الزواج، تنظيم أحكام الطلاق، الإرث، الرضاعة، النفقة... الخ.

وعند الحديث عن الزواج لضمان حياة مستقرة قال تعالى: { وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم } [سورة النور: 32]، وعن النفقة قال عز من قائل: {والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة

النظرية الاجتماعية في دراسة الاسرة (دراسة تحليلية)

وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف} [سورة البقرة:233]، ولم يغفل الإسلام نظام الحياة الداخلية في شكل العلاقة بين الزوج والزوجة، فأعطى الله سبحانه وتعالى القوامه للرجل لسببين : بما فضل الله بعضهم على بعض، وبما أنفقوا من أموالهم، قال تعالى : {الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم} (الآية 34 سورة النساء)، ويؤكد المنظور الإسلامي على أهمية العلاقة الزوجية من ناحية إنصافها بالعدل والمساواة في نطاق ما أمر به القرآن والسنة والفهم الصحيح للقوامه، وضرورة سيادة مبدأ الاحترام بين الزوجين والافتداء بسنة خير الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وطريقة تعامله مع زوجته قال تعالى: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا} [سورة الأحزاب:21] . من هنا نرى أن العلاقة بين الزوجين ليست علاقة تسلط وتبعية<sup>(42)</sup> وإنما هي علاقة تسودها المودة والرحمة التي تتعدى مستوى التفاعلات بين ركني الأسرة (الأب والأم) إلى الأبناء الذين خصهم الله تعالى بقوله {يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة} (الآية 6 سورة التحريم)، وقد حث الرسول الكريم على ضرورة الاهتمام بالأبناء لأنهم بذرة المستقبل لتلك الأسرة التي إن صلحت صلح المجتمع، وإن خابت خاب المجتمع. يقول عليه الصلاة والسلام، (( علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين، واضربوه عليها ابن عشر )) رواه أبو داود، وسنده حسن<sup>(43)</sup>.

إن الأصل في النظرة الإسلامية هي أن يكون للأسرة عائل أي ولي يدير شؤونها المالية والتربوية والعاطفية، ويرعى مصالح أفرادها، ومن خلاله يمكن لهذه الخلية أن تساهم في خلق نشئ مؤمن يتمتع بأخلاق دينية، مؤهل للعمل والإنتاج، فالأسرة حسب المنظور الإسلامي قاعدة تمنح كل الأفراد طاقة من الاستقرار النفسي والعاطفي والاجتماعي الذي طالما بحث عنه مفكري المنظورات الغربية لمجتمعاتهم رغم وضعهم للعديد من الوظائف التي على الأسرة أن تقوم بها حسب ما سبق وعرضنا في الصفحات السابقة، إلا أن افتقارهم لأهم وظيفة تقوم بها الأسرة ألا وهي توفير الاستقرار والأمن العاطفي ما زالت هي السائدة والتي يسعون لتوفيرها، ولكن دون جدوى نظرا لافتقارهم للأساس الروحي الذي تقوم عليه الأسرة في الإسلام ألا وهو المودة والرحمة، وليس العامل الاقتصادي أو السياسي أو غيرها، بناءً على ما سبق، نصل إلى أن أغلب الباحثين في مجال الأسرة، يجتمعون على أن التعمق من أجل وضع نظرية لمناقشة الدور الذي تلعبه الأسرة في البناء الاجتماعي؛ يعتبر من الأمور المتداخلة والصعبة في نفس الوقت، ويرى الباحث زهير الأعرجي أن النظريات الغربية كالتوفيقية، والرأسمالية، ونظرية الصراع ليست استثناءً من هذه القاعدة، ويرجع ذلك لافتقارها إلى الصورة الواضحة والمنهاج الدقيق الذي يعالج المشاكل الزوجية سواء في المجتمع الرأسمالي الغربي أو الاشتراكي الشرقي. فالأسئلة مثل: أيهما أحق بالولاية القانونية العائلية : الزوج أم الزوجة؟ وأيهما أفضل للنظام الاجتماعي: نظام تعدد الزوجات أم نظام الزواج المتعدد؟ وأيهما أفضل للنظام الاجتماعي: زواج الأقارب أم زواج الأبعاد؟ وأيهما أكثر اقتصاداً وأكثر سعادة للأزواج الجدد: السكن مع عوائلهم أم انشاء وحدات سكنية جديدة بهم؟ وأيها أولى بالميراث: الأحفاد من جانب الأم أم الأحفاد من طرف الأب؟ وأيها أفضل وأكثر إنتاجاً للمجتمع الانساني: العوائل الفردية الصغيرة أو العوائل الممتدة الكبيرة التي تضم - إضافة الى الزوجين - الاجداد والأولاد وأحفادهما؟ كلها أسئلة مازالت تحتاج إلى إجابات في شكل قوانين تحكمها. ومن هنا يرى الأعرجي، أن المنظور الإسلامي للأسرة قد اجاب عن كل تلك التساؤلات في القرآن الكريم والسنة النبوية، بل الأبعد من ذلك أنها جاءت بأكمل النظم الاجتماعية فيما يخص دور الفرد في الحياة العائلية على الأصدقاء الحقيقية والمالية والعاطفية. وبذلك فقد هيأت الفرد ضمن اطارها الاخلاقي

**النظرية الاجتماعية في دراسة الأسرة (دراسة تحليلية)**

الرائع للدخول الى الساحة الاجتماعية وهو مسلح بكل القيم والمفاهيم والمعاني السماوية العظيمة.<sup>(44)</sup>

تاسعاً- اتجاهات ما بعد البنوية: اهتمت اتجاهات ما بعد البنوية في النظرية الاجتماعية للأسرة، من منظورات اقترنت من الجذور الأولى أحياناً، واختلفت عنها في أحيان أخرى، وسنعرض للبعض منها بشكل موجز على النحو التالي:

أ - المقاربة النسوية في دراسة الأسرة: انطلقت الاتجاهات النسوية بمختلف مدارسها سواء النسوية الليبرالية أو النسوية الماركسية أو النسوية الراديكالية من فكرة أن الأسرة لا تمثل فقط موطناً لإشباع غرائز الحب والعطف والراحة والأمان، فهي في ذات الوقت قد تكون مصدراً للاستغلال واللامساواة العميقة، لذا، فلا يجب النظر إليها على أنها مؤسسة كونية أو ضرورة ثقافية، وإنما يمكن اعتبارها شيئاً يمكن تقييمه وانتقاده وتغييره أو حتى إلغاؤه، فالهجوم الموجه ضد مؤسستي الزواج والأسرة النووية بالذات متأثر إلى حد كبير بالتصور الماركسي لذاتيات الرجال والنساء من كونها ليست حقائق بيولوجية بحتة، وإنما هي حقائق قابلة للتغيير.

لقد اهتم دعاة الاتجاه النسوي بنظريات وقضايا النوع والطبقة في إطار مناقشة العمل المنزلي، فقد تلخصت نظرتهم للنساء على أنهم يشكلون طبقة معنفة أو مهددة بالعنف.<sup>(45)</sup> كما أن الزوجات يمثلن الطبقة المضطهدة لدرجة تصل إلى العبودية، فالرجال هم أعداء المرأة وأن الصراع القائم بينهما يعد انعكاساً للصراع الأكبر.<sup>(46)</sup>

من هنا يجب تغيير وضع المرأة ووظيفتها حتى تتحرر حرية كاملة ... حيث أن النوع لا يتوقف على الجوانب الفسيولوجية، فالجنس ينبع من الخصائص التشريعية، أما النوع فمكتسب من خلال عمليات التأثير والتأثر الثقافي فهو منتج من منتجات الثقافة<sup>(47)</sup>، لقد أجمعت جل الدراسات التي قامت بها رائدات الحركة النسوية مثل الأمريكية "بيتي فريدان - BeteFredan"، و"بتريسيا لنگرمان - Patricia Lengerman"، و"جوليا نيبروج - Jill Niebrugge"، على نفس المبادئ التي كانت وراء ظهور هذه الحركات، ويمكن إجمالها في الآتي: الدفاع عن حقوق المرأة والمطالبة بتمكين النساء ومساواتهن بالرجال، وإلغاء الفروق بين الجنسين على أسس ثقافية واجتماعية، والعمل على إلغاء دور الأب في الأسرة من خلال رفض السلطة الأبوية ورفض الأسرة والزواج من الأساس، وكذلك رفض الأمومة باعتبارها عائق أمام تحرك المرأة وتقدمها<sup>(48)</sup>، ويعطي أصحاب هذا الاتجاه حلاً للمرأة لتخطي تلك الوضعية الذليلة التي فرضت عليها كونها أنثى، عن طريق الاستفادة من التكنولوجيا الحديثة واستخدام المرأة لوسائل منع الحمل أو الاستعانة بالرحم الاصطناعي<sup>(49)</sup>.

ب- مدخل القوة وصناعة القرار: تُقيم الأسرة في ضوء الأسس التي تقوم عليها هذا المدخل على أنها مؤسسة تمارس فيها القوة وفقاً لما يتمتع به كل عضو فيها من موارد، وهي بالتالي وحدة لإصدار القرارات المؤثرة على الأعضاء وعلى المجتمع ككل. إن القرارات الأسرية تتبين من خلال من يُمارس القوة، ومن يُصدر القرار، وهذا بالتالي يكشف عن درجة اعتماد واستقلالية أطراف التفاعل، فالقرارات التي يتخذها كل من الزوج والزوجة تفسر من ناحية مدى الاستقلالية في اتخاذها، وهذه بدورها تدل على قوة الشخص، ومن ثم تؤثر في تحديد التقسيمات في العمل بين الزوجين والمهام التي يؤديانها<sup>(50)</sup>.

ج- مدخل دراسة الموقف: يقوم هذا الاتجاه على افتراضات منها أن الموقف يمكن دراسته كموضوع مستقل عن الواقع، وإن المواقف دائمة التغيير والتعديل، كما أن السلوك يتوافق مع الموقف ويتغير تبعاً لتغيير المواقف، ويشير عبد الرؤوف الضبع في كتابه علم الاجتماع العائلي<sup>(51)</sup>،

### النظرية الاجتماعية في دراسة الأسرة (دراسة تحليلية)

أن هناك تقارباً شديداً بين اتجاه دراسة الموقف والاتجاه التفاعلي، إلا أن اتجاه دراسة الموقف ينظر إلى الأسرة كموقف اجتماعي يؤثر في السلوك، أي كمجموعة موحدة من المثيرات الخارجية بالنسبة للأفراد الذين تؤثر عليهم. ويعتمد هذا الاتجاه في دراسته للأسرة على تحليل الأشكال البنائية لها، ونوع العلاقات الأسرية والاجتماعية التي تربط بين أفراد الأسرة وغيرهم، من خلال المواقف الاجتماعية التي يعيشونها كموضوع مستقل عن الواقع. كما إن الوحدة الأساسية التي تشكل جوهر الموقف الاجتماعي -الذي هو نتاج لتفاعل عناصر اجتماعية وفيزيائية وثقافية- مرتبطة بكانن حي معين وأن أي تغيير في الوحدة الأساسية يؤدي إلى تغيير في الجوهر وبالتالي للموقف الكلي، مما يجعل المواقف الاجتماعية ليست فقط دائمة التغيير ولكنها أيضاً تتعدل وفقاً لهذا التغيير، ومن ثم يتوافق السلوك الذي هو وظيفة للموقف مع الموقف ذاته.

#### الخاتمة:

لعلنا نستوضح من العرض الموجز السابق لأهم الاتجاهات الفكرية التي تناولت الأسرة، مجموعة من الاستخلاصات النظرية العامة أهمها:

1. ليس من السهل بناء إطار نظري واضح يعبر عن واقع الأسرة بشكل عام، وخاصة عند المدخل والمنظورات الغربية.
2. إن تداخل المدارس الفكرية التي انطلقت منها تلك الاتجاهات كان له الأثر الكبير في جعلها غير محتكرة على علم الاجتماع فقط، بل ظهر بوضوح إسهام علماء النفس الاجتماعي والانثروبولوجيا الاجتماعية وعلم الاجتماع السياسي وعلم اجتماع المرأة في صياغة نظم علمية متداخلة.
3. أجمعت جل الاتجاهات الفكرية تقريباً على أن هناك بعض المتطلبات الوظيفية يجب اشباعها للمجتمع إذا كان لهذا المجتمع أن يبقى على مستوى معين ويستمر، وتتحقق تلك الوظائف المنشودة من خلال نظم وأنساق فرعية، وتؤدي الأسرة في كل المجتمعات إحدى هذه الوظائف الأساسية، وهي بدورها لها متطلبات وظيفية شأنها شأن النظام الاجتماعي الكبير (المجتمع).
4. إن العلاقات الاجتماعية على الرغم من التناغم السائد ظاهرياً بينها، إلا أن تتسم - أحياناً عند الوظيفيين، ودائماً عند الصراعيين- بالمصالح المتصارعة التي تدل على أن البناءات الاجتماعية تخلق الصراع بصورة منتظمة، فهو جزء من النظام الاجتماعي كنتيجة لاختلاف المصالح وتباينها على أساس تمايز الأدوار والمكانات ومصادر القوة.
5. لقد واجهت دراسات الأسرة عدة صعوبات، يجملها الباحثين في الآتي:
  - مقاومة الأسر للدراسة.
  - الافتقار إلى الذوات المناسبة للدراسة.
  - عدم وضوح المفاهيم مما يؤدي إلى التعارض وعدم الاتفاق بين العلماء.
  - ندرة الباحثين وإمكانية الوقت المتاح لهم للقيام بدراسات كيفية وكمية ملائمة لمتطلبات البحث العلمي المعمق.

#### المراجع:

1. عبدالرؤوف الضبع، علم الاجتماع العائلي، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2002، ص: 12.

**النظرية الاجتماعية في دراسة الاسرة (دراسة تحليلية)**

2. أحمد سالم الأحمر، علم اجتماع الأسرة بين التنظير والواقع المتغير، دار الكتاب الجديد، المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2004، ص 29.
3. أحمد زايد، طلعت لطفي وآخرون، الأسرة والطفولة، دراسات اجتماعية أنثروبولوجية، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، الطبعة الأولى، 1998، ص 10.
4. أحمد زايد، طلعت لطفي وآخرون، المرجع السابق، ص 11.
5. Fortes, Meyer, The Developmental Cycle in Domestic Groups, in Jack Good (ed) Kinship, Harmondsworth : penguin, 1971, p.p 88-89.
6. لمزيد من الاطلاع انظر:  
Duvall, Evelyn , FamilyDevelopment, Filadellphia, Lippincott, p 28 and, Marriage and FamilyDevelopment 6th ed, New York, Harper and row, 1985.
7. Kerr, Michaele, One Familys story : A primer on Bowen Theory, The Bowen Center for the Study of the family, <http://www.thebowencenter.org>
8. سامية الخشاب، النظرية الاجتماعية ودراسة الأسرة، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 2008، ص 35.
9. George P, Murdock, Social Structure, New York : Macmillan, 1949, p 2.
10. Ipid, p 10.
11. لمزيد من الاطلاع انظر: أحمد زايد وآخرون، الأسرة والطفولة، مرجع سبق ذكره، ص 15.
12. سناء الخولي، الأسرة والحياة العائلية، دار المسيرة، للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الأولى، 2011، ص 36
13. جي روشيه، علم الاجتماع الأمريكي: دراسة لأعمال تالكوتبارسونز، ترجمة: محمد الجوهري، وأحمد زايد، دار المعارف، القاهرة، 1981، صفحات مختلفة .
14. محمد عوض عبد السلام، الفعل الاجتماعي عند تالكوتبارسونز: دراسة تحليلية نقدية، دار المطبوعات الجديدة، 1986 ، ص 58.
15. محمد عوض عبد السلام، مرجع سبق ذكره، ص 99.
16. ولمزيد من الاطلاع انظر، Talcot Parsons and Robert Bales, Family, Socialization and Interactionprocess, New York, The Free Press, 1955, p 308
17. أحمد سالم الأحمر، علم اجتماع الأسرة بين التنظير والواقع المتغير، دار الكتاب الجديد، المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2004، ص 150، 154.
18. لمزيد من الإطلاع انظر: ريمون بودون، فرانسوبوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماعي، ترجمة سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، صفحات مختلفة.



النظرية الاجتماعية في دراسة الاسرة (دراسة تحليلية)

19. يعقوب قبانجي، منظومة القيم العائلية في الوطن العربي: محاولة نقدية، المستقبل العربي، العدد 308، السنة 27، 2004، ص 112.
20. ريمون بودون، مرجع سبق ذكره.
21. سامية الخشاب، النظرية الاجتماعية ودراسة الأسرة، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 2008، ص 51.
22. سناء الخولي، الأسرة والحياة العائلية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الأولى، 2011، ص 117.
23. سناء الخولي، الأسرة والحياة العائلية، المرجع السابق، ص 120.
24. Herbert Blumer, Symbolic Interactionism: prespective and Method, EnglewoodCliffs, New Jersey, prentice Hall Inc, 1969, p 83, 141.
25. سناء الخولي، الأسرة والحياة العائلية، مرجع سبق ذكره، ص ص 121، 123.
26. أحمد سالم الأحمر، علم اجتماع الأسرة، مرجع سبق ذكره، ص ص 76، 77.
27. أحمد زايد وآخرون، الأسرة والطفولة - دراسة اجتماعية واثروبولوجية، مرجع سبق ذكره، ص 28.
28. مصطفى السخاوي، النظم القرابية في المجتمع المحلي، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 1996، ص 53.
29. George Homans, SocialBehavior: It'sElementryForms, New York, Harcourt, Brace and World, 1961.
30. William j. Goode, World Revolution and FamilyPatterens, N. Ed. Wards (ed), 1970; p 8.
31. أحمد سالم الأحمر، علم اجتماع الأسرة، مرجع سبق ذكره، ص ص 154، 155.
32. Ronald Flecher, The Family and Marriage in Britain, rev. Ed. Harmonds-worth, penguin, 1966, p 16, 18.
33. لمزيد من الإطلاع أنظر: William J. Goode, The Family, Englewood cliffs, N. J. Prentice-Hell, 1964, p 114, 1116.
34. أحمد سالم الأحمر، علم اجتماع الأسرة، مرجع سبق ذكره، ص ص 163، 165.
35. أحمد سالم الأحمر، علم اجتماع الأسرة، مرجع سبق ذكره، ص 93.
36. فريدريك انجلز، أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة، لمناسبة أبحاث لويس هنري مورجان، ترجمة إلياس شاهين، نقلا عن: FerdrickEngles; The origins of the family, privateproperty and state, Moscow: ForeignLanguagespublishing House, 1954, p 30 ( Orig. Pub. 1884).
37. حسن بستان النجفي، الإسلام والأسرة: دراسة مقارنة في علم الاجتماع الأسري، ترجمة علي الحاج حسين، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 2008، ص 205، 206.
38. بيير بورديو، الهيمنة الذكورية، ترجمة: سلمان قعفراني، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2015.

النظرية الاجتماعية في دراسة الاسرة (دراسة تحليلية)

39. انتوني جينز، علم الاجتماع، ترجمة : فايز الصباح، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2005، ص 75.
40. يطلق لفظ الأسرة في اللغة العربية على أهل بيت الإنسان وعشيرته كما جاء في المعجم الوجيز، وجاء في لسان العرب لابن منظور أن الأسرة : الدرع الحصينة. وأما في الاصطلاح فيقصد بها رابطة الزواج التي يصحبها ذرية. لمزيد من الاطلاع انظر: ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، ص 4، 22. إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، المعجم الوسيط، دار التراث العربي، 1972، ص 1، 17، أساس البلاغة، جاز الله الزمخشري، دار الصادر، بيروت، ص 112، معجم مقاييس اللغة، ابن الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار الجليل، بيروت، لبنان، 1991، ص 395.
41. عبد الحلیم محمود، تربية الناشئ المسلم، دار الوفاء للطباعة، الطبعة الثانية، 1992، ص 18.
42. للمزيد انظر: محمد سلام مذکور، أحكام الأسرة في القرآن، الجزء الثاني، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، 1969.
43. لمزيد من الاطلاع انظر: عمر سليمان الأشقر، أحكام الزواج في ضوء الكتاب والسنة، دار النفائس، الأردن، ط 2، 1997.
44. رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، رقم 495.
45. زهير الأعرجي، النظرية الاجتماعية في القرآن الكريم، مكتبة الثقافة العامة الإلكترونية، ص 199-200.
46. إيمان ضياء الدين بيبيرس، بطلات وضحايا (المرأة والسياسات الاجتماعية والدولة من مصر)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002، ص ص 23، 24.
47. سامية قدرى ونيس، التيار النسوي والعمل الأكاديمي في مصر – كلية البنات نموذجاً، أعمال الندوة العلمية لمركز الدراسات والبحوث والخدمات المتكاملة، القاهرة، 2002، ص 443.
48. سامية قدرى ونيس، المرجع السابق، ص 443.
49. أحمد سالم الأحمر، علم اجتماع الأسرة، مرجع سبق ذكره، ص 131.
50. علياء شكري وآخرون، علم اجتماع المرأة، مكتب زهراء الشرق، القاهرة، ص 8.
51. أحمد زايد، الأسرة والطفولة، مرجع سبق ذكره، ص 39، 44.
- عبد الرؤوف الضبيع، مرجع سبق ذكره، ص 23.

أخبار الدولة المرينية في رحلة ابن بطوطة خلال القرن الثامن الهجري...

## أخبار الدولة المرينية في رحلة ابن بطوطة خلال القرن الثامن الهجري "دراسة تاريخية"

رمضان المختار الجامع  
كلية التربية ال - جامعة الزاوية

### مقدمة:

تعد رحلة ابن بطوطة الموسومة بـ(تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) والتي تُعرف على الاختصار باسم (رحلة ابن بطوطة) من أشهر الرحلات المغاربية والعربية، وقد حظيت هذه الرحلة بذیوع الصيت، ونالت مكانة كبيرة على الصعيد المحلي والعالمي؛ حيث تُرجمت إلى عدة لغات أجنبية، وتعتبر هذه الرحلة من أشهر الرحلات وأطولها، والتي دامت ما يقرب من الثلاثين عاماً، دَوَّنَ فيها ابن بطوطة جُلَّ ما شاهدَهُ وعابنه، وما لاحظهُ وعایشه، سواء فيما يتعلق بالتقاليد والعادات، والبناء وال عمران، أو فيما يتعلق بطرق العيش و حياة التجمعات البشرية، ومن أحداث من تاريخها.

وقد تناول الكثير من الكُتاب والباحثين رحلة ابن بطوطة بالدراسة والاستقصاء، وقام بعض المستشرقين بنشر أجزاء منها، وترجمتها إلى اللغات الأوروبية، ونشر أبحاثاً مستفيضة عنها، ولم يُقصر الباحثون العرب الذين تناولوا هذه الرحلة من جوانب مختلفة، ولا سيما من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والأدبية، والجغرافية والمعمارية وغيرها.

كذلك جرت دراسة عدد كبير من الأقاليم والأقطار التي تمت الرحلة إليها من خلال معطيات هذه الرحلة، وما قدمه ابن بطوطة في هذا المجال.

ولقد لفتت انتباهي قلة تركيز الباحثين على منطقة الغرب الإسلامي من خلال الرحلة، وأعني به بلاد المغرب على وجه العموم، والدولة المرينية على وجه الخصوص، حيث قدم لنا ابن بطوطة معلومات قيمة عن الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والحضارية، وهي معلومات جديرة بالاهتمام والتوقف عندها، ودراستها دراسة تاريخية متأنية متحصنة؛ ولهذا فقد تحركت في لهفة الباحث والمؤرخ لوضع مادة ابن بطوطة بشأن الدولة المرينية موضع البحث والتحليل والاستقراء وتجميع منثورها في بحث علمي عن تاريخ الدولة المرينية خلال القرن الثامن الهجري من خلال رحلة ابن بطوطة، حيث تشكل رواية ابن بطوطة شاهد عيان على العصر الذي عاش فيه - القرن الثامن الهجري - لكثير من الأحداث التي غفلت العديد من المصادر التاريخية عن ذكرها. أولاً - معطيات كتابة الرحلة:

تحدث كثير من الباحثين عن حياة ابن بطوطة وأهمية رحلاته التي أشبعها الباحثون دراسة واستقصاءً، وسوف لن اتحدث في هذا البحث عنها، ويمكن أن أحيل القارئ فقط إلى بعض المراجع الأساسية، مثل ما كتبه المستشرق الروسي كراتشكوفسكي<sup>(1)</sup>، ونقولاً زيادة<sup>(2)</sup>، وحسين مؤنس<sup>(3)</sup>، ومحمود الشرقاوي<sup>(4)</sup>، وشاكر مضباك<sup>(5)</sup>، وعبدالله كنون<sup>(6)</sup>، وعبد الواحد دنون<sup>(7)</sup>، ومصطفى سالم عبد الله حبلوص<sup>(8)</sup>، كما يمكن للباحث أن يجد في المقدمة التي كتبها د. عبد الهادي التازي<sup>(9)</sup>، والذي حقق رحلة ابن بطوطة، الكثير من المعلومات الخاصة بمخطوطات الرحلة ومكانتها بين الدراسات العربية والأجنبية، فضلاً عن مكانتها في أدب الرحلات.

القارئ لرحلة ابن بطوطة يلاحظ إعجاب ابن بطوطة ببني مرين، ويلاحظ الإطناب في وصفهم ومحاسن خلفاتهم وأمرائهم وذكر مآثرهم، وهذا الإعجاب يأتي نظراً لمواقفهم الحاسمة في تاريخ بلاد المغرب، فقد سعوا في توحيدهِ وإزالة الفرقة بين حدوده<sup>(10)</sup>، وأقاموا به المنشآت الدينية والثقافية

أخبار الدولة المرينية في رحلة ابن بطوطة خلال القرن الثامن الهجري...

والمعمارية من مساجد<sup>(11)</sup> ومدارس<sup>(12)</sup> وزوايا<sup>(13)</sup> ومارستانات<sup>(15)</sup> وقصور ودور وقناطر وحصون... وغيرها وشيدوا المدن<sup>(14)</sup> والحصون والقلاع<sup>(16)</sup>، كما أنهم ساهموا مساهمة كبيرة في إنجاد أهل الأندلس من نصارى الأسبان والبرتغاليين وهو ما تُشيد به المصادر التاريخية<sup>(17)</sup>، ولم يخلوا بمالٍ ولا رجال على أهل الأندلس والمغرب<sup>(18)</sup>؛ ولذلك كان ابن بطوطة لا يفتر عن ذكر محاسنهم ولا يغفل عن نشر محامدهم.

وكانت مغادرة ابن بطوطة لطنجة في أيام السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني<sup>(19)</sup> الذي تولى الملك سنة 710 هـ وتوفي سنة 731 هـ<sup>(20)</sup>، وقد كان خروج ابن بطوطة من طنجة نقطة البداية في رحلته حسب ما يذكر عام 725 هـ<sup>(21)</sup>، ولما رجع إلى بلاد المغرب وجد علي عرش الدولة المرينية السلطان أبي عنان فارس المريني، وكان ذلك سنة 750 هـ<sup>(22)</sup>، قال ابن بطوطة: "وصلت في أواخر شهر شعبان المكرم من عام خمسين وسبعمئة حضرة فاس، فمئلت بين يدي مولانا الأعظم، الإمام الأكرم، أمير المؤمنين، المتوكل على رب العالمين، أبي عنان..."<sup>(23)</sup>.

وكان ابن بطوطة عند وصوله يُخبر الناس بما شاهد ورأى في رحلته من غريب الأخبار ونوادر الأسفار، وكان الوزير (أبا زيان فارس بن ميمون بن ودرار)<sup>(24)</sup> وزير السلطان أبو عنان ممن استأنس بابن بطوطة وأولع بأخباره، وقد دافع عنه في كثير من المجالس حينما شاع الخبر بأنه يكذب في روايته ويُبالغ في أحاديثه ويقول ما لا وجود له، وقد ذكر ابن خلدون أنه كان يشك في أخبار ابن بطوطة وذلك لتواتر الألسنة بتكذيبه وخاصة فيما كان يروي من أخبار عن الهند<sup>(25)</sup>، قال ابن خلدون: "ورد بالمغرب لعهد السلطان أبي عنان من ملوك بني مريم رجل من مشيخة طنجة يُعرف بابن بطوطة كان رحل منذ عشرين سنة قبلها إلى المشرق وتقلب في بلاد العراق واليمن والهند، ودخل مدينة (دهلي) حضرة ملك الهند، وهو السلطان محمد شاه، واتصل بملكها لذلك العهد وهو (فيروز جوه) وكان له فيه مكان، واستعمله في خطة القضاء بمذهب المالكية في عمله، ثم انقلب إلى المغرب واتصل بالسلطان أبي عنان، وكان يُحدث عن شأن رحلته وما رأى من العجائب بممالك الأرض، وأكثر ما كان يُحدث عن دولة صاحب الهند، ويأتي من أحواله بما يستعزبه السامعون... فتناجى الناس بتكذيبه..."<sup>(26)</sup>، وقد التقى المؤرخ ابن خلدون مع أبو زيان فارس بن ودرار وزير السلطان أبو عنان وفاوضه في شأن ابن بطوطة وإنكاره لأخباره، فنهاه الوزير ابن ودرار عن إنكار ما لم يره، قال ابن خلدون: "ولقيت أيامئذ وزير السلطان فارس بن ودرار البعيد الصيت، ففاوضه في هذا الشأن وأريته إنكار أخبار ذلك الرجل، لما استفاض في الناس من تكذيبه، فقال لي الوزير فارس: إياك أن تستنكر مثل هذا من أحوال الدول بما أنك لم تره..."<sup>(27)</sup>، وقد حاول ابن خلدون أن يضع مقياساً لأخبار ابن بطوطة حيث قال في نفس السياق: "فليرجع الإنسان إلى أصوله وليكن مهيمناً على نفسه، ومميزاً بين طبيعة الممكن والممتنع بصريح عقله ومستقيم فطرته، فما دخل نطاق الإمكان قبليه، وما خرج عنه رفضه، وليس مرادنا الإمكان العقلي، وإنما المراد بحسب المادة التي للشيء فإننا إذ نظرنا أصل الشيء وجنسه وصنفه ومقدار عظمته وقوته أجرينا الحكم من نسبة ذلك على أحواله، وحكمنا بالامتناع على ما خرج من نطاقه، والله سبحانه وتعالى أعلم"<sup>(28)</sup>.

وتجدر الإشارة أن ابن جزى كاتب الرحلة كان يشك في بعض الأحيان فيما يكتبه من أقوال ابن بطوطة فيقول: "وأوردت جميع ما أورده من الحكايات والأخبار، ولم أتعرض لبحث عن حقيقة ذلك ولا اختيار..."<sup>(29)</sup>.

ولما أصبح ابن بطوطة يُذيع مشاهداته وينشرها بين الخاصة والعامة، أمر السلطان أبو عنان المريني كاتبه أبا عبد الله محمد بن جزى بكتابة هذه الرحلة، فانتقلت الرحلة من الحديث والرواية

أخبار الدولة المرينية في رحلة ابن بطوطة خلال القرن الثامن الهجري...

والأخبار إلى التدوين والكتابة، فقد أعجب السلطان، وبما تضمنته من سرد جميل ووقائع وحكايات عن سياسة حكام البلدان التي زارها ابن بطوطة، ومن عادات وتقاليد الشعوب التي شاهدها، وقد خشي السلطان من ضياع هذا العمل فسأل ابن بطوطة أن يُدون أخبار رحلته، قال ابن جزي في الرحلة: "ونفذت الإشارة الكريمة بأن يُملئ ما شاهده في رحلته من الأمصار، وما علق بحفظه من نواذر الأخبار، ويذكر من لقيه من ملوك الأقطار، وعلماؤها الأخيار، وأوليائها الأبرار، فأملئ من ذلك ما فيه نزهة الخواطر، وبهجة المسامع والنواظر، من كل غريبة أفاد باجتماعها، وعجبية أطرف بانتحائها"<sup>(30)</sup>، وقد اختار السلطان أبو عنان لهذه المهمة كاتبه ابن جزي، وأصدر إليه أمراً بذلك، قال: "وصدر الأمر العالي لعبد مقامهم الكريم، المنقطع إلى بابهم المستشرف بخدمة جنابهم، محمد ابن محمد بن جزي الكلبي... أن يضم أطراف ما أملاه الشيخ أبو عبد الله من ذلك مشتملاً في تصنيف يكون على فوائده مشتملاً، ولنيل مقاصده مكملاً، متوخياً تنقيح الكلام وتهذيبه، معتمداً إيضاحه وتقريبه، ليقع الاستمتاع بتلك الطرف، ويعظم الانتفاع بدرسها عند تجريد"<sup>(31)</sup> فأملئ ابن بطوطة رحلاته على ابن جزي، ويقول ابن جزي في ذلك: "ونقلت معاني كلام الشيخ أبي عبد الله بألفاظ موفية للمقاصد التي قصدتها، موضحة للمناحي التي اعتمدها، وربما أوردت لفظة على وضعه، فلم أخل بأصله ولا فرعه"<sup>(32)</sup>، وذكر ابن جزي المنهج الذي اتبعه في كتابه الرحلة فيقول: "وقيدت المشكل من أسماء المواضع والرجال بالشكل والنقط، ليكون أنفع في التصحيح والضبط، وشرحت ما أمكنتني شرحه من الأسماء العجمية؛ لأنها تلتبس بعجميتها على الناس، ويخطئ في فك معناها معهود القياس"<sup>(33)</sup>.

**وتجدر الإشارة إلى أن ابن بطوطة لم يكن كاتباً أو أديباً بحيث يكتب رحلته بنفسه، وإنما كان رجلاً فقيهاً، وهو بنفسه يعترف بذلك، فقد خيره يوماً ملك الهند بين الوزارة والكتابة والقضاء، فقال: "أما الوزارة والكتابة فليست شغلي، وأما القضاء والمشخة فشغلي وشغل آيائي"<sup>(34)</sup> وإنما فضل القضاء على الكتابة؛ لأنه يعرف مقدرته في الفقه الإسلامي ويعلم علم اليقين أن هاتين الوظيفتين تحتاجان إلى متانة في الأسلوب وعلم الأدب، والأدباء هم أقدر على التعبير عن المعاني بأساليب جذابة تستهوي القراء وتستميلهم للاطلاع، وابن جزي هو الذي طبع رحلة ابن بطوطة بطابع الأدب في كثير من فصولها، وجعلها بعيدة عن الإسفاف في التعبير، والضعف في التصوير؛ لأنه كان يمتاز بسعة ثقافة، وحسن توظيف للمعاني بألفاظ بديعة وجمل رقيقة لا تعقيد فيها ولا غموض، وهو الذي بفضلها أصبحت هذه الرحلة نموذجاً أدبياً، وابن بطوطة لم يكن رحالة بالمعنى العلمي، ولم يكن عالماً مفكراً، ولم يكن إلا رجلاً متسع العقل راغباً في التعرف على كل جديد وغريب بحيث يشبع رغبته بحبه للأسفار والترحال للبلاد البعيدة.**

**ثانياً- مآثر الدولة المرينية من خلال رحلة ابن بطوطة: نتيجة المبادرة الحميدة من السلطان أبي عنان المريني دونت رحلة ابن بطوطة، فقد كلف كاتبه الخاص ابن جزي بكتابة تلك الرحلة الشهيرة بناء على رواية صاحبها ابن بطوطة، وقد سميت هذه الرحلة بـ(تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) والتي تُعد تحفة الأدب العربي، وتُعد من أشهر الرحلات المغربية والعربية.**

**ونفقت هنا لنتسأل بنظرة الباحث التاريخي الذي ينظر فيما وراء الحدث عن الأسباب التي دعت أبي عنان المريني أن يُصدر أمره بكتابة الرحلة إلى كاتبه؟ وعن الغاية التي كان يتوخاها أبي عنان من كتابة هذه الرحلة؟**

**بغض النظر على أن أبا عنان كان يخشى على هذا العمل من الضياع، وأن يخرج به من نطاق الرواية والسرد القصصي إلى العمل الأدبي، إلا أنه كانت هناك دوافع أخرى غير الدوافع الأدبية،**

أخبار الدولة المرينية في رحلة ابن بطوطة خلال القرن الثامن الهجري...

فالقارئ لتحفة النظار يُلاحظ أنه عمل استثمر استثماراً جيداً للتأريخ لبنى مرين والدعاية لهم، إذ كانت هناك دوافع وأسباب سياسية وراء الأمر الصادر بكتابة هذه الرحلة، فقد كان أبا عنان يريد أن يستغل هذه الرحلة للدعاية له ولأعماله، وأن يجعلها وسيلة للمس بأعدائه والكشف عن مساوئهم بحيث لا يقتصر ابن بطوطة عن نشر الأخبار مجردة؛ بل يُضيف إليها في كل مناسبة ما يرفع به من شأن بني مرين على العموم.

وإذا كان ابن بطوطة قد يتوقف في هذا العمل بالنسبة إلى مرثياته العامة فهو ليس له إمام بكثير من الحوادث السياسية التي وقعت بالمغرب أيام غيبته الطويلة التي دامت خمسة وعشرين سنة<sup>(35)</sup>، لذلك كان من الضروري أن يُضاف إليه شخص آخر تكون له دراية بالوقائع الحديثة، ومعرفة بأحوال الدولة القائمة، وعلم بالسير العام الذي تسير عليه الدولة في الداخل والخارج، ولم يجد أبو عنان من كتابه من تجتمع فيه هذه الصفات مثل أبي عبدالله بن جزي؛ لذلك أمره بجمع ما يملكه ابن بطوطة في كتاب جامعاً لفوائده مكملاً لمقاصده<sup>(36)</sup>.

وقد عمل هذا الكاتب على تحقيق الغاية من اختياره، فكان لا يتوانى عن ذكر محاسن أبي عنان وغيره من ملوك بني مرين ولا يُقصر في الحديث عنهم كلما أمكنه ذلك، فلما ذكر ابن بطوطة بداية رحلته وخروجه من طنجة عام 725هـ<sup>(37)</sup> ذكر السلطان أبي سعيد، وهو جد السلطان أبي عنان الذي تولى الحكم من عام 710هـ إلى 731هـ، وهو الذي أمر بإنشاء الأساطيل برسم الجهاد في الأندلس، وهو الذي بني بمدينة فاس مدرسة العطارين<sup>(38)</sup>، قال: "وكان ارتحالي في أيام أمير المؤمنين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب العالمين الذي رويت أخبار جوده موصولة الإسناد بالإسناد وشهدت آثار كرمه شهرة واضحة الإشهاد، وتحلت الأيام بحلي فضله، ورتع الأنام في ظل رفقته وعدله، الإمام المقدس أبي سعيد ابن مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين الذي فل حدّ الشرك صدق عزائمه، وأطفأت نار الكفر جداول صوارمه، وفتكت بعباد الصليب كتابه، وكرمت في إخلاص الجهاد مذهب، الإمام المقدس أبي يوسف<sup>(39)</sup> ابن عبد الحق<sup>(40)</sup>، جدد الله عليهم رضوانه وسقى ضرائحهم المقدسة وجزاهم أفضل الجزاء عن الإسلام والمسلمين، وأبقى الملك في عقبهم إلى يوم الدين"<sup>(41)</sup>.

ولما تعرض ابن بطوطة لذكر مآثر السلطان أبي الحسن المريني في جبل الفتح<sup>(42)</sup>، تعرض ابن جزي لمواقفة الحربية، واستيلائه عليه من يد الأسيان فقال: "ثم فتحة مولانا أبو الحسن، رضوان الله عليه، واسترجعه من أيدي الروم بعد تملكهم له عشرين سنة ونيفاً<sup>(43)</sup>، وبعث إلى حصاره ولده الأمير الجليل أبا مالك، وأيده بالأموال الطائلة، والعساكر الجرارة، وكان فتحه بعد حصار ستة أشهر، وذلك في عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة، ولم يكن حينئذ ما هو الآن عليه، فبنى به مولانا أبو الحسن رحمة الله عليه، المآثر العظمى بأعلى الحصن، وكانت قبل ذلك برجاً صغيراً تهدم بأحجار المجانيق، فبناها مكانة، وبنى به دار الصناعة، ولم يكن به دار صنعة، وبنى به السور الأعظم المحيط بالترية الحمراء"<sup>(44)</sup>، ثم أورد ابن بطوطة الأعمال التي قام بها السلطان أبي عنان عقب وفاة والده أبي الحسن في جبل الفتح فقال: "ثم جدد مولانا أمير المؤمنين أبو عنان، أيده الله، عهد تحصينه وتحسينه، وزاد بناء السور بطرف جبل الفتح، وهو أعظم أسواره غناء، وأعمها نفعاً وبعث إليه العدد الوافر والأقوات والمرافق العامة"<sup>(45)</sup>.

ولما تحدث ابن بطوطة عن مآثر أبي عنان وشيمه وكرمه قال: "أما عدله فأشهر من أن يُسطر في كتاب، فمن ذلك جلوسه للمشتكن من رعيته، وتخصيصه يوم الجمعة للمساكين منهم، وتقسيمه ذلك اليوم بين الرجال والنساء، وتقديمه النساء لضعفهن، فتقرأ قصصهن بعد صلاة الجمعة إلى العصر، ومن وصلت نوبتها نودي باسمها، ووقفت بين يديه الكريمين، ويكلمها دون واسطة، فإن

أخبار الدولة المرينية في رحلة ابن بطوطة خلال القرن الثامن الهجري...

كانت مظلومة عجل إنصافها، أو طالبة إحسان وقع إسعافها، ثم إذا صُلِّيت العصر فرئت قصص الرجال، وفُعل مثل ذلك فيها، ويحضر المجلس الفقهاء والقضاة، فيرد إليهم ما تعلق بالأحكام الشرعية، وهذا شيء لم أر في الملوك من يفعله على هذا التمام، ويظهر فيه مثل هذا العدل<sup>(46)</sup>.  
ويُظهر ابن جزى مآثر السلطان أبي عنان في الكرم والجود في اهتمامه بشؤون الرعية فيقول: "اخترع مولانا أيده الله في الكرم والصدقات أموراً لم يخطر في الأوهام، ولا اهتدت إليها السلاطين، فمنها إجراء الصدقات على المساكين بكل بلد من بلاده على الدوام، ومنها تعيين الصدقة الوافرة للمسجونين في جميع البلاد أيضاً، ومنها كون تلك الصدقات خبزاً مخبوزاً ميسراً للانتفاع به، ومنها كسوة المساكين والضعفاء والعجائز والمشايخ والملازمين للمساجد بجميع بلاده، ومنها تعيين الضحايا لهؤلاء الأصناف في عيد الأضحى، ومنها التصرف بما يجتمع في مجابن أبواب بلاده يوم سبعة وعشرين من رمضان إكراماً لذلك اليوم الكريم وقياماً بحقه، ومنها إطعام الناس في جميع البلاد ليلة المولد الكريم واجتماعهم لإقامة رسة، ومنها إعدار اليتامي من الصبيان وكسوتهم يوم عاشوراء... وتلك مكرمة لا يعلم لها نظير"<sup>(47)</sup>.

من خلال استقراء النص السابق نلاحظ ورود كلمة (ويكل بلد من بلاده، وبجميع بلاده، وفي جميع البلاد) وهذا ليدل على اتساع رقعة الدولة المرينية على عهد السلطان أبي عنان المريني، وهو ما تذكره المصادر التاريخية بأن الدولة المرينية شهدت على عهد اتساعاً كبيراً<sup>(48)</sup>.

كما نلاحظ أيضاً محاولة ابن جزى إظهار السلطان أبو عنان بالمظاهر الدينية من خلال الاهتمام بالمناسبات والأعياد الدينية، مثل عيد الأضحى، وليلة السابع والعشرين من رمضان، والمولد النبوي الشريف، ويوم عاشوراء، وذلك لما لهذه الأعياد والمناسبات من تأثير ديني في نفوس الناس، وهي تضي على السلطان أبي عنان صبغة دينية في الوسط الاجتماعي.

وحديث ابن جزى في رحلة ابن بطوطة عن المولد النبوي بالديار المغربية حديث له دلالاته، فهو عيد تجتمع الناس فيه لإقامة رسمه كما يقول<sup>(49)</sup>، إذا أصبح الاحتفال بعيد المولد النبوي الشريف من ضمن الأعياد التي يحتفل بها في هذه الدولة، وهو ما لم يكن معروفاً في الدول التي سبقتها، وتجدر الإشارة إلى أن السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق، إليه يرجع الفضل في إصدار أمراً إلى سائر عمال المغرب بإقرار الاحتفال بعيد مولد النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك في أواخر القرن السابع الهجري سنة 691هـ<sup>(50)</sup>، وقد اعتبر ابن أبي دينار<sup>(51)</sup> أن السلطان أبا عنان هو أول من احتفل بعيد المولد النبوي واعتنى بتعظيمه في البلاد المغربية وأظهر فيه شعائر الولادة المحمدية.

ويتحدث ابن جزى عن اهتمام السلطان أبو عنان بالجانب الصحي من خلال بناء المستشفيات وتوفير الإمكانيات لها من أموال ومؤون وأطباء متخصصين لعلاج المرضى، فيقول: "ومنها بناء المستشفيات في كل بلد من بلاده، وتعيين الأوقاف<sup>(52)</sup> الكثيرة: لمؤون المرضى، وتعيين الأطباء لمعالجتهم والتصرف في طلبهم، وإلى غير ذلك مما أبداع فيه من أنواع المكارم وظرب المآثر، كافاً الله أباديه وشكر نعمه"<sup>(53)</sup>.

من خلال استقراء هذا النص وتحليله نستنتج أن السلطان أبا عنان المريني كان له اعتناء خاص بالرعاية الصحية من خلال بناء المارستانات<sup>(54)</sup> لتقديم الخدمات الصحية في كل بلد من بلاده على ما يذكره ابن بطوطة، وهو ما تؤكد المصادر التاريخية<sup>(55)</sup> من أن السلطان أبا عنان بني العديد من المارستانات في الكثير من مدن بلاد المغرب منها مدينة تازا<sup>(56)</sup>، ومكناس<sup>(57)</sup>، وشالة<sup>(58)</sup>، وسلا<sup>(59)</sup>، وأسفي<sup>(60)</sup>، والرباط<sup>(61)</sup>، بالإضافة إلى حاضرة ملكه فاس، التي بنى فيها العديد من المارستانات، وفي هذا الصدد يقول الرحالة الحسن الوزان عند زيارته لفاس أواخر القرن العاشر

أخبار الدولة المرينية في رحلة ابن بطوطة خلال القرن الثامن الهجري...

الهجري إن بفاس: "... يوجد بيمارستانات عديدة لا تقل حسناً عن المدارس ... ويوجد بها بيمارستانات خارج المدينة"<sup>(62)</sup>، وقد كانت هذه المارستانات تقوم بإيواء المرضى في حجرات خاصة بهم، وحجرات لعلاج المرضى، وقد رتب السلطان أبو عنان لهذه المارستانات الأطباء لمعالجة المرضى، وكانوا يأخذون مرتبات شهرية نظير عملهم هذا من أموال الأوقاف الموقوفة على هذه المارستانات، كما يصرف من أموال الأوقاف كل ما تحتاجه هذه المارستانات من صيانة وترميم وتوسيع، وخدمات عامة وغيرها، وعلى هذا يمكن القول أن هذه المارستانات شبيهة بالمستشفيات في وقتنا الحالي بما تقدمه من خدمات الرعاية الصحية.

**وتجدر الإشارة إلى أن أول مارستان بني في بلاد المغرب في عصر الدولة المرينية يرجع إلى السلطان يعقوب بن عبد الحق الذي بناه بفاس سنة 685هـ<sup>(63)</sup>، وفي ذلك يقول صاحب القرطاس: "ولما ولي - يقصد أبو يوسف يعقوب - واستقام له الأمر صنع المارستان للمرضى والمجانين، وأجرى عليهم النفقات وجميع ما يحتاجون إليه من الأغذية والأشربة، وأمر الأطباء بتقصد أحوالهم كل يوم غزوة وعشيه، وأجرى على الكل الأنفاق من بيت المال، وأجرى على الجُدماء والعميان والفقراء مالاً معلوماً يأخذونه كل شهر..."<sup>(64)</sup>، وبهذه المبادرة سنَّ السلطان يعقوب بن عبد الحق سنة حسنة في بناء المارستانات والتحبس عليها في الدولة المرينية، واقتفى أثره في ذلك أبناؤه وأحفاده من بعده.**

**ويذكر المرآكشي أن أقدم مارستان بُني في بلاد المغرب يرجع إلى عصر الدولة الموحدية، ويعود إلى فترة حكم السلطان يعقوب المنصور الموحدي (580-595هـ) الذي بناه في مدينة مراكش<sup>(65)</sup>، إلا أن الفارق بين المارستانات الموحدية والمرينية، أن المارستانات الموحدية كان يُصرف عليها من أموال الدولة، بينما المارستانات المرينية كانت لها ميزانية خاصة بها على الدوام ألا وهي أموال الأوقاف من العقارات الكثيرة الموقوفة عليها، وهذا ما يفهم من كلام ابن بطوطة من قوله في النص السابق: "وتعيين الأوقاف الكثيرة..."<sup>(66)</sup>.**

**ويتحدث ابن بطوطة عن اهتمام السلطان أبي عنان المريني ببناء المساجد وعمارته، وبناء المدارس، فيقول: "ومن أعظم حسناته أيده الله عمارة المسجد الجديد بالمدينة البيضاء دار ملكة، وهو الذي امتاز بالحسن واتقان البناء وإشراق النور، وبديع الترتيب، وعمارة المدرسة الكبرى<sup>(67)</sup>، بالموضع المعروف بالقصر مما يُجاور قسبة فاس ولا نظير لها في المعمور إتساعاً وحُسناً وإبداعاً وكثرة ماء وحسن وضع، ولم أرَ في مدارس الشام ومصر والعراق وخُراسان ما يُشبهها"<sup>(68)</sup>.**

**ولما ذكر ابن بطوطة في رحلته الصفات الكريمة للملك الناصر محمد بن المنصور بن قلاوون سلطان مصر<sup>(69)</sup>، وأنه بنى زاوية عظيمة خارج القاهرة، قال: "ولكن الزاوية التي بناها مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين وكهف الفقهاء والمساكين، خليفة الله في أرضه القائم من الجهاد بنقله وفرضه أبو عنان أيد الله أمره، وأظهره، وسنى له الفتح المبين ويسره، بخارج حضرته العلية المدينة البيضاء حرسها الله، لا نظير لها في المعمورة في اتقان الوضع، وحسن البناء والنقش على الجص، بحيث لا يقدر أهل المشرق على مثله"<sup>(70)</sup>، ويذكر هذه الزاوية في موضع آخر فيقول: "وعماراة الزاوية العظمى على غدير الحمص، خارج المدينة البيضاء، فلا مثل لها في عجب وضعها وبديع صنعها، وأبدع زاوية رأيتها بالشرق زاوية (سرياقص) التي بناها الملك الناصر، وهذه أبدع منها وأشد إككاماً وإتقاناً، والله سبحانه ينفع مولانا أيده الله بمقاصده الشريفة..."<sup>(71)</sup>.**

**هذه الزاوية التي يتكلم عنها ابن بطوطة هي من أشهر الزوايا التي بناها السلطان أبي عنان المريني، حيث تذكر المصادر التاريخية أنه أسسها سنة 754هـ<sup>(72)</sup>، وهي تعرف باسم الزاوية المتوكلية<sup>(73)</sup>، وتعرف أيضاً باسم زاوية الضيفان<sup>(74)</sup>، تلميحاً لوظيفتها الإحسانية، وقد اطنب المؤرخ**



أخبار الدولة المرينية في رحلة ابن بطوطة خلال القرن الثامن الهجري...

ابن الحاج النميري، المعاصر لفترة إنشائها في وصفها، واعتبرها أعجوبة المغرب والمشرق في البناء والنقش<sup>(75)</sup>.

ويُعد السلطان أبو عنان المريني من أكثر سلاطين الدولة المرينية اهتماماً ببناء الزوايا والنفقة عليها، حيث أسس العديد من الزوايا وأوقف الأوقاف الكثيرة عليها، فقد أسس زاوية كبرى بسبته<sup>(76)</sup>، وزاوية بسلا<sup>(77)</sup>، وأخرى بشالة<sup>(79)</sup> وغيرها.

وتجدر الإشارة إلى أن كلمة (زاوية) تستعمل في عصر الدولة المرينية للدلالة على مؤسسات إحصانية تُشيد بالمدن والقرب والأرياف؛ لاستقبال الواردين عليها لإيوانهم والقيام بضياقتهم<sup>(78)</sup>، وهذا ما يؤكد مؤرخ الدولة المرينية ابن مرزوق بالقول: "والظاهر أن الزوايا عندنا بالمغرب- هي المواضع المُعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاجين من القاصدين"<sup>(79)</sup>، وهو ما يذهب إليه أيضاً صاحب الدخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية بقوله أن السلطان يعقوب بن عبد الحق: "بنا الزوايا في الفلوات، وأوقف عليها الأوقاف الكثيرة لإطعام عابري السبيل وذوي الحاجات"<sup>(80)</sup>، وهو ما يُشير إليه أيضاً المقرّي<sup>(81)</sup> الذي زار الزاوية المتوكلية في صدر القرن الحادي عشر للهجرة، وقرأ كتابة شعرية مكتوبة عليها تلميحاً لدورها الإحصاني:

وَالرَّفَقُ بِالسَّكَّانِ وَالزُّوَارِ	***	هَذَا مَحَلُّ الْفَضْلِ وَالْإِيْثَارِ
فَجَزَاوَاهَا الْحُسْنَى وَعَقْبَى الدَّارِ	***	دَارٌ عَلَى الْإِحْسَانِ شُدِيدَتِ وَالتَّقَى
لَا بِنَ السَّبِيلِ وَكُلِّ رَكْبٍ سَارِ	***	هِيَ مَلْجَأٌ لِلْوَارِدِينَ وَمَوْرِدِ

كما تكلم ابن جزى عن شجاعة السلطان أبي عنان فقال: "لم يزل الملوك الأقدمون تتفاخر بقتل الأسود وهزائم الأعادي، ومولانا أيده الله كان قتل الأسد عليه أهون من قتل الشاة على الأسد، فإنه لما خرج الأسد على الجيش بوادي النجارين من المعمورة بحوز سلا، وتحامته الأبطال، وفرت أمامه الفرسان والرجال، برز إليه مولانا أيده الله غير محتفل به، ولا متهيب منه، فطعنه بالرمح ما بين عينيه طعنه خراً بها صريعاً"<sup>(82)</sup>.

ويحدث ابن جزى عن حب السلطان أبي عنان للعلم والاستغال به فيقول: "أما اشتغاله بالعلم فما هو أيده الله تعالى يعقد مجالس العلم في كل يوم بعد صلاة الصبح، ويحضر لذلك أعلام الفقهاء، ونجباء الطلبة بمسجد قصره الكريم، فيقرأ بين يديه تفسير القرآن العظيم، وحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، وفروع مذهب مالك رضي الله عنه، وكتب المتصوفة، وفي كل علم منها له القدح المَعْلَى، يجلوا مشكلاته بنور فهمه"<sup>(83)</sup>، ثم يُردف بالقول: "لو أن عالماً ليس له شغل إلا بالعلم ليلاً ونهاراً، لم يكن يصل إلى أدنى مراتب مولانا أيده الله في العلوم، مع اشتغاله بأمر الأمة، وتدبيره لسياسة الأقاليم النائية، ومباشرته من حال ملكه ما لم يباشره أحد من الملوك، ونظره بنفسه في شكايات المظلومين ومع ذلك كله فلا تقع بمجلسه الكريم مسألة علم في أي علم كان إلا جلاً مشكلها، وباحت في دقائقها، واستخرج غوامضها واستدرك على علماء مجلسه ما فاتهم من مغلقاتها"<sup>(84)</sup>.

نلاحظ من خلال استقراء النصوص السابقة في هذه الرحلة، مبالغة ابن جزى في إظهار مآثر السلطان أبي عنان بصفة خاصة وبني مرين بصفة عامة؛ ولكن ليس معنى ذلك سلبية موقف ابن بطوطة، فابن بطوطة أيضاً قام بواجبه نحوهم واستطاع أن يصور أعدائهم تصويراً مشوهاً من الموحدون ولولاهم، فقد ذكر بعد خروجه من بلاد المغرب الأقصى، ووصوله إلى بلاد المغرب الأوسط، وتحديداً إلى مدينة بجاية<sup>(85)</sup>، أن أحد المسافرين معه من تجار تونس قد توفي وترك ثلاثة آلاف دينار من الذهب، وكان قد أوصى بها رجلاً ليوصلها إلى ورثته بتونس؛ ولكن وإلى بجاية (أبا عبدالله محمد بن سيد الناس الحاجب)<sup>(86)</sup> علم بذلك فانتزعها من الوصي، ويتبع ابن بطوطة بالقول

أخبار الدولة المرينية في رحلة ابن بطوطة خلال القرن الثامن الهجري...

لهذه الحادثة: "وهذا أول ما شهدته من ظلم عمال الموحدين وولاتهم"، وتأتي هذه الإشارة إلى تسليط الضوء على مشروعية الأعمال التي قام بها بنو مرين ضد الدولة الحفصية<sup>(87)</sup>، فلقد توجه أبو الحسن المريني، والد أبو عنان إلى تونس وأزال الحفصيين من الحكم واستقر بها<sup>(88)</sup>؛ إلا أنه وجد معارضة كبيرة من بعض القبائل العربية فقاوموه مقاومة شديدة أدت إلى حصاره بالقيروان سنة 749هـ<sup>(89)</sup>، ولقد اتفق هؤلاء العرب على تولية أحد الموحدين عليهم<sup>(90)</sup>، واستطاعوا أن يستميلوا إليهم رجلاً كان في جانب أبي الحسن هو أبو عبد الله محمد بن تافراجين ففر معهم واستغل معارضتهم لمصلحته<sup>(91)</sup>، ولكن ما لبث أن فر إلى الإسكندرية حينما اضطرب أمر أصحابه<sup>(92)</sup>، ولما وصل ابن بطوطة إلى تونس عند عودته من رحلته<sup>(93)</sup>، ذكر اتصاله بالسلطان أبي الحسن المريني وسأله العديد من الأسئلة كان من بينها سؤاله عن ابن تافراجين قال: "وسألني عن ابن تافراجين فأخبرته بما فعلت المغاربة معه، وإرادتهم قتله بالإسكندرية وما لقي من أديتهم، انتصاراً منهم لمولانا أبي الحسن رضي الله عنه"<sup>(94)</sup>، أن ابن بطوطة هنا يظهر تعلق المغاربة بسلطانهم أبي الحسين رغم وجودهم في خارج المملكة، ومحاولتهم قتل رجل علموا بخيانتهم لسلطانهم، ومما لا شك فيه أن تعرض ابن بطوطة لابن تافراجين وتحديثه عن كراهية المغاربة له، يرجع إلى الدور الخطير الذي لعبه هذا الرجل في تاريخ بني حفص، والتخوفات العظيمة التي كانت تنتاب سلاطين بني مرين منه؛ لأنهم كانوا يعرفون قوة دهائه وكثرة حيله، فهو الذي كان قد أثار حرباً داخلية في تونس، واستطاع الفرار بعد إنكائها إلى المغرب الأقصى، وهو الذي استطاع في أيام لجوءه أن يزين لأبي الحسن غزو تونس والقضاء على بني حفص مؤملاً أن يفوض إليه أبا الحسن المريني أمر تونس بعد انتصاره؛ فلما لم يبلغ هدفه انقلب عليه واتصل بأعدائه وتزعم الثورة ضده، ولما لم يبلغ مقاصده وفشل في الأمر فر إلى الإسكندرية، وطاف بالمشرق بنشر الدعاية لنفسه، وينتظر الفرصة للانقضاض على أبي الحسن مرة أخرى<sup>(95)</sup>؛ ولذلك نجد السلطان أبي الحسن مهتماً بفرار ابن تافراجين، وهو ما نفهمه بناء على كل تلك الأحداث ودور هذا الرجل فيها من سؤال أبي الحسن المريني لابن بطوطة، والذي طمأنه على موقف المغاربة منه.

وتجدر الإشارة أن تخوفات أبا الحسن المريني، وسؤاله لابن بطوطة عنه كانت صائبة فلم يلبث ابن تافراجين أن رجع إلى تونس في الثامن عشر من جمادى الأولى سنة 751هـ<sup>(96)</sup> وقام بانقلاب خطير في الدولة الحفصية، حيث ولي على الملك أبي إسحاق إبراهيم ابن المولى أبي بكر وهو يومئذ قد ناهز الاحتلام<sup>(97)</sup>، وتحقق لابن تافراجين ما أراد، وأصبح له شأن كبير، وقام بتدبير أمور الدولة، قال ابن الشماخ: "وانتهى أمره إلى أن يسلم عليه سلام الملوك، واستخلص قواعد البلاد من أيدي العرب بأحسن محاولة"<sup>(98)</sup>.

ثالثاً- الصراع على السلطة داخل البيت المريني: من اللافت للنظر من خلال العرض العام لرحلة ابن بطوطة أنه يمكن أن يستفهم منها وجود ملكين في آن واحد ولدولة واحدة أحدهما بتونس، والآخر بالمغرب، وأن ابن بطوطة يمدح كلاهما ويذكر مآثرهما بكل إجلال؛ حتى لا يشعر القارئ بأن خلافاً كان موجوداً بينهما، فهذا أبي الحسن بتونس، وهذا ولده أبو عنان بالمغرب الأقصى وكلاهما أتى عليه ابن بطوطة وابن جزري معاً، فهل من المعقول ذلك؟ فالواقع التاريخي يثبت الخلاف؛ لأن أبا الحسن بعد استقراره بتونس وقعت بينه وبين الحفصيين حروب كاد أن يغلب في بعضها، وقتل من جنوده عدد كبير<sup>(99)</sup>، وشاع الخبر بهزيمته في القيروان، ونقلت جماعة من بني مرين وبني عبدالواد إلى ابنه أبي عنان بأن أباه كان أحد ضحايا الهزيمة<sup>(100)</sup> فلم يسعه إلا أن يضم شأن البلاد وأن يعلن البيعة لنفسه<sup>(101)</sup>، فعمد إلى استصدار وثيقة - وقع عليها عدد كبير من العائدين من موقعه القيروان - تشهد بوفاة والده أبي الحسن، وبمقتضى هذه الوثيقة أصبح

أخبار الدولة المرينية في رحلة ابن بطوطة خلال القرن الثامن الهجري...

لأبي عنان الحق في اعتلاء العرش المريني، وبويع سلطاناً على بني مرين أول سنة 749هـ<sup>(102)</sup>، ولم تمر أيام حتى ظهرت له الحقيقة وعلم أن والده ما زال على قيد الحياة. كان في إمكان أبي عنان - بعد أن علم أن والده ما زال حياً - أن يُجرد حملة لمعاونته؛ لأن حملة كهذه قد تغير مجرى الأحداث كلية في صالح بني مرين؛ ولكن أبا عنان لجأ إلى أسلوب آخر، وبعض المصادر التاريخية تبرر هذا الأسلوب بأن أبا عنان خشي عقوبة والده له<sup>(103)</sup>، وبعضها يقول: "أن الأمر قد لتبس عليه"<sup>(104)</sup>، ولكن هذه المبررات لا تكفي أبداً لإبراء ساحته من تحمل المسؤولية التاريخية لتدهور الوضع المريني في إفريقية، وتذكر المصادر التاريخية أنه حين علم أن والده على قيد الحياة، بعث لجميع عماله أن يصدوا أباه عند توجهه إليهم<sup>(105)</sup>، ويأمر إلى إرسال الأمراء الحفصيين في المغرب الأوسط إلى ولاياتهم بإفريقية ليخوضوا الحرب ضد أبي الحسن لاسترجاع ملك آباؤهم في إفريقية<sup>(106)</sup>، قال ابن الشماخ: "فبعث لولاة بجاية وقسنطينة من الموحديين إلى بلادهم، وأخذ عليهم العهود أن ينعوا أباه من الجواز إلى المغرب"<sup>(107)</sup>، فلما سد الطريق على والده في البر، ركب السلطان أبي الحسن البحر في أساطيله وتوجه للمغرب<sup>(108)</sup>، وخلف بتونس ابنه الفضل<sup>(109)</sup>، واستغلت القبائل العربية هذا الجو، فانظمت إلى الأمير الحفصي أبي العباس الفضل بن يحيى بن أبي بكر<sup>(110)</sup>، ويقول الزركشي في ذلك: "انتقض العرب على السلطان أبي الحسن واستقدموا السلطان أبا العباس الفضل من بونه"<sup>(111)</sup> لطلب حقه واسترجاع ملك آباؤه...<sup>(112)</sup>، ونزل السلطان أبو الحسن في سواحل الجزائر بعد أن غرق معظم أسطولها بما فيه من مالٍ ورجال<sup>(113)</sup>، وتحرك لتلمسان بهدف الحصول على انتصار يدعم موقفه في المغرب الأوسط؛ لكنه مني بهزيمة فادحة ألحقها به أبو ثابت أخو عثمان بن عبدالرحمن بن يُغمراسن بن زيان، الذي بايعه بني عبدالوادي بإفريقية لإحياء دولة بني عبدالوادي بتلمسان<sup>(114)</sup>، وهرب أبو الحسن إلى سجلماسة ولكنه لم يستقر بها؛ لأن ولده أبا عنان تقدم بجيوشه نحوها، فأثر أبي الحسن الذهاب إلى مراكش، وكان ذلك سنة 751هـ<sup>(115)</sup>، وفي مراكش انتعشت آمال أبي الحسن قليلاً عندما سارع إليه أهلها بالطاعة ودخل في طاعته قبائل العرب والمصامدة، وفر عامل مراكش إلى أبي عنان<sup>(116)</sup>، وباستيلائه على مراكش كان السلطان أبي الحسن يأمل أن يسترجع سلطانه الذي ضاع منه.

وفي هذا الأثناء عاد أبي عنان من سجلماسة إلى فاس وقام بتجهيز جيش كبير للقضاء على والده المطالب بالسلطة، والتقى الجمعان بوادي الربيع في آخر صفر سنة 751هـ، وتربص كل واحد بصاحبه عبور الوادي فعبه أبي الحسن وانهزم عسكره، وهرب أبو الحسن إلى جبال هنتاته، وتبعه ولده أبو عنان محاصراً للجبل<sup>(117)</sup>، ولما طال مدة الحصار طلب من ولده أبي عنان "الإبقاء عليه وأن يبعث إليه حاجباً أبا عبدالله محمد بن أبي عمر، فحضر عنده وأحسن العذر عن الأمير أبي عنان وإلتمس له الرضا منه فرضى عنه وكتب له بولاية عهده"<sup>(118)</sup>، وهذا يعني أن أبا الحسن لم يتنازل لولده عن العرش المريني وإنما اكتفى بتعيينه ولياً للعهد، وبقي هو سلطاناً حتى وفاته، فلم يمضي وقت طويل حتى مرض أبو الحسن "واقصد لإفراج الدم منه ثم باشر الماء للظهارة فورم محل الفصادة ومات رحمة الله في الثالث والعشرين من ربيع الثاني سنة 752هـ"<sup>(119)</sup>، وبعد موته تولى ابنه دفنه وأقام له جنازة وبكى على نعشه ودفنه بمراكش ثم نقل رفاته بعد ذلك إلى شالة مقبرة أسلافه من ملوك بني مرين<sup>(120)</sup>.

كل هذه الأحداث التي حدثت في البيت المريني من صراع على السلطة كان ابن بطوطة وابن جزري معاصرين لها، والسؤال الذي يطرح نفسه علينا هو لماذا لم يذكر ابن بطوطة وابن جزري كل هذه الأحداث التاريخية في تحفة النظائر؟ والإجابة عن هذا السؤال ترجعنا إلى الفرضية الأولى من هدف السلطان أبي عنان من كتابة الرحلة وإلى ما ذهبنا إليه سابقاً.

#### د. رمضان المختار الجامع

#### أخبار الدولة المرينية في رحلة ابن بطوطة خلال القرن الثامن الهجري...

##### الخاتمة والتوصيات:

نستج من دراسة موضوع هذا البحث حول الدولة المرينية خلال القرن الثامن الهجري من خلال رحلة ابن بطوطة الآتي:

1- إن رحلة ابن بطوطة تعد مصدراً تاريخياً مهماً لتاريخ الدولة المرينية وهي تشكل وثيقة حضارية وثقافية.

2- أن ابن بطوطة لم يكن رحالة بالمعنى العلمي بحيث يُسجل ملاحظاته كما يفعله أغلب الرحالة، ولم يكن عالماً مفكراً، ولم يكن كاتباً دقيقاً؛ بل هو رجلٌ متسع العقل هاوي الترحال لمعرفة الجديد والغريب.

3- إن رحلة ابن بطوطة هي عمل مشترك بين ابن بطوطة وابن جزى الأول أملاها من ذاكرته والثاني كتبها بأسلوب الأدبي وأضاف إليها بعض الزيادات، ولولا السلطان أبو عنان ما كتبت هذه الرحلة.

4- يمثل القرن الثامن الهجري عصر النهضة العلمية والحضارية والمعمارية للدولة المرينية، ممثلاً في بناء المدارس والمساجد والزوايا... وغيرها.

5- تميزت العمارة الدينية والعلمية بنمط راقى من الزخرفة والنقش على الجص مما يعبر عن رُقي الحضارة المرينية والتي ما زالت آثارها باقية إلى اليوم.

6- اهتمت الدولة المرينية بالعلم والعلماء، وشجعت الأدباء على حركة التأليف فنشطت الحركة العلمية والأدبية، وما رحلة ابن بطوطة إلا إحدى الثمر التي زينت التاج المريني.

7- اهتمت الدولة المرينية بالتحصينات الدفاعية مثل تحصينات جبل الفتح (جبل طارق)؛ وذلك لوقف خطر المد المسيحي من جهة الأندلس.

8- اهتمت الدولة المرينية بالأسطول البحري وبنيت دار لصناعة السفن بجبل الفتح.

9- شهدت الدولة المرينية صراعاً عنيفاً على السلطة داخل البيت المريني بين السلطان أبي الحسن وولده أبي عنان أضعفت من هيبة الدولة، وأضاعت جهود السلطان أبو الحسن لتوحيد بلاد المغرب تحت راية واحدة لم تتحقق منذ عصر الدولة الموحدية.

10- ساهم الصراع الداخلي في البيت المريني، عودة الانقسام في بلاد المغرب، فعادت الدولة الحفصية للحكم في بلاد المغرب الأدنى، والدولة الزيانية العبد وادية إلى المغرب الأوسط في تلمسان.

وفي خاتمة هذا البحث أوصى الباحثين الجادين بدراسة موضوع هذا البحث وتناوله بالدراسة والتحليل؛ لأن هذا الموضوع -حسب علمي- لم يتم التطرق إليه، وفيه العديد من الإشارات التاريخية والحضارية التي يجد فيها الباحث ظالته ومقارنتها مع المصادر التاريخية الأخرى.

##### الهوامش:

1. تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله إلى الروسية، صلاح الدين عثمان هاشم، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م.
2. الجغرافيا والرحلات عند العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1962م.
3. ابن بطوطة ورحلاته، دار المعارف، القاهرة، 1980م.
4. رحلة ابن بطوطة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1968م.
5. ابن بطوطة ورحلته، مطبعة الآداب، النجف، 1971م.
6. ذكريات مشاهير رجال المغرب (ابن بطوطة)، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة أيسيسكو، 1996م.

أخبار الدولة المرينية في رحلة ابن بطوطة خلال القرن الثامن الهجري...

7. الرحلات المتبادلة بين الغرب الإسلامي والمشرق، دار المدار الإسلامي، 2004م.
8. أدب الرحلات عند العرب نشأته وتطوره (ابن بطوطة أنموذجاً)، المركز الوطني للمخطوطات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2009م.
9. رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: عبدالهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1997م.
10. ابن خلدون: عبدالرحمن (ت808هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في ذكر من غبر من العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر، بروت، 2001م، 270/7، وينظر د. محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم، الكويت، 1985م، ص116-120.
11. الجزائني: علي، جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس، تحقيق: عبدالوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1967م، ص65، وينظر: الونشريسي: أحمد بن يحيى (ت914هـ)، المعيار الموعر والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف/ محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، 332-331/7، وينظر كذلك: د. عبدالهادي التازي، جامع القرويين المسجد والجامعة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1973م، 333/2.
12. ابن أبي زرع: أبو الحسن بن عبدالله (ت741هـ)، الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص162. وينظر كذلك/ الجزائني، المصدر السابق، ص75.
13. ابن الحاج النميري: إبراهيم بن عبدالله (ت768هـ)، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، تحقيق: محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م، ص202، 199؛ وينظر كذلك / ابن الخطيب: أبو عبدالله محمد بن عبدالله (ت776هـ)، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق/ أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1983م، ص153.
14. ابن الخطيب: أبو عبدالله محمد (ت776هـ) مشاهدات ابن الخطيب، تحقيق: د. أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 1983م، ص62، 148، وينظر كذلك/ الكتاني: محمد عبدالحى، الملاجئ الخيرية الإسلامية في الدولة الموحدية والمرينية بالديار المغربية، المجلة الزيتونية، تونس، 1939م، مج3، 239/6، وينظر كذلك/ د. أحمد إبراهيم الهواري، من تاريخ الطب الإسلامي، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2005م، ص254-256.
15. ابن خلدون، المصدر السابق، 458/7، وينظر: د. عبدالعزيز محمود لعرج، مدينة المنصورة المرينية بتلمسان، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2006م، ص55-58، وينظر محمد عيسى، المرجع السابق، ص320.
16. ابن مرزوق: محمد بن محمد التلمساني (ت781هـ)، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق/ ماريّا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعياد، مكتبة عالم الفكر، الجزائر، 1981م، ص417-418، ينظر كذلك/ د. محمد عيسى، المرجع السابق، ص327-328.
17. ابن أبي زرع: أبو الحسن بن عبدالله (ت741هـ)، الأئيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق/ عبدالوهاب بن منصور، ط2، المطبعة

أخبار الدولة المرينية في رحلة ابن بطوطة خلال القرن الثامن الهجري...

- الملكية، الرابط، 1999م، ص409، 419، 422، 446، وينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، 260/7، وكذلك ابن مرزوق، المصدر السابق، ص387، وينظر: **الناصرى: أحمد بن خالد السلوي (ت1315هـ)**، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، تحقيق: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م، 67-65/2.
18. ابن خلدون، المصدر السابق، 536/6، وينظر: ابن الحاج النميري، المصدر السابق، ص164، وكذلك ابن بطوطة، المصدر السابق، ص514.
19. ابن بطوطة، المصدر السابق، ص7.
20. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، المصدر السابق، ص524، وينظر/ محد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص107.
21. ابن بطوطة، المصدر السابق، ص7.
22. المصدر نفسه، ص509.
23. المصدر نفسه والصفحة.
24. ابن الحاج النميري، المصدر السابق، ص221، 288.
25. ابن بطوطة، المصدر السابق، ص319.
26. **ابن خلدون: عبدالرحمن (ت808هـ) مقدمة ابن خلدون**، دار الشرق العربي، بيروت، 2004م، ص170.
27. المصدر نفسه، ص171.
28. المصدر نفسه والصفحة.
29. الرحلة، ص6.
30. المصدر نفسه، ص5.
31. المصدر نفسه والصفحة.
32. المصدر نفسه والصفحة.
33. المصدر نفسه، ص6.
34. المصدر نفسه، ص397.
35. المصدر نفسه، ص544.
36. المصدر نفسه، ص5.
37. المصدر نفسه، ص7.
38. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، المصدر السابق، ص543.
39. هو أبو يوسف يعقوب بن عبدالحق المريني، سيد بني مرين على الإطلاق لقبه المنصور بالله، تولى الإمارة سنة 656هـ، ودام حكمه حتى سنة 685هـ، وهو الذي فتح مراكش، وقطع ملك الموحدين ومحا أثره، وفتح مدينة سجلماسة، وانتصر على بني عبدالوادر، وحارب الإفرنج في الأندلس عدة مرات وانتصر عليهم، وهو أول ملك من بني مرين حمي الإسلام وشتت الصليبان وغزا الروم ودوخهم وقهر ملكوهم وحاصر مدنهم، وأعز الله تعالى به الدين وهو الذي بنى مدينة فاس الجديدة سنة 674هـ. ينظر: ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، المصدر السابق، ص388-391، وكذلك الجزنائي، المصدر السابق، ص43، وينظر: **الزركلي: خير الدين الأعلام**، ط4، مط/ دار العلم للملايين، بيروت، 1969م، 282/3.
40. هو عبدالحق بن محيو بن أبي بكر بن حماسة بن محمد المريني، أبو محمد، مؤسس الدولة المرينية في المغرب الأقصى، توفي سنة 614هـ، ينظر: ابن خلدون، العبر، المصدر السابق،

#### د. رمضان المختار الجامع

#### أخبار الدولة المرينية في رحلة ابن بطوطة خلال القرن الثامن الهجري...

- 169/7، ابن أبي زرع، الأنيب المطرب، المصدر السابق، ص372. وينظر/ محمد عيسى، المرجع السابق، ص10-12.
41. الرحلة، المصدر السابق، ص7.
42. هو جبل طارق، وسمى أيضاً بجبل الفتح لأنه منه كان مبدأ الفتح الأكبر، وبه نزل طارق بن زياد، عند جوازه لبلاد الأندلس، فيقال له جبل طارق، وجبل الفتح، ينظر: الرحلة المصدر السابق، ص515.
43. النيف: تعني الزيادة في العدد من واحد إلى ثلاثة، ينظر: **الفيومي: أحمد بن محمد (ت770هـ)**، **المصباح المنير**، دار الغد الجديد، القاهرة، 2007م، ص365، وينظر: **الظاهر الزاوي، مختار القاموس**، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1980م، ص626.
44. الرحلة، المصدر السابق، ص515.
45. المصدر نفسه، ص516.
46. المصدر نفسه، ص510.
47. المصدر نفسه، ص513.
48. ينظر: ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، 291/7، الناصري، المصدر السابق، 91/2، **الزركشي: أبي عبدالله محمد (ت932هـ) تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق/ محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1996م، ص95، ابن الحاج النميري، المصدر السابق، ص72.
49. الرحلة، المصدر السابق، ص513.
50. الناصري، المصدر السابق، 428/1، وينظر: د. **عبدالهادي التازي، لماذا عبدالمولد النبوي في الغرب الإسلامي**، مجلة دعوة الحق، العدد 277، الرباط، 1989م، ص24-25.
51. المؤنس، المصدر السابق، ص334.
52. الأوقاف: جمع وقف، والوقف في الاصطلاح هو تحبيس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه، يقطع تصرف الواقف وغيره في رقبته، يُصرف في جهة خير تقريباً إلى الله تعالى، والوقف لا يورث، ولا يباع، ولا يُوهب، ويستثمر ربح الوقف لمن وقفت عليهم، والأوقاف والأحباس هي واحد، والأحباس معنى جمع حبس شيء واحد، وهي سنة مؤكدة عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم. للمزيد ينظر: **الطرابلسي: إبراهيم بن موسى (ت922هـ) الإسعاف في أحكام الأوقاف**، دار السعادة للطباعة، القاهرة، مكتبة لبنان، بيروت، 1985م، ص174، **البخاري: أبي عبدالله محمد بن إسماعيل (ت256هـ) صحيح البخاري**، تحقيق: د. محمد البناء، دار ابن كثير، بيروت، 1993م، 2048/5.
53. الرحلة، المصدر السابق، ص513.
54. تجذر الإشارة إلى ان مصطلح (المارستان) انتشر في بلاد المغرب، بينما انتشر مصطلح (بيمارستان) في بلاد المشرق، وبيمارستان هي كلمة فارسية مركبة من كلمتين (بيمار) بمعنى مريض و(ستان) بمعنى دار أو مكان، فهي إذا تعني (دار المرضى) ثم اختصرت في الاستعمال في الغرب الإسلامي فصارت (مارستان)، ينظر: **الحموي، المصباح المنير**، المصدر السابق، ص2007، وكذلك: **أحمد عيسى: البيمارستانات في الإسلام**، ط2، دار الرائد، بيروت 1981م، ص4.
55. **ابن القاضي: أحمد بن محمد (ت890هـ) جذوة الاقتباس في ذكر من حل من أعلام مدينة فاس**، مط/ دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1974م، 310/1، وينظر/ ابن أبي

أخبار الدولة المرينية في رحلة ابن بطوطة خلال القرن الثامن الهجري...

- زرع، الذخيرة السنوية، المصدر السابق، ص91، ابن الحاج النميري، المصدر السابق، ص203، ابن الخطيب، مشاهدات ابن الخطيب، المصدر السابق، ص62، وينظر كذلك محمد المنوني: دور الأوقاف المغربية في التكافل الاجتماعي عبر عصر بني مرين، مجلة دعوة الحق، العدد 230، الرباط يوليو 1983م، ص214.
56. تازا: ويطلق عليها أيضاً تازة (بالتاء المربوطة) مدينة بالمغرب الأقصى تقع شرق مدينة فاس بنحو 119 كم، وتتمتع بموقع جغرافي مهم مما جعلها منذ أقدم العصور مركزاً حريباً له خطورته ومكانته الحربية، ينظر: ابن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، المصدر السابق، ص182.
57. مكناس: ويطلق عليها أيضاً اسم (مكناسة) نسبة للقبيلة التي اختطت هذه المدينة، وتقع على مسافة 40 ميلاً إلى الغرب من فاس، واشتهرت بزراعة الزيتون ولذا سميت بمكناسة الزيتون، اهتم بها المرينيون وأنشأوا بها العديد من المرافق، ينظر: ابن غازي أحمد بن محمد (ت919هـ) الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تحقيق/ عطا أبورية وسلطان بن مليح، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2007م، ص52، وينظر ابن الخطيب، المصدر السابق، ص165.
58. شالة/ مدينة بالمغرب الأقصى بناها الرومان بالقرب من نهر أبي رقرق على بعد ميلين من البحر وميل واحد من الرباط، وفي عصر الدولة المرينية جددوا بناءها وأداروا حولها الأسوار، وشيدوا بها زاوية فاخرة، وجامعاً ومدرسة، واتخذوها مدافناً لملوكهم، زارها الوزان سنة 915هـ، وقال: "رأيت فيها 30 قبراً لهؤلاء الملوك، انتسخت كل ما كتب عليها" وقد زار الباحث هذه المقابر سنة 2010م وما زالت بقايا قبورهم على حالها، ينظر/ الوزان: حسن بن محمد (ت957هـ) وصف إفريقيا، ط2، تحقيق/ محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ص203/1.
59. سلا/ مدينة بالمغرب الأقصى موازية لوادي أبي رقرق الذي يفصلها عن مدينة الرباط، نالت عناية بني مرين فسورها، وأنشأوا بها الكثير من المرافق العامة. ينظر: ياقوت الحموي: شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت (ت626هـ) معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1995م، ص231/10، وينظر ابن الخطيب، معيار الاختيار، المصدر السابق، ص152؛ الوزان، المصدر السابق، ص207/1.
60. آسفي: مدينة بالمغرب الأقصى على ساحل المحيط، تبعد عن الدار البيضاء مسافة 252 كم، وبها مرس بحري هو آخر ما تبلغه المراكب من عند الأندلس إلى ناحية القبلة، ينظر: الحميري: محمد بن عبد المنعم (ت727هـ) الروض المعطار في خبر الأقطار، ط2، تحقيق/ د. إحسان عباس، مط، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980م، ص57. وكذلك ينظر ابن الخطيب، المصدر السابق، ص160.
61. الرباط/ مدينة بالمغرب الأقصى أسسها الخليفة الموحي يعقوب المنصور (554-594هـ) وسماها (رباط الفتح) وزودها بالمساجد والمدارس وغيرها، ينظر: المراكشي، المصدر السابق، ص222، الناصري، المصدر السابق، ص201/1.
62. وصف أفريقيا، المصدر السابق، ص227/1.
63. ابن مرزوق، المصدر السابق، ص122.
64. ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، المصدر السابق، ص389.



أخبار الدولة المرينية في رحلة ابن بطوطة خلال القرن الثامن الهجري...

65. **المراكشي:** عبدالواحد (ت647هـ) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق/ محمد زينهم، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994م، ص237.
66. الرحلة، المصدر السابق، ص513.
67. يُطلق على هذه المدرسة أيضاً المدرسة البوعنانية نسبة إلى مؤسسها أبي عنان المريني باني هذه المدرسة أيضاً المدرسة البوعنانية نسبة إلى مؤسسها أبي عنان المريني باني هذه المدرسة، وتجدر الإشارة إلى ان الباحث قد زار هذه المدرسة بمدينة فاس سنة 2010م، وما زالت هذه المدرسة قائمة إلى الآن، وتؤدي دورها التعليمي والديني، وهي بحق تحفة معمارية على ما يذكره ابن بطوطة، وبها عدة حجرات متسعة للدروس، وبها حجرات لمبيت الطلبة وساحة واسعة يتخللها جدول ماء جاري، وبها مسجد تتوسطه لوحة رخامية مسجل عليها الأوقاف التي وقفها عليها السلطان أبي عنان، والمدرسة مزخرفة بالجص، وبها كتابات تلفها بالخط المغربي.
68. الرحلة، المصدر السابق، ص514.
69. هو الملك الناصر محمد بن المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي، أبو الفتح، ويُعرف بالألفي؛ لأن الملك الصالح اشتراه بألف دينار ذهباً، من كبار ملوك الدولة القلاوونية، قتل الظاهر بيبرس وامتلك قيادة الدولة فخطب له بمصر وطرابلس الغرب والشام والحجاز والعراق وغيرها واستمر 32 سنة في الحكم، ينظر: ابن بطوطة الرحلة ص30، وينظر الزركلي، الأعلام، المرجع السابق، 11/7.
70. الرحلة، المصدر السابق، ص30.
71. المصدر نفسه، ص514.
72. **المقرّي:** أحمد بن محمد (ت1041هـ) أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق/ مصطفى الأبياري، وعيد الحفيظ شلبي، مطبعة المحمدية، الرباط، 1939م، 196/3، وكذلك لنفس المؤلف: نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1986م، 290/3، وينظر/ محمد المنوني: منشآت مرينية بضاحية فاس الجديدة، مجلة المناهل، العدد 11، السنة السادسة، 1979م، الرباط، ص251.
73. نسبة إلى مؤسسها أبي عنان الملقب بالمتوكل.
74. **ابن الأحمر: إسماعيل بن يوسف (ت807هـ) روضة النسر في دولة بني مرين**، تحقيق/ عبدالوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1962م، ص27.
75. فيض العُباب، المصدر السابق، ص213.
76. **السبتي: محمد بن القاسم (كان حياً سنة 825هـ) اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار**، تحقيق/ عبدالوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1983م، ص32.
77. ينظر: ابن الحاج النميري، المصدر السابق، ص202، ابن الخطيب، معيار الاختيار، ص152.
78. ابن الحاج النميري، المصدر السابق، ص202، 171.
79. **محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين**، ط3، مط، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000م، ص66-67.
80. المسند الصحيح الحسن، المصدر السابق، ص413.
81. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص91.

أخبار الدولة المرينية في رحلة ابن بطوطة خلال القرن الثامن الهجري...

82. نفع الطيب، المصدر السابق، 290/3، وكذلك أزهار الرياض، المصدر السابق، 196/3.
83. الرحلة، المصدر السابق، ص511.
84. المصدر نفسه، ص511-512.
85. المصدر نفسه، ص512.
86. بجاية: مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب، أول من بناها (الناصر بن علناس بن حماد) سنة 475هـ، وتقع على جبل شاهق، وفي عصر ابن بطوطة تكون واجهة للمملكة الحفصية، ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص80؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، 495/1.
87. لما استقر الأمر بتونس لأبي يحيى أبي بكر الحفصي عين ولده أبا زكريا والياً على بجاية، ونظراً لصغر سنه فقد عين لمساعدته أحد كبار الموظفين بصفة مدير سياسي هو محمد بن سيد الناس، واستأثر بالسلطة، وقتل في نهاية أمره. للمزيد ينظر: ابن الشماخ: محمد بن أحمد (ت869هـ) الأدلة البيئية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق: د. الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، ص87-88، وكذلك: رويار برنشفيك: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، تعريب: حمادي الساطي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، 183-182/1.
88. الدولة الحفصية: هي إحدى الدول الثلاث التي استقلت عن الدولة الموحدية سنة 625هـ، واتخذت من مدينة تونس عاصمة لها، وقد كان بنو حفص في بداية أمرهم نواباً للموحدين على ولاية إفريقية. للمزيد ينظر: السراج: محمد بن محمد (ت1104هـ) الحل السندسية في الأخبار التونسية، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986م، 131/2، ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، 270/6، ابن الشماخ، المصدر السابق، ص48.
89. ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، 269/7، الزركشي، المصدر السابق، ص83 ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص146، الناصري، المصدر السابق، 77/2، محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص117-118.
90. ابن قنفذ: أحمد بن الحسن (ت801هـ) الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق: محمد الشادلي وعبدالمجيد تركي، الدار التونسية للنشر، 1968م، ص170، وينظر كذلك: الزركشي، المصدر السابق، ص84، ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص147، ابن خلدون، المصدر السابق، 274/7.
91. تذكر المصادر التاريخية أن القبائل العربية بإفريقية اتفقوا على تشكيل حكومة جديدة لمقاومة المرينيين، وأختاروا أحد الموحدين من حفدة بني عبدالمؤمن سلطاناً عليهم، المسمى بأبي دبوس واسمه أحمد بن عثمان بن أبي دبوس، الذي كان مستتراً في بلدة توزر. للمزيد ينظر: ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص169، الناصري، المصدر السابق، 78/2، محمد عيسى، المرجع السابق، ص121.
92. ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص169.
93. ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، 276/7، ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص169.
94. الرحلة، المصدر السابق، ص507.
95. المصدر نفسه، ص508.

#### د. رمضان المختار الجامع

#### أخبار الدولة المرينية في رحلة ابن بطوطة خلال القرن الثامن الهجري...

96. للمزيد ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، 809/6، ابن قنفذ، المصدر السابق، ص169، الزركشي، المصدر السابق، ص81، ابن الشماخ، المصدر السابق، ص92، 94، 97، ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص168، برنشفيك، المرجع السابق، 200/1.
97. ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص170.
98. ابن الشماخ، المصدر السابق، ص101-102.
99. المصدر نفسه والصفحة.
100. المصدر نفسه، ص97، وينظر برنشفيك، المرجع السابق، 199/1.
101. المصدر نفسه، ص98.
102. ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص169، وينظر: محمد عيسى، المرجع السابق، ص122.
103. الزركشي، المصدر السابق، ص85.
104. المصدر نفسه، ص86، وينظر: ابن الشماخ، المصدر السابق، ص98.
105. ابن قنفذ، المصدر السابق، ص71.
106. ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص169.
107. ينظر: الزركشي، المصدر السابق، ص86، ابن قنفذ، المصدر السابق، ص172-173.
108. الأدلة البيئية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، المصدر السابق، ص98-99.
109. الزركشي، المصدر السابق، ص89.
110. ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص169.
111. ابن الشماخ، المصدر السابق، ص99.
112. **بُونَة**: يُطلق عليها أيضاً اسم (عناية) وهي مدينة قديمة بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط بالجزائر، وسميت عناية لكثرة العنب بها. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص115، الوزان، المصدر السابق، 61/2.
113. تاريخ الدولتين، المصدر السابق، ص88-89.
114. ابن الشماخ، المصدر السابق، ص99.
115. الزركشي، المصدر السابق، ص85.
116. ابن خلدون، المصدر السابق، 285/7، وينظر الناصر، المصدر السابق، 63/2.
117. الناصري، المصدر السابق، 63/2.
118. المصدر نفسه والجزء والصفحة.
119. ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، 287/7، الزركشي، المصدر السابق، ص90، الناصري، المصدر السابق، 64/2.
120. ينظر: الناصري، المصدر السابق، 63/2، ابن الشماخ، المصدر السابق، ص99، الزركشي، المصدر السابق، ص90، محمد عيسى، المرجع السابق، ص124.
121. الناصري، المصدر السابق، 64/2.

## الإمام الكسائي ومنزلته بين القرآء

د. محمد رجب سويسي  
كلية الآداب / جامعة الزاوية

### مقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه. أما بعد: فقد من الله تعالى على أمة الإسلام بأن أرسل لها خير الأنام، وختم به الرسل والأنبياء، رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويرشدهم إلى الحق، ويهديهم صراطاً مستقيماً، فكان صلى الله عليه وسلم- اللبنة التي ختم الله بها النبوءات والرسالات، لقوله - صلى الله عليه وسلم-: "متلى ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بني بنياناً، فأحسنه، وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون به، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة - قال أنا اللبنة وأنا خاتم النبيين"<sup>(1)</sup>، وبهذا أكمل الله دينه العظيم ورسالته الخالدة مصداقاً لقوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) [المائدة: (3)] وجاء من بعده صلى الله عليه وسلم- خير الناس من الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان ممن خلفهم الله تعالى لتحمل أعظم مهمة، وأصدق وسيلة، وأشرف غاية، وهي حفظ كتابه، وضبط حروفه وكلماته وآياته، كما أنزل، فنقلوه إلينا غصاً طرياً، فهؤلاء الأئمة العظام والجهابذة النقاد الذين تتبوعوا حروفه، حرفاً حرفاً، وأداءً ورسماً مصداقاً لقوله تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) [الحجر: 9] فحفظ بذلك كتابه العظيم، من عبث العابثين، وتحريف الجاهلين، واقتراء الكاذبين ومن هؤلاء الذين حفظ الله بهم كتابه على بن حمزة الكسائي النحوي اللغوي صاحب القراءة السبعية المتواترة، الذي يعد من القراء المشهورين، الذي بلغت شهرته الأفاق، وهو موضوع بحثنا الذي نقدّم له، وقد ويشتمل هذا البحث على مقدمة وثلاثة مطالب، وخاتمة لأهم نتائج البحث.

### المطلب الأول: مدخل إلى علم القراءات والقرآء:

أولاً- تعريف علم القراءات: القراءات جمع قراءة، وهي في اللغة مصدر سماعي لقراء، وهو من قرأه يقرؤه، قرأه قرأه وقرآءة وقرآناً، فهو مقروء، ويسمى كلام الله... كتاباً وقرآناً وفرقاً، ومعنى القرآن معنى الجمع، وسمى قرآناً، لأنه يجمع السور فيصمها لقوله تعالى: (إنّ علينا جمعه وقرآنه) [القيامة: 17] أي جمعه وقرآته، (فإذا قرأناه فأتبع فرائدنا) [القيامة: 18] أي قرآته قال ابن عباس - رضي الله عنه- فإذا بيّناه لك بالقراءة فاعمل بما بيّناه لك<sup>(2)</sup>.

وفي الاصطلاح مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم، مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف، أم في نطق هيئاتها<sup>(3)</sup>، وعرقه ابن الجزري فقال: "القراءات علم بكيفيات أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقله"<sup>(4)</sup>.

ثانياً- نشأة علم القراءات: نشأ علم القراءات أول ما نشأ منذ اللحظات الأولى لتلقّي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لكلام ربه بواسطة جبريل الأمين -عليه السلام- فكان عليه الصلاة والسلام يقوم به آتاء الليل وأطراف النهار مرتلاً له ومجوداً. بسمعه أصحابه، وكل ذلك استجابة لأمر الباري له حين أمره بقوله: (أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً) [المزمل: 4]، وقوله عز وجل: (وقرآناً فرقناه لنقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً) [الإسراء: 116].

وقد أتقن الصحابة رضوان الله عليهم تلاوته؛ وذلك راجع إلى جودة سليقتهم العربية إضافة إلى كونهم قد تلقوا هذا القرآن غصاً طرياً من فم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن ثم قاموا هم

## الإمام الكسائي ومنزلته بين القراء

بتعليمه لمن وراءهم على النحو الذي سمعوه وتلقوه، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يراعي لهجات القبائل العربية في النطق واللفظ، ولهذا كان نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف<sup>(5)</sup>. وذلك من فضل الله على هذه الأمة ومن توسعته لها وقد احتقى المسلمون بقراءة القرآن وضبطه في كل العصور، واشتهر في كل زمن من الأزمنة وجيل من الناس وبلد من البلدان أناس عرفوا باسم (القراء)، فصاروا يعلمون الناس كتاب ربهم، ويُقرنونهم آيات كتابه العزيز، كل حسب مبلغ علمه من الرواية التي تلقاها عن أسيادها، فانتشر بذلك علم القراءات، وصار له علماء وطلاب، وألفت فيه المؤلفات الغزار التي بقي كثير منها شاهداً على أصالة هذا العلم ورسوخه.

### ثالثاً- القراءة الصحيحة والشاذة:

أ- **القراءة الصحيحة.** وهي القراءة المقبولة المعتمدة شرعاً في التعبد بتلاوة القرآن بها. ويشترط للقراءة الصحيحة حتى تكون مقبولة توافر ثلاثة شروط<sup>(6)</sup>:

- 1- أن تكون موافقة للعربية ولو وجه صحيح من أوجه اللغة العربية.
- 2- أن تكون موافقة للرسم العثماني ولو احتمالاً، مثل (ملك) تحتمل (مالك)، ومثل (مكانتكم) (مكاناتكم).

3- أن تكون موافقة للسند، وهو أن ينقلها عدد كبير يستحيل في العادة اجتماعهم على الكذب. والقراءات المقبولة عشر، ولكل قراءة إمامٌ اشتهر بها وأخذها الناس عنه.

ب- **القراءات الشاذة:** وهي القراءة التي اختلف فيها ركن من أركان القراءة الثلاثة التي سلف ذكرها<sup>(7)</sup>، وأشهر القراءات الشاذة أربع<sup>(8)</sup>:

- قراءة ابن محيصن: محمد بن عبد الرحمن المكي.
- قراءة يحيى اليزيدي: أبو محمد بن المبارك البصري.
- قراءة الحسن البصري الإمام المعروف.
- قراءة الأعمش وهو أبو محمد سليمان بن مهران.

### أنواع القراءات الشاذة:

- 1- ما ورد أحاداً وصح سنده، لكنه خالف رسم المصحف، أو قواعد العربية.
- 2- ما لم يصح سنده مع موافقته للرسم وقواعد النحو.
- 3- القراءات الموضوعية المختلفة<sup>(9)</sup>.
- 4- **القراءات التفسيرية:** وهي التي سبقت على سبيل التفسير، مثل قراءة سعد (وله أخ أو أخت من أم فلان واحد منهما السدس). أو قراءة (والسارق والسارقة فاقطعوا أيماهما) وقد اتفق العلماء على أن كل قراءة غير القراءات العشر تعد شاذة؛ لأنها غير متواترة؛ وعليه فلا يجوز اعتقاد قرآنيته، ولا تصح الصلاة بها، والتعبد بتلاوتها، إلا أنهم قالوا: يجوز تعلمها وتعليمها وتدوينها، وبيان وجهها من جهة اللغة والإعراب<sup>(10)</sup>.

### رابعاً- نبذة مختصرة عن القراء العشرة:

1. **نافع المدني<sup>(11)</sup>:** هو أبو رويم، وقيل أبو عبد الرحمن نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي مولاهم، وهو مولى جعونة بن شعوب الليثي حليف حمزة بن عبد المطلب المدني. كان عالماً بوجوه القراءات، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالمدينة، ثقة صالح، وكان حسن الخلق فيه دعابة، أخذ القراءة عرضاً عن سبعين من التابعين، وأقرأ الناس دهرًا طويلاً يقارب السبعين سنة، وانتهت إليه رئاسة القراءة بالمدينة وصار الناس إليها. مات سنة تسع وستين ومائة، وقيل: سبعين وقيل: سبع وستين، رحمه الله تعالى. وأشهر تلاميذه الذين روا عنه قراءته: قالون وورش.

الإمام الكسائي ومنزلته بين القراء

2. **عبد الله بن كثير<sup>(12)</sup>**: هو عبد الله بن كثير الداري المكي أبو معبد القارئ، من أبناء فارس، مولى عمرو بن علقمة الكناني. وكان إمام الناس في القراءة بمكة تحفه السكنية ويحوطه الوقار، قال ابن سعد: ثقة وله أحاديث صالحة، توفي - رحمه الله - في سنة عشرين ومئة. وأشهر تلاميذه الذين رووا عنه قراءته: فئيل محمد بن عبد الرحمن، وأحمد بن محمد البري.
3. **أبو عمرو بن العلاء<sup>(13)</sup>**: هو زيان بن العلاء بن عمار التميمي المازني البصري، أحد القراء السبعة ليس فيهم أكثر شيوخاً منه، سمع أنس بن مالك وغيره، وقرأ على الحسن البصري وغيره، قرأ القرآن على سعيد بن جبير ومجاهد، وكان لجلالته لا يسأل عن اسمه، قال عنه ابن معين: ثقة. وقال أبو حاتم: ليس به بأس، مات بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة، أشهر تلاميذه الذين رووا عنه قراءته: حفص بن عمرو الدوري، وصالح بن زياد السوسي.
4. **عبد الله بن عامر<sup>(14)</sup>**: هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة اليحصبي الدمشقي، تابعي جليل، أحد القراء السبعة. قيل في كنيته ثمانية أقوال!! أصحها - كما يقول المزي-<sup>(15)</sup>: أبو عمران وكان يقول: فيض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولي سنتان، وانتقلت إلى دمشق ولي تسع سنين<sup>(16)</sup>. مات بدمشق في أول عاشوراء من المحرم سنة ثمان عشرة ومائة، وله سبع وتسعون سنة، أشهر تلاميذه الذين رووا عنه قراءته: هشام بن عمار الدمشقي، وعبد الله بن أحمد.
5. **عاصم بن أبي النجود<sup>(17)</sup>**: هو أبو بكر عاصم بن بهدلة بن أبي النجود الأسدي مولا هم الكوفي، شيخ الإقراء بالكوفة، وأحد القراء السبعة. وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن، توفي بالكوفة آخر سنة سبع وعشرين ومائة، وقيل سنة ثمان وعشرين ومائة، أشهر تلاميذه الذين رووا عنه قراءته: حفص بن سليمان، وشعبة بن عياش.
6. **حمزة الزيات<sup>(18)</sup>**: هو أبو حمزة حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الزيات الكوفي التيمي مولا هم وقيل من صميمهم أحد القراء السبعة، ولد سنة ثمانين وأدرك الصحابة بالسن فيحتمل أن يكون رأى بعضهم. وكان حمزة متبعاً لأثر من أدرك من أئمة القراء عالماً بالقراءة ومذاهبها، على قدر كبير من الديانة والورع. إليه صارت الإمامة في القراءة بعد عاصم والأعمش. وقد زكاه عدد من العلماء المعاصرين له لما عرفوا من خصاله الحميدة ورسوخه في العلم. توفي سنة ست وخمسين ومائة في خلافة أبي جعفر، وقيل سنة ثمان وخمسين، وقبره بخلوان مشهور. أشهر تلاميذه الذين رووا عنه قراءته: خالد بن خالد، وخلف بن هشام.
7. **الكسائي<sup>(19)</sup>**: واسمه علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي مولا هم، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات. قيل لُقّب بالكسائي لأنه أحرم في كساء. وانتهت إليه القراءة واللغة والنحو والرياسة. وقال بعضهم: كان الكسائي إذا قرأ أو تكلم كأن ملكاً ينطق على فيه. وقد عاش رحمه الله سبعين سنة، أشهر تلاميذه الذين رووا عنه قراءته: حفص بن عمرو، والليث بن خالد.
8. **يزيد بن القعقاع<sup>(20)</sup>**: أبو جعفر القارئ المدني يزيد بن القعقاع، مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي. أحد الأئمة العشرة في حروف القراءات. وكان إمام أهل المدينة في القراءة وعرف بالقارئ، وكان من المفتين المجتهدين. توفي في خلافة مروان بن محمد سنة سبع وعشرين ومئة، وعاش نيفاً وتسعين سنة. أشهر تلاميذه الذين رووا عنه قراءته: عيسى بن وردان، وابن جمار.
9. **خلف البزار<sup>(21)</sup>**: هو خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف بن ثعلب أبو محمد الأسدي البزار، أحد القراء العشرة، ولد سنة خمسين ومائة وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين، وابتدأ في الطلب

### الإمام الكسائي ومنزلته بين القراء

وهو ابن ثلاث عشرة. وكان ثقة كبيراً زاهداً عادياً عالماً، روي عنه أنه قال: أشكل عليّ باب من النحو فأنفقت ثمانين ألف درهم حتى حفظته! مات في جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين ومائتين ببغداد، وهو مختف من الجهمية. أشهر تلاميذه الذين رووا عنه قراءته: إسحاق الوراق، وإدريس الحداد.

10. يعقوب الحضرمي: هو عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، أبو محمد البصري المقرئ النحوي، مولى الحضرميين، أخو أحمد بن إسحاق الحضرمي، وكان الأصغر، وجد عبد الله بن أبي إسحاق أخو يحيى بن أبي إسحاق<sup>(22)</sup>. وهو أحد القراء العشرة، وله من القراءات رواية مشهورة منقولة عنه، قال محمد بن إسحاق السراج: ولد سنة ست وستين ومئة<sup>(23)</sup> وقيل ولد بعد الثلاثين ومئة<sup>(24)</sup>، وتوفي سنة 205 هـ.

#### المطلب الثاني- التعريف بالإمام الكسائي:

أولاً- اسمه وكنيته ولقبه: هو الإمام علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي من الموالي، وهو فارسي الأصل، وأحد أئمة الكوفة<sup>(25)</sup>. كنيته أبو الحسن، ولكنه لم يشتهر بها، ويكنى أحياناً بأبي عبد الله، ولقبه الكسائي و به اشتهر، وقد ذكر بعضهم عدة أسباب للقبه، منها أنه دخل الكوفة وجاء إلى حمزة الزيات وهو ملتف بكساء، فقال حمزة: من يقرأ؟ فقيل له صاحب الكساء، فبقى عليه<sup>(26)</sup>، وذكر السيوطي أنه سأل أبا عبد الله الطوال كيف سمى الكسائي؟ فقال: كان الناس يجالسون معاذ بن مسلم الهراء في الخروز والنياب الفاخرة، وكان هو يجالسه في كساء رود باري فقيل له الكسائي<sup>(27)</sup>، وقيل إنه سمة الكسائي؛ لأنه من قرية باكسايا<sup>(28)</sup> وقيل إنه كان يصنع الكساء<sup>(29)</sup>، وقد سنل الكسائي لم سميت بالكسائي؟ قال: لأني أحرمت في كساء<sup>(30)</sup>، ولعل هذا الأخير هو أرجح الأقوال في لقبه إذ دلّ عليه أنه أفصح بنفسه سبب لقبه بالكسائي. وهناك عدد آخر يحمل لقب الكسائي، وكلهم من القراء<sup>(31)</sup>.

ثانياً- مولده ونشأته: لم تذكر المصادر عن طفولته شيئاً، غير أنهم قالوا إنه من أولاد الفرس، بدليل اسم جده الأول فيروز، أصله من قرية باحمشا<sup>(32)</sup> من سواد العراق<sup>(33)</sup> وهي تقع بين قرية أوانا والحظيرة<sup>(34)</sup>، ودخل الكوفة وهو غلام<sup>(35)</sup> وهناك حفظ القرآن الكريم مشافهة عن قرأتها المعروفين، ومن أشهرهم حمزة الزيات الذي أقرأ بقراءته زماناً قبل أن يختار لنفسه قراءة<sup>(36)</sup>. ولم يذكر أصحاب التراجم أولاداً للكسائي، ولا أسمائهم، ولا اسم زوجة له، لكن في خبر له مع الأخفش، قال له الكسائي: "إن لي أولاداً أحب أن يتأدبوا بك، ويتخرجوا عليك"<sup>(37)</sup>.

ثالثاً- خلقه وثناء العلماء عليه: وصِفَ الكسائي بأنه صادق اللهجة، لا يتحدث إلا بما سمع، قال أبو زيد: "ما جربت على الكسائي كذبة قط"<sup>(38)</sup>، وقال ابن معين: "ما رأيت بعيني هاتين أصدق لهجة من الكسائي"<sup>(39)</sup>.

وقال له القراء كالممتحن حين لقبه بتخير في أمر يصعب عليه جوابه: "يا أبا الحسن، من يعترض عليك؟ قل ما شئت، فأنت الكسائي، فأخذ لسانه بيده، وقال: "قطعه الله - إن قلت ما لا أعلم"<sup>(40)</sup>.

وقال فيه الأزهرى: "هو ثقة مأمون"<sup>(41)</sup>، ومن أشهر خصاله الدعابة والطرف، ومن ذلك ما حكاه قانلاً: وقتت يوماً على نجار فقلت له: بكم هذان البابان؟ فقال: بسلحتان، قال فحلفت ألا أكلم عامياً إلا بما يصلحه"<sup>(42)</sup>.

ووصفه البعض بالعجب والرياء، ونفى عنه هذه الصفة البعض الآخر؛ وذلك بعدما نال من رئاسة الدين والإقراء بتأديبه لأولاد الخلفاء حيث قال فيه ثعلب: "كان السلطان قد أفسده"<sup>(43)</sup>.

### الإمام الكسائي ومنزلته بين القراء

وقد بيّن هذا الأمر أبو عمرو الداني فقال: "لم يغير الكسائي من حالة مع السلطان إلا لباسه، قال: فرأه بعض علماء الكوفيين، وعليه جربانات (قمصان) عظام، فقالوا له: يا أبا الحسن، ما هذا الزي؟"، قال: "أدب من أدب السلطان لا يتلم ديناً، ولا يدخل في بدعة، ولا يخرج عن سنة"<sup>(44)</sup>.

**رابعاً- شيوخه وتلاميذه:** أخذ الإمام الكسائي ودرس على جماعة كبيرة من شيوخ عصره الذين لهم باع طويل في علوم القرآن وعلوم العربية نذكر منهم على سبيل المثال:

**1- أبان بن تغلب:** وهو ابن رباح البكري الجريدي مولى بن جرير بن عباد، وهو قارئ، مفسر، لغوي، محدث، فقيه، من غلاة الشيعة، وله مصنفات منها: غريب القرآن، وكتاب صفين، وكتاب القراءات وغيرها، مات سنة إحدى وأربعين ومائة<sup>(45)</sup>.

**2- الأعمش:** وهو محمد بن سليمان بن مهران، مولى بن كاهل من ولد أسد، يلقب بالأعمش، تابعي مشهور، ولد بالكوفة، ونشأ بها، ولفى أنس بن مالك، ولكنه لم يرو عنه شيئاً<sup>(46)</sup>، كان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض، قال الذهبي: "كان رأساً في العلم النافع والعمل الصالح"<sup>(47)</sup>، مات بالكوفة سنة ثمان وأربعين ومائة<sup>(48)</sup>.

**3- جعفر الصادق:** وهو محمد بن الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قرأ على أبيائه رضي الله عنهم- وأخذ عنه القراءة حمزة الزيات وغيره، توفي سنة ثمان وأربعين ومائة<sup>(49)</sup>.

**4- حمزة الزيات،** وهو الإمام الحبر ابن عمار بن إسماعيل الكوفي التميمي بالولاء، ولقب بالزيات؛ لأنه يبيع الزيت، أحد القراء السبعة ولد سنة ثمانين، وأدرك الصحابة بالسنن، فيحتمل أن يكون قد رأى بعضهم، أخذ القراءة عن الأعمش، وجعفر الصادق، وابن أبي ليلى<sup>(50)</sup>، وكان عالماً بالقراءات، قال عنه سفيان الثوري: "غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض"<sup>(60)</sup>، مات سنة ثمان وخمسين ومائة<sup>(61)</sup>.

وكان الكسائي قد قرأ على حمزة ونظر في وجوه القراءات، وكانت العربية علمه وصناعته، واختار من قراءة حمزة وقراءة غيره قراءة متوسطة غير خارجة عن آثار من تقدم من الأئمة. وقال الكسائي: أدركت أشياخ أهل الكوفة القراء الفقهاء: ابن أبي ليلى، وأبان بن تغلب، والحجاج بن أرطاة، وعيسى بن عمر الهمداني، وحمزة الزيات<sup>(62)</sup>.  
وأما تلاميذه فقد اشتهر بالرواية عنه أبو الحارث والدوري.

**1- أبو الحارث:** هو الليث بن خالد البغدادي، ثقة، حاذق ضابط للقراءة متقن لها، قال فيه الداني: "كان من جلة أصحاب الكسائي" عرض على الكسائي، وروى الحروف عن حمزة ابن القاسم، عن البيهقي، وروى القراءة عنه عرضاً وسماعاً كثيرون منهم: الفضل بن شاذان، و سلمة بن عاصم، وغيرهم، توفي سنة مائتين وأربعين<sup>(63)</sup>.

**2- الدوري:** هو أبو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان الدوري الأزدي البغدادي النحوي، كان ضريراً، نزل بسامراء، وأقام فيها، وكان إمام القراءة في زمانه، وهو ثقة، ثبت كبير، وقد رحل في طلب القراءات، وقرأ بسائر الحروف السبعة، وبالشواذ، ولد أيام المنصور سنة خمسين ومائة في الدور - موضع ببغداد - وتوفي سنة ست وأربعين ومائتين، وكان ذلك في آخر أيام المتوكل الذي قتل سنة سبع وأربعين ومائتين<sup>(64)</sup>.

#### المطلب الثالث- مكاتبه العلمية:

**أولاً- الإمام الكسائي قارئاً:** كان الكسائي عالماً من أعلام الكوفة في القراءة، ومفخرة من مفاخرها، كان أستاذاً كبيراً، وإماماً محققاً، وكان من أهل الرواية، مكن له ذكاؤه وحبه للعلم وإخلاصه له أن يجمع بين علوم الدين والعربية<sup>(65)</sup>. فهو إمام الكوفيين غير مدافع كما يقول أبو الطيب اللغوي<sup>(66)</sup>،



### الإمام الكسائي ومنزلته بين القراء

وهو أحد القراء السبعة، وقد شهد له الجهادة بالعلم بالقراءات واللغة والنحو قال عنه ابن مجاهد: "اختار الكسائي من قراءة حمزة وقراءة غيره قراءة متوسطة غير خارجة عن آثار ما تقدم من الأئمة"<sup>(68)</sup>، وقال أبو عبيد: "كان الكسائي يتخير القراءات فأخذ من قراءة حمزة بعضاً، وترك بعضاً، وكان من أهل القراءة، وكانت علمه وصناعته، ولم نجالس أحداً أضبط ولا أقوى بها منه"<sup>(69)</sup>، ويقول ابن الجزري: "كان إمام الناس في القراءة في زمانه وأعلمهم بالقرآن، وانتهت إليه الرياسة في الإقراء بعد وفاة شيخه حمزة"<sup>(70)</sup>، ومما يدل على علمه ما قاله ابن الأنباري: "اجتمعت في الكسائي أمور كان أعلم الناس بالنحو، وأوحدهم في الغريب، وكان أوحد الناس في القرآن، فكانوا يكثرن عليه حتى لا يضبط الأخذ عليهم فيجمعهم في مجلس ويجلس على كرسي ويتلوا القرآن من أوله إلى آخره وهم يسمعون ويضبطون عنه حتى المقاطع والمبادئ"<sup>(71)</sup>.

**ثانياً- الإمام الكسائي نحويًا:** يعد الكسائي من أشهر علماء اللغة والنحو بجانب أنه من أعلم الناس بالقراءات، وما يدل على ضلوعه في هذا العلم أنه اتخذ لنفسه قراءة مستقلة عن شيخه حمزة الزياد أحد القراء السبعة. وقد تعلم النحو في عمر متأخر وهو كبير. قال الفراء: "إنما تعلمه على كبر، وسبب ذلك أنه جالس قوماً وقد مشى حتى تعب، فقال لهم: قد عيبتُ، فقالوا له: أتجالسنا وأنت تلحن؟ فقال: كيف لحتن؟ فأجابوه: إن كنت أردت من التعب فقل: أعيبتُ، وإن كنت أردت من انقطاع الحيلة والتحيز في الأمر، فقل: عيبت مخففاً"<sup>(72)</sup>، فأنف من هذه الكلمة، ثم قام من فورهِ، وسأل عمّن يعلم النحو، فأرشدوه إلى معاذ بن مسلم الهراء، فلزمه حتى أنفذ ما عنده، ثم خرج إلى البصرة، فلقى الخليل بن أحمد الفراهيدي، فجلس في حلقتِه، فقال له رجل من الأعراب: تركت أسداً وتميماً وعندها الفصاحة وجئت إلى البصرة؟ وقد رحل الكسائي إلى البادية غير مرة، فقد رحل إلى بوادي الحجاز ونجد وتهامة يسمع عن أعرابها من غريب نوادرها ما أنفذ في كتابته خمس عشرة قتيبة حبر سوى ما حفظ"<sup>(73)</sup>، وقد وضع الكسائي القاعدة النحوية تبعاً للقراءة المروية، ومثاله وضعه قاعدة جواز العطف على اسم المنصوب قبل تمام الخبر على قراءة الرفع في (الصابئون) في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ) [المائدة: 71]، وكذلك وضعه لقاعدة "إن اسم الفاعل يعمل النصب إذا بمعنى الماضي اعتباراً بشبه المضارع معني، وإن زال الشبه لفظاً اعتماداً على قوله تعالى: (وَكَلَّبَهُمْ بِأَسِطْرٍ ذِرَاعِيَهُ بِالْوَصِيدِ) [الكهف: 18]، وجاء في طبقات الزبيدي: "رأيت الكسائي بالبصرة في مجلس يونس بن حبيب وهو يناظره مناظرة النظير"، ونقل عن ابن السري، قوله: "حضر الكسائي مجلس يونس، فقال: "لم صارت "حتى" تنصب الأفعال المستقبلية؟ فقال يونس: هكذا خلقت، فضحك به"<sup>(74)</sup>. وسأل يونس الكسائي يوماً: ما تقول: في قول الفرزدق:

**غداة أحلت لابن أصرم طعنة  
حصين عبيطات السدائف الخمر**

على أي شيء رفع الخمر؟ فأجاب الكسائي، فقال يونس: "أشهد أن الذين رأسوك رأسوك باستحقاق"<sup>(75)</sup>. وجاء أنه قيل للكسائي على أي شيء رفعت الخمر؟ فقال: "أضمرت فعلاً، كأنه قال وحلت له الخمر، فقال يونس: "ما أحسن والله توجيهك"<sup>(76)</sup>.

**ثالثاً- مكانته العلمية:** للإمام الكسائي مكانة علمية بارزة بين علماء عصره في العلوم المتجهة إليها آنذاك، وهي النحو واللغة والقراءات، وقد أوتي الكسائي همة عالية في طلب العلم منذ حداثة، بلغت به إلى أن كان رئيس الكوفيين في النحو والقراءة، وأحد أركان نقلة اللغة، فلا يكاد يخلو كتاب من نقوله وآثاره حيث جمع علم المصريين - البصرة والكوفة - وزاد، قال فيه الأزهري: "كان الغالب على الكسائي اللغات والعلل والإعراب، وعلم القرآن"<sup>(78)</sup>، وقال عنه الإمام الشافعي: "من أراد أن يتبحر في النحو، فهو عيال على الكسائي"<sup>(79)</sup>، ويقول ابن الأعرابي: "كان أعلم الناس، وكان ضابطاً قارئاً عالماً بالعربية صدوقاً"<sup>(80)</sup> ويقول فيه أيضاً: كان الكسائي أعلم من أبي زيد بكثير

### الإمام الكسائي ومنزلته بين القراء

بالعربية واللغات وال نوادر، ولو كان نظر في الأشعار ما سبقه أحد، ولا أدركه أحد بعده<sup>(81)</sup>، وقال فيه ثعلب: "أجمعوا على أن أكثر الناس كلهم رواية، وأوسعهم علماً: الكسائي"<sup>(82)</sup>، ويقول ابن الأنباري: "ولو لم يكن لأهل بغداد والكوفة من علماء العربية إلا الكسائي والقراء، لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس إذ انتهت العلوم إليهما"<sup>(83)</sup>، ويقول إسحاق الموصلي: "ما رأيت أعلم بالنحو قط منه، ولا أحسن تفسيراً، ولا أحذق بالمسائل، المسألة تشق من المسألة، والمسألة تدخل على المسألة"<sup>(84)</sup>، وقد ألف الكسائي الكثير من الكتب ولكن للأسف لم يصل منها إلا النذر اليسير، والباقي ذكرت في نقول متفرقة، وقد بلغت مؤلفاته ما يقارب العشرين مؤلفاً، منها على سبيل المثال كتاب (ما تلحن فيه العامة) وكتاب: (متشابه القرآن)، وهما كتابان صغيران مطبوعان<sup>(25)</sup>، وأمّا باقي الكتب فلاأسف لا يوجد منها شيء غير ما ذكرنا، ومن هذه الكتب معاني القرآن<sup>(86)</sup>، قال عنه الأزهرى: "للكسائي كتاب في معاني القرآن حسن، وهو دون كتاب القراء في المعاني"<sup>(87)</sup>. وله كتاب مختصر النحو، وكتاب القراءات، وكتاب اختلاف مصاحف أهل المدينة، وأهل الكوفة، وأهل البصرة<sup>(88)</sup> وغيرهم مما يضيق المقام لذكرهم.

**وفاته:** مات الكسائي وبموته انطفأ شهاب لامع، ودفن علم عزيز، وتمنى القراء: لو بقى الكسائي حياً، ليستفيد من علمه، وليستوضحه ما أشكل عليه من مسائل نحوية .

وقد أجمع مترجموه على أنه خرج مع الرشيد إلى الري، وأعتل هناك، وتوفى بقرية يقال لها رنبويه، وفي هذا اليوم توفى معه محمد بن الحسن الشيباني، وقيل إن الذي توفى معه هو القاضي أبو يوسف تلميذ الإمام أبي حنيفة النعمان. وقد اختلف المؤرخون في تاريخ وفاته، فقيل توفى سنة اثنين وثمانين ومائة، وقيل سنة ثلاث وثمانين ومائة، وقيل سنة سبع وتسعين ومائة، وقيل سنة ثمانين ومائة، والذي رجّحه العلماء هو سنة تسع وثمانين ومائة، قال ابن الجزري: "واختلف في تاريخ موته، فالصحيح الذي أرّخه غير واحد من العلماء والحفاظ، سنة تسع وثمانين ومائة صحبة الرشيد بقرية رنبويه من عمل الري" قال الرشيد عند موته: "دفنت الفقه والعربية برنبويه" يعني الكسائي ومحمد بن الحسن الشيباني .

### الخاتمة:

#### نستخلص من هذا البحث بعض النتائج وهي:

- 1- الكسائي فارسي الأصل، من قرية باحمشا من سواد العراق، دخل الكوفة وهو غلام، وهناك حفظ القرآن مشافهة عن قرائها المعروفين، ومن أشهرهم حمزة الزيات.
- 2- كان الكسائي صادق اللهجة، لا يتحدث إلا بما سمع، حتى قال عنه أبو زيد: "ما جرّبت على الكسائي كذبة قط". وهو "ثقة مأمون" كما قال فيه الأزهرى.
- 3- أخذ القراءة عن شيوخه بن حبيب الزيات، ثم خالفه في حروف، واتخذ لنفسه حرفاً، فأصبحت له قراءة تنسب إليه، فقد كان يتخبر القراءات، وكان من أهل القراءة.
- 4- كان من أعلم الناس بالنحو وأوحدهم في الغريب، وفي القرآن فلا غرابة أن تكون له قراءة مستقلة.
- 5- روى عنه خلق كثير ومن أهم طرقه جعفر النصيبي، وأبو عثمان البغدادي الضرير من طريق الدوري، ومحمد بن يحيى، وسلمه بن عاصم من طريق الليث البغدادي.
- 6- كان للكسائي اختيارات في القراءات مما تعلمه اختيارات في القراءات مما تعلمه ورواه، وقد خالف بهذه الاختيارات شيوخه، وإن كان من المسلم به أن الاختيار سيكون هو مما صح نقله بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم— ووافق رسم أحد المصاحف العثمانية، ووافق العربية

الإمام الكسائي ومنزلته بين القراء

ولو بوجه، وهذا هو الذي حدث في قراءة الكسائي، فقد اختار مما صح له سنده بالتواتر، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم- وعن عدد من الصحابة رضوان الله عليهم .

هوامش البحث:

1. متفق عليه، رواه البخاري رقم (3535)، ومسلم برقم (6101).
2. ابن منظور، لسان العرب: 3563/5، باب القاف، مادة قرأ، مناهل العرفان: 412/1.
3. الزرقاني: مناهل العرفان، 412/1، دار الشام، مطبعة عيسى البابلي الحلبي. ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تصحيح علي الضباع: 19/1، وينظر: الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: 3/1.
4. المصدر السابق نفسه، والناقلة: ضد القاطنين كما جاء في القاموس.
5. البخاري بشرح فتح الباري، كتاب فضائل القرآن، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف، برقم (4991، 4992)، 28/9، 29، تحقيق: عبد العزيز بن باز، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة.
6. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق فواز أحمد زمرلي، 89/1، دار الكتاب العربي، بيروت، صفوت محمود سالم، فتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية: 69/1.
7. الزركشي، البرهان في علوم القرآن: 331/1 وما بعدها، مكتبة دار التراث، القاهرة.
8. الزرقاني: مناهل العرفان 440/1، 464، 465.
9. الزركشي: البرهان في علوم القرآن: 231/1، 332.
10. البرهان في علوم القرآن 332/1.
11. ابن مجاهد: كتاب السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، ص: 53، دار المعارف، الطبعة الثالثة، البخاري، التاريخ الكبير: 87/8 دار الكتب العلمية، بيروت، ابن الجزري، غاية النهاية: 422، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2006م، ابن حجر: تقريب التهذيب، تحقيق عبد الوهاب عبدا للطيف: 238/2 دار المعارف، الطبعة الثانية، 1395هـ، مناهل العرفان: 318/1.
12. المزي، تهذيب الكمال، 468/15، دار المأمون، دمشق، تقريب التهذيب 318/2، ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، 322/5 مؤسسة الرسالة، مناهل العرفان 457/1.
13. صلاح الدين السفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق الأرنؤوط، 470/4 دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، 276/1.
14. التاريخ الكبير: 156/5، ابن سعد، الطبقات الكبرى: 449/7، دار صادر، بيروت، تهذيب الكمال 143/15، الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق الأرنؤوط، 403/5، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، مناهل العرفان 315/1.
15. تهذيب الكمال: 143/15.
16. الوافي بالوفيات: 403/5.
17. ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس 9/3 دار صادر بيروت، مناهل العرفان 458/1.
18. التاريخ الكبير 3/52، الطبقات الكبرى 385/6، تهذيب الكمال 323/7، الذهبي، سير أعلام النبلاء: 91/7، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1995م، غاية النهاية في طبقات القراء 1/115، عمر كحالة، معجم المؤلفين 78/4 دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ الطبعة.

الإمام الكسائي ومنزلته بين القراء

19. غاية النهاية في طبقات القراء 239/1، الوافي بالوفيات 381/6، مناهل العرفان 462/1.
20. غاية النهاية في طبقات القراء: 446/1، الثقات 543/5، تهذيب الكمال 200/33، تقريب التهذيب 376/2، التاريخ الكبير 353/8، سير أعلام النبلاء 287/5، وفيات الأعيان 274/6.
21. غاية النهاية في طبقات القراء 120/1، الطبقات الكبرى 348/7، تقريب التهذيب 272/1، وفيات الأعيان 241/2، مناهل العرفان 464/1، الزركلي، الأعلام: 311/2 دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، 1997م، بيروت.
22. تهذيب الكمال: 315/32.
23. سير أعلام النبلاء: 169.
24. سير أعلام النبلاء: 170.
25. علي بن حمزة الكسائي، مقدمة كتاب ما تلحن فيه العامة، ص: 5، مكتبة الخانجي، القاهرة، تحقيق د. رمضان عبد التواب، دبت، وينظر معجم الأدباء، م7، 167/13، ووفيات الأعيان، 295/8.
26. الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص: 128، دار المعارف، مصر، (دبت).
27. المزهر في علوم اللغة 445/2.
28. غاية النهاية 539/1.
29. مقدمة كتاب ما تلحن فيه العامة، ص6.
30. طبقات النحويين، ص: 128، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: 404/11، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (دبت)، إنباه الرواة 271/2.
31. مقدمة كتاب ما تلحن فيه العامة، ص10.
32. القطني، إنباه الرواة: 256/2، دار الفكر العربي - القاهرة، الطبعة الأولى، 1986م.
33. ابن الجزري، غاية النهاية، 535/1.
34. تبعد عن بغداد بنحو عشر فراسخ، وينظر: إنباه الرواة 256/2، الحموي، معجم البلدان 316/1.
35. إنباه الرواة 256/2.
36. غاية النهاية 538/1.
37. أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زادة، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، 151/1، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: 1423هـ-1980م، وينظر: الإمام الكسائي وآراؤه النحوية، موسى حسين علي الإمام، ص22، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدعوة الإسلامية.
38. معجم الأدباء: 193/13.
39. النشر في القراءات العشر 225/1، غاية النهاية 537/1، 538.
40. تاريخ بغداد 411/11.
41. أبي منصور الأزهرى، تهذيب اللغة، 17/1، تحقيق عبد السلام هارون، الدار المصرية للتأليف، 1384هـ-1964م.
42. الإمام الكسائي وآراؤه النحوية، ص23.
43. أبي الطيب اللغوي، مراتب النحويين، ص142، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، 1394هـ-1974م.

44. تاريخ بغداد: 411/11، إنباه الرواة: 266/2.
45. معجم المؤلفين: 1/1.
46. وفيات الأعيان: 400/2.
47. وفيات الأعيان: 400/2، الأعلام: 135/3.
48. الأعلام: 135/3.
49. غاية النهاية: 196/1، وفيات الأعيان: 327/1.
50. الأعلام: 227/2، كتاب السبعة، ص: 79.
51. غاية النهاية: 263/1.
52. المصدر السابق.
53. كتاب السبعة ص: 78، 79، ديسمير شريف استيتية، القراءات القرآنية، عالم الكتب الحديثة، ص: 202.
54. مناهل العرفان: 462/2، القراءات القرآنية، ص: 204. النشر في القراءات العشر: 173/1.
55. مناهل العرفان: 462/2، القراءات القرآنية، ص: 203؛ محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، 222/9، دار المعارف، القاهرة، 1967م، د. محمد حبش، الشامل في القراءات المتواترة، ص: 42، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ-2001م.
56. الإمام الكسائي وأراؤه النحوية، ص: 26.
57. مراتب النحويين، ص: 120.
58. كتاب السبعة في القراءات، ص: 78.
59. غاية النهاية في طبقات القراء: 538/1.
60. النشر في القراءات العشر 172/1، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، حجة القراءات، ص: 61، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة 1404هـ-1984م، القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية، ص: 199.
61. النشر في القراءات العشر، 172/1.
62. ياقوت الحموي، معجم الأديباء: 168/13، دار إحياء التراث العربي - بيروت، لبنان، (د.ت)، وينظر مقدمة ما تلحن فيه العامة، ص: 12.
63. معجم الأديباء 169/7، ينظر: لابن حجر، تهذيب التهذيب 313/7، دار صادر، الطبعة الأولى.
64. طبقات الزبيدي، ص: 127، دار المعارف، مصر، (د.ت).
65. تاريخ بغداد: 410/11.
66. لأبي القاسم الزجاجي، مجالس العلماء، ص: 20، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1403هـ-1983م.
67. تهذيب اللغة: 17/1.
68. تاريخ بغداد 406/11، غاية النهاية 538/1.
69. الداوودي، طبقات المفسرين 404/1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1403هـ-1983م.
70. معجم الأديباء، 189/7.
71. أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، ص: 120.

72. تاريخ بغداد 152/14.
  73. معجم الأدباء 188/13، إنباه الرواة 272/2.
  74. الإمام الكسائي وأراؤه النحوية، ص38.
  75. معجم الأدباء 202/7، غاية النهاية، 539/1.
  76. تهذيب اللغة/16/1.
  77. الأعلام 283/4، بغية الوعاء 164/2، ابن النديم، الفهرست ص38.
  78. إنباه الرواة: 272/2.
  79. قرية من قرى الري، وقيل توفي بطوس، معجم المؤلفين 84/7.
  80. إنباه الرواة 269/2، ابن النديم، الفهرست، ص72.
  81. تاريخ بغداد 413/11، معجم الأدباء 200/7.
  82. تاريخ بغداد 413/11، إنباه الرواة 268/2.
  83. الفهرست، ص72.
  84. إنباه الرواة: 268/2.
  85. غاية النهاية 539/1.
  86. معجم الأدباء 200/13.
- هم: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم.

## قنوت الصبح بين القابضين عليه والمبدعين له

د. محمد خليل المزوعي

### المقدمة:

إن الحمد لله نستعينه ونستعديه ونسترشده ونتوكل عليه، المتقرد بالكمال، المنعم على عباده بنعمة العقل والبيان، وأصلي وأسلم على من أنار الله به ظلمات العقول، فتركنا على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك وبعد:

فإن من المواضيع التي احتدم فيها الخلاف بين طائفة من الناس المعاصرين وبعض أهل العلم، حكم القنوت في صلاة الصبح، فريق تمسك به - من شدة دفاعه عنه - حتى كاد أن يضعه من سنن الصلاة المؤكدة، وينكر على تاركه، وفريق أنكروه حتى عد فاعله مبتدعاً، ولا يصلي خلف إمام يقنت في صلاة الصبح، مما أثر سلباً على إحدى غايات صلاة الجماعة وهي وحدة المسلمين، لذا رأيت أن أقدم هذا البحث لمناقشة هذه المسألة لبيان من قال به من أهل العلم المتقدمين من الصحابة وممن بعدهم، وممن لم يقل به، وأدلة كل فريق، دون التأثر برأي مذهبي، ولا ميل شخصي، وإنما الغاية الوصول إلى القول الصحيح أو الأرجح إن شاء الله.

سأقدم هذا البحث من خلال هيكل يتكون من مقدمة ومجموعة مطالب وخاتمة.

### المطلب الأول: تعريف لبعض مصطلحات العنوان

(قنوت الصبح بين القابضين عليه والمبدعين له).

**القنوت:** للفظ قنوت عدة معان وردت في الكتاب والسنة، قال تعالى: حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ. (سورة البقرة: آية 238). قانتين: قال ابن عباس: داعين. وقال الضحاك: طائعين. وقال مجاهد: خاشعين، وقال السدي: ساكتين، وقال ابن عمر: القنوت هو طول القيام. مستدلاً بقوله تعالى: ﴿مَنْ هُوَ قَانِتٌ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾. (سورة الزمر: آية 9) (1).

وقيل القنوت أصله القيام، قال رسول الله: **أَفْضَلُ الصَّلَاةِ طُولُ الْقُنُوتِ** (2). قال القاضي أبو بكر ابن العربي: تتبعت موارد القنوت فوجدتها عشرة: الطاعة، العبادة، دوام الطاعة، الصلاة، القيام، طول القيام، الدعاء، الخشوع، السكوت، ترك الالتفات. وكلها محتملة (3). وقال النووي: المراد بالقنوت هنا القيام - باتفاق العلماء - فيما علمت (4). وقال ابن الأنباري: القنوت على أربعة أقسام: الصلاة، وطول القيام، وإقامة الطاعة، والسكوت (5).

قال صاحب اللسان: =المشهور في اللغة أن القنوت الدعاء. وحقيقة القانت أنه القائم بأمر الله، فالداعي إذا كان قائماً، حُصَّ بأن يقال له قانت، لأنه ذاك لله تعالى، وهو قائم على رجليه، فحقيقة القنوت العبادة والدعاء لله في حال القيام، ويجوز أن يقع في سائر الطاعة، لأنه إن لم يكن قياماً بالرجلين، فهو قيام بالشيء بالنية + (6).

الصبح: صَبَحَ: الصَّبَحُ والصَّبَاحُ: أول النهار، سمي الصُّبْحُ لحُمْرته، كما سمي المصْبَاحُ مصباحاً لحُمْرته، وصلاة الصبح هي أول صلاة في النهار (8). قال الطحاوي (9): سُمِّيَتْ صلاة الصُّبْحِ لأنها

تصلى عند الإصباح (10)، القابضون: وأعني به طائفة من الناس (من المتفقهين المعاصرين والعوام) تشددوا في التمسك بالقنوت في صلاة الصبح حد التعصب في مساجد بلادنا خصوصاً حتى صاروا

قنوت الصبح بين القابضين عليه والمبدعين له

ينكرون على إمام الجماعة في المسجد إذا ترك القنوت في صلاة الصبح. المبدعون: وأعني به طائفة من الناس (من المتفهمين والعوام أكثر في بلادنا) تشددوا في تبيدع من يقنت في صلاة الصبح - في مساجد بلادنا خصوصاً - حتى صاروا ينكرون على إمام الجماعة في المسجد إذا قنت في صلاة الصبح ولا يصلون وراءه ويرونه مبتدعاً.

**المطلب الثاني: أصل المسألة ومنشأ الخلاف. (القنوت في صلاة الصبح وحكمه).**

**أصل المسألة: القنوت في صلاة الصبح:** والمراد به - هنا: الدعاء بخير أو شر في صلاة الصبح في محلٍّ مخصوص من القيام، على خلاف، قبل الركوع الثاني أو بعده، أيكون سرّاً أو جهراً. وسواء دعاء الفرد، أو دعاء الإمام في صلاة الجماعة.

**منشأ الخلاف:** هل القنوت في صلاة الصبح جائز أم لا؟ هل هو من سنن الصلاة أو مستحباتها لا ينبغي للمسلم تركه؟ أم من مكروهاتها؟ أم أنه حرام وبدعة لا يجوز فعله؛ بل وينكر على فاعله؟<sup>(12)</sup>

**المطلب الثالث- أهل العلم الذين قالوا بالقنوت في صلاة الصبح:** القول بالقنوت في صلاة الصبح نسبته الإمام الشافعي إلى النبي ﷺ، وهو مروى عن الخلفاء الأربعة وجمع من الصحابة كأئس بن مالك وابن مسعود وأبي موسى الأشعري والبراء وأبي بكره وابن عباس والتابعين وتابع التابعين ومن بعدهم من الأئمة، وسأذكر - فيما بعد - بقية القائلين به - مع من سبق ذكرهم - مقرّونا بما نقل عنهم من آثار في جواز القنوت - في مطلب أدلة القائلين به - هروباً من التكرار المخل بالبحث.

**المطلب الرابع- أدلة القائلين بالقنوت:** قال الشافعي: فأما في صلاة الصبح فلا أعلم أنه ﷺ تركه؛ بل نعلم أنه قنت في الصبح قبل قتل أهل بئر معونة وبعد، وقد قنت بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر وعلي بن أبي طالب وكلهم بعد الركوع، وعثمان رضي الله عنه في بعض إمارته، ثم قدم القنوت على الركوع، وقال: ليدرك من سبق بالصلاة الركعة<sup>(13)</sup>. وقال في كتابه اختلاف الحديث: فأما القنوت في الصبح فمحمول عن رسول الله ﷺ في قتل أهل بئر معونة وبعده، ولم يحفظ عنه أحد تركه<sup>(14)</sup>.

ومما استدلل به القائلون بقنوت الصبح:

حديث البراء بن عازب: «أن رسول الله ﷺ كان يقنت في الصبح، والمغرب»<sup>(16)</sup>.

حديث أنس قال: «ما زال رسول الله ﷺ يقنت في الفجر حتى فارق الدنيا»<sup>(15)</sup>. وأورد صاحب التحقيق في مسائل الخلاف عن الخطيب بإسناده عن أبي حصين قال: قلت لأنس ابن مالك: «كان رسول الله ﷺ ترك القنوت؟ قال: والله ما زال يقنت حتى لحق بالله»<sup>(16)</sup>.

حديث أبي هريرة قال: «والله إنّي لأقربكم صلاة برسول الله، وكان أبو هريرة يقنت في الركعة الآخرة من صلاة العشاء الآخرة، وصلاة الصبح بعدما يقول: سمع الله لمن حمده، فيدعو للمؤمنين، ويلعن الكافرين»<sup>(17)</sup>.

حديث أنس: «أن النبي ﷺ قنت حتى مات، وأبو بكر حتى مات وعمر حتى مات»<sup>(18)</sup>. وكذلك

استدلوا بحديث أنس: «أن رسول الله ﷺ قنت شهراً يدعو على أحياء من أحياء العرب، ثم تركه»<sup>(19)</sup>. وقالوا: إن قوله «ثم تركه» أي ترك الدعاء على هؤلاء القبائل المذكورة في الحديث، أو ترك القنوت في الصلوات الأربع، ولم يتركه في صلاة الصبح، ولا ترك الدعاء المذكور في حديث



قنوت الصبح بين القابضين عليه والمبدعين له

الحسن بن علي، وهو قوله «اللهم اهدنا فيمن هديت»<sup>(20)</sup> قال النووي: وهذا التأويل متعين لأن لفظ حديث أنس: «لَمْ يَزَلْ يَقْنُتُ فِي الصُّبْحِ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا». صحيح صريح، فيجب الجمع بينهما والذي ذكرناه متعين للجمع، وقد روى البيهقي بإسناده عن الإمام ابن مهدي أنه قال: إنما ترك اللعن.

ويوضح هذا رواية أبي هريرة وهي قوله: «ثم ترك الدعاء لهم»<sup>(21)</sup> وفي رواية لمسلم أيضاً «... ثُمَّ بَلَّغْنَا أَنَّهُ تَرَكَ ذَلِكَ لَمَّا أَنْزَلَ: لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ»<sup>(22)</sup>.

وفي رواية مسلم من حديث أبي هريرة السابق: «قال أبو هريرة: ثم رأيت رسول الله ﷺ ترك الدعاء بعد، فقلت: أرى رسول الله ﷺ قد ترك الدعاء لهم، قال: فقيل: وما تراهم قد قدموا»<sup>(23)</sup>.

قال الحازمي: قوله: «ثُمَّ بَلَّغْنَا أَنَّهُ تَرَكَ ذَلِكَ». هو من قول الزهري مدرج في الحديث، ومعناه أنه ترك الدعاء عليهم؛ لأنه دعا للمستضعفين، ودعا على مضر، فأجى الله المستضعفين من أيدي المشركين، وأما مضر فمنهم من قتل، ومنهم من مات، فقوله «ترك»: أي الدعاء لهؤلاء المخصوصين المؤمنين، وعلى المعينين من الكفار، وبقي ما عدا ذلك من الثناء على

الله تعالى والدعاء لنفسه وللمؤمنين، والعمل بالدليلين أولى من العمل بدليل واحد. وقال ابن حجر: روي في فوائد الحافظ أبي بكر بن زياد النيسابوري بسند عن جابر، قال: «رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ الْأَخِيرَةِ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ صَبِيحَةً خَمْسَ عَشْرَةَ مِنْ رَمَضَانَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بِنَ الْوَلِيدِ... .. الْحَدِيثَ فِيهِ: فِدَاعًا بِذَلِكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، حَتَّى إِذَا كَانَ صَبِيحَةَ يَوْمِ الْفِطْرِ تَرَكَ الدُّعَاءَ، فَسَأَلَهُ عُمَرُ، فَقَالَ: أَوْ مَا عَلِمْتُ أَنَّهُمْ قَدِمُوا، قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يَذْكُرُهُمْ انْتَفَحَ عَلَيْهِمُ الطَّرِيقُ يَسُوقُ بِهِمُ الْوَلِيدُ بِنَ الْوَلِيدِ ...»<sup>(24)</sup> الحديث وعن أنس أيضاً: «أن النبي ﷺ

كان يقنت بعد الركوع في صلاة الصبح في الركعة الأخيرة»<sup>(25)</sup>. وأخرج البيهقي بإسناده في السنن الكبرى عن عبد الرحمن بن هرمز أن برید بن أبصاح أخبره أنه سمع ابن عباس ومحمد بن علي

ابن الحنفية يقولان: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْنُتُ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ، وَفِي وَتْرِ اللَّيْلِ بِهَوْلَاءِ الْكَلِمَاتِ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أُعْطِيتَ، وَفِي شَرِّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، إِنَّهُ لَا يَدُلُّ مَنْ وَالَيْتَ تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ»<sup>(26)</sup> وما

استدل به القائلون بالجواز فعل بعض الصحابة M، وأولهم الخلفاء الراشدون: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، كما مر في حديث أنس عن أبي بكر وعمر. وقال ابن عبد البر: روى الأكثر عن

عمر ؓ أنه كان يقنت في صلاة الصبح من وجوه متصلة صحاح<sup>(27)</sup>. وقد روى البيهقي بإسناده عن شعبة، عن عاصم الأحول، وسليمان التيمي، وعلي بن زيد أنهم سمعوا أبا عثمان يحدث عن عمر:

«أَنَّهُ كَانَ يَقْنُتُ بَعْدَ الرُّكُوعِ»<sup>(28)</sup>

وبإسناده أيضاً عن يحيى بن سعيد، عن العوام بن حمزة، قال: «سَأَلْتُ أَبَا عَثْمَانَ عَنِ الْقُنُوتِ فِي

الصُّبْحِ، فَقَالَ: بَعْدَ الرُّكُوعِ، فَقُلْتُ: عَمَّنْ؟ قَالَ: عَنِ أَبِي بَكْرٍ، وَعَمْرٍ، وَعَثْمَانَ»<sup>(29)</sup>. وأخرج الطبري في تهذيب الآثار بإسناده عن برید بن أبي مريم السلولي، قال: «صَلَّيْتُ مَعَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ صَلَاةَ

الْعِدَاةِ فَقَنَّتْ قَبْلَ الرُّكُوعِ»<sup>(30)</sup>. وأخرج الطبري في جامعه عن أبي رجاء العطاردي قال: «صَلَّيْتُ خَلْفَ ابْنِ عَبَّاسٍ الْفَجْرِ، فَقَنَّتْ فِيهَا، وَرَفَعَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ الصَّلَاةُ الْوَسْطَى الَّتِي أَمَرَنَا اللَّهُ أَنْ

(32)

نقوم فيها قانتين» .

وروى الإمام مالك أن عروة بن الزبير<sup>(33)</sup> كان لا يقنت في شيء من الصلاة ولا الوتر إلا أنه كان يقنت في صلاة الفجر قبل ركوع الركعة الثانية<sup>(34)</sup>. وقال النووي: وممن قال بالقنوت في الصبح الخلفاء الأربعة وابن عباس والبراء بن عازب، رواه البيهقي بأسانيد صحيحة<sup>(35)</sup>. وأخرج ابن أبي شيبة عن عبد الرحمن بن معقل، قال: قننت في الفجر رجلاً من أصحاب النبي<sup>(36)</sup> علي، وأبو موسى<sup>(37)</sup>. وعن عبيد بن البراء، عن البراء، أنه كان يقنت في الفجر<sup>(37)</sup>. وعن محمد بن إسماعيل، قال: سألت سعيد بن جبير عن القنوت، فقال: إذا قرأت فاركع<sup>(38)</sup>. وعن ابن أبي ليلى قال: القنوت سنة ماضية<sup>(39)</sup>. وعن ابن سيرين أنه قال: القنوت في الفجر هنيئة، أو ساعة، أو كلمة تُسبِّهها<sup>(40)</sup>، وفي المدونة: قال ابن مسعود وأبو موسى الأشعري وأبو بكره وابن عباس وعبد الرحمن بن أبي ليلى: القنوت في الفجر سنة ماضية<sup>(41)</sup>. قال ابن المنذر- بعد ذكره لطائفة من الصحابة والتابعين واختلافهم في القنوت هل هو بعد الركوع أم قبله - : وعامة من ذكرنا أنه رأى القنوت قبل الركوع أو بعده، فإنما هو في صلاة الصبح. وروى بإسناده عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال: «صليت خلف عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وأبي موسى الأشعري فكانوا يقننون في صلاة الفجر قبل الركوع» وإسناده عن أبي إسحاق عن الحارث أنه: «صلى مع علي الغداة فقننت قبل الركعة». وإسناده عن أنس «أن بعض أصحاب رسول الله<sup>(42)</sup> قننوا في صلاة الفجر قبل الركوع، وبعضهم بعد الركوع». وإسناده عن أنس وعمر بن عبد العزيز أنهما «كانا يقننان في صلاة الفجر قبل الركوع». إلا أن ابن المنذر حملها على القنوت في الصبح إذا نزلت بالمسلمين نازلة احتاج المسلمون من أجلها إلى القنوت قننت إمامهم بعد الركوع. وذكر بإسناده روايات مرفوعة وموقوفة تثبت القنوت بعد الركوع في الصبح لكن ليس فيها نص أنها مختصة بالنازل<sup>(42)</sup>. وأما الفقهاء الذين دارت عليهم الفثيا في الأمصار الذين قالوا بالقنوت في صلاة الصبح مالك وابن أبي ليلى والأوزاعي والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وداود والطبري يرون القنوت في الفجر، أما الشافعي فهو عنده مستحب، وقال الحسن البصري وسحنون: هو سنة<sup>(44)</sup>. وعن وكيع قال سمعت سفيان الثوري يقول: من قننت فحسن ومن لم يقنت فحسن ومن قننت فإنما القنوت على الإمام وليس على من وراءه قنوت<sup>(45)</sup>. ونقل صاحب البيان عن الإمام أحمد قوله: القنوت للأئمة يدعون للجيش، فإن ذهب إليه ذاهب. فلا بأس<sup>(46)</sup>. وقال أبو داود سمعت أحمد سئل عن رجل نسي القنوت؟ فقال: إن كان ممن تعود القنوت فليسجد سجدة السهو<sup>(47)</sup>. وقال ابن عبد البر قول مالك في القنوت: إنما هو دعاء، فإذا شاء، وإن شاء ترك<sup>(48)</sup>. وعده الباجي من فضائل صلاة الصبح عند مالك<sup>(49)</sup>. ومن أدلة القائلين به من المالكية عمل أهل المدينة، وفي كتاب الحجة: قال مالك وعلى ذلك كان الناس في زمان الأول، وعلى ذلك أدركتهم<sup>(50)</sup>.

وقال صاحب ناسخ الحديث ومنسوخه<sup>(51)</sup> - بعد ذكره لحديث قنوت النبي<sup>(51)</sup> عليه السلام حتى مات - :

قنوت الصبح بين القابضين عليه والمبدعين له

وعلى ذلك أهل المدينة، وإذا كان أهل المدينة على شيء فهو الحق، وسئل مالك عن القنوت في الفجر؟ فقال: لم أدرك أحداً يعيبه، فقيل له: أو كانوا يقننون؟ قال نعم. وسئل ابن أبي ذئب عن القنوت في الصبح؟ فقال: هو الأمر بهذا البلد (المدينة) منذ كان الإسلام. وهو قول أبي الزناد (52) وعبد الرحمن بن هرمز (53). وعند أبي يوسف من صلى الفجر خلف إمام يقنت يتابعه، وعند محمد وأبي حنيفة لا يتابعه (45).

قال القاضي أبو بكر ابن العربي: الدليل على صحة مذهب مالك ما أخرجه الشيخان عن عاصم أنه قال: «سألت أنس بن مالك عن القنوت، فقال: قد كان القنوت قنوت: قنوت الرُّكُوع أو بعده؟ قال: قنوته، قال: فإن فلاناً أخبرني عنك أنك قلت بعد الرُّكُوع، فقال: كذب إنما قننت رسول الله ﷺ بعد الرُّكُوع شهراً، أراه كان بعث قوماً يقال لهم الفراء، زهاء سبعين رجلاً، إلى قوم من المشركين دون أولئك، وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد، فقتلوا الفراء، فقننت رسول الله ﷺ شهراً يدعوا عليهم» (55).

فإذا ثبت هذا، فنقول: إن رسول الله ﷺ قننت في الصبح والمغرب والعشاء، فاستقر عمل أهل المدينة على القنوت في الصُّبح. وهو الدعاء، وهو الطاعة، ولا يكون إلا في قيام كما فعله رسول الله ﷺ، فقد اجتمعت الثلاثة في معنى واحد. ونقل ابن بطال عن المهلب قوله: (56) (57) (58)

لم يحفظ عن النبي ﷺ أنه تبادى على القنوت في المغرب؛ بل تركه تركاً لا يكاد يثبت معه أنه لو قننت فيها لترك الناس نقله، إلا أنه روى عن أبي بكر الصديق أنه كان يدعو في الثالثة من المغرب بعد قراءته أم القرآن: «ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا» (سورة آل عمران: آية 8)، واستحبه الشافعي، وقال مالك: ليس العمل عندنا على هذا، وإنما جاء أن الناس كانوا يلغنون الكفرة في (59)

رمضان في الوتر. هذا أغلب - إن لم يكن كل - من قال بالقنوت في صلاة الفجر والأدلة التي اعتمدوا عليها في قولهم. وقد تركت إيراد بعض الأحاديث في قنوت الصبح أوردها بعض أهل العلم لشدة ضعفها، فتركت الاشتغال بها، وقد صنفت في جواز قنوت الصبح الخطيب البغدادي كتاباً سماه «القنوت»، وأورد فيها أحاديث مرفوعة يحتج بها على ثبوت قنوت الصبح في غير النوازل، وقد شنع عليه بعض أهل العلم في إيراده لأحاديث يعلم أنها باطلة - على قولهم - لا سيما وقد اشتهر بعض الرواة فيها بالوضع على أنس، وعدوا ذلك تعصباً لمذهبه، وأن ذلك قد يوهم البعض بصحتها؛ لأن صاحب الكتاب من كبار أهل الحديث فلا يشكون في صحتها ما دام قد احتج بها من هو مثل (60)

الخطيب. **المطلب الخامس - القائلون بعدم القنوت في الصبح إلا في النوازل:** ذهبت طائفة من أهل العلم إلى عدم جواز القنوت مطلقاً، وذهبت أخرى إلى جوازه في النوازل فقط، والثاني روي عن ابن عباس، وابن عمر، وابن مسعود، وأبي الدرداء، وهو رواية عن الثوري، وهو قول أبي حنيفة وأحمد (61).

**المطلب السادس - أدلة المانعين:** ومن النصوص التي استدلووا بها على النوازل خاصة الآتي: 1. عن أبي مالك الأشجعي سعد بن طارق، قال: «قننت لأبي: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، إِنَّكَ قَدْ صَلَّيْتَ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ هَاهُنَا بِالْكُوفَةِ نَحْوًا مِنْ خَمْسِ سِنِينَ، فَكَانُوا يَقْنُتُونَ فِي الْفَجْرِ؟ فَقَالَ: أَيُّ بَنِيَّ، مُحَدَّثٌ» (62).

قنوت الصبح بين القابضين عليه والمبدعين له

2. عن أنس أن النبي ﷺ «كَانَ لَا يَقْنُتُ إِلَّا إِذَا دَعَا لِقَوْمٍ أَوْ دَعَا عَلَى قَوْمٍ»<sup>(63)</sup>.
  3. عن أنس أن النبي «لَمْ يَقْنُتْ إِلَّا شَهْرًا وَاحِدًا حَتَّى مَاتَ»<sup>(64)</sup>.
  4. «عن عمر بن الخطاب أنه لم يكن يقنُتُ إلا أن يستنصر، قال ولا رسولُ الله ولا أبو بكر»<sup>(65)</sup>.
  5. قيل لأنس: «إِنَّ قَوْمًا يَزْعُمُونَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَزَلْ يَقْنُتُ بِالْفَجْرِ، فَقَالَ: كَذَبُوا إِنَّمَا قَنَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَهْرًا وَاحِدًا يَدْعُو عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْمُشْرِكِينَ»<sup>(66)</sup>.
  6. عن أنس قال: «قَنَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَهْرًا بَعْدَ الرُّكُوعِ يَدْعُو عَلَى أَحْيَاءٍ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ ثُمَّ تَرَكَهُ»<sup>(67)</sup>.
  7. عن ابن مسعود قال: «لَمْ يَقْنُتْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَّا شَهْرًا، لَمْ يَقْنُتْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ»<sup>(68)</sup>.
  8. وعن ابن عمر قال: «صَلَّيْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعِثْمَانَ، فَلَمْ يَقْنُتُوا، وَلَمْ يَجْهَرُوا»<sup>(69)</sup>.
  9. وعن مالك عن نافع «أَنَّ عِبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو كَانَ لَا يَقْنُتُ فِي شَيْءٍ مِنَ الصَّلَاةِ»<sup>(70)</sup>. وقال ابن الجوزي: احتج القائلون بالقنوت بأحاديث تنقسم إلى أقسام: أحدها ما هو مطلق، وهو أن النبي ﷺ قنن، وهذا لا تتنازع فيه؛ لأنه ثابت. والثاني مقيد بأنه قنن في صلاة الصبح، ولا تتنازع فيه أيضاً؛ لأنه فعله شهراً، والثالث لفظها محتمل فنحمله على ما فعله شهراً بأدلتنا<sup>(71)</sup>.
- وقال: من المعلوم بالضرورة أن النبي ﷺ لو كان يقنن في كل صباح ويدعو بالدعاء المروي ويؤمن الصحابة لكان نقل لنا الأمة لذلك كلهم، كنقلهم لجهره بالقراءة فيها وعددها ووقتها، وإن جاز عليهم تضييع أمر القنوت لجاز عليهم تضييع ذلك، ولا فرق، وبهذا الطريق علمنا أن لم يكن هديه الجهر بالبسملة كل يوم وليلة خمس مرات على الدوام، ثم يضيع أكثر الأمة ذلك ويخفي عليها، وهذا محال، فلو كان ذلك واقعاً لنقل لنا كما نقل عدد الركعات والسجودات والجهر والإخفات، لذا فالإنصاف الذي يرتضيه العالم المنصف أن النبي ﷺ جهر وأسر، وقنن وترك، وترك القنوت أكثر من عكسه، فقنوته كان عند النوازل فقط، ولم يختص بالفجر دون غيره؛ بل حتى في الأوقات الأخرى، كما رواه أصحاب الصحيح، ولكن كان أكثر قنوته في الفجر لأجل ما شرع فيها من التطويل ولما ورد في فضلها، وأنها من ساعات الإجابة، وأما حديث «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ ... ..» فلو صح لكان بيئاً في الاحتجاج به. ويرى ابن القيم أن أهل الحديث متوسطون بين المانعين والمستحبين له، فإنهم يقننون حيث قنن النبي ﷺ أي عند النوازل فقط<sup>(72)</sup>.
- المطلب السابع: مناقشة الأدلة.**
- أدلة المجيزين- وسأدقق القول في الأحاديث المرفوعة أولاً:**
- قول الإمام الشافعي القنوت في صلاة الصبح فلا أعلم أنه عليه السلام تركه؛ بل نعلم أنه قنن في الصبح قبل قتل أهل بئر معونة وبعد. ولم يأت ببدليل من سنة النبي ﷺ لا من فعله ولا من قوله مسنداً. ومما استدلل به القائلون بقنوت الصبح:

قنوت الصبح بين القابضين عليه والمبدعين له

1. حديث البراء بن عازب: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْنُتُ فِي الصُّبْحِ، وَالْمَغْرِبِ». نقل ابن حجر<sup>(73)</sup>

عن الطحاوي الإجماع على نسخه في المغرب، فيكون في الصبح كذلك، لكن الطحاوي في شرح معاني الآثار لم يقل أن النسخ للمغرب وكذلك يكون حكم صلاة الصبح، بل

قال بعد ذكره لحديث أبي هريرة بترك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدعاء ذات صباح: «ففي ذلك أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول ذلك القنوت في العشاء الآخرة، كما كان يقوله في الصبح، وقد أجمعوا أن ذلك منسوخ من صلاة العشاء الآخرة بكماله لا إلى قنوت غيره، فالفجر كذلك منسوخ.

وقال ابن القيم في حديث البراء: قول المحتجين بقنوت الصبح لحديث البراء بأن قنوت المغرب منسوخ يحتج عليهم منازعهم بأن أي دليل تأتون بها على نسخ قنوت المغرب فهو دليل على نسخ قنوت الفجر سواء بسواء، ولا يمكنكم أبداً إقامة دليل على نسخ قنوت المغرب وإثبات قنوت

الفجر. ودعوى النسخ لقنوت المغرب والصبح في حديث البراء لم يقم عليها المانعون من القنوت دليلاً، بل تبقى مجرد دعوى، ولعل ما مر من كلام المالكية من أن عمل أهل المدينة دل على نسخ القنوت في المغرب، وبقاء الصبح على حكمه الأول أقوى من حيث الدليل، إذا اعتبرنا عمل أهل المدينة حجة، وقد صرح بتوارث القنوت في الصبح في مدينة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جمع من كبار أهل العلم من المدينة، كابن أبي ذئب الذي قال هو الأمر بهذا البلد منذ كان الإسلام، وابن هرمز وأبي الزناد ومالك جميعاً<sup>(75)</sup>.

2. حديث أنس قال: «مَا زَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْنُتُ فِي الْفَجْرِ حَتَّى فَرَقَ الدُّنْيَا».

لعل هذا الحديث أقوى ما يحتج به القائلون من فعله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن تكلم في إسناده جمع من أهل العلم، ومدار الخلاف فيه من جهة الإسناد والمتن: أما من جهة الإسناد، فالحديث مروى من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أنس، والحديث رده المانعون لأن في إسناده أبا جعفر الرازي عيسى بن ماهان، وقد قال فيه الإمام أحمد بن حنبل: ليس بقوي في الحديث، ورواية أخرى عنه قال: صالح الحديث. ووثقه يحيى بن معين، ورواية أخرى عنه: يكتب حديثه ولكنه يخطئ، وثالثة: صالح. ورابعة: ثقة، وقد وافقه فيها ابن المديني، ووثقه كذلك محمد بن عمار الموصلي وأبو حاتم، وابن سعد وقال أبو زرعة: شيخ يهمل كثيراً، وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال عبد الرحمن بن يوسف بن خراش: سيئ الحفظ، صدوق، وقال أبو أحمد بن عدي: له أحاديث سالحة، وقد روى عنه الناس، وأحاديثه عامتها مستقيمة، وأرجو إنه لا بأس به<sup>(77)</sup>.

وقال ابن حجر في التقریب: صدوق سيء الحفظ<sup>(78)</sup>.

قال الحافظ العراقي: وأجاب من استحسب القنوت بأن المراد ترك الدعاء لمن سمي، وعلى من سمي؛ لا أنه ترك أصل القنوت؛ بدليل الزيادة التي رواها الدارقطني والحاكم والبيهقي والتي في إسناده أبو جعفر الرازي، وقد اختلفوا فيه: فوثقه ابن معين وابن المديني وأبو حاتم الرازي، وقال الفلاس سيء الحفظ، وقال النسائي ليس بالقوي، وقد صحح الحديث الحافظ أبو عبد الله محمد بن علي<sup>(79)</sup>.

علي الجلي، والحاكم والدارقطني والبيهقي والنووي وحسنه ابن حجر في نتائج الأفكار، هذا من جهة الإسناد، والأمر في الجرح والتعديل إذا تعارضوا يقدم الجرح المفسر، قال الخطيب: لأن الجرح يخبر عن أمر باطن قد علمه، ويصدق المعدل ويقول له: قد علمت من حاله الظاهرة ما علمتها، وتقردت بعلم لم تعلمه من اختبار أمره. وأخبار المعدل عن العدالة الظاهرة لا ينفى صدق

قنوت الصبح بين القابضين عليه والمبدعين له

(81)

قول الجراح فيما أخبر به، فوجب لذلك أن يكون الجراح أولى من التعديل . وأبو جعفر الرازي وإن كان من وثقه - والله أعلم - أعلى درجة ممن تكلم فيه من جهة، والمساوي للمعدل ممن تكلم فيه كالإمام أحمد قال أنفاً: ليس بقوي في الحديث. ورواية أخرى عنه قال: صالح الحديث. فلعل درجة الحديث إلى الحسن أقرب منها إلى الضعيف، فقد قال الذهبي: أصلح دليل لمن قال بالقنوت في صلاة الصبح حديث أبي جعفر، والحديث محمول على أنه ما زال يطول صلاة الفجر؛ فإن القنوت لفظ مشترك بين القنوت العرفي واللغوي، قال الله تعالى: {أَمْ مِنْ هُوَ قَانِتِ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا} فالمراد هنا بالقنوت العبادة بلا ريب. وكقوله تعالى: {يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ}. وفي الحديث: " أن رجلاً قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: طَوْلُ الْقَنُوتِ ". وفي لفظ: طول القيام. فالمراد بهذا القنوت العبادة؛ قال الله تعالى: {وَمَنْ يَقْنُتْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ

(82)

وتعمل صالحاً نؤتيها أجرها مرتين} . وهذا ميل منه إلى قبول الحديث أكثر منه إلى تضعيفه، بدليل حمله لمعنى القنوت على وجه آخر، دون تضعيف الحديث، وضعف بعض أهل العلم الحديث فعده منكرًا، قال ابن رجب في الفتح: حديث منكر، قال أبو بكر الأثرم: هو حديث ضعيف، مخالف

للأحاديث، يشير إلى أن ما ينفرد به أبو جعفر الرازي لا يحتج به، ولا سيما إذا خالف الثقات . ونقل أيضا الاضطراب فيه؛ لأن أبا جعفر يروي الحديث فيذكر فيه صلاة الصبح تارة، وأخرى لا يذكرها؛ فإسناده عن الربيع: سئل أنس عن قنوت النبي ﷺ أنه قننت شهرًا، فقال: «ما زال النبي

(84)

ﷺ يقننت حتى مات» . قلت: هذا الاضطراب قد لا يكون منه بل ممن روى عنه، فالرواية التي لم يذكر فيها صلاة الصبح ذكرها الطبري في تهذيب الآثار من طريق خالد بن يزيد عن الربيع

(85)

عن أنس، وخالد بن يزيد الأزدي العتكي صدوق يهيم، كذا قال ابن حجر في التقريب . بينما رواية إثبات قنوت النبي ﷺ في صلاة الصبح حتى مات، أخرجها الطحاوي في شرح معاني الآثار ،

(87)

من طريق شيخه فهد بن سليمان (ثقة ثبت) عن أبي نعيم الفضل بن دكين عن أبي جعفر الرازي،

(88)

والفضل قال فيه ابن حجر: ثقة ثبت . والحديث - كما مر - صححه الحافظ أبو عبد الله محمد بن علي البجلي، والحاكم، والدارقطني، والطبري، والبيهقي، والخطيب، والحازمي، والنووي، وابن الملquin، وقال ابن الصلاح: حديث قد حكم بصحته غير واحد من حفاظ الحديث. وحسنه ابن حجر في

(89)

نتائج الأفكار ، ويلاحظ في هذا الحديث أن بعض المحدثين E من صححوا الحديث لم يذكروا كلام من ضعف أبي جعفر، واكتفوا بنقل المعدلين، ومن ضعفوا الحديث لم يذكروا توثيق المعدلين لأبي جعفر، واكتفوا بنقل من تكلم فيه فقط .

(90)

3. وأما أورده صاحب التحقيق في مسائل الخلاف عن الخطيب بإسناده عن أبي حصين قال: قلت لأنس ابن مالك: «كان رسول الله ترك القنوت؟ قال: والله ما زال يقننت حتى لحق بالله». فكما أسلفت لم أعتد له على تخريج فيما اطلعت عليه من مصادر .

(91)

4. وأما حديث أبي هريرة قال: «والله إني لأقربكم صلاة برسول الله ﷺ ...» . الحديث. فقد حمل المانعون لقنوت الصبح هذا الحديث على جواز القنوت في النوازل فقط، لأن القنوت نسخ، وقال صاحب عمدة القارئ (73/6): إن الله Δ نسخ ذلك بقوله: «لئیس لك من الأمر شيء»

قنوت الصبح بين القابضين عليه والمبدعين له

أو يُتُوبَ عَلَيْهِمْ أو يعذبهم» الآية (سورة آل عمران: آية 128)، ففي ذلك وجوب ترك القنوت في الفجر، والقول بأنه قد ثبت عن أبي هريرة أنه كان يقنت في الصبح بعد رسول الله ﷺ فكيف تكون الآية ناسخة لجملة القنوت، فالجواب احتمال ألا يكون أبو هريرة قد علم بنزول الآية، فكان يعمل على ما علم من فعل رسول الله ﷺ وقنوته إلى أن مات؛ لأن الحجة لم تثبت عنده بخلاف ذلك. وفي المعنى لابن قدامة<sup>(92)</sup>: لا يسن القنوت في الصبح ولا في غيره إلا الوتر، بدليل حديث: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَنَتَ شَهْرًا، يَدْعُو عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، ثُمَّ تَرَكَهُ»<sup>(94)</sup>

5. أما القول بالنسخ بدليل نزول قوله تعالى: «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ» الآية، حينما كان النبي ﷺ يدعو على قبائل من العرب، فغير مسلم على إطلاقه؛ لأنه ثبت أيضا في صحيح مسلم: عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ «كَسِرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشَجَّ فِي رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: «كَيْفَ يَفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَّتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ؟»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ» . فسبب النزول محتمل . وأما القول باحتمال أن أبا هريرة كان يقنت لعدم علمه بنزول الآية، فكان يعمل على ما علم من فعل رسول الله ﷺ وقنوته إلى أن مات؛ فمردود كذلك بما أخرجه مسلم عن سعيد بن المسيب، وأبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أنهما سمعا أبا هريرة يقول: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ حِينَ يَفْرُغُ مِنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ مِنَ الْقِرَاءَةِ، وَيَكْبُرُ وَيَرْفَعُ رَأْسَهُ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ»، ثُمَّ يَقُولُ وَهُوَ قَائِمٌ: «اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَسَلْمَةَ بْنَ هِشَامٍ، وَعِيَّاشَ بْنَ أَبِي رِبِيعَةَ وَالْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطَأَتَكَ عَلَى مُضَرَ وَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ كِسْفِي يَوْسُفَ، اللَّهُمَّ الْعَنْ لِحْيَانَ، وَرَعْلًا، وَذَكَوَانَ، وَعَصِيَّةَ عَصَتِ اللَّهِ وَرَسُولَهُ»، ثُمَّ بَلَّغْنَا أَنَّهُ تَرَكَ ذَلِكَ لَمَّا أَنْزَلَ: «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَلَيْسَ ظَالِمٌ مِنْكُمْ» . فهذا نص في أن أبا هريرة كان على علم بنزول الآية في هؤلاء القوم، ومع ذلك كان يقنت . وأما ما ذهب إليه صاحب المعنى بنسخ القنوت في الصبح بدليل حديث: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَنَتَ شَهْرًا، يَدْعُو عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، ثُمَّ تَرَكَهُ» . فقد تقدم أن قوله «ثُمَّ تَرَكَهُ» يحتمل ترك القنوت على رأي القائلين بالمنع، أو ترك الدعاء على هؤلاء القبائل المذكورة في الحديث، أو ترك القنوت في الصلوات الأربع، ولم يتركه في صلاة الصبح، ولا ترك الدعاء المذكور في حديث الحسن بن علي، وهو قوله «اللهم اهدنا فيمن هديت» . على قول القائلين بالجواز، وقد احتجوا أيضا بهذا التأويل جمعا بين الأدلة على قولهم، أي «ثُمَّ تَرَكَهُ» و «لَمْ يَزَلْ يَقْنُتْ فِي الصَّبْحِ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا» .

6. وأما الاستدلال بحديث أنس: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَنَتَ حَتَّى مَاتَ، وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى مَاتَ وَعَمْرٌ حَتَّى مَاتَ» . فالكلام فيه مداره على أبي جعفر الرازي، وقد تقدم، وأما قنوت أبي بكر وعمر فقد استدلت المانعون على أنهما لم يقنتا، وسيرد في المطلب التالي.

7. حديث أنس: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْنُتُ بَعْدَ الرُّكُوعِ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ فِي الرَّكْعَةِ الْأَخِيرَةِ» . وقد مر أن ابن الجوزي أخرجه بإسناده عن أنس، وفيه عمر بن حبيب العدوي القاضي البصري ضعيف، فلا يصح من جهة الإسناد<sup>(99)</sup> .

قنوت الصبح بين القابضين عليه والمبدعين له

8. وأخرج البيهقي بإسناده في السنن الكبرى عن عبد الرحمن بن هرمز أن بُرَيْدَ بن أبي مریم أخبره أنه سمع ابن عباس ومحمد بن علي ابن الحنفية يقولان: « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْنُتُ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ، وَفِي وَثْرِ اللَّيْلِ بِهَوْلَاءِ الْكَلِمَاتِ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أُعْطِيتَ، وَفِي شَرِّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، إِنَّهُ لَا يَدُلُّ مَنْ وَالَيْتَ تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ ». فهذا الحديث تكلم عليه الحافظ ابن حجر، ورد على الشافعي كون هذا الحديث روي عن الحسن؛ ولكن ليس فيه عنه أنه في صلاة الصبح، وقد رواه الأئمة أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم والدارقطني، وليس فيه «في صلاة الصبح»؛ بل في قنوت الوتر، وقال ابن خزيمة وابن حبان: لفظه قنوت الوتر تفرد بها أبو إسحاق عن بُرَيْدَ بن أبي مریم، وروى شعبة بن الحجاج الحديث، وهو أحفظ من مائتين مثل أبي إسحاق، فلم يذكر فيه القنوت ولا الوتر<sup>(100)</sup>، وأردف ابن حجر أن الطريق الثانية عن ابن عباس وابن الحنفية، وهي من جهة عبد الرحمن بن هرمز عن بُرَيْدَ، وابن هرمز ليس بالأعرج، فيحتاج إلى الكشف عن حاله. وقيل هو عبد الله بن هرمز، والأول أقوى<sup>(101)</sup>. وذكر المروزي الحديث من طريق يونس بن أبي إسحاق السبيعي عن بُرَيْدَ عن أبي الحوراء، عن الحسن، أن النبي ﷺ علمه دعاء قنوت الوتر: « اللَّهُمَّ اهْدِنِي. . . » الحديث. قال بُرَيْدَ: فلقبت ابن عباس ومحمد بن الحنفية فأخبراني أن النبي ﷺ «كَانَ يَدْعُو بِهِنَّ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَفِي وَثْرِ اللَّيْلِ». ولعل هذه الرواية عن ابن عباس وابن الحنفية هي طريق آخر وفيها متابعة يونس لابن هرمز مما يقوي هذا الحديث<sup>(102)</sup>.

أدلة المانعين.

- حديث أبي مالك الأشجعي، « قُلْتُ لِأَبِي: يَا أَبَتِ إِنَّكَ قَدْ صَلَّيْتَ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ... » الحديث. هذا الحديث فيه نفي مطلق للقنوت، سواء في أول الأمر ثم نسخ، أو في النوازل أو في غيرها، وفي رمضان وغيره، وهذا ترده النصوص الصريحة في إثبات القنوت من حيث وقوعه، فلا ينبغي الاستدلال به على نفيه مطلقاً أو عند النوازل فقط، أو في الفجر، ففي شرح المشكاة، قيل: لا يلزم من نفي هذا الصحابي نفي القنوت؛ لأنه شهادة بالنفي، وقد شهد جماعة بالإثبات، مثل الحسن، وأبي هريرة، وأنس، وابن عباس رضي الله عنهما، وصحبتهم مع رسول الله أكثر من صحبة هذا الصحابي، وهو طارق بن أشيم، فتكون شهادتهم أثبتت<sup>(103)</sup>.
- وقيل المراد بقوله «مُحَدَّثٌ»: المواظبة والمداومة على قنوت الصُّبْحِ<sup>(104)</sup>. قد يسلم بالرد الأول، لكن الثاني السؤال ظاهر - والله أعلم - عن مطلق القنوت في الفجر لا على المواظبة أو المداومة عليه.
- حديث أنس أن النبي ﷺ «كَانَ لَا يَقْنُتُ إِلَّا إِذَا دَعَا لِقَوْمٍ أَوْ دَعَا عَلَى قَوْمٍ». قيل: هذا محمول على ما بعد الركوع، أي كان لا يقنوت بعد الركوع إلا إذا دعا لقوم...، بناء على أن المراد بالحصص في قول أنس «إِنَّمَا قُنْتُ شَهْرًا». أي متوالياً، جمعاً بينه وبين الأحاديث الأخرى عن أنس في سؤاله عن القنوت<sup>(105)</sup>.
- عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ «لَمْ يَقْنُتْ إِلَّا شَهْرًا وَاحِدًا حَتَّى مَاتَ». قد نُكِّلَ في أحد رواياته وهو ابن عقدة، وقد مضى عند تخريج الحديث.



قنوت الصبح بين القابضين عليه والمبدعين له

- «عن عمر بن الخطاب أنه لم يكن يقنن إلا أن يستنصر، قال ولا رسول الله صلى الله عليه وسلم .
  - قيل لأنس: «إن قومًا يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يقنن بالفجر، فقال: كذبوا إمامًا قنن رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرًا واحدًا يدعو على حي من أحياء المشركين». قد مر قول ابن حجر إن قيس بن الربيع ضعيف، لكنه لم يتهم بالكذب، وقال في التقريب (ص 457): صدوق تغير لما كبر، وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به، وفي تهذيب الكمال: كان عبد الرحمن بن مهدي يحدث عنه زمانًا ثم تركه، وقال عبد الله بن علي المدني: سألت أبي عن قيس بن الربيع فضعه جدا<sup>(106)</sup>. فهذا الحديث بهذا الإسناد ضعيف، لكن العجب من ابن القيم فإنه قال في هذا الحديث: فإن قالوا تفرد به قيس بن الربيع وقد ضعفه يحيى، قلنا قد كان شعبة يثني عليه. وقال في حديث: «والله ما زال يقنن حتى لحق بالله» وأما حديث أبي حصين فيرويه قيس بن الربيع، قال يحيى ليس بشيء، وقال أحمد كان كثير الخطأ في الحديث، وروى أحاديث منكرة<sup>(107)</sup>.
  - عن أنس قال: «قنن رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرًا بعد الركون يدعو على أحياء من أحياء العرب ثم تركه». وقد قال الحافظ:
- في تلخيص الحبير بعد ذكره لأحاديث القنوت: اختلفت الأحاديث عن أنس واضطربت فلا يقوم بمثل هذا حجة<sup>(108)</sup>.
- عن ابن مسعود قال: «لم يقنن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا شهرًا، لم يقنن قبلة ولا بعده». قال صاحب مرعاة المفاتيح: إن هذا الحديث ناسخ لقنوت الفجر، وقد ضعفه بعضهم بسبب أبي حمزة القصاب كان كثير الوهم، وهذا في درجة أبي جعفر الرازي في التضعيف فتكافأ<sup>(109)</sup>. قلت: هذا الكلام ليس مسلمًا، فدرجة الرجلين ليس واحدة لمن أراد الإنصاف، أبو جعفر الرازي قال فيه الإمام أحمد بن حنبل: ليس بقوي في الحديث. ورواية أخرى عنه قال: صالح الحديث. وقال في ميمون: هو متروك الحديث. وقال يحيى بن معين في أبي جعفر مرة ثقة - وقد وافقه فيها ابن المدني وأبو حاتم، وابن سعد -، ورواية أخرى عن يحيى: يكتب حديثه ولكنه يخطئ. وثالثة: صالح. وقال ابن معين في ميمون: لا يكتب حديثه، ليس بشيء. والذي قال في أبي جعفر شيخ بهم كثيرًا أبو زرعة. وقال النسائي فيه ليس بالقوي، بينما قال في ميمون: ليس بثقة. فظاهر أن أبا جعفر أحسن حالًا من أبي حمزة القصاب، والله أعلم.
  - وعن ابن عمر قال: «صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر، وعمر، وعثمان فلم يقننوا، ولم يجهروا». قد مر أن الراجح أن هذا الحديث موقوف، وقد قابلته نصوص أخر عن الخلفاء والصحابة أثبتت القنوت في صلاة الصبح.
  - وعن مالك عن نافع «أن عبد الله بن عمر كان لا يقنن في شيء من الصلاة»<sup>(110)</sup>.
- وهذا هو المشهور عن ابن عمر، وقال ابن عبد البر: لم يختلف عنه في ذلك<sup>(111)</sup>. لكن الطحاوي أخرج في معاني الآثار بسنده عن ابن سيرين: أن سعيد ابن المسيب ذكر له قول ابن عمر في عدم القنوت، فقال: أما إنه قد قنن مع أبيه، وكنته نسي<sup>(112)</sup>.
- وأما قول ابن القيم: إن النبي صلى الله عليه وسلم لو كان يقنن في كل صباح ويدعو بالدعاء المروي ويؤمن

### قنوت الصبح بين القابضين عليه والمبدعين له

الصحابة لكان نَقَل الأمة لذلك كلهم، كنفلهم لجهره بالقراءة فيها وعددها ووقتها، وإن جاز عليهم تضييع أمر القنوت لجاز عليهم تضييع ذلك، ولا فرق؛ لذا فالإنصاف الذي يرتضيه العالم المنصف أن النبي ﷺ أن قنوته كان عند النوازل فقط، ولم يختص بالفجر دون غيره، فللكلام وجه؛ ولكن لقائل أن يقول إن تفرد بعض الصحابة ببعض الأحاديث المهمة والتي تمثل أساساً عظيماً من أسس الإسلام عموماً أو في ما يخص أحكام المعاملات والعبادات وغيرها ثابت في غير ما مسألة، من ذلك حديث «إنما الأعمال بالنيات ...» معلوم أنه قد تفرد به عمر بن الخطاب وتفرد بروايته عن عمر التابعي، وهو أساس في العبادات وأولها الطهارة. وأما من جهة صحة حديث الحسن «اللهم اهديني فيمن هديت» فالجزم بضعفه لا يسلم وفق ما تم التعرض له في مناقشة أدلة القائلين بالقنوت والله أعلم.

وقال الذهبي بعد ذكره لأثار عن الصحابة وغيرهم ممن قنت وممن لم يقنت: فهذا يوضح أنهم قننوا وتركوا، وأنهم كانوا لا يرونه راتباً في الصبح، وبهذا تتوافق الأحاديث كلها، مع أن بعض الصحابة كان يدمنه، وفي التابعين جماعة فعلوه راتباً<sup>(113)</sup>. وقال الحازمي: أحاديثنا تدل على إثبات القنوت، والمانعون أحاديثهم تدل على النفي، والمثبت أولى من النافي؛ باعتبار أن الأصل لا قنوت، وأحاديثنا المثبتة فيها زيادة حكم، فكانت الأولى<sup>(114)</sup>.

### المطلب الثامن: الترجيح.

تبين مما سبق سرده من أقوال الأئمة بقنوت الصبح وأدلتهم ومناقشتها، وكذلك الحال مع المانعين، فيكل قول قال أئمة كبار من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من العلماء المعبرين، والحق - فيما أرى والله أعلم - أن الأدلة قوية، فالقول بالتبديع مقالة عظيمة، وقد رأيت في الذين سردهم الحازمي ممن قالوا بقنوت الصبح في غير النوازل، من الخلفاء الراشدين، إلى عمار وأبي موسى الأشعري والبراء بن عازب وابن عباس وأبي هريرة وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وأنس بن مالك ومعاذ بن الحارث وأهيبان بن صفيي، وسهل بن سعد الساعدي، وعرفجة بن شريح الأشجعي، ومعاوية بن أبي سفيان، وعائشة الصديقة. وكذا من المخضرمين أبي رجاء العطاردي وسويد بن غفلة وأبي عثمان النهدي، وأبي رافع الصائغ، ومن التابعين ابن المسيب والحسن البصري وابن سيرين وقتادة وطاوس وعبيد بن عمير وأيوب السخيتي وعروة بن الزبير وعبد الرحمن بن أبي ليلى وعمر بن عبد العزيز وحُميد الطويل. ومن الأئمة الفقهاء مالك بن أنس، وأهل الحجاز والأوزاعي، وأكثر أهل الشام، والشافعي وأصحابه، وعن الثوري روايتان. هذا العدد من الصحابة والتابعين ومن بعدهم لم أجد - فيما اطلعت عليه من المصادر - من يرد على الحازمي نسبة القنوت إلى هذا الجمع المبارك من الأئمة، عدا بعض الخلفاء - كما مر - واحتمال رواية أنس، وعليه فوصف القنوت في صلاة الصبح في غير النوازل بالبدعة لأمر مستكره، ما كان ليغيب عنهم أقرب إلى النبي ﷺ زماناً ودرجةً، وقد مر بك قول الذهبيان بعض الصحابة كان يدمنه، وفي التابعين جماعة فعلوه راتباً. كذلك التمسك بالقنوت في كل صلاة صبح حتى عد كآته من السنن المؤكدة، لم يقم عليه دليل جازم تظمن النفس على المواظبة عليه، ويُنكر على تاركه، وكما قال إمام دار الهجرة ج: إنما هو دعاء، فإذا شاء، وإن شاء ترك<sup>(115)</sup>. ومما يدل عليه عمل أهل المدينة منذ زمن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده قول ابن أبي ذئب أحد فقهاء المدينة من طبقة تابع التابعين: هو الأمر بهذا البلد (المدينة) منذ كان الإسلام. وأختم بقولين لإمامين كل منهما يقول بقول، أراه هو القول الراجح الذي توصلت إلي من خلال هذا البحث، فقد قال الطبري: الصواب أن يقال

### قنوت الصبح بين القابضين عليه والمبدعين له

إن الخير قد صح عن الرسول ﷺ أنه قننت على القراء، إما شهراً أو أكثر في كل صلاة مكتوبة، ثمترك ذلك، وثبت قنوته في الصبح، وصح الخبر عنه أنه لم يزل يقننت في صلاة الصبح حتى فارق الدنيا، والمسلمون مجمعون أن من ترك القنوت غير مقصد لصلاته، فإن قننت فافعل رسول الله ﷺ عمل، وإن ترك تارك فبرخصة رسول الله ﷺ أخذ، وذلك أنه كان يقننت أحياناً، ويترك أحياناً، فأخبر أنس عنه أنه لم يزل يقننت على ما عهد من فعله ذلك بالقنوت فيها مرة، وترك القنوت أخرى، معلماً بذلك أمته أنهم إن شاءوا قننوا أو تركوا. وأخبر الأشجعي أنه صلى مع النبي ﷺ، فلم يره قننت، وغير منكر أن يكون صلى معه في الأوقات التي لم يقننت فيها، فأخبر عنه بما رأى (116) وشاهد . وقال ابن القيم: أهل الحديث متوسطون بين من يراه منسوخاً وفعله بدعة، وبين من استحبه عند النوازل وغيرها، وهم أشعر بالحديث من الطائفتين، فإنهم يقننون حيث قننت رسول الله ﷺ، ويتركونه حيث تركه، فيفتنون به في فعله وتركه، ويقولون: فعله سنة وتركه سنة. ومع هذا فلا ينكرون على من داوم عليه.

ولا يكرهون فعله، ولا يرونه بدعة، ولا فاعله مخالفاً للسنة، كما لا ينكرون على من أنكره عند النوازل، ولا يرون تركه بدعة، ولا تاركه مخالفاً للسنة، بل من قننت فقد أحسن، ومن تركه فقد أحسن، ولكن الاعتدال محل الدعاء والثناء، وقد جمعهما النبي فيه. ودعاء القنوت دعاء وثناء، فهو أولى بهذا المحل (117).

### الخاتمة:

مما تبين سرده ومناقشته أن القنوت في صلاة الصبح من مسائل الخلاف، وأدلة لمجيزين والمانعين لكل منصف - والله أعلم - قوية، ومن المعلوم أن مسائل الخلاف المعتبر لا ينبغي أن تكون مثار نقاش وخلاف للعوام، ومن باب أولى ممن يعدون من طلبة العلم، فتترك الصلاة في مساجد دون أخرى في بلادنا، بحجة إمام يقننت أو آخر لا يقننت، وتكون هذه المسائل وأشبهها سبباً لفرقة المسلمين داخل الحي والقرية والمنطقة الواحدة، وتضيع على المسلم حكم صلاة الجماعة، من مضاعفة الثواب، والتعاضد بين المسلمين في كل وقت صلاة جماعة، مما يضعف علاقة أخوة الإسلام بين أبناء المجتمع الواحد.

### الهوامش:

1. انظر الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط: 2، 1384 هـ/ 1964، (238/4).
2. أخرجه مسلم عن جابر، كتاب صلاة المسافرين وقصرها المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم) لأبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي - بيروت (520/1).
3. عارضة الأحوذى، للفاضل أبي بكر ابن العربي، (تحقيق مخطوط) رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة طرابلس، باب طول القيام في الصلاة، حديث 387.
4. شرح النووي على صحيح مسلم: لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: 2، 1392، (35/6)، وانظر غريب الحديث لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، مطبعة العاني - بغداد، ط: 1، 1397 (171/1).
5. النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد الجزري ابن

قنوت الصبح بين القابضين عليه والمبدعين له

- الأثير، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ، 4/111.
6. لسان العرب لأبي الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الأنصاري، دار صادر - بيروت، ط: 3 - 1414 هـ (74/2).
7. انظر كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق الدكتور: مهدي المخزومي، والدكتور: إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (126/3).
8. الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة المصري الطحاوي الحنفي، صاحب التصانيف، فقيه إمام حافظ، توفي سنة 321 هـ. انظر سير أعلام النبلاء لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة، 1405 هـ / 1985 (27/15)، والجواهر المضوية في طبقات الحنفية لأبي محمد عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي الحنفي، مير محمد كتب خانة - كراتشي (271/1).
9. انظر شرح مشكل الآثار لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ط: الأولى - 1415 هـ / 1994م. (31/3).
10. انظر حاشية البيجرمي على شرح منهج الطلاب، سليمان بن محمد بن عمر البجيرمي، مطبعة الحلبي، 1369 هـ / 1950م، (207/1)، وشرح مختصر خليل للخرشي، لمحمد بن عبد الله الخرشي المالكي، دار الفكر للطباعة، بيروت 282 / 1.
11. انظر بداية المجتهد بداية المجتهد ونهاية المقتصد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد ابن رشد القرطبي، دار الحديث - القاهرة، 1425 هـ / 2004 م، (140/1).
12. كتاب الأم لأبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس الشافعي، دار المعرفة - بيروت، 1440 هـ / 148/7 وما بعدها، والبيان في مذهب الإمام الشافعي للحسين يحيى بن أبي الخير العمراني اليمني الشافعي، دار المنهاج - جدة، ط: الأولى، 1421 هـ (252/2).
13. انظر اختلاف الحديث لأبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس الشافعي، وهو مطبوع مع كتاب الأم في نهايته، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة (القاهرة) ط: الأولى،
14. أخرجه مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة 470/1.
15. أخرجه عبد الرزاق في مصنفه باب القنوت (109/3)، وأحمد في مسنده (95/20)، والدارقطني كتاب الوتر، باب صفة القنوت وبيان موضعه (370/2). كلهم من طريق أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أنس بن مالك.
- المصنف لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المجلس العلمي الهند، ط: الثانية، 1403. مسند الأمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال الشيباني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الأولى، 1421 هـ - 2001. سنن الدارقطني لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الأولى، 1424 هـ / 2004.
16. 213/3، ولم أعتز على تخريج له بهذا اللفظ.
17. أخرجه أحمد بإسناده عن عبد الصمد، ثنا هشام، عن يحيى، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة. قال محققا الكتاب: أحمد شاكر وشعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح. وزاد الثاني: على شرط الشيخين. وفي بعض الروايات (صحيح ابن حبان 31/5) « ... وكان أبو هريرة يفتن في صلاة الظهر وصلاة العشاء وصلاة الصبح بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ... ». مسند أحمد، ط: دار الحديث (316/8)، وط: مؤسسة الرسالة (161/14) والحديث أخرجه الشيخان عن

قنوت الصبح بين القابضين عليه والمبدعين له

- أبي هريرة بلفظ: «لَأَقْرَبَنَّ صَلَاةَ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ إِيَقَنْتُ فِي الرَّكْعَةِ الْآخِرَةِ مِنْ صَلَاةِ الظُّهْرِ، وَصَلَاةِ الْعِشَاءِ، وَصَلَاةِ الصُّبْحِ، بَعْدَ مَا يَقُولُ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَيَدْعُو لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَلْعَنُ الْكُفَّارَ». البخاري كتاب الأذان، باب فضل اللهم ربنا لك الحمد (158/1)، ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب القنوت في جميع الصلوات إذا نزلت بالمسلمين نازلة (468/1)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار طوق النجاة ط: الأولى، 1422هـ.
18. أخرجه البزار في مسنده من طريق محمد بن المثنى، عن يحيى بن أبي بكير الكرماني، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أنس (131/13). قال الهيثمي في المجمع (139/2): رواه البزار ورجاله موثوقون.
- البحر الزخار (مسند البزار) لأبي بكر أحمد بن عمر العتكي، المعروف بالبزار، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط: الأولى، 2009. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414 هـ، 1994.
19. أخرجه الشيخان، البخاري - دون قوله «ثُمَّ تَرَكَهُ» - كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع 105/5، ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة 469/1، واللفظ له.
20. انظر معالم السنن شرح سنن أبي داود، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، المطبعة العلمية - حلب، ط: الأولى 1351 هـ / 1932م (288/1)، وإكمال المعلم بفوائد مسلم، لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط: الأولى، 1419 هـ / 1998م (659/2).
21. يعني حديث أبي هريرة أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «قَنَتَ بَعْدَ الرَّكْعَةِ فِي صَلَاةِ شَهْرَاءَ، إِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، يَقُولُ فِي قُنُوتِهِ: اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَالِدَ بْنَ الْوَالِدِ، اللَّهُمَّ نَجِّ سَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ نَجِّ عِيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، اللَّهُمَّ نَجِّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِينِي يُوسُفَ» قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: "ثُمَّ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَرَكَ الدُّعَاءَ بَعْدَ، فَقُلْتُ: أَرَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ تَرَكَ الدُّعَاءَ لَهُمْ ...». أخرجه مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة 467/1.
22. التخریج السابق 466/1.
23. التخریج السابق 467/1.
24. الاعتبار في النسخ والمنسوخ من الآثار، لأبي بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط: الثانية، 1359 هـ، (97).
25. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، 1379، (226/8)، ولم أعتز له على إسناد أو تخريج فيما اطلعت عليه من مصادر.
26. أخرجه ابن الجوزي في كتابه التحقيق في مسائل الخلاف (213/3)، بإسناد هبة الله بن عبد المؤمن ثنا عمر بن حبيب عن هشام عن الحسن عن أنس. التحقيق في مسائل الخلاف لأبي

قنوت الصبح بين القابضين عليه والمبدعين له

- الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، دار الوعي العربي، حلب، ط: الأولى، 1998/1419.
27. 297/2. وسيأتي الكلام على الحديث في المطلب الرابع، الفقرة الثامنة.
28. انظر الاستنكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار، فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار، لأبي عمر يوسف ابن عبد البر، دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق - بيروت، ط: الأولى، 1414 هـ (199/6).
29. السنن الكبرى للبيهقي 296/2..
30. وقال البيهقي: هذا إسناد حسن، ويحیی القطان لا يحدث إلا عن من يكون ثقة عنده. وأخرجه الدارقطني في سننه، إلا أنه قال: عن العوام رجل من بني مازن ... (358/2). معرفة السنن والآثار لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار قتيبة، دمشق - بيروت، 1412 هـ / 1991.
- (124 /3) .
31. تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخبار، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، مطبعة المدني، القاهرة، (362 /1).
32. جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، 1420 هـ / 2000، (216/5).
33. أبو عبد الله، عزوة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي المدني، ولد في أوائل خلافة عثمان، ثقة فقيه مشهور، أحد الفقهاء السبعة، توفي سنة 94 هـ. انظر تقريب التهذيب لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني، دار الرشيد - سوريا، ط: الأولى، 1406 - 1986، (ص 389)، والأعلام للزركلي 226/4.
34. قال ابن عبد البر: هذه الرواية موجودة في أكثر الموطآت. انظر الاستنكار 198/6.
35. المجموع شرح المهذب لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، مكتبة الإرشاد - جدة (483/3).
36. المصنف لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي، دار القبلة، (30/5).
37. المصدر السابق 32/5.
38. المصدر السابق 28/5.
39. المصدر السابق 31/5.
40. المصدر السابق 32/5.
41. المدونة للإمام مالك بن أنس، رواية الإمام سحنون بن سعيد التتوخي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415 هـ / 1994 م (193/1).
42. انظر الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، دار طيبة، الرياض، 1405 هـ / 1985، (208/5).
43. قاله ابن عبد البر في الاستنكار 201/6، ومصادر الحنابلة ترده، وسيأتي في مطلب القائلين بالمنع.
44. انظر مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، لأبي يعقوب إسحاق بن منصور بن بهرام المروزي المعروف بالكوسج، دار الهجرة، الرياض، 1425 هـ / 2004 (137/1)، والاستنكار 201/6، والبيان في مذهب الإمام الشافعي 252/2، وتفسير القرطبي 201/4.

قنوت الصبح بين القابضين عليه والمبدعين له

45. المصنف لأبي بكر بن أبي شيبة (32/5).
46. البيان في مذهب الإمام الشافعي 256/2، ولم أره في مصادر الفقه الحنبلي.
47. مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود السجستاني، لأبي داود سليمان بن الأشعث، مكتبة ابن تيمية، مصر، ط: الأولى، 1420 هـ / 1999، (102). ولعل هذا القول هو الذي دفع بابن عبد البر إلى نسبة الإمام أحمد إلى القائلين بالقنوت في صلاة الصبح.
48. الاستذكار 202/6.
49. انظر المنتقى شرح الموطأ لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي، مطبعة السعادة، القاهرة، ط: الأولى، 1332 هـ. (282/1).
50. كتاب الحجة على أهل المدينة لأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني، عالم الكتب، بيروت، 1385 هـ / 1965.
51. ناسخ الحديث ومنسوخه، لأبي حفص عمر بن أحمد بن عثمان البغدادي، المعروف بابن شاهين، مكتبة المنار، الزرقاء، ط: الأولى، 1408 / 1988، (210).
52. أبو عبد الرحمن عبد الله بن ذكوان القرشي المدني المعروف بأبي الزناد، ثقة فقيه، توفي سنة 130، وقيل بعدها. انظر تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ليوسف بن عبد الرحمن بن يوسف المزمري، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: الأولى، 1980/1400. 476/14، وتقريب التهذيب ص 302.
53. أبو داود عبد الرحمن بن هرمز الأعرج المدني، ثقة ثبت عالم، مات سنة 117. انظر سير أعلام النبلاء 70/5، وتقريب التهذيب (352).
54. انظر حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء، لأبي بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشي الفقال الشافعي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الأولى، 1980، (111/2)، والاختيار لتعليل المختار، لأبي الفضل مجد الدين عبد الله ابن محمود الموصلي الحنفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الثالثة، 2005 / 1426، (56/1).
55. أخرجه الشبخان عن أنس، البخاري أبواب الوتر، باب القنوت قبل الركوع وبعده 26/2، ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة 469/1.
56. انظر المسالك في شرح موطأ مالك، للقاضي أبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: الأولى، 1428 هـ / 2007، (124/3).
57. أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطلال القرطبي، كان من أهل العلم والمعرفة والفهم، عني بالحديث العناية التامة، توفي سنة 444 هـ. الديباج المذهب 204، والأعلام 285/4.
58. المهلب أبو القاسم بن أحمد بن أسيد بن أبي صفرة التميمي الأندلسي، من أهل العلم الراسخين المتقنين في الفقه والحديث والعبادة والنظر، ولي قضاء مالقة، توفي سنة 435 هـ، انظر الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لإبراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، (346/2)، ومعجم المؤلفين لعمر بن رضا كحالة الدمشقي، مكتبة المثني، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت (31/13).
59. انظر شرح صحيح البخاري لابن بطال لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطلال، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط: الثانية، 1423 هـ / 2003م (588/2).

قنوت الصبح بين القابضين عليه والمبدعين له

60. انظر التحقيق في مسائل الخلاف (246/3)، وشرح أبي داود لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى الحنفي بدر الدين العيني، مكتبة الرشد، الرياض، ط: الأولى، 1420 هـ/1999 (246/3)، وفتح القدير، لكمال الدين محمد ابن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام، دار الفكر (432/1).
61. انظر المغني لابن قدامة 114/2، والمبدع في شرح المقنع، لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد ابن مفلح، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، 1418 هـ، (16/2).
62. أخرجه أحمد 214/25، والترمذي كتاب الصلاة، باب في ترك القنوت 252/2، وابن ماجه كتاب الصلاة، باب ما جاء في القنوت في صلاة الفجر 393/1، كلهم من طريق يزيد بن هارون عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه. قال ابن حجر: إسناده حسن. انظر تلخيص الحبير 444/1.
63. أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، كتاب الصلاة، باب ذكر البيان أن النبي ﷺ لم يكن يقنت في الصلوات كلها 338/1، من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس، قال ابن حجر: إسناده صحيح. انظر فتح الباري 226/8. صحيح ابن خزيمة، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري، المكتب الإسلامي - بيروت.
64. قال ابن رجب رواه أبو حفص ابن شاهين من طريق أحمد بن محمد بن سعيد ابن عقدة، عن الحسن بن علي بن عفان، عن عبد الحميد الحماني، عن سفيان، عن عاصم، عن أنس مرفوعاً، وابن عقدة، حافظ كبير، إنما أنكر عليه التدليس، وقد صرح في هذا بالتحديث، وعبد الحميد الحماني، وثقه ابن معين وغيره، وخرج له البخاري. قلت: ابن عقدة لم ينكر عليه التدليس فقط، فقد قال ابن عدي: كان صاحب معرفة وحفظ، ومقدم في هذه الصنعة، إلا أنني رأيت مشايخ بغداد يسيئون الثناء عليه، ورأيت فيه مجازفات، حتى كان يقول: حدثني فلانة قالت: هذا كتاب فلان قرأت فيه: حدثنا فلان. وهذا مجازفة. وكان مقدماً في الشيعة. ولولا اشتراطي أن أذكر كل من تكلم فيه لما ذكرته للفضل الذي فيه. وقال البرقاني: قلت للدارقطني: إيش أكثر ما في نفسك من ابن عقدة؟ قال: الإكتار بالمناكير. انظر تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، دار الغرب الإسلامي، ط: الأولى، 2003 م (656/7)، وفتح الباري شرح صحيح البخاري لعبد الرحمن بن أحمد ابن رجب الحنبلي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط: الأولى، 1417 هـ 1996، (193/9)، والجرح والتعديل لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، ط: الأولى، 1406 هـ 1986، (909/2).
65. أخرجه الطبراني في مسند الشاميين، من طريق عمر بن عبد الواحد، عن ابن ثوبان، عن الحسن بن الحر، عم حماد، عن ابن ثوبان بسنده عن عمر قال: «مَا قَنَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَّا أَنْ يَسْتَنْصِرَ». قال ابن عبد الهادي: فإن قالوا في الإسناد ابن ثوبان ضعيفاً، قلنا: قد قال يحيى بن معين: ليس به بأس. انظر مسند الشاميين لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الأولى، 1984/1405، (112/1)، وتنقيح التحقيق في أحاديث التعليق، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي، أضواء السلف، الرياض، ط: الأولى، 1428 هـ 2007، (433/2).
66. قال ابن حجر: رواه الخطيب من طريق قيس بن الربيع عن عاصم بن سليمان عن أنس، وقيس



قنوت الصبح بين القابضين عليه والمبدعين له

- وإن كان ضعيفاً؛ لكنه لم يتهم بكذب. التلخيص الحبير 443/1.
67. سبق تخريجه، هامش 18.
68. أخرجه ابن أبي شيبة في مسنده 230/1، والشاشي في مسنده 336/1، والطبراني في الكبير 69/10، كلهم من طريق شريك بن عبد الله، عن أبي حمزة، عن إبراهيم، عن ابن مسعود، وفي إسناده أبو حمزة ميمون القصاب، قال أحمد: هو متروك الحديث. وقال ابن معين: لا يكتب حديثه، ليس بشيء. وقال النسائي: ليس بثقة. انظر تهذيب الكمال 239/29، والتحقيق في مسائل الخلاف 193/3. مسند ابن أبي شيبة، لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العيسي، دار الوطن - الرياض، ط: الأولى، 1997م، المسند لأبي سعيد الهيثم بن كليب بن سريح بن معقل الشاشي، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط: الأولى، 1410، المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط: الثانية.
69. قال الدار قطني: يرويه عبيد الله بن عمر، واختلف عنه؛ فرواه عبد الرحيم بن محمد السكري، عن عبد الله ابن إدريس، عبيد الله عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً. ورواه زائدة بن قدامة، ويحيى القطان، ومحمد بن بشر، عبد الله بن نمير عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر موقوفاً. وكذلك رواه مالك في "الموطأ"، عن نافع عن ابن عمر موقوفاً. وهو الصواب. العلل الواردة في الأحاديث النبوية، لأبي الحسن علي بن عمر الدار قطني، دار طيبة - الرياض، ط: الأولى 1405 هـ - 1985 م. (311 / 12)
70. الموطأ، كتاب السهو، القنوت في صلاة الصبح (159/1)، الموطأ، لأبي عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1406 هـ / 1985م.
71. انظر التحقيق في مسائل الخلاف 194/3.
72. انظر زاد المعاد في هدي خير العباد 263/1.
73. فتح الباري 491/2..
74. 249/1.
75. زاد المعاد في هدي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط: السابعة والعشرون، 1415 هـ / 1994م (1 / 269).
76. مصدر سبقت الإشارة إليه، هامش خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة..
77. تهذيب الكمال في أسماء الرجال 194/33.
78. ص 629.
79. لعله أبو عبد الله محمد بن علي البجلي الشافعي القيرواني. طبقات الشافعيين (ص: 187).
80. نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار، للحافظ ابن حجر العسقلاني، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط: الأولى، 2000. (136/2)..
81. الكفاية في علم الرواية، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، دار ابن الجوزي - الدمام، ط: الأولى، 1432 هـ (274/1).
82. تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق. لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، دار الوطن، الرياض، ط: الأولى، 1421 هـ / 2000، (230/1).

83. فتح الباري لابن رجب (190/9) .
84. أخرجه ابن جرير الطبري في تهذيب الآثار (366/1)، وانظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، لأبي عبد الرحمن محمد بن ناصر الدين الألباني، دار المعارف، الرياض، ط: الأولى، 1412 هـ / 1992، (142 / 12).
85. تقريب التهذيب (192).
86. المصدر السابق (245/1).
87. تاريخ دمشق لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415 هـ - 1995 م (460/48).
88. تقريب التهذيب (446).
89. نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار، للحافظ ابن حجر العسقلاني، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط: الأولى، 2000. (136/2). والبدار المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، لأبي حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، ط: الأولى، 1425 هـ / 2004، (625/3).
90. الاعتبار في النسخ والمنسوخ من الآثار (96). التحقيق في مسائل الخلاف 244/3، وتحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج، لأبي حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي، دار حراء، مكة المكرمة، ط: الأولى، 1406، (304/1).
91. أخرجه أحمد بإسناده عن عبد الصمد، ثنا هشام، عن يحيى، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة. قال محققا الكتاب: أحمد شاكر وشعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح. وزاد الثاني: على شرط الشيخين. وفي بعض الروايات (صحيح ابن حبان 31/5) « ... وكان أبو هريرة يفتت في صلاة الظهر وصلاة العشاء وصلاة الصبح بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ... ». مسند أحمد، ط: دار الحديث (316/8)، وط: مؤسسة الرسالة (161/14).
92. انظر عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى الغيتابي بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت (73/6).
93. المغني لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد ابن قدامة المقدسي، مكتبة القاهرة، 1388 هـ (114/2)، وسيأتي حديث أبي مالك في أدلة القائلين بعدم القنوت في الصبح.
94. أخرجه مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة 469/1.
95. كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد 1415/3.
96. انظر تفسير الطبري 195/7 ..
97. (466/1).
98. انظر معالم السنن 288/1، وإكمال المعلم 659/2.
99. انظر تقريب التهذيب (ص 410).
100. فقد خالف المقبول (أبو إسحاق السبّعي) من هو أوثق منه (شعبة). أبو إسحاق السبّعي: ثقة مكثر عابد اختلط بأخرة . وشعبة بن الحجاج ثقة حافظ متقن، كان الثوري يقول: هو أمير المؤمنين في الحديث، وهو أول من فتن بالعراق عن الرجال وذب عن السنة. انظر تقريب التهذيب ( 266 ، 423).

قنوت الصبح بين القابضين عليه والمبدعين له

101. التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير- لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، مؤسسة قرطبة، مصر، ط: الأولى، 1416 هـ / 1995،
102. مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر، لأبي عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، في صلاباد، ط: الأولى، 1408 هـ / 1988 (ص 321).
103. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض)، ط: الأولى، 1417 هـ - 1997 م. (1232/4).
104. شرح سنن ابن ماجه (ص: 88). شرح سنن ابن ماجه للسيوطي وآخرين، قديمي كتب خانة - كراتشي.
105. انظر فتح الباري 490/2، و كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، لمحمد الخضر بن سيد عبدالله الشنقيطي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الأولى، 1415 هـ - 1995 م (9 / 289).
106. انظر تهذيب الكمال في أسماء الرجال 34/24.
107. انظر التحقيق في مسائل الخلاف 191/3، 245 .
108. تلخيص الحبير 443/1.
109. انظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد الملا الهروي القاري، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط: الأولى، 1422 هـ - 2002 م (3 / 961).
110. الموطأ، كتاب السهو، القنوت في صلاة الصبح 221/2.
111. الاستنكار 200/6.
112. 250/1.
113. تنقيح التحقيق 246/1.
114. الاعتبار في النسخ والمنسوخ من الآثار 94.
115. الاستنكار 202/6.
116. انظر تهذيب الآثار (388/1). شرح صحيح البخاري لابن بطلال 588/2.
117. انظر زاد المعاد في هدي خير العباد 263/1.

## الإصلاح السياسي وتأثيره على التنمية المحلية في دول المغرب العربي

د. الصديق خليفة الكيلاني

كلية الاقتصاد - جامعة الزاوية

### ملخص الدراسة:

لقد عاشت دول العالم الثالث ويلات الاستعمار الذيعمل على هدر مواردها بكل الأشكال، على طمس هويتها ومقوماتها الوطنية، وقد استغرقت وقتاً طويلاً لتتمكن من التخلص منها واسترجاع استقلالها وحريتها، وبعد أن حصلت على ذلك تمكنت من فرض سيادتها على إقليمها وجدت نفسها أمام معضلة الخيارات السياسية وإشكالية تبني الحلول السياسية، وتعتبر دول المغرب العربي إحدى الدول التي تنتمي إلى العالم الثالث، وأكثرها تعقيداً بحكم ما تمتلكه من إرث ثقافي يجعلها دائماً في تحد مع الدول المهيمنة التي ترى من ثقافة وهوية هذه الدول مصدر تهديد لمصالحها ومكانتها، وقد خرجت دول المغرب العربي من الهيمنة الاستعمارية حاملة مبادئ وشعارات الديمقراطية، وتبني الثقافة الأمم نظرف المفجرين والمهندسين للثورة، لتصطدم مع مجريات ووقائع ومستجدات أدخلت على المجريات الثورية، ليصبح الانتماء إلى الثورة والعضوية فيها أحد اكبر الأخطار على مبادئها وأهدافها السياسية، إذ أصبح الانتماء أو العضوية في الثورة أحد أهم مصادر الشرعية في تولي السلطة في هذه البلدان، ناهيك عن انضمام تيار الإدماج والذين كانوا في صفوف جيش المستعمر إلى الثورة وصاروا في الصفوف الأولى للقيادة، ضف إلى ذلك أن الدول المستعمرة لم تنقطع صلتها بمستعمراتها بعد تحقيق الاستقلال، وإنما استمرت على شكل اتفاقيات أو أنها تركت ممثليها في تلك الدول حاملين لأفكارها وتوجهاتها العلمانية والتسييرية، أما من الناحية الاقتصادية فإن دول المغرب العربي ارتبط اقتصادها بالمستعمر، وهذا أمل آخر يضاف إلى العوام لسالفه الذكر.

والجزائر والمغرب الأقصى إحدى أهم دول المغرب العربي التي ينطبق عليها كل العوامل سالفه الذكر، من أزمة الشرعية إلى أزمة الإيديولوجية مع ارتباط اقتصادياتها مع اقتصاد المستعمر، لكن ومنذ استقلالهما وهما تعرفان تغيرات على كافة المستويات والأصعدة خاصة المجال السياسي، والتي تتدرج ضمن الإصلاح السياسي بغض النظر عن طبيعتها وأهداف واضعيتها والجدوى من إحداثها.

### Abstract:

The Third World countries suffered the scourge of colonialism, which wasted their resources in all forms and obliterated their identity and national components. It took a long time to get rid of them and regain their independence and freedom. Having obtained this and managed to impose their sovereignty over their territory, they found themselves facing the dilemma of political choices and problematic. The Arab Maghreb countries are considered one of the third world countries. They are the most complex because of their cultural heritage. They are always challenging the dominant countries, which view the culture and identity of these countries as a threat to their

interests and status. The Maghreb has emerged from the colonial hegemony carrying the principles and slogans of democracy and adopting the mother culture by the bombers and engineers of the revolution, To join the revolution and membership in one of the greatest dangers to the principles and political objectives, as membership or membership in the revolution is one of the most important sources of legitimacy in the assumption of power in these countries, not to mention joining the trend of integration and who were in The colonist army has been transformed into a revolution and has become in the initial ranks of the leadership. Moreover, the colonized countries have not lost their connection to their colonies after the achievement of independence but have continued in the form of agreements or have left their representatives in these countries carrying their ideas and orientations of secular and conciliatory, N Economically, the Arab Maghreb countries was associated with its economy Palmstamr and this is another factor added to the above-mentioned factors.

Algeria and Morocco is one of the most important countries in the Arab Maghreb, which is subject to all the above factors from the crisis of legitimacy to the crisis of ideology to the crisis of correlation economic relations with the colonial economy, but since their independence they know changes at all levels and levels, especially the political sphere, which fall within the political reform regardless Its nature and the objectives of its authors and the feasibility of its creation.

#### مقدمة:

أصبح مفهوم الإصلاح قديم وارتبط استعماله بعملية الإصلاح بين الناس وإقامة العدل بينهم، أما في عالمنا المعاصر فلقد تجلت صور الإصلاح في أشكال وأنماط مختلفة، قد تختلف من مجتمع إلى مجتمع ومن نظام إلى نظام، ونظرا للتغيرات والتحولات السياسية التي شهدتها العالم مع مطلع التسعينات وظهور مصطلح النظام العالمي الجديد، أصبحت ظاهرة الإصلاح السياسي تنتشر تحت مسميات مختلفة مثل مكافحة الفقر ومحاربة الفساد، والنهوض بدول العالم الثالث في مجالات التنمية المحلية- والتنمية الشاملة- وإصلاح السياسي- والتداول السلمي على السلطة- وترسيخ أسس الديمقراطية، وانتشرت الأفكار الجديدة الداعية إلى تأكيد وترسيخ التداول السلمي على السلطة في دول العالم الثالث من طرف المنظمات الحكومية وغير الحكومية.

لكن الإصلاح السياسي في العالم الثالث عامة والأنظمة العربية خاصة، ظل محصورا في صورته القانونية والدستورية دون تطبيقها على أرض الواقع، مما طور النداءات والمطالبات إلى "ثورات شعبية" كانت بدايتها في تونس نموذجا، وكان أهم شعاراتها الإصلاح السياسي

### الإصلاح السياسي وتأثيره على التنمية المحلية في دول المغرب العربي

والاجتماعي، والتنمية والشغل، بعد فشل السلطات التونسية في تكريس وإرساء دعائم الديمقراطية والتداول السلمي على السلطة، والنهوض الايجابي بتطلعات الشعب المستقبلية .

إن دراسة الإصلاحات السياسية الجديدة في دول المغرب العربي بعد الثورة، وانعكاساتها على عملية التنمية المحلية وألزامات السياسية التي واجهتها، ودور مختلف القوي في الحفاظ على الاستقرار السياسي والسلم الاجتماعي، والمساعدة على زيادة درجة الوعي الاجتماعي لتفادي الانجرار نحو عدم الاستقرار السياسي والمجتمعي، أمر ضروري وملح لطبيعة الأفكار المطروحة وتجاوبها مع الثقافات المحلية لدول العالم الثالث والعربية تحديداً ودول المغرب العربي خاصة، لأن ذلك يساعد في بناء دولة مؤسسات قوية قادرة على النهوض بالمشاريع التنموية الشاملة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا.

**مشكلة الدراسة:** يعتبر موضوع الإصلاح السياسي في دول المغرب العربي من المواضيع الجديرة بالاهتمام في هذا العصر، لما له من دور ايجابي بالعملية التنموية المحلية، حيث أن الاخيرة بتوافره تخلق فرص عمل للاجيال الحالية والقادمة، وتنفيذه يلزم الاستقرار السياسي للانظمة السياسية العربية، باعتبار البيئة الداخلية والخارجية موثر في عملية الإصلاح السياسي وطريقة تحقيق ذلك، يمكن وضع المشكلة في التساؤل الاتي :-

إلى أي حد يمكن اعتبار الحلول السياسية المقدمة في دول المغرب العربي (الجزائر والمغرب- تونس) كأساس للإصلاح السياسي والتنمية المحلية؟.

وللاجابة على التساؤل يمكن تقسيمه إلى تساؤلات فرعية وهي:

- ماهي أهم الإصلاحات السياسية المقدمة في دول المغرب العربي؟.

- ماهو واقع الإصلاحات السياسية في دول المغرب العربي؟.

- وماهي نتائج الإصلاحات السياسية في دول المغرب العربي؟.

#### أهمية الدراسة:

الأهمية العلمية: تأتي هذه الدراسة لرصد وتحليل مدى استيعاب القوى السياسية والمجتمعية في الدول المغاربية (بعد تسونامي الربيع العربي) لمفهوم الثورة وضروريات وأساسيات المرحلة التي تمر بها، والاستفادة من التجارب السابقة في عمليات الإصلاحات السياسية والدستورية، والخروج ببعض النتائج والاتجاهات العامة حول طبيعة العلاقة بين الإصلاح السياسي والتنمية المحلية.

**الأهمية العملية:** إن الإصلاح السياسي في دول المغرب العربي عملية بطيئة وتدرجية، ولكنها مؤشر على وجود مجال ديمقراطي، تستطيع فيه القوى السياسية والمجتمعية التحرك بكل حرية والمساهمة بقدر متكافئ في كل العمليات الإصلاحية وعلى كافة المستويات، وأنها تبحث في مرحلة وصورة جديدة من مراحل وصور التطور والانتقال الديمقراطي في الدول المغاربية.

**أهداف الدراسة:** أن محاولة الوصول إلى تعريف واضح للإصلاح السياسي والتنمية المحلية في دول المغرب العربي، أثر ذلك على التنمية المحلية بعد 2011 م، وإثبات أن الإصلاح السياسي له أهمية بالغة في تحقيق التنمية المحلية، نظرا لما له من تأثير على الجهاز المحلي، ومستوى تقديم الخدمات للمجتمعات المحلية كالشغل ومكافحة الفقر - وتحسين المستوى المعيشي للمواطن- من خلال برامج تنموية بعيدة الأمد.

**فرضيات الدراسة:** للإجابة على مشكلة الدراسة، أفترضنا مجموعة من الفرضيات، والتي سنعتمد عليها خلال مسار دراستنا والمتمثلة أساسا في:

- يعتبر الإصلاح السياسي أحد التحديات السياسية التي تواجه الانظمة السياسية المحلية والدولية.

الإصلاح السياسي وتأثيره على التنمية المحلية في دول المغرب العربي

- توسيع آليات الاهتمام بالإصلاح السياسي داخل دول المغرب العربي .
  - إصلاح المؤسسات السياسية ومن هذا الإصلاح نصل إلى تحقيق التنمية المحلية التي تساهم في عملية استقرار النظام السياسي لأية دولة .
- منهجية الدراسة:** تستخدم في هذه الدراسة عدة مناهج حسب سياق المرحلة فقد استخدم المنهج الوصفي لوصف الأطر النظرية للإصلاح السياسي والتنمية المحلية، وبالأخص دوافع الإصلاح السياسي ومفاهيم الإصلاح السياسي والمنهج التحليلي والتاريخي والمقارن حسب الحاجة.
- مصادر الدراسة:** تم الاعتماد على بعض المراجع من الكتب العلمية ذات الاهتمام بهذه الدراسة، والبحوث المعتمدة في عمليات الإصلاح السياسي، كما تم الاستعانة بالصحف الدولية التي تعطي اهتمام لهذه الدراسة، وشبكة المعلومات (النت).
- الإصلاح السياسي : المفهوم التعريف -**

**مفهوم الإصلاح:** يعتبر الإصلاح السياسي ركناً أساسياً مرسخاً للحكم الصالح، من مظاهره سيادة القانون والشفافية والمشاركة الشعبية في القرار والعدل، وفعالية الإنجاز وكفاءة الإدارة والمحاسبة والمساءلة والرؤية الإستراتيجية، وهو تجديد للحياة السياسية وتصحيح لمساراتها ولصيغها الدستورية والقانونية، بما يضمن توافقاً عاماً للدستور وسيادة للقانون، وفصل للسلطات وتحديداً للعلاقات فيما بينها، حيث إن "عملية الانتقال الديمقراطي تحمل في عمقها نتائج غير متوقعة ومفاجآت متعددة، قد تؤثر سلباً على التطلعات الديمقراطية، ومزايا الانتقال، وتقوي بالمقابل الحنين إلى الماضي لاسيما خلال السنوات الأولى من عملية التحول"<sup>(1)</sup>.

وفي هذا الجانب فالموسوعة السياسية هي تعديل أو تطوير غير جذري في شكل الحكم أو العلاقات الاجتماعية دون المساس بأسسها، وهو بخلاف الثورة ليس إلا تحسين في النظام السياسي والاجتماعي القائم دون المساس بأسس هذا النظام، إن مفهوم الإصلاح ليس جديداً في العقل العربي - الإسلامي، بل هو مفهوم قديم لم يبدأ بظهور الأفكار والتيارات الإصلاحية في القرن الماضي أو المبادرات الإصلاحية في الوقت الراهن، فالدعوة إلى الإصلاح بدأت قديماً في الدولة الإسلامية، ويمكن اعتبار الأفكار التي نادى بها -ابن تيمية- بداية الدعوات الإصلاحية في العالم الإسلامي، أو ما يمكن تسميته بالإصلاح الديني، ثم تطور ليصبح مطلباً نهضوياً طرحه المفكرون العرب قبل أكثر من قرن من الزمان «أي فترة ما يمكن أن نسميه عصر التنوير العربي» في سعيهم نحو تحقيق نهوض أو تقدم عربي في شتى مجالات الحياة<sup>(2)</sup>.

وقبل أن يصبح مفهوم الإصلاح، مفهوماً متداولاً ومستقلاً في الأدبيات السياسية الحديثة، فإن أبعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية متضمنة في الكثير من المفاهيم الشائعة مثل: التنمية السياسية، أو التحديث، أو التغيير السياسي، أو التحول، أو التغيير، وجميع هذه المفاهيم تقريباً مرتبطة بالعالم الثالث ومنه الوطن العربي، إذاً نقصد بالإصلاح التغيير والتعديل نحو الأفضل لوضع شاذ أو سيء، ولا سيما في ممارسات وسلوكيات مؤسسات فاسدة<sup>(3)</sup>.

**1- الإصلاح يحدث**

- عندما هناك وضع شاذ يحتاج إلى إصلاح أو علة تحتاج إلى دواء، وفي ظل الوضع الشاذ فإنه لا مبرر للإصلاح.
- عندما يكون التغيير نحو الأفضل، فتسود الحرية محل الاستبداد، أو العدالة محل الظلم، أو الأمن محل الخوف والتعليم محل الأمية<sup>(4)</sup>، أو الاستقرار محل الفوضى.

**الإصلاح السياسي وتأثيره على التنمية المحلية في دول المغرب العربي**

• عندما يكون التغيير له صفة الاستمرارية ولا يتم التراجع عنه فتحول نظام سلطوي إلى نظام ديمقراطي هش يمكن زواله بسرعة ولا يعتبر إصلاحاً.

**عملية الإصلاح:** إن عملية الإصلاح لا تحدث في فراغ ولا تتطرق لمجرد الرغبة في التغيير، إذ لابد من توافر بيئة مناسبة أو ظروف موضوعية تدفع باتجاه الإصلاح، وذلك لتجنب الآثار السلبية المترتبة على بقاء الوضع على ما هو عليه، من خمود وجمود ولاستعراض هذه الظروف والكيفية التي تتم فيها عملية الإصلاح وحجم أو درجة الإصلاح المطلوبة، فإنه لابد من الإشارة إلى الحقائق التالية<sup>(5)</sup>:

1- إن الإصلاح عادة ما يتم في ظروف الأزمة، ففقط الانطلاق هي الأزمة التي تمثل خطراً أو تحدياً للنظام القائم، وبالتالي لابد من التصدي لهذه الأزمة باتخاذ قرارات حاسمة وإجراء إصلاحات جذرية، وقد تكون الأزمة خارجية تهدد أمن واستقرار أو كيان الدول، وقد تكون الأزمة ناتجة عن عوامل داخلية مثل تردي الأوضاع الاقتصادية، أو عدم الاستقرار السياسي أو فقدان الشرعية في نظام الحكم، أو هذه العوامل مجتمعة بحيث يكون الإصلاح هو الاستجابة العقلانية لمواجهة هذه الظروف الصعبة، وفي هذا السياق يمكن اعتباره سياسة الإصلاح أو إعادة البناء.

2- إن دعاة الإصلاح عادة ما يستندون في دعواتهم الإصلاحية إلى عقيدة فكرية أو أيديولوجية تساعدهم في تبرير الأفكار الإصلاحية والدفاع عنها .

فالدعوة الإصلاحية التي نادى بها الجيل الأول من القوميين العرب من أمثال: الكواكبي والبيازجي- ورشيد رضا - ورفاعة الطهطاوي- وغيرهم كانت نابعة من تأثرهم بالأفكار الغربية، ولاسيما فكرة القومية والإصلاحات الاقتصادية التي تبناها الزعيم الراحل جمال عبد الناصر كانت نتاج تأثره بالعقيدة الاشتراكية، فالخطاب الإصلاحي المستند إلى عقيدة أيديولوجية يتميز بوضوح الرؤية وقوة الحجة عند المبادرة أو المشاركة أو حتى عند النقاش، فالعلمانية والديمقراطية والعقلانية والمواطنة هي جميعاً أيديولوجيات يمكن لقادة الإصلاح الاستناد عليها في دفاعهم أو تبريرهم لتوجهاتهم الإصلاحية.

3- أن الإصلاح الذي يأتي بمبادرة من متخذ القرار ومن حوله «النخبة الحاكمة» لابد من أن يدفع نحو توسيع قاعدة المشاركة السياسية، فكلما اتسعت قاعدة المشاركة في عملية الإصلاح كلما زادت شرعية الإصلاحات، واتجاهات الإصلاح السياسي من منظور ما بعد الحداثة.

**الإصلاح السياسي من منظور ما بعد الحداثة:** تراجع الحديث عن التنمية السياسية عالمياً لصالح خطاب الإصلاح السياسي، وطرح أهداف أخرى للإطار النظري الجديد للتنمية السياسية على المستوى الإنساني، تتلخص الأهداف الأربعة وهي الأمن والتوسع الإقليمي، وتقليل النزاعات والاحتكاكات الخارجية وتقليل الخلافات أو الإشكاليات الداخلية، وترتبط بهذه الأهداف ثلاثة أهداف أخرى فرعية، وهي العدالة والنظام والحرية، وفي هذا الجانب باتت اتجاهات البحث في التنمية والإصلاح السياسي في العقد الأخير تتجه نحو العودة إلى دراسة الدولة، في ضوء عوامل ومتغيرات أهمها أن الدولة لم تكتمل في الكثير من المجتمعات النامية، إلى جانب انهيار دول قائمة، كما حدث في الاتحاد السوفييتي ويوغسلافيا ودول شرق أوروبا الأخرى، مما طرح مسألة إعادة بناء دول أو دولة جديدة على أثار دولة منهارة أو متفككة، وتأتي العودة إلى دراسة الدولة بالتزامن مع دعوات أخرى إلى نهاية عصر (الدولة- الأمة) أو (الدولة القومية الحديثة)، التي يرجع ظهورها إلى الثورة الصناعية، وهو التراجع الذي يعزى إلى تأثيرات الاتصالات وثورة المعلومات والاقتصاد المعرفي، والتي تقود الحضارة الإنسانية نحو تشكيل قاعدة مجتمع مدني عالمي<sup>(6)</sup>.



الإصلاح السياسي وتأثيره على التنمية المحلية في دول المغرب العربي

ومنذ تسعينيات الألفية الثانية على أثر التحولات العميقة في بيئة النظام الدولي والانفجار المعلوماتي والاتصالي، أخذت الأدبيات العلمية تنمو بالتدرج نحو مبحث الإصلاح السياسي، وتقدمه على التنمية السياسية في إطارها العام، وقد أخذ هذا التطور تأصيله العلمي من المناقشات الكبرى التي شهدتها الولايات المتحدة في هذه المرحلة، وبالتحديد في ضوء انهيار الاتحاد السوفييتي، إذ ظهرت الفكرة المركزية حول الانتصار النهائي للبرالية، أي الديمقراطية التي جاء بها "فوكوياما" تحت عنوان "نهاية التاريخ"، بإعلانه نهاية الحراك الاجتماعي البشري بنموذج الليبرالية الديمقراطية، حيث يجب على مجتمعات العالم إصلاح أنظمتها بما يتفق وهذا النموذج، ومن ثم عاد البريق إلى مفهوم الإصلاح السياسي، الذي أخذ بعداً دعائياً في وسائل الإعلام أكثر من التأصيل العلمي، فالحراك البشري لم ينشأ بحسب فوكوياما- عن بحث الإنسان عن الرضا والسعادة الفردية، كما قرر - جون لوك وتوماس هوبز- في عصر الأنوار، بل يعود بهذا الحراك إلى التفسير الهيجلي، الذي يقول ان الدافع للحراك التاريخي كان وما زال نوق الإنسان المحض إلى "تحقيق الذات"<sup>(7)</sup>.

أذرى فوكوياما أن الديمقراطية الليبرالية لا يمكن أن تدخل من الباب الخلفى، بل يجب أن تأتي في لحظة ما من قرار سياسي واع ومقصود، يعمل على تأسيس الديمقراطية، وفي الوقت الذي قد يعمل هذا القرار على إيجاد صدام وصراع بين أطراف مؤيدة وأخرى معارضة، إلا أن ربط التحول الديمقراطي يدل على أن التغيير الاجتماعي والسياسي، لا يشترط دوماً صداماً أو عنفاً من أجل تحقيق الديمقراطية، بل إن التغيير الديمقراطي يأتي أيضاً من خلال إصلاح واع وجريء<sup>(8)</sup>، ومن هنا عادت الإزاحة الفكرية إلى الإصلاح السياسي، وفق محددات الليبرالية الديمقراطية بقوة أكبر من أي وقت مضى.

ونبه فوكوياما بأن الإصلاح السياسي يدفع إلى قيم الليبرالية الديمقراطية، من خلال إدراك أن الرغبة الفعالة لدى الأفراد في علاج الفساد، وإيجاد المجتمع الذي يحققون فيه ذواتهم بعدالة، وهي واحدة من أهم عوامل إصلاح الأنظمة السياسية<sup>(9)</sup>.

فالأنظمة السائرة في التنمية السياسية والراغبة في الإصلاح، أمامها مهمة إعادة تطوير مواردها البشرية علمياً وإدارياً، ومقاومة الفساد وتجفيف منابعه، ويتحقق إصلاح الدول بالانتباه إلى حاجة أساسية يسعى الفرد إليها، وهي ليست مجرد المكافأة المادية، بل التفرّد والتميز والتقدير الذي يحصل عليه جراء ذلك، مما يتطلب إعادة النظر في القوانين والتشريعات من أجل تحقيق العدالة، وتوفير فرص متكافئة أمام الأفراد وتقدير الإبداع والابتكار<sup>(10)</sup>.

وهنا يصل تيار عودة الليبرالية الديمقراطية إلى أن إصلاح الدولة يجب أن يقود إلى أن الدولة ليست أهم من الفرد، وأن الأمة ليست أهم من مواطنيها، وأن التأسيس الحقيقي للإصلاح السياسي يبدو في منح الأفراد الحقوق السياسية والحريات المدنية الطبيعية، فالأنظمة التي تتعامل مع الجموع البشرية سوف تصطدم بالفروق الحاصلة بينهم، وإصلاح الحقوق السياسية يقوم على فكرة العدالة وليس المساواة<sup>(11)</sup>.

**حقيقة الإصلاح السياسي:** شهد العقد الأخير من القرن الحادي والعشرين تزايداً ملحوظاً في الاهتمام بقضايا الديمقراطية والإصلاح السياسي، وخاصة التحولات السياسية التي تشهدها الأنظمة في المنطقة العربية (دول المغرب العربي)، والمقصود هو إحداث تغييرات جوهرية تمس بنية النظام السياسي بما يحقق المزيد من الحرية والمشاركة والديمقراطية، فالإصلاح من هذا المنطلق عملية تتم داخل النظام القائم<sup>(12)</sup>، للحيلولة دون الثورة أو لتأخير آلياته دون المساس بأسسه تقادياً لإنفجار الوضع، فهي أشبه ما تكون بالخطوة الاستباقية التي تباشرها النظم التسلطية، تجنباً لحدوث ثورة

الإصلاح السياسي وتأثيره على التنمية المحلية في دول المغرب العربي

قد تفرز تغييرات جذرية في بنية نظام الحكم، لكن بداية من تسعينيات القرن العشرين لوحظ شيء من التغيير في مضامين مصطلح الإصلاح السياسي، حيث يرى بعضهم أن الإصلاح يمكن النظر إليه، على أنه التغيير في أنماط وسلوكيات قائمة بشكل جذري أو تدريجي خلال فترة زمنية محددة على جماعة بشرية<sup>(13)</sup>.

فالإصلاح قد يكون تدريجيا كما قد يأخذ طابعا جذريا، زيادة على أنه ليس مقصورا فقط على البنى والمؤسسات، بل يشمل أيضا الأنماط والسلوكيات<sup>(14)</sup>، فالإصلاح يشير إلى تغيير وإعادة بناء مفاهيم القيم وأنماط السلوك التقليدية، وطرق ووسائل نشر، ووسائل الاتصال والتعليم، وتوسيع نطاق الولاء، بحيث يتعدى العائلة والقرية والقبيلة، ليصل إلى الأمة وعلمنة الحياة العامة، وعقلانية البنى في السلطة وتعزيز التنظيمات المتخصصة وظيفيا<sup>(15)</sup>، واستبدال مقاييس المحاباة بمقاييس الكفاءة، وتأييد توزيع أكثر إنصافا للموارد المادية والرمزية.

الإصلاح هنا ذو أبعاد عديدة تشمل المنظومة القيمية للمجتمع وبنية مؤسسات الحكم زيادة على أنماط السلوك وعلاقات السلطة، وهو ما يعطي انطباعا واضحا على كون عملية الإصلاح المقصودة في الواقع، هي تلك التي تم من خلالها تحول جزء من دول أوروبا الشرقية إلى نظم سياسية على شاكلة النظم الديمقراطية الغربية، وما رافق ذلك من تغيير متعدد الجوانب أفضى إلى قيام تجارب ونماذج تحاكي الأنماط الغربية الليبرالية، وبالعودة إلى الأدبيات التي اهتمت بالموضوع في المنطقة العربية، يذهب الأستاذ -علي الدين هلال- إلى أن الإصلاح السياسي كمفهوم نظري في علم السياسة، يمكن تعريفه بالمعنى التاريخي على أنه أي تدبير يكون من شأنه دعم الشرعية السياسية- تطوير الإطار المؤسسي ودعم الاستقرار السياسي في مجتمع ما، وأصبح المفهوم يشير إلى نوع من الانتقال من نظم سياسية إلى نظم أخرى تقوم على مرتكزات أساسية تتمثل في سيادة الدستور والقانون، والمواطنة القائمة على المساواة وانتخابات دورية حرة ونزيهة والتعددية الحزبية والحرية السياسية، وحماية الحريات العامة واستقلال القضاء، فمفهوم الإصلاح السياسي في هذا السياق هو مجموعة من الإجراءات والخطوات تهدف للانتقال من نظم حكم يتسم بالسلطوية إلى نظم حكم يقوم على قاعدتي المشاركة والتمثيل<sup>(16)</sup>، ويمكن تعريف الإصلاح السياسي أيضا بأنه "عملية تعديل وتطوير جذرية في شكل الحكم والعلاقات الاجتماعية داخل دولة ما في إطار النظام القائم وبالوسائل التي يتيحها، واستناداً لمفهوم التدرج<sup>(17)</sup>، بمعنى آخر هو تطوير كفاءة وفعالية النظام السياسي في بيئته المحيطة داخليا، إقليميا ودوليا، فالإصلاح حركية تتبع من داخل النظام تتسم بالشمول والواقعية، وتسلك منحى الشفافية والتدرج وتركز على المضمون لا الأشكال<sup>(18)</sup>.

يشير الإجماع غير المسبوق الحاصل بين القوى السياسية الدولية، وحكومات الدول العربية وأيضا بين الأكاديميين حول استخدام مفهوم الإصلاح السياسي في المنطقة العربية، وهو ما يؤكد نسبية المفهوم ومرونته، فأى تحسين في الأوضاع السياسية التي يعرفها الوطن العربي من قبيل إتاحة حريات التعبير أو التنظيم للمواطنين يعتبر إصلاحا، فليس المطلوب من وجهة نظر هؤلاء القادة أن يكون هناك تطور ديمقراطي في الدول العربية<sup>(19)</sup>، وإنما يكفي أن يكون فيها إصلاح سياسي، وفي ذات الاتجاه تؤكد "وثيقة الإسكندرية" على الطابع المرن لمفهوم الإصلاح السياسي الذي يمكن فهمه في أطر فكرية ومجتمعية مختلفة، ويمكن القول بأن الركيزتان التوأم لإصلاح الحكم هما حولة كفاء- ومجتمع مدني مؤثر-، وعليه فإن برنامج الإصلاح ينبغي أن يتضمن إصلاح جوهر نظام الحكم (نظام التمثيل، التشريع، سيادة القانون، المشاركة) وتفعيل صوت الشعب (تعزيز الحكم المحلي، تنمية المجتمع المدني، الإعلام المستقل).

الإصلاح السياسي وتأثيره على التنمية المحلية في دول المغرب العربي

في ذات الاتجاه الإصلاح السياسي يعني مرور النظام السياسي بعمليات تغيير واسعة النطاق تتناول بنية النظام التسلسلي، بحيث يبدو التحول الديمقراطي أحد أوجه الإصلاح الشامل، وأهم السمات الإصلاحية فهي أن يمتلك النظام السياسي آليات التطور الذاتي المستمر، بما يمكنه من رفع مستوى الكفاءة واستيعاب القوى السياسية، وتحقيق الاستقرار المنشود، مع ملاحظة التوازن بين مطلب التغيير المستمر لملاحقة التغييرات الحاصلة والاستقرار<sup>(20)</sup>.

ويرتبط الإصلاح بشكل وثيق بنشر ثقافة سياسية ديمقراطية تحقق المعادلة الصعبة المتمثلة في دعم الثقة بين المواطن والنظام من جهة، وحق المواطن في نقد السلطة والمشاركة في تصحيح توجهاتها من جهة أخرى، السمة الأخرى تتمثل في وجود مرحلة وسطى بين النظامين، حيث يعني ولوج مرحلة التحول المرور بعملية تفكيك متدرج للنظام السلطوي وصولاً إلى ترسيخ دعائم الحكم الديمقراطي وذلك عبر آليات ديمقراطية<sup>(21)</sup>.

الإصلاح السياسي يعني القيام بعملية تغيير في الأبنية المؤسسية السياسية ووظائفها وأساليب عملها وأهدافها وفكرها، وذلك من خلال الأدوات القانونية التي يوفرها النظام السياسي، وذلك بهدف زيادة فعالية وقدرة النظام السياسي على التعامل مع المتغيرات والإشكاليات الجديدة والمتجددة باستمرار<sup>(22)</sup>، إن التأكيد على كون الإصلاح السياسي هو عملية تغيير من داخل النظام، وبآليات التي ينتجها تطرح بالنسبة للنظم العربية (خاصة المغربية) إشكالية أساسية تتعلق بعمق الجمود والركود التي تعانيه هذه الأنظمة، ما يجعل من الصعوبة بمكان مباشرة الإصلاح من داخل النظام، فالإصلاح السياسي هو مجموع العمليات التي تتم على مستوى النظام السياسي بهدف التعديل التدريجي في القوانين والتشريعات والمؤسسات والأبنية والأطر والآليات والأداء والسلوكيات- والثقافة السياسية السائدة بهدف مواكبة التغييرات الحاصلة في البيئة الداخلية والخارجية، والاستجابة للتحديات التي يواجهها النظام في اتجاه بضمن تحقيق المزيد من المشاركة السياسية للمواطنين، والفعالية والكفاءة لمؤسسات الدولة، مع التأكيد على حماية الحريات والحقوق الأساسية<sup>(23)</sup>.

وأيضاً مفهوم الإصلاح السياسي في إطاره الواسع يدل على وصف حدوث تحسينات وتحولات إيجابية مقارنة بواقع الحال، ففي بعدها السياسي تركز على تحسين جودة الحكم وصلاحيته. فهناك شبه أجماع على تعريف التحول الديمقراطي بكونه عملية الانتقال من نظم تسلطية نحو نظم ديمقراطية وفق التصور أو النمط الغربي، بحيث يطلق مفهوم التحول على جملة العمليات التي يمر بها النظام السياسي عبر مراحل مختلفة للانتقال من الحالة التسلطية إلى الحالة الديمقراطية<sup>(24)</sup>.

حيث يقوم مفهوم التحول الديمقراطي على جملة من الافتراضات- إن الانتقال من نظام تسلطي إلى آخر ديمقراطي يمر عبر مراحل محددة، تبدأ بانتهاء النظام القائم وتنتهي بمرحلة تعزيز وترسيخ الممارسة الديمقراطية، إلا أن هناك أنماطاً مختلفة للتحول- فهناك التحول السلمي- وهناك العنيف- وهناك التحول التدريجي الإصلاحي- مقابل التحول الثوري الجذري - والتحول الديمقراطي له نهايات محددة تتمثل في إقامة وترسيخ النظام الديمقراطي الغربي وفق أشكال وأنماط معينة<sup>(25)</sup>.

الإصلاح السياسي والتنمية المحلية في دول المغرب العربي: الإصلاح السياسي يعني عملية تشريعية وسياسية واجتماعية، تهدف إحداث تغييرات جوهرية هامة على نمط السلوك في الدولة بغية دفع قوى المجتمع ومراكز القوى في مؤسسات الدولة للعمل بموجب القانون والدستور، بما يكفل الحريات ويصون الحقوق ويحافظ على المكتسبات وينظم عملية التنافس والصراع<sup>(26)</sup>.

الإصلاح السياسي وتأثيره على التنمية المحلية في دول المغرب العربي

وقد جاء في تعريف التنمية السياسية -عند لوسيان باي- بأنها "القدرة المتزايدة للنظام السياسي على إدارة الشؤون العامة، وتسوية الصراعات وتلبية المطالب الشعبية، وتطوير قدرات النظام السياسي بتعزيز أعمال الحكومة وفعاليتها وعفاليته، ويتم ذلك بجهود متواصلة لغرض إجراء استحداثات جديدة، ومن ثم التكيف مع التطور والتعبئة المستمرة والمتزايدة لمختلف المصادر للإصلاح السياسي يشمل الجهد السياسي والإداري والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، إن التحديث يأخذ جانبا سياسيا يشير إلى سلسلة من التغيرات الهيكلية والثقافية في الأنظمة السياسية للبلدان التي تتبع طريق التحديث، ومن هذا يصبح التحديث عملية ينتقل بها المجتمع من الوضع التقليدي إلى وضع جديد - فهي عملية معقدة بمعنى شمولها التغيرات في كل النظم المجتمعية، من التصنيع والتحضّر-الحراك الاجتماعي- وانتشار الوسائل التقنية- وصولا إلى ارتفاع معدلات التعليم- واتساع المشاركة الشعبية فالتحديث عملية نسبية، أي أن التغيير في عنصر يؤدي إلى التغيير في العناصر الأخرى<sup>(27)</sup>.

إن التطلع إلى الديمقراطية في الإقليم المغربي(الدول المغربية) ككل أضحى من القضايا المشتركة بين شعوب وقادة المنطقة، وإن كانت التعبيرات عن هذا التطلع متفاوتة، إلا أنها تعبيرات توحى بضرورة إحداث إصلاحات سياسية ودستورية واقتصادية في تلك الدول في نطاق النظام الديمقراطي.

فبعدما تعطل مشروع الديمقراطية في العديد منها في الحقب التاريخية السابقة، بدعوى وتبرير أن الديمقراطية لازالت مشروعا طوباويا وأن بلدانا تعيش أولويات أخرى، تارة بحجة ضرورة استكمال الاستقلال، وتارة أخرى بأولوية التنمية الاقتصادية وتحقيق العدالة الاجتماعية، وتارة ثالثة بفعل الأزمات متعددة الأبعاد التي مرت بها الدول المغربية، وجعلتها تحكم سيطرتها على كل المجالات بهدف ضمان الاستقرار، وعليه فبعد حجج التعطيل والتسويق للمشروع الديمقراطي المغربي التي لم تجد نفعا على الصعيد الإقليمي والوطني على حد سواء، وتلاشي النظرة الطوباوية للديمقراطية وأصبحت ضرورة سياسية ومجتمعية وحضارية، فمع نهاية عقد الثمانينات من الألفية الثانية أخذت إرهابات الديمقراطية تطفوا على الساحة السياسية المغربية، حيث أصبح الحديث عن التغيير- الإصلاح- التفتح- وهي كلها مصطلحات غزت القاموس السياسي المغربي لم يعهد بها الرأي العام من قبل، ثم تطورت النظرة المغربية للديمقراطية، وأصبحت خطابا شائعا بين القادة ولغة العصر لدى منظمات المجتمع المدني، ومن ثم أخذوا في البحث عن آليات تطبيق وتفعيل الديمقراطية في الواقع المغربي<sup>(28)</sup>.

وبعد الإخفاقات المتكررة للمشاريع التنموية والإصلاحات السياسية في ظل الأحادية الحزبية حاولت خوض جملة من الإصلاحات مست كل القطاعات، خاصة السياسي منها تحت راية الديمقراطية، لكن النظرة السائدة لدى الدول المغربية، أو بالأحرى أن كل دول العالم الثالث قائمة على الإسترداد الهيكلي للنظام الديمقراطي، دون الأخذ بعين الاعتبار الظروف التي نشأ فيها هذا أو ذلك النظام، أو مراعاة معتقدات وثقافات البيئة الجديدة التي يحاولون نقل إليها الديمقراطية، صحيح أن مبادئ وأهداف الديمقراطية ليست غريبة عن المجتمعات المغربية باعتبار تلك المبادئ كان الإسلام سابقا إليها، وأن الدول في المغرب العربي هي دول إسلامية، وبالتالي هي أدرى بها ولكن الإنشغال المطروح هو على المستوى التطبيقي بمعنى كيفية الانتقال من ما هو نظري وإجرائي إلى حيز التجربة والتنفيذ<sup>(29)</sup>.

إن وظيفة العلوم السياسية تتمثل في تحديد العلاقة الإرتباطية بين الديمقراطية والتنمية السياسية، وكذا تحليل ومعالجة إشكالية التنمية السياسية والديمقراطية في الواقع المغربي من خلال رصد

### الإصلاح السياسي وتأثيره على التنمية المحلية في دول المغرب العربي

وإبراز مظاهر الديمقراطية وعواقب التخلي عنها، وتقديم حجج وإجابات علمية وعملية تدعوا لتطبيق الديمقراطية وفق ما يتماشى مع البيئة الداخلية والتخلي على نمط التحول الديمقراطي الفوقي (نخبوي) وضرورة إشراك المجتمع بكل أطرافه في عملية الديمقراطية<sup>(30)</sup>.  
**طبيعة الأنظمة السياسية في دول المغرب العربي:** يوجد أكثر من معيار لتصنيف أنظمة الحكم في الوطن العربي عامة، وفي دول المغرب العربي خاصة، إذ يمكن تصنيفها إلى أنظمة ملكية، وأنظمة جمهورية، وأنظمة محافظة، وأنظمة تأخذ بتعدد الأحزاب وأخرى تأخذ بالتنظيم الواحد، وأنظمة الأقطار النفطية، وأنظمة الأقطار الغير نفطية وإن تباينت الأنظمة السياسية المغربية من حيث الشكل السياسي<sup>(31)</sup>.

طبيعة الأنظمة السياسية المغربية أو الخصوصية السياسية لهذه الدول، فهي لا تختلف كثيرا عما عرفته في المجال الاقتصادي، إذ الدولة في المغرب العربي مرت بمرحلتين بعد الاستقلال وهما مرحلة بناء الدولة الوطنية، ومرحلة الانفتاح والتجديد في الشكل المؤسساتي.

**ففي المرحلة الأولى:** كانت شرعية الدولة مبنية بفعل الدور المزدوج الذي أوكل لها، دور المرشد للرابطة القوية ودور المركز بصفتها الوسيط للرعاية الاقتصادية، وفي سعيها لتحقيق كل ذلك فقد عملت الدولة على تأميم ودولنة المجتمع، بمعنى تصبح هي الكل في الكل، وذلك لاعتبار الدولة هي مجسد للنضال الوطني قائمة على الشرعية الثورية، إذ كان الحزب الدستوري الاشتراكي في تونس، وحزب جبهة التحرير الوطني في الجزائر يهيمنان على الحياة السياسية في كلتا الدولتين، أما في المغرب الأقصى فرغم إقرار التعددية الحزبية عام 1963م، إلا أن العائلة المالكة ظلت محتفظة بزمام تسيير الدولة، وكذلك الشأن بالنسبة لموريتانيا، وليبيا التي حلت جميع الأحزاب التي كانت قبل الاستقلال<sup>(32)</sup>.

**وفي المرحلة الثانية:** فأهم ما يميزها هو انهيار العقد الاجتماعي الضمني القائم بين الدولة والمجتمع، وذلك نظرا لضعف مردودية المشروع التنموي الوطني بحيث لم تعد الدولة قادرة أن تلعب دور المحرك والمسيطر لكل الأمور، وبالتالي كانت مضطرة لإيجاد صياغة جديدة لمهامها والبحث عن بدائل لحل الأزمة الشرعية، ومن ثم أقدمت على ترميم بعض المؤسسات السياسية التي تمثل الدولة وخلق بعض أشكال التعددية السياسية، وعليه فإن دول المغرب العربي تتقاسم مجموعة من الملامح، والمظاهر التي تميز نظام الحكم هي سلطوية عملية صنع القرارات السياسية واتخاذها، وهشاشة البناء الفكري والتنظيمي للأحزاب السياسية، وتهميش المعارضة السياسية والتدخل الأجنبي في السياسة الداخلية لهذه الدول.

ولتجسيم تلك الإصلاحات فقد سعت أنظمة الحكم المغربية باسم الوحدة الوطنية للتنمية إلى تأميم المجتمع السياسي، واحتكار اتخاذ القرارات بعيداً عن إرادة الشعب، محتكما في ذلك إلى رصيدها التاريخي (الشرعية الثورية)، حيث تمكنت من تعبئة الشعب واستيعاب الصراعات وتجسيد أغلب أشكال المعارضة (الشيوعية، القومية، الإسلامية) التي تشكل خطرا وتهديدا لتوجهاتها.

حيث اختلفت التوجهات المغربية (فبينما توجهت تونس والمغرب في المجال الاقتصادي إلى فتح المجال للقطاع الخاص الأجنبي والوطني)، ومنحهما امتيازات في إطار الخضوع لشروط المؤسسات النقدية الدولية، وكان ذلك على حساب مصالح وأهداف الشعب في البلدين، ولقد كان من نتائج تلك السياسة الافتتاحية أن تازم الوضع الاقتصادي التونسي والمغربي، وظهرت عدة احتجاجات شعبية ونقابية تطالب بإصلاح الوضع، وفي المجال السياسي عام 1981م، وفي ظل ظروف داخلية حرجة (أعلن بورقيبة عن عدم اعتراضه على تشكيل أحزاب سياسية)، ومع ذلك فإن هذا الإجراء لم يكن سوى استراتيجية لمسايرة الديمقراطيات الغربية من جهة، ومن جهة أخرى

### الإصلاح السياسي وتأثيره على التنمية المحلية في دول المغرب العربي

كإجراء للقضاء على الأحزاب والمنظمات التي كانت تعمل في السر قبل عام 1981م، ولهذا فإن إجراء التعددية الحزبية لم يسهم في تفعيل الحياة السياسية بقدر ما اعتبر خطوة جديدة لممارسة سياسة الإقصاء والاعتقالات لقادة التنظيمات .

التي أعلنت عن حركاتها إثر الإقرار بالتعددية، عموماً فإن اليد الخارجية كانت دائماً حاضرة في الإصلاحات التي خاضها بورقراطية والتي أدخلت النظام في معارضة مع كل الجبهات والفصائل خاصة الأحزاب الإسلامية والحركات النقابية والطلابية<sup>(33)</sup>.

وتبينت أغلب الدول المغاربية هذا المنهج الإصلاحية في فترات لاحقة، بتأثير عوامل داخلية وأخرى خارجية، فاما العوامل الداخلية فتتمثل في جملة الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كانت تمر بها الدول المغاربية، في حين تتصرف الأسباب الخارجية إلى مجموعة الظروف الدولية والضعف الأتية من الخارج خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، حيث أخذت جميع الدول المغاربية في تشييد إصلاحات سياسية واقتصادية استباقية تماشياً مع الرغبة الأمريكية التي تشن ضغوطاً على كل من يخالف توجهاتها الإمبريالية، ومن أجل ذلك فقد هيأت الإطار القانوني للمشروع الديمقراطي، من خلال وضع مجموعة من القوانين والتشريعات التي تنظم الحياة السياسية، كمبدأ التداول السلمي على السلطة ومبدأ التعددية السياسية<sup>(34)</sup>.

إن خطاب الديمقراطية في الدول المغاربية يتميز بالازدواجية بمعنى هناك مبادعة ما بين النصوص القانونية، وما يتم تطبيقه ميدانياً، خاصة فيما يتعلق بمبدأ التداول على السلطة، فالقادة في دول المغرب العربي استمروا على هرم السلطة .

أما فيما يخص التعددية السياسية، فالمعارضة خاصة الإسلامية منها لا زالت غائبة عن الساحة السياسية، وكذلك الشأن بالنسبة لأجهزة الإعلام والصحافة فهي خاضعة لتوجهات السلطة أي أجهزة دعابة في الأغلب الأعم، وفي إطار تطرقنا لعلاقة الديمقراطية بالإصلاح الاقتصادي في تونس اتضح لنا أن هناك علاقة ترابط وتداخل ما بين المشروع الديمقراطي والانفتاح الاقتصادي، إذ بالموازاة مع جملة الإصلاحات السياسية المتخذة كانت هناك إصلاحات أخرى على الصعيد الاقتصادي تمثلت خاصة في تشجيع الخوصصة، والدخول في شراكة مع الإتحاد الأوروبي وبغض النظر عما تم تحقيقه هذا البرنامج من نتائج سلبية أو إيجابية على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي، فإن هذه السياسة الاقتصادية زادت من حدة الخلاف ما بين المعارضة والسلطة، مما دفع هذه الأخيرة إلى إحكام قبضتها على المعارضة السياسية بكل توجهاتها (الإسلامية، الاشتراكية)، واستمرت الدول المغاربية باستثناء ليبيا في استيراد النماذج الغربية السياسية والثقافية والاقتصادية السمة البارزة في السياسة المغاربية .

إن معضلة الديمقراطية في المغرب العربي عامة حسب الكثير من المفكرين، هي من غير شك معضلة متعددة الأبعاد فلها بعد دستوري قانوني يعكس خلل العلاقة بين السلطات لصالح السلطة التنفيذية، وبعد مؤسسي يعبر عنه بضعف الهياكل والأطر الحزبية لمؤسسات المجتمع المدني واختراق بعضها من الخارج وتضيق مساحة الحريات المدنية والسياسية، هذا ما دفع للحديث عن أزمة الديمقراطية في الوطن العربي، إذ يكاد تعبير الأزمة يصبح ملازماً لمفهوم الديمقراطية في حياتنا العربية عموماً والمغاربية خاصة، وما صيغة الإشكالية الواردة في عنوان الموضوع (الإصلاح السياسي) إلا دليل على ذلك، إذ كانت جهود الباحثين منصبة على آليات إصلاح الأوضاع الاقتصادية والسياسية في الدول المتخلفة عامة نتيجة مخلفات الحقبة الاستعمارية وغيرها، ولكن نظراً لشيوع سياسة الاسترداد في كل المجالات حتى السياسية منها أو ما يمكن تسميته بالاستهلاك السياسي الغربي، فقد أصبح اليوم الحديث عن كيفية إصلاح تلك السياسات

**الإصلاح السياسي وتأثيره على التنمية المحلية في دول المغرب العربي**

النابعة عن قناعات إيديولوجية ضيقة أي باختصار كيفية الإصلاح، عليه ينبغي على القادة العرب إيجاد صيغة جديدة للنظام الديمقراطي قائم على احترام قيم ومعتقدات المجتمع العربي الإسلامي، والابتعاد عن صيغة الديمقراطية الجاهزة التي يستوردونها من البلدان الغربية ولقد صدق من قال :

**لا تحسبن المجد تمرا أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق صبرا**

فمما لا شك فيه أن طريق المجد والازدهار طويل وعسير في معظم الأحيان لكن ليس مستحيلا خاصة في ظل وجود أفضل بديل، ولقد أقر بذلك سيد الخلق أجمعين صلى الله عليه وسلم " تركت فيكم ما إن تمسكتكم به لن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتي"، ومن ثم فلا عزة لنا كمسلمين دون الإسلام مثلما يرى عمر بن الخطاب رضي الله عنه " نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فإذا ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله، " وبالتالي علينا بالرجوع إلى ذاتنا الإسلامية وتدبر القرآن الكريم

امتنالاً لقوله تعالى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا﴾، ويبقى أن نشير في الأخير بأن النظام السياسي المغربي ككل مثلما أسلفنا يعيش أزمان متعددة الأبعاد، وهذا يفترض ضرورة التمثل على المستوى الإقليمي من جهة ومن جهة أخرى الإتحاد على المستوى الوطني وتجاوز الخلافات والمصالح الضيقة لما يخدم المصالح العامة والاستفادة من التجارب السابقة خاصة في ظل وجود الضغط الخارجي، ونحن باقتراحاتنا هذه لا نأمل بأن تكون النخب السياسية المغربية في منزلة العاقل الذي يستفيد من مصيبتة، ولا حتى الكيس الذي يستفيد من مصيبتة ومصيبة غيره فحسب، بل نرجو أن تكون في منزلة الحكيم الذي يبهج بالمصائب ليقطف منها الفوائد<sup>(35)</sup>.

**مفهوم الديمقراطية وتقسيماته:** إن مصطلح الديمقراطية من حيث المضمون الديمقراطية هي حكم الشعب بالشعب وللشعب بمعنى سيادة الشعب، ومشاركته في صنع السياسة ورقابة الحكومة التي تعمل لصالح الشعب وهي طريقة حياة للمجتمع.

الديمقراطية من تجاه الممارسة هي " نظام سياسي تتشكل فيه الحكومة بواسطة أصوات الناخبين في انتخابات حرة ونزيهة في صور المشاركة السياسية، الصحافة، الأحزاب السياسية<sup>(36)</sup> .

ويعرفها الباحث على أنها أسلوب للحياة ونظام يقوم على قناعة كاملة من مواطني المجتمع البشري بقيمة الديمقراطية فكرا وممارسة، وقناعة كاملة بالمبادئ الأساسية من حرية ومساواة وعدالة، وأن السيادة للشعب دون سواه.

**1- أصحاب النظرية المعيارية:**الذين يعتبرون الديمقراطية هدفا لما يجب أن تكون عليه، وهي حسب اعتقادهم "سياسة بحثة" لأن إدخال المسائل الاقتصادية والاجتماعية سيجعل من مفهوم الديمقراطية مفهوما واسعا، يصعب دراسته، بينما يرى أصحاب النظرية التجريبية: الديمقراطية حسب هذا الاتجاه هي سياسة واقتصاد، معتبرين ان التعريف الأول ضيق ويستبعد توزيع السلطة داخل المجتمع.

**2- الديمقراطية من حيث الشكل:**الديمقراطية هي شكل لنظام الحكم، أو تجربة في الحكم أي أن الديمقراطية هي عدم الاستبداد.

**3- مبادئ الديمقراطية:** تمثل مبادئ الديمقراطية إطارا مرجعيا يمكن من خلالها تقييم مدى توفر الديمقراطية في المجتمعات المختلفة، إذ رغم منبعها الإغريقي ورواجها الغربي إلى أنه ينبغي النظر إليها كقيمة حضارية لكل الإنسانية تقوم على احترام حقوق الإنسان، التي تضمنها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي أقرته الأمم المتحدة كحق العمل، التعليم، الصحة، وأن العبرة ليست بما تنص عليه الدساتير، وإنما بإمكان ممارسة هذه الحقوق والحريات كاملة، وأن يكون المواطنين طرفا في

**الإصلاح السياسي وتأثيره على التنمية المحلية في دول المغرب العربي**

اتخاذ القرارات التي لها تأثير على حياتهم من خلال تهيئة المناخ السياسي لممارسة هذه الحقوق عن طريق ضمان حريات التعبير، وإنشاء الجمعيات والأحزاب السياسية .

- **التعددية السياسية:** إذ تقوم الديمقراطية على التمثيل النيابي، وهذا عن طريق الانتخاب الذي هو قاعدة النمط الديمقراطي كطريقة لتعيين الحكام على عكس الأنماط الوراثية والاستبدادية لكن التعددية السياسية تفقد قيمتها في ظل احتكار السلطة .

- **التداول السلمي على السلطة:** وفق مبادئ وآليات للتداول على الحكم دون اللجوء إلى الانقلابات أو التصفيات تتيح للجميع فرصا متساوية لاعتلاء سدة الحكم دوريا، وتنفيذ برامجهم التي انتخبوا على أساسها .

**الفصل بين السلطات السياسية:** يعتبر المفكر الإنجليزي "جون لوك" و"المفكر" مونتسكيو في كتابه روح القوانين 1748م، من مؤسسي هذا المبدأ الذي يقوم على ضرورة الفصل المرن بين السلطات الثلاثة: - التشريعية- التنفيذية- القضائية، حيث يمكن لكل سلطة من إيقاف الأخرى عند حدود اختصاصاتها الدستورية مع مراعاة التعاون والتوازن فيما بينها، كانت هذه أهم المبادئ التي تقوم عليها الديمقراطية .

وقد توصل المفكر الأمريكي "روبرت دال Dahl Robert" إلى إعادة صياغة تلك المبادئ في ظل الديمقراطية المعاصرة، التي أطلق عليها نظام "حكم الأكثرية" وتتمحور هذه المبادئ حول أنه لا سيادة للفرد ولا للقلّة على الشعب، وهذا بدل من مبدأ سيادة الأمة، وأن تسيطر أحكام القانون بدلا من سيادة القانون، وعدم الجمع بين السلطات بدلا من الفصل بين السلطات وضمان الحقوق والحريات والتداول على السلطة<sup>(37)</sup>.

**4- صور الديمقراطية:** إن الديمقراطية مفهوم تاريخي اتخذ صورا وتطبيقات متعددة في سياق تطور المجتمعات تمثلت هذه الصور في الديمقراطية المباشرة تعني هذه الصورة وجود نظام سياسي، من شأنه أن يحكم الشعب نفسه بنفسه، ففي ظل الأخذ بهذا النظام يتعين أن تعرض طريق الاجتماع في جمعيات عمومية ومشروعات القوانين على هيئة منتخبة من قبل الشعب، والشعب ذاته يشارك في صياغة تلك القوانين ومراقبتها من خلال جمعية تضم جميع المواطنين، إن هذا النوع من الديمقراطية يبدو مثاليا لأنه حتى وإن طبق ونجح في بداية ظهوره، فإن ذلك راجع لقلّة الشعب وضيق الرقعة الجغرافية، أما وقد زادت نسبة عدد السكان واتسعت الرقعة الجغرافية، فإنه يستحيل تطبيق هذه الصورة من الديمقراطية إضافة إلى تعقد أمور الحياة العصرية، ويفترض تفويض مهام الشعب لذوي الخبرة والكفاءة للاهتمام بشؤونهم .

- **الديمقراطية شبه المباشرة:** إذ يخول للشعب في ظلها حق مراقبة حكامه من خلال وسائل شتى هي: الاستفتاء الشعبي: ويكون بنعم أو لا لإبداء الرأي-الاعتراض الشعبي: حق الناخبين في إقالة حكامهم- الاقتراح الشعبي: فيما يخص في تسيير شؤونهم الاجتماعية، حق الحل وعزل رئيس الجمهورية، وتتباين هذه الحقوق الخاصة بالشعب من بلد لآخر.

- **الديمقراطية النيابية:** تقوم على وظيفتين أساسيتين هما: التشريع والتنفيذ، ولا يكون المجلس نيابيا بحق إلا إذا مارس وظيفته وعلي النواب العمل حتى يمكنهم الاحتفاظ بثقة ناخبهم.

- **الديمقراطية الشعبية أو الاجتماع:** ظهرت هذه الديمقراطية وتشمل النظام الاجتماعي ككل وخاصة النظام الاقتصادي الذي على أساسه تقوم الديمقراطية، يتضح مما سبق أن الديمقراطية غاية في حد ذاتها، لأنها تحاول تجسيد القيم الأساسية التي يتطلع المجتمع إليها ويسعى لتحقيقها، كما أنها وسيلة في نفس الوقت من خلال الآليات التي تملكها لترجمة هذه القيمة لواقع فعليا، ولتحقيق كل



### الإصلاح السياسي وتأثيره على التنمية المحلية في دول المغرب العربي

ذلك- يكون وفق تفاعل عدة أطراف فيما بين الحاكم والمحكومين ومنظمات المجتمع المدني هذا من جهة، ومن جهة أخرى تتباين نتائج هذا التفاعل تبعاً لتباين الظروف الملائمة لتحقيق الديمقراطية<sup>(38)</sup>.

وبشكل عام لا ينبغي اعتبار الديمقراطية تجربة غربية، فالديمقراطية هي مفهوم حضاري يمكن محاكاته في المبادئ العامة، مع الحفاظ على خصوصية كل مجتمع كما أنها تجربة إنسانية وعلى هذا الأساس لا تحدد بصيغة معينة، وإنما تظل في تغير مستمر ومحل نقد ومراجعة دائبة على طوال الحياة الإنسانية، وهي بذلك في مسارها الطويل شكل واحد ثابت لا يتغير في مبادئه، ولكنها تتكيف وفق طبيعة المجتمعات وثقافتها وتراثها، لهذا اختلفت في الطرح الليبرالي عنه في الطرح الماركسي والطرح الإسلامي.

**الخاتمة:** من خلال دراسة هذا الموضوع نرى أنه من الضروري السعي للإصلاح السياسي، فالإصلاح السياسي يتطلب مبادرة تشمل الجهاز الحكومي ومؤسسات المجتمع المدني، حيث تكون قائمة على الشعور وبضرورة الإصلاح لتقادي دخول البلاد في أزمات قد تهدد استقرارها، وتكون مبنية على حوار وطني شامل يغطي كل المجالات، وذلك لتحقيق إصلاح سياسي يعزز من تطور البلاد في إطار قانوني مؤسستي ديمقراطي .

وقد تناولنا في هذه الدراسة عملية الإصلاح السياسي من حيث المفهوم- التعريف، والإصلاح السياسي من منظور ما بعد الحداثة، وحقيقة الإصلاح السياسي، الإصلاح السياسي والتنمية المحلية في دول المغرب العربي، الإصلاح السياسي وتأثيره على التنمية المحلية بعد 2011، وطبيعة الأنظمة السياسية في دول المغرب العربي، بمفهوم الديمقراطية وتقسيماته.

ومن هنا يمكن القول أن دول المغرب العربي تسعى جاهدة لتحقيق الإصلاح السياسي للسعي بالدول إلى تحقيق الاستقرار من مختلف الأشكال، حيث إن دول المغرب العربي عانت كثيراً من ويلات الاستعمار ومن مخلفاته، وتسعى لتحقيق ذاتها بعيداً عن التبعية.

### نتائج الدراسة:

- أثبتت الدراسة أن الإصلاح السياسي يختلف باختلاف الظروف والأهداف والغايات التي تسعى الحركات والقادة الإصلاحيين إلى تحقيقها.
- أوضحت الدراسة أن الإصلاح السياسي الذي حدث في دول المغرب العربي، وامتد في مختلف المؤسسات الحكومية كان اضطراري لحفظ هذه الدول من الفوضى، فالإصلاح السياسي الذي بدأ منذ عام 2011، كان ورائه عدد من الجهات الفاعلة (جماعات الضغط) منذ اخلال نظام أو من خارجه.
- من خلال البحث والدراسة تم التوصل إلى أن الثقافة السائدة في أية مجتمع من الدول المغاربية له دور مهم وأيجابي في عملية الإصلاح.
- خلصت الدراسة أن الدول المغاربية تتمتع بكم هائل من الثروات الطبيعية، لو وظفت على أكمل وجه لكانت عاملاً مساعداً في عمليات الإصلاح في هذه الدول موضع الدراسة .
- تؤكد الدراسة بالاهتمام لمفهوم الإصلاح السياسي خلال المشاركة السياسية في كافة دول المغرب العربي من مجمل الأطرا العلمية لكي يكونوا داخل مجتمعاتهم للأجيال الحالية والقادمة.

الإصلاح السياسي وتأثيره على التنمية المحلية في دول المغرب العربي

- من الواجب الاهتمام والتعريف بمفهوم الإصلاح السياسي لكافة الطلبة من مختلف التخصصات في الجامعات العربية، وذلك إسهاماً منهم للنهوض بالمجتمعات المغاربية
- توجيه أساتذة كليات العلوم الإنسانية الليبية والعربية (الدول المغاربية) لأجراء دراسات في مواضيع الإصلاح السياسي) وتبادل المعلومات فيما بينها لأثراء المكتبات الجامعية، وأستفادة الطلبة من ذلك .

المراجع:

1. احمد مالكي آخرون: الديمقراطية داخل الاحزاب في الدول العربية، الطبعة لأولى (بيروت : مركز، دراسات الوحدة العربية، سنة 2004، ص 22.
2. اسماعيل فيرة وآخرون: مستقبل الديمقراطية في الجزائر (بيروت-مركز دراسات الوحدة العربية) سنة 2002، ص 33 .
3. امحمد الداير: " التحول الديمقراطي في دول المغرب العربي "، أستاذ جامعي كلية الحقوق بالمحمدية، سنة 2002، ص 35 .
4. امين المشاقبة، شملان العيسى: "الإصلاح السياسي في دول الخليج " مركز دراسات وبحوث الدول النامية- كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، سنة 2006، ص 44 .
5. أمين المشاقبة و شملان العيسى: مرجع سابق، ص.113 .
6. أمين المشاقبة، شملان العيسى: دقاتر السياسة والقانون العدد التاسع- جوان2013،- والإصلاح السياسي في دول الخليج"، ص248 .
7. بير ترانديباي : " التنمية السياسية " (ترجمة محمد نوري المهديوي ) (ليبيا : تالة للطباعة والنشر، سنة 2001، ص 43 .
8. ثناء فؤاد عبدالله:الإصلاح السياسي...خبرات عربية، المجلة العربية للعلوم السياسية، عدد 12 خريف 2006، ص 10.
9. جون واتروبي: أمير المؤمنين الملكية والنخبة السياسية المغربية، ترجمة عبد الغني أبو العز معبد الأحد، ط 2 (مؤسسة الغني، مطبعة فضالة، المحمدية، سنة 2004، ص37.
10. حسن عبد الرحمان: " ظاهرة التحول الديمقراطي في افريقيا، القضايا وأفاق المستقبل سنة 1993م،العدد 113، ص 11 .
11. رابح لونيسي: رؤساء الجزائر في ميزان التاريخ (الجزائر: دار المعرفة، ط2، سنة2009، ص45 .
12. رشيد بن أيوب: دليل الجزائر السياسي (الجزائر : المؤسسة الوطنية للفنون المطبعة)، ط1، سنة 1999م، ص33.
13. رضوان محمود المجالي: "الإصلاح السياسي في المنطقة العربية " شؤون عربية، عدد 135، خريف.2008م، ص9 .
14. رضوان محمود المجالي:الإصلاح السياسي في المنطقة العربية، شؤون عربية، عدد135 خريف 2008، ص 160 .
15. رعد عبد الجليل علي: " التنمية السياسية مدخل للتغيير " (ليبيا-الجامعة المفتوحة) ب-ت، سنة 2002، ص 77.
16. سعيد بو شعير:النظام السياسي الجزائري ( عين مليلة : دار الهدى للطباعة والنشر، ب-ت، سنة 1990 م، ص 44 .

الإصلاح السياسي وتأثيره على التنمية المحلية في دول المغرب العربي

17. سليم اللوزي: الظاهرة الحزبية بالمغرب : التجمع الوطني للأحرار نموذجا ( مركز الدراسات- حادثة العلمانية في المغرب) ب-ت 11 جوان سنة 2009م، ص33.
18. سليمان الرياشي:الازمة الجزائرية ( بيروت-مركز دراسات الوحدة العربية، سنة 1999م، ص44
19. صامويل هنتجتون:الموجة الثالثة، التحول الديمقراطي في اواخر القرن العشرين( ترجمة د. عبد الوهاب علوب ) ط 1(القاهرة : مركز خلدون للدراسات الإنمائية، سنة 1993م، ص12.
20. طارق عاشور:الإصلاح السياسي العربي ( تحليل الحالةالجزائرية) ط1، بعدعام 2011، جامعة سعيدة الجزائر، ص 55 .
21. عبدالله بن عيدة: التجربة الجزائرية في الاصلاحات الاقتصادية ( بيروت-مركز دراسات الوحدة العربية)سنة1999م، ص 12 .
22. عبد الوهاب كيالي : موسوعة السياسة، الجزء الأول، بيروت-المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية سنة 1985 ص 206.
23. عماد صلاح : عبد الرزاق الشيخ داود، مرجع سابق، ص 44 .
24. عماد صلاح عبدالرزاق الشيخ داود: الفساد والإصلاح، دمشق (منشورات اتحاد الكتاب العرب)، سنة 2003، ص 77 .
25. العمار منعم وآخرون :الجزائر والتعددية المكلفة " الازمة الجزائرية الخلفيات السياسية والاجتماعية ( والاقتصادية والثقافية،ط 2 ( بيروت-مركز دراسات الوحدة العربية، سنة 1999، ص 44 .
26. غيليرمو أودونيل، وفيليب س. شميتز: الانتقادات من الحكم السلطوي، استنتاجات أولية حول الديمقراطية غير المؤكدة، ترجمة صلاح تقي الدين، نشر معهد الدراسات الاستراتيجية، بغداد الطبعة الأولى، سنة2006، ص39.
27. كمال المنوفي ويوسف الصواني : الديمقراطية والإصلاح السياسي في الوطن العربي، ليبيا، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، سنة 2006، ص 48 .
28. محمد تركي بني سلامة:الإصلاح السياسي دراسة نظرية، موقع شبكة دهشة، متوفر على <http://www.dahsha.com/viewarticle.php?id=30976>، (طبع في 2010/3/28)
29. محمد طهاري : " مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الافغاني ومحمد عبده ( الجزائر، دار الأمة، الطبعة الثالثة،سنة1999م، ص 34 .
30. محمود العريان: الإصلاح في الوطن العربي: بحث في دلالة المفهوم، موقع شبكة الصحافة غيرالمنحازة، متوفر على ( طبعفي 2010/3/31 ) <http://www.voltairenet.org/article129812.html>
31. مصطفى كمال السيد :الإصلاح السياسي في الوطن العربي، مرجع سابق، ص 7 .
32. مناصرة ماركسي:حول الإصلاح الدستوري في دول المغرب العربي الكبير (قراءة في تجربة مجهزة كنعان النشرة الالكترونية، سنة 2005، ص36.
33. ناصر محمد الضائع : (محرر) الادارة العامة والإصلاح الإداري في الوطن العربي، عمان-الأردن ( ب-ت سنة203م، ص 66.
34. نبيل كريبش: "دوافع ومعوقات التحول الديمقراطي في العراق وأبعاده الداخلية والخارجية"، أطروحة دكتوراه، قسم العلوم السياسية، جامعة باتنة، سنة 2008م، ص 33.

د. الصديق خليفة الكيلاني

الإصلاح السياسي وتأثيره على التنمية المحلية في دول المغرب العربي

---

35. نوزاد عبد الرحمان الهيتي: الحكم الصالح في الوطن العربي، مجلة علوم إنسانية، السنة الرابعة العدد 29 جويلية 2006، <http://www.uluminsania.net>.

## المقومات السياحية في مدينة الرجبان

أ. يوسف عمر الشتيوي  
كلية الآداب / جامعة الزاوية

### المقدمة:

بلدية الرجبان منطقة من مناطق الجبل العريقة، حيث توجد بها حوالي (13) قرية متوزعة تصل إلى حدود مدينة الزنتان من ناحية الشرق وإلى الطريق الرئيسي من ناحية الشمال، هذه المدينة بالذات تعتبر غنية بالمناطق السياحية التي تخدم السياح فتوجد بها مجموعة من المعالم الأثرية القديمة، والقصور الأثرية القديمة على قمم الجبل، وتوجد قرى مطمورة تحت الأرض، التي يعود عمرها الزمني إلى آلاف السنين، ومن المعالم الطبيعية العيون المائية ومجموعه آبار وسواني قديمة، و توجد بها مساجد عتيقة، وتتخللها مجموعة أودية تجري بها المياه في مواسم سقوط الأمطار، وتقع بعض القرى على حافة الجبل، وفي المناطق السهلية، وتكثر بها أشجار الزيتون وبعض الشجيرات والنباتات الطبيعية على سفح الجبل، وتوجد أيضا مجموعة قرى سنذكرها والمناطق السياحية والأثرية، تشير العديد من المخلفات الأثرية مثل الفؤوس الحجرية اليدوية التي تم العثور عليها بمنطقة جبل نفوسة أن تلك الصناعة سادت خلال فترة ممطرة تتفق مع انتشار هذا النوع من الصناعة ومقارنتها بغيرها من الإكتشافات في بعض المناطق الأخرى من فلسطين و أوروبا، يثبت أن المنطقة مرت بجميع مراحل العصر ما قبل التاريخ الأدنى والقديم، والمتوسط فالأدوات وعظام الحيوانات التي وجدت في وادي غان وسفوح الجبل ومناطق متفرقة منه تدل على أن الجماعة البشرية التي كانت تعيش في هذه الكهوف وتتخذها مأوى لها كانت تصطاد تلك الحيوانات لأكل لحومها وأهمها البقر والغزلان والسلاحف البرية وغيرها ...

**وتتمثل مشكلة البحث في** عدم الأهتمام والتعريف بالسياحة في المدن الجبلية والترويج لها وإظهار المقومات الطبيعية والثقافية التي تزخر بها المنطقة وعدم تنميتها سياحياً **وبالتالي** تكمن مشكلة البحث في التساؤلات التالية :

1. ما هي مقومات الجذب السياحي الطبيعية التي تتميز بها الرجبان ؟
2. ما أثر المعالم الأثرية في الرجبان وتكون عاملاً للجذب السياحي في المنطقة ؟
3. هل تساعد المقومات الطبيعية والبشرية لمنطقة الرجبان على التنمية السياحية ؟
4. هل كان لوسائل الإعلام دور في دعم وتشجيع للتعريف بأهمية المنطقة سياحياً ؟
5. هل هناك دليل سياحي يعرف بمعالم المنطقة الأثرية وبتراثها الثقافي ؟

اعتمد هذا البحث على استخدام المنهج الوصفي والتحليلي في وصف المقومات السياحية بالمنطقة قيد البحث، مستعيناً في ذلك بمجموعة من المراجع، والزيارة الميدانية التي قام بها الباحث بتاريخ 2018-3-30م، وبعض المقابلات الشخصية بمنطقة الرجبان، سيتم تناول موضوع البحث على النحو التالي :

**مقومات البيئة السياحية:** تأتي مقومات الجذب السياحي للبيئة السياحية على هيئة مواقع طبيعية وبشرية تتمثل في الجبال والأنهار والصحاري والجمادات والغابات كمقومات طبيعية، وقد تكون مناسبات هامة كالألعاب الأولمبية والمهرجانات والمعارض والآثار والمواقع التاريخية وغيرها كمقومات بشرية، وهي من الظواهر التي تثير رغبة السائح لزيارة جهة معينة<sup>1</sup>.

## المقومات السياحية في مدينة الرجبان

### • المقومات الطبيعية والبشرية:

**الاسم:** اسم الرجبان حديث نسبياً فقد سبقته عدة ألقاب منها التارديتي .. الزنتوتي .. الشارني .. وكلمة تاردية – تعني في اللغة الليبية الأمازيغية " الطاهرة " ويلقب به سكان الرجبان الأصليون وهذا اللقب موجود في الأحرار والحجج القديمة التي لازالت يملكها أحفادهم من التارديتين الأصليين، وسكان مدينة الرجبان منهم ناطقون بالعربية<sup>2</sup> .

مدينة الرجبان سميت بهذا الاسم نسبة إلى رجب علي حامد الرجباني جد الرجبان ودفن بقرية أولاد عطية ومن أبنائه: إبراهيم ( جد البراهمة ) وعطية وعبدالجليل وعنان ومسعود وعبيد وجابر الذين سميت عليهم أحياء الرجبان ، جاء في معجم البلدان الليبية أن الرجبان من بني مالك بن جهينة إحدى قبائل الحجاز كما، جاء في معجم قبائل العرب، ويرجع نسبهم إلى قبيلة الدواسر إحدى قبائل نجد المشهورة، رحلوا إلى المغرب العربي ضمن من ترحلوا من قبائل العرب من بني سليم وبني هلال<sup>3</sup> " وتضم المدينة ثلاث عشرة قرية وهي: الرجبان المركز، والبراهمة، وأولاد عبيد ( تارديا قديماً)، وشفى، وقصر دلة، وأولاد مسعود (زنتوت قديماً)، وأولاد عبدالجليل (زعفران قديماً)، وأولاد أعنان ( قصر الغلت قديماً)، وأولاد جابر ( إشارن قديماً)، وأولاد عطية (تبريكت قديماً)، قرية الخزان (إدرف قديماً)، قصر الحاج وتيبشان<sup>4</sup>، وشهدت مدينة الرجبان تطوراً عمرانياً تمثل في بناء المساجد والقرى على الطراز الإسلامي، ومن المعلوم أن المسجد هو أول ما يتم بناؤه في المدن الإسلامية، فهو مكان العبادة ومركز العلم وكان لها الأثر الكبير في ظهور العديد من علماء الدين الأجلاء الذين مازالت آثار مساجدهم ماثلة إلى وقتنا الحاضر، ومن أهم هذه المساجد ( مسجد ميري )، وهو مسجد قديم أسسه الإمام الثاني للدولة الرستمية عبد الوهاب بن عبدالرحمن بن رستم بن بهرام سنة 171 هـ، والتي ما تزال معالمه الأثرية باقية، لى حد الآن<sup>5</sup> .

**الموقع:** تقع مدينة الرجبان في الجبل الغربي (جبل نفوسة) من ليبيا، وتقع جنوب غرب طرابلس بمسافة 165 كم تقريباً، وتمتد بالتحديد من سهل الجفارة في الشمال إلى حدود منطقة درج في الجنوب، وإلى الشرق من مدينة الزنتان بحوالي 10 كم، وإلى الغرب من جادو بمسافة قدرها 5 كم<sup>6</sup> .

وتقع مدينة الرجبان في الجزء الأوسط منه بارتفاع يصل إلى 700 متر، ونظراً لموقع المدينة الجبلي فقد تعددت المظاهر التضاريسية بها متمثلة بوجود التنوعات المرتفعة، والأودية العميقة المتسعة المنحدرة شمالاً، والتي تفصل المناطق المأهولة في المدينة بعضها عن بعض مما أثر سلباً على التطور العمراني، وتوفير الخدمات الضرورية للسكان

**المناخ:** يعتبر المناخ هو المؤثر الفعال في نشو وتطور السياحة، فالمناخ في الرجبان معتدل بارد في الشتاء قليل المطر حار صيفاً<sup>7</sup> .

**النباتات الطبيعية:** يمثل النبات الطبيعي أساساً هاماً من أسس صناعة السياحة وذلك لما يتمتع به من ملامح طبيعية ذات قيمة جمالية، حيث تشتهر مدينة الرجبان بزراعة الزيتون والتين، والشعير، واللوز، والقمح، والزعر الجبلي، البطوم، الطلح، ومن أهم النباتات نبات الحلفاء والذي تقام عليه بعض الصناعات مثل (صناعة الورق والحبال والشباك... وغيرها)<sup>8</sup> .

وأثناء زيارتي لفتت انتباهي عشبة بجوار منزل الشيخ أبي القاسم العيساوي وهي عشبة القبار وتستخدم لعلاج حفظ الحرارة بالجسم، وذلك بأخذ ورقة منها ويتم مضغها بالأسنان وتوضع على الجبهة وتترك، وأيضاً تستخدم لعلاج المسالك والأكياس وعدة علاجات طبية أخرى .

**المنتزهات والأحياء البرية:** يوجد بالمدينة منتزه (غابة رأس علي بالرجبان)، في منطقة الراقوبة بالرجبان. الكثير من الأهالي والعائلات يمضون عطلة نهاية الأسبوع فيها من كافة ربوع

### المقومات السياحية في مدينة الرجبان

ليبيا وهي غابة أنشئت من بداية السبعينات وتم أنشائها للمحافظة على الطريق الرابط بين نالوت و غريان، وتم زرع ألفين شتلة بالمجهود الذاتي و3000 آلاف شتلة تمت زراعتها من قبل مؤسسات المجتمع المدني من طرابلس، وأخر حملة تشجير في سنة 2007 برنامج الغطاء النباتي من 3000 شتلة نجح، منها 2600 شتلة وهذا البرنامج يعتبر ناجحا بامتياز وأخبرني السيد طارق الكيش الذي رافقتي لزيارة الغابة بأنها آمنة جداً



الصورة رقم ( 1 ) ( 2 ) توضح غابة رأسي علي بالرجبان  
الصورة رقم ( 3 ) الطريق القديم الرابط بين نالوت و غريان أيام المملكة  
المصدر : تصوير الباحث

**المهرجانات والأحتفالات السنوية:** أقيم في مدينة الرجبان ( ملتقى الجيلاني طريبشان الثقافي ) في سنة 2005 كانت أول دورة، وأخر دورة في سنة 2013، يقوم على المجهود الذاتي، ويهدف إلى المشاركة الفعالة في المشهد الثقافي الليبي، وهو عبارة عن ملتقى للأدباء والشعراء .

أقيم ملتقى الجيلاني طريبشان بالرجبان بالتعاون مع جمعية أركنو للفنون والمعهد الثقافي في طرابلس، وتم تنظيم مهرجان مدائن وأشعار في شهر 3 سنة 2014 وتم استضافة شعراء من أمريكا، وإيطاليا، واليونان وأسبانيا، وفرنسا، وتم تنظيم أمسية شعرية في جادو. ومن جادو إلى علاق مروراً بسانية المسادة، بها كهوف ورسومات} ومنها إلى درج وتم إقامة أمسية شعرية في غدامس أمسية شعرية أخرى في نالوت، وختاماً أمسية شعرية في دار نويجي بطرابلس وضم شعراء دوليين وشعراء عرب وأمازيغ "9".

**مهرجان الربيع الأول بئر علاق الرجبان 2018م:** وتخلل المهرجان أنشطة متنوعة رياضية وثقافية واجتماعية، وأقيم ماراثون المشي على الأقدام، من محطة 66 كانت نقطة البداية إلى بئر علاق لمسافة 90 كم، والمشاركون في الماراثون كانوا (240) مشاركا، ونتمني من الأهالي والمسؤولين والنشطاء بالمدينة بأن يتم اعتماده في شهر 4 سنوياً، وأقيم برعاية نادي البلاغ الرياضي الثقافي الإجتماعي بالرجبان "10".

**المتحف:** لم تستخ لي الفرصة بزيارة المتحف، لأنه أثناء تواجدي بالرجبان كان المسؤول على المتحف خارج البلاد ولكن قمت بزيارة دار المجاهد محمد خليفة فكيني واستقبلني فيها الأستاذ أبو عجيله العكرمي، ورافقتي وأعطاني كل المعلومات عن هذه الدار، التي تم تأسيسها من قبل أحفاد المجاهد محمد فكيني في سنة 1994م باسم (ذاكرة الجبل)، تم تطورت إلى اسم (دار المجاهد محمد فكيني)، وتم اعتمادها من قبل الحكومة، الليبية وتقام بها محاضرات، وورش عمل، وحفلات

### المقومات السياحية في مدينة الرجبان

توقيع الكتب، ومعارض، وكل هذه الخدمات تقدم مجاناً ومكانها بمنطقة الخزان ( إدراف سابقاً )، ودار المجاهد توجد بها صور للمجاهدين الذين حاربوا مع المجاهد محمد فكيكي ضد الاحتلال الإيطالي، ونماذج من وثائق تاريخية نادرة، ومراسلات شخصية ما بين المجاهدين والدولة العثمانية، وأحكام بالإعدام والسجن لبعض المجاهدين بالرجبان، وتجد أيضاً صوراً للمجاهد محمد فكيكي تتوسط دار المجاهد، قامت برسمها الرسامة مريم الرجباني سنة 2005م، وأيضاً علي اليمين تجد صورة حسن محمد فكيكي الأبْن الأصغر للمجاهد محمد فكيكي، والذي استشهد في معركة الرحيبات والحراية، وعلى يساره صورة الأبْن الأكبر حسين محمد فكيكي، وهو كان يدرس القانون في تركيا وإيطاليا، وعندما قامت الحرب عاد للوطن وقاتل مع والده واستشهد في الرجبان، وأخبرني الأخ أبو عجيبة بأن المجاهد محمد فكيكي توفي بمدينة قابس بتونس سنة 1950م ودفن فيها بجوار الصحابي الجليل سيدي أوبولبابة الأنصاري .  
ومهرجان الفروسية بالرجبان ليس سنوياً وغير دائم (11) .



الصورة رقم ( 4 ) توضح المجاهد محمد خليفة فكيكي، الصورة رقم ( 5 ) توضح بعض صور المجاهدين بمدينة الرجبان

الصورة رقم ( 6 ) توضح صورة إحد المراسلات الشخصية بالرجبان  
المصدر : تصوير الباحث

#### ● المعالم الأثرية التي يمكن استغلالها سياحياً في مدينة الرجبان :- أولاً : القصور :-

1- قصر الحاج : قصر الحاج بناء أثري ضخم بني على شكل دائري، وقد شيده وبناءه الحاج عبد الله بن محمد بن هلال بن غانم والمكنى بأبي جطللة .. المعروف بالحاج عبدالله وكان يستعمل يده اليسرى ولهذا كنى بالأجطل، ونجد ذلك من خلال أن كل أبواب الغرف بقصر الحاج تفتح لجهة اليسار لأستعماله اليد اليسرى، وقد عاش في القرن السابع الهجري وقد بني القصر أصلاً ليكون مخزناً لغالل للمواطنين مقابل ريع متفق عليه سنوياً .



المقومات السياحية في مدينة الرجبان



الصورة رقم (7) و (8) توضح قصر الحاج وأبوابة الرئيسية  
المصدر: تصوير الباحث

وإن المؤسس قد أوقف الريع من أجل تحفيظ القرآن الكريم وتعليم الدين لأبناء المنطقة، وزاوية لأبناء السبيل، وتبلغ مساحته ألف ومائة وثمانية وثمانون متراً مربعاً، والمبنى يتكون من ثلاثه طوابق ويحتوي على 114 غرفة على عدد سور القرآن الكريم، وكذلك يحتوي على 30 سرداباً تحت الأرض على عدد أجزاء القرآن الكريم، أما الآن فهو يحتوي على عدد 119 غرفة فقد قسمت خمس غرف إلى 10 أقسام لتتازع الورثة، ثم أضاف الأهالي 29 سرداباً، والطرز المعماري لهذا القصر طراز محلي يوجد على شاكلته قصر في نالوت، وقصر في كابو، وعدة قصور أخرى حيث يعد هذا القصر معلماً من معالم السياحة في بلادنا، ولا يزال يحتفظ بطابعه الأثري (12).

يقع قصر الحاج على مسافة كيلو متر واحد من الطريق الواصل بين طرابلس ونالوت، ويبعد مسافة 150 كم عن مدينة طرابلس من ناحية الجنوب كما يبعد عن مدينة الرجبان حوالي 12 كم نحو الشمال، وينتسب هذا القصر إلى مؤسسه الحاج عبد الله بن محمد بن هلال بن غانم والمعروف بأبي جطلة دفين المنطقة، وقد جاء في كتاب معجم البلدان أن القائمين بهذا القصر اسمهم أولاد بالحاج نسبة لمؤسس القصر، وهذه المنطقة تقع على سفح الجبل، وأن القصر أسس في أواخر المائة السابعة أو أوائل الثامنة الهجرية الرابع عشر ميلادي، وتوجد حول القصر بيوت كثيرة تكون القرية، وسكان القرية لهم صلة بأولاد الحاج بالأصابعة.



الصورة رقم (9) توضح المدخل الرئيسي الوحيد لقصر الحاج أمامه الباحث  
الصورة رقم (10) توضح الساحة بالقصر  
المصدر: تصوير الباحث

وقد نجا القصر من الهدم في حين تم هدم أكثر من ستين قصراً في المنطقة، وكان ذلك في فترة حكم محمد أمين باشا (1842\_1847) أيام حكم الأتراك لولاية طرابلس، كان للقصر دور تاريخي أولاً كان من أقدم المعالم الأثرية حتى سميت المنطقة باسمه وثانياً الدور البارز الذي قام به،

### المقومات السياحية في مدينة الرجبان

ويعد هذا القصر من أهم القصور التي تمثل المعمار الليبي الإسلامي القديم ويحمل طرازه نوعاً من الخصوصية لسكان المنطقة، أما السبب في بقاء هذا القصر في حين أغلب القصور هدمت خوفاً من ثورة غومه المحمودي، وهو أن بعض القبائل مثل قبيلة ورغمة كانت تغير على المنطقة، فلا يجد الأهالي محتماً إلا تلك القصور وكان ذلك هو السبب في تراجع الأتراك مع أسباب أخرى .

**أ- وصف القصر:** بني القصر على ربوة مرتفعة يطل على وادي أبي الأجاجف، الذي ينحدر نحو غربي القصر نحو الشمال، وبه مجموعة من الثمادات: وهو جمع تمد وهو مكان تتجمع به مياه سيول الأمطار" وتحيط بالقصر المنازل في حلقة متكاملة بنيت بالحجارة المحلية الصغيرة وأسقفها إما كاموري أو من جذوع النخيل وأعواد الزيتون، والقرية انتشرت أفقياً نحو الشرق والقصر على شكل دائري يتكون من ثلاثة طوابق وطابق تحت الأرض بني القصر بحجارة محلية مقتلعة من الجوار، وهي منبسطة صغيرة الحجم، وهذا مختلف عما هو موجود في بقية القصور بالمنطقة نظراً لكونه يستغل للتخزين فقط، زيادة على الاعتقاد ببركة مؤسسه كولي ديني بأن له شهرة في المنطقة



الصورة رقم ( 11 ) توضح الجرة الكبير لصاحب القصر الحاج عبدالله  
الصورة رقم ( 12 ) توضح غرف القصر والسقف على شكل نصف برميل للقصر الحاج  
المصدر : تصوير الباحث

**ب- المدخل الرئيسي:** للقصر مدخل واحد فقط في جهة الشرق، وعرض المدخل 105سم والإرتفاع 190سم، وتوجد أمام المدخل من جهة اليسار مصطبة بإرتفاع 52سم وعرض 180سم وطول 210سم خصصت للجلوس أمام المدخل خاصة في وقت المساء .

**ج- السقيفة:** وهي تربط بين المدخل والساحة الداخلية للقصر طولها 5.40متر وإرتفاعها 4متر وعرضها 2.45 متر، توجد في هذه السقيفة أربع خزائن أثنتان في كل جانب بنيت بشكل أفواس وبها مصطبة بإرتفاع 80 سم، ويوجد بهذه الخزائن معروضات تراثية مختلفة، بالإضافة إلى بعض المدونات وهي عبارة عن سور من القرآن الكريم مكتوبة بخط اليد وبعض الشروح في السيرة والأحاديث يوجد في نهاية السقيفة من الداخل وبها إضافة بنائية حديثة على المدخل المؤدي إلى الساحة وهي بشكل قوس إلا أنه سبب ضغطاً على الجدار السابق مما أدى إلى وجود شرخ واضح يزداد اتساعاً مع الأيام وتوجد كتابه تبين تاريخ واسم الشخص الذي قام بترميم السقيفة، توجد نقوش على سقفها وهي عبارة عن مربعات بها نقط دائرية مصنوعة من الجبس، وبعض الخطوط المنقاطعة .

## المقومات السياحية في مدينة الرجبان



الصورة رقم ( 13 ) توضح السقيفة بالقصر وبها بعض الجرار والأواني المستخدمة قديماً بالقصر عند المد



الصورة رقم ( 14 ) توضح ورقة للكتاب مكتوب عليها بعض آيات من القرآن الكريم

الصورة رقم ( 15 ) توضح بعض النقوش الموجود بسقيفة القصر

الصورة رقم ( 16 ) توضح نهاية السقيفة من الداخل وبها إضافة بناوية حديثة على المدخل المؤدي إلى الساحة وهي بشكل قوس

المصدر : تصوير الباحث

د- الساحة: وهي بيضوية الشكل تقريباً، فهي  $19.90 \times 22.45$  متراً، تطل جميع الغرف والسراديب عليها وبها توجد رحى كبيرة لطحن الحبوب، وهي مصنوعة من الحجارة الصلبة كانت تدار بواسطة جمل وبالقرب منها رحى صغيرة الحجم من النوع المستعمل في بيوت المنطقة الجبلية، وتوجد بها بعض الجرار الكبيرة التي وضعت فيما بعد .

يوجد سلم حجري في جهة الشمال على الجانب الأيسر لمدخل الساحة يصل هذا السلم إلى الغرف العليا مكوناً في نهاية الطابق الثاني مايسمى " بالمدار" يحيط بالساحة على ارتفاع 8 أمتار وعرضه 45 سم ومنه إلى السطح، ومن الملاحظ عدم وجود أحجار في الجدران لاستعمالها في الصعود إلى الغرف العليا .

هـ- الغرف: بنيت الغرف بشكل عمودي شبه متناسق وتختلف في هذه الغرف عن بعض فمناها المتسع بشكل طولي ومنها المتوسط، وكذلك أبواب الغرف، يوجد بها اختلاف من حيث اتساع الفتحة وقياس الغرف هو كالتالي :

- الباب : عرضه 67 سم ، وارتفاعه 114 سم .
- والغرف من الداخل : الطول 5.80 أمتار والعرض 173 سم والارتفاع 185 سم .

المقومات السياحية في مدينة الرجبان



الصورة رقم ( 17 ) توضح الغرف في قصر الحاج مقسمة من الداخل إلى أحواض  
الصورة رقم ( 18 ) توضح أبواب الغرف في قصر الحاج مصنوعة من جذوع النخيل  
الصورة رقم ( 19 ) توضح فتحات الغرف والسراديب في قصر الحاج  
المصدر : تصوير الباحث

جميع الغرف مقسمة من الداخل إلى أحواض تستعمل لتخزين المواد المختلفة خاصة الشعير والقمح ومسفوفة بشكل (كاموري) " على هيئة نصف برميل " وبها فتحة أو فتحتان بمقياس من 10 إلى 15 سم والقصد من ذلك التهوية، و فتحة واحدة فوق الباب تفتح على الساحة وذلك لتسمح بمرور تيار الهواء بالغرفة، جميع أبواب الغرف مصنوعة من خشب جذوع النخيل ولها قوائم من أعواد شجر الزيتون أما السراديب فهي محفورة بأطوال  $5.20 \times 1.45$  متر، وأسقفها بألواح من خشب جذوع النخيل وأغصان الزيتون، وهو مايسمى بالمحمل، وذلك لحمل ثقل الناشئ عن الغرف العليا، ولا يوجد حجارة ولا جبس بهذه السراديب نظراً لأنها محفورة تحت الأرض، توجد جرار كبيرة في حالة جيدة محتفظ بها داخل هذه السراديب كذلك توجد بعض المقتنيات القديمة مثل الحبال وبعض الصناديق الخشبية .

و- مواد البناء: استعمل في بناء هذا القصر الحجر المحلي الصغير الحجم والمقتلع من حافة الوادي القريب من مكان القصر وبعض حجارة الوادي صغيرة الحجم ولا توجد الحجارة الكبيرة سوى في الأساسات، كما استعمل الجبس في تماسك وربط الحجارة، وقد جلب الجبس من مناطق ليست ببعيدة عن القصر و أحرقت في أفران بنيت بالقرب من غابة النخيل في شمال القصر وشرقه، وجلبت بالدواب واستعمل خشب النخيل وغصون الزيتون في عملية البناء خاصة أسقف السراديب، وغطت هذه الأسقف بالتربة المحلية

المانعة للرطوبة، وفي خارج القصر من جهة الغرب والجنوب ولا زالت أماكن عجن الجبس واضحة للعيان، وفي جهة الجنوب من القصر أي تحت الحافة الشرقية للوادي، يوجد نفق يمر تحت البناء ويمتد لمسافة 500 متر ولا زال النفق واضحاً، ويلاحظ وجود بعض الغرف تفتح إلى خارج القصر من جهة الشمال والشرق وهي في الطابق العلوي مع وجود أعواد خشب الزيتون في أعلى الأبواب تستعمل لرفع المواد المراد تخزينها وهذه ظاهرة يمتاز بها قصر الحاج من بين قصور المنطقة، وفي خارج القصر من جهة الشمال توجد دار كبيرة داخل "حوش" الحاج عبدالله باني القصر تسمى "دار الدقيق" والغرض منها طحن الشعير وتجهيز الدقيق للزوار والحجاج المارين لبيت الله في مكة، وفي جهة الشمال الشرقي من القصر بمسافة 100 متر يوجد مسجد الحاج عبدالله الذي يقع بالقرب من المقبرة من ناحية الغرب لا وجود لصهاريج لحفظ المياه فالاعتماد

### المقومات السياحية في مدينة الرجبان

الكلبي على مياه العيون المنتشرة وهي سطحية وكثيرة وفي وصف هذا القصر ذكرت قصص وأشعار كثيرة وأيضاً كرامات مؤسسه<sup>13</sup> .

2- قصر أبو سلامة : يقع قصر أبو سلامة في الطرف الشرقي من الرجبان وبالتحديد في قرية البراهمة الشرقية، يطل على وادي الأخرة الواصل إلى سهل الجفارة ويقابل الزنتان من الغرب، يشرف قصر أبو سلامة على وادي به أشجار النخيل والعديد من العيون الجارية منها عين الطرشاقيات، وعين القطيفة، وعين معرف، وغيرها من العيون المنتشرة على طول مجرى الوادي، ويتكون قصر أبو سلامة من ثلاثة طوابق ولم يبق منها إلا طابق واحد وجزء من الطابق الثاني خاصة من جهة الجنوب الشرقي، وغرفة كامورية بنيت بحجارة محلية وربطت بالجبس ومساحته صغيرة فهي 15×13 متراً، لا دليل على وجود ساحة داخلية به، كما توجد آثار لبناء منفصل في الجهة الشرقية ربما يكون أضيف في زمن متأخر عن بناء القصر، ومساحته 7×10 أمتار، متهدم في أغلبه ولا وجود لصهريج المياه، وتوجد عدة كهوف بالقرب من القصر في جهته الجنوبية، كما يوجد سرداب أظهرته مياه الأمطار يتجه شمالاً، ويطل القصر على عدة قصبات منتصبة في الوادي بالقرب من عيون الماء وهي قصبه عين معرف، وقصبه أبو المحاضن، وقصبه الخروبة، وهذه القصبات مازالت ترتفع عالياً في شكل مستطيل تشبه القصبات الموجودة في أغلب المناطق، وفي الجهة الشمالية تحت حافة الجبل وليس ببعيد عن القصر توجد عين الشرشارة المشهورة الغنية بالمياه العذبة ووفرة أشجار النخيل والتين والخروب وغيرها من الأشجار وهي مكان سياحي يقصده الزائرون من كل مكان وبالقرب منها توجد قرية الحزيم<sup>14</sup> .

3- حصن ابن عبدالله: حصن " ابن عبدالله " بناء متسع الأركان يقع أعلى حافة الجبل شرق الرجبان داخل منطقة أولاد عبيد في موقع استراتيجي محاط بمنحدرات وعرة شديدة الانحدار من ثلاث جهات يطل على مساحة شاسعة من منطقة الجفارة، لم يتم دراسته لا من قبل مصلحة الآثار ولا من قبل علماء الآثار المستقلين الذين درسوا هذه المنطقة سابقاً للأسف قصر بن عبدالله هو موقع عسكري استراتيجي دون الحاجة إلى رأي عسكري، إذ من الواضح أن الواقف فيه يمكنه أن يكشف أي تحرك عسكري يتجه ليس فقط إلى الرجبان بل إلى أي من المدن الجبلية المجاورة لها دون حتى إلى متابعة غبار خيول هذا التحرك أو عرباته المدرعة .



الصورة رقم ( 20 ) ( 21 ) تبين أقواس في بقايا جدار فاصل لإحدى غرف قصر بن عبد الله و تبين الباب الغربي للقصر



الصورة رقم ( 22 ) توضح بعض النوافذ الصغيرة من السور الجنوبي للقصر  
المصدر : تصوير ( محمد أبو القاسم عبدالله )

للحصن بوابتان رئيسيتان: الأولى تقع في المنطقة الجنوبية بالقرب من الحافة الغربية للحصن جانبها عبارة عن حجران ضخمان مصقولان بهما فتحتان مربعتان الشكل يبدو أنهما كان يشكلان مسار مزلاج البوابة ويوجد بقايا قوس دائري منهار بالبوابة، أما الأخرى فهي تقع في الناحية الشمالية الشرقية وهي عبارة عن ثلاث حجرات صخرية مصقولة ومستطيلة الشكل ترتكز الأولى بشكل أفقي على الحجرين الآخرين الموضوعين بشكل رأسي على جانبي البوابة تفتح في الداخل داخل حجرة مربعة بها باب آخر يفتح داخل الحصن يشبه الباب الرئيسي ولا زالت قاعدتا الباب قائمتين فيما سقطت الصخرة الأفقية على الأرض مع ملاحظة أنه يوجد جزء منهار من الناحية الشمالية يقابل البوابة الأولى يمكن أن يكون بوابة ثالثة للحصن ولكن لا يوجد أي أثر يدعم هذه الفرضية سوى وجود ممر منحوت في الصخر خارج السور الرئيسي يقود إلى هذا المكان .

عدد الحجرات: 99 حجرة يبلغ متوسط مساحة كل منها 24م وهي جميعها ملاصقة للجدار الرئيسي للحصن وموزعة عليه بشكل متعامد بحيث تكون نهاية الحجرة ملاصقة للجدار الرئيسي ومدخلها يفتح في اتجاه ساحة الحصن .

بناء رئيسي يتوسط الحصن به بابان رئيسيان أحدهما يفتح في اتجاه الجنوب الشرقي والآخر يفتح باتجاه الشمال الشرقي، وبه ردهة خاصة باتجاه الجنوب الشرقي ونهايتها ملاصقة للجدار الرئيسي للحصن .

مسبح أو فسقية على شكل نصف دائرة ملاصق للجدار الرئيسي من ناحية الجنوب الشرقي وملاصق لمدخل البناء الرئيسي بوسط الحصن، ولا زال السلم الحجري الخاص بالمسبح أو الفسقية موجوداً وكذلك بعض طبقات الملاط على جدران المسبح .

عدد من الفتحات في أرضية الحصن الصخرية يبدو أنها تقود لحجرات تحتية أو أنها سراديب تقود إلى خارج الحصن ( إحدى الفتحات القريبة من مدخل الحصن من الناحية الشرقية لازالت ظاهرة وهي عبارة عن مدخل سرداب يقود إلى أسفل خارج الحصن من الناحية الشرقية ) .

أقصى العرض ( من البوابة الجنوبية حتى السور الشمالي ) 90م .  
وبذلك تكون المساحة الإجمالية لموقع الحصن ( بدون حساب السور الخارجي الملحق ) 18000متر مربع تقريباً (15) .

#### المقومات السياحية في مدينة الرجبان

**4- قصر معلق:** أي القصر المعلق وهو عبارة عن كهوف وغرف وبناءات صغيرة متصلة ببعضها تنشأ من حافة الوجه الجنوبي المنحدر طبيعياً، أي أن هذه الكهوف تستثمر هذا المرتفع الطبيعي ذاته ليكون جسم القلعة ذاته، كما جاءت الفتحات وسط منحدر لتزيد من صعوبة الوصول إليه لهذا يعتقد أن موقعه وسط هذا الفضاء الشاسع هو سبب تسميته بالمعلق<sup>16</sup> .



الصورة رقم ( 23 ) توضح قصر المعلق المصدر : تصور ( محمد أبو القاسم عبدالله )

ثانياً : المساجد والزوايا :-

**1- مسجد ميري:** عمر المسجد أكثر من 1200 سنة، أنشأه الإمام الثاني للدولة الرستمية عبدالوهاب ابن عبد الرحمن بن رستم عندما أقام في بلدة " ميري " لمدة سبع سنوات .  
يقع مسجد ميري وسط الرجبان على ارتفاع 725م فوق مستوى سطح البحر، طول السور الخارجي 126.2م، أبعاد مبنى المسجد الرئيسي ( المسجد والمبنى الملحوق ) 11.7م \* 20.8م، عدد الأروقة ثلاثة أروقة رئيسية داخل المسجد مع رواق ملحوق من الناحية الجنوبية الغربية، وعدد أعمدة مبنى المسجد الرئيسي 28 عموداً وعدد الأعمدة بالمبنى الملحوق الذي تفصله كوة مربعة عن المبنى الرئيسي (مصلى خاص بالنساء؟) من الناحية الشمالية الشرقية 20 عموداً والعدد الكلي للأعمدة 55 عموداً، وارتفاع سقف المسجد عن الأرضية الحالية 3.5م .  
نوعية الزخرفة : توجد بعض الكتابات البارزة ( يصعب قراءتها ) وأشكال راحة الكف وبعض الأشكال الهندسية البسيطة التي تتشكل من سلسلة خطوط نقاط بارزة متتالية على جدران أروقة المسجد ومنها بين الأقواس، جميعها مصنوعة من قوالب ومن المرجح أنها ترجع لعمليات ترميم لاحقة، كما أنه يوجد صهريج لتجميع المياه من الناحية الجنوبية الشرقية داخل سور المسجد .



الصورة رقم ( 24 ) ( 25 ) توضح جامع ميري المصدر : تصوير الباحث

### المقومات السياحية في مدينة الرجبان

الأعمدة والتيجان الحجرية المستخدمة : الأعمدة في المسجد أغلبها اسطوانية مع وجود بعض الأعمدة على شكل مستطيل بوسطها فتحات مربعة أو دائرية (ربما تكون أجزاء من معاصر زيتون قديمة)، كما أن التيجان المستخدمة تختلف عن بعضها اختلافاً كبيراً مما يوحي بأنه قد تم جلبها من أماكن مختلفة عند بناء المسجد، والزخارف التي تحتويها هذه الأعمدة بسيطة وغير متقنة كمثيلاتها البيزنطية والرومانية المستخدمة في بناء الكثير من مساجد الجبل أما بالنسبة لقواعد الأعمدة فهي غير ظاهرة بسبب تراكم التراب داخل المسجد

**حالة المبنى:** مازال هناك رواقان قائمان من أصل أربعة وإجمالاً فإن أقل من 40% من المبنى لا يزال قائماً مع وجود تصدعات خطيرة بالسقف تشير بقرب وقوعه ما لم تتم عملية ترميمه وصيانته في أقرب وقت .

مع العلم بأن وزارة الثقافة في الحكومة المؤقتة أصدرت قرار بترميمه سنة 2015 ولكن هذا القرار لم يتم تنفيذه إلى يومنا هذا بكل أسف "17" .

#### ثالثاً : العيون والأودية والآبار :-

1- **عين البراهمة ( الشرشارة ) :** وتقع بقربة البراهمة التي تقع في منتصف الجبل وهي قرية سكنية كانت مأهولة بالسكان منذ القدم وهي بالقرب من هذه العين التي تحمل نفس الاسم، وهي عين مياهها باردة صيفاً و دافئة شتاءً، عذب مذاقها وتندفق لتروي الحقول والأشجار المثمرة المختلفة الأنواع المنتشرة حولها .

2- **بالقرية عدد كبير من الغيران والكهوف والديار المبنية بالجبس وبها مسجد تأسس سنة 1681 ميلادي ولازال بحالة جيدة**

وقد أظهرت السيول أحد الغيران وبه أحجار منقوشة تشابه الأحجار الرومانية وهجرت هذه القرية في حدود سنة 1967 ميلادي إلا أن الطريق المؤدي إليها يعتبر غير جيد خاصة للسيارات فنقترح إصلاحه أو إنشائه من جديد ليسهل للسياح الوصول لهذه العين .



الصورة رقم ( 26 ) توضح مجرى المياه في عين البراهمة (الشرشارة)  
الصورة رقم ( 27 ) توضح مكان للاستراحة والجلوس بجانب العين  
المصدر : تصوير( محمد أبو القاسم عبدالله )



## المقومات السياحية في مدينة الرجبان

**2- وادي وعين متلالة:** وهو وادي به مساكن قديمة به قصر ولا زالت آثاره إلى اليوم وهو قصر (رجب) جد الرجبان وهو الذي سميت المدينة باسمه نسبة إليه وبه نخيل وعيون وبرك مائية تستعمل للسباحة .



الصورة ( 28 ) توضح عين متلالة المصدر : تصوير) محمد أبو القاسم عبدالله  
3 - بئر علاق: يعتبر هذا البئر حلقة وصل للوصول إلى منطقة الحمادة حيث إلى الآن يمر به السواح للراحة ولو سخرت بعض الامكانيات لهذا المكان مثل توصيل الكهرباء و إقامة مقاهي واستراحة وحجرات للمبيت حيث يكثر مرور السواح به خاصة في فصلي الربيع والصيف .



الصورة رقم ( 30 ) توضح بئر علاق



الصورة رقم ( 29 ) توضح عين قلو

المصدر : تصوير) محمد أبو القاسم عبدالله )

### • الخدمات السياحية الأساسية:-

يفهم من الخدمات السياحية أنها : مجموعة من الأعمال التي تؤمن للسياح الراحة والتسهيلات عند شراء واستهلاك الخدمات والبضائع السياحية خلال وقت سفرهم أو أقامتهم في المرافق السياحية بعيداً عن مكان سكنهم الأصلي "18" .

والخدمات الأساسية لها دور كبير في الجذب السياحي لمدينة الرجبان :

#### 1- مرافق الإيواء السياحي:

بناء على الزيارة الميدانية للمدينة والمقابلة الشخصية مع السيد طارق الكيش لا يوجد فنادق ولا موتيلات ولا بيوت الشباب ويتم تسكن الضيوف والزوار في حالة وجود معرض أو ملتقى أو مهرجان في البيوت بعد تجهيزها لذلك .

#### 2- النقل والمواصلات:

تتمتع هذه المدينة بشبكة من الطرق تربطها بالمدن المجاورة لها وهي :  
- طريق طرابلس - غريان - يفرن - الريانية - الزنتان - الرجبان .

### المقومات السياحية في مدينة الرجبان

- طريق طرابلس - العزيزية - بئر عباد - بئر الغنم - ككلة - وادي الأثل - يفرن - الريانة - الزنتان - الرجبان .
- طريق نالوت - جادو - الرجبان .
- **الطرق الداخلية للمدينة:** تحتوي على طرق أغلبها معبدة ولكنها لا تحتوي على أرصفة، وبعضها يحتاج إلى صيانة وغير جيدة وغير مخططة بإشارات المرور .
- 3 - محطات الوقود :** إن مدينة الرجبان يوجد بها محطتان للوقود الأولى أسفل الجبل بمنطقة قصر الحاج والثانية في الجنوب المدينة بمنطقة رأس على .
- 4- الخدمات الهاتفية :** يوجد في مدينة الرجبان مكتب للبريد أيضاً وكيل معتمد لشركة ليبيا ووكيل لشركة المدار والاتصالات تعتبر جيدة جداً في الرجبان، وتتوفر أيضاً اتصالات Ltt للإنترنت .

#### • أهم الأماكن الخدمية الفرعية المكتملة للنشاط السياحي بمدينة الرجبان :-

#### 1- الخدمات الصحية :

- مستشفى الرجبان القروي
- المركز الصحي أولاد عطية
- المركز الصحي قصر دلة
- السرية العسكرية الطبية
- ويوجد تقريباً ثلاثة صيدليات بالمدينة .
- 2- الخدمات الكهربائية:**
- مكتب خدمات الرجبان ( جباية - صيانة - تطوير )
- 3- الخدمات الدينية والثقافية:**
- منارة الرجبان العلمية ( لتحفيظ القرآن الكريم ) .
- مكتب الأوقاف بالرجبان ويقوم بإعداد دورات لتحفيظ القرآن - مسابقات لحفظ القرآن الكريم في شهر رمضان ) .
- دار المجاهد محمد خليفة فكيني .
- المتحف .
- ملتقى الجيلاني طريشان الثقافي .
- 4- الخدمات الرياضية والترفيهية :**
- نادي البلاغ الرياضي الثقافي الإجتماعي بالرجبان .
- نادي المجاهد محمد فكيني للفروسية .
- 5- المصارف والجوازات :** المصرف الوحيد بالرجبان هو مصرف الجمهورية، والمدينة بها مكتب جوازات .

#### الحركة العمرانية في مدينة الرجبان:

- أخبرت بأن المدينة تشهد تطوراً، ويوجد بها مشاريع مستحدثة منها :
- فرع ديوان رئاسة الوزراء .
  - مقر بلدية الرجبان .
  - بيت وظيفي ومركز ثقافي .
  - مستشفى للأمراض الصدرية .
  - مشروع لإنشاء خزان و شبكات المياه بمدينة الرجبان .

### المقومات السياحية في مدينة الرجبان

- مركز خاص لأمراض التوحد .
- وقريباً سيتم انشاء منطقة صناعية في منطقة قصر الحاج .
- المتحف البلدي : وهو على مساحة 800 متر مربع والردهة الأمامية غير محسوبة ونسبة الإنجاز 53%، وسيكون المتحف خاصاً بالمقتنيات والمعروضات الأثرية عن ليبيا وهذه المشاريع مستمر العمل على تنفيذها ومتابعتها<sup>(19)</sup>



الصورة رقم ( ) توضح المتحف البلدي .. المصدر تصوير الباحث وكان في انتظارنا الأستاذ أبو عجيبة العكرمي أمام دار المجاهد محمد خليفة فكيني لزيارتها والتعرف عليها، وبعدها سألت الأستاذ أبا عجيبة هل توجد جمعيات أهلية بمدينة الرجبان ؟ وأجابني نعم توجد وهي :

- جمعية مستكشفي الرجبان لحماية الأثار .
- جمعية القرطاس والقلم .
- جمعية شهداء الحرية<sup>(20)</sup> .

**الخاتمة:** قام الباحث بزيارة استطلاعية لمدينة الرجبان للتعرف على المدينة جيداً في يوم الجمعة بتاريخ 30-3-2018 والانطلاق كانت من سوق الجمعة الساعة الثامنة والنصف متوجهاً إلى منطقة الدريبي للالتقاء بأصدقائي الذين سيرافقوني إلى مدينة الرجبان وهم (محمد بن عيسى وسعد الهلاك)، والجو كان رائعاً وجميلاً جداً ربيعي ومررنا من طريق العزيفية ورأس اللقع وبئر الغنم وبدأت معالم الجبل تتضح كلما اقتربنا، ومررنا بكسرة وادي الأثل ويفرن والريانية والزنتان وحتى وصلنا إلى الرجبان الساعة 11.30 صباحاً وكانت نقطة البداية قصر الحاج واستقبلنا الأستاذ : سالم الترجمان وهو أحد المسؤولين على القصر وتجولنا في القصر لمدة حوالي ساعة تقريباً والتقطنا صوراً وتوجهنا إلى الجامع بقرية أولاد جابر لأداء صلاة الجمعة بجامع أولاد جابر، وبعد أداء صلاة الجمعة تقابلت مع السيد طارق الكيش وهو أحد الأعضاء بجمعية مستكشفي الرجبان لحماية الأثار، وكان في انتظارنا عند مفترق الطرق وركبت معه السيارة وانطلقنا وكانت نقطة البداية جامع ميرى والتقطنا بعض الصور بالقرب من الجامع وزودني بالمعلومات اللازمة على الجامع، ومنها تابعنا المسير حتى وصلنا إلى منزل الشيخ أبي القاسم العيساوي وزرت المكان وكان غاية في الروعة والجمال في تصميمه وتحاورنا وقال لو فيه اهتمام لصار هذا المكان ملتقى للزوار في المدينة ويكون كبيت ضيافة يستقبل فيه المارين والسفراء والشخصيات المهمة والسياح مثل ( فندق زميط بطرابلس)، وكان هذا المنزل على حافة الجبل ويمكن منه الاطلاع على كافة معالم الجبل الجميلة .

وأخبرني على الجهة المقابلة للمكان على قصر تيركت الذي دمره الأتراك بعد ثورة غومة المحمودي، وجامع سيدي أحمد الرجباني (جد الرجبان كلهم).

### المقومات السياحية في مدينة الرجبان

وتابعنا الطريق لاستغلال الوقت وزيارة أكبر قدر ممكن من الأماكن السياحية والمهمة بالمدينة وأطلعني على شوارع الرجبان وحتى وصلنا لغابة الرجبان ونادي الفروسية بالرجبان ولاحظت أثناء زيارتي للمدينة التطور العمراني الذي تشهده المدينة . وفي النهاية أتقدم بالشكر والتقدير للأخ محمد أبي القاسم بن عيسى والأخ سعد الهلاك الذين رافقاني للزيارة الميدانية لمدينة الرجبان وقاما بمساعدتي بالتصوير وتجميع المعلومات عن المدينة، والشكر والعرفان والأمتنان موصول أيضاً للسيد طارق الكيش والأستاذ أبي عجيبة العكرمي على ما قدماه لي من معلومات عن المدينة والتطور العمراني للرجبان . توجد خطة ولكن بعد اعتماد البلدية من قبل وزارة السياحة لأنه في الوقت الحالي لا يوجد أي اهتمام أو أي دعم من قبل الوزارة بالرغم من أنه تم إرسال دعوات للوزارة بخصوص حضور المهرجان بالمدينة ولم يأت أي أحد منهم وهذا دليل واضح على الإهمال من قبل الوزارة . والخدمات التي تقدم في قطاع السياحة في بلادنا هل هي مطابقة لمواصفات السياحة العالمية دون اللجوء إلى المخطط والبرامج لمواكبة التطور وتقديم السياحة وأجانبى بأنه حالياً لا توجد أي خدمات في الأساس، ويجب توثيق العلاقات الداخلية والخارجية لأنها تساهم في الرفع من مستوى الإدراك ومعرفة السائح بمقومات السياحة الداخلية في بلادنا وأهم المشاكل والصعوبات التي تواجه السياحة في بلادنا حسب وجهة نظري عدم وجود الدعم المعنوي والمالي وقلة الإمكانيات هي أكبر المشاكل التي تواجهنا وقلة الدعم لها .

#### الهوامش:

- 1- محمد عبدالله قصودة، السياحة في شمال غرب الجماهيرية، منشورات جامعة الفاتح، 2007، ص 113 .
- 2- أصول الرجبان <https://libyan.org.ly/>
- 3- الطاهر أحمد الزاوي، معجم البلدان الليبية، ( مكتبة النور، طرابلس، 1968 )، ص 145.
- 4- عبدالحكيم عامر الطويل، حجر الرجبان ( مشاهدات وتأملات في تاريخ مدينة الرجبان )، منشورات شنونون ثقافية، العدد الحادي عشر، 2010، ص 11-12 .
- 5- الرجبان <https://ar.wikipedia.org/wiki/>
- 6- أصول الرجبان <https://libyan.org.ly/>
- 7- أصول الرجبان <https://libyan.org.ly/>
- 8- المقابلة الشخصية مع السيد طارق الكيش، الرجبان، يوم الجمعة، بتاريخ 30-3-2018 .
- 9- المقابلة الشخصية مع السيد أبي عجيبة العكرمي، الرجبان، يوم الجمعة، بتاريخ 30-3-2018 .
- 10- نادي البلاغ الرياضي الثقافي الاجتماعي بالرجبان <https://facebook.com/albalgclup/>
- 11- المقابلة الشخصية مع السيد أبي عجيبة العكرمي، بتاريخ 30-3-2018 .
- 12- سعيد علي حامد، المعالم الإسلامية بالمتحف الإسلامي بمدينة طرابلس، نشر بإشراف الإدارة العامة للبحوث الأثرية والمحفوظات التاريخية، 1978م، ص 25 .
- 13- محمد خليفة فكنيني، القصور القديمة في جبل نفوسة، رسالة ماجستير ( غير منشورة )، أكاديمية الدراسات العليا، طرابلس، 2010 ) ص 123 - 132 .
- 14- محمد خليفة فكنيني، القصور القديمة في جبل نفوسة، مرجع سابق، ص 84-85 .
- 15- جمعية مستكشفي الرجبان <https://www.facebook.com/>

المقومات السياحية في مدينة الرجبان

---

- 16- عبدالحكيم عامر الطويل، حجر الرجبان ( مشاهدات وتأملات في تاريخ مدينة الرجبان )، مرجع سابق، ص 98 .
- 17- جمعية مستكشفى الرجبان <https://www.facebook.com/>
- 18 - مروان محسن السكر، الخدمات السياحية، الجزء الثالث، دار مجدلوي للنشر والتوزيع، 1996، ص 227 .
- 19- المقابلة شخصية مع السيد طارق الكيش، الرجبان، يوم الجمعة، بتاريخ 2018-3-30 .
- 20- المقابلة الشخصية مع السيد ابي عجيبة العكرمي، الرجبان، يوم الجمعة، بتاريخ 2018-3-30 .

## أهمية الاتصال التنظيمي في رفع كفاءة المؤسسات الليبية

رجب الطاهر مسعود الختروشي  
كلية الآداب/ الزاوية

### مقدمة

تعتمد المؤسسات في تحقيق أهدافها على فعالية الموارد البشرية ولكي يتم الرفع من مستوى وفعالية هذه الموارد لا بد من تدريبها وتطويرها وتحفيزها بما يحقق الأهداف المرجوة. وباعتبار أن الإنسان كائن اتصالي بطبعه ولا يمكن لأي مجتمع من تحقيق البناء والتقدم دون بناء قاعدة اتصالية فعالة وحيث أن الاتصال التنظيمي يعتبر ركناً أساسياً من أركان تحقيق التفاهم والتواصل الوظيفي ومن أجل ذلك تسعى المؤسسات باختلاف مسمياتها إلى تقييم سلوك العاملين فيها في ظل تعدد بيئة العمل. إن عملية الاتصال التنظيمي داخل المؤسسات هي عملية حياتية ديناميكية تمس كل قطاعات المجتمع وتتمثل في نقل واستقبال المعلومات والفهم من شخص إلى آخر أو من جماعة إلى أخرى، إن مكونات تلك العملية تتغير من حيث الزمان والمكان، وتتغير في المجالات والمواقف المختلفة والتي تستطع بالضرورة استخدام أساليب مختلفة في الاتصال تبعاً لاختلاف عملية الاتصال<sup>(1)</sup>. يعد الاتصال التنظيمي داخل المؤسسة أمر ضروري وأساسي جداً لأنه يربط أعضاء المنظمة أو المؤسسة فيما بينهم لينشر المعلومات والأفكار والحقائق حتى يتمكنوا من أن يؤديوا أعمالهم من خلالها بالكفاءة اللازمة كما يعمل الاتصال التنظيمي على تجميع وجهات النظر والأفكار والمعتقدات لإقناع العاملين والتأثير في سلوكهم ويساعدهم أيضاً على التعرف على محيطهم الذي يعملون فيه وهو ما يدفع المؤسسة إلى خلق نوعا من الانسجام والتطور. ولذلك سينتاول الباحث في هذه الدراسة أهمية الاتصال التنظيمي في الرفع من كفاءة المؤسسات الليبية وتحديد معوقات الاتصال التي تخفض أو تحد من الأداء الفعال داخل هذه المؤسسات.

### مشكلة الدراسة:

يعد الاتصال التنظيمي من بين العلوم التي لاقت اهتماماً واضحاً من طرف المختصين والباحثين في مجال السلوك الإنساني عموماً والسلوك التنظيمي خصوصاً، وقد أصبح الاتصال التنظيمي أكثر تعقيداً من ذي قبل مع تطور المجتمعات والتحضّر والدخول إلى عالم التكنولوجيات والانفجار المعرفي الذي يشهده العالم. والاتصال التنظيمي الذي يتم داخل المؤسسات والشركات والمنظمات يلعب دوراً هاماً داخل هذه الهيئات باختلاف أنواعها ومسمياتها فلا يمكن دراسة سلوك الأفراد في المنظمات الرسمية وغير الرسمية دون التعرض لمفهوم الاتصال التنظيمي فهو بمثابة العمود الفقري للتنظيم وفعاليتها. فالالاتصال التنظيمي ليس مجرد تبادل للمعاني والأفكار ولكنه تبادل يؤدي إلى أعمال متوقعة تتصل بطبيعة العلاقات التنظيمية والإدارية فهو يحدد الترابط التنظيمي أي أنه يحدد تماسك العناصر التنظيمية عن طريق إيجاد الفهم المشترك لطبيعة الأهداف الواجب تأديتها. فالعاملون هم العنصر الأساسي في عملية الاتصال التنظيمي القادر على استيعاب المفاهيم والأفكار الجديدة التي تساعد على استغلال الميزات ومواجهة التحديات التي تفرضها الظروف البيئية والثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وهذا من خلال أدائهم الذي يتوقف على نجاح المؤسسات في تحقيق أهدافها والحفاظ على بقاءها في ظل الصراع التنافسي الذي تشهده المؤسسات اليوم.

### أهمية الاتصال التنظيمي في رفع كفاءة المؤسسات الليبية

إن أهمية الاتصال التنظيمي في الرفع من كفاءة المؤسسات هو محور هذه الدراسة التي سيركز فيها الباحث على أهمية الاتصالات التنظيمية في المؤسسات ودوره في رفع كفاءة هذه المؤسسات من خلال معرفة إسهام الاتصال التنظيمي في حل مشكلات الأداء التي تواجه العاملين والوقوف على معوقات الاتصال التي تؤثر بصفة مباشرة أو غير مباشرة على أدائهم وأهمية الاتصال التنظيمي في رسم حاضر ومستقبل المؤسسات من خلال تقديمها ونموها وتحقيق أهدافها والمهام المنوطة بها والذي يعطي لها الدفع في الحفاظ على بقاءها ورقبيتها.

ومن هنا حدد الباحث مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيسي التالي: كيف يمكن ان يلعب الاتصال التنظيمي اهمية فعالة في الرفع من كفاءة المؤسسات الليبية ؟

**أهمية الدراسة:** تكمن أهمية هذه الدراسة في الآتي:

- حداثة الدراسة وعدم تناولها مسبقاً بليبيا حسب علم الباحث.
- العمل على توضيح طبيعة نمط الاتصال التنظيمي السائد في المؤسسات الليبية وعلاقتها بأداء عاملها.
- العمل على القيام بمزيد من الدراسات والأبحاث في مجال الاتصالات في الوسط التنظيمي داخل المؤسسات الليبية ومحاولة إثرائه.
- المشاكل والمعوقات التي تواجه العاملين في الاتصال بالإدارة خاصة في وجود نقص ملاحظ في المؤسسات وخاصة من خلال الزيارات الاستطلاعية التي قام بها الباحث للعديد من المؤسسات الليبية العامة والخاصة.

#### أهداف الدراسة:

- وضع دراسة علمية في مجال الاتصال التنظيمي تستفيد منها المؤسسات الليبية داخل المجتمع ووضع الحلول المناسبة للمعوقات في مجال الاتصال التنظيمي.
- اقتراح تصور علمي لدور الاتصال التنظيمي في تحسين مستوى الأداء الوظيفي داخل المؤسسات الليبية داخل المجتمع.

**تساؤلات الدراسة:** ينطلق البحث من التساؤلات الآتية:

- 1- ما أهمية الاتصال التنظيمي في تحسين مستوى الأداء الفعال للعاملين بالمؤسسات المختلفة؟
- 2- ما العلاقة بين مستويات الاتصال التنظيمي في المؤسسات والأداء الفعال للعاملين بها ؟
- 3- ما هي المشكلات والمعوقات التي تعترض عملية الاتصال التنظيمي بالمؤسسات ؟
- 4- ما أوجه الاتفاق أو الاختلاف بين المؤسسات من حيث مستوى الاتصال التنظيمي وعلاقته بأداء العاملين بهذه المؤسسات ؟
- 5- ما هي معوقات الاتصال التنظيمي داخل المؤسسات المختلفة؟

#### المفاهيم والمصطلحات الواردة بالدراسة:

**الاتصال:** عملية تبادل المعلومات وإرسال المعاني والأفكار بين شخصين أو أكثر وذلك بهدف إيصال المعلومات الجديدة للآخرين أو التأثير في سلوكهم سواء كانوا أفراداً أو جماعات، أو تغيير هذا السلوك وتوجيهه وجهة معينة من أجل تماسك العلاقات الاجتماعية والإنسانية بين الأفراد وتعزيزها لتحقيق أهداف اجتماعية أو إنسانية.

**الاتصال التنظيمي:** عملية إدارية واجتماعية ونفسية داخل المنظمة تساهم في نقل وتحويل الآراء والأفكار عبر القنوات الرسمية مستهدفة خلق التماسك بين وحدات ومكونات البناء التنظيمي للمنظمة وتحقيق أهدافها.

### أهمية الاتصال التنظيمي في رفع كفاءة المؤسسات الليبية

**الأداء الوظيفي:** ذلك النشاط أو المهارة أو الجهد المبذول من طرف الفرد سواء كان هذا الجهد عضلياً أو فكرياً من أجل إتمام مهام الوظيفة الموكلة له، حيث يحدث هذا السلوك تغييراً بكفاءة وفعالية يحقق من خلاله الأهداف المسطرة من قبل المنظمة.

**المؤسسات:** ويقصد بها كل المؤسسات الليبية التي تقدم خدماتها للمواطن حكومية أو غير حكومية عامة أو خاصة وهي المسنولة عن رسم سياسة الدولة وهي حلقة الوصل والتواصل بين المواطن والدولة

**العاملون:** هم الطبقة التي تقع في أسفل السلم الهرمي للتنظيم والتي تقوم بتنفيذ الأوامر الصادرة إليها من رؤسائها أو المشرفين عليها والذين توكل لهم المهام الروتينية البسيطة

**المنهج المستخدم في الدراسة:** لم يعد الأساس في التقدم العلمي اليوم هو الحصول على كم معرفي أكثر وإنما الأساس هو الوسيلة التي تمكننا من الحصول على هذا الكم واستثماره في أقصر وقت ممكن وبأبسط الجهود والوسيلة في ذلك هي المنهج العلمي بكل معطياته، ولهذا يعتبر المنهج العلمي الطريق الذي يتبعها لباحث للوصول إلى تعليمات أو نتائج بطريقة علمية دقيقة، وكذلك مجموعة القواعد العامة التي توجه البحث للوصول إلى الحقيقة العلمية<sup>(2)</sup>

وتماشياً مع أهداف وطبيعة موضوع الدراسة فسيعتمد الباحث على تطبيق المنهج الوصفي في هذه الدراسة، ويحاول البحث في هذه الدراسة التعرف لمفهوم الاتصال وأهميته وأهدافه، والاتصال التنظيمي ومعوقاته، من خلال ثلاثة محاور رئيسية وذلك على النحو التالي:

**المحور الأول: الاتصال التنظيمي الرسمي.**

**المحور الثاني: الاتصال التنظيمي الفعال.**

**المحور الثالث: معوقات الاتصال التنظيمي.**

**المحور الأول: مفهوم الاتصال:** إن تحول الإنسانية إلى الحياة الاجتماعية هو تحول يدين في أساسه إلى صفات التفاعل والى قدرات الاتصال المتطورة التي يتمتع بها الإنسان بالنسبة لسانر المخلوقات فالإتصال يعتبر العمود الفقري للمجتمع، حيث يعد عملية جوهرية لسانر أفراد، وبدون اتصال يعيش الإنسان منعزلاً عن أخيه الإنسان في بقية المجتمع سواء انعزال الحضاري أو انعزال اجتماعي. ونظراً لأهمية الإتصال فقد حضي باهتمام العديد من الباحثين والمفكرين في مجالات متعددة كعلم النفس، علم الاجتماع، الأنثروبولوجيا حيث تناول كل علم حسب ما يتناسب مع اهتماماته وبحوثه.

ويعرف الإتصال من الناحية اللغوية بأنه أتصل الشيء بـمعنى اللتام و لم ينقطع، وأتصل بفلان بمعنى بلغه وانتهى إليه.<sup>(3)</sup> في حين عرفها مختار القاموس بأنها "وصل الشيء بالشيء وصلًا". بمعنى "نقل المعلومات والمعاني والأفكار والمشاعر بين شخص وآخر وبين مجموعة أشخاص لتحقيق هدف أو غرض معين.<sup>(4)</sup> أما من الناحية الاصطلاحية فنجد أن لفظ الإتصال اختلفت معانيه باختلاف اتجاهات القائمين على دراسته ولكل نظرته ومفهومه لهذا المصطلح، ويرجع ذلك الاختلاف إلى طبيعة ميدان كل من يتناول هذا اللفظ. وعرفه قاموس أكسفورد بأنه "نقل الأفكار أو توصيلها أو تبادلها بالكلام أو بالكتابة أو الإشارة"<sup>(5)</sup>، كما عرفته جمعية الإدارة الأمريكية بأنه "عملية خلق التفاهم وإشاعته، أي تبادل الأفكار ونقلها ونشرها بين الأفراد"<sup>(6)</sup>، كما يعرفه عبد الغفار على أنه "نقل الرسالة بين فردين أو أكثر باستخدام رمز أو مجموعة رموز مفهومة للمجموعة باستخدام قنوات اتصالية لتحقيق أهداف متعددة وبشكل يضمن التفاعل والتأثير"<sup>(7)</sup>.



### أهمية الاتصال التنظيمي في رفع كفاءة المؤسسات الليبية

- **ثانياً: أهمية الاتصال:** للاتصال أهمية كبرى وهو العصب الرئيس للحياة العامة والخاصة ويمكن أيجاز بعض النقاط لأهمية الاتصالات الرسمية وغير الرسمية، بالمؤسسة أو المنظمة فقد اشارت العديد من الدراسات ان الاتصالات تمثل ما يقارب 75 % من نشاط المنظمة أو المؤسسة وهي:
  1. الاتصال نشاط إداري واجتماعي ونفسي داخل المنظمة أو المؤسسة، حيث يسهم في نقل المفاهيم والآراء والأفكار عبر القنوات الرسمية لخلق التماسك بين أجهزة المنظمة أو المؤسسة، وبالتالي تحقيق أهدافها.
  2. يؤدي الاتصال دوراً مهماً في توجيه وتغيير السلوك الفردي والجماعي للعاملين في المنظمة أو المؤسسة.
  3. الاتصال وسيلة أساسية لإنجاز الأعمال والمهام والفعاليات المختلفة في المنظمة أو المؤسسة.
  4. الاتصال وسيلة هادفة لضمان التفاعل والتبادل المشترك للأشياء المختلفة للمنظمة أو المؤسسة.
  5. يتم من خلال عملية الاتصال إطلاع المسئول (الرئيس) على نشاط مرؤوسيه، كما يستطيع التعرف على مدى تفهمهم وتقبلهم لأرائيه وأفكاره، وصيغ عمله داخل المنظمة وبمعنى أكثر وضوحاً، فإن الاتصال يمثل وسيلة رقابية وإرشادية لنشاطات الرئيس في مجال توجيه فعاليات المرؤوسين.
  6. الاتصال ضروري لنقل المعلومات والبيانات والإحصاءات والمفاهيم التي ستبنى عليها القرارات<sup>(8)</sup>.
  7. الاتصال يمثل الوسيلة الفعالة لممارسات القيادة الإدارية للسلطة والقوة.
  8. تظهر أهمية الاتصال أيضاً من خلال تأكيد بعض النظريات كنظريات المدخل السلوكي في الإدارة ، حيث تعد المنظمات من وجهة النظر السلوكية علاقات اتصال وتفاعلات بين مجموعات من الناس من فئات ومهن وخلفيات وتطلعات وأهداف متباينة وقد تكون في كثير من الأحيان متناقضة لذلك تعتبر الاتصالات الفعالة من العناصر الرئيسية في العمل الإداري والتي بدونها لا يمكن للعملية الإدارية أن تكتمل<sup>(9)</sup>.
  9. يقوم الاتصال بوظيفة تعليمية حيث يعمل الاتصال على نشر المعرفة الإنسانية الهادفة وتعميمها، ذلك أن نشر المعرفة تثري العقل والشخصية ويساعد في تنمية مهارات الإنسان وزيادة قدراته عبر مراحل نموه ويمكن من مواجهة المشاكل المستجدة والتغلب عليها.
  10. يعمل الاتصال على نشر الإبداع الفني والثقافي، مما يؤدي الى توسيع آفاق الفرد المعرفية، وإيقاظ الخيالات والمواهب لديه.

### المحور الثاني: الاتصال التنظيمي الفعال

#### تعريفه. أهميته. أهدافه. وظائفه

**الاتصال التنظيمي:** يعد الاتصال وسيلة هادفة من الوسائل الرئيسية التي تستخدمها المنظمة أو المؤسسة في تحقيق أهدافها إذ أن كافة الأفراد العاملين في المنظمة يتعاملون مع بعضهم من خلال وسائل الاتصال المختلفة من أجل تسيير كافة الأنشطة المراد تحقيقها، إذ أن الاتصال بمثابة الوسيلة الاجتماعية التي يحقق من خلالها الأفراد سبل التفاهم والتفاعل البناء في إطار تحقيق الأهداف المبتغى إنجازها<sup>(10)</sup> فالالاتصال يعتبر من العوامل التوجيهية الهامة لأنه يشكل الجهاز العصبي لكل تنظيم أو إدارة. فمن خلاله تنقل جميع المعلومات من مختلف نقاط جهاز التنظيم أو الإدارة إلى

### أهمية الاتصال التنظيمي في رفع كفاءة المؤسسات الليبية

مركز اتخاذ القرار وبواسطته أيضا تنقل جميع المعلومات إلى مراكز التنفيذ. ويقول (بارناد) أن "الاتصال التنظيمي من الوظائف الهامة لأي منشأة والذي يتطلب التنسيق بين الإطار الرسمي وتقبل الجانب الغير رسمي مع اختيار الأشخاص".<sup>(11)</sup> ومن خلال ما سبق ذكره يمكن القول بأن الاتصال التنظيمي كعملية:

- هو نشاط إداري، اجتماعي ونفسي داخل المؤسسة، يساهم في نقل وتحويل الأفكار عبر القنوات الرسمية لهدف خلق التماسك في وحدات التنظيم وتحقيق أهداف المؤسسة.
- يعتبر وسيلة ضرورية وهامة في توجيه وتغيير السلوك على المستوى الفردي والجماعي في المنظمة.
- وسيلة أساسية لإنجاز المهام والوظائف وكل الأنشطة المختلفة للمنظمة.

**أهداف الاتصال التنظيمي:** يعتبر الهدف الأساس للاتصال هو نقل المعنى، فالإنسان ينشغل طوال حياته في محاولة فهم الآخرين، وإتاحة المجال للآخرين لفهمه وتتأثر طبيعة الإنسان والاتجاهات التي يكونها ونجاحه وفشله في الحياة بمدى براعته في فن الاتصال، ومعنى ذلك أن الفشل في توجيه الحياة من خلال عملية الاتصال لا يؤدي إلي إخفاق في التكيف الاجتماعي فحسب، بل ربما يصطحبه تفكك في الشخصية<sup>(12)</sup>، ومن هنا يتضح عمق الدور الذي يلعبه الاتصال في إطار المنظمة الإنسانية.

**الاتصال التنظيمي الرسمي:** وهو الذي يتم من خلال شبكة الاتصالات الرسمية عبر خطوط السلطة التي تربط كافة أجزاء المنظمة بعضها البعض، وبالتالي فهو يمكن أن يتم من الأعلى إلى الأسف لو في هذه الحالة ينقل أوامر وتعليمات وتوجيهات من المستويات الإدارية الأعلى للمستويات الأدنى<sup>(13)</sup>.

**الاتصال الإداري:** ويعرف بأنه عملية تبادل الآراء والمعلومات بين الأطراف المختلفة داخل التنظيم (أي تنظيم) بغرض تحقيق هدف معين. وهذا معناه أن هناك رسالة معينة بين طرفين مختلفين. أهمية الاتصال التنظيمي: تعد الاتصالات بشكل عام وبأي صورة كانت، رسمية أو غير رسمية، على درجة عالية من الأهمية في المنظمات والمؤسسات مهما كان شكلها ونشاطها، ويمكن إيجاز الأهمية التي تتطوي الاتصالات في المنظمات أو المؤسسات بما يلي:

1. الاتصال نشاط إداري واجتماعي ونفسي داخل المنظمة، حيث يساهم في نقل المفاهيم والآراء والأفكار عبر القنوات الرسمية لخلق التماسك بين مكونات المنظمة، وبالتالي تحقيق أهدافها.
2. يؤدي الاتصال دورا مهما في توجيه وتغيير السلوك الفردي والجماعي للعاملين في المنظمة.
3. الاتصال وسيلة أساسية لإنجاز الأعمال والمهام والفعاليات المختلفة للمنظمة.
4. يقوم الاتصال بإبلاغ التعليمات والتوجيهات والأوامر إلى العاملين من رؤوسهم والتعرف على ردات الفعل (رجع الصدى) وبمعنى أوضح فإن الاتصال يمثل وسيلة رقابية وإرشادية .
5. الحصول على المعلومات والبيانات والاستفسارات والتوقعات والمقترحات والمشكلات والشكاوي.
6. يعمل الاتصال على نشر الإبداع الفني والثقافي ، مما يؤدي الى توسيع آفاق الفرد المعرفية، وإيقاظ الخيالات والمواهب والإبداع لديه<sup>(14)</sup>.
7. يقوم الاتصال بإعلام أعضاء المنظمة بخطط المنظمة، وإمكانياتها وتطلعاتها.

### أهمية الاتصال التنظيمي في رفع كفاءة المؤسسات الليبية

8. يقوم الاتصال بتطوير الأفكار وتعديل الاتجاهات واستقصاء ردود الأفعال الأمر الذي يصب في النهاية في اتجاه تحقيق الأهداف، وخدمة مصالح العمل من التأثيرات في الأفراد ودفعهم في اتجاه تحقيق الهدف

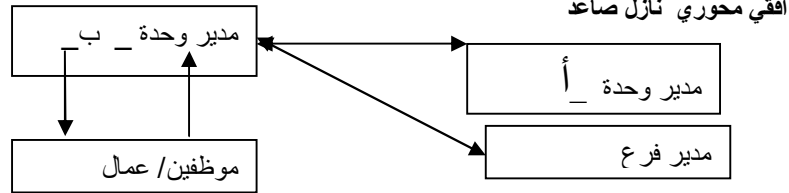
و من خلال هذه الدوافع يمكن أن نستشف أهمية الاتصال التنظيمي الرسمي كمنشأ إداري في:

- نقل المفاهيم والآراء والأفكار لخلق التماسك بين مكونات المنظمة وتحقيق أهدافها.
- ضرورة أساسية في توجيه وتغيير السلوك الفردي والجماعي للعاملين داخل المنظمة.
- يعتمد عليه في عملية اتخاذ القرارات التي تمثل المحور الأساسي التي تقوم عليه أي منظمة.
- \*توطيد الثقة بين المنظمة والموظفين ما يخدم المصالح المشتركة ويسير بالمنظمة إلى تحقيق أهدافها.

#### أشكاله: (أنماطه)

يتخذ الاتصال التنظيمي أربعة أنماط (أشكال)، ويمكن أبرز ذلك في الشكل التالي:

#### الشكل رقم (02) يوضح الاتصال الرسمي واتجاهاته (27)



#### أولاً: الاتصال النازل: Upward communication

ويطلق عليه البعض الاتصال المتجه إلى أسفل، وبناءً عليه تتدفق الرسائل من قمة التنظيم أو أعلى التنظيم إلى أدناه، وقد تكون هذه الاتصالات من الإدارة العليا إلى الإدارة الوسطى أو قد تكون من الإدارة الوسطى إلى الإدارة الدنيا، أو من العليا إلى الدنيا مباشرة، ولذلك فإن هذا النوع من الاتصالات يستخدم في الأمر والتوجيه والتعليم.

وللاتصال الهابط هدفان هما:

أ - توصيل المعلومات إلى المرؤوسين بطريقة صحيحة وواضحة حتى يمكن إدراكها وفهمها.

ب - قبول المتلقين للمعلومات عن طريق الإقناع الشخصي من الرئيس إلى المرؤوسين<sup>(15)</sup>.  
ومن أكثر الطرق المستخدمة في هذا النوع من الاتصال التنظيمي الاجتماعات الرسمية والنشرات الخاصة بالموظفين، كتيبات، مجلات التنظيم، مجالات الحائط، التقارير النمطية... الخ.

ويمكن التطرق إلى مزايا ومعيقات هذا النوع من الاتصال في ما يلي:

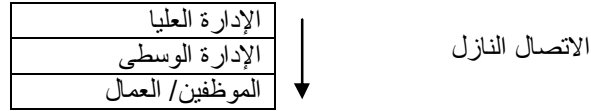
#### أ - المزايا:

- تعليم الموظفين وتوجيههم، وتوضيح المواقف المختلفة لهم، وهذا ما يعمل على إزالة مخاوفهم وشكواهم وبالتالي يفضي على جو عدم الثقة الذي قد يسود المنظمة أو المؤسسة بحالة خيبة الأمل نتيجة الشعور بأن الفرد يعمل دون أن يدري لماذا؟ أو كيف؟ أو متى يعمل؟
- يمكن من خلق الشعور لدى الموظف بأنه موضع اهتمام وتقدير الإدارة في المستويات العليا، وهذا يخلق لدى الأفراد روحاً من الكبرياء والاعتزاز بالنفس والعمل.
- تمكين العاملين من متابعة التغييرات والتجديدات المختلفة التي تحدث في المنظمة وما هو موقف الإدارة منها، مما يساعد على المحافظة على التوازن العام للمؤسسة<sup>(16)</sup>.

### أهمية الاتصال التنظيمي في رفع كفاءة المؤسسات الليبية

ب - **معوقات الاتصال النازل:** أن أسباب فشل هذا النوع من الاتصال ترجع إلى معوقات عدة نذكر منها:

- أن العديد من المنظمات والمؤسسات تلجا إلى وسائل اتصال ميكانيكية وكتابية، وتتحاشي الرسائل الشفهية والمواجه (وجها لوجه) مما يفقد للاتصال قيمته وهدفه.
- أسلوب الفلترة من قبل المسؤولين من خلال حجبهم لبعض المعلومات عن المستويات الدنيا ومعظم هذه المعلومات تؤثر حتماً وبشكل فعال في إحداث الأثر المرغوب للرسائل الهابطة من الإدارة للموظفين أو العاملين<sup>(17)</sup>.
- نقص الفهم والمعرفة من جانب المرؤوسين، ويتمثل في عدم إدراكهم بأن هذه المعلومات قاصرة عليهم أم يجب نقلها للآخرين، وهذا من شأنه أن يحد من الاتصال الفعال.
- مصداقية المرسل ومدى سلطته ومدى الثقة فيه، والخبرات السابقة معه... وكل هذا من شأنه أن يؤثر سلباً على الاتصال والعكس.
- التوقيت ويقصد به الوقت المناسب لاستقبال المتلقي للرسالة، وكذلك المكان المناسب والحالة النفسية التي عليها متلقي الرسالة.



### ثانياً: الاتصال الصاعد: Downward communication

ويقصد به الرسائل القادمة من مستويات التنظيم الدنيا إلى المستويات العليا، ويعد هذا الاتصال حاسماً ومهما لنمو وتطوير التنظيم<sup>(18)</sup>.

- ويمكن تلخيص محتوى هذا النوع من الاتصال في النقاط التالية.
- معلومات حول أداء المرؤوس ومدى تقدمه وخطئه المستقبلية.
  - مشكلات العمل التي تحتاج وقفة من المدير والتي تتضمن جملة من الشكاوي والمشاكل التي يعاني منها الموظف أو العامل.
  - أفكار حول تحسين سبل العمل لطلب توضيحات واستفسارات عن بعض النقاط الغامضة في سياسة التنظيم أو في أداء عملها.
  - معلومات حول مشاعر الموظفين أو العاملين نحو جوانب العمل المختلفة.

#### 1 - مزايا الاتصال الصاعد:

- تمكين الأفراد من التعبير إحساسهم ومشاعرهم، وهذا بالطبع إرضاء للحاجات الاجتماعية والذاتية لهم.
- يمكن من اكتشاف الأخطاء قبل استئصالها أو وصولها لمرحلة الخطر ومعالجتها.
- المساعدة في زيادة الالتزام من جانب المرؤوسين بأهمية وتحقيق فرص الاتصال المنتظمة أو المتقاربة مع الرئيس<sup>(19)</sup>.

2 - **معوقات الاتصال الصاعد:** وهي عدة معوقات تحول دون تحقيق الأهداف المرجوة من الاتصال الصاعد وتتمثل في التالي:

### أهمية الاتصال التنظيمي في رفع كفاءة المؤسسات الليبية

- محاولة المرؤوس الهيمنة على العوامل المؤثرة في رأى الرئيس ويحاول أن يترك كذلك أثرا إيجابيا لدى الرئيس. وقد يتطلب ذلك إدخال التعديلات اللازمة في محتوى الرسالة أو حتى بعض الحالات الاستثنائية مثل تزيف بعض المعلومات.<sup>(20)</sup>
- البعد المكاني والإداري بين الرؤساء والمرؤوسين.
- التقاليد الإدارية في المنظمة أو المؤسسة. مثل اعتبار أن من الطبيعي أن يبدأ الاتصال بالمرؤوسين وليس بالعكس ويعتبرون الاتصالات الصاعدة استثنائية بينما الاتصالات النازلة هي الأساسية.
- حب العزلة لدى الرؤساء وإتباع سياسة الباب المغلق ، والبعد عن الاتصال المباشر بالمرؤوسين ويترتب عن ذلك وجود حاجز بين الرئيس والمرؤوسين، مما يجعل معلومات كثيرة خاصة بالعمل تكون بعيدة عن مسمع ومرأى المدير أو المسؤول الأعلى.<sup>(21)</sup>
- والاتصال الصاعد يأخذ عدة أشكال، فقد يكون عن طريق الاجتماعات وتقارير الأداء وصناديق الاقتراحات وإتباع سياسة الباب المفتوح من قبل الرؤساء.

#### ثالثا: الاتصال الأفقي : Horizontal communication

ونعني به الاتصال الذي يتم بين أثنين من أعضاء المؤسسة على مستوى التسلسل التنظيمي كاتصال رؤساء الأقسام فيما بينهم، وهذا النوع من الاتصال يوفر على هؤلاء مشقة الاتصال عبر التسلسل الهرمي، فمدير شئون الأفراد يتصل بمدير الإعلانات أو الإنتاج لأنه إذا لم يتح له الاتصال فمن الممكن أن يتم عبر مدير المؤسسة.<sup>(22)</sup>، كما يعني الاتصال الأفقي إنسيان المعلومات أي إرسالها واستيعابها بين مختلف الإدارات والأقسام والأفراد الذين يقعون في نفس المستوى الإداري بالمنظمة .

#### وظائف الاتصال الأفقي:

1. التنسيق للقيام بالمهام المنوطة بالمستوى الإداري.
2. حل المشاكل التي تتعرض لها المنظمة أو المؤسسة في نفس المستوى.
3. تبادل المعلومات (المشاركة).
4. يقلل الجهد والوقت اللازمين وتبادل المعلمات بينهما.

#### مزايا الاتصال الأفقي:

- يسمح بوصول الآراء والمقترحات من كل جانب وفي كل وقت تقريبا، الأمر الذي يعطي للمديرين فرصة للحصول على ما يلزم لاتخاذ قراراتهم بالاستناد إلى معلومات كافية.
- يساعد على رفع الروح المعنوية للموظفين ويبرزوهم كشركاء في الإدارة أكثر منهم مرؤوسين عليهم السمع والطاعة.<sup>(23)</sup>
- معوقات الاتصال الأفقي:** بالرغم من المزايا التي تتسم بها الاتصالات الأفقية فإن هناك عدة معوقات تعوق أداؤها الفعال وهي:
- إن تطبيق مبدأ التخصص وتقسيم العمل داخل المنظمة خلق أنواع متعددة من الولاء داخلها إلى الحد الذي يحول دون تحقيقها .
- أن هذه الاتصالات إذا ما تحققت لا تتم بالسرعة المطلوبة ومرد ذلك شدة التمسك بالشكليات والمبالغة في إطالة لإجراءات والتعقيدات.<sup>(24)</sup>

### أهمية الاتصال التنظيمي في رفع كفاءة المؤسسات الليبية

**رابعا- الاتصال المحوري:** ويطلق عليه الاتصال القطري أو المائل، وجميعها تصب في معنى واحد والذي يتمثل في أن المعلومات تتساب بين الأفراد في مستويات إدارية مختلفة ليس بينهم علاقات رسمية في المنظمة أو المؤسسة كأن يتصل مدير الإنتاج بأحد أقسام إدارة التسويق.<sup>(25)</sup>

وفي جميع الأشكال أو الأنماط السابقة من أنواع الاتصال التنظيمي الرسمي فإنه يمكن أن تتبين لنا أهمية كل شكل وحدوده من التأثير في الهيكل التنظيمي للمنظمة، وعليه فإن إعطاء الاهتمام لكل أنواع الاتصال الرسمي المذكورة سلفا يؤدي إلى تكوين انطباع جيد عند المرؤوسين ويساعد على سيرورة المعلومات داخل الأطر التنظيمية بشكل كافي وبصورة واضحة ومنظمة ويفتح المجال لكل الفاعلين داخل التنظيم من خلال الاهتمام بكل هذه الإشكال من أجل إبداء آرائهم في الأعمال التي يقومون بها وهذا ما يساعد على تنمية وزيادة الدوافع الداخلية للفاعلين، والتي تعمل على زيادة تماسكهم وتعاونهم وبالتالي تحقق الرضاء في العمل.

**(ب) الاتصال التنظيمي غير الرسمي:** الاتصال التنظيمي غير الرسمي هو "الاتصال الذي يتم بين الأفراد والجماعات ويكون هذا الاتصال بدون قواعد تنظيمية محددة وواضحة وتتميز هذه الاتصالات بسرعة إنجازها قياسا بالاتصالات الرسمية التي تحدها ضوابط وإجراءات رسمية محددة.<sup>(26)</sup>

**دوافعه:** توجد عدة دوافع تجعل الأفراد في المنظمة أو المؤسسة يلجئون أو يتصلون معاً بطريقة غير رسمية مما يؤدي إلى ظهور ما يسمى بالتنظيم غير الرسمي. وهذه الدوافع هي:

- 1 - وجود حاجات و رغبات واتجاهات للأفراد إذ يرغبون في إشباعها.
- 2- إن التنظيم الرسمي لا يتمتع بالمرونة ولا يتطور بشكل ملائم لظروف المنظمة.
- 3- رغبة الأفراد القيايين في المنظمة أو بعضهم في السيطرة على جميع الأمور في المنظمة.
- 4- عدم توفر مبدأ العدالة في المنظمة وظهور ما يسمى بالأفراد الموالين والمقربين.
- 5- إتباع المنظمة لنمط القيادة المركزية الزائدة ومنع حرية التعبير والمشاركة للأفراد والعاملين.
- 6 - عدم التقيد بقنوات التنظيم الرسمية ويعود السبب إلى عدم وضوحها للعاملين.<sup>(27)</sup>

#### أشكاله:

- 1 - اللقاءات العفوية بين زملاء العمل.
- 2- الاتصال المباشر بين شخص وآخر لنقل معلومات سرية وفي وقت سريع جدا (وتفاديا للإشاعة).

3- الحوارات بين أفراد التنظيم أثناء المناسبات الاجتماعية.

**سلبياته:** يمكن أن يكون للاتصال التنظيمي غير الرسمي أثر سلبي على التنظيم وهي:

- \* - انتشار الشائعات والمعلومات المشوهة مما يترك آثار سلبية على الأداء داخل التنظيم.
- \* - يؤدي أحيانا إلى انخفاض الروح المعنوية واضطراب العلاقات الإنسانية الناجمة عن ردود أفعال انتقامية بالدرجة الأولى وذلك بسبب الإشاعات مثلا.
- \* - قد يؤثر على آلية العمل داخل التنظيم ويفشل كثيرا من الخطط.

**أساليب الاتصال الرسمي في التنظيم:** وهي: الاتصال الشفوي، الاتصال الكتابي، الاتصال المصور. **ولأ- الاتصال الكتابي:** إن الاتصالات التي تتم بخصوص أمور دائمة تحتاج إلى دقة في التنفيذ إذا تعلق بموضوعات معقدة كثيرة التفصيلات، فإنها تفرغ في صورة كتابية، والواقع أن الكلمة المكتوبة ماتزال لها سحرها لدى الموظفين، ولهذا فإن الإدارات تلجأ إلى الوثائق المكتوبة بكثرة، وتأخذ الاتصالات المكتوبة صوراً عديدة، مثل: المذكرات، الخطابات المتبادلة، المنشورات، الأوامر المصلحية، اللوائح، التعليمات والأوامر الفردية... الخ.<sup>(28)</sup>

أهمية الاتصال التنظيمي في رفع كفاءة المؤسسات الليبية

أ - طرق الاتصال الكتابي:

- - التقارير: يمكن تعريف التقارير بأنها عرض للحقائق الخاصة بنوع معين أو مشكلة عرض تحليلها بطريقة متسلسلة مبسطة مع ذكر الاقتراحات تتماشى مع النتائج التي تم التوصل إليها بالبحث والتحليل.
  - \* - للتقارير أهمية خاصة بالنسبة للإدارة وهذه التقارير قد تكون موجهة بمعنى أنها وضعت بناء على توجيه أو طلب معين من الرئاسة. أما التقارير غير الموجهة فهي التي توضع لمجرد الرغبة في توصيل معلومات معينة إلى مختلف الإدارات والأفراد دون أن تكون هذه التقارير مطلوبة بواسطة جهة معينة بالذات، وهذا لا يمنع أن يستفيد عدد كبير من الأفراد وكذلك الإدارات بما تتضمنه هذه التقارير غير الموجهة من المعلومات والبيانات.<sup>(29)</sup>
  - تستخدم كسجل مكتوب لجميع ما يحدث داخل الشركة وبذلك تعتبر مرجعا له قيمة في المستقبل.
  - \* - النشرات الدورية الخاصة: وتعتبر هذه الوسيلة هامة في تنمية العلاقات العامة والاجتماعية للمنظمة وتستخدم لنقل المعلومات والبيانات عن المؤسسة ونشاطها وتاريخ الإنشاء، وسياساتها، وتخصيص جزء منها للمعلومات الخاصة بالعاملين من حيث التعداد والكفاءات والتخصصات المختلفة... الخ.
  - وتنقسم النشرات إلى:
    - نشرات داخلية تخص العاملين داخل المؤسسة من حيث التجهيزات والمعدات الجديدة...
    - نشرات خارجية تعبر عن نشاط المؤسسة وأهدافها للمتعاملين معها أو الجمهور أو المحيط الخارجي.
  - - الكتيبات والدليل: تعتبر الكتيبات إحدى وسائل الاتصال الجمعي، وهي صورة مصغرة للكتاب وتعد بطريقة سهلة وبسيطة وإخراج رائع يجذب المتلقين أو الجمهور المستهدف ولابد أن يتناول الكتيب موضوعا واحدا وبكامل تفاصيله.
  - - الشكاوي: تعتبر الشكاوي من الوسائل الاتصالية الهامة بالنسبة للمنظمات والمؤسسات، وتساعد العاملين أن يتقدموا بالشكاوي وهذا عن طريق الرسائل والمنشورات أو داخل الصناديق المخصصة للشكاوي<sup>(30)</sup>. وتعد هذه الوسيلة ذات أهمية خاصة للإدارة حيث أنها تجعلها على علم بظروف وبيئة العمل الواقعية ومقترحات أصحاب الخبرة في ضوء الخبرة الميدانية، مما يجعلها أن تتبنى بعض الاقتراحات الجادة في تحسين الجودة ورفع الكفاءة الإنتاجية وإنجاز الأعمال.
  - - ملصقات الحائط: تنظم هذه الملصقات داخل المدخل الرئيسي للمؤسسة أو داخل المداخل للأقسام والإدارات أو مداخل صالات الاجتماعات وتحتوي على قسمين: القسم الأول للتعليمات الدائمة والأخر للملاحظات الجديدة أو التعليمات المؤقتة والتي تبقى معلقة مدة ثمان أيام تقريبا، وهذه التعليمات هي عبارة عن أخبار وإرشادات توضح إجراءات تتعلق بالعمل.<sup>(31)</sup>
- 1/ مزايا الاتصال الكتابي:
- إمكانية الاحتفاظ بالكلمات المكتوبة حتى يمكن الرجوع إليها كلما اقتضى الأمر لذلك وذلك على النحو التالي: <sup>(32)</sup>
  - تتصف بدقة أكثر في التعبير مقارنة بالاتصال الشفوي.

### أهمية الاتصال التنظيمي في رفع كفاءة المؤسسات الليبية

- حماية المعلومات المراد نقلها من الإضافة أو الحذف والتحريف بدرجة أكبر من الاتصال الشفوي.
- يعتبر وسيلة اقتصادية من حيث وقت الإدارة وتوفير الأموال والجهد.
- إمكانية شرح المعلومات المتضمنة في التقارير بأكثر من طريقة وتقديم كافة التفاصيل واستخدام الإحصاءات، أي المعلومات الكمية التي قد تخدم المعلومات الكيفية وتعززها
- إمكانية الاتصال بعدد كبير من الأفراد.
- **12 معوقات الاتصال الكتابي:** إن عملية إعدادها وصياغتها تحتاج إلى دقة، وكثيرا ما يفشل المرسل في دقة التعبير مما يؤدي إلى عدم فهم المستلم مغزى الرسالة، وذلك للأسباب التالية: (33)
  - تحتاج إلى نفقات كبيرة في التخزين والحماية.
  - عدم السرعة في الظروف الاستثنائية، والتي تقتضي سرعة إبلاغ المعلومات إلى العاملين أو الرئيس الإداري.
  - احتمالات التحريف الكبيرة، فقد يكون للكلمة الواحدة أكثر من معنى، فلا يدخل في ذهن المرسل إليه إلا المعنى الذي يتفق وطبيعة ثقافته ودراساته وخبرته في العمل.
  - عدم توفير الفرص لطرح الأسئلة أو إجراء مناقشات حول مضمون الرسالة لضمان فهمها.
  - حرمان مصدر الرسالة (المرسل) من معرفة تأثير كلماته المكتوبة على وجه المتلقي (المستقبل) وبالتالي معرفة مدى تقبله لمهنتها.
- **الاتصال الشفوي:** ويتم الاتصال الشفوي عن طريق نقل وتبادل المعلومات بين المرسل والمتلقي ويعتمد على الوسائل المباشرة للاتصال وجها لوجه بين المرسل والمتلقي عن طريق الكلمة المنطوقة، بما يتيح الفرصة لوجود اتصال ذو اتجاهين يسمح لمصدر الرسالة الوقوف على وجهات نظر مستقبل الرسالة وموقعه واستجاباته واتجاهاته، كما يوفر ضمان فهم مضمون الرسالة.
- **طرق الاتصال الشفوي:**
  - أ- **الاجتماعات:** وتعد هذه الوسيلة من الوسائل الهامة في الاتصالات الشفهية بين الإدارة والعاملين في المنظمة.
  - **الحديث الشفوي أو الاتصال الشخصي المباشر:** وهو الاتصال الشخصي المباشر وجها لوجه مابين المرسل والمستمع كاللقاء المباشر بين الرئيس والمرؤوس أو بواسطة الهاتف مثلا وهذا يفسح المجال للمناقشة وتفهم الرسالة بصورة أوضح بسبب ما بيديه كل منهما من انفعالات نفسية وحركات جسمية والوقوف على ردة فعل المستقبل.
  - ب - **مزايا الاتصال الشفوي:** من أهم مزايا هذا الأسلوب:
    - يتميز بأنه أكثر سهولة وأكثر يسرا وإقناعا ، ويفيد الحصول على الإجابة الشفوية و ملاحظة تعبيرات الوجه و انفعالات المستمع .
    - تقوي الروابط و تهيئ المرؤوسين لتقبل تعليمات رؤسائهم بدقة وأمانة. (34)
    - يحافظ على قدر كبير من السرية ، و يتم العمل به في الحالات التي يخشى أن تتسرب المعلومات للأطراف الأخرى لو تم الأخذ بأسلوب الكتابة .
  - ج- **عيوب الاتصال الشفوي:** للاتصال الشفوي عدة عيوب منها: يعاب عن هذه المناقشات الشفهية أنها لا تسجل غالبا ، مما يهيئ الفرصة للخلاف ، كما أنها لا تكفل فهما موحدًا لجميع المسائل ، فقد يفهم من أعضاء لجنة المساءلة على وجه معين، ثم يقوم بتنفيذها على حسب فهمه لها ، يؤدي إلى



### أهمية الاتصال التنظيمي في رفع كفاءة المؤسسات الليبية

التضارب في التنفيذ ، و لهذا فإن الكثير من اللجان تحرص على أن تسجل اجتماعاتها في محاضر منتظمة يسهل الرجوع إليها عند الحاجة ، منها للخطأ و النسيان و اختلاف التأويل<sup>(35)</sup>.

- صعوبة استخدامه مع الأعداد الكبيرة .
- قد يحرف مضمون الرسالة خصوصا في المنظمات الكبرى ذات الأقسام المتعددة و المستويات الإدارية المختلفة .

**المحور الثالث- معوقات الاتصال التنظيمي:** أن العملية الاتصالية داخل المؤسسات أو المنظمات وتواجه العديد من الصعوبات والعوائق والتي تعترض أو تحد من فعالية عملية الاتصال، وتؤدي بها إلى عدم تحقيق أهدافها المخططة، وهي :

**\*- معوقات نفسية:** وهي معوقات تتعلق بالعناصر الإنسانية في عملية الاتصال المتمثلة بالمصدر (المرسل) والمستقبل وتحدث أثرا عكسيا بسبب الفروق الفردية مما يجعل الأفراد يختلفون في أحكامهم على الأشياء وبالتالي فهمهم لعملية الاتصال وأهم هذه العوائق تتمثل في الاتي:

**(1) تباين الإدراك:** وهي تتمثل في عملية إدراك المرسل الخاطئ للمعلومات التي يرسلها وبالتالي اختلاف إدراك وفهم الآخرين لها، وعدم انتباه مستقبل الرسالة إلى محتوياتها أو إدراكه الصحيح لمحتوياتها وبالتالي يؤثر تباين الإدراك نتيجة اختلاف الفروق الفردية والبيئية إلى اختلاف المعاني التي يعطونها للأشياء، كما أن الكلمات المتضمنة في الرسالة قد تكون لها دلالات ومعاني مختلفة لكل شخص عن الآخر.

وتكمن أسباب الإدراك المشوش للمرسل إليه على الأسباب التالية:

- أ- تأثير التوقعات والحاجات والخبرات السابقة للمرسل إليه على إدراكه لمقومات الرسالة.
- ب- مدى تناسب المثبرات التي تحتوي عليها الرسالة مع درجة ومستوى وعي المرسل إليه.
- ت- مدى بساطة محتويات الرسالة وانتظامها.
- ث- درجة الخبرة في محتويات الرسالة حيث يصعب تفهم الوسائل ذات المحتويات غير المألوفة من جانب المرسل إليه.

- **الإدراك الانتقائي:** حيث يميل الإنسان للاستماع إلي ما يتناسب مع معتقداته وأفكاره وأراء والعمل على إعاقة المعلومات التي تتعارض مع ما يؤمن به من قيم واتجاهات وأراء وأفكار.
- **- الانطواء:** ويتمثل فيعدم مخالطة الآخرين أو تبادل المعلومات معهم، تشويه وترشيح المعلومات مما يؤدي إلى انحراف العمل عن تحقيق أهدافه.
- **- اللغة:**

وهي وسيلة اتصال يتم نقل المعلومة أو الفكرة من خلالها، إما شفاهة أو كتابة، إلا أن اللغة قد تتحول إلى عقبة أمام الاتصال في حالة اختلاف مستوى التعليم والثقافة، مما يؤدي الى عدم فهم الكلمات والألفاظ المتبادلة بين الطرفين فيفسرها كل طرف حسب فهمه الخاص .

- **- الانفعالات:** إن الحالة الانفعالية لكل من مرسل المعلومات ومتلقيها ستحدد أما إذا كانت المعاني الصحيحة هي التي يتم تبادلها أو هناك حاجز انفعاليا بينهما يمنع من تحقيق هذه النتيجة.

- **- الاختلافات الوراثة:** إن المقصود بالاختلافات الوراثة هي تحديد منبت كل مرسل المعلومات ومتلقيها ومعرفة ما إذا كان أصلها متجانسا نسبيا ولا تعذر عليها نقل المطلوب والمعروف إن مركز الإنسان في الحياة يتشكل بقوة أفكاره واتجاهه<sup>(36)</sup>.

### أهمية الاتصال التنظيمي في رفع كفاءة المؤسسات الليبية

● - **تنقية وغريلة المعلومات:** تحدث عادة بالنسبة للاتصالات الصاعدة وتشير إلى استبعاد أو تعديل بعض المعلومات موضع الرسالة لتحقيق إيجابياتها أو زيادة قيمتها من منظور المستقبل، فالمرؤوس قد يخفي أو يعدل معلومات غير مفضلة في الرسائل الموجهة إلي رؤسائهم، ويمكن السبب في اللجوء لتنقية المعلومات المرسله للإدارة العليا كونها الأساس في ممارسة الرقابة.<sup>(37)</sup>

-- **التجريد:** عملية التجريد يعني إهمال التفاصيل، بحيث يقتصر الاتصال على الحقائق كما يدرك بها وليس كما هي موجودة.<sup>(38)</sup>

(2) **معوقات اجتماعية ثقافية:** يرجع هذا النوع من المعوقات إلى التنشئة الاجتماعية للأفراد والبيئة التي يعيش فيها الشخص سواء كانت داخل التنظيم أو خارجه، ويتضمن القيم والمعايير والمعتقدات التي تشكل حاجزا أمام تحقيق الأهداف المرجوة والمنتظرة من طرف التنظيم ويمكن توضيح هذه العوائق فيما يلي:

**التباعد الاجتماعي:** ونقصد به الاختلاف في البيئة الاجتماعية للعاملين أي أن أطراف الاتصال ينتمون إلى مناطق مختلفة، وتشتمل هذه النقطة على الفوارق اللغوية والعرقية والدينية والفكرية، حيث يعتبر هذا العمل من أكثر الحواجز شيوعا أمام الاتصال التنظيمي، حيث تتعدّد عملية الاتصال من خلاله.

وعليه فالمؤسسات والمنظمات التي يتشكل مجتمعها من عاملين ينتمون الى مناطق مختلفة تجد صعوبات كبيرة وحواجز عديدة من أجل التنسيق فيما بينهم ووضع برامج وقواعد اتصالية. ويعتبر هذا العائق من أبرز العوامل المساهمة في بروز الصراع بين الفاعلين داخل التنظيم.

#### ● - الاختلافات الثقافية:

إن التباين بين الثقافات بين العاملين في المؤسسة ينتج عنه اختلاف في اللغة المستعملة حيث يكون الترميز فيما بينهم مختلف وهذا ما يجعل العملية الاتصالية تنسم بالصعوبة، فاللغة ليست الكلمات نفسها وإنما مدلولات تلك الكلمات، فالمعاني هي من الممتلكات الخاصة بالفاعل فهو يستخرجها في ضوء خبراته وعاداته وتقاليده المتواجدة في المجتمع والبيئة الثقافية التي يعيش فيها.<sup>(39)</sup>

**المعوقات التنظيمية:** الهيكل التنظيمي للتنظيم العلاقات القائمة بين الوظائف المختلفة و انسياب السلطة والمسؤولية، وخطوط الاتصال بين العاملين فيها تبيين مراكز اتخاذ القرارات والتخصصات المتوفرة وطبيعة العمل و طرق تقسيمه ، لذا فوجود هيكل ضعيف يسبب عائقا كبيرا في عملية الاتصال الفعال .

ويمكن تقسيم هذا النوع من العوائق فيما يلي :

**صعوبات خاصة بالتدرج الهرمي:** حيث ان عدم كفاءة الهياكل التنظيمية من حيث المستويات الإدارية التي تمر بها عملية الاتصال يؤدي الى الكثير من التشويه للمعلومات ومنه عدم كفاءة عملية الاتصال وذلك :

- بالتأثير على كمية المعلومات الهامة للاتصال ، فتكون أقل بكثير في القاعدة مقارنة بالمستويات الوسطى و العليا .

- إن تفاوت مراكز السلطة عند فاعلي التنظيم يؤدي الى صعوبة العملية الاتصالية داخل التنظيم ، ذلك لعدة أسباب : كخوف و خجل العامل البسيط من رئيسه في العمل .

### أهمية الاتصال التنظيمي في رفع كفاءة المؤسسات الليبية

- ان تعدد المستويات الإدارية يعني طول المسافة بين القاعدة و قمة هرم الهيكل التنظيمي ومرور المعلومات بسلسلة من المستويات الإدارية مما يعرض المعلومات لعملية التحريف .  
**صعوبات انطلاقا من التخصص في العمل :** بالرغم من ان تقسيم العمل يقصد به التخصص بهدف رفع أو زيادة إنتاجية العاملين و بالتالي الرفع من ناجعة التنظيم ، إلا أن هذا الأخير يصبح عائقا في عملية الاتصال داخل المنظمة إذا كان المختصون في المشروع ، أي في محيط العمل جماعات متباينة حيث تلجأ كل فئة من تلك الجماعات إلى استخدام لغتها الفنية الخاصة بها مما يؤدي إلى صعوبات جمة في الاتصالات و يجعلها غير مفهومة مما يؤثر على سيرورة الأعمال داخل المنظمة و انعكاس ذلك على تحقيق أهدافها المسطرة .

- **مشاكل مترتبة عن الإجراءات الرسمية :** حيث إن كبر التنظيم وتعقيده يحتم عليها الميل إلى استخدام الاتصال الكتابي و الذي له العديد من السلبيات :
  - غالبا ما يكون غير محفز .
  - الطابع الرسمي يركز على المعلومات التقنية، الكمية وإغفال المعلومات النوعية حول العلاقات بين الفاعلين .
  - عدم السرعة في الظروف الاستثنائية ، و التي تقتضي سرعة إبلاغ المعلومات إلى العاملين.
  - احتمالات التحريف الكبيرة .
  - عدم توفر التغذية الرجعية، وعدم إتاحة الفرص لطرح الأسئلة أو إجراء مناقشات في ما يخص القرارات المتخذة عبر الاتصال المكتوب .

- **صعوبات تتعلق بالتنظيم و ربطه بالبيئة الخارجية :** ويشمل هذا العنصر على التالي :
  1. قصور سياسة الاتصال و ذلك لعدم وجود سياسة واضحة تعبر عن نوايا الإدارة .
  2. التداخل بين التنفيذ و الاستشارة و هو سبب رئيسي في العداء الأزلي بينهما (40)
  3. الاعتماد الزائد على اللجان ، حيث تعتبر هذه الأخيرة كإحدى أنواع الاستشارة و ان الاعتماد عليها يؤدي إلى تدهور العلاقة بينهما و بين المسؤولين في خط السلطة.
  4. عدم الاستقرار التنظيمي و التغيرات المتتالية لا يوفر المناخ الملائم للاتصال الجيد .
  5. كما أن عدم الاستقرار التنظيمي يؤدي إلى زعزعة العلاقات الاجتماعية بين الفاعلين
  6. العجز و القصور في ربط التنظيم و بيئته الخارجية ، حيث يعتبر من أقوى عوائق الاتصال حيث أن البيئة تزود المنظمة بمعلومات عن العملاء و المستهلكين و القوى البشرية المتوفرة و انطلاقا مما تم عرضه يتبين لنا أن معوقات العملية الاتصالية كثيرة و متعددة و يصعب التحكم في كل العوامل من أجل تحقيق فعالية التنظيم إلا أنه يمكن أن تستفيد المنظمة من خلال معرفة قادتها بخصائص الاتصال الجيد ومحاولة بناء نظام الاتصال وفقا لهذه الخصائص و ذلك من أجل الوصول إلى الأهداف المرجوة و المسطرة سلفا .

**خصائص الاتصال الفعال:** يتوقف الاتصال الناجح داخل المؤسسات والمنظمات على الاعتراف بالتباين في أسلوب التفكير بين المستويات الإدارية العليا وبين من يشتغلون في أدنى مستوى من التسلسل الإداري، فهو عملية ضرورية لسير العمل داخل أي منظمة أو المؤسسة يعتبر من أهم عمليات الإدارة فهو عملية تتضمن نواحي كثيرة معقدة منها توصيل التعليمات واستقبالها وقبولها ورفضها، وهكذا يتضح أن التفاعل في التنظيم يعتمد على الاتصال مادام نقل المعلومات والوقائع والأفكار والمشاعر من شخص إلى آخر ومن مستوى معين إلى مستوى آخر، وهذا جعل من الممكن تحقيق الأهداف التنظيمية (41)

## أهمية الاتصال التنظيمي في رفع كفاءة المؤسسات الليبية

ومن أهم العوامل التي يجب مراعاتها ما يلي.

1. أن يكون المرسل موضع ثقة من المستقبل باعتبار أن هذه الثقة تعد الأساس الذي يبني عليه المستقبل تفاعله، كما يجب أن تتوفر لديه مهارات اتصالية عالية وملما برسالته عارفاً لكيفية تصميمها بطريقة تجذب انتباه المستقبل حتى يضمن هذا نجاح عملية الاتصال.
  2. دافعية المستقبل إلى المعرفة حيث لوحظ أن الإنسان يدرك ما يريد أن يدركه ويترك ما لا يريد إدراكه، وذلك طبقاً لدوافعه، أو حاجاته التي يريد إشباعها، وكل ذلك في ظل حريته في اختيار ما يشاء من الرسالة المتاحة له، وعليه فكلما كانت الرسالة محققة لحاجات معينة لدى المستقبل كلما سعى إليها هو نفسه دون غيرها من الوسائل.
  3. ضرورة التناسق والتكامل والتساند بين نظام الاتصال وبين طبيعة التنظيم الرسمي وغير الرسمي من حيث احتياجات المنظمة وطبيعة وظروف بيئة العمل.<sup>(42)</sup>
  4. صياغة الرسالة بحيث تحتوي على مثيرات تتضمن استمرار انتباه المستقبل وتشويقاً لمتابعة الرسالة ولا يستعمل إلا الوسائل والرموز التي يفهمها هذا المستقبل.
  5. ضرورة الإقلال من عدد المستويات الإدارية بتفويض الاختصاصات و تشجيع اللامركزية الإدارية والعمل على رفع الحالة النفسية لدى العاملين و بث الروح الثقة والتعاون بينهم .
  6. ضرورة وجود نظام شامل للمعلومات والبيانات لمختلف مجالات و قطاعات العمل بالمنظمة مع ضرورة تحقيق الارتباط و التكامل بين هذا النظام و نظام الاتصالات حتى تتضح كافة الأمور المستهدفة كما و كيفاً وبما يحقق الأهداف المطلوبة للمنظمة ككل .
  7. ضرورة توفر قدر من مهارات الاتصال بل العمل على تنمية مهارات الاتصال و تنمية القدرات الخاصة بحسن الاستماع و الإنصات و الحديث لدى جميع العاملين في مختلف المستويات الإدارية و كذلك مهارات التفكير و الكلام و الفهم و التحليل في المستويات الإدارية العليا و كذلك الكتابة و القراءة خصوصاً في المستويات الدنيا قدر المستطاع ، حتى يمكن للمشاركين في عملية الاتصال في مختلف المستويات الإدارية التعبير بوضوح و بدقة عن مشاعرهم و ميولهم و آرائهم و رغباتهم و مقترحاتهم و الفهم و الاستيعاب الواضح عما يقوله الآخرون.<sup>(43)</sup>
  8. لابد إن يكون الاتصال مزدوجاً بحيث يتفاعل المستمع مع المتكلم ليتأكد من المعلومات التي تسلمها كما يجب أن يكون اتصالاً مفتوحاً من جميع الجهات أي معرفة آثار المواقف و البيانات و الثقافات المختلفة على استجابات المستمعين و أخيراً فإن الاتصال يجب أن يكون على أساس التفاهم لا على أساس الأمر كما يقول (هوايت) كما أن الاتصال كما يقول (بلزيري ملز) بل لابد أن نكتسب من خلال المعاملة و نوعيتها .
- ومن خلال كل ما ذكر يمكن أن نستنتج أن الاتصال الجيد هو الذي تدعم فيه الأقوال الأفعال وضرورة توفر الثقة والمصادقية بين العاملين والإدارة في المعلومات المتبادلة كشرط أساسي دون إهمال أن يوضع الاتصال وفقاً لاحتياجات المنظمة أو المؤسسة بما يخدم أهدافها و يجعل منها ضمن المنظمات الناجحة بفضل نمط اتصالاتها الفعال .
- الخاتمة:** انطلاقاً من أهمية الاتصال التنظيمي لأي مؤسسة مهما كان نشاطها ومهما كان حجمها وباعتبار أن الموظفين هم الأساس في أي عملية خدمية أو إنتاجية من خلال أدائهم الوظيفي داخل المؤسسة فقد ركز الباحث على عصب المؤسسات وهو الاتصال التنظيمي ومدى أهميته للمؤسسة لتحقيق أهدافها.
- ولكي يودي الاتصال التنظيمي وظيفته بوصي الباحث بالآتي:

أهمية الاتصال التنظيمي في رفع كفاءة المؤسسات الليبية

- إعطاء قدر كبير من حرية الاتصال للموظفين او العاملين ليس فقط في اتصالهم بالإدارة العليا وإيصال انشغالاتهم ولكن بضرورة إشراكهم في عملية اتخاذ القرارات داخل المؤسسة في إطار قوانين تنظم هذه الحريات.
- تطوير قدرات العمال أو الموظفين من خلال تكثيف العمليات التكوينية والتدريبية في مجال الاتصالات وفهم المعلومات المتلقاة التي لها تأثير مباشر أو غير مباشر على أدائهم المهني أو الوظيفي.
- إجراء دراسات لمعرفة اتجاهات كل من الإدارة العليا والدنيا من إداريين ومستخدمين نحو كل العمليات الإدارية الأخرى من تخطيط وتنظيم ورقابة وتوجيه ودورها في تحديد نمط الاتصال الفعال الذي يساعد على أداء جيد لكل الفاعلين في المؤسسة.
- إجراء دراسات مقارنة بين أفراد الإدارة العليا والعاملين أو الموظفين في المستويات الدنيا حول اتجاهاتهم نحو طبيعة الاتصال التنظيمي داخل المؤسسة وعلاقته بالأداء العام لكل العاملين أو الموظفين.
- التركيز على الأسلوب الحوارى (الديمقراطي)بين الإدارة العليا والإدارة الدنيا لمعرفة احتياجاتهم وأفكارهم خارج نطاق الرسمية.

الهوامش:

- 1- جلال الدين ابوعطيط، الاتصال التنظيمي وعلاقته بالأداء الوظيفي، رسالة ماجستير غير منشورة، قسنطينة، الجزائر، 2009/2008، ص22
- 2- حميدة عمير اوي، مراحل الضوابط المنهجية لإعداد البحوث، الباحث الاجتماعي، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، العدد 1: بدون تاريخ. ص96
- 3- المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، لبنان، 5، 2001، ص73.
- 4- جيري جراي: ترجمة وليد عبد اللطيف هو أنه، مركز البحوث، السعودية، 1988، ص331
- 5- ناصر محمد العديلي، السلوك الإنساني والتنظيم في الإدارة، معهد الإدارة العامة، السعودية، 1995، ص164
- 6- محمد محمد عمر الطنوبي، نظريات الاتصال، الإسكندرية، ط1، 2001، ص15
- 7- مجدي محمد عبد الله، علم النفس الصناعي، دار المعرفة، الإسكندرية، 1999، ص269
- 8- عوض السواط وآخرون، الإدارة العامة المفاهيم والوظائف والأنشطة، دار حافظ للنشر والتوزيع، جدة،
- 9- جودت عزت عطوي، الإدارة المدرسية الحديثة مفاهيمها النظرية وتطبيقاتها العملية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2004، ص91.
- 10- خضير كاظم محمود، السلوك التنظيمي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2002، ص116
- 11- لو كيا الهاشمي، السلوك التنظيمي، ج2، مختبر التطبيقات النفسية والتربوية، دار الهدى لنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، ص226
- 12- خضير كاظم محمود، السلوك التنظيمي، مرجع سابق، ص117
- 13- محمد محمد عمر الطنوبي، نظريات الاتصال، مرجع سابق، ص40
- 14- فاطمة بنت عليان السفياني، الاتصال التنظيمي وعلاقته بأسلوب إدارة الصراع، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة ام القرى، جدة، 2009، ص20

أهمية الاتصال التنظيمي في رفع كفاءة المؤسسات الليبية

- 15- جودت عزت عطوي، الإدارة المدرسية الحديثة مفاهيمها النظرية وتطبيقاتها العملية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2004، ص61
- 16- عبد الله الطويرقي، علم الاتصال المعاصر "دراسة في الأنماط والمفاهيم وعالم الوسيلة الإعلامية"، مكتبة العبيكان، الرياض، 1997، ص43
- 17- عبد المعطي محمد عساف، السلوك الإداري والتنظيمي في المنظمات المعاصرة، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، 1999، ص226
- 18- طريف شوقي فرج وآخرون، علم النفس ومشكلات الصناعة، دار غريب، القاهرة، بدون تاريخ، ص289
- 19- عبد المعطي محمد عساف، السلوك الإداري والتنظيمي في المنظمات المعاصرة، مرجع سابق، ص224
- 20- خليل محمد الشماع، مبادئ الإدارة مع التركيز على إدارة الأعمال، دار المسيرة، الأردن، 1999، ص283
- 21- محمد يسري إبراهيم دعيس، الاتصال والسلوك الإنساني، سلسلة 18، البيطاش سنتر للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1999، ص188/187
- 22- محمد منير حجاب، الاتصال الفعال للعلاقات العامة، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2007، ص46
- 23- عبد المعطي محمد عساف، السلوك الإداري والتنظيمي في المنظمات المعاصرة، مرجع سابق، ص225
- 24- محمد يسري إبراهيم دعيس، الاتصال والسلوك الإنساني، مرجع سابق، ص190
- 25- محمود سليمان العميان، السلوك التنظيمي في منظمات الأعمال، دار وائل للنشر، عمان، ط3، ص24
- 26- خضير كاظم محمود، السلوك التنظيمي، مرجع سابق، ص124
- 27- لو كيا الهاشمي، السلوك التنظيمي ج2، مختبر التطبيقات النفسية والتربوية، مرجع سابق، ص237
- 28- محمود سليمان العميان، السلوك التنظيمي في منظمات الأعمال، مرجع سابق، ص250
- 29- سليمان محمد الطماوي، مبادئ علم الإدارة العامة، مطبعة عين شمس، الإسكندرية، ط7، 1987، ص271
- 30- خيرى خليل أجميلي، الاتصال ووسائله في المجتمع الحديث، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1997، ص144/143
- 31- محمود سليمان العميان، السلوك التنظيمي في منظمات الأعمال، مرجع سابق، ص245
- 32- محمود سليمان العميان، مرجع السابق، ص245
- 33- محمد يسري إبراهيم دعيس، الاتصال والسلوك الإنساني، مرجع سابق، ص197
- 34- محمد يسري إبراهيم دعيس، الاتصال والسلوك الإنساني، مرجع سابق، ص252
- 35- محمود سليمان العميان، السلوك التنظيمي في منظمات الأعمال، مرجع سابق، ص246
- 36- طارق المجذوب، "الإدارة العامة" العملية الإدارية والوظيفية العامة والإصلاح الإداري، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، 2000، ص522/521
- 37- سليمان محمد الطماوي، مبادئ علم الإدارة العامة، مرجع سابق، ص270

أ. رجب الطاهر مسعود الختروشي

أهمية الاتصال التنظيمي في رفع كفاءة المؤسسات الليبية

- 38- عبد الغفور يونس، تنظيم وإدارة الأعمال، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1971، ص 374/373
- 39- عبد الغفار حنفي، السلوك التنظيمي وإدارة الفاعلين، الدار الجامعية، الاسكندرية، 1990 ، ص 748
- 40- احمد صقر عاشور، السلوك الإنساني في المنظمات، الدار الجامعية، القاهرة، 1989 ، ص 275
- 41- كمال محمد المغربي، السلوك التنظيمي- مفاهيم واسباس سلوك الفرد والجماعة في التنظيم، دار الفكر، الاردن، ط3، ص 241
- 42- منال طلعت محمود، مدخل الى علم الاتصال، المكتب الجامعي الحديث، الازاريطة، 2002، ص 22
- 43- جمال الدين عويسات، السلوك التنظيمي والتطوير الإداري ، دار هومة، الجزائر، 2002، ص 50

Amer Mohamed Dihmani

Deductive and Inductive English Grammar...

## Deductive and Inductive English Grammar Lessons for Libyan Secondary School

BY: Amer Mohamed Bashir Dihmani  
Gharian University / Faculty of Arts, Gharian

### Abstract

The importance of students' active involvement in the learning process is increasingly growing in this area of information explosion. Educators continue to unravel ways to assist learners in developing their cognitive potential. Deductive learning and inductive learning English language which help students articulate their mental processes seem to incorporate many of the research studies propounded by ESL practitioners. These approaches have proved to give students the ability to rationalize what information is needed and, thereby, to make them conscious of the intent and content of the lessons presented to them.

Although these kinds of learning appear to be widely used across the world, reported evidence of their use in different stages of teaching has rarely been found in our schools in Libya. This article describes the implementation of deductive and inductive methods in teaching English language for two lessons. I actually observed two secondary classes ( in Gharian Area) who participated in this study. This paper discusses the identification of the instructional goals along with the cognitive tasks by which students internalize the concepts taught. The study concludes with some pedagogical recommendations for ESL teachers to consider.

### Introduction

Research into language learning has considerably enriched our understanding of the processes that take place in the classroom and the factors that influence them. Most researchers agree that, for optimal learning to occur, students need to exert a conscious effort to learn. Therefore, the teachers should activate their students' minds spontaneously and involve them in problem solving and critical thinking (Stoller, 1997). According to Anderson's (1990) cognitive theory, learners are better able to understand details when they are



subsumed under a general concept. Anderson further states that the quality of learning depends on how well the basic concept is anchored. In short, greater stability of the basic concepts results in greater learning.

A number of research studies have reported that learners need enough opportunities for communication use so that they can integrate separate structures into given concepts for expressing meanings. Spada and Lightbown (1993) hold that thinking skills operate effectively when students voice their analysis and take part in the learning process occurring in the classroom. Methodologists such as Harmer and Stoller argue that learners in the classroom should experience creative reflections through which the teacher probes their understanding to elicit answers for the questions he or she poses. In this way, students can lay the foundations for their internal representation of the target language, which can allow effective learning to function properly (Pica, 1994). Numerous researchers such as Chaudron (1988) further document the benefits of involving students in the learning process. These investigators found that students taught by teachers who actively involved them in lessons achieved at higher rates than those in traditional classes.

The effectiveness of deductive and inductive approaches, aiming at maximizing the students' opportunity to practice thinking skills, has been investigated in empirical studies. *Deductive* learning is an approach to language teaching in which learners are taught rules and given specific information about a language. Then, they apply these rules when they use the language. This may be contrasted with *inductive* learning in which learners are not taught rules directly, but are left to discover - or induce - rules from their experience of using the language (Richards et al, 1985). Harmer (1989) ascertains that these two techniques encourage learners to compensate for the gap in their second language knowledge by using a variety of communication strategies. A number of research studies, likewise, have reported that successful learners often adopt certain learning strategies such as seeking out practice opportunities or mouthing the questions put to other learners (Peck, 1988). Inductive and deductive models offer this chance to learners because these two models foster a cooperative atmosphere among students. According to Celce-Murcia et al (1997), the communicative classroom provides a better

environment for second language learning than classrooms dominated by formal instruction.

Thus, it is not at all surprisingly that deductive and inductive approaches have met with such enthusiasm; they are intuitively very appealing. Students can learn best as they have achieved basic comprehension and can accept feedback in the form of their production in meaningful discourse. There must be opportunities when students in the classroom use language to communicate ideas and not just listen to their teachers. Learning deductively and inductively is among the communicative approaches that encourage students to communicate fluently Harmer (1989).

In Section 1 and 2 that follow, I report briefly on the process of two lessons; one an inductive grammar lesson, the other, a deductive grammar lesson. This is then followed in Section 3 with a pedagogical overview of issues that arose from my observation of these two lessons.

### **1. The Features of the Inductive Technique Used in a Grammar Lesson**

The lesson begins by confronting the students with a stimulating problem, and they are then told to find out how it can be resolved. The confrontation is initiated first verbally, then the teacher writes a group of words on the board linked to the oral discussion he conducts. As the students react, the teacher draws their attention to the significant points he wants to present through his questioning. When the students become interested in, and committed to the lesson, and begin to offer reasoned interaction amongst themselves and with the teacher, the latter is able to lead them towards formulating and structuring the problem for themselves. Finally, the students analyze the required concept and report their results.

#### **1.1. The Lesson Plan**

a. Concept to be developed:

How adding "-ing" to an English word consisting of one syllable can change its spelling.

b. Instructional Goals

- Students will construct the rule that when adding "-ing" to words, the final consonant is doubled if preceded by a short vowel sound, but not if preceded by a long vowel sound.

- (ii) Students will provide the teacher with examples that show their understanding of the rule.

### 1.2. Report on the Cognitive Underpinnings of the Lesson

#### a. Concept Formation

##### Introduction

Step 1: The teacher started his lesson with a warm-up exercise making students recognize the difference between a short vowel sound and a long vowel sound. He gave examples of short vowels like: /e/ as in get, /i/ as in bin, /ʌ/ as in but, and long vowels /i:/ as in meet, / ɔ: / as in moon, /ai/ as in my.

##### Data presentation

Step 2: The teacher continued the lesson by writing relevant words on the board that contain short vowels and long vowels such as:

- *cut, wed, map*
- *yawn, fight, tour*

He prompted the students to respond to what he had written by asking several questions, such as:

- *Phonetically speaking, can you tell me something about these words?*
- *Which words belong together? Why? How would you group these words?*
- *What did you notice?*

These open-ended questions got all the students to participate; thus, students' attention was constantly maintained.

#### b. Interpretation

Step 3: Identifying Critical Relationship: The teacher posed questions that were focused on the notion that all the verbs concerned had one syllable, some of which contain short vowels whilst others contain long vowels. After eliciting good answers for the questions posed, he then added additional letters to the written words that, again, led the students to reconsider their decisions. The list on the board appeared as follows:

- *cutting, wedding, mapping*
- *yawning, fighting, touring*

Again, the teacher generated new observations and discussion that made

the students see the difference and identify the critical relationship between words containing short vowels and their spelling in their present participle form. Some of the probing questions he asked were as follows:

- *What happened to the words after adding "-ing"?*
- *What does this tell us? What can we conclude about similar verbs?*

As the lesson proceeded, the process of observing and describing evolved

naturally into making comparisons and inferences. Thus, the students

reached the desirable conclusion that their teacher wanted them to

comprehend

and apply.

c. Applications of Principles

Step 4: Having made students understand the rule, the teacher instructed

them to relate what they found out in the lesson and to give him examples

of their own. Then, he divided the class into several groups and had them ask each other to verify the rule and give reasons for their verification. Finally, an assignment was given to be turned in and discussed for the next day. This assignment consisted of a short story containing numerous examples of the structure concerned, and students were asked to identify the relevant verbs, explain their meanings, and present them in various forms (first person present continuous, gerund, third person past continuous, see *figure 1* and cf. Azar, 1993).

Common Uses of the Structure

Deductive and Inductive English Grammar...

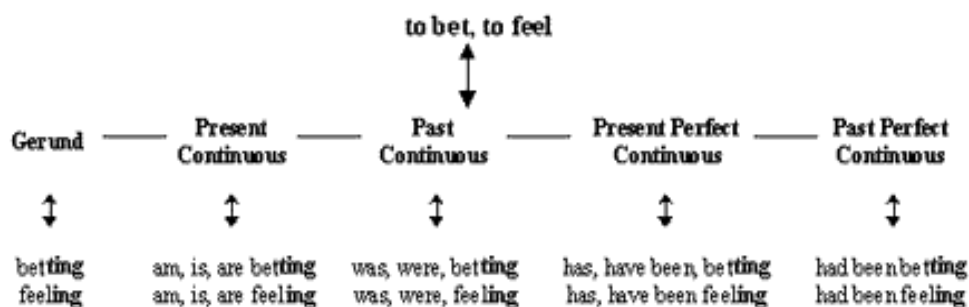


Figure 1

**2. The Features of the Deductive Technique Used in a Vocabulary Lesson**

This model is the inductive model's counterpart. The lesson begins by a presentation in which the teacher introduces the concept to be taught directly. The students should not have difficulty digesting the concept due to the teacher's clarification of it. To reinforce students' understanding and make sure that the students are following, the teacher writes examples and non-examples of the concepts on the board. An explanation is offered as to what the rule entails, and students are given the task of identifying the correct examples. Finally, the teacher asks students to generate their own examples, and report back their findings to the class.

**2.1. The Lesson Plan #2**

- a. Concepts to be Developed:  
The definition of antonyms and synonyms, and the difference between them.
- b. Instructional Goals:
  - (i) Students will compare word pairs, namely antonyms and synonyms, and the distinction between them.
  - (ii) Students will provide the teacher with examples that show their understanding of the concepts.

**2.2. Report on the Cognitive Underpinnings of the Lesson**

- a. Presentation of the abstraction  
Step 1: In this phase, the teacher stated the objective of the lesson clearly by defining the concepts and applying them to adjectives with which the students were familiar. The definition were like this:

- Synonym is a word pair that means the same. (wealthy, rich)
- Antonym is a word pair that means the opposite. (strong, weak)

Next, he displayed the following structural outline on the overhead projector to capture the students' attention, (see *figure 2*).

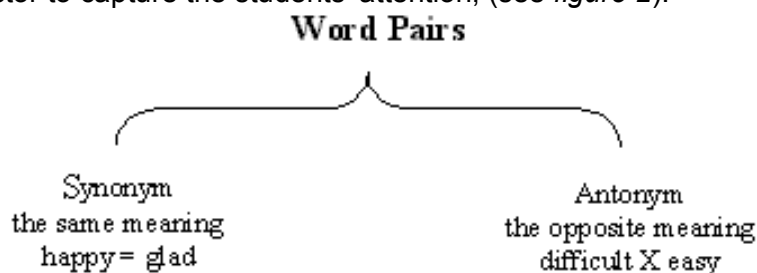


Figure 2

b. Interpretation

Step 2: The abstraction was further illustrated with a number of examples. The teacher first wrote words on the board in two columns, using adjectives like *famous, cause, confused, alive, upset, wonderful, reason, well-known, dead, calm, lost, and terrible*. These words represented a variety of adjectives which could be sorted out into synonym or antonym word-pairs. He then proceeded to ask students whether the words belonged - or did not belong - to the concepts of antonym and synonym as had been explained at the beginning of the lesson. He asked students to use their knowledge to match the adjectives, asking questions like:

- Do these two words "reason", "alive" *belong together*?
- What matches the word *lost*?
- What can we say about words like *famous and well-known*?
- *Using our new understanding of word-pairs, what can we deduce about a word-pair like dead and alive?*

c. Applications of the Abstraction:

Step 3: This phase is identical to the application phase of Step 4 in the inductive previous lesson. Students were asked to provide additional examples of the concepts on their own. The teacher asked the students saying:

- *Who can give me more examples of synonyms?*
- *Who can give me more examples of antonyms?*

Step 4: The lesson ended with the teacher asking the students to sum up what they learned throughout the lesson saying:

*Today, we have learned about word pairs which are divided into ... and ... Synonyms mean ... and antonyms mean .... Examples of synonyms are ... ,... and examples of antonyms are ,...,... .*

Finally, an assignment was given to them to be turned in next day. This consisted of a story written by the teacher, rich in similar and contrasting adjectives. The students were asked to find the synonyms and antonyms contained in the story, and to match them.

### 3. Pedagogical Considerations

It was obvious that the development of thinking and linguistic skills was the major pedagogical goal of both techniques, inductive and deductive. As the teacher embarked on the lesson and classified examples, students were encouraged to hypothesize, compare, construct, and generate. Students' participation in both models indicated their comprehension of the information being presented. Hence, it is possible to proclaim, in the light of the above study, that these two strategies can spur students to have confidence in their target language and exploit it for communicative ends. Both techniques relied on clear examples and both depended on the active involvement of the teachers in guiding their students' learning. If used properly, both strategies would play an efficient role in helping learners develop both fluency of behavior and understanding of the foreign linguistic system.

However, it is safe to say that an inductive method involves students more in an *analytical* study of the language than the deductive method does. In addition, from my observation of the lesson in question, this method seems to be highly motivating and extremely beneficial for the students' understanding of the materials presented to them. The thinking skills that students employed in the inductive model were far more demanding than those used with the deductive model. This observation brings with it the issue of whether or not it requires more experienced and advanced students. Its effectiveness also counts on the teacher as an active leader in guiding students when they process the information.

On the other hand, the deductive model is less open-ended than the inductive model, and, consequently, it sacrifices some of the

motivational characteristics inherent in an inductive technique. It is obvious that the comparison of the process and the product of the two lessons that the attraction to a sense of the unknown - which is intrinsic within the inductive method - is lost in the deductive model. Hence, it was difficult, sometimes, for the teacher to recapture the attention of the student who had momentarily wandered.

However, the above conclusions do not negate the fact that both techniques, inductive and deductive, are worth consideration by all language teachers. Effective use of these strategies would enable teachers to experiment with their teaching methods in order to seek improved performance by their students.

### References

- Anderson, J. (1990) *Cognitive Psychology and its Implications*. New York: W. H. Freeman.
- Azar, B.S. (1993) *Chartbook: A Reference Grammar \ Understanding and Using English Grammar (2<sup>nd</sup> Edition)*. Prentice Hall Regents.
- Celce-Murcia, M., Dornyei, Z., & Thurrell, S. (1997) *Direct Approaches in L2 Instruction: A Turning Point in Communicative Language Teaching?* TESOL Quarterly, 31: 141-152
- Chaudron, C. (1988) *Second Language Classroom*, Cambridge Applied Linguistics.
- Harmer, J. (1989) *Teaching and Learning Grammar*. Longman.
- Peck, A. (1988) *Language Teachers at Work*, Prentice Hall: International English Language Teaching.
- Pica, T. (1994) *Questions From the Language Classroom: Research Perspective*. TESOL Quarterly, 28(1): 49-79.
- Richards, J., Platt, J., & Weber, H. (1985) *Longman Dictionary of Applied Linguistics*. Longman.
- Spada, N., & Lightbown, P. (1993) *Instruction and Development of Questions in the L2 classroom*. Studies in Second Language Acquisition, 15:205-224.
- Stoller, F. L., (1997) *Project Work: A Means to Promote Language Content*. English Teaching Forum. Vol. 35/4.
- The Internet TESL Journal, Vol. VI, No. 10, October 2000  
<http://iteslj.org/>
- <http://iteslj.org/Techniques/Al-Kharrat-Deductive/>



## Some Translation Problems face Students to translate from English into Arabic

Prepared by: Kelani S. Elkelani  
University of Zawia /Faculty of Arts

### Abstract

This paper aims to describe s the concept of translation, the significance of translation and some problems which the students are facing during the process of translation. It is known that translation is important as a source of diffusion of knowledge of every kind. Knowledge of the target language is crucial for successful English Arabic translation. The ability to choose the correct translation technique is an indispensable skill; therefore it is essential for translation students to be aware of why a particular technique is used. It is obvious that translation subject is not easy for students to learn because they are suffering from the weakness of word equivalents, grammatical problems, sentences structure, collocations, proverbs and translating idioms. The problems of translation make the students take time more than the usual in translating the texts because of the difficulties that they face in their translation make them unable to do the job easily.

### 1. Introduction

English language becomes famous and familiar during the last century. Teaching English as a foreign language is very important not like the other language because it essential in different areas of live, such as business keeping up with the technology and so on. Translating from one language to another is useful because translation "takes place in the context of the relations between two cultures, two worlds of thought and perception"(Delisle, 1988: 74). Furthermore, teaching and learning translation subject is important to people who do not speak the same language, or they are not from the same speech community to communicate effectively. Translation is considered as a remedy for such communicational problems. Translation is "the process of transferring a written text from source language (SL) to target language (TL)" (Hatim & Munday, 2004: 6). This paper presents the difficulties that face students to translate English texts into Arabic and vice versa. Differences between languages are not only related to the linguistic system, but involve differences in the speakers' interpretation and understanding of the world they live in (Abdul-Fattah,

2001). Moreover, it also offers solutions of some translation problems in order to help students to translate well.

## **2. Understanding Translation Problems**

The term translation itself has several meanings: it can refer to the general subject field, the product or the process. The process of translation between two different written languages involves the translator changing an original written text in the original verbal language into a written text in a different verbal language (Bassnett, 2002). Throughout the process of the translation, the students may encounter some problems which may hinder them to translate any text from one language to another. Newmark (1988:05) argues that translation "is rendering the meaning of a text into another language in the way that the author intended the text." Translation is an important subject for students to learn because it is considered as the principle means of communication between people who do not know the language of each other. "A translation problem is any difficulty we come across at translating, that invites us to stop translating in order to check and recheck, reconsider or rewrite it, or use a dictionary, or a reference of some kind to help us overcome it and make sense of it" (Ghazala, 1995:17). Although translation is always possible, it may for various reasons not have the same impact as the original" (Newmark, 2003: 6).

### **2.1. Lexical problems**

The literature shows that one of the most difficulties which encountered university students is lexical problems. This difficulty occurs during the translation process to find the equivalence of some lexical items (Zagula, 2003). The students may not find the equivalent word, also they may be confused in the first time because of some words have many meanings, that lead to the confusion of selecting the exact equivalent. Therefore, students should look for the context of the translation, also "these problems occur when a word, phrase or an expression is not understood clearly and directly, misunderstood not known at all to students, or not found in standard dictionary"(Ghazala, 1995:19). The following are the most important lexical problems; literal translation, polysemy and monosemy, collocations problems, idioms, word order and solutions are discussed below.

#### **2.1.1. Literal translation**

During translation process, literal translation is one of the difficulties that the university students confront, which refers to several causes."In literal translation proper, the denotative meaning of words is taken as if straight from the dictionary (that is out of context), but TL grammar is respected.

Because TL grammar is respect, literal translation very often unavoidably involves grammatical transposition"(Dickins et al, 2002:16). Moreover, this kind can concentrate more and more on the surface structure rather than the content, it defined as the following; it is a "method in which the translator focuses more on the form not on the content"(Ibid: 2002: 04). Moreover, words are used together in special combination, texts and contexts. It means that the words cannot work in isolation. These words keep their direct literal meaning, even when they occur with one another. However, literal translation is sometimes possible and acceptable.

### **Synonymous**

Translation of synonymy is another difficult issue face the university students. It means the sameness. "Synonym is the sameness, or the similarity of meaning between two or more words, such words are described as synonymous, or synonyms, for example "Big", "large" and "huge" are synonyms "Ghazala, 2008:89). A word or a sentence has more than one equivalent. Students confused in choosing the suitable equivalent word because it is hard task for them to choose the precise one during the translation. Some examples show synonymous difficulties are presented below:

- "He is angry." (هو غاضب)  
"He is annoyed." (هو متضايق)  
"He is disturbed." (هو منزعج)  
"He is inconvenient." (هو غير مرتاح)

It is obvious from the examples above that there are different words in English and one word in Arabic. This proved that students can not find the precise synonymous word in Arabic. This can be described as the precision of translation, however, "the problem for the students is that it is a hard task for them to find the precise synonymous word in Arabic" (Ghazala, 2008: 92). The suggested solution for this problem is that:

- Students have to distinguish the precise synonymous word in Arabic.
- Distinguish the general level of the meaning of the word and translate it.
- To translate any word in the same lexical set into the general name.

### **Polysemy**

It means the word has more than one meaning. For example, the word "break", it has many meanings. The students may know "يكسر" as the common meaning of the word "break". Here "break" is as a verb, but "راحة"

is also means break in English. These more different examples about the word “break”: “Some people break the law”, its translation is “يخرق بعض الناس القانون”. This is another example for the word “break” “علينا التوقف من اجل الغداء” in English, “We must break for lunch”. However, students should know the different meanings of the word and should know if the word is a verb or s noun etc (Hatim& Munday, 2004). The differentiations of meanings of one word make problems for students when translate. To overcome these problems of translation polysemic word, students can use the following points:

- Students are required to bear in mind that there are some words have several meanings, which makes it difficult to translate it into its common meaning.
- The type of the text is another good quid to students. For example, in a text about birds, the word “sound” is likely to have its common meaning “صوت”. Also in a passage about phonetics “sound” is the meaning of “صوت”, in geographical texts, rivers, seas, etc. “sound” is not expected to have the meaning of (صوت), but rather something geographical.
- The context can also be decisive in guessing the more likely meaning of a polysemous word. The context means that, we must look at the preceding and following sentences, or clauses. Moreover, the general context of the whole text should be also taken into consideration.

## **2.2. Problems of Translating Collocations**

A collocation is the way words combine in language to produce natural-sounding speech and writing. It is considered as a combination of words in a language that happens very often and more frequently that word happened by chance. Collocation is "an occurrence of one word in close proximity with another. 'Pretty' and 'handsome', for example, have a shared sense of 'good Looking'" (Baker,1992:71). For example, in English you say strong wind but heavy rain, it would not be normal to say heavy wind or strong rain. Collocations are very important in language, they play a vital role. The main problem for the students is to find the proper Arabic equivalent collocation, especially that the collocations are existing in the English language, another problem in translating collocations is understanding them very well as fixed expressions in Arabic language. Therefore, students should to attend seriously to them. The main problem for students is to find the suitable and correct Arabic equivalent collocation.

Moreover, Ghazala (2004) states that although translating collocations is a very interesting part or task of the translator's job, it is actually a challenging and demanding one. Rabeh (2010: 4) found that Arab students made grave mistakes in translating collocations, and that there were two reasons for such mistakes. "First, students adopt literal translation as the main translation method. Second, students do not give enough importance to collocations which belong to another culture and language." According to Benson (1985), there are several types of collocations. The classification of these types is pure grammatical, depending on the grammatical groupings of word classes according to their occurrence together in language use. The adoption of grammatical description makes the structure of collocations easier to follow, understand, and hence, easy to translate. These are some of the important collocations problems and some suggested solutions:

### 2.2.1. Adjective + noun collocations

Most of the following examples can be found in both English and Arabic, usually these collocations are translated into identical Arabic collocations (noun + adjective).

Examples:

- "black market" (سوق سوداء)  
"idle talk" (كلام فارغ)  
"Warm reception" (استقبال حار)

Many examples can be found in both English and Arabic for this most popular type of collocation. Usually, these collocations are translated into identical Arabic collocations (Noun+ adjective) as the examples show. This is possible in most cases, and students should be encouraged to do their best to find the equivalent collocation in Arabic (Ghazala, 2004). However, there are collocations in English which do not have identical ones in Arabic:

Examples:

- "peaceful death" (موت هادي)  
"Good day" (يوم سعيد)  
"Bad news" (اخبار سيئة)

The Arabic versions are not widely recognized collocations; they can be called semi- collocations, or just translations. The main problem for students is to find the proper Arabic equivalent collocations. At least, they just translate the collocation at hand correctly and suitably into Arabic. Moreover, special adjective-noun collocations are used to describe bad, inedible food.

Examples:

- “addled eggs” (بيض فاسد)  
 “Bad milk” (حليب فاسد)  
 “Putrid meat/fish” (لحم سمك فاسد)

These collocations pose some problems to students of translation into Arabic, because it is difficult to find Arabic equivalents for the English adjectives (Benson, 1985). The problem, here, is easy to overcome. The solution is simply to use the adjective (فاسد / فاسدة) with all kinds of bad food.

### 2.2.2. Verb + Noun Collocations

The central point here is to match certain verb with a certain noun in Arabic.

Examples:

- “Pass a law” (يسن قانونا)  
 “Win confidence” (يكسب الثقة)  
 “Pay attention” (يلفت الانتباه)  
 “Exert an effort” (يبذل جهدا)

The central point, here, is to match a certain verb with a certain noun in Arabic (as the examples show). We usually say (يبذل جهدا) not (يقدم جهدا); (يكسب الثقة) not (يعلم درسا); (يلقن درسا); (يصنع يمرر قانونا) not (يسن قانونا) (يربح الثقة) The problem for students with these collocations is to spot the suitable verb in Arabic. They can translate them into their meanings: For example (يحزر انتصارا) instead of (يفوز); (يصدر قانونا) instead of (يسن قانونا); (يلفت الانتباه) instead of (ينتبه)

As for the grammatical structure of these collocations in Arabic, it is mostly a verb + noun (or a verb + an adj). Yet, few exceptions can exist:

Examples:

- “pay a visit” (يقوم بزيارة)  
 “shake hands” (يصافح)

### 2.2.3. Noun + Noun Collocations

Examples:

- “brain drain” (هجرة الادمغة)  
 “Death sentence” (حكم الاعدام)  
 “Honey moon” (شهر العسل)  
 “Essay bank” (بنك المعلومات)

These collocations usually have equivalents in Arabic, but with different grammatical structures. Two dominant structures are available in Arabic: (a) “noun + adjective” e.g. “State university” (جامعة حكومية)

### 2.2.4. Adverb + Adverb Collocations

Examples:

“wholly and heartedly“ (بالتمام والكمال)  
 “Secretly and publicly“ (في السر والعلن/ سرا وعلانية)  
 “willy nilly“ (رغم انفه / شاء ام ابى)

The three Arabic translations are collocations but have different grammatical structures. They are grammatically different from the English collocations.

### 2.2.5. Noun + Verb Collocations (names of sounds)

Examples:

“Bees buzz“ (دوي النحل)  
 “Bells ring/ toll“ (رنين الاجراس)  
 “Cats mew“ (مواء القطط)  
 “Dogs bark“ (نباح الكلاب)

These collocations are not difficult to translate into Arabic collocations; the problem for the students is to be able to recognize the sound of the animal, insect or thing required in Arabic (Benson, 1985). The solution is to know the name of the sound in question in the target language which is possible for students. For example, using the word (الصوت) as a general word to describe the sound of anything is poor and unadvisable ("صوت النحل" صوت صوت "صوت الجرس", "القطط"). On the other hand, the grammatical structure in Arabic is "a noun + a noun" (i.e. genitive), not "noun + a verb" as in English. Yet, a noun and a verb construction are possible in Arabic if the context requires that. E.g.: 'I heard the dogs bark last night' (سمعت الكلاب تنبح ليلة امس).

### 2.2.6. Noun+ Preposition Collocations

Examples:

“A claim for“ (ادعاء ب)  
 “A protest against“ (احتجاج على)  
 “A pride in“ (تفاخر ب)

Predictable examples are not included, e.g.: “conversation about“ (حول / اقتراح يتعلق ب/ بخصوص) (محادثة عن); “a suggestion concerning“ (تقترح بالالفاظ) (تقترح ب). The students should beware of the direct translation of the preposition (Ghazala, 2004). We do not say in Arabic (تلاعب بالالفاظ) but (تلاعب بالالفاظ); (تفاخر ب) but (تفاخر في). The problem is to spot the suitable preposition after the noun in Arabic. This needs to be done regardless of the preposition in English. The solution is the students' increasing interest in Arabic prepositions, and their unusual use in context. The problem for students with these collocations is to understand them rightly as fixed expressions in Arabic. The solution is to exert some efforts to get the

appropriate translation in Arabic, bearing in mind the risks of direct translation. Usually, good dictionaries include such collocations.

### 2.3. Problems of translating special fixed phrases

According to the researcher experience as translator teacher, translating fixed phrases is one of the biggest problems that students face. Special phrases are phrases with special meanings which cannot be understood from the direct meaning of their words nor from their total meanings when taken together such as idioms and proverbs. A fixed phrase is a phrase which cannot be changed, interrupted or reversed. Baker (1992: 64) believes that "A person's competence in actively using the idioms and fixed expressions of a foreign language hardly ever matches that of a native speaker. The majority of translators working into a foreign language cannot hope to achieve the same sensitivity that native speakers seem to have for judging when and how an idiom can be manipulated." The following are some examples of idioms which can be translated directly and indirectly:

#### *Direct idioms*

Examples:

"A true friend does not stab the back" الصديق الحقيقي لا يطعن في الظهر

"You scratch my back and I scratch yours" كل وو كل

"He serves two masters" يلعب علي الحبلين

"Let us turn a new page" لنفتح صفحة جديدة

This kind of idioms is easy to translate for two reasons:

- Such idioms are favorable for the students as well as for some pedantic teachers. Therefore, their translation is interesting for both.
- The idioms of this kind have direct and indirect equivalents in Arabic.

#### *Indirect idioms*

Examples:

"How nice to remember your palmy days" ما اجمل ان تتذكر ايام العز

"My nice is so selfish. She is a dog in the manager" ابنة اخي انانية جدا.

انها لا ترحم ولا تدع رحمة ربي تنزل

"The two runners were neck and neck in the race" كان العداء ان جنباً الي

جنب في السباق

This kind of idioms is not easy to translate for students, because they are entirely indirect and cannot be understood from the direct, common meaning of the words (Abdul Wahhab, 2002). The problem will be clear for students when these idioms are translated literally and directly. Therefore, students



should be careful to translate any idioms.

#### 2.4. Word order problems

The changing in the position of words and sentence's structure considered as one of the grammatical problems during the translation process, because what can be started with in one language, it could not in another language (Bahumaid, 2006). The word order in Arabic is sometimes different from that in English whose normal order is as the following:

In English: Subject – verb – object or complement.

In Arabic: There are two types:

Nominal word order: topic and comment. مبتداء وخبر

- Verb word order: verb – subject or complement.

The literal word –for- word translation of English into Arabic by students results in an English word order of subject- verb- object or complement.

Examples:

“The sky was cloudy.” السماء كانت مليدة بالغيوم

“The students enjoyed their holiday.” استمتع الطلبة بعطلتهم

To overcome such these problems, in a verbal sentence, English word order should be replaced by the Arabic word order of: verb – subject – object or complement.

Generally speaking, possible solutions for the translation of English collocations into Arabic suggested by Ghazala (1995) when he stated that tracing the identical collocations in Arabic, if and when available. He added that in case that an identical collocation is not found in Arabic, a close collocation can be suggested. For example “straying sheep” is (غنم قاصية) but when students cannot get it, they can suggest a close alternative like (غنم (شاردة). Ghazala also suggested that a direct meaning should be translated into a direct meaning, and an indirect meaning into an indirect meaning in Arabic (especially the collocation of similes). For example, it is not advisable to translate “as swift as an arrow” into a direct meaning as

اسرع من لمح البصر اسرع من البرق ( اسرع جدا), but into an indirect meaning as (اسرع من السهم).

Moreover, when students are unable to find a solution, they escape with a blind, direct translation which may result in a wrong, funny Arabic version. For example, “hard currency” is (عملة صعبة) but if it is translated into (عملة قاسية), it will sound strange and funny. Likewise, “brain drain” cannot be translated into (تصفية الادمغة) because it is unclear and may bring to mind irrelevant dimensions of meaning in Arabic.

## 2.5. Conclusion

The paper shows that each problem of translating from English into Arabic has its own way to be workout according to its kind and text. The student has to find a solution of some kind of problems, in order to be able to continuous his translating task, without finding solutions, one cannot translate. Lexical problems, problems of translation of collocations, solutions of collocations problems, problems of the translation of special fixed phrases, grammatical problems, word order problems and solutions were presented in this paper for professional development. Therefore, students are required to be extra sensitive, cautious, and highly interested in spotting the proper collocation in the target language when available. Using English language for students is essential to discover and correct their mistakes when they translate from English into Arabic and vice versa.

## 2.6. References

- Abdul-Fattah, H. (2001). Collocations: A Missing Link form Jordanian Basic Education Stage English Language Curriculum and Pedagogy. *Dirasat*, 28:2, 582.596. University of Jordan.
- Abdul Wahhab, S. (2002). *Understanding and usage of English idioms: A problem encountered by Jordanian EFL learners (Master's thesis, Yarmouk University, Jordan)*.
- Bahumaid, S. (2006). Collocation in English-Arabic Translation. *Bable*, 52:2, 133-152.
- Baker, M. (1992). *In other words: A coursebook on translation*. New York: Routledge
- Bassnett, S. (2002). *Translation studies*. London: Routledge.
- Benson, M. (1985). Collocations and Idioms. *Bable*, pp. 61-68
- Dickins, J., Hervey, S., & Higgins, I. (2002). *Thinking Arabic translation: A course in translation method: Arabic to English*. London: Routledge.
- Delisle, J. (1988). *Translation: An interpretive approach*. Ottawa: University of Ottawa Press
- Ghazala, H. (1993). "The translation of Collocations: English- Arabic". (in Arabic) *Turjuman*, vol 2, no.2, pp. 7-33
- Ghazala, H. (1994). "Cross-Cultural Link in Translation: English- Arabic", (*turjuman*)
- Ghazala, H. (1995). *Translation as Problems and Solutions*. ELGA publication.
- Ghazala, H. (2003). *Translation as problems and solutions: A coursebook*

- for university students and trainee translators (5th ed.)*. Beirut, Lebanon: Dar wa Maktabat Al-Hilal.
- Ghazala, H. (2006). *Translation as Problem and Solution: A Course Book for University Students and Trainee Translators*. Lebanon: Beirut, Dar AlHilal.
- Ghazala, H. (2008). *Translation as Problems and Solutions, Special Edition. Beirut, Lebanon: Dar El-ilm lilmalayin*, p.24.
- Hatim, B. & Munday, J. (2004). *Translation: An Advanced Resource Book*. London and Newyork: Routledge.
- Newmark, P. (1988). *Approaches to translation*. Hertfordshire: Prentice Hall International.
- Newmark, P. (2003). *A textbook of translation*. London: Pearson Education Limited.
- Rabeh, F. (2010). *Problems in translating collocations* (Master's thesis). Mentouri University

**Mohamed Hassan Grenat**

## **The Interaction Between Meaning, Form and Function**

### **The Interaction Between Meaning, Form and Function**

**Mohamed Hassan Grenat**  
**Faculty of Education-Janzor,**  
**University of Tripoli, Libya.**

#### **Abstract**

*This paper deals with how meaning, form and function interact with each other during the processes of producing linguistic expressions that are used by the speaker to convey meanings and ideas in different communicative situations. When speakers of any language communicate with each other, they usually have something in their minds that they want to convey to each other. In order to do that, they use linguistic expressions (forms) that express different functions and meanings. To build the linguistic forms that are used to express his ideas, the speaker has to select words from his lexicon and join them to form phrases and clauses in accordance with the principles and parameters of Universal Grammar (UG) and his language specific constraints and conditions. Predicates specify a number of arguments. The specified argument(s) together with the predicate constitute the proposition that has to be realized in the form of grammatical structures. The forms that constitute the different linguistic expressions have their own semantic and categorial selectional properties that have to be satisfied during the formation of the different structures. X-bar Theory and Theta theory play a very important role in determining the internal representation and shaping the structure of the different linguistic expressions. X-bar theory provides visual representations of phrases and clauses through which a lot of constituent relations can be defined. The different grammatical functions can be defined structurally. Theta theory is concerned with assigning thematic roles to the linguistic expressions that realize the arguments specified by the predicates. All this takes place in structural representations provided by the X-bar schemata.*

*Key words: Form, Meaning, Grammatical Function, Selection properties, X-bar theory, Theta theory, Argument structure, Merger, Movement*

#### **Introduction**

Speakers of any natural language share a mental grammar which makes them capable of producing appropriate linguistic expressions needed in different communicative situations. This mental grammar consists of different components, each with its own constraints, conditions and

**Mohamed Hassan Grenat**

## **The Interaction Between Meaning, Form and Function**

principles. However, these components or modules interact with each other to serve the ultimate goal of producing well-formed linguistic structures.

It has been observed that there is a very close relationship between the meaning and the structure used to convey it. That is, the meaning or the idea to be conveyed (proposition) determines the grammatical representation of the different semantic participants involved in that meaning. On the other hand, sometimes the same proposition can be expressed in different grammatical structures, which in turn leads to changes in the form and grammatical functions of the linguistic expressions used to realize the proposition.

Speakers, when communicating with their fellow native speakers, resort to a repertoire of words (lexemes) and other listemes in their mental grammar called the lexicon. They select words from their mental dictionary to form phrases and clauses to convey different messages. These words have semantic, phonological and grammatical representations together with their categorial and semantic selectional requirements which have to be taken into consideration when using them in building structures. This paper discusses how meaning interacts with structure (form) and how form is used to express meaning and function. The first part of the paper deals with the interaction between meaning and form. The second part deals with the formation of structures used to express certain meanings, making use of X-bar theory and Thematic theory. The third part is concerned with the relation between form and function and how structures are used to serve different functions.

### **Meaning and Form**

We use language to express meaning, but it is, sometimes, very difficult for us to define meaning, for there are several dimensions of meaning. It is a well known fact that the noun *meaning* and verb *to mean* themselves have different meanings ( see Lyons, 1977:1). Within linguistics there are two fields which are concerned with the study of meaning: semantics which studies the literal meaning or the basic linguistic meaning of words, phrases and sentences; and pragmatics which focuses on language use in particular situations. Pragmatics explains how factors outside of language contribute to both literal meaning and non-literal meanings that speakers intend to communicate using language (see Kreidler, (1998) Grundy (2000) and Kempson, (2003). In this paper we limit our discussion to the linguistic

**Mohamed Hassan Grenat**

## **The Interaction Between Meaning, Form and Function**

meaning (semantic meaning) of the different linguistic forms and how it interacts with these forms in building larger constructions to express different meanings and grammatical functions.

Speakers of any language have, as one of the components of the grammar of their language, a mental dictionary (lexicon) which lists the lexemes that constitute the vocabulary of their language.

A person who has a language has access to detailed information about words of the language. Any theory of language must reflect this fact; thus, any theory must include some sort of lexicon, the repository of all (idiosyncratic) properties of particular lexical items. These properties include a representation of the phonological form of each item, a specification of its syntactic category, and its semantic characteristics. (Chomsky, 1995: 30)

These listed linguistic elements include in their lexical entries, among other things, some information about their meaning(s) or denotations. These listemes are related to each other in different ways. Some are related formally and semantically while others are related only semantically. Another important relationship found between these elements is the so called selection: words select each other categorically and semantically. When speakers form structures to convey certain messages, they select words from the lexicon and merge them to form phrases and clauses, but the selected words impose their own selectional properties on each other, one cannot just choose any words and put them together to form a constituent. The following example illustrates what we mean by this.

1. The boy wrote a letter to his friend.

Each word in (1) has a phonological form and belongs to a grammatical category. Most of the words have a semantic content, though some of them have grammatical meanings. The words *boy*, *wrote*, *letter*, *to* and *friend* are usually referred to as lexical, or content words while *the*, *a* and *his* are called functors or functional words. The words that constitute (1) belong to different lexical and functional categories. Because of their meanings and grammatical categories, they have different selectional requirements, the determiner *the*, for example, selects the noun *boy*, it cannot be followed directly by the verb or the preposition. It determines the reference of the noun, that is to say, it makes the noun refer to a specific individual (referent) in the real world. The verb *wrote*, because of its meaning and category, selects at least two participants in the action denoted by it. These two participants are usually realized as noun phrases, the heads of which must carry specific semantic features. Because the verb is finite, it must have a

**Mohamed Hassan Grenat**

## **The Interaction Between Meaning, Form and Function**

nominative subject realizing the thematic role agent or actor. The verb, because it is transitive, selects a noun phrase realizing the thematic role patient and the syntactic role or the grammatical function object. The verb also imposes some semantic restrictions on the referential expressions realizing these roles. Thus sentence (2) below is considered anomalous.

2. The cat wrote a letter to its friend.

Predicates, being central in any construction, specify the number of semantic participants involved in the activity or state expressed by them. The semantic analysis of any sentence consists of the predicate and its arguments. Thus, the different types of predicates have different argument structures, for example, there are predicates that have only one argument. On the other hand there are predicates that have more than one argument. Recall that these arguments are realized in different structural forms, there are arguments that are realized as determiner phrases, for example, while others, such as goals, can be realized as prepositional phrases. Moreover, there are arguments that are realized as clauses.

The sentence usually contains other linguistic elements which are not part of the argument structure of the predicate. However, these structural forms contribute to the meaning of the phrase or clause. For example, the italicized items in (3) are not arguments:

3. a. The dog walked *quickly*.

b. The dog barked *in the park*.

c. Mary bought an *old* dog.

d. The dog *which Mary bought* was old

The adverb in (3a), the prepositional phrase in (3b), the adjective in (3c) and the relative clause in (3d) are not arguments of the predicates, but they are adjuncts, yet they contribute to the meaning of the heads of the phrases they are contained within. The more information one wants to add to the basic meaning or proposition, the more complex the structure used to represent the meaning will be.

In language, there are many other simple and complex forms that can be added to the sentence to convey different meanings. In (3d), the relative clause, which has its own predicate, namely *bought*, and in which two

**Mohamed Hassan Grenat**

### **The Interaction Between Meaning, Form and Function**

arguments are realized, is used as a post-modifier of the phrase head *dog*. Such clauses are not used to complete the meaning of the phrase head, but rather add meaning to the phrase head they are used to modify. Thus, such grammatical structures (forms) are usually referred to in the literature as adjuncts and can be omitted without affecting the grammaticality of the sentence. The sentences given in (3), repeated below in (4), are still grammatical after the deletion of the adjuncts. They are grammatical because the constituents used to realize the obligatory arguments of the predicates and to which these predicates assigned thematic roles are still intact.

4. a. The dog walked.  
b. The dog barked.  
c. Mary bought a dog.  
d. The dog was old.

#### **Forming Structures**

It is well known that part of the speaker's knowledge of his language is his knowledge of its vocabulary items, their forms and meanings (lexical knowledge). Moreover, we know that the argument structure and the theta grid of the predicate determine the sentence structure. However, in order for the speaker to use these items (words) to convey certain messages, he has to put them in appropriate structures, following certain principles, constraints and conditions, some of which are universal, i.e. principles of UG while others are language specific.

The first syntactic operation responsible for forming structures is the so called Merger operation. In this operation, the speaker selects words from his lexicon and combine them in a pairwise fashion, i.e. merging two items at a time. Recall that each word in the speaker's mental dictionary belongs to a grammatical category. Forming sentences usually begins with lexical words which are used to head lexical phrases which in turn can be merged with functional heads to form functional phrases. Let's take sentence (5) as an example to illustrate how we form phrases and sentences.

5. That man will buy a car.

In Forming (5), the speaker first merges the noun *car* with the determiner head *a* forming a determiner phrase (DP), then the DP is merged with the verb head *buy* to form a verb phrase (VP). The VP is merged with the modal auxiliary, a tensed head, forming an intermediate projection which in turn is merged with the DP *that man*. The principle which ensures that the lexical properties of lexical items must be accurately reflected at all levels of representations is called the Projection Principle, given in (6) below.



Mohamed Hassan Grenat

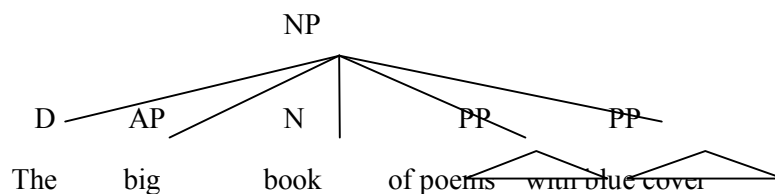
## The Interaction Between Meaning, Form and Function

### 6. Projection Principle

Syntactic representations are projections of the lexicon in that they observe the subcategorization properties of words. (Borsley, 2000: 230)

Although the projection principle ensures that the lexical properties of lexical items are reflected in all syntactic levels of representation, it does not specify how complements, for example, are structurally represented with respect to the lexical items that subcategorize for them. The mechanism which determines the structural representation of categories is called X-bar theory or X-bar schemata. The first presentation of X-bar theory was in Chomsky (1970) and it has been developed ever since in different works by many linguists ( see, Jackendoff, (1977), Radford, (1988) and Ouhalla, (1999), among other introductory syntax textbooks). X-bar schemata has not only replaced the early phrase structure rules, but it has also solved all the structural problems resulted from the application of those rules in the early versions of Transformational Grammar. The introduction of the X-bar (category-bar), for example, has made it possible for syntacticians to distinguish between complements, adjuncts and specifiers, something which was muddled up in P-markers created by Phrase Structure Rules. In (7) below, it is difficult to distinguish between the constituents in the tree diagram used to represent the NP phrase structure rule because the phrase structure rule has yielded a flat representation. The constituents are flat with respect to the head noun *book*. The complement *of poems* and the adjunct *with blue cover* are on the same level hierarchically. Moreover, the representation does not provide us with the exact number of the constituents in the NP (see Carnie, 2002).

7. NP → (D) (AP) N (PP) (PP) (Carnie's (2))

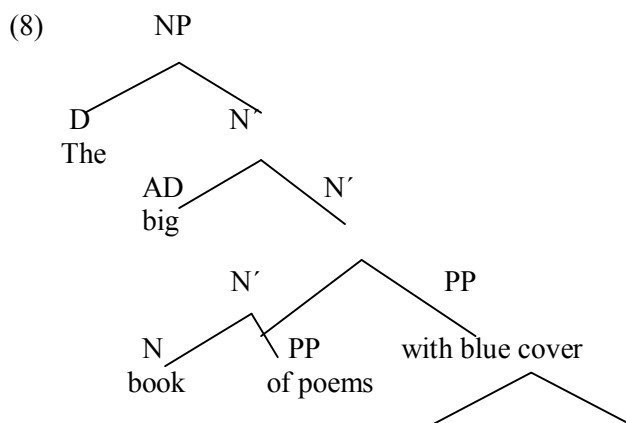


Now let's illustrate how X-bar theory provides an adequate representation for the same NP, and thus accounting for the empirical inadequacies of the phrase structure rule representation. In the tree diagram representation given in (8) below, the structural relations between the constituents of which the

Mohamed Hassan Grenat

### The Interaction Between Meaning, Form and Function

NP is composed is very clear and well-defined. This is due to the introduction of N-bar level in the representation. For example, now we can differentiate between the complement of *poems* and the adjunct *with blue cover*: the complement is contained within the lower N-bar, i.e. it is dominated by it and the complement is a sister of the head noun *book*. On the other hand, the adjunct *with blue cover* is contained within the second N-bar, i.e. it is adjoined to the first N-bar. Therefore, the complement is closer to the head while the adjunct hierarchically is higher than the complement and immediately dominated by the second N-bar. The head complement-relation and head-adjunct relation are defined structurally.



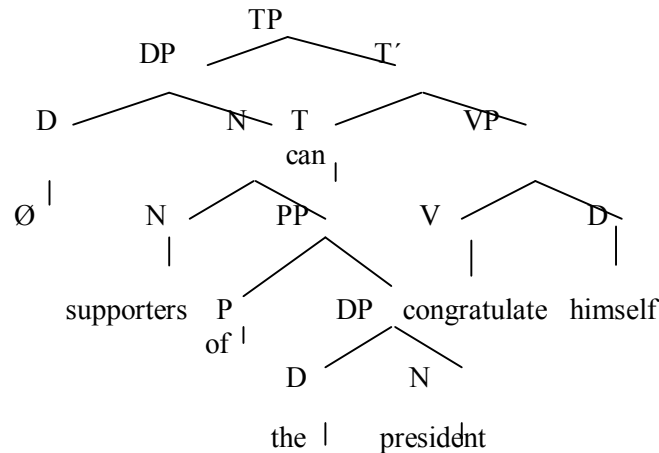
X-bar schemata provide configurational relations over which a great number of universal and language specific structural relations as well as syntactic notions can be defined. For example, grammatical functions such as subjects and objects are now determined structurally according to X-bar theory: subjects appear in specifier positions which are sisters to X-bar, while objects are sisters to the head (X) and daughters of the first projection of the head. Moreover, as shown in (9), for example, syntactic notions, principles, and conditions that are used to account for syntactic representations and constraints are defined and explained by making use of X-bar schemata.

Mohamed Hassan Grenat

## The Interaction Between Meaning, Form and Function

9. \*Supporters of the president can congratulate himself.

10.



Sentence (9) violates c-command condition on binding, given in (11) below.

11. C-command Condition on Binding

A bound constituent must be c-commanded by an appropriate antecedent  
(Radford, 1997: 115)

To see how (9) violates c-command condition on binding, let us first give a definition of c-command adopted from Haegeman (1994: 122).

12. C-command

Node A c-commands node B iff

- (a) A does not dominate node B and node B does not dominate node A, and
- (b) the first branching node dominating A also dominates B.

(9) violates c-command condition on binding because as shown in its representation given in (10), the first branching node dominating the node containing the appropriate antecedent *the president* does not dominate the node containing the anaphor *himself*.

X-bar theory interacts with all other modules of grammar (see Weibelhuth, 1995), but, in this context, it is closely related to Theta theory, the theory that plays an important role in deriving and shaping linguistic structures. Theta theory is concerned with the assignment of thematic roles to the arguments specified by the predicate. Recall that each argument in the argument structure of the predicate has a thematic role and the semantic analysis of the sentence consists of the predicate and its arguments. The

Mohamed Hassan Grenat

## The Interaction Between Meaning, Form and Function

principle responsible for assigning thematic roles to the arguments of the predicate is called the Theta Criterion, given in (13).

### 13. Theta Criterion

Each argument must be assigned one and only one thematic role, and each thematic role must

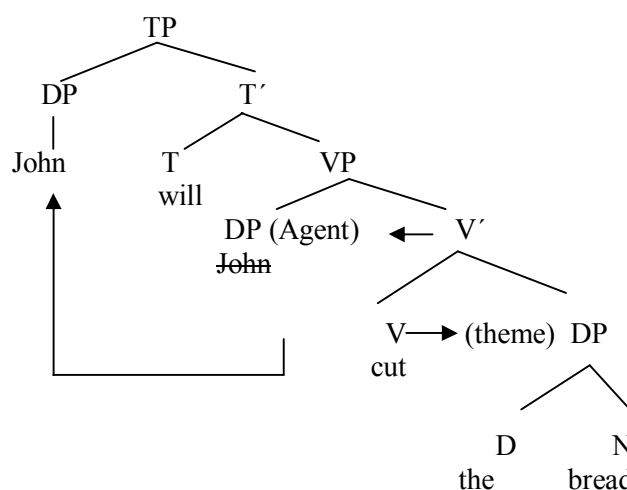
be assigned to one and only one argument.

However, the assignment of theta roles is determined by another UG principle, namely the Locality Principle which is well-defined according to the representations produced by X-bar schemata. To show how X-bar theory and the Locality Principle collaborate to ensure that the thematic roles are assigned to appropriate constituents that realize the arguments of the predicates, let us examine the process of theta role assignment in (14) below.

### 14. John will cut the bread.

The three diagram representing (14) is given in (15).

### 15.



In (15), the verb *cut* assigns the theta role *theme* first to its complement *the bread* which realizes the internal argument, then the internal argument and the head verb which are immediately dominated by the V-bar assign the theta role *agent* to the external argument *John* in spec VP, assuming that subjects in English originate in the spec VP (VP internal subject hypothesis) then they move to spec TP (see Radford, 2004, among others). Notice here that the theta role assignment is local, i.e. it takes place within the VP.

**Mohamed Hassan Grenat**

## **The Interaction Between Meaning, Form and Function**

Notice that X-bar phrase representations are also used to distinguish between the notions external and internal arguments.

The other syntactic operation which is employed in the derivation of syntactic structures is movement. We have seen how the operation select and merge is used in deriving phrases and clauses through selecting words from the lexicon and combining them in a pairwise fashion, i.e. according to the Binariness Principle. Another way of expanding our derivation is through moving elements from positions inside the structure to other positions. The general principle behind this operation is usually referred to as Alpha Movement, given in (16).<sup>16</sup> Alpha Movement Move  $\alpha$  ( where  $\alpha$  is a category variable, i.e. designates any random category you choose) (Radford, 1988: 537)

There are different types of movement, for example, head movement, wh-movement, argument movement and adjunct movement. In more recent work on movement, it is assumed that the movement operation involves two phases: first a copy of the element to be moved is made, then the copy is moved and the original element is deleted. Thus, the whole process is now referred to as copy theory of movement (copy-merge and copy-delete). Let us see how the following sentences can be derived:

17. Will John cut the bread?

18. What will John cut?

19. The car was stolen.

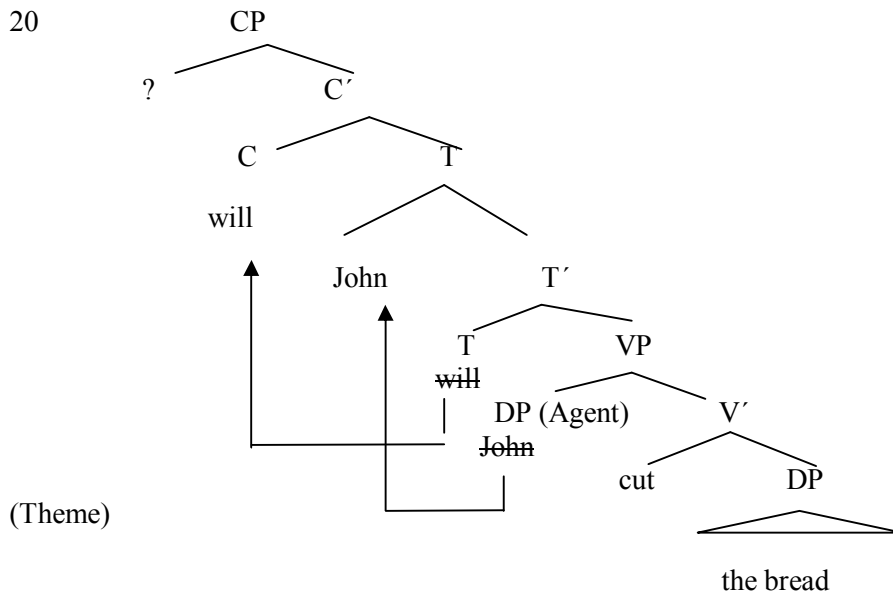
In (17), the derivation process goes like this: first the determiner *the* and the noun *bread* are merged, i.e. combined to form the DP *the bread*, then the DP is merged with the verb *cut* to form a V-bar, a projection of the head *cut*, the head assigns the theta role Theme to its complement, then the V-bar is merged with John to form a maximal projection VP. The subject *John* occupies the specifier position in the VP and it is assigned the theta role Agent. The VP is merged with the auxiliary *will* to form the intermediate functional projection T-bar. Because the auxiliary is a finite T head, the T-bar, according to the Extended Projection Principles (EPP) (see Radford, 2004: 73), extends into a maximal projection TP. The thematic subject moves to spec TP to satisfy the EPP and to check its head features against the spec features carried by auxiliary. The auxiliary (the tense head) moves to the complementizer head position (head to head movement) deriving a yes/no question structure. In (18), the same processes of derivation used to derive (17) are utilized together with an extra movement operation that moves the wh-question (operator), which is base-generated as the

Mohamed Hassan Grenat

### The Interaction Between Meaning, Form and Function

complement of the head verb *cut*, to spec CP. (19) illustrates the movement of the internal argument *the car* to spec TP (argument movement). Recall that during the derivation theta roles are assigned to the arguments selected by the predicate. Thus, when the complement (internal argument) in (19) moved to the subject position, it was already assigned the thematic role Theme. Therefore, the subject (grammatical subject) in the passive, though it occupies the canonical subject position, is semantically interpreted as a logical object. This is a good example of how meaning and form interact. Moreover, this lends support to what has already been formulated in some syntactic principles such as the Projection Principle and the Uniformity of Theta Assignment Hypothesis (Baker, 1988). The following tree diagram representations show the different types of movement manifested in the above sentences respectively.

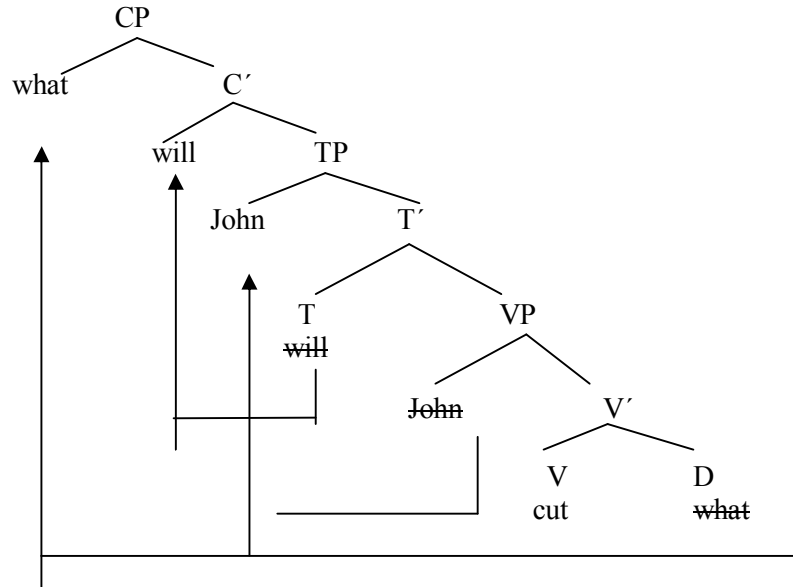
20



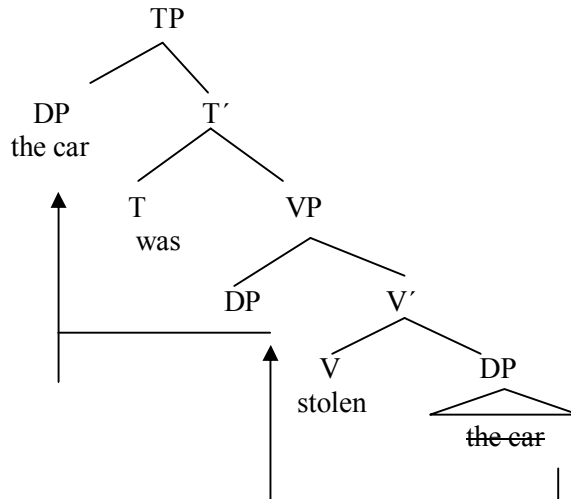
Mohamed Hassan Grenat

The Interaction Between Meaning, Form and Function

21



22



**Mohamed Hassan Grenat**

## **The Interaction Between Meaning, Form and Function**

All in all, structures whether are simple or complex are basically derived by these two major syntactic operations, Merger and Move &, taking into consideration other principles, parameters and conditions of UG and language specific constraints and conditions.

### **Function**

As mentioned above, making use of syntactic operations, together with observing UG principles and conditions, we build different structures. We start by deriving phrases and end up by forming different simple and complex clauses. The purpose of deriving these different structures is to use them to convey different meanings and to serve different grammatical functions. In this section, we discuss some of the basic functions such as subject, object (DO/IO), complement, adjunct, etc., how they are realized by different forms (structures), and how these functions are, once again, defined structurally and semantically.

In the first part of this paper, we discussed the selectional properties of predicates and how these properties ensure the right semantic and syntactic representations of linguistic expressions. We have shown how, for example, argument structure and theta roles assignment collaborate to produce grammatically and semantically acceptable constructions. In the second part, we have discussed how structures are formed and how principles and parameters of UG together with language specific conditions and constraints are used in the formation of simple and complex linguistic expressions.

X-bar syntax contains a cross-categorial generalization, and stipulates that all phrases are structured in the same way. Thus, the syntactic structures, whether simple or complex, are built in the same manner. However, they are used to realize different functions. It is very important to realize that there is no unique relationship between form and function in language, i.e. the same function can be realized by different forms and the same form can realize different functions (Aarts, 2001). The form DP, for example, in (23) realizes different functions: subject, IO, DO and adjunct respectively.

23. a. [<sub>subject</sub> *The child*] cried.  
b. John gave [<sub>IO</sub> *his friend*] [<sub>DO</sub> *a book*].  
c. The crisis began [<sub>Adjunct</sub> *last year*].

On the other hand, in (24) the same function, i.e. the subject is realized by different forms, i.e. DP, non-finite clause, finite clause, small clause, gerundive phrase and PP respectively.

24. a. [<sub>NP</sub> *This man*] smokes cigars.  
b. [<sub>Non-finite clause</sub> *For her to go to College*] would be a good idea.



Mohamed Hassan Grenat

## The Interaction Between Meaning, Form and Function

- c. [Finite clause *That he is a nice man*] is obvious.
- d. [Small clause *The kitchen free of cockroaches*] is a welcome prospect.
- e. [Gerund phrase *Reading history books*] is very interesting.
- f. [PP *After breakfast*] suits me alright.

The same thing can be said with respect to other functions such as adjuncts and complements. The following are some examples that illustrate this observation. In (25) the function adjunct is realized by different constituents.

25. a. She cleaned the house [Adv P *quite happily*].  
b. She met her students [PP *outside the university*].  
c. He resigned [DP *the month before last*].  
d. [Finite clause *While John was watching TV*], Susan was peeling the potatoes.  
e. [Non-finite clause *To pass the exam*], you will have to work very hard.  
f. [Participial construction *Working on his essay*], Tom was quickly becoming tired.

g. [small clause *The doctor ill*], they had no-one to look after their daughter. The constituents used to realize the function adjunct express different semantic notions such as manner, location, time, purpose, reason, cause, etc. As mentioned above, heads, according to their morphosyntactic and semantic properties, select different constituents to realize their complements. For example, not all lexical verbs can select noun phrases or infinitive clauses as complements. Functional heads as well select different constituents to realize their complements, for example, the complementizer *that* selects a finite clause, while the complementizer *for* selects non-finite clause. Complements can be realized by a wide range of phrases and clauses. The following are examples of some of the constituents that can be used to realize this function.

26. a. Mary admires [NP *her teacher*].  
b. I prefer [PP *after Easter*].  
c. They regret [Finite clause *that they employed him*].  
d. I know [Wh-clause *what you mean*].  
e. The company expects [Non-finite clause *its employees to dress smartly*].  
d. He regrets [Gerundive phrase *buying a sports car*].  
e. She can [VP *speak Swahili*].  
f. For [Non-finite clause *her to look after her sick mother*] is very important  
g. He believes that [Finite clause *she is a nice girl*].  
h. He looked [PP *at the picture*].

**Mohamed Hassan Grenat**

## **The Interaction Between Meaning, Form and Function**

I. They want [<sub>Non-finite clause</sub> me to [<sub>VP</sub> look [<sub>PP</sub> after [<sub>DP</sub> their children]]]].  
(26.I) illustrates some important structural relations: first the non-finite clause (IP), which is a complement of the matrix verb, contains three phrases; VP, PP and DP; second the VP contains two phrases: its complement the PP which itself contains the NP as its complement. In all the examples given above, the different grammatical functions are defined and related to each other structurally according to the principle of UG.

### **Conclusion**

This paper has given a short account for the interaction between meaning, form and function. We have seen how ideas and meanings are expressed linguistically and how these meanings determine the structure of the linguistic expressions used to convey them. We have looked at the role played by the selectional properties of the different forms in building structures and conveying meaning. The paper has discussed how UG principles and language specific constraints are employed in the formation and interpretation of the different linguistic expression. More important, this paper has accounted for the central role of X-bar theory in representing the syntactic structures of the different linguistic expressions, assigning the thematic roles to the arguments of the predicates, determining the structures, and defining the grammatical functions. We can say that components of grammar interact with each other and work together to produce well-formed structures that can be used as utterances in actual communicative situations.

### **References**

- Aarts, B. (2001, 2<sup>nd</sup> edition) *English Syntax and Argumentation*, Palgrave, New York. N.Y
- Baker, M. (1988) *Incorporation*, University of Chicago Press, Chicago.
- Borsley, R (1999) *Syntactic Theory: A unified Approach*, Arnold, London.
- Carnie, A (2000) *Syntax: A generative Introduction*, Blackwell Publishing, Malden, Mass.
- Chomsky, N. (1970) 'Remarks on Nominalizations', in R. A. Jacobs and P. S. Rosenbaum (eds.) *Readings in English Transformational Grammar*, Ginn Waltham, Mass, pp. 184-221.
- Chomsky, N. (1995) *The Minimalist Program*, MIT Press, Cambridge, Mass.
- Grundy, P. (2000) *Doing Pragmatics*, Arnold, London.
- Haegeman, L. (1994, 2<sup>nd</sup> edition) *Introduction to Government and Binding Theory*, Blackwell, Oxford

**Mohamed Hassan Grenat**

**The Interaction Between Meaning, Form and Function**

- Jackendoff, R. s. (1977) *X-bar Syntax: A Theory of Phrase Structure*, MIT Press, Cambridge, Mass.
- Kempson, R. (2003) 'Pragmatics: Language and communication', in M. Aronoff And J. Rees-Miller (eds.) *The Handbook of Linguistics*, Blackwell, Oxford, pp. 394-327.
- Kreidler, C. (1998) *Introducing English Semantics*, Routledge, London
- Lyons, J (1977) *Semantics: I*, CUP, Cambridge,
- Ouhalla, J. (1999, 2<sup>nd</sup> edition) *Introducing Transformational Grammar: From Principles and Parameters to Minimalism*, Arnold, London.
- Radford, A. (1988) *Transformational Grammar: A first Course*, CUP, Cambridge.
- Radford, A, (1997) *Syntactic Theory and the Structure of English*, CUP, Cambridge.
- Webelhuth, G. (1995) 'X-bar Theory and Case Theory', in G. Webelhuth (ed.), *Government and Binding Theory and Case Theory and the Minimalist Program*, Blackwell, Oxford, pp. 15-95.

## Memory vocabulary learning strategies and long-term retention October, 2017

د. فوزية أحمد المقطوف اوحيدة  
كلية الآداب: جامعة الزاوية

### خلاصة

هدفت هذه الدراسة الى البحث في تأثير تدريس المفردات اللغوية الجديدة باستخدام استراتيجيات الذاكرة على كل من التخزين طويل الأمد والتخزين قصير الأمد، وذلك إما عن طريق تقديم المفردات اللغوية الجديدة جنباً إلى جنب مع مرادفاتها أو تقديمها ضمن سياقات لغوية مصغرة توضح معاني هذه المفردات اللغوية الجديدة. ضمت عينة هذه الدراسة 30 مشاركاً من طلبة السنة الثالثة الليبيين المسجلين للعام الدراسي 2016-2017 بقسم اللغة الإنجليزية، كلية التربية، جامعة الزاوية. أظهرت النتائج أن المشاركين من المجموعة التجريبية قد تفوقوا في ادانهم على المشاركين من المجموعة العامة من حيث فعالية وجود كل من التخزين طويل الأمد والتخزين قصير الأمد للمفردات اللغوية الجديدة. وقد خلصت الدراسة إلى الإستنتاج بأن التدريس المباشر لإستراتيجيات التذكر وخلق وعي بين الطلاب بوجود هذه الإستراتيجيات يُعدُّ من انجع الطرق وأكثرها فاعلية في تمكين الطلاب من تخزين واسترجاع المفردات اللغوية الجديدة من الذاكرة للإستخدام التفاعلي الإنتاجي لهذه المفردات اللغوية.

### Abstract

The present study is an attempt to investigate the impact of teaching vocabulary items through memory strategies on control group as compared to experimental group, where students are taught the meaning of new vocabulary items through giving synonyms and mini-contexts. The results are reflected in the students' short-term and long-term retention. The participants of the study comprise 30 Libyan 3<sup>rd</sup> – year students, Dept. of English, Faculty of Education, Zawia University, who are registered for the academic year 2016-2017. The results indicate that the students of the experimental group outperform both in short-term and long-term scores, portraying the superiority of memory strategies in short-term and long-term retention. As many learners do not develop sufficient mastery of the vocabulary, explicit instruction of memory strategies and giving strategy awareness can help them to store and retrieve new vocabulary items.

**Key Words:** memory strategies, vocabulary learning strategies, short-term retention, long-term retention, imagery

### Introduction

Although some teachers may think that vocabulary learning is easy, learning new vocabulary items has always been challenging for the learners. Different ways of learning vocabulary are usually utilized by the students such as

using notebooks, referring to bilingual and monolingual dictionaries to decipher the meaning, or giving some synonyms and antonyms, to name but a few. In spite of these efforts and invariably experiencing so many difficulties, vocabulary is by far the most sizable and unmanageable component. This raises a fundamental inquiry: why is learning vocabulary such challenging and unproductive experience? Which method could be used to make vocabulary of less struggle? One possible answer to the problem of vocabulary is applying teaching vocabulary learning strategies. Research into language learning strategies began in the 1960s and since the mid-1980s, vocabulary learning has been drawing growing attention from ESL researchers, particularly, the 1990s, which witnessed a noticeable number of publications. Vocabulary is now a current focus in ESL pedagogy and research (Wei, 2007). Generally speaking, vocabulary can be taught in different ways each of which with its own merits and demerits.

Learning vocabulary from context or '*incidental learning*' as opposed to '*direct intentional learning*' are two different ways of learning vocabulary. According to Nation (2001), extensive reading is useful for vocabulary growth and is called incidental learning. On the other hand, vocabulary can be learnt 'intentionally' through some strategies and plans. There exist conflicting views among language professionals concerning the relative superiority of two approaches of '**contextualized**' and '**de-contextualized**' ways of learning. Oxford and Scarcella (1994), for example, observe that while 'de-contextualized learning' (*word list*) may help students memorize vocabulary for tests, students are likely to rapidly forget words memorized from lists. According to Nielson (2006) at early stages of language development, 'de-contextualized' vocabulary instruction has been found to be more effective in building a fundamental vocabulary than the contextualized reading. Later he suggests that teachers of beginner level learners need to include greater amount of 'de-contextualized' vocabulary instruction (word list) gradually increasing toward more context-based vocabulary learning (extensive reading) as the language ability of the learners develops. Of 'de-contextualized' vocabulary memorization strategies, 'memory strategies' involving deep semantic processing of target word have shown to be more effective than memorization techniques involving shallow processing such as oral rote repetition (O'Malley and Chamot, 1990; Oxford, 1990).

According to "Depth of Processing Hypothesis", the more cognitive energy a person exerts when manipulating and thinking about a word, the

more likely it is that they will be able to recall and use it later ( Craik and Lockhart, 1972; Nemati, 2013(a); Nemati, 2013(b); Craik and Tulving, 1975). This hypothesis implies that it is not important how recently learners have learnt something. What is of more importance in learning is, in fact, the depth of processing; in other words, students must be taught on how to process information deeply. Such implications extend to pedagogy as well, suggesting that exercise and learning strategies which involve a deeper engagement with words should lead to higher retention compared to shallow activities. Given the above hypothesis, the present article seeks to introduce, from among different ways of learning and teaching vocabulary, memory vocabulary learning strategies which involve deep processing and will consequently lead to better retention.

Furthermore, taking into account the most suitable exercises without considering other factors that can affect learning is not of much use to the students. Teachers' awareness of other factors such as neurolinguistics, different functions of the brain, learning and forgetting, which is a part of learning plays crucial roles in teaching. The word '*strategy*' comes from the ancient Greek term '*strategia*' meaning generalship or the art of war and as Oxford (1990) mentioned more specifically *strategy* involves the optimal management of troops, ships or aircraft in a planned campaign. The history of learning strategies goes back to Rubin (1975) who pioneered much of the work in the field of strategies. From then, different classifications and taxonomies came into vogue (O'Malley and Chamot, 1990; Cohen, 1990).

From among those researchers who tackled language learning strategies, Oxford classification is the most comprehensive detailed system embodying direct and indirect strategies. She defines language learning strategies as, "steps taken by students to enhance their own leaning, they are tools for active, self-directed involvement, which is essential for developing communicative competence" (1990: 1). Oxford (1990) classifications embodies direct and indirect strategies with 6 categories, 19 strategies and 62 sub-strategies. Direct strategies directly involve with the target language and require mental processing of the language. It consists of '*memory*', '*cognitive*' and '*compensation*' strategies. Similarly, 'indirect strategies' as the word conveys are strategies which are indirectly involved in learning. In other words, these strategies support and manage language learning without directly involving the target language hence, they underpin the business of language learning and include '*metacognitive*', '*affective*' and '*social*' strategies. With the emergence of the concept of language learning strategies

scholars have attempted to link these strategies to other aspects of language such as vocabulary as well. Studies such as O'Malley and Chamot (1990) confirm that most language learning strategies are used for vocabulary tasks too.

In the same vain, all memory strategies based on Oxford taxonomy can be used for vocabulary learning tasks the effect of which has been a motive to conduct the present research on vocabulary retention. Memory strategies which are the main concern of this article fall into four sets of "**creating mental linkage**", "**applying image and sound**", "**reviewing well**", and "**employing actions**". Other researchers dealt with systematic reviewing and different types of *mnemonic* strategies (Pimsleur, 1967; Nemati, 2008).

In this study from among the four sets of memory strategies classified by Oxford (1990) (cited in Palmer, 2015 and Palmer, 2018), the three substrategies of *grouping*, *making acronym* and *using imagery* were selected. These strategies enable learners to store material and then retrieve it when needed for communication. Grouping refers to classifying language material into meaningful context to make the material easy to remember by reducing the number of discrete elements. Based on Oxford (1990) using acronyms is a kind of placing new words into a context in order to remember them better. Placing new language information to concepts in memory by means of meaning visual imagery either in the mind or in an actual drawing is called using imagery. Memory strategies are selected to find the effect of using them both in storing (as evaluated by immediate post-test) and retaining vocabulary items for longer period of time (as reflected in delayed post-test) which is the aim of learning.

### Research Questions

To accomplish this investigation, the following *research questions* were formulated:

1. Is there any difference between learners' performance in each sub-strategy and their strategy use as self-reported by them?
  - a. Is there any difference between learners' performance in each sub-strategy and their strategy use as self-reported by control group?
  - b. Is there any difference between learners' performance in each sub-strategy and their strategy use as self-reported by in experimental group?
2. Does teaching each of sub-strategies of memory VLSs (*Vocabulary Learning Strategies*) impact learners' short-term and long-term vocabulary scores in comparison to control group?

3. Does teaching memory VLSs impact learners' short- term and long-term vocabulary scores in comparison to the experimental group?

### Participants

The sample of this study comprises 30 Libyan 3<sup>rd</sup> – year students, Dept. of English, Faculty of Arts, Zawia University, who are registered for the academic year 2016-2017 (an EFL-based environment). The participants have been exposed to English for 9 years (from 7th standard) and their age range is from 18 to 20. The students are selected through random sampling and they are randomly assigned to *control* and *experimental* groups. Finally, 15 students served as control group and 15 students as experimental group.

### Instruments of the Study

To collect the data required, the following questionnaires were employed:

#### a. Vocabulary Level Test (VLT)

The Vocabulary Level Test (VLT) is typically used to measure receptive vocabulary knowledge at the lexical level. The test refers to word class category levels, such as 2000, 3000, 5000, etc. The VLT is a validated and reliable test (Nation, 2001). Some studies have reported the reliability of this test (Liu, 2016; Read, 2009) and this test has been examined by other experts (Gyllstad, 2007; Teng, 2015; Webb & Sasao, 2013). (Appendix 1)

#### b. Self-report questionnaire

This self-report questionnaire seeks answers regarding the use of some memory vocabulary learning strategies and is based on a five-scale *Likert* measurement including *never*, *seldom*, *sometimes*, *usually* and *always* as its options. The questions of this self-report were drawn from **Strategy Inventory Language Learning** (SILL) version for speakers of other languages learning English (version 7.0 in Oxford, 1990) (Appendix 2).

#### c. Vocabulary Knowledge Scale (VKS)

One of the most commonly accepted views of vocabulary acquisition maintains that it occurs along a continuum of development (Waring, 2002). The simplest continuum view of vocabulary is from less knowledge of words to more knowledge of words. Within the last five to 6 years, the vocabulary knowledge scale of Paribakht and Wesche (1993) has gained significant popularity in second language vocabulary assessment and is being used in a variety of studies (Waring, 2002). The particular aim of this VKS is to construct a practical instrument for use in studies of initial recognition and use of new words. It came into vogue as



a reaction to the shortcomings of multiple choice tests. Having used a 5–point scale, this instrument combines self-report and performance items to elicit self-perceived and demonstrated knowledge of specific words in a written form. The rating scale ranges from total *unfamiliarity* through *recognition* of word and some *idea* of its meaning to the *ability* to use word with grammatical and semantic *accuracy* in a sentence (*Iqbal and Komal, 2017*). This instrument was employed for pre-test and the two post-tests (Appendix 3).

#### Treatment Material

This material is prepared by the researcher. It includes 9 unknown vocabulary items selected from the pilot study (for each strategy 3 items) to be taught by memory strategies in the experimental group. The treatment material starts with a general definition of each vocabulary learning strategy and continues with an elaboration and exemplification of each strategy, all in the form of a handout to be used by participants in the experimental group. A practice section is also incorporated for each strategy so as to guarantee the participants' understanding of the strategy (Appendix 4).

#### Procedure

##### 1. Pilot study

A pilot study was carried out with the whole group (i.e. the thirty participants) before the main phase of the study for the selection of vocabulary to be employed and taught during the main research. First, a self-report questionnaire, in the form of *Likert Scale*, including 6 questions dealing with memory strategies of *grouping*, *placing new words into context* and using *imagery* was given to the participants to see whether the questions of the self-report were understood by the students correctly and to get an idea about the time required by the students to answer each questionnaire. The calculated reliability by **Cronbach alpha** was 0.72. Cronbach alpha is used "when measures have items that are not scored simply as right or wrong such as *Likert Scale* where the individual may receive a score from 1 to 5 depending on which option was chosen" (Aray, Jacobs and Razavieh, 1972: 285). Second, vocabulary level test of Nation (2001; *Nation, 2012; Nation, 2013*) was given to the students to measure the vocabulary size of students and to prepare the final vocabulary items required for the treatment (Appendix A). After analyzing the results, the following words with which the students were least familiar were selected: "*mortgage*", "*mansion*", "*dwell*" for the first strategy (*Grouping*), "*dignity*", "*stable*" and "*adequate*" for the second strategy (*Making Acronyms*) and

"*herd*", "*loop*", "*summit*" for strategy three (*Making Images*). All the above mentioned strategies based on Oxford taxonomy make memory strategies. From the above selected vocabulary the researcher made a strategy-enriched material to be used in the main phase for the experimental group which was explained in the previous part.

### Main Study

The main study was carried out in three steps: Pre-test, treatment along with post-test 1 (the so-called, immediate post-test), and post-test 2 (the so-called delayed post-test). The allotted time for teaching in both control and experimental groups was the same. Below each step will be explained briefly:

**Pre-test.** A pre-test was administered 14 days before commencing the main study to both control and experimental groups. The self-report questionnaire and vocabulary knowledge scale (VKS) encompassing 6 questions were distributed during the regular vocabulary class time to both groups. The same VKS was also utilized in the two post-tests later.

**Control Group:** Teaching in the control group involved different modes of vocabulary presentation such as follows:

- a. Presentation of the words in isolation.
- b. Giving pronunciation of the words orally.
- c. Writing those words on the board.
- d. Giving a short explanation about their parts of speech.
- e. Elaboration of the meaning of each word through introducing synonyms (and antonyms if needed).
- f. Using minimal contexts, that is, some meaningful sentences.

**Experimental Group:** For teaching to the 15 students who serve as experimental group along with applying the method which was used for control group and explained before, the researcher made use of the strategy-enriched material. That is, first, the students were familiarized with the concept of strategy and its definition, a kind of "strategy awareness". Then, they were asked to read the description provided for each strategy, which included some explanation and examples. For the first strategy (*grouping*), the students were asked to group the following 3 vocabulary items with the same theme "*mortgage, mansion, dwell*" (Pamler, 2018). For the second strategy (*making acronym*) which, according to Oxford, is a kind of new context. The words "*dignity, stable, adequate*" were selected. The students learnt that they could make an acronym like **SAD** to learn and remember

those words better. Pictures of "*herd, loop, summit*" were shown to the participants for the third strategy (*imagery*).

After finishing the explanation, participants were asked to do the related exercises for each group of words while utilizing the teachings of each strategy. Worth noting that for contextualization and providing sentences for all the words, their first dictionary meaning was taken care of and taught. The sentences were obtained from *Oxford Advanced Learners' Dictionary*, 7th edition (2007), and the online dictionary *answer.com*.

Basically, **Post-test 1** was administered to measure the short-term improvement of the students in control and experimental groups, immediately after finishing the teaching phase both in control and experimental groups. The test was the same as the vocabulary knowledge scale used in the pre-test. Two weeks after **Post-test 1**, the same test which was called "delayed" test or **Post-test 2** was administered again. Delayed recall after 2 weeks under experimental conditions is normally referred to as "long-term retention" (Yongqi, 2003: 12). The reliability estimate for VKS was established through test-retest administration. The result of the Pearson Correlation was 0.76 indicating that the instrument could elicit acceptably reliable feedback.

#### Data analysis

To answer the first research question concerning the difference between learner's performance and their view in self-report, some paired t-tests were run between what students said in their self-report and **Post-test 1**. The results of this test have been shown in Table 1. The results of t-test in Table 1 depicted that there was a significant difference between what the participants said in self-report and what they actually did for *grouping* and *making acronyms*. This indicates that the participants of control group overestimated themselves for all the three sub-strategies based on their mean values, although for *imagery*, this difference was marginal and thus not significant. In fact, learners reported to use these strategies more in the questionnaire than they did in the test. As for experimental group, because of the teaching effect through strategies, the mean values of **Post-test 1** for *grouping* and using *imagery* were higher than what they said. For *making acronyms*, students overestimated themselves in a case that even after teaching, their score of self-report was still higher than that of **Post-test 1**.

**Table 1. Paired T-Test between self-report of each strategy and post-test 1 of each sub-strategy in control and experimental groups**

Memory vocabulary learning strategies...

Group	Sub-strategies	Mean	St. d	t	df	Sig. (2 tailed)	
Control	1	S	47.857	21.360	3.792	139	.000
		P	39.047	17.488			
	2	S	56.875	32.911	5.511	139	.000
		P	44.166	11.295			
	3	S	44.553	23.141	1.748	139	.83
		P	40.592	12.518			
Experimental	1	S	53.897	20.900	3.604	169	.000
		P	61.323	18.413			
	2	S	65.882	22.001	8.440	169	.000
		P	48.774	14.466			
	3	S	46.691	24.797	2.621	169	.000
		P	52.205	13.584			

*S = Self-report / P = Post-test 1 / St. d = Standard Deviation / t = T-test / df = Difference / Sig. = Significance*

**Table 2. Independent Sample t-tests to identify the difference between pre-test scores of two groups**

Strategy	Groups	NO. of subjects	Mean	SD	S. E. of the mean	t	df
1(Grouping)	Con.	140	4.3	1.1	.09	.8	308
	Exp.	170	4.4	1.0	.08		
2(Acronyms)	Con.	140	4.2	1.1	.09	.9	308
	Exp.	170	4.1	.8	.06		
3 (Imagery)	Con.	140	4.4	1.2	.09	1.5	308
	Exp.	170	4.2	.8	.06		
Memory	Con.	140	13.0	2.8	.23	.6	308
	Exp.	170	12.8	1.6	.12		

*Con. = Control Group / Exp. = Experimental Group / S. E. = standard Error*

Table 3. Descriptive statistics for sub-strategies and memory strategies

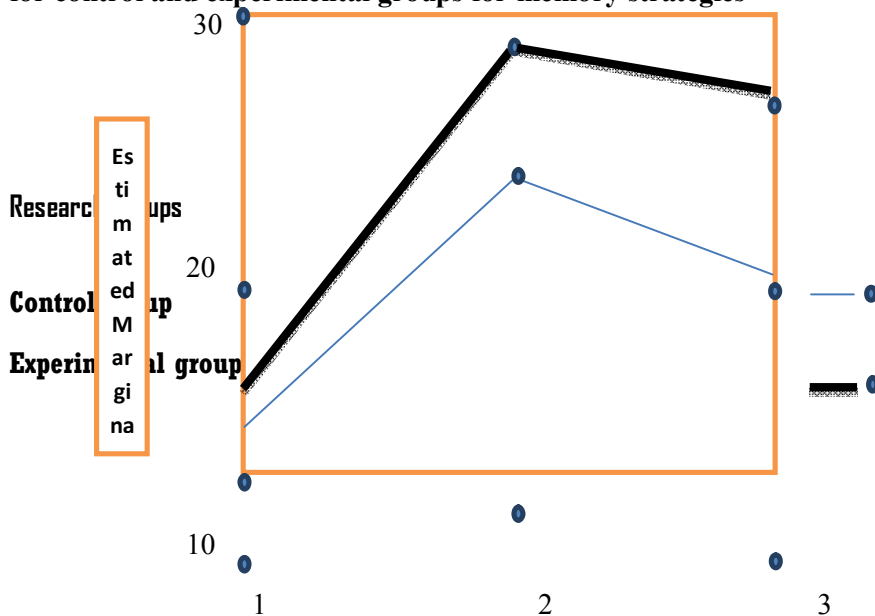
Strategy	Groups	NO. of subjects	Pre-test		Post-test 1		Post-test 2	
			Mean	SD	Mean	SD	Mean	SD
1(Grouping)	Con.	140	4.32	1.14	7.68	2.9	7.00	2.01
	Exp.	170	4.42	1.05	10.35	2.20	9.55	2.29
2(Acronyms)	Con.	140	4.29	1.14	8.30	1.36	7.12	1.79
	Exp.	170	4.17	.85	8.85	1.73	9.05	1.28
3 (Imagery)	Con.	140	4.42	1.16	7.78	1.50	7.11	1.94
	Exp.	170	4.24	.83	9.26	1.63	9.01	1.36
Memory	Con.	140	13.05	2.78	23.83	3.99	21.25	5.15
	Exp.	170	12.87	1.59	28.47	4.66	27.63	4.09

Before analyzing the data for questions 2 and 3 and to be sure that the control and experimental groups were homogeneous enough to start the study, an independent t-test was run to see if the two groups performed similarly different on pre-test or not. Table 2 above shows the results of independent sample t-test between control and experimental groups. As it is shown in the Table 2, there was not a significant difference between pre-tests of the two control and experimental groups at 0.05 level of significance regarding sub-strategies as well as memory strategy. In other words, the students of the two groups were not aware of the meaning of the words to be taught in the pre-test and proved the homogeneity of the groups. Table 3 reveals the mean scores of the control and experimental groups in the three substrategies and memory strategies. From Table 3 it was clear that a significant increase was observed from pre- to post-test 1 for both groups and a decrease from post-test 1 to post-test 2 again for both groups, while the increase was higher for experimental group and the decrease was less for that group in the delayed post-test. For example, for memory strategies on the whole, the mean increased to 23.83, 28.47 for control and experimental groups respectively and decreased to 21.25 and 27.63 in post-tests 2.

From the mean values in Table 2 it was clear that in immediate post-test both groups had a significant increase in which the increase of experimental group was higher while the decrease of that group was also lower from the immediate to the delayed post-test. This implies that forgetting was less for the experimental group. Regarding using imagery for teaching and learning (sub-strategy 3), comparing the mean values of pre and post-test of the two groups showed that again both groups have improvements after treatment. However, the improvement of experimental

group in comparison to the control group was more. Although both groups have improved, from the mean values it was shown that from immediate to post-test 2 the decrease in experimental group was less than that of control group. As for the third research question, that is, the effect of memory strategies in short-term and long-term retention, the results of *Pillai's Trace Value* (i.e., increasing values of the statistics) for memory and Figure 1 below will clarify the point. According to Table 3, it is evident that the results of teaching memory strategies in the experimental group was highly significant. This implied that, teaching memory strategies was successful both in storing and retrieving. From Figure 1 it was also clear that students of the experimental group outperformed the control group both in immediate test which showed better storing of the material and in delayed post-test which was the sign of better retrieval. As it is also clear from the above figure, both groups improved from pre-test to post-test 1 while the improvement for experimental group was higher. Furthermore, from post-test 1 to post-test 2 for both experimental and control groups there was a decrease. Figure 1 below shows that this decrease was higher for control group, which showed forgetting was more.

Figure 1. Mean score of pre, immediate and delayed post-tests for control and experimental groups for memory strategies



## DISCUSSION AND CONCLUSION

In this study, the effect of teaching vocabulary items through memory strategies as reflected in the results of the immediate test and the delayed test were examined. The results of this study reiterate the long-term effectiveness of teaching through memory strategies and giving awareness to the students because in spite of the importance of memory strategies students rarely use these strategies, especially that only 4% of the brain is actively utilized during traditional language teaching (Danesi, 2003).

In this connection, Oxford (1990) claims that memory strategies, sometimes called *mnemonics*, have been used for thousands of years. She brought the example of orators in ancient times that could remember a long speech by linking different parts of speech with different rooms of a house or temple, and then taking a walk from room to room, but after literacy became common place, people forget their previous reliance on memory strategies. These days, memory strategies have occupied the lion's share of attention probably because vocabulary learning has largely been constructed as a memory problem (Yongqi, 2003). The only principle that these strategies reflect is that for learning and retrieving better some "*hook* or *memory aids*" are needed. In this study, *grouping* and *acronyms* act as those hooks that help learners retrieve better in the long run.

The importance of teaching vocabulary through memory strategies is justifiable in different ways. First, as mentioned earlier, it is plausibly based on *Depth of Processing Hypothesis*. As stated earlier, according to this theory, how well information is remembered is not a function of how long a person is exposed to that information, but instead depends on the nature of the cognitive processes that are employed to process that information. This theory can be described by comparing the levels of processing to the levels in a pyramid. The bottom levels represent preliminary, shallow processing, and are concerned with physical and sensory features. The top levels of the pyramid represent deep processing and are concerned with the extraction of meaning where depth refers to greater degree of semantic involvement. One example of this deep level processing is memory or mnemonic strategies. Thus, the outperformance of experimental group by using memory strategies can be defended by this theory. In the short-term, information can be maintained at any level, but in the long-term information is most likely to be remembered if it is processed at the deep, meaningful way ( Craik and Tulving, 1972). This is an important concept because it stresses the fact that

simple rehearsal will not facilitate long-term recall. However, elaboration at deeper levels will promote long-term recall. Thus, deeper, richer semantic processing, such as memory strategies will be more likely to enhance learning than shallower processes such as rote repetition (Schmitt and Schmitt, 1995).

Teaching vocabulary through memory strategies can also be justified by neurolinguistics. It is a branch of neuroscience which deals with various aspects of the relationship between the brain and language and bolsters the importance of teaching vocabulary strategies. Although, knowing about the brain may have no direct implication to teaching, it can have influence in teaching methods. Knowledge about the brain provides a solid theoretical basis upon which the formalist paradigm can be rebuilt to meet contemporary conditions and expectations; it is useful to have this knowledge for practical reasons (Danesi, 2003). Knowing about the brain and the two hemispheres of the brain can give teachers insight to find teaching methods which are congruent with the mental labour of human brain in a patterned fashion. The right hemisphere is the seat of imagination and spatial thinking, while the left hemisphere is responsible for analytical, reflective and verbal thinks. Thus, by employing pictures or creating visual images of words learners can use their right hemisphere more. Of course, it is noteworthy that these mental pictures can be used for abstract words as well by associating the word with the same concrete objects and symbols.

Using the brain is what the reformist wants from the application of Audio-lingual method till now. They are concerned with designing methods that would activate the brain in a learning productive fashion such as, *suggestopedia*, or total physical response. Also, based on the hemisphericity of the brain it is strongly suggests that right hemisphere is an effective distributor of new information (Danesi, 2003). Thus teaching through right brain is more effective. On the other hand, teaching should target at increasing retention without increasing study time. Because students forget much of what they learn, applying memory strategies is a good way to benefit from learning that provides long-lasting knowledge. The importance of applying images for learning new items and committing them to long-term memory is clear. There are three main activities that attribute to long-term memory, i.e., *storage*, *retrieval* and *forgetting*. First, chunks of information will be transferred to long-term memory by applying visual images. Second, visual images may be the most potent device to aid recall. One last thing is that applying memory strategies can promote long-lasting



retention which is the aim of education. Oxford (1990) supposes that the mind storage capacity for visual information exceeds its capacity for verbal information. Furthermore, a large proportion of learners have preference for visual images.

#### REFERENCES

Aray, D. Jacobs, C. and Razavieh, A. (1972). Introduction to research in education. US Harcourt Brace

Cohen, D. (1990). Language Learning. Insights for Learners, Teachers and Researcher. Boston, Mass.: Heinle and Heinle Publishers. Collins Co build Dictionary (1990). Great Britain: Richard Clay Ltd.

Craik, M. and Lockhart, S. (1972). Levels of processing: A framework for memory research. J. Verbal Language. Verbal Behaviour. 11: 671-684 .

Craik, M. Tulving, E. (1975). Depth of processing and retention of words in episodic memory. J. Exp. Psychol. Gen. 104: 268-294. Danesi, M. (2003). Second language teaching a view from the right side of the brain. Boston: Kluwer Academic Publishers. Gyllstad, H. (2007). Testing English collocations: Developing receptive tests for use with advanced Swedish learners (Doctoral), Lund University, Lund. Hsueh Iqbal, S. A. and Komal, S. A. (2017). Analyzing the Effectiveness of Vocabulary Knowledge Scale on Learning and Enhancing Vocabulary through Extensive Reading. English Language Teaching. Vol. 10, No. 9. Published by Canadian Center of Science and Education. Liu, J. (2016). Role of Vocabulary Levels Test (VLT) in Chinese undergraduate students' comprehension of textbooks. Journal of Language Teaching and Research, 7(2), 364-369. Nation, P. (2001). Learning vocabulary in another language. Cambridge: Cambridge University Press. Nation, I. S. P. (2012). The BNC/COCA word family lists. Retrieved 17 September, 2012, from [http://www.victoria.ac.nz/lals/about/staff/publications/paul-nation/Information-on-the-BNC\\_COCA-word-family-lists.pdf](http://www.victoria.ac.nz/lals/about/staff/publications/paul-nation/Information-on-the-BNC_COCA-word-family-lists.pdf). Nation, I. S. P. (2013). Learning vocabulary in another language (2nd ed.). Cambridge: Cambridge University Press. Nemati A. 2013 (a). Vocabulary learning strategies: A short way to longterm retention. Linguistics and Literature Studies 1(1): 8-14. Nemati A. 2013 (b). Increasing depth of vocabulary: a hidden aspect of vocabulary knowledge. 4 (3): 313--322.

Nemati A. and Bayer M. J. (2008). Vocabulary retention technique through an organized learning scheme. Indian Linguistics 69(1-4): 289-296. Nielsen, B. (2006). A review of research into vocabulary learning and acquisition. Retrieved December 10, 2007, from

<http://www.kushiroct.ac.jp/library/kiyo/kiyo36/Brian.pdf>.

O'malley, M. and Chamot, A. (1990). Learning strategies in second language acquisition. Cambridge: Cambridge University Press. Oxford Advanced learner's Dictionary (2007). Oxford: OUP. Oxford, R. (1990). Language learning strategies: what every teacher should know. Boston: Heinle and Heinle Publishers. Oxford, R., and Scarcella, R. (1994). second language vocabulary learning among adults: state of the art in vocabulary instruction. System 22(2): 231-43.

Palmer, R. (2015). Memory strategies for vocabulary: Grouping.

<http://www.palmerlanguage.com> Palmer, R. (2018).

Memory strategies for vocabulary: Semantic Mapping.

<http://www.palmerlanguage.com> Paribakht, T. and Wesche, M. (1993).

Reading comprehension and second language development in a comprehension-based ESL program. TESL Can. J. 11(1): 9-29. Pimsleur, P.

(1967). A memory schedule. Modern Lang. J. 51(2): 73-75. Read, J. (2009).

Assessing vocabulary. Cambridge: Cambridge University Press. Rubin, J.

(1975). What good language learners can teach us? TESOL Q. 9: 41-51.

Schmitt, N. and Schmitt, D. (1995). Vocabulary notebooks: Theoretical understanding and practical suggestions. ELT J. 49(2): 133-142. Teng, F.

(2015). Assessing relationship between vocabulary learning strategy use and vocabulary knowledge. PASAA: A Journal of Language Teaching and Learning, 49(1), 39-66. Webb, S. A., & Sasao, Y. (2013). New directions in vocabulary testing. RELC Journal, 44(3), 263-277.

Wei, M. (2007). An examination of vocabulary learning of college-level learners of English in China. Asian EFL J. 9 (2) Article 5. Waring, R.

(2002). A comparison of the receptive and productive vocabulary size of some second language learners. Appeared in immaculate; the occasional paper at Notre Dame Seishin University. Retrieved from <http://www1.harenet.ne.jp/~waring/papers/vocsize.html> on 13 February 2008.

Yongqi, G. P. (2003). Vocabulary learning in a second language: person, task, context and strategies. TESL-E J. 7(2): 1-28.

**Appendix 1** Vocabulary Level Test (VLT)

This is a vocabulary test. You must choose the right word to go with each meaning. Write the number of that word next to its meaning. The first one is done as an example.

**Part I**

1. Business
2. Clock \_6\_ part of a house
3. Horse \_\_\_ something used  
for writing
4. Pencil \_\_\_ animal with four  
legs
5. Shoe
6. Wall

**Part II summit**

- 
- 1. *top of a mountain*
- 2. musical instrument
- 3. loan to buy a house \_\_\_ summit
- 4. day or night before a holiday
- 5. soldiers who fight from horses

**Part III**

Some extra words are in the list to make the test more difficult. You do not have to find a meaning for those words. If you have no idea about the meaning of a word, do not guess. But if you think you know the meaning,

1	copy		1	slight	
2	event		2	bitter	
3	motor	___ end of highest point	3	lovely	___ beautiful
4	pity	___ this moves a car	4	merry	___ small
5	profit	___ thing made to be like	5	popular	___ liked by
6	tip	another	6	independent	many people
1	coffee		1	arrange	
2	disease	___ money for work	2	develop	___ grow
3	justice	___ a piece of clothing	3	lean	___ put it in
4	skirt	___ using the law the right	4	owe	order
5	stage	way	5	prefer	___ like more
6	wage		6	seize	than something
					else

and then you should try to pick the right answer.

**Appendix 2** Self-report questionnaire

*Dear student,*

د. فوزية أحمد المقطوف

### Memory vocabulary learning strategies...

The following questionnaire includes two parts. There are 6 questions in the first part. Please answer them carefully. Tick only one of the choices that best applies to you and do not leave any question unanswered.

1. Name/Family Name: ..... Age: .....

Questions	Never	Seldom	Sometimes	Usually	Always
1 I group words together to study them. For example, I group names for all vehicles or all words about a topic.					
2 I group words spatially on a page, notebook or card by forming columns, triangles, squares, circles.					
3 I learn some new words by joining the initial letters of them and making a new word, e.g., CAP = carrot, apple, papaya					
4 I use new English words in a sentence so I can remember them.					
5 I image the word form, i.e., I draw the picture of a pair of gloves to learn the word better.					
6 I remember new English words by making a mental picture.					

### Appendix 3 Vocabulary Knowledge Scale(VKS) and Scoring Categories

VKS elicitation scale self-report categories

You are required to put a tick on the right box according to the key mentioned below

I

II

III

IV

V

- I. I don't remember having seen this word before.
- II. I have seen this word before, but I don't know what it means.
- III. I have seen this word before and I think it means-----  
(synonym or translation).
- IV. I know this word. It means ----- (synonym or translation).
- V. I can use this word in a sentence: ----- (If you do this section please also do section IV).

### Appendix 4 Treatment Material

Some vocabulary learning strategies to learn and remember words better

As a language learner, you may come across new words each day. But do you learn them efficiently and still do you **remember** them after a period of time?

### Memory vocabulary learning strategies...

The aim of this handout is to introduce you to a number of vocabulary learning strategies, steps or actions taken by students to improve their learning that will enable you to learn words easier and remember them after you have learnt them.

1. **Grouping**: it is the first strategy that can help you remember new words better and for a longer period of time. By this strategy you can classify words into meaningful units either mentally or on a paper to make the retention process easier by reducing the number of discrete elements.

**Grouping** can be done in a number of ways like:

- a. Type of words: All nouns or all verbs.
  - b. Topic: Words related to a specific subject area.
- Weather (hot - cold – rainy – stormy – windy - snowy)
  - Parts of body (hand – foot – nose – chest – leg - neck)
  - Vehicles (car – bus – cab – train – truck - lorry)
  - Similarities: (Warm, hot, tropical)

Now, consider the following words and see how you can group them:

<i>mortgage</i>	<i>mansion</i>	<i>dwell</i>
-----------------	----------------	--------------

2. **Making acronyms**: it is the abbreviation of several words in such a way that itself forms a word. **Making acronyms** is another way to retain and remember new words by placing new words or expressions into a meaningful context such as spoken or written sentences or even a short story. That is to say, an acronym can act as a new context. You may already have come across acronyms such as **RAM** (Random Access Memory) in Computer, **FBI** (Federal Board of Intelligence), **NATO** (North Atlantic Treaty Organization) and so on. To check your understanding of this strategy, now try to make an acronym with the words given below:

<i>dignity</i>	<i>stable</i>	<i>adequate</i>
----------------	---------------	-----------------

3. **Creating images**: A good way to retain and remember vocabularies that have been heard or read in a new language is to create "**images**" of them either in the mind or in actual drawing. You can make mental images of objects like "**house**" and "**tree**" more concrete. Even abstract words like "**evil**" or "**truth**" can be turned into symbols on a piece of paper for the purpose of retaining and remembering. In addition, this strategy could also be used for prepositions such "**a**", "**above**",

<i>herd</i>	<i>loop</i>	<i>summit</i>
-------------	-------------	---------------

د. فوزية أحمد المقطوف

### Memory vocabulary learning strategies...

“*under*”, “*up*”, etc. These pictures do not need to be artistic. Now, can you match the following words with the pictures?

